منصور حسين عبد العزيز

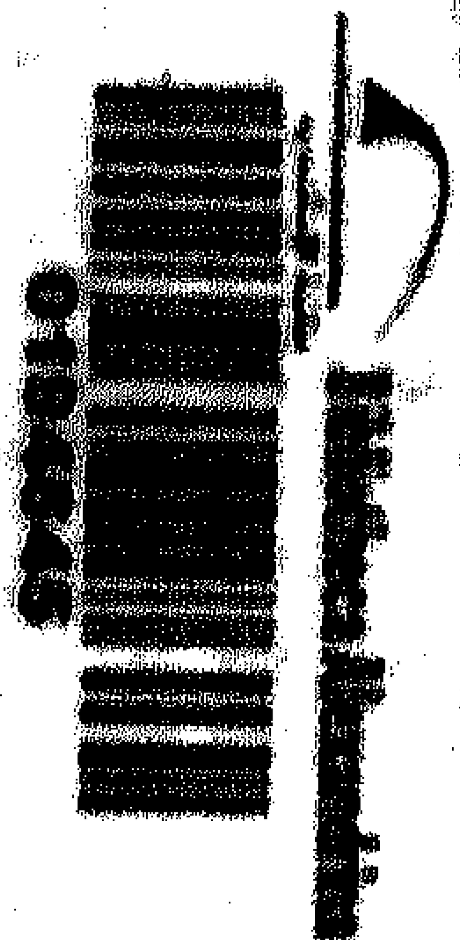
دعوة الحق

أو

الحقيقة
بين المسيحية والإسلام

الطبعة الثانية
مزيدة
وتتضمن التعليق على ما ظهر من ردود
على الطبعة الأولى

١٩٧٢



مكتبة علاء الدين

دعوة الحق

أو

الحقيقة بين المسيحية والاسلام

تأليف

منصور حسين عبد العزيز

القاضي

الطبعة الثانية

مزيدة

وتتضمن التعليق على ما ظهر من ردود

على الطبعة الاولى

سنة ١٩٧٢

مكتبة علاء الدين

٦٣ شارع صفية زغلول الاسكندرية

ت ٣٦١٨٩

إهداء

إلى كل مؤمن يريد الحقيقة وحدها
أهدي هذا الكتاب عسى أن يجد فيه
ما ينير له الطريق إليها

منصور

تمهيد

خلق الله آدم عليه السلام ، وأسكنه الجنة ، وحذره من أن يأكل من شجرة من أشجارها ثم خلق له حواء لتكون له زوجة وأنيسا وأغوى الشيطان حواء أن تأكل وزوجها من الشجرة التي حرم الله أن يأكلا منها ، فأكلت حواء وأعطت رجلها فأكل معها ، وكانت هذه أول خطيئة للانسان ، يعصى بها الله خالقه ، وكان أن أخرج الله آدم وزوجه من الجنة ، وأنزلهما الى الأرض ، جزاء لمعصيتهما .

وكان من آدم وحواء ، كل من قابيل وهابيل ، وقتل قابيل أخاه هابيل ، وكان هـذا قتلا لنفس بغـير حق ؛ كان خطيئة أخرى للانسان ، وكانت خطيئة بشعـة ، فظيعة فى جرمها .

وتوالى نسل آدم وبنيـه بعد ذلك على الأرض ، وبتوالى هـذا النسل ، توالت الخطيئـة هى الأخرى ، وكثر الشر ، واستشرى الفساد فى الأرض ، ولم يكن الله ليرضى عن ذلك .

ومن هنـــا بدأت رسالات السماء الى بنى آدم ، لتنهاهم عن الشر والفساد ، ولتدعوهم الى كل خير ، والى عبادة الله خالقهم ، وخالق كل شىء ، وشاء الله أن يطهر الأرض من الفساد بتطهيرها من المفسدين ، فأوحى الى نوح عليه السلام أن يصنع فلكا ، يأخذ فيه بنيه وأهله الصالحين معه ، فكان من نوح ما أمره به ربه ، وأغرق الله الأرض بمن عليها ، يطهرها ممن عاثوا فيها فسادا .

وتوالى النسل بعـد ذلك على الأرض ، وكان ابراهيم الخليـل عليه السلام ، وكانت زوجته سارة عاقرا ، فأعطته جارية تدعى هاجر ، أنجبت له ابنه اسماعيل ، ثم كان له من زوجته سارة بعد ذلك ابنا أسماه اسحق وكان عهدا من الله لإبراهيم أن يبارك نسله ، وفرض الختان على كل ذكر من هذا النسل .

ويوماً ما ، امتحن الله ايمان ابراهيم ، فأوحى اليه أن يذبح ابنه وحيده الذى يحبه ، وكم كان صعبا على أب أن يطلب منه ذلك ، ولكن إيمان ابراهيم وطاعته لربه جعلاه ينصاع لأمره ، حتى إذا ما هم ابراهيم بذبح ابنه وحيده الذى يحبه ، منعه الله ، وفدا ابنه بذبح عظيم ، وكرر عهده له أن يباركه ونسله لأنه لم يمنع ابنه عنه .

وتوالى نسل بنى آدم بعد ذلك على الأرض ، وتوالت معه الشرور والآثام ، وتوالت أيضا رسالات السماء الى بنى آدم ، تنهاهم عن الشر ، وتدعوهم الى الخير والمحبة وعبادة الله ، خالقهم وخالق كل شيء ، وتوالى بالرسالات الرسل الأنبياء ، الى موسى عليه السلام ، الذى به عرفت التوراة كتاب الله المنزل عليه ، الى المسيح عليه السلام ، الذى به عرف الانجيل ، كتاب الله أيضا .

وكان المسيح عليه السلام صريحا واضحا ، فانه لايقيم دينا جديدا بين الناس ، بل يكمل الدين الذى بدأه الرسل من قبله ، فقد قال « **لاتظنوا انى جئت لانقض الناموس او الانبياء . ما جئت لانقض بل لاكمل** » وبهذا عرف من اتبعوا المسيح أن دينهم ليس ما أتى به المسيح عليه السلام فحسب ، بل ومعه كل مانزل على الرسل من قبله ، ولذا جعلوا من كل ما نزل قبل المسيح عليه السلام، جزءا من كتابهم المقدس الذى به يؤمنون .

ثم كان بعد ذلك ، محمد عليه السلام ، وآمن المسلمون بأنه رسول الله ، وبأن القرآن قد أوحى به اليه من الله سبحانه وتعالى ، وكما دعا المسيح عليه السلام أتباعه الى الايمان بالانبياء الذين سبقوه وبما نزل عليهم ، جاء القرآن صريحا وقاطعا فى هذا المعنى حيث يقول « **قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى**

النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » وبذا كان الايمان بالرسل السابقين وبرسالاتهم فرضا على المسلمين حتى أنه لايكون مسلما من لايؤمن برسالة أى منهم .

وهكذا كان الاسلام والمسيحية يلتقيان معا على الايمان بجميع الرسل والرسالات السابقة ويؤمن المسلمون والمسيحيون على السواء كذلك بالمسيح عليه السلام وبرسالته، ويلتقيان معا أيضا على الدعوة الى كل خير ، الى الحق والعدل ، الى كل القيم وأسمى المثل الى البر ، الى المحبة ، الى الوفاء ، الى الاخلاص الى نبذ كل الشر ، الى الايمان بالحياة الأخرى ، الى الايمان بأن الحياة الدنيا هى دار الفناء وأما الحياة الأخرى فهى دار البقاء والخلود ، وفيها تجزى كل نفس عما أتته فى دنياها ، فان كان خيرا كانت لها الجنة ، وان كان شرا كان لها العذاب جزاءا لما جنت يداها .

وتلتقى المسيحية والاسلام قبل كل ذلك ، ويجتمعان ، على الدعوة الى عبادة الله الواحد ، الذى لا اله الا هو سبحانه خالق كل شىء ، رب العالمين ، سبحانه وتعالى رب الكون جميعا ، بكل ما فيه من حياة أو جماد ، سبحانه وتعالى منه كل شىء ، واليه كل شىء ، واليه الأمر جميعا .

وعلى هذا اللقاء الرائع العظيم بين المسيحية والاسلام ، والذى كان حقيقا بأن يجعل منهما دينا واحدا يؤمن به الناس جميعا ، مسيحيين كانوا أو مسلمين ، فاللقاء بينهما كما يبين من القرآن ، لقاء وحدة ، اذ حتم على المسلمين أن يؤمنوا بجميع الرسل قبل محمد عليه السلام ، وبكل ما نزل عليهم من الله ربهم ورب العالمين ، بما فى ذلك المسيح عليه السلام ورسالته ، فكيف اذن تختلف المسيحية والاسلام، وهما يلتقيان على الايمان بالمسيح وبرسالته وبكل الرسل قبله وبرسالتهم ولكن مع ذلك ، وبرغم هذا اللقاء الكامل ، فان المسيحية والاسلام يبدوان بين الناس اليوم كأبعد ما يكونان عن أن يلتقيا .

والغريب فى هذا الأمر ، أن أسباب التباعد لاتقوم على رفض المسيحيين الايمان بمحمد وبرسالته ، وانما تقوم فى حقيقة الأمر على الخلاف حول معتقدات المسيحيين أنفسهم فى المسيحية نفسها وليس فى الاسلام ، فمن العجيب أن يكون هذا الخلاف ، مع اتفاق كل من المسلمين والمسيحيين على الإيمان بالمسيح وبرسالته ، ومع ما هو مفروض فى المسلمين من ايمانهم بكل ماصدر عن المسيح ، وهو مايعتقد المسيحيون أنهم قد استخلصوا منه معتقداتهم .

والنظر الى الاسباب التى سببت هذا التباعد بين المسيحية والاسلام رغم اللقاء الرائع الذى نجده بينها ، يكشف عن أن هذا التباعد يستحيل معه أى لقاء الا أن يعدل أتباع أى من الدينين عن الايمان بالمعتقدات التى سببت هذا الخلاف وأنتجت ذاك التباعد .

أما الأسباب الرئيسية التى سببت كل هذا التباعد فانها تنحصر فى أمرين ، أولهما هو الخلاف حول صلب المسيح عليه السلام ، وثانيهما ، هو الخلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام .

والخلاف حول صلب المسيح يبدو غاية فى الغرابة ، فالتاريخ قد سجل أن المسيح عليه السلام قد قبض عليه وحوكم وصلب فى عهد بيلاطس البنطى ، وكاتبو الأناجيل قد سجلوا صلب المسيح على أنه حقيقة مسلمة وعلى أساس من التسليم بصلب المسيح كحقيقة مؤكدة لاريب فيها بنى المسيحيون معتقداتهم الدينية ، ولكن ، بعد حوالى ستة قرون ، جاء محمد عليه السلام بالقرآن ، يقول بأنه من الله ، وفى القرآن يقول الله أن المسيح عليه السلام لم يصلب ، ولكن توفاه الله ورفعه اليه ، وينظر المسيحيون فى عجب ، بل ربما فى رثاء واشفاق ، الى هذا الدين الجديد يقول على لسان الله أن المسيح لم يصلب ولكن توفاه الله ورفعه اليه ، فالصلب كحقيقة ربما لم

تعد تحتمل عندهم أى نقاش ، فأنى لأحد أن ينفيها نفيا قاطعا ، بعد التسليم بها ، ووضوحها للمسيحيين وغير المسيحيين على السواء ، وعلى مدى يقرب من ستة قرون ، ولعل هذا النفي وحده عندهم كاف لتكذيب هذه الرسالة التى دعا اليها محمد عليه السلام ، أما المسلمون فيؤمنون بأن القرآن من عند الله ، وهو وحده سبحانه وتعالى يعلم الجهر وما يخفى ، واذا كان الذى استقر عند الناس طوال ما يقرب من ستة قرون أن المسيح قد صلب ، فان الله اذا نفى بعد ذلك فى قرآنه الكريم صلب المسيح ، فانه يكون لم يصلب فعلا وتكون هذه هى الحقيقة وحدها مهما بدا خلافا لها ، لأن الله لا يخطىء أبدا ، ولكن الناس جميعا يمكن أن يخطئوا ، ولذا ، فمهما كان هناك من اجماع على أن المسيح قد صلب ، فانه لم يصلب فعلا ولكن رفعه الله اليه ، مادام الله قد قال ذلك (١) .

وأما الخلاف حول طبيعة المسيح فيتلخص فى أن المسلمين على إيمانهم بأن المسيح قد ولد من عذراء لم يمسسها بشر ، وبأن الله قد رفعه اليه ، فانهم يؤمنون أيضا بأنه ما هو الا رسول بشر أوحى اليه بالانجيل كتابا منزلا من عند الله ، ولا يتصورونه الها على

---

(١) يشير القمص باسيليوس اسحق فى كتابه الحق ص ٧ الى هذه الفقرة بقوله (ولكن أحد الكتاب يقول أنه بعد ستة قرون جاء نبى الاسلام وقال أن المسيح لم يصلب وانما رفعه الله اليه ... واستطرد يقول : ومادام القرآن قد نفى هذا وأنه لم يصلب فانه أصدق نبأ من نبوءات التوراة ، وأصدق نبأ من سجلات التاريخ ، وأصدق نبأ من كلام المسيح نفسه عن صلبه ، وأصدق نبأ من الأناجيل ، ورسائل الرسل ، وذلك لأن الله قال ذلك فى القرآن والله لا يخطىء أبدا . ولذا فمهما كان هناك من اجماع على أن المسيح قد صلب فانه لم يصلب ولكن رفعه الله اليه مادام القرآن قال كذلك ...) والمغالطة فى نسبة هذا الكلام الى الكاتب مباشرة واضحة من سياق نص الفقرة نفسها ، ولا محل لذلك لتناوله ما ورد به على هذه الفقرة .

الاطلاق ، وذلك بعكس المسيحين الذين يؤمنون بالمسيح كاله فيقولون عنه فيما يسمى بقانون الايمـــان :

(ونؤمن برب واحد . يسوع المسيح ابن الله الوحيد . المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور. إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق . مساو للأب فى الجوهر الذى به كان كل شيء . هذا من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء . وتأنس وصلب عنا على عهـد بيلاطس البنطى . وتألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الـكتب . وصعد الى السماوات وجلس عن يمين أبيه . وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات . الذى ليس لملـكه انقضاء) .

فهذه الألوهية التى يؤمن بها المسيحيون للمسيح عليه السلام ليست صحيحة على الاطلاق عند المسلمين الذين ينفون هذه الألوهية نفيا تاما .

واستمرار أسباب التباعد بين المسيحية والاسلام على هذا النحو ، هو استمرار لاستحالة اللقاء بينهما ، ومع ذلك فان المسيحين والمسلمين على السواء يبدون معذورين فى تمسكهم بالأسباب التى تبقى على هذا التباعد ، فالمسيحية انما تبدو وكأنها لم تقم الا على أساس من صلب المسيح وألوهيته ، فهذا ما ذكر فى الأناجيل والرسائل التى يتداولونها الى اليوم ويؤمنون بأنها كتبت بوحى وارشاد من الروح القدس ، أى من الله حسب اعتقادهم فى الروح القدس ، وبالتالى فان عدم الايمان بألوهية المسيح أو صلبه يكون عندهم بمثابة الكفر بالمسيحية ، أما الاسلام ، فسنده الأول هو القرآن ، والذى يؤمن المسلمون بأنه منزل من عند الله ، ولقد نفى القرآن صلب المسيح أو ألوهيته ، ومن ثم ، فالايمان بغير ذلك ، انما هو تـكذيب لما ورد فى القرآن عنه وبالتالى نفى لـكون القرآن من عند الله ، وبذلك يفقد الاسلام دعامته الأساسية

والتى تقوم على كون القرآن منزلا من لدن الله (١) ، الأمر الذى لن ينتهى الا بهدم الاسلام نفسه كدين سماوى ، وهذا بالطبع مالا يتصوره المسلمون ، ولذلك يؤمنون بأن المسيح عليه السلام لم يصلب وينفون عنه الألوهية نفيا قاطعا .

ويقف الباحث عن الحقيقة حائرا ، فان الحقيقة لايمكن الا أن تكون واحدة، فاما أن المسيح علية السلام يكون قد صلب واما أنه لم يصلب ، وأما أن يكون قد صلب ولم يصلب معا فهذا محال ، ثم انه اما أن يكون هو الله واما أنه ليس هو الله ، أما أن يكون هو الله وليس هو الله فى آن واحد فهذا محال ، فما هى الحقيقة بين كل ذلك ، هل هو قد صلب حقا أم لم يصلب ، وهل هو الله حقا أم هو ليس إلها على الاطلاق .

ومما يزيد الأمر عجبا وتعقيدا ، أن المسيحيين حين يكتبون عن المسيح فيقولون أنه قد صلب وأنه هو الله ، فانما يقولون بأنهم لايذكرون غير الحقيقة ، بل انهم ليؤمنون حقا بأنهم لا يذكرون غير الحقيقة ، والمسلمون كذلك ، فانهم حين يقولون بأن المسيح عليه السلام لم يصلب وبأنه ليس إلهاء فانما يقولون أيضا بأنهم لايذكرون غير الحقيقة ، بل إنهم ليؤمنون حقا بأنهم لايذكرون غير الحقيقة ، ولكن ، المحال أن تكون الحقيقة فى جانب كلا الطرفين على السواء، فالى أى الجانبين تقف الحقيقة، أو ماهى الحقيقة ، فعلها لاتقف الى جانب أى منهما .

(١) وردت هذه الفقرة فى كتاب بيان الحق للسيد / يسى منصور الجزء الثالث ص ٧١ مدللا بها على ما قاله قبلها ونصه (لقد أنكر الأستاذ منصور حسين الانجيل ونفى عنه صحة الوحى بحجة أن القرآن لايعترف بما جاء فيه من اثبات لاهوت المسيح وصلبه فقال :ـ) ثم أورد نص هذه الفقرة ، وانى لأترك للقارىء أن يقرر ما اذا كان يمكن من هذه الفقرة أن يستند الى هذا الانكار الذى أورده الأستاذ يسى منصور فى تعليقه عليها ، ويقينا بأن اجابة القارىء هى النفى ، فلست أرى محلا لتناول مارد به سيادته على هذا الانكار .

والواقع ، أن الحقيقة هي مايهدف اليه كل انسان ، فلا تصور انسانا يسعى الى غير الحقيقة ، أو يستهدف ماعداها ، وإيمان الانسان ، انما هو الايمان بما يوقن أنه الحقيقة ، وما دام أن أساس الايمان اتفاقه مع الحقيقة ، فلايقبل من انسان أبد أن يخشى الحقيقة أو أن يرفضها ، فما دام موقنا بأن مايؤمن به هو ما يطابق الحقيقة فأى عذر له لكي يرفضها أو يخشاها ، مادام أن وصوله اليها لن يعنى الا تأكيد ايمانه ان صح ، أو تصحيحه ان لم يصح ، ولهذا كانت الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، بين المسيحية والاسلام ، هي عنوان هذا البحث وموضوعه وهدفه وغايته .

واذا قلنا أن الحقيقة بين المسيحية والاسلام هي موضوع هذا البحث وهدفه وغايته ، فان حقيقة المسيحية بالذات هي التي سأتناولها بالبحث ، لأن المسيحيين والمسلمين على السواء يتفقون على الايمان بالمسيح وبرسالته وبكل مادعا اليه ، فاذا كانت حقيقة المسيحية تناقض ما قال به الاسلام ، كأن تكون الحقيقة أن المسيح عليه السلام قد صلب أو أنه هو الله ، لكان في ذلك مايهدم الاسلام كدين من عند الله ، وإن كان يبقى بعد ذلك لزوم اقناع المسلمين من جديد بالمسيحية ، لأن السند في ايمانهم بها انما كان هو القرآن والاسلام نفسه ، أما لو كانت حقيقة المسيحية تطابق ما قال به الاسلام ، كأن تكون الحقيقة أن المسيح لم يصلب وأنه ليس الها وانما هو انسان رسول بشر ، لكان في ذلك أقوى دعامة للاسلام يتحتم معها على المسيحي الحق أن يؤمن به ، ولن يكون في ذلك أى هدم للمسيحية حينئذ ، وانما على العكس سيكون ذلك احياء للمسيحية الحقه ، وازالة لما عاق المسيحية والاسلام طوال قرون عديدة عن المضى معا في وحدة كاملة متكاملة ، متساندة في الدعوة الى الاله الواحد الذى لااله الا هو ، دافعين معا تيار الالحاد الآخذ في الانتشار ، حتى كاد أن يطوى تحت لوائه شعوبا بكاملها .

على أنه يثور التساؤل ، فكيف سنعرف أن مانصل اليه هو الحقيقة ، هل بأن

نقول أننا انما نستهدف الحقيقة . وأننا انما نؤمن بأن ما نقوله هو ما يتفق مع الحقيقة ، بالطبع لا ، فلقد وجدنا أن هذا هو ما يقوله – صراحة أو ضمنا – كل كاتب مسيحى فى تأييده لمعتقداته ومحاولته اثباتها ، وهو أيضا ما يقوله – صراحة أو ضمنا – كل كاتب مسلم فى تأييده لمعتقداته ومحاولته اثباتها ، ومع ذلك فانهم دائما ينتهون ، وبالرغم مما يصرحون به ، الى طرفى نقيض ، بل أكثر من هذا ، فما أسهل أن يقال عن الكاتب الذى ينتهى الى اثبات معتقداته وتأييدها من أنه انما تحيز لدينه ، بل حتى هذا الذى ينتهى الى تأييد معتقدات أتباع الدين الآخر الذى لا يعتنقه لا يسلم من أن يجرح فيقال عنه انه انما باع دينه بدراهم معدودات .

ولهذا ، فليس من سبيل للحكم على أى بحث الا البحث نفسه ، لمنهج البحث ، لسبيل الكاتب فى البحث ، فالبحث انما يتحدث بنفسه عن نفسه ، فيكشف عما إذا كان كاتبه يستهدف الحقيقة وحدها أم لا . ويكشف منهجه وسبيله للقارىء عما اذا كان الكاتب قد اتبع المنهج الصحيح والسبيل الحق الى الحقيقة وحدها أم لا . وليكون بعد ذلك ، من ضمير القارىء ، كل قارىء ومن يقينه وأطمئنانه بل ومن متابعته البحث بنفسه ، ومراجعته للكاتب قدر استطاعته فى كل ما يقوله أو ينقله ، ومن إيمانه بكل ما هو حق ليكون من كل ذلك الحكم العدل فيما ينتهى اليه البحث وفيما يحتم القارىء على نفسه بعده أن يؤمن به ما دام قد اطمأن الى أنه انما يطابق الحقيقة.

بل ان هذا هو ما تحتمه حرية العقيدة ذلك المبدأ الذى لا يختلف إثنان على الايمان والتمسك به فالانسان فى عقيدته انما يجب أن يكون حرا مختارا فلا يؤمن الا بما يقتنع عن حرية واختيار بأنه يطابق الحقيقة فالعقيدة اذا ما فقدت الحرية أو الإختيار فقدت مفهومها كعقيدة ولذا فالطريق اليها يجب أن يكون أساسه الحرية والإختيار وقوامه الضمير الواعى واليقين والاطمئنان والايمان بكل ما هو حق .

وعلى هذا الأساس ، وعلى أساس من كل ما تقدم ، على أساس من استهداف الحقيقة وحدها ، ومن ترك للبحث ، لمنهجه وسبيلى فيه ، ومن الاحتكام الى ضمير كل قارىء ، مسيحيا كان أو مسلما والى يقينه واطمئنانه ، وايمانه بكل ما هو حق ومتابعته بنفسه لكل ما أكتب ومراجعته لكل ما أنقلة أقدم هذا البحث سائلا الله سبحانه وتعالى أن يهدينى والقارىء فيه الى الحقيقة وحدها .

وعلى أساس من الحقيقة التى قد تنتهى اليها مع القارىء يمكننا أن نستكشف معا دعوة الحق وأن نتبين معا مضمونها .

الباب الأول
في
منهج البحث

رأينا فى التمهيد ما لمنهج البحث من أهمية فى الحكم على البحث نفسه ، ولذا كان من الأهمية بمكان أن نبدأ ببيان المنهج أو الأسس التى سيقوم عليها البحث ، ويقتضى هذا التعرف على باقى المناهج التى تتناول نفس الموضوعات ، لبيان المقبول منها وأسباب قبوله ، وغير المقبول منها وعلة رفضه ، ويتطلب هذا بدوره تناول كل منهج منها بشىء من الشرح والتفصيل والنقد ، وذلك كله يجعل من اختيار منهج البحث وأسس البحث موضوعا متكاملا فى حد ذاته ، يلزم إفراد باب مستقل له .

وطبيعى أن يكتب العديدون فى شرح المسيحية ، وأيضا فى شرح الاسلام ، وطبيعى أن يكتب المسيحيون فى تأييد معتقداتهم واثباتها ، وأن يكتب المسلمون فى تأييد معتقداتهم واثباتها ، ولما كان هؤلاء وأولئك ينتهون الى طرفى نقيض . فمن الطبيعى أن تختلف المناهج والأسس التى يقيمون عليها أبحاثهم وكتاباتهم وهو ما سنعرض له بعد بشىء من التفصيل ولكن نسبقه ببيان موجز فى التعريف بهذه المناهج ثم نفرد بعده فصلا مستقلا لكل منها وننتهى ونختم هذا الباب بفصل أخير عن المنهج أو الأسس الواجب اتباعها فى البحث للوصول الى الحقيقة والتى سنلتزم بها فى هذا البحث .

وأما المناهج التى يقيم الكتاب أبحاثهم على أساسها فهى لاتخرج عن أربعةمناهج:

فهناك اولا تلك الكتب التى يكتبها المسيحيون والمسلمون والتى يحاول كل فيها شرح دينه ومعتقداته بشأنه واثباتها فما هو لمسيحيين من هذه الكتب انما يحاول شرح المسيحية بمفهومها لدى المسيحيين واثبات معتقداتهم بشأنها وهى تحاول شرح ذلك دون أن تتعرض للاسلام فى شىء ثم هى فى شرحها لصلب

المسيح وألوهيته ومحاولتها اثبات ذلك لاتقصد بهذا أن تطعن فى الاسلام وانما تقصد مجرد شرح المسيحية واثباتها بمفهومها المستقر لدى من يدينون بها أما ما هو لمسلمين من هذا النوع من الكتب فانما يحاول شرح الاسلام ومعتقداته دون أن يتعرض للمسيحية فى شىء فاذا ما نفت هذه الكتب صلب المسيح او ألوهيته فليس ذلك منها محاولة للطعن فى المسيحية أو فى مفهوم المسيحية لدى من يدينون بها وانما هو محاولة لشرح ما يقول به الاسلام فى شأن هذين الأمرين وهذا النوع من الكتب هو الأعم الأغلب من كتابات المسيحيين والمسلمين على السواء .

وهناك ثانيا كتب لمسيحيين تتعرض للاسلام إما بنفى تنزيل القرآن نفسه من عند الله وإما بمحاولة اثبات مفهومات المسيحية بالتدرج من القرآن الى الكتاب المقدس ثم نفى تنزيل القرآن من الله وهو ما ينفى بالتالى عن الاسلام حقيقته كدين من عند الله ، يقابل هذه الكتب كتب لمسلمين تحاول اثبات مفهومات الاسلام عن المسيحية بنفى صحة الاناجيل الأربعة التى يتداولها المسيحيون ويعتقدون بصحتها والتمسك بانجيل آخر والقول بصحته رغم أن المسيحيين أنفسهم لايؤمنون بصحته وفيه ما يؤيد مفهومات الاسلام عن المسيحية .

ثم هناك ثالثا كتب أخرى يستشعر القارىء لها مدى الألم الذى يحسه كاتبوها (مسيحيين كانوا أو مسلمين) لأن يروا أناسا اجتمعوا على الايمان بالله وكتبه ورسله ثم انتهوا رغم ذلك الى فرقة هى أبعد ما تكون عن أى لقاء ولذلك يقومون بما يرونه واجبهم فى محاولة لجمع الشمل وتوحيد الكلمة فيحاول مسيحيون أن يثبتوا صحة مفهومات المسيحيين ومعتقداتهم من القرآن نفسه محاولين اثبات أن القرآن وبالتالى الاسلام لايتعارض مع مفهومات المسيحيين واعتقادهم فى بعض الأمور التى يختلف المسلمون معهم فيها ، بينما نرى من المسلمين من يحـاول التقريب بين

المسيحيه والاسلام بالتسليم ابتداء بأن ثمة خلافات لابد من الاعتراف بها بينها دون أن يجوز أن تقف هذه الخلافات عائقـا عن أن تعاون كل من الثقافة المسيحية والثقافة الاسلامية فيما يتفقان عليه انتصارا لقضية التدين جملة .

وهناك اخيرا طائفة أخرى من الكتب يبين من منهجها أنها لاتستحق التفكير فى بحثها وهى تلك الكتب التى لا هم لها الا التعرض للدين الآخر بالهزء والتجريح دون أن تتبع أى أسس سليمة أو مقبولة للبحث ولذا تكفى هذه الاشارة اليها مع اسقاطها بعد ذلك من التفصيل الذى سيلى فى نقد المناهج السابقة .

الفصل الأول

الكتب التي تتعرض لدين واحد دون الآخر

قلنا أن الكتب التي تتعرض لدين واحد دون الآخر هي الاعم الأغلب من الكتب الدينية للمسيحيين والمسلمين على السواء فمعظم الكتب التي هي لمسيحيين انما تشرح مفاهيم المسيحية ومعتقدات المسيحيين بشأنها كما استقرت لديهم وتحاول اثبات صحة هذه المفاهيم دون أن تتعرض في ذلك للاسلام في شيء ولعل ذلك منها انما هو اكتفاء بعدم الاعتراف بالاسلام كدين من عند الله وهو ما يفهم منها صراحة أو ضمنا .

ومعظم الكتب التي هي لمسلمين كذلك انما تقوم على شرح مفاهيم الاسلام وتعاليمه وأحكامه التي يجب على المسلمين اتباعها وعقائده التي عليهم أن يؤمنوا بها ومما تشرحه هذه الكتب ما ينفي صلب المسيح أو ألوهيته دون أن يكون ذلك منها محاولة للتعريض بالمسيحية كما هي مستقرة اليوم لدى من يدينون بها وانما لمجرد شرح الاسلام وما جاء به القرآن الذي يؤمن المسلمون بتنزيله من عند الله .

وثمة أمر معين يلاحظ بوضوح في هذه الكتب ، بل في الكتب الدينية المسيحية والاسلامية على اختلاف مناهج البحث فيها ويجعل هناك دائما ثمة فارقا واضحا بين الكتب المسيحية والكتب الاسلامية عموما ويقوم هذا الفارق على كيفية النظر الى الكتب السماوية السابقة ، فعلى أن المسيحيه والاسلام يجتمعان معا على الايمان بجميع الرسل والكتب السماوية السابقة على المسيح فان المسيحيين وحدهم هم الذين يعنون بالكتب السابقة حتى أنهم يجمعونها جميعا معا ويلحقون بها الاناجيل وما تلاها من أعمال ورسائل ويجعلون من هذا كله كتابا واحد يؤمنون به جميعه ويسمونه بالكتاب

المقدس مؤكدين ومنفذين بذلك قول المسيح عليه السلام « **لاتظنوا انى جئت لانقض الناموس او الانبياء ما جئت لانقض بل لاكمل .** »

واذ يقيم المسيحيون ايمانهم على أساس من الايمان بالكتاب المقدس جميعه على هذا النحو فانهم لذلك لا تكاد كتاباتهم تخلو اطلاقا من الاشارة الى آيات فى الكتب السابقة على الاناجيل ، محاولين دائما الربط بين ما جاء فى الكتب السابقة وبين رسالة المسيح عليه السلام ، ويخرجون من ذلك الى ما يعتقدون أنه يكون وحدة كاملة يقوم عليها دينهم كله وكل معتقداتهم بشأنه .

وكان مفهوما أن يكون هذا هو عين ما يفعله المسلمون الذى يؤمنون ايمانا نابعا من دينهم كما سبق بتنزيل الكتب السابقة من الله وبأنها مما يجب أن يؤمنوا به وبما فى ذلك رسالة المسيح نفسه عليه السلام ، الا أننا نرى أن المسلمين رغم ذلك يكادون أن يغفلوا هذه الكتب اغفالا تاما حتى ليسقطونها تماما من اعتبارهم وهم يبررون ذلك بأنه ما دام قد جاء فى القرآن أن المسيح عليه السلام لم يصلب وأنه ليس الها بأى حال من الأحوال وأنه قد بشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ولا يجدون فى الأناجيل شيئا من ذلك بل يجدونها تؤكد صلب المسيح وألوهيته ولا تشير الى رسول يأتى من بعد المسيح فلابد اذن وأن تكون هذه الاناجيل مزورة ولذا يجب اسقاطها من الاعتبار ونفس الأمر يسرى على ما سبق الأناجيل من كتب ولذا يسقطونها من الاعتبار تقريبا ، ثم هم يجدون فى القرآن وأحاديث الرسول الكفاية التى تغنيهم عن الكتاب المقدس نفسه لما ورد فيه من أخطاء وتزوير وهم لن يسلموا من الوقوع فى أخطائه اذا أخذوا به كما هو واعتبروه كتابا صحيحا .(١)

(١) اختار السيد / يحيى منصور هذه الفقرة والفقرة المشار اليها فى الهامش السابق =

ولعل هذا المنهج فى البحث لا يعاب على أصحابه ولا محل لنقده فكل يقتصر على شرح دينه ومعتقداته بشأنه وكل يتوجه بكتاباته الى من يدينون بنفس دينه دون أن يتعرض للدين الآخر الا فيما يتعلق بشرح عقيدته هو وانما البحث وفق هذا المنهج لا يجدى فى البحث المقصود عن الحقيقة بين المسيحية والاسلام اذ هو يفترض ابتداء الايمان بمفهومات المسيحية كما استقرت لدى المسيحيين والتسليم بها أو يفترض ابتداء الايمان بما جاء به الاسلام والتسليم بصحـــة ما قال به القرآن والبحث على هذا الاساس انما هو مصادرة للحقيقـة لأنه انما يقوم على أساس من افتراض ثبوتها على نحو معين ابتداء بينما نفس الافتراض هو ما نقصد الوصول الى الحقيقة بشأنه .

ومع هذا فيمكن فى هذا الصدد بل وفى جميع المناهج أن نأخذ على الـكتاب من المسلمين عزوفهم الذى يكاد أن يكون كليا عن الـكتاب المقدس والذى يفترض فيهم أصلا الايمان به فاذا ما وجدوا فيه ثمة تناقض أو اختلاف مع معتقداتهم فلا يجيز لهم ذلك اهـدراه واسقاطه من الاعتبار كلية وانما يتحتم عليهم حينئـــذ البحث فى الاسس التى يمكن على اساسها الأخذ بما ورد فيه أو استبعاد بعضه وعلى ألا يكون ذلك الاستبعاد كليا كما هو الحاصل اليوم وانما ينبغى أن يكون هناك معيار واضح مبنى على الأسانيد اليقينية القـاطعة لاستبعـاد ما يتعـــين استبعاده منه والأخذ بما عدا ذلك فيه .

= للتعليق عليهما من ص ٧١ حتى ٧٩ من الجزء الثالث من كتابه بيان الحق وان كانت هذه الفقرة بدورها كالفقرة السابقة لا تتضمن رأيا شخصيا لى فلست أرى هنا أيضا محلا لتناول رده عليها ومن الطريف أن أشير الى ما أنهى به رده هذا من قوله (ولـكن أن تتعجب فعجب للاستاذ منصور حسين الذى يقول ان الانجيل لم يكن مع المسيحيين منذ نشأت المسيحية لأن الحواريين ألفوا من عند أنفسهم انجيلا تسلمه المسيحيون الى الآن · وخالف بذلك ما يقوله القرآن نفسه .) ولا أفهم كيف يستخلص هذا الـكلام من تلك الفقرة وسابقتها .

الفصل الثاني

الكتب التي تقوم على نفي تنزيل القران من عند الله او نفي صحة الاناجيل الأربعة المتداولة

تقوم معظم كتب المسيحيين التي تحاول استبعاد الاسلام كدين منزل من الله وشرع للناس أجمعين ، على القول بأن القــرآن ونبي الاسلام لم يرد ذكر لهما في في الكتاب المقـدس ، وبالتالي ليس هناك ثمة محل للايمان بالاسلام كدين منزل من الله ، أو لنسبة تـنزيل القرآن الى الله ، وعلى أساس من ذلك يتجاهلون الاسلام تجاهلا تاما ، وخاصة أن المسيح قد حذر من الأنبياء الكذبة ، ويعتقدون ذلك في نبي الاسلام ، ويؤمنون بأن رسالة النبوه قد انتهت بالمسيح نفسه ، ولذا فأي نبي بعده كاذب .

على أن من هذه الكتب ما يقوم على نفس الأساس ولكن بطريقة أخرى ، ككتاب سمي الباكورة الشهية في الروايات الدينية (وهو لمؤلف مجهـول لم يذكر اسمه على الكتاب وطبع بمطبعة النيل المسيحية بمصر سنة ١٩٢٦) ، فهذا الكتاب يحاول اثبـات مفاهيم المسيحيـة ومعتقدات المسيحيين بشأنها بالابتداء بالاستناد الى القرآن نفسه ، وهو يورد بحثه في صورة قصة لمشايخ مسلمين يحاجهم قس مسيحي في دينهم ، ويبـدأ بما يستلزمه القرآن من الايمان بالكتاب المقدس ، وبعد ذلك يحاول اثبـات صحة كتاب اليهود الذين لا يمـكن أن يكونوا مغرضين لصالح المسيحيين ، ويشرح ما في كتاب اليهود من نبوات يرى أنها تؤكد التنبؤ بصلب المسيح ومعتقدات المسيحيين بالنسبة لطبيعة المسيح عليه السلام ، وينتهي الى أن الايمـان بالقرآن يستلزم الايمـان بمعتقدات المسيحيين ومفهوماتهم بشأن

المسيحية ، وهى ما دامت كذلك ، وما دامت تخالف ما قال به القرآن ، فيجب عدم الايمان بالأخير ككتاب منزل من الله ، لأن الله لا يمكن أن يخطىء ، ويحاول الكتاب بعد ذلك أن يشرح ما وقع فيه المشايخ المسلمون من حيرة انتهت بأن استنصروا ، وأخذوا يحاجون الجميع فى الدين ، وتمسكوا بدينهم الجديد .

وتقوم معظم كتب المسلمين التى تحاول اثبات عدم صحة مفهومات المسيحيين ومعتقداتهم عن دينهم ، على محاولة اثبات عدم صحة الأناجيل الأربعة التى يتداولها المسيحيون اليوم ، والقول بتحريفها حتى انتهت الى الصورة التى هى عليها ، وعلى أساس إثبات تنزيل القرآن من الله وبالتالى القطع بصحة ما جاء فيه ونفى كل ما يخالفه ، وهو ما ينتهى الى عدم صحة مفهومات المسيحيين ومعتقداتهم بشأن دينهم وصحة ما يقول به الاسلام بشأن هذه المعتقدات .

على ان من هذه الكتب أيضا ، ما يقوم على نفس الأساس ، ككتاب محاضرات فى النصرانية (للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة) والذى يقوم على محاولة اثبات عدم صحة الأناجيل الأربعة المتداولة ونسبتها وسندها ، ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن انجيل آخر يسمى بانجيل برنابا ، الذى ينفى عن المسيح أية ألوهية ، ويبشر برسول الله محمد الذى يأتى بعد المسيح عليه السلام ، كما ينفى صلب المسيح ويقول بأن الذى صلب هو يهوذا الاسخريوطى الذى كان سيسلمه .

ويؤخذ على هذا المنهج فى البحث ، خطأ نقطة البدء فيه ، حتى أنه ليستحيل قبول كتاب منها لدى غير من يدينون بدين كاتبها ، والواقع أن كتاب مثل هذه الكتب انما يغمضون أعينهم عن الواقع ، فمهما قيل فى عدم تنزيل القرآن من الله وبالتالى عدم صحة ما جاء فيه ، فان هذا لن ينفى بأى حال من الأحوال أن القرآن حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها ، كذلك فمهما قيل عن عدم صحة الأناجيل المتداولة فان هذا لن ينفى بأى حال من الأحوال كونها حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها ، وذا

حاول مسيحي التدليل على صحة معتقداته ولاثباتها أن يبدأ بمحاولة نفي تنزيل القرآن من الله ، فلن يجد مسلما واحدا يأبه لكلامه ، الذى لا يكون حقيقا بالاعتبار الا بأن يتناول معتقدات المسلمين نفسها وما جاء فى القرآن نفسه بالبحث الأمين الذى لايتوخى فيه غير الحقيقة نفسها ، كما أنه اذا حاول مسلم للتدليل على صحة مفهومات الاسلام ومعتقداته بشأن المسيحية بأن يبدأ بمحاولة اثبات عدم صحة الأناجيل التى يتداولها المسيحيون ، فلن يجد مسيحيا واحدا يأبه لكلامه الذى لايكون حقيقا بالاعتبار الا اذا تناول معتقدات المسيحيين نفسها وما جاء فى الأناجيل المتداولة بالبحث الأمين الذى لا يتوخى فيه غير الحقيقة نفسها ، والسبب فى ذلك بديهى للغاية ، فالبدء بهدم الكتاب المقدس نفسه وعدم الاعتراف به ، أو بمحاولة هدم القرآن نفسه وعدم الاعتراف به ، أمر يكاد أن يصل الى حد السخرية بالملايين ، بل بمئات الملايين الذين إستقر لديهم الكتاب المقدس ، أو القرآن ، كسند صحيح لما يؤمنون به ، وبذلك لن يقابل هذا الأمر ممن يؤمنون بأى من الكتابين الا بالهزء والسخرية . (١)

(١) كان ما تقدم هو نفس ما ورد فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب ومع كل هذا الوضوح فيما كتب ، بما لا يحتمل أى لبس أو غموض فيما قصدت ، يبدأ القمص باسيليوس اسحق رده على فى كتابه الذى سماه الحق ، وكأن هذا العنوان داخل دائرة تصدر منها أشعة كأنما هو الحق الساطع كالشمس ، بدأ هذا الرد فى أول الباب الأول من كتابه هذا بقوله (بدأ الكاتب كتابه بالطعن فى الكتاب المقدس بالتزوير وحجته فى ذلك أن القرآن يشر برسول يأتى بعد المسيح اسمه أحمد ولم يوجد فى الكتاب المقدس — العهد الجديد — شىء من ذلك . ولذلك يجب اسقاطه من الاعتبار . ثم عاد فى صفحة أخرى وقال أن بالكتاب المقدس أخطاء وتزوير ولا يمكن المسلمين أن يعتبروه كتابا صحيحاً . ثم يتحدث بعد ذلك عن انجيل آخر اسمه انجيل برنابا ينفى من المسيح ألوهيته ، وصلبه ، ويبشر برسول إسمه أحمد . .) وعلى مدى ثلاثين صفحة من الكتاب يرد على هذه العبارات ، ولا أحسب أن لى أن أرد على رده هذا ، فهو يرد على ما ليس لى ، وان كان لى أن أعلق على العبارة السابقة ، فهو أنى ما كنت لأتخيل أن أحدا يتصدى لأمانة الكتابة ، فوق حمله لرسالة دينية ، يرضى بأن يكون هذا هو سبيله ، ولا أزيد .

الفصل الثالث

الكتب التى تحاول توحيد الكلمة بين المسيحية والاسلام

ولقد سبق القول بأن القارىء لهذه الكتب يستشعر مدي الألم الذى يحسه كاتبوها ، (مسيحيين كانوا أو مسلمين) ، لأن يجدوا أناسا اجتمعوا على الايمان بالله و كتبه ورسله ، ثم انتهوا رغم ذلك الى فرقة هى أبعد ماتكون عن أى لقاء ، ولذلك يقومون بما يرونه واجبهم ، فى محاولة لجمع الشمل وتوحيد الكلمة .

ومن مثل هذه الكتب لمسيحيين، كتاب للسيحية فى الاسلام (للأب المرحوم الايغومانس ابراهيم لوقا) ونرى الأب الكاتب يقول فى تمهيده لكتابه :

(يظن الكثيرون أن الاسلام يطعن فى المسيحية ويحارب عقائدها ، وهذا الظن منشؤه ـ فى الحقيقة ـ عدم الالمام بما ذكره الاسلام عن المسيحية . وان الباحث المدقق فى جميع الأقوال التى أوردها القرآن عن النصرانية والنصارى ليتضح له أمران :

أولها : أن نبـي الاسلام قد حفظ للديانة المسيحية مركزها ، وأيد جلالها ، وأثبت صحة الكثير من تعاليمها ، ونادى بوجوب تقديس أوامرها ، والعمل بها ، واحترام كتبها المنزلة ، فكان بذلك شاهدا لها ، ومؤيدا لصدقها . . .

ثانيها : أن القرآن لم يهاجم المسيحية التى أسسها المسيح ونشرها رسله القديسون ولكنه هاجم بدعا خاصة ، كانت قد ظهرت عند ظهوره ، ونادت بتعاليم لاتقرها المسيحية ، فحاربها ، كما حاربتها المسيحية من قبل ومن بعد وكلنا يعلم أن الشرق ـ وقت ظهور الاسلام ـ كان مرتعا خصيبا للاضطرابات الدينية والخلافات المذهبية فقد كانت الحرب لاتزال مستعرة نارها بين اليهودية والمسيحية من جهة ، وكانت

الفرق المبتدعة الخارجة عن النصرانية تتناوأ مع بعضها من جهة ثانية ، كما كانت الوثنية تتنازع هاتين الديانتين ــ اليهودية والمسيحية ــ من جهة ثالثة . وكل من يطلع على تاريخ المرطقات يقف متحيرا ازاء ما كان بين هذه الديانات والمذاهب من تطاحن وعداوة وبغضاء ، أشار اليها القرآن بقوله فى سورة المائدة (**فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة**) فقد كانت كل فـــرقة تـكذب الأخرى وتـكفرها .

ومن ثم نشأ الأسلام يحارب الوثنية ويجاهد اليهودية ويؤاخذ المسيحية ، فى مذاهبها المبتدعة التى كانت تتنافى تعاليمها مع العقيدة الصحيحة فى الله تعالى ، منكرا عليها ما كان يثير الجدل والنقاش حولها .

هاتان هما الحقيقتان اللتان جعلنا هذا الـكتاب موضوعا لبحثهما والكشف عنهما ، وغايتنا التى نتوخاها من هذا البحث هى التوفيق لا الجدل والتفريق .

وانا لنرجو أن يتقبل اخوتنا المسلمون رسالتنا هذه كرسالة محبة واخلاص ، وفقنا الله جميعا الى سواء السبيل . وحسبنا الله ونعم الوكيل) .

ويمضى الـكاتب بعد ذلك فيحاول أن يثبت أن القرآن قد شهد بأن الـكتاب المقدس كما هو اليوم لم يحرف أو ينسخ ، ويقول بعد ذلك بان القـرآن حارب تثليثا غير تثليث المسيحية ، وأن علماء الاسلام يشهدون بصحة تثليث المسيحية ، ويحاول أن يجد فى القرآن ألقابا للمسيح تدل على الاعتراف بألوهيته ويحاول اثبات هذه الألوهية ، وكذلك يحاول اثبات صلب المسيح ومافيه من تـكفير ، وبذلك ينتهى الى اتفـاق الاسلام مع المسيحيين فى مفهوماتهم ومعتقداتهم بشان المسيحية .

ومن مثل هذه الـكتب أيضا لمسلمين كتاب مع المسيح فى الأناجيل الأربعـة (للأستاذ فتحى عثمان) ، وفى التقديم لهذا الكتاب ــ فى طبعته الأولى ــ يقول المؤلف :

(طالعت القرآن فوجدت (لأهل الكتاب) فيه نصيبا مذكورا ودرست التاريخ الاسلامى فوجدت لأهل الذمة فى المجتمع والدولة رصيدا مذخورا ... وتأملت الفكر الاسلامى فوجدته يلتقى فى بعض صوره مع الفكر المسيحى — لا منذ درس المسلمون الفلسفة واتجهوا للتصوف واتصلوا بالسريان والنساطرة فحسب بل منذ الينابيع الأولى ... نجد هذا اللقاء فى قصص الأنبياء ، ومن ذلك قصص ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان ، وأخيرا زكريا ويحيى ومريم ثم المسيح عيسى بن مريم ٠)

ويقول أيضا : (وإذا كان القرآن — ينبوع الفكر الاسلامى — قد أذن لمجرى تفكير المسلمين أن يكونوا على هذه الصورة من الاتساع فهو لم يخرج عن قاعدته الثابتة الراسخة ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ ٠

ويستطرد الكاتب بعد ذلك فيقول (غير أن الناس لا تمحص الامور هذا التمحيص ومن هنا غطت الخلافات المتعصبة على البحث المستنير ... وفضل الدعاة والمرشدون أن يلجأوا الى تحقيق التوافق بين أهل الديانات عن طريق تربية المجتمع عمليا على آداب السلوك الرفيع بعد أن عزت الدراسات الفكرية الهادئة الجادة التى لا أقول تحل عقدة الأذهان والنفوس ولكنها على الأقل تكشف كلا من

الاسلام والمسيحية وصلة الاسلام بالمسيحية تحت أضواء العلم الصحيح وحينئذ تتجاوب العقول فيتحقق التوافق تلقائيا على مستوى أعمق وأدوم فى علاقات الناس) .

ويمضى الكاتب فيقول (أفليس فى تعاليم المسيحية الشيء الكثير الذى تتفق عليه جميع الأديان والذى يستفيد منه الفكر الدينى على وجه العموم ؟؟

وإن الاسلام يقدر أثر المسيحية — فى واقعها القائم ، ولها وضعها باعتبارها الرسالة التى تقدمته مباشرة وباعتبار الدينين قد أقاما حضارتين عالميتين تنافستا بكل سبيل . وقد وصف الاسلام أتباع المسيح خصوصا بأنهم أقرب مودة للذين آمنوا وأنهم لايستكبرون . وميز أهل الكتاب عموما فى التشريع ..)

ثم يضيف الكاتب (لكنى لا أريد أن أفتح باب الجدل العقائدى الذى قنت أنه حجب عن الأعين نور المسيحية وإنما أريد أن أقنع المسلمين بأن العهد الجديد المتداول لايتعرض فقط لما ينكرون وحتى ما ينكرونه فيه مجال كبير للبحث والنظر ليرفضوا عن بينة كما اقتنعوا عن بينة ولا يعيش الواحد منهم ويموت غير عالم شيئا من هذه الديانة الكبرى مع أن كتابهم ينعى على التقليد والمقلدين (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) .

ولا يعنى التجاوب العقلى على أساس الدراسة العلمية المقارنة للاديان أن يصطنع التوافق الباهت الممقوت وأن تعتسف الوحدة الفكرية على أساس الافتراء على اللغة والمنطق والتاريخ . هذا عبث لا يزيد الناس الا بعدا وتجافيا .)

ويصل الكاتب فى تقديمه الى أن يقول (... والمجدى أن ينظر الى الأمور النظرة الواقعية الصحيحة فالاسلام اسلام والمسيحية مسيحية وهما يتفقان ويختلفان ومن الخير أن يسلم بالمختلف كما يتفق على المؤتلف دون أن يختل ميزان الحق والعدل) .

ويقول سيادته أخيرا (والكتاب الذى بين يدى القارىء سيستند الى الأناجيل

المتداولة فى الحديث عن المسيحية ... فأنا أريد أن أتحدث عن المسيحية من وجهة نظر أهلها وأريد أن أثبت للمسلمين والمسيحيين أن مجال الخلاف أضيــق من أن يحجب كلا من الدينين العظيمين عن معتنقى الدين الآخر وأن بجانب المجادلات العقائدية الدائمة المحدودة آفاقا رحبة فى الأناجيل المتداولة تفيض بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

وكما يبين من تقديم الكاتب فانه يسلم ابتداء بأن المسيحية مسيحية والاسلام اسلام ومن الخير أن يسلم بأنهما يختلفان وكما ، هو معروف فأساس الاختلاف بينهما هو حول صلب المسيح أو عدم صلبه وحول طبيعه المسيــح عليه السلام ،والكاتب يمضى فى كتابه بعد هذا التقديم شارحا أوجه التقارب بين المسيحية والاسلام متجاهلا ما يختلف فيه المسلمون والمسيحيون أو ماسا لها مسا هينا على أساس من الاعتراف مقدما بوجود هذا الاختلاف .

نقد المنهج والكتابين :

الذى لاشك فيه أن الكاتبين يحمد لها قصدهما من محاولة التقريب بين المسيحية والاسلام حتى يمكنهما أن يمضيا معا على طريق واحد مشترك من الايمان بالله والطاعة له والدعوة الى الخير والنهى عن الشر ، الا انهما مع ذلك لا يسلمان من المآخذ حتى أنه لا يمكن قبول منهجهما بأى حال .

فبالنسبة لكتاب المسيحية فى الاسلام فلا خلاف فى أن الاسلام قد حفظ للديانة المسيحية مركزها وأيد جلالها ونادى بوجوب تقديس أوامرها والعمل بها واحترام كتابها المنزل فكان بذلك شاهدا لها ومؤيداً لصدقها بل ولم يهاجم الاسلام على الاطلاق المسيحية التى أسسها المسيح عليه السلام ، حتى أننا لنزيد بحق أنه انما حتم الايمان بها وجعل من الكفر بها بمثابة كفر بالاسلام .

ولكن هذا كله لايمكن أن يصل بأى حال من الأحوال الى حد القول بأن الاسلام يعترف للمسيح بأية ألوهية أو بصلبه كفارة عن البشر أو بصلبه على الاطلاق فالقرآن ينفى ذلك كله فى مواضع متعددة بوضوح وجلاء وفى القول بغير ذلك تحميل للقرآن وللاسلام بغير ما يمكن أن يحتملاه واذا كان يحمد للكاتب نبل قصده وحسن نيته فى محاولته للتوفيق دون التفريق فان هذا لايغتفر له بأى حال أن يصل به الأمر الى حد المغالطة فى الاسلام على هذا النحو فيحمله ما ينفيه بكل جلاء ووضوح .

ولعله كان من الأوفق أن يلجأ الكاتب فى محاولته هذه الى القول بمثل ما قال به السيد مؤلف كتاب مع المسيح فى الأناجيل الأربعة من الاعتراف ابتداء بوجود اختلافات بين المسيحية والاسلام لا يمكن التغاضى عنها دون أن يمنع ذلك من أن يمضى المسيحيون والمسلمون معا على طريق واحد فيما تتفق فيه المسيحية والاسلام، وكان مثل ذلك منه لابد وأن يحمد له من المسلمين والمسيحيين على السواء، فبالنسبة للمسلمين ليس أحب اليهم من أن تلتقى أيديهم مع المسيحيين أتباع الدين الذى يؤمنون به هم أيضا ، وبالنسبة للمسيحيين فلن يضير ذلك عقيدتهم فى شىء، ذلك أن التسليم ابتداء بوجود اختلافات بين المسيحية والاسلام سيحفظ لهم عقيدتهم كما هى ولن يكون فى تسليمهم بوجود هذه الاختلافات الا تأكيدا منهم لما يظنونه من أن الاسلام ليس دينا منزلا من عند الله فلا مانع اذن على الاطلاق من أن يختلف عن معتقداتهم فى المسيحية، لأن هذا الاختلاف لن ينسب عندهم الى الله وانما — وحسب رأيهم — الى من أقام الاسلام وهو محمد عليه السلام، وعلى هذا النحو فلن يضيرهم التسليم بهذه الاختلافات شيئا بالنسبة لعقيدتهم ، ويقينا سيكسبهم ذلك محبة وتعاونا صادقين من المسلمين، ولم تدع المسيحية الى شىء قدر ما دعت الى المحبة والتعاون .

أما بالنسبة للكتاب الثانى مع المسيح فى الاناجيل الاربعة فان ما تقدم قد

يبدو فيه تناقض مع رأيي بشأن هذا الكتاب ومنهجه ، فقد قلت أن الكتابين معا لا يسلمان من المآخذ حتى أنه لا يمكن قبول منهجها بأى حال ، ومع ذلك ففى نقد الكتاب الأول رأيت أنه كان من الاوفق لكاتبه أن ينهج ما انتهجه مؤلف الكتاب الثانى ، فكيف يتفق هذا مع ما تقدم من رفض منهج الكتاب الثانى نفسه .

ولكن الواقع أنه ليس فى الامر أى تناقض لأن الأمر لابد وأن يختلف بين أن يكون الكاتب مسيحيا او أن يكون مسلما ، فالكاتب المسيحى يؤمن بالمسيحية دينا منزلا من عند الله ولا يؤمن بالاسلام دينا منزلا من عند الله ، ولذا فليس غريبا بالنسبة له أن تكون هناك اختلافات بين المسيحية والاسلام ، بل لعل أن هذا عنده يكون طبيعيا ، بل وحتم ، أما الكاتب المسلم ، فهو يؤمن بالمسيحية دينا منزلا من عند الله ، وهذا هو نفس ايمانه بالاسلام لذلك وجب ألا يختلفا ، وإلا لدل ذلك على اختلاف أصلها ، فلا يمكن أن يكون من الله دينان أحدهما يقول بصلب المسيح والآخر ينفيه، أو أحدهما يقول بألوهية المسيح والآخر ينفى هذه الألوهيه ، ولذا فلا يقبل من كاتب مسلم ومتمسك باسلامه أن يسلم بأن المسيحية مسيحيه وبأن الاسلام اسلام وبأنهما يختلفان .

والحق فان هذين الخلافين بين المسيحية والاسلام غاية فى الصعوبة والتعقيد وانهما لمن العمق والجسامة حتى ليتهيب المرء أن يقترب منهما خاصة مع حساسيتهما البالغة،ولكن ذلك لايغفر لكاتب مسلم أن يسلم بالاختلاف بين المسيحية والاسلام كحقيقة، وان قبل منه غض النظر عنهما صراحة اكتفاء بعده الى أوجه الائتلاف والتوافق بين الدينين فذلك بغير تردد أقره ونحمده له جميعا أما التسليم من مسلم — بأن المسيحية مسيحية والاسلام اسلام وأنهما يختلفان فهذا ما لا يقبل منه .

الفصل الرابع

نقد المناهج السابقة وبيان منهج البحث

اذا استعرضنا مناهج البحث السابقة ، نستطيع بسهولة ويسر أن نتبين أن ثمة أمرا معينا يجمع بينها جميعا ، فان كل كاتب ، مسيحيا كان أومسلما ، انما يفترض ابتداء صحة ما يؤمن به ويعتقده ، فكتب النوع الأول ، التى تبحث فى الدين الواحد دون أن تتعرض الاخر ، انما تقوم على أساس التسليم بمعتقدات الدين الذى تبحثه وتحاول اثبات صحتها وشرحها ، وكتب النوع الثانى تقوم على نفس الأساس أيضا ، وتحاول اثبات عدم صحة الكتب التى يؤمن بها أتباع الدين الآخر أو أن تصل منها أو من بعضها الى اثبات صحة ما يعتقده كاتبوها ، وكتب النوع الثالث تقوم على نفس الأساس كذلك ، فتحاول اثبات صحة معتقدات كاتبيها من الدين الآخر أو تحاول التقريب بينهما مع التغاضى عما بينها من اختلافات على أساس من التسليم بها ابتداء ، وهذا لايعنى الا تمسك الكاتب بمعتقداته وافتراضه صحتها ، وهكذا نجد أن كل المناهج انما تقوم على أساس افتراض كل كاتب ابتداء صحة ما يؤمن به ويعتقده ، وما ذلك منهم الا مصادرة الحقيقة ، التى لا يمكن أن يكون ذلك سبيلا صحيحا للوصول اليها ، فافتراضها ابتداء على نحو معين انما يعنى أن ندور فى حلقة مفرغة لا توصل الى شىء ، كما أن مثل هذه المناهج لا يمكن أن تكون مقنعة الا لمن يعتنقون دين الكاتب نفسه ، فهم وحدهم الذين يقبلون افتراض الحقيقة على النحو الذى يراه الكاتب ، أما اتباع الدين الآخر ، فلابد وأن يرفضوا ذلك ، لأنهم انما يفترضون الحقيقة على نحو مخالف .

ومن ذلك يبين ، أن أول ما يجب أن يراعى فى البحث عن الحقيقة ، هو عدم

افتراضها ابتداء على نحو معين على الاطلاق ، انما يجب أن يجرى البحث مجردا عن أى فرض لها ، فاذا كان المسيحيون يقولون بأن المسيح عليه السلام قد صلب بينما يقول المسلمون بأنه لم يصلب ، فان الوصول الى الحقيقة فى هذا الأمر لايكون بافتراض أنه قد صلب أو أنه لم يصلب ، وانما بأن نضع هذين الفرضين أمام أعيننا ، ثم نبحث فى الحقيقة بينها ، متبعين فى ذلك أسسا صحيحة ومقبولة للبحث ، يقبلها المسيحيون والمسلمون على السواء ، أو على الأقل لايقبل منهم رفضها ، بأن تكون واضحة الجدة يستوجب العقل قبولها ، وكذلك الحال أيضا بالنسبة للخلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام ، فان الوصول الى الحقيقة بشأن طبيعته لا يكون بافتراضه الها أو بافتراض نفى الألوهية عنه ابتداء . وانما بأن نضع نصب أعيننا هذين الفرضين ، ثم نبحث عن الحقيقة بينهما ، متبعين نفس الأسس المذكورة فى البحث.

وهذا المنهج فى البحث ، باستهداف الحقيقة وحدها ، دون التقيد بافتراضها على نحو معين ابتداء ، لايمكن أن يرفضه مسيحى أو مسلم ، ولا يقبل من أى منهما رفضه ، فان أيا منهما لا يؤمن بما يؤمن به الا يقينا منه بأن ما يؤمن به هو ما يطابق الحقيقة ، فاذا كان المسيحى يؤمن بأن المسيح قد صلب وبأنه هو الله فهو لاشك يؤمن بأن هذه هى الحقيقة ، ولا يتصور أن يعرف أن الحقيقة أن المسيح لم يصلب وأنه ليس الها ثم يؤمن بعد ذلك بأنه قد صلب وأنه هو الله ، والمسلم أيضا اذا كان يؤمن بأن المسيح لم يصلب وبأنه ليس الها فهو لاشك يؤمن بأن هذه هى الحقيقة هو الآخر ، ولا يتصور أن يعرف أن الحقيقة عكس ذلك ويبقى على اعتقاده ومن ثم فان استهداف الحقيقة وحدها ، وعدم افتراضها على أى نحو ابتداء ، والبحث طبقا لأسس صحيحة مقبولة لكلا الطرفين للوصول اليها ، حتى نصل اليها بالفعل بعد ذلك ، أمر لا يمكن أن يرفضه أحد ، فما دام كل واثقا أن ما يؤمن

به هو ما يطابق الحقيقة ، فهو لا شك راغب في الوصول اليها ، لأنها لا تمكن الا أن تؤكد ما يعتقده ويؤمن به ما دام أن ما يؤمن به هو ما يطابق الحقيقة، ولكن اذا تبين له رغم ذلك ، أن الحقيقة تخالف ما يؤمن به ، فهل سيضيره ذلك ، هل يضير انسانا أن يعرف الحقيقه ويتضح له أنها غير ماكان يعتقده ويؤمن به ، بالطبع لا ، فانه لن يضار الا لو ظل جاهلا لهذه الحقيقة وظل يؤمن بما يغايرها ، أما وقد وصل الى الحقيقة ، فعليه أن يحمد الله اذ هداه اليها ، وأن يسارع من فوره الى اعتناق ما ثبت له أن يطابق الحقيقة ونبذ ما يخالفها .

كما أننا قد رأينا فيما سبق ، خطأ المنهج الذى يقوم على أثبات عدم صحة الأناجيل المتداولة أو القرآن ككتاب منزل من الله جملة ، وهنا نرى ضرورة الاستناد الى الأناجيل المتداولة ، بل ويجب أن نفترض أن الاصل فيها أنها صحيحة ، ويكون القول بخلاف ذلك أمر يلزمه الدليل والسند ، مع مراعاة أن الدليل لا يجوز أن ننتهى منه الى نفى صحتها جملة لأن هذا انما يرجع بنا الى المنهج الذى رفضناه ، ثم اننا يجب أن نكون أكثر شجاعة ، ونحن نتوجه بالبحث الى المسيحيين والمسلمين على السواء ، فاذا كان المسلمون يؤمنون بتنزيل القرآن من الله ، فالمسيحيون لا يؤمنون بذلك ، واذا كان البحث سيقوم على أساس أن الاصل فى الأناجيل المتداولة افتراض صحتها ، فانما لأن المسيحين يؤمنون بذلك ، كما أن الأصل فى المسلمين ايمانهم بالمسيح وبالانجيل، وهذه هى مايعتبره المسيحيون الانجيل، أما والمسيحيون لايؤمنون بتنزيل القرآن ، فانه لا يجوز أن نبدأ بافتراض أن الأصل فيه هو الصحة كما افترضنا بالنسبة للاناجيل ، وانما يجب أن يكون الأصل أنه للقول بتنزيله ، يجب أن تثبت هذا التنزيل ولا نفترضه ابتداء .

وهذا الذى انتهينا اليه لا يقبل من مسيحى أو مسلم أن يرفضه ، فكيف لمسيحى

أن يعترض وقد افترضنا أن الأصل فى الأناجيل المتداولة صحتها[1] ، وما قد يقال خلافا لذلك لابد وأن يكون مصحوبا بدليله وسنده ، مع عدم قبول رفض الأناجيل جملة بأى حال ، كما أن الأصل لزوم اثبات صحة القرآن ككتاب منزل من الله ؛ ومن ثم فلن يفرض عليه التسليم بافتراض صحة القرآن ونسبته الى الله الا أن يثبت له صحة ذلك ، ثم كيف لمسلم أيضا أن يعترض ، فالأصل عند المسلم الايمان بالانجيل ككتاب منزل من الله ، فاذا اعترض على الأناجيل المتداولة فعليه أن يؤيد اعتراضه بالسند والدليل ، ثم هو ما دام موقنا بأن القرآن منزل من الله ، فلابد وأن يكون لديه ما يثبت به ذلك .

وهكذا يتضح لنا منهج البحث ، فهو انما يقوم على استهداف الحقيقة وحدها ، دون التقيد ابتداء بأى فرض من الفروض ، ثم ان الأصل افتراض صحة الأناجيل المتداول الا فيما يقوم الدليل أو السند على عدم صحته منها ، بعكس القرآن الذى لايفترض فيه ذلك ، بل يلزم اثبات تنزيله من الله قبل التسليم بذلك ، وقد وجدنا فيما سبق أن هذه الأسس للبحث لايقبل من مسيحى أو مسلم أن يرفضها .

ولما كنا نعرف أن صلب الخلاف بين المسيحية والاسلام ، انما يقوم أساسا على الخلاف حول صلب المسيح عليه السلام أو عدم صلبه ، وحول ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته ، فطبيعى أن نبدأ بالبحث عن الحقيقة بين صلب المسيح أو عدم صلبه ، ونتبع ذلك بباب آخر فى البحث عن الحقيقة بين ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته ، وعلى أساس ما نصل اليه من حقيقة فى هذين الموضوعين ، نقيم البحث فيما يليهما .

---

(١) مع هذا الوضوح القاطع المانع لأى لبس ، من افتراضنا أن الأصل فى الأناجيل المتداولة صحتها ، يجد القمص باسيليوس اسحق الجرأة ليقول أننى بدأت كتابى بالطعن فى الكتاب المقدس بالتزوير (الهامش السابق) .

الباب الثانى

في

الحقيقة

بين صلب المسيح عليه السلام أو عدم صلبه

وجدنا فى الباب السابق أنه يتعين علينـا أن نبحث عن الحقيقة وحدها ، كما أنه للوصول إلى الحقيقة لايجوز افتراضها ابتداء على نحو معين ، وإنما يتعين أن نبحث عنها بين الفروض محل البحث ، ونحن فى هذا الباب نبحث عن الحقيقة بين فرضين محددين ، الأول ، وهو الذى يعتقده المسيحيون ، أن المسيح عليه السلام قد صلب ، والثانى ، وهو الذى يعتقده المسلمون ، وهو أن الله سبحانه وتعالى وقد خلص المسيح عليه السلام من الصلب ورفعه اليه وصلب غيره على أنه المسيح نفسه ، وهذان الفرضان هما اللذان نبحث عن الحقيقة بينهما ، غير مقيدين إلا بالحقيقة وحدهـا ، وبكل مايوصلنا اليها .

وطبيعى أن نبدأ بحثنا بشرح مفصل لكيفية صلب المسيح عليه السلام وفقا لما يعتقده المسيحيون ، ولكيفية تخليص الله المسيح ورفعه اليه وصلب غيره كما يعتقد المسلمون ، وذلك فى فصل أول لتوضيح الفرضين اللذين نبحث عن الحقيقة بينهما ، ثم نتبع ذلك بفصل ثان لبيان المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين هذين الفرضين ، وهو معيار يتعين أن يكون مقبولا لدى المسيحيين والمسلمين على السواء ، أو فى القليل لايقبل من أى منهم رفضه ، ثم نتبع هذا الفصل بفصل ثالث ، نطبق فيه المعيار الذى ننتهى اليه فى الفصل الثانى ، وبديهى أن الحقيقـة لن تتفق مع مايقوله كل من المسيحيين والمسلمين ، إذ لايمكن للحقيقة إلا أن تؤيد فرضا واحـدا من الفرضين موضوع البحث ، ولاشك أن لدى كل من المسيحيين والمسلمين اعتراضات على الفرض الآخر فللمسيحيين اعتراضات على مايقول به المسلمون من تخليص المسيح وصلب غيره ، وللمسلمين اعتراضات على مايقول به المسيحيون من صلب المسيح ،

ولابد لـكمال البحث من أن نتناول أيضا ماقد يوجه إلى ماننتهى اليه من نتيجة من اعتراضات حتى لايكون هناك ثمة ماينقض البحث نفسه أو النتيجة التى ننتهى اليها ، وهذا مانفرد له فصلا رابعا ، ولاشك ،أنه لابد فى النهاية ،أن تـكون هناك تأملات فيما ننتهى اليه ، نخصص لها الفصل الخامس ، وأخيرا ، فان هـذا الموضوع لايطرق ويبحث على هذا المدى الواسع ، دون أن يطرق معه ، موضوع آخر ، لصيق به ومتفرع عنه ، أثير فى الأعوام الأخيرة ، وعرف بتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ، نخصص له فصلا سادسا وأخيرا بعنوان « اليهود ودم المسيح ».

الفصل الأول

صلب المسيح كما يعتقد به المسيحيون
وتخليص الله له ورفعه اليه وصلب غيره كما يعتقد المسلمون

قلنا أنه من الطبيعى أن نبدأ بحثنا بشرح مفصل لكيفية صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون ، ولكيفية تخليص الله له ورفعه اليه وصلب غيره كما يعتقد المسلمون ، وذلك لتوضيح الفرضين اللذين نبحث عن الحقيقة بينهما ، وهذا طبيعى كما قلنا ، لأنه مما لاشك فيه ، أن الوقوف على تفاصيل كل من الفرضين ، لابد وأن يعين إلى حد كبير فى الكشف عن الحقيقة بينهما ، وعلى هذا فان البحث فى هذا الفصل ينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : فى صلب المسيح كما يعتقد به المسيحيون .

والمبحث الثانى : فى تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب غيره كما يعتقد المسلمون .

المبحث الأول

فى صلب المسيح كما يعتقد به المسيحيون

الذى لاشك فيه ، أن السند الأول لما يعتقده المسيحيون عن صلب المسيح عليه السلام ، هو ماورد فى الأناجيل الأربعه من تفاصيل عن ذلك ، وعلى هذا ، فان الصورة الصحيحة والمقبولة عند المسيحيين فى هذا الخصوص ، هى تلك التى نستخلصها مما ورد فى الاناجيل الأربعة فى هذا الشأن ، ويحتم ذلك أن نبدأ ببيان ماورد فى الأناجيل عن هذه التفاصيل ، لنستخلص منها مايعتقده المسيحيون عن صلب المسيح وما سبقه من وقائع وتفاصيل انتهت اليه ، وسنورد فيما يلى ماورد فى هذا الشأن فى

أناجيل متى ثم مرقس ثم لوقا ثم يوحنا على التوالى ووفقا لترتيب الأناجيل نفسها كما وردت فى الكتاب المقدس .

اولا : انجيل متى :

﴿ ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه . تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب .

حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا . وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه . ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب . ﴾ (ص ٢٦ : ١ – ٥)

﴿ حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الاسخريوطى الى رؤساء الكهنة . وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه اليكم . فجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه .

وفى أول أيام الفطير تقدم التلاميذ الى يسوع قائلين له أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح . فقال اذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له . المعلم يقول ان وقتى قريب . عندك أصنع الفصح مع تلاميذى . ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع .

ولما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر . وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم ان واحدا منكم يسلمنى . فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول هل أنا هو يارب فأجاب وقال . الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى . ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان . كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أناهو ياسيدى . قال له أنت قلت .

وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا

كلوا . هذا هو جسدي . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا وأقول لكم اني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي . ثم سبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون .

حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية . ولكن بعد قيامي أسبقكم الى الجليل. فأجاب بطرس وقال له وان شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدا . قال له يسوع الحق أقول لك انك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات. قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك . هكذا قال أيضا جميع التلاميذ .

حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جثسيماني فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك . ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب . فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا معي . ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا يا أبتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت . ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما . فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة . اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك . ثم جاء فوجدهم أيضا نياما . إذ كانت أعينهم ثقيلة . فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه . ثم جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا . هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدي الخطاة . قوموا ننطلق . هوذا الذي يسلمني قد اقترب .

وفيما هو يتكلم اذا يهوذا الاسخريوطي واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو . أمسكوه . فللوقت تقدم الى يســوع وقال السلام يا سيدى . وقبله . فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت . حينئذ تقدموا وألقــوا الأيادى على يسوع وأمسكوه . واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع رد سيفك الى مكانه . لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة . فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغى أن يكون .

فى تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى . كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى . وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء . حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .

والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ . وأما بطرس فتبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنــة فدخل الى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية . وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة شهود زور على يسوع لكى يقتلوه فلم يجدوا . ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور . وقالا . هذا قال انى أقــدر أن انقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه . فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيـــب بشىء . ماذا يشهد به هذان عليك . وأما يسوع فكان ساكتا . فأجاب رئيس الكهنة وقال أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله . قال له يسوع أنت قلت . وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على

سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف . ما حاجتنا بعد الى شهود . ها قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون . فأجابوا وقالوا أنه مستوجب الموت . حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه . وآخرون لطموه . قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك .

أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار . فجاءت اليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى . فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين . ثم اذ خرج الى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى . فأنكر أيضا بقسم انى لست أعرف الرجل . وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فان لغتك تظهرك . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف انى لا أعرف الرجل . وللوقت صاح الديك . فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له انك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات . فخرج الى خارج وبكى بكاء مرا .﴾ (ص٢٦: ١٤-٧٥)

﴿ ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه . فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى الوالى .﴾ (ص٢٧: ١-٢) .

﴿فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود . فقال له يسوع أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشىء . فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك . فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا .

وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوه . وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس . ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم . باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح . لأنه علم أنهم أسلموه حسدا . واذ كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة اياك

وذلك البار . لأنى . تألمت اليوم كثيرا فى حلم من أجله . ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع . فأجاب الوالى وقال لهم من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم . فقالوا باراباس . قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح . قال له الجميع ليصلب . فقال الوالى وأى شر عمل . فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لاينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا أنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب .

فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة . فعروه وألبسوه رداء قرمزيا . وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه . وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام ياملك اليهود . وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه . وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب .

وفيما هم خارجون وجدوا إنسانا قيروانيا إسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه . ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة . أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب . ولما ذاق لم يرد أن يشرب . ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها . لكى يتم ماقيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . ثم جلسوا يحرسونه هناك . وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود . حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار .

وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين ياناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك . إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب . وكذلك رؤساء

الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا . خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. قد أتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده . لأنه قال أنا ابن الله . وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه .

ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة . ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى. أى إلهى إلهى لماذا تركتنى . فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادى إيليا . وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه . وأما الباقون فقالوا إترك. لنرى هل يأتى إيليا يخلصه. فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح.﴾
(ص ٢٧ : ١١ — ٥٠)

ثانيا : انجيل مرقس :

﴿ وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين . وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه . ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب.﴾ (ص ١٤ : ١ ، ٢)

﴿ وجاءوا إلى ضيعة إسمها جثسيمانى فقال لتلاميذه أجلسوا ههنا حتى أصلى . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت . أمكثوا ههنا واسهروا . ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس . ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت . ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس ياسمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة. إسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. ومضى

أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه . ثم رجع ووجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه . ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا يكفى . قد أتت الساعة . هوذا ابن الانسان يسلم إلى أيدى الخطاة . هوذا الذى يسلمنى قد اقترب .

وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كبير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو . أمسكوه وامضوا به بحرص . فجاء للوقت وتقدم اليه قائلا ياسيدى ياسيدى وقبله . فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه .

فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى . كل يوم كنت معكم فى الهيكل أعلم ولم تمسكونى . ولكن لكى تكمل الكتب . فتركه الجميع وهربوا . وتبعه شاب لابسا أزارا على عريه فأمسكه الشبان . فترك الأزار وهرب منهم عريانا .

فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة . وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفىء عند النار . وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا . لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم . ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين . نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد . ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلا أما تجيب بشىء . ماذا يشهد به هؤلاء عليك . أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشىء . فسأله رئيس الكهنة أيضا

وقال له أأنت المسيح ابن المبارك . فقال يسوع أنا هو . وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد سمعتم التجاديف . مارأيكم . فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت . فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ . وكان الخدام يلطمونه . ﴾ (ص ١٤ : ٣٢ – ٦٥)

﴿ و للوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس .

فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود . فأجاب وقال له أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا . فسأله بيلاطس أيضا قائلا أما تجيب بشيء . أنظر كم يشهدون عليك . فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس . وكان يطلق لهم فى كل عيد أسيرا واحدا من طلبوه . وكان المسمى باراباس موثقا مع رفقائه فى الفتنة الذين فى الفتنة فعلوا قتلا. فصرخ الجمع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل لهم . فأجابهم بيلاطس قائلا أتريدون أن اطلق لكم ملك اليهود. لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا . فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكى يطلق لهم بالحرى باراباس . فأجاب بيلاطس أيضا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود . فصرخوا أيضا إصلبه . فقال لهم بيلاطس وأى شر عمل . فازدادوا جدا صراخا أصلبه . فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع مايرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعدما جلده ليصلب .

فمضى به العسكر إلى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة . وألبسوه أرجوانا وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه عليه . وابتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام ياملك اليهود . وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون

له جاثين على ركبهم . وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه. فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه . وجاءوا به الى موضع جلجثة الذى تفسيره موضع جمجمة . وأعطوه خمرا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل . ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد . وكانت الساعة الثالثة فصلبوه . وكان عنوان علته مكتوبا ملك اليهود . وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره . فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمة . وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين آه ياناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك وانزل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون فيما بينهم مع الكتبة قالوا خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . لينزل الآن المسيح ملك اسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن . واللذان صلبا معه كانا يعيرانه .

ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها الى الساعة التاسعة . وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا الوى الوى لما شبقتنى . الذى تفسيره الهى الهى لماذا تركتنى . فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا هوذا ينادى ايليا . فركض واحد وملأ اسفنجة خلا وجعلها على قصبة وسقاه قائلا اتركوا. لنر هل يأتى ايليا لينزله . فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح . ﴾ (ص ١٥ : ١-٢٧)

ثالثا : انجيل لوقا :

﴿ وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون . وتبعه أيضا تلاميذه . ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكى لا تدخلوا فى تجربة . وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى . قائلا يا أبتاه ان شئت أن تجيز عنى هذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد كان يصلى

بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض . ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن . فقال لهم لماذا أنتم نيام . قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة .

وبينما هويتكلم اذا جمع والذى يدعى يهوذا أحد الاثنىعشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله . فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان . فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يارب أنضرب بالسيف . وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى . فأجاب يسوع وقال دعوا الى هذا . ولمس أذنه وأبرأها .

ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه . كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى . اذ كنت معكم كل يوم فى الهيكل لم تمدوا على الأيدى . ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة .

فأخذوه وساقوه وأدخلوه الى بيت رئيس الكهنة . ﴾ (ص٢٢ : ٣٩-٥٤)

﴿ والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون بهوهم يجلدونه . وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبأ . من هو الذى ضربك . وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين .

ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم . قائلين ان كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال لهم ان قلت لكم لاتصدقون . وان سألت لاتجيبوني ولا تطلقوني . منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع أفأنت ابن الله . فقال لهم أنتم تقولون انى أنا هو . فقالوا ما حاجتنا بعد الى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه . ﴾ (٢٢ : ٦٣-٧١)

﴿ فقام كل جمهورهم وجاءوا الى بيلاطس . وابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو مسيح ملك .

فسأله بيلاطس قائلا أنت ملك اليهود . فأجابه وقال أنت تقول . فقـــال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع انى لا أجد علة فى هذا الانسان . فكانوا يشددون قائلـين أنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا . فلما سمـــع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلى . وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس اذ كان هو أيضا تلك الأيام فى أورشليم .

وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جـدا لأنه كان يريد من زمان طـويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد . فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده الى بيلاطس . فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مـع بعضهـما فى ذلك اليـوم لأنهما كانا من قبـــل فى عداوة بينهما .

فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب . وقال لهم . قد قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه . ولا هيرودس أيضا . لأنى أرسلتكم اليه . وها لا شىء يستحق الموت صنع منه . فأنا أؤدبه وأطلقه . وكان مضطرا أن يطلق لهم كل عيد واحدا . فصرخوا بجملتهم قائلين خذ هذا وأطلق لنا باراباس . وذاك كان قد طرح فى السجن لأجل فتنة حدثت فى المدينة وقتل . فناداهم أيضا بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع . فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه . فقال لهم ثالثة فأى شر عمـل هذا . انى لم أجد فيه علة للموت . فأنا أؤدبه وأطلقه . فكانوا يلجون بأصوات عظيمـة طالبين أن يصلب . فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة . فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم فأطلق لهم الذى طرح فى السجن لأجل فتنه وقتل الذى طلبوه وأسلم يسوع لمشيئتهم .

ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كن يلطمن أيضا وينحن عليه. فالتفت اليهن يسوع وقال. يابنات أورشليم لاتبكين على بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن. لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدى التي لم ترضع. حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللاكام غطينا. لأنه ان كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس. وجاءوا أيضا باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه.

ولما مضوا به الى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحدا عن يمينه والآخر عن يساره. فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون. واذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها.

وكان الشعب واقفين ينظرون. والرؤساء أيضا معهم يسخرون به قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله. والجند أيضا استهزأوا به وهم يأتون ويقدمون له خلا. قائلين ان كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك. وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانيه ورومانية وعبرانية هذا هو ملك اليهود. وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وايانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا أنت تخاف الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه. أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق مافعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله. ثم قال ليسوع اذكرني يارب متى جئت فى ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس.

وكان نحو الساعة السادسة. فكانت ظلمة على الأرض كلها الى الساعة التاسعة. وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه. ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك أستودع روحى. ولما قال هذا أسلم الروح. (ص ٢٣: ١-٤٦)

رابعا : انجيل يوحنا :

﴿ قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر وادى قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه . وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع . لأن يسوع اجتمع هنـــاك كثيرا مع تلاميذه . فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون . أجابوه يسوع الناصرى . قال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم . فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض . فسألهم أيضا من تطلبون . فقالوا يسوع الناصرى . أجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو . فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون . ليتم القول الذى قاله أن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا .

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى . وكان اسم العبد ملخس . فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك فى الغمد . الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها . ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه . ومضوا به الى حنان أولا لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة . وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت انسان واحد عن الشعب . ﴾ (ص ١٨ : ١ - ١٤)

﴿ فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما . وفى الخفاء لم اتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا . أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا . ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا أهكذا تجاوب رئيس الكهنة . أجابه يسوع ان كنت قد تكلمت رديا

فاشهد على الردى وان حسنا فلماذا تضربنى . وكان حنان قد أرسله موثقا الى قيافا رئيس الكهنة .﴾ (ص ١٨ : ١٩ – ٢٤)

﴿ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية . وكان صبح . ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح . فخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الانسان . أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك. فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم . فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدا . ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا الى أية ميتة كان مزمعا أن يموت .

ثم دخل بيلاطس أيضا الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى . أجابه بيلاطس ألعلى أنا يهودى. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى. ماذا فعلت. أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هنا . فقال بيلاطس أفأنت اذا ملك . أجاب يسوع أنت تقول انى ملك . لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتى . قال له بيلاطس ما هو الحق . ولما قال هذا خرج أيضا الى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة . ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح . أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود . فصرخوا أيضا جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس. وكان باراباس لصا .﴾ (ص ١٨ : ٢٨–٤٠)

﴿فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده. وضفر العسكر اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب أرجوان . وكانوا يقولون السلام ياملك اليهود وكانوا

يلطمونه . فخرج بيلاطس أيضا خارجا وقال لهم ها أنا أخرجه اليكم لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة . فخرج يسوع خارجا وهو حامل أكليل الشوك وثوب الأرجوان . فقال لهم بيلاطس هوذا الانسان . فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين أصلبه اصلبه . قال لهم بيلاطس خذوه انتم واصلبوه لأنى لست أجد فيه علة . أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله . فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفا . فدخل ايضا الى دار الولاية وقال ليسوع من اين انت . واما يسوع فلم يعطه جوابا . فقال له بيلاطس اما تكلمنى . الست تعلم ان لى سلطانا ان اصلبك وسلطانا ان اطلقك . اجاب يسوع لم يكن لك سلطان على البتة لو لم تكن قد اعطيت من فوق . لذلك الذى اسلمنى اليك له خطية اعظم . من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب ان يطلقه ولكن اليهود كانو يصرخون قائلين ان اطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر .

فلما سمع بيلاطس هذا القول اخرج يسوع وجلس على كرسى الولاية فى موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جباثا . وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة . فقال لليهود هوذا ملككم . فصرخوا خذه خذه اصلبه . فقال لهم بيلاطس اصلب ملككم . اجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا قيصر . فحينئذ اسلمه اليهم ليصلب .

فأخذوا يسوع ومضوا به . فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة . حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع فى الوسط .

وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب . وكان مكتوبا يسوع الناصرى ملك اليهود .

فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لأن المكان الذى صلب فيه يسوع كان قريبا من المدينة . وكان مكتوبا بالعبرانية واليونانية واللاتينية . فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس لاتكتب ملك اليهود بل أن ذاك قال أنا ملك اليهود . أجاب بيلاطس ما كتبت قد كتبت . ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسما . وأخذوا القميص أيضا . وكان القميص بغير خياطة منسوجا كله من فوق . فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . هذا فعله العسكر .

وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لأمه يا امرأة هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ هوذا أمك . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته .

بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان . وكان إناء موضوعا مملوا خلا . فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه . فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح .»
(ص ١٩ : ١ – ٣٠)

صلب المسيح كما يعتقد به المسيحيون :

قلنا أن السند الأول لما يعتقد به المسيحيون عن صلب المسيح عليه السلام هو ما ورد فى الأناجيل الأربعة من تفاصيل عن القبض عليه ومحاكمته وصلبه ، وقد فصلنا فيما سبق ماورد فى الأناجيل الأربعة عن ذلك ، ومن جماع ذلك نستطيع أن نستخلص الصورة التفصيلية لاعتقاد المسيحيين بالنسبة لهذا الأمر .

وأول مايمكن أن نستخلصه أن المسيح عليه السلام كان عالما بأنه سيسلم ليصلب

وبهذا اخبر تلاميذه ، بينما تآمر رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب وعلى رأسهم رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا لكى يمسكوا بالمسيح بمكر ويقتلوه ، وكان أن خان يهوذا الأسخريوطى المسيح عليه السلام وذهب إلى رؤساء الكهنة يعرض عليهم أن يسلمهم المسيح فوافقوا واتفقوا معه على أن يدفعوا له مبلغا من المال مقابل ذلك ، ومنذ هذا الاتفاق أخذ يهوذا الأسخريوطى يتحين الفرصة ليسلمه اليهم .

واجتمع التلاميذ الاثنى عشر ، ومن بينهم الخائن يهوذا الأسخريوطى ، اجتمعوا بعد ذلك فى الفصح ، وبينما هم يأكلون مع المسيح عليه السلام أخبرهم أن واحدا منهم سيسلمه ، وجزعوا جميعا ، وسأله كل واحد منهم عما إذا كان هو الذى سيسلمه فرد عليهم بما فهم منه أنه يعرف أن يهوذا الأسخريوطى هو ذلك الذى سيسلمه .

وبعد أن أكلوا خرج المسيح مع تلاميذه جميعا عدا يهوذا الأسخريوطى ، حتى وصلوا إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى ، وهناك جلس التلاميذ بينما ابتعد المسيح عنهم قليلا ليصلى ، وابتدأ يحزن ويكتئب حتى أنه قال أن نفسه حزينة جدا حتى الموت وواضح أنه يحس فى هذه اللحظات بقرب وصول يهوذا الأسخريوطى ومن معه من جند وغيرهم للقبض عليه وصلبه بعد ذلك ، وهنا يجثوا ويصلى ، يخر على وجهه ، يخر على الأرض ، ويسأل الله أو الآب ان يجيز عنه هذه الكأس ، ان يعبر عنه هذه الكأس المرة التى سيجرعها ، وما امر كأسا تكون الصلب ، ولذا يصلى لله او للاب بحرارة ، بعمق ، ويدعوه فى رجاء ، فى امل ، وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد الحاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ، يصلى كل هذه الصلاة ويدعو كل هذا الدعاء ليخلصه الله او الآب من هذه الكأس ، وواضح هنا ان الله او الآب هو الذى أراد له أن يشربها ، وهو وحده الذى يستطيع أن يجيزها عنه إذا شاء ، ويكرر المسيح هذه الصلاة ثلاث مرات ، ويبدو عليه اليأس من استجابة الله

أو الآب لها فى النهاية ، ولذا ، ولإيمانه وتقواه ، يستسلم لارادة الله أو الآب ويقول ﴿ إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك . ﴾ ، أو ﴿ ليكن لا ما أريد أنا بل ماتريد أنت . ﴾ ، أو ﴿ لتكن لا إرادتى بل إرادتك. ﴾ وهذه الجمل التى وردت فى الأناجيل تؤكد أن صلب المسيح إنما كان مشيئة الله أو الآب ، وأن المسيح ، بعد ان صلى لله أو الآب ودعاه فى حرارة وعمق أن يخلصه من الصلب استسلم أخيراً لمشيئة الله أو الآب ، بعد أن لم يبد له أن الله أو الآب قد استجاب لصلاته وأجاز عنه هذه الكأس .

وهذا المعنى السابق للايات هو ماتقول به آيات أخرى تالية لها فى العهد الجديد وهى التى تقول ﴿ الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه . ﴾ (عبرانيين ص ٥ : ٧)

وبينما المسيح عليه السلام يؤدى هذه الصلاة العميقة ، ينام تلاميذه ، حتى أنه يتوجه اليهم بعد كل صلاة ويحاول إيقاظهم ، وفى المرة الأخيرة يصل يهوذا الأسخريوطى ومعه جمع كثير ـ جند وخدام من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ـ يحملون سيوفا وعصيا ومشاعل ، وكان يهوذا قد أعطاهم علامة ليعرفوا بها المسيح فيقبضون عليه ، وكانت العلامة أن من يقبله يكون هو المسيح ، ويتقدم يهوذا من المسيح ليقبله ، والجمع من خلفه ليقبضوا على من سيقبله ، وهنا يسألهم المسيح ـ كما ورد فى أنجيل يوحنا ـ عمن يريدون ، فيقولون يسوع الناصرى ، فيجيبهم بأنه هو ، وعندئذ رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ـ كراوية أنجيل يوحنا ـ ، ويتهيج بطرس فيستل سيفه ويضرب أذن عبد رئيس الكهنة ، ولكن المسيح يمنعه ، فيقبضون على المسيح ويهرب جميع التلاميذ .

ويمضى الجند والخدام بالمسيح عليه السلام إلى قيافا رئيس الكهنة أولا وكما جاء فى الأناجيل الثلاثة الأولى ، أو إلى حنان حما قيافا أولا كما ورد فى أنجيل يوحنا الذى

أرسله بدوره إلى قيافا ، أما بطرس فتبع المسيح ومن قبضوا عليه من بعيد ليرى ماذا سيكون من أمره ، ولكن كاد أمر صلته بالمسيح أن ينكشف لولا أن أنكر ثلاث مرات صلته بالمسيح ، ثم انصرف بعد ذلك .

وطلبوا شهود زور يشهدون على المسيح ، فتقدم شاهدا زور قالا أنهما سمعاه يقول بأنه يقدر ينقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام يبنيه ، وكان المسيح ساكتا لا يتكلم حتى استحلفه رئيس الكهنة بالله أن يقول إن كان هو المسيح ابن الله ، فأجابه المسيح قائلا ﴿ أنت قلت . وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء . ﴾ فيمزق رئيس الكهنة ثيابه ويقول بأنه قد جدف ، ويسأل الحاضرين عما يرون فيقولون أنه مستوجب الموت .

وفى الصباح دفعوا المسيح إلى بيلاطس البنطى الوالى ، الذى سأله عما إذا كان هو حقا ملك اليهود ، فأجابه بقوله ﴿ أنت تقول ﴾ ، ولم يجبه بعد ذلك عن أية كلمة أخرى كما ورد فى الأناجيل الثلاثة الأولى ، أو أخذ يجيبه عن كل أسئلته ويناقشه فى فى كلامه كما ورد فى أنجيل يوحنا .

ويفهم أن الوالى لم يجد فى المسيح علة ليقتله ، وكان من عادته أن يطلق للناس الأسير الذى يطلبونه فى العيد ، وأراد أن يكون المسيح هو الأسير الذى يطلقه ، ولكن الجموع ترفض ، وتطلب أسيرا آخر اسمه باراباس ، فيسألهم بيلاطس عما يفعله بالمسيح ، فيطلبون اليه أن يصلبه ، ويتردد بيلاطس ، ولكن صياح الجماهير يعلو ويعلو أن اصلبه اصلبه ، ويأخذ بيلاطس ماء ويغسل يديه أمام الجميع قائلا أنه برىء من دم هذا البار ، ويترك لهم أن يقرروا ﴿ أبصروا أنتم . ﴾ فأجاب جميع الشعب وقالوا ﴿ دمه علينا وعلى أولادنا . ﴾ ، فأطلق لهم باراباس ، وأما المسيح فجلده وأسلمه ليصلب .

وسخر الجنود من المسيح ، وأخذوا يستهزئون به ، ثم سخروا رجلا قيروانيا إسمه سمعان ليحمل صليب المسيح ، ولما وصلوا إلى موضع الجمجمة صلبوه هناك ، وصلب لصان معه واحد عن يمينه وآخر عن يساره ، وكان المجتازون يسخرون من المسيح وهو على الصليب وكذلك رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، وكان مما عيروه به أنه أتكل على الله فلينقذه إن أراده ، كما كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه أيضا كما ورد فى أنجيلى متى ومرقس ، أو عيره أحدهما بينما عاتب الآخر من عيره كما ورد فى أنجيل لوقا .

وأخيرا ، صاح المسيح على الصليب قائلا ﴿ إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ ﴾ ، وهنا ركض واحدا واخذ اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، بينما طلب منه الباقون ان يتركه ، ليروا ما إذا كان إيليا سيخلصه ، ثم صرخ المسيح على الصليب بصوت عظيم واسلم الروح ، وهكذا تم الصلب فداء للبشرية كما يعتقد المسيحيون .

المبحث الثانى

فى تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب غيره كما يعتقد المسلمون

اذا كان السند الأول لما يعتقده المسيحيون عن صلب المسيح عليه السلام هو ماورد فى الأناجيل من تفاصيل عن التآمر عليه والقبض عليه ومحاكمته وصلبه ، فالذى لاشك فيه ان السند الأول لما يعتقده المسلمون من تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه وصلب غيره هو ماورد فى القرآن من ذلك ، إلا اننا إذا كنا قد وجدنا فى الأناجيل صورة تفصيلية كاملة للتآمر على المسيح والقبض عليه ومحاكمته وصلبه ، فاننا لا نكاد ان نجد فى القرآن شيئا من هذه التفاصيل ، وإنما نجد الواقعة فيه جامدة مجردة عن أية تفاصيل ، فكل ماورد فى القرآن فى هذا الصدد الآيات التى تقول :

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا إتباع الظن وماقتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما . »

(سورة النساء: ١٥٧ و ١٥٨)

« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . »

(سورة آل عمران : ٥٤ و ٥٥)

وفيما عدا هذه الآيات القليلة ، وماعتقده المسلمون من ان الذى صلب هو يهوذا الأسخريوطى بدلا من المسيح عليه السلام ، فان القرآن والاسلام ليخلوان تقريبا من اى تفصيل لكيفية تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه وصلب يهوذا الأسخريوطى بدلا منه ، وكل مايمكن ان يفهم من القرآن انه كانت هناك مؤامرة للقبض على المسيح عليه السلام وصلبه ، ولكن الله كان فوق المتآمرين ، « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . » ، حتى اذا ماشرع المتآمرون ينفذون مؤامرتهم ، وهموا بالمسيح عليه السلام ، توفاه الله ورفعه اليه ، «إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلى . . » ، وأمسك المتآمرون بآخر وصلبوه وقالوا انهم صلبوا المسيح عليه السلام وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ، « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . » ، ثم إن الذين قاموا بالصلب اختلفوا فيه فكانوا فى شك مما إذا كان من صلبوه هو المسيح نفسه ، وما قالوا بأنهم صلبوا المسيح إلا اتباعا لما يظنون، «وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن . . » « وماقتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا

حكيما . » ، ويضاف الى هذا الذى يفهم من القرآن ما جرى عليه اعتقاد المسلمين ، من أن الذى صلب بدلا من المسيح عليه السلام هو يهوذا الاسخريوطى ، الذى خانه وتآمر عليه ليسلمه الى أعدائه .

هذه هى الوقائع التى أوردها القرآن ، والتى يعتقد بها المسلمون عن تخليص الله المسيح ممن ارادوا القبض عليه وصلبه ، وعن رفع الله للمسيح اليه ، وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه ، وهى كما تبدو ، وقائع مجردة لا تكاد تتضمن أية تفاصيل ، ولا يمكن بحال أن نستخلص منها تفصيلا مثل هذا الذى استخلصناه من الأناجيل الأربعة عن التآمر على المسيح عليه السلام وصلاته ودعائه الى الله لكى يخلصه من الصلب ثم القبض عليه بارشاد من الخائن يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته بعد ذلك ثم صلبه ، بكل ما يحيط هذه الوقائع من تفاصيل ، فما هو السبيل اذن ، للوقوف على صورة تفصيلية لتخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى وصلبه بدلا منه ظنا بأنه المسيح عليه السلام .

وهنا لا نجد معينا لنا فى الوقوف على هذه التفاصيل غير اللجوء الى الأناجيل ذاتها ، لنستخلص مما ورد فيها من تفاصيل ، الصورة التى يمكن أن يكون الله قد خلص عليها المسيح ورفعه اليه بينما قبض على يهوذا الاسخريوطى الذى صلب بدلا منه وظنا بأنه المسيح عليه السلام ، ولقد يعجب القارىء اذ نلجأ الى الأناجيل للوقوف على تفاصيل تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب يهوذا بدلا منه، ولكن الحقيقة أنه لا وجه للعجب من ذلك ، فالقرآن نفسه لم ينف أن هناك شخصا قد صلب بالفعل ، بل وقد صلب على أنه المسيح عليه السلام ، انما الخلاف هو حول حقيقة شخصية هذا الذى صلب ، فبينما يؤمن المسيحيون بأن الذى صلب هو المسيح نفسه ، يؤمن المسلمون بأن الله قد خلص المسيح عليه السلام من الصلب ، ويجرى

اعتقادهم بأن الذى صلب على أنه المسيح انما كان يهوذا الاسخريوطى ، وفيما عدا ذلك ، فانه لم يثر خلاف حول أي تفاصيل أخرى ، كما أننا قد انتهينا فى الباب الأول الى أنه يجب أن يكون الأصل فى الأناجيل المتداولة افتراض صحتها ، ومن ثم فالصحيح فى البحث اعتماد التفاصيل التى أوردتها ما دام أنه لم يثبت عدم صحة شيء منها ، كما أنه من الصحيح ، وفى استخلاصنا للصورة التفصيلية التى يعتقد بهــا المسلمون ، أن نأخذ بكل ما ورد فى الأناجيل من تفاصيل ، فيما عدا ما يختص بتحديد شخصية هذا الذى صلب ، وبالطبع لا يقال هنا أننا نتــاقض ما قررناه فى البــاب الأول من أن الأصل فى الأناجيل المتداولة افتراض صحتها ، لأننا هنــا لا نقصد أن ننفى صحة ما ورد فيها ، وانما نشرح اعتقاد المسلـــين فى الأمر ، وتأ كيـــدا لافتراض صحة الأناجيل ، ألزمنا الصورة التى يعتقد بها المسلمون عن تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه ، ألزمنا هذه الصورة الاسلامية بأن تدخل فى أطار ما ورد فى الأناجيل من تفاصيـــل تتعلق بهذا الأمر ، فــيما عدا ما تعلق منها بشخصية المصلوب ، اذ يؤمن المسلمون بأنه لم يكن المسيـــح عليه السلام ، وجـــرى اعتقادهم بأنه كان يهوذا الاسخريوطى ، وليس ذلك نفيــا منا لما ورد فى الأناجيل عن شخصية المصلوب ، وانما لتوضيح ايمان المسلمين وما جرى عليه اعتقادهم بشأن شخص من صلب .

وترتيبا على ذلك ، نستطيع أن نقول أن المسلمين يتفقون مع المسيحيين على أن المسيح عليه السلام كان عالما بأنه سيصلب ، وبهذا أخبر تلاميذه .... ، الى آخر ما سبق أن ذكرناه عن صلب المسيح كما يعتقد به المسيحيون ، وذلك حتى لحظة وصول يهوذا الاسخريوطى ومن معه من جنود وخدام للقبض على المسيح عليه السلام وحتى هموا بالقبض عليه ، ذلك أنه من مطالعة التفاصيل التى وردت فى الأناجيل

نستطيع أن نقطع بأن هذا الذى كان مع التلاميذ وأخذ يصلى داعيا الله أن يخلصه ، وحتى قدوم يهوذا ومن معه ، هو واحد لم يتغير ، وهو المسيح نفسه باتفاق المسيحيين والمسلمين على السواء ، كما أننا نستطيع أن نقطع أيضا بأن الشخص الذى قبض عليه هو نفسه الذى حوكم وهو نفسه الذى صلب ، فاذا كان الله قد رفع المسيح حقا وكان الذى صلب هو يهوذا الاسخريوطى حقا وليس المسيح ، فلا يمكن أن يكون ذلك الا فى اللحظة التى هم فيها من كانوا مع يهوذا بالقبض على المسيح ، ويتفق ذلك مع ما قرره القرآن ، اذ مفهوم آياته أن المؤامرة على المسيح لم تنجح فى أى شق منها فى الواقع ، وأول ما كانت تقتضيه المؤامرة ، هو القبض على المسيح أولا ، ثم محاكمته فصلبه بعد ذلك ، ومن ثم فتخليص الله المسيح ورفعه اليه انما كان قبل أن يقبض عليه ، بمعنى أن الله لم يمكن المتآمرين من القبض عليه .

وهكذا نستطيع أن نقول باتفاق اعتقاد المسلمين مع ايمان المسيحيين حتى لحظة محاولة القبض على المسيح ، فهنا طبقا لاعتقاد المسلمين ، توفاه الله ورفعه اليه وقبض على يهوذا الاسخريوطى على أنه المسيح ، وتتفق الصورة الاسلامية بعد ذلك مع ما يؤمن به المسيحيون من تفاصيل عن محاكمة هذا الذى قبض عليه وحوكم وصلب ، مع ملاحظه أنه بينما يؤمن المسيحيون أن هذا الذى قبض عليه وحوكم وصلب ، هو المسيح عليه السلام ، يجرى اعتقاد المسلمين على أنه يهوذا الاسخريوطى الذى خان المسيح سيده .

وبذلك ننتهى فى هذا الفصل ، عن صلب المسيح كما يعتقد به المسيحيون ، وتخليص الله له ورفعه اليه وصلب غيره كما يعتقد المسلمون ، الى أن تفاصيل الصورة العامة للواقعة واحدة عند المسيحيين والمسلمين على السواء ، فيما عدا فى أمر واحد وهو أنه عند محاولة القبض على المسيح عليه السلام ، يعتقد المسلمون بأن الله توفاه

ورفعه اليه ، وقبض على يهوذا الإسخريوطى بدلا منه ، وحوكم وصلب على أنه المسيح نفسه ، بينما يؤمن المسيحيون بأن الذى قبض عليه وحوكم وصلب هو المسيح نفسه .

وأخيرا فها قد أوضحنا الفرضين اللذين سنبحث عن الحقيقة بينهما فى هذا الباب ، وأوضحنا كل الفرق بينها ، وهو الفرق الذى يبدو ضئيلا للغاية فى ظاهره ولكنه كبير وبعيد الأثر وعميقه فى حقيقته ، ولننتقل الآن الى البحث عن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين هذين الفرضين .

الفصل الثانى

المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين
صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون
وتخليص الله له ورفعه اليه كما يعتقد المسلمون

يبدو للوهلة الأولى ، أن من الصعب الوصول الى المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون ، وتخليص الله له ورفعه اليه ، كما يعتقد المسلمون ، وليس وجه الصعوبة هو انعدام وجود معيار لذلك، وانما وجه الصعوبة أن أصول البحث السليم ، تقتضى أن يكون هذا المعيار مقبولا لدى المسيحيين والمسلمين على السواء ، ولاشك أن لكل من المسيحيين والمسلمين معايير يعتبرونها فى البحث ولكنها ، وكما بينا من قبل ، تنتهى بهم الى طرفى نقيض ، ولو أخذنا بمعيار معين منها ، فيجب أن نتوقع رفضه ممن لا يأخذون به ، فكيف السبيل اذن للوصول الى المعيار الذى لا يرفضه أحد الطرفين ، أو فى القليل لا يقبل من أيهما — فى أصول البحث — أن يرفضه .

وهنا نجد أننا اذا عدنا قليلا الى الفصل الأول من الباب الأول ، نجد أننا لاحظنا أن ثمة فارقا واضحا بين الكتب المسيحية والكتب الاسلامية عموما ، فعلى اتفاق المسيحية والاسلام على الايمان بالكتب السماوية السابقة ، فان المسيحيين وحدهم هم الذين عنوا كل العناية بتلك الكتب، حتى أنهم جمعوها والعهد الجديد فى كتاب واحد يؤمنون به كله ويسمونه بالكتاب المقدس ، ولا تكاد الكتب المسيحية أن تخلو من الاشارة الى الكتب السابقة فى محاولة للربط بين ما جاء فيها وبين رسالة المسيح عليه السلام ، حتى أنهم ليخرجون من ذلك الى ما يعتقدون أنه يكون وحدة

كاملة يقوم عليها الدين كله وكل معتقداتهم بشأنه ، وذلك كله بعكس المسلمين الذين يكادون أن يغفلوا الاشارة الى ما ورد فى الكتب السماوية السابقة عدا ما قد يكون ذكر عنها فى القرآن ، مع أن الاسلام يحتم الايمان بتلك الكتب ايمانا مساويا للايمان بالقرآن .

وهذه المحاولة للربط بين الكتب السماوية السابقة وبين رسالة المسيح لم تظهر ابتداء فى كتب المسيحين ، وانما ظهرت أولا فى أقوال المسيح التى وردت فى الأناجيل ، كما زادت الأناجيل من تأكيد ارتباط رسالة المسيح بالكتب السماوية السابقة ، ولنزيد الأمر ايضاحا ، فاننا اذا أنعمنا النظر فى الآيات التى وردت عن القبض على المسيح عليه السلام ومحاكمته وصلبه فى الأناجيل ، لوجدنا انها تحاول الربط بين ما وقع وبين ما ورد فى الكتب السماوية السابقة ، اشارة من الأناجيل إلى أن هذا الذى وقع وذكر فيها ، انما سبق التنبؤ بوقوعه من قبل فى الكتب السابقه ، وذلك كما هو فى الآيات التى تقول :

﴿ أتظن أنى لا استطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغى أن يكون ﴾ . (متى ص ٢٦ : ٥٣ و ٥٤) .

﴿ ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها . لكى يتم ما قيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . ﴾ (متى ص ٢٧ : ٣٥)

﴿ وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره . فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمة . ﴾ (مرقس ص ١٥ : ٢٨) .

﴿ أجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو . فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء

يذهبون . ليتم القـــول الذى قاله ان الذين أعطيتنى لم أهلك أحـدا منهـــم . ﴾
(يوحنا ص ١٨ : ٨ و ٩)

﴿ فقال بعضهم لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الـكتاب القائل اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . ﴾ (يوحنا ص ١٩ : ٢٤)

وهذه المحاولات التى وجدناها فى الأناجيل ، للربط بين ما وقـــع وما سبق التنبؤ به فى العهد القديم، نجدها تشمل معظم ماورد فى الأناجيل من مواضيع وحوادث ولاشك أن هذا الربط بين نبوءات العهد القديم وما تحقق فى العهد الجديد هو الأساس الذى قامت عليه معظم دراسات المسيحيين من محاولة الربط بين ما جاء فى العهـد القديم من نبوءات وما تحقق بالفعل فى العهد الجديد ، حتى لقد أصبح هـذا الربط أساسا هاما من أسس البحث فى المسيحية يكاد أن يحجب ما عداه من أسس ، ولا يكاد أى كتاب فى المسيحية ، يغفل عن الربط بينها وبين ما جاء العهـد القديم من نبوءات ، بل ان هناك العديد من الـكتب التى لاتتناول غير هـذه النبوءات والربط بينها وبين ما تحقق فى العهد الجديد .

ومن مثل هذه الـكتب كتاب المسيح فى جميع الـكتب (تأليف أ.م. هودجكن ونشره مركز المطبوعات المسيحية بيروت) ، ولعل فى عنوان الـكتاب ما يـكفى للابانه عن مضمونه وهو أنه يقوم على اثبات أن جميع الـكتب السماوية السابقة تنبأت عن المسيح نفسه ، مضيفا ما ورد فى الأناجيل وما تلاها عن المسيح عليه السلام ، ومن مثل هذه الـكتب أيضا كتاب رب المجد (وهو لجماعة من اللاهوتيين المسيحيين برئاسة عبد الفادى القاهرانى ونشره مركز المطبوعات المسيحية بيروت أيضا) وهذا الـكتاب يكاد أن يطابق سابقه فى منهج البحـث ، ومن ذلك أيضـا كتاب المسيح فى أشعياء (تأليف الدكتور ف.ب. ماير وتعريب القس مرقس داود وقد

نشرته مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية فى القاهرة) ، وكذلك كتاب هل تنبأت التوراة عن المسيح (تأليف القمص سرجيوس ومطبوع بالمطبعة التجارية الحديثة بالسكاكينى - بالقاهرة) ، وعنوان هذين الكتابين الآخيرين يكفى لمعرفة مضمونها.

هذا عند المسيحيين ، بعكس الحال عند المسلمين الذين لا يقيمون أية أبحاث على أساس الربط بين ما ورد فى الكتب السابقة من نبوءات وبين ما تحقق من هذه النبوءات الا فيما ندر ولم نعثر على شيء منه ونحن بصدد اعداد هذا البحث، ولكن، ونحن بصدد البحث عن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين الفرضين اللذين فصلناهما فى الفصل السابق، لانجد أمامنا أى معيار للكشف عن الحقيقة التى نبحث عنها ، غير ما جاء فى الكتب السابقة من نبوءات ، ونقصد بالكتب السابقة هنا ، الكتب السماوية السابقة على المسيحية والاسلام على السواء .

ولا شك أن المسيحيين يرتضون هذا المعيار أساسا للكشف عن الحقيقة ، لما هو واضح من أن دراساتهم وأبحاثهم انما تقوم على أساس هذا المعيار نفسه كما وجدنا فيما سبق ، ولأن الأناجيل نفسها ، بل والعهد الجديد كله ، وحتى المسيح نفسه ، اعتمدوا هذا الأساس للبحث فى الكتاب المقدس ، أما المسلمون ، فلا أحسبهم الا مترددين أمام هذا المعيار ، بل لعل منهم من لا يتردد فى رفضه أساسا للكشف عن الحقيقة ، ولعل السبب فى ذلك يبدو بديهيا ، فاذا كان هذا المعيار هو أساس لدراسات المسيحيين وأبحاثهم التى ينتهون منها الى تأييد معتقداتهم ، فكيف بهم يقبلونه وهم يعرفون النتائج التى ينتهى اليها هذا المعيار مقدما ، ويعرفون أيضا أنها عكس ما يعتقدونه ، ولابد وأنهم سيتجاهلون هذا الاعتبار فى تعليلهم للرفض ، وسيتذرعون بأنهم لا يثقون فى صحة الكتاب المقدس ، ولكننا نجد على ذلك الاعتراض لدى المسيحيين ردا مقبولا ومقنعا ، فهم يرون أنه اذا كان مقبولا أن

يتصور أحد أنهم قد يغيرون فى الأناجيل لتتمشى مع معتقداتهم ، فليس من المقبول على الاطلاق أن يتصور أحد أن اليهود يغيرون فى العهد القديم ليطابق معتقدات المسيحيين ويتمشى معها ، وهذا الرد كما قلنا مقبول ومقنع حقا ، ومن ثم فان اتخاذ نبوءات العهد القديم معيارا صحيحا للكشف عن الحقيقة ، سبيل صحيح فى البحث يقيم المسيحيون أبحاثهم على أساسه ، ولا يقبل من المسلمين أن يرفضوه كأساس سليم للكشف عن الحقيقة .

بل إن هذا الذى انتهينا اليه ، هو ما يحتمه عدل الله ، والذي يقتضى أن يكون للناس جميعا سبيل بين أيديهم للوصول إلى الحقيقة ، فكيف يكون سبيل المسيحيين للوصول اليها فى القليل قبل رسالة محمد عليه السلام الا أن تكون قد وردت فى العهد القديم نفسه .

كيفية الاحتكام الى الكتب السابقة :

لما كان المسيحيون وحدهم دون المسلمين هم الذين يتناولون نبوءات العهد القديم فى أبحاثهم ، ويربطون بينها وبين ما وقع بالفعل فى العهد الجديد ، تأكيدا لصحة ما وقع ، وبيانا بأنه سبق التنبؤ به من قبل ، فان الطبيعى أن يكون التعرف على هذا الأسلوب فى البحث فى كتب المسيحيين أنفسهم ، ولعل خير ما نبدأ به ذلك هو ما قيل على لسان المسيح عليه السلام فى انجيل يوحنا :

﴿ فتشوا الكتب . . . وهى التى تشهد لى . ﴾ (ص ٥ : ٣٩)

فالمسيح هنا كما ورد فى انجيل يوحنا ، يطلب البحث فى الكتب السابقة ، مؤكدا أنها تشهد له ، أى تتنبأ عنه ، ويبحث المسيحيون فى الكتب ويفتشونها كما طلب المسيح ، واذ قيل على لسان المسيح أنها تشهد له ، فهم لذلك ينظرون إلى هذه الكتب على نحو معين ، يوضحه ما يقوله القمص سرجيوس فى كتابه هل تنبأت التوراة عن المسيح بقوله :

(هل تنبأت التوراة عن المسيح ؟

اذا سألنا هذا السؤال فلا نتجه الى اليهود أصحاب التوراة لنلتمس منهم نصاً نؤوله أو نفسره أو نستدل منه على المسيح لأننا لو فعلنا هذا كان مثلنا مثل انسان مفتوح العينين يسأل المارة وقت الظهيرة قائلا : دلونى أين هى الشمس .

فالمسيح ساطع فى كل الكتاب المقدس فى اشراق دائم وليس كالشمس التى تغيب عن نصف الأرض ليلا اذ ليس فى التوراة أو كتب الأنبياء جزء تغرب عنه شمس المسيح بل يشع اسمه وشخصه وصفاته وأعماله وظروفه وأحواله فى التوراة وكتب الأنبياء وفى ثنايا سطورها . نجد المسيح فى كل جملة وفى كل أصحاح وفى كل سفر من أسفارها وما حروفها وكلماتها الا خطوطا وأظلالا لصورة المسيح المجيدة .

فلقد رسم بعض الفنانين على قطع مربعة من الخشب وعلى كل سطح من سطوحها الأربعة جزءا من صورة يضعها الوالدون أمام أطفالهم ويتركونهم يحاولون جمع القطع كلها الى بعضها جمعا محكما بحيث ترى صورة كاملة على كل من السطوح الاربعة .

فكتاب التوراة والزبور وكتب الأنبياء يوجد فى كل جزء منها صورة تمثل حياة السيد المسيح وظروفه وأحواله وصفاته وأعماله ، ومجموع هذه الصور يكون صورة كاملة لشخص المسيح بصفته الها وانسانا معا تمتد من سفر التكوين الى نبوة ملاخى التى يجمعها أطفال المسيحيين وكبارهم بكل سهولة فتقابلها أيها الناظر اليها بالصورة التى فى العهد الجديد ــ الانجيل ــ فترى نفسك وقد أمسكت القلم وكتبت تحتها هذا هو يسوع الناصرى الذى جاء الى العالم فاديا ومخلصا . وعندئذ تذكر ما قاله بولس الرسول : ان يسوع الكل وفى الكل (كو ٣ : ١١) تدرك أن المسيح هو كل شىء فى التوراة وكتب الأنبياء . حتى ماورد فى كتب النبوءات عن أشخاص غير المسيح وعن بلاد وممالك قد ذكر كعلامات ودلائل تدل على الوقت الذى كان المسيح مزمعا أن يظهر فيه .

وإذا كانت التوراة وكتب الأنبياء هي وحي الله المتجسد في صورة من الكلمات والحروف فيسوع المسيح هو روح هذا الوحي المتجسد كما يقول صاحب سفر الرؤيا إن شهادة يسوع هي روح النبوءة (رؤ ١٩ : ١٠) وكما يقول بطرس الرسول : الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء ، الذين تنبأوا عن النعمة التي لاجلكم باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها (١ بط ١ : ١٠ و ١١) .

فكل مافي التوراة والأنبياء من شعر ساحر ، يسوع المسيح هو المعنى الذي في بطن الشاعر والشاعر ، وما فيها من تاريخ ، يسوع المسيح هو بطل هذا التاريخ الذي قال عنه سليمان في نشيده : « حبيبي أبيض واحمر معلم بين ربوة » وما أبطال التاريخ الذين ذكروا في كتب التوراة والأنبياء إلا ممثلين لبطل العصور ومشتهى الأمم الرب يسوع بل هم إطار أسود يحيط بصورته المتلألئة التي يشع منهـا نور القداسة والكمال .

وإذا كانت التوراة وكتب الأنبياء هي أنوار مشعة في الفلك الروحي لإنارة العالم فيسوع المسيح هو شمس البر الذي تدور حوله الأفلاك بل هو الذي قال عنه صاحب سفر الرؤيا : الممسك الكواكب في يمينه .

ونحن المسيحيين لانهتم أين نفتح التوراة وكتب الأنبياء لنجد الكلام عن المسيح ، ولسنا بحاجة أن نقف أمام علماء التوراة من اليهود ليدلونا على المسيح في كتبهم لأنه ساطع فيها كما تسطع الشمس على العالم ولايمكن لليهود أن يخفوه عنا أو يخفوا دلائله والشمس ليس لها دليل بل هي دليل لذاتها على وجودها . بل واليهود يشيرون اليه ويعترفون أن المسيح هو الذي يدور عليه كتابهم وعبادتهم ورجاؤهم وقد فهم ذلك عنهم حتى أن هيرودس الملك عندما رأى المجوس يأتون إلى بلاده ليسجدوا للمسيح المولود لأنهم رأوا نجمه في المشرق أرسل فاستدعى رؤساء الكهنة

وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح فقالوا له على الفور : فى بيت لحم اليهودية لأنه مكتوب بالنبى : وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل (مت ٢ : ١ — ٦) .

فمن هذا ترى أن اليهود يعترفون أن توراتهم تدور حول محور ومحورها هو المسيح فهم لا يختلفون عنا من هذه الناحية إنما وجه الخلاف بيننا وبينهم أنهم يقولون أن المسيح لم يأت بعد أما نحن نصارى كنا أم مسلمين نعترف أن المسيح جاء إلى العالم .) (ص ٦ — ٨) .

والذى لاشك فيه ، أن هذا الكلام فيه مبالغة كبيرة ، ولكنه على أى حال يعطى فكرة عن وجهة نظر المسيحيين فى العهد القديم كله بصفة عامة ، على أن ثمة سفرا معينا من أسفار العهد القديم يجعل له المسيحيون اعتبارا خاصا من هذا الوجه من وجوه البحث ، وهو النبوءات ، وفى هذا يقول الكاتب نفسه فى صفحة ٢٨ من نفس الكتاب :

(فى سفر التكوين كان فجر النبوة وفى الأسفار التالية كان تدرجها فى الارتفاع حتى تكبدت السماء فى سفر المزامير وظهر المسيح فيه واضحا جليا فى كمال مجده كأنه الأنجيل يتكلم عن يسوع من كل مناحى حياته عن أعماله وأقواله وتعاليمه وظروفه وأحواله . تكلم الأنبياء عن المسيح فأشار كل واحد منهم اليه من ناحية أو نواح أما سفر المزامير فكان كالهالة أحاط بكوكب يسوع فتكلم حتى عن إحساساته العميقة وآلامه المبرحة ناهيك عن صفاته وألقابه أكثر من أى نبى آخر . ويمكننا القول أن سفر المزامير هو سفر مسيا الخاص . بدليل أن الاقتباسات التى اقتبسها كتبة العهد الجديد من سفر المزامير هذا قد بلغت إلى نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله) .

وفى مثل ذلك أيضا نقرأ فى صفحة ٨٤ من كتاب الجيد الذى سلفت الاشارة اليه وتحت عنوان المسيح المتألم والمسيح الممجد ـ فى سفر المزامير :

(المزامير كلمة معناها الترانيم أو التسابيح وقد ألفت فى أوقات مختلفة فى العصر الاسرائيلى من أيام موسى إلى مابعد أيام السبى . والمجموعة المقصودة بالذات هنا عددها مئة وخمسون مزمورا ولكنها نسبت إلى داود على وجه التغليب لأنه ألف منها مايربوا على ٧٢ مزمورا . وكلها روحية نافعة لتسبيح الرب فى أوقات العبادة فهى تقرأ بالترتيب على مدار الشهر فى بعض الكنائس ويصلى بها العباد فى مخادعهم ويرتلها المسيحيون فى كنائسهم ومنازلهم منظومة فى كتب خاصة بها . ولم يوجد كتاب ملىء بالاشارات والرموز والنبوات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هذا وعليه فأهميته فى نظر اللاهوتيين تفوق الوصف .)

فاذا كان ماتقدم ، فانه يبدو جليا أن نبوءات سفر المزامير بالذات يجب أن تكون هى عماد بحثنا ، أو فى القليل أول ماتتخذه معيارا للكشف عن الحقيقة التى نحن بصدد البحث عنها ، بل أنه ليحتم علينا ذلك ، أننا ، ونحن بصدد البحث عن الحقيقة بين صلب المسيح أو تخليص الله له ورفعه اليه وصلب غيره ، فاننا نجد أن المسيحيين يشيرون إلى سفر المزامير بالذات باعتباره قد تحدث عن آلام المسيح وعذابه ، قاصدين من ذلك آلامه وعذابه على الصليب ، كما أن الأناجيل نفسها قد أشارت إلى سفر المزامير بالذات عندما تناولت واقعة صلب المسيح مشيرة إلى التنبؤ بهذه الواقعة وما أحاط بها من تفاصيل فيه ، ومن ذلك ماقاله متى البشير فى أنجيله ﴿ لكى يتم ماقيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . ﴾ ، فهذا الذى أشار اليه البشيران هو ماقيل على لسان داود فى المزمور ٢٢ ﴿ يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون . ﴾ ، ولذلك فان المسيحيين يعتبرون هذا المزمور

ـ باتفاقهم جميعا على ذلك ـ نبوءة عن صلب المسيح وآلامه ، وفى هـذا نقرأ فى صفحة ٨٥ من كتاب رب المجد عن المزمور ٢٢ :

(فـكل هذه الأقوال لم يتم منها فى داود قائلها شىء ولـكن كل قول فيها قد تم فى ذات مخلصنا الرب يسوع المسيح لان كل هذه نبوة صريحة عن آلامه التى احتملها لأجل خلاص البشر .)

ومما تقدم نخلص الى أن الاحتكام الى الـكتب السماوية السابقة يكون بالاحتكام الى ما فيها من نبوءات وبصفة خاصة ، ما فى سفر المزامير من نبوءات ، ولقد يقال هنا ، وبمعنى أوضح ، قد يقول المسلمون هنا ، أننا نقيد أنفسنا بذلك بـكل ما استقر عليه المسيحيون أنفسهم فى دراساتهم وأبحاثهم ، وكأننا بذلك نحكم المسيحيين أنفسهم فى الأمر ، ولقد يبدو ذلك صحيحا الى حد ما ، الا أنه يجب ألا نغفل أن العهـــد القديم من الضخامة بحيث ليكاد أن يتعذر على مجهود فردى أن يبحثه البحث الشامل الوافى الذى يستخلص به منه كل ما فيه من نبوءات ، وفى مجـــال البحث ، لا مجال لأن يفرق المسلمون بين سفر المزامير وبين أى سفر آخر من أسفار العهـد القديم ، وما دام المسيحيون يعطون هذا السفر بالذات كل هذه الاهميه حتى أنهم ليرون فيه سفر المسيح الخاص ، فليس ثمة ما يمنع أن نتخذ هذا السفر أساسا للبحث ، خاصة مع ما وجدناه فى الاناجيل مما يعتبر أن فى هذا السفر نبوءة عن صلب المسيح وهو الموضوع الذى نبحثه ، على أن هذا لا يمنعنا ، اذا ما لم نجد فى هذا السفر ما يعيننا فى الـكشف عن الحقيقة ، من أن نمضى فى أسفار العهد القديم كلها ، باحثين عن الحقيقة حيث يمكن أن نجدها ، دون أى اعتبار لضخامة هذا العهد ، اذ لا يجوز أن تقف هذه الضخامة بأى حال من الأحوال ، حائلا دون البحث عن الحقيقة .

كيف نستخلص النبوءات من أسفار العهد القديم :

قد يبدو غريبا التساؤل عن كيفية استخلاص النبؤات من أسفار العهد القديم ، ذلك أن النبوءة لغة هي الاخبار عن الغيب أو المستقبل بالهام من الله ، ومفروض أن الكتب السماوية السابقة قد كتبت بوحى من الله ، ومن ثم كان طبيعيـــا أن تكون النبوءات فيها هى ما نجده فيها من أخبار عن الغيب أو المستقبل بالنسبـــة لقائليها ، على أن هذا التساؤل وان بدا لذلك على شىء من الغرابة ، الا أن الواقع أنه على جانب كبير من الاهمية ، ذلك أننا لا نستطيع أن نتغاضى عما استقر لدى المسيحيين اليوم ومن قبل أيضا من توسع فى معنى النبوءة ، فهناك أقوال وردت فى العهد القديم ، تصف أمورا معينة وكأنها تحدث لقائليها أو تقع أمام أبصارهم ، بينما هى لم تقع لهم ولا أمام أبصارهم فى الواقع ، ثم نرى هذه الامور تقع بعدذلك تماما كما وردت على لسان قائليها ، ومثل ذلك ما قرأناه عن المزمور ٢٢ من أن كل الاقوال التى وردت فيه لم يتم منها فى داود قائلها شىء ولكن كل قول فيها تم كما يعتقد المسيحيون فى ذات مخلصهم الرب يسوع المسيح كما يقولون ، ومن ثم فهم يعتبرون هذا المزمور نبوءة صريحة عن آلام المسيح التى احتملها لاجل خلاص البشر فهنا أقوال وردت فى العهد القديم ، ولم ترد فى صورة اخبار عن الغيب أو المستقبل الا أن المسيحيين يعتبرونها رغم ذلك نبوءة لظروف معينة ، تتمثل فى أنها لم تقع لقائلها أو أمامه ، ثم وقعت بكل تفاصيلها بعد ذلك .

ولكن المسيحيين لم يكتفوا فى ابحاثهم بالتوسع فى معنى النبوءة على هذا النحو ، بل مضوا يتوسعون فى هذا السبيل حتى أصبح من المستحيل اسباغ معنى النبوءة على ما يستندون اليه من آيات ، واتجهوا فى توسعهم هـذا الى ما يسمى بالرمـــوز ، فاعتبروا بعض آيات ، بل العديد جدا من آيات العهد القديم ، رمزا الى ما وقع أو

كان فى العهد الجديد ، حتى أن الآيات من العهد القديم التى يستخلصون منها رموزاً الى العهد الجديد ، أصبحت أضعاف أضعاف تلك التى يستخلصون منها نبوءات عن العهد الجديد ، بل أنه قد أصبح من طرق دراسة الكتاب المقدس عند المسيحيين طريقة تسمى طريقة دراسة الكتاب المقدس عن طريق الرموز ، ولا شك أنه من المفيد التعرف على هذه الطريقة فى دراسة الكتاب المقدس عند المسيحيين ، لنتبين مدى ما يمكننا أن نأخذ به كمعيار فى بحثنا منها .

وفى هذا الصدد فانه يميننا كتاب عنوانه كيف تدرس الكتاب المقدس (تأليف الدكتور ر.ا. ترى وتعريب السيد/ مرقس فهمى فرج طبع مطبعة الأمانة بشارع جزيرة بدران رقم ٢ بشبرا ـ القاهرة) فهذا الكتاب يتحدث عن طريق دراسة الكتاب المقدس وشروطها ، ونقرأ فيه ابتداء من صفحة ٧٢ منه :

(رابع طريقة لدرس الكتاب المقدس نتناولها فى هذا البحث هى درسه عن طريق الرموز . ولنا أمثلة توضيحية لهذا فى الكتاب المقدس نفسه . كما فى الرسالة الى العبرانيين . وهذه الطريقة تجمع بين الجدة والتشويق ، من ناحية ، وبين التثقيف والتعليم من ناحية أخرى . فهى تكشف لنا عن أثمن الحقائق وأعلاها بعد اذ كانت دفينة تحت ركام طائفة من العبارات الكتابية التى بدت جافة خالية من المعنى . وإذا أسىء استعمال هذه الطريقة فى درس الكتاب المقدس، أو اذا أبهظت من فرط استعمالها ومن التطرف فيه ـ نعم ، اذا أسىء أو اذا أبهظ استعمال هذه الطريقة الى حد كبير فى بعض الأماكن ، فلا يمكن اتخاذ ذلك سببا تتذرع به لاهمالها اهمالا تاما ، خاصة عندما نذكر أن بولس لم ينفرد بايثار هذه الطريقة ، بل أن يسوع نفسه قد أولع بها أيضا .

وفيما يلى القواعد التى تجنبنا سوءات هذه الطريقة ، مادمنا حريصين على توخيها واتباعها ـ

(١) الخطوة الأولى : أن تتأكد من وجود مستند كتابى للرمز الذى اتخذته موضوعا لدراستك :

فاذا أطلق المرء لخياله العنان فى هذا الأمر ، استطاع أن يتخيل رموزا فى كل مكان ، حتى حيث لم يخطـــر على بال « المؤلف الالهى» ولا الـكاتب البشرى أى قصد لأى معنى رمزى من هذه الناحية . فلا تقل قط أن هذا رمز الا اذا استطعت أن تشير الى عبارة صريحة معينـة وردت فى الـكتاب المقدس تحدد الحـق المرموز اليه تحديدا جليا .

(٢) الخطوة الثانية : تخير ابسط الرموز وأكثرها بيانا وصراحة :

ومن الأمثلة على ذلك الفصح . (قارن خروج ص ١٢ مع كـورنثوس الأولى ٥ : ١٧ ألخ) ، ورئيس الـكهنة ، وخيمة الاجتماع .

(٣) الخطوة الثالثة : أن تـكون على حذر تام من التمادى وراء الوهم والتطرف فى اعتصار المعنى :

فاذا لم يكبح المرء جماح مخيلته وأطلق لها العنان، فان من شأنها الجنوح بصاحبها اذا كان خصب الخيال سريعا الى تصور الرموز ورؤيتها. ولابد أن ترهف حساسيتنا ويهذب ذوقنا بالتدريب فى حرص وحذر وتدقيق .

(٤) الخطوة الرابعة · فى دراستك أى جزء من أجـزاء الوحى الذى قد تجـد فيه تلميحا رمزيا ، عليك أن ترجـع الى جميع الأماكن فى الـكتاب المقـدس التى ورد فيها ذكر هذا الرمز .

وأفضل مجموعة لهذه المراجع عن الـكتاب المقدس من هـذه الناحية تجـدها فى « خزانة المعرفة الـكتابية » .

(٥) الخطوة الخامسة : أن تدرس بعناية معنى أسماء الأعلام التى يطلقها الكتاب على الأشخاص والأماكن :

فانك واجد — فى أغلب الأحيان — أن لأسماء الأعلام الكتابية ايحاءات من المعانى غنية كل الغنى ، عميقة شديدة العمق : فمثلا كلمة « حبرون » تعنى « الانضمام معا » و « الاتحاد » و « الشركة » و « الصحبة » . ومن هنا ترى عمق ومعنى ما توحى به من المعانى ، اذا وضعنا ذلك نصب عيوننا ونحن ندرس ملابستها التاريخيــة . ويصدق هذا عندما نتناول بالدرس أسماء مدن الملجأ ، وكذلك الكثير جدا من أسماء الأعلام التى وردت بالكتاب . فهل من محض المصادفة أن يطلق اسم « بيت لحم » — ومعناه بيت الخبز — على المكان الذى ولد فيه « خبز الحياة » ؟) .

هذه هى طريقة دراسة الكتاب المقدس عن طريق الرموز ، وواضح أن هذه الطريقة هى نتيجة لما سبق أن قرأناه فى كتاب هل تنبأت التوراة عن المسيح من قول مؤلفه (ونحن المسيحيين لانهتم أين نفتح التوراه وكتب الانبياء لنجد الكلام عن المسيح ... الى آخر ذلك) ، ولعل فى قول شارح طريقــة دراسة الكتاب المقدس عن طريق الرموز من أن هذه الطريقة أسيء استعمالها وأبهظ الى حد كبير فى بعض الاماكن ، لعل فى ذلك ، ما يوضح تعليقنا على كلام مؤلف هل تنبأت التوراة عن المسيح بأن فيه مبالغة كبيرة ، ولاشك أن فى ذكر بعض الامثلة على كيفية استعمال هذه الطريقة ، ما يعين على تقييمها من حيث امكان اتخاذها معيارا للكشف عن الحقيقة فيما احتكمنا فيه الى العهد القديم .

ومن مثل ذلك ما نقرأه فى صفحة ٧٦ من كتاب رب المجد :

(النبوة — « هذه فريضة الفصح ... وعظما لاتكسروا منه » . (خر١٢ : ٤٣—٤٦)
الاتمام — « وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات

... لان هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه » « لان فصحنا أيضا قد ذبح لاجلنا » ... (يوحنا ١٩ : ٣٢ - ٣٦) و (١ كو ٥ : ٧) .

التعليق : هذه النبوة وأتمامها أوضحا لنا ان فى ذكر فريضة الفصح نبوة عن الفادى . وهذا ليس فكرنا بل فكر الروح القدس الذى ذكرلنا ان فى حوادث الصلب أتماما لما جاء فى فريضة الفصح . وبما ان الفداء لم يأت من جانب بشرى ولاملائكى بل أتى من الله ، وعليه فالمسيح هو الفادى . والفادى هو الله الذى تجسد لفدائنا .)

ومن ذلك أيضا ما نقرؤه فى صفحتى ١٢١ و ١٢٢ من كتاب المسيح فى جميع الكتب :

(**اسم صموئيل** : أن صموئيل رمز الى المسيح . اشكل فهم هذا الاسم على علماء اليهود الى عام ١٨٩٩ حينما التأم مؤتمر علماء اللغات الشرقية فى رومية . فقال أحدهم — وهو الاستاذ جسترو من فلادفيا — أن لفظة صم فى اللسان الاشورى المتقارب الى اللغة العبرانية تدل على معنى ولد ، وترجم كلمة صموئيل هكذا « ولد الله » . ان حنة امه من صميم قلبها قدمت ابنها البكر لله .

فصار صموئيل ولد الله من يوم ولدته أمه . وعدا ذلك فان الترنيمة التى سبحت الله بها عند ولادته كثيرة الشبه بترنيمة مريم أم يسوع . فالوالدتان رأتا نفس الرؤيا الا وهو خلاص مسيح الرب . قالت حنة « مخاصمو الرب ينكسرون . من السماء يرعد عليهم . الرب يدين أقاصى الأرض ويعطى عزا لملكه ويرفع قرن مسيحه » (١ صم ٢ : ١٠) . وقالت مريم : « صنع قوة بذراعه . شتت المستكبرين بفكر قلوبهم ... عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمة . كما كلم آباءنا . لابراهيم ونسله الى الأبد » (لوقا ١ : ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥) . وعليه فترنيمة حنه ، والاسم الذى سمت به ابنها يشيران كلاهما الى المسيح . وحنة هى الام الاولى التى شبهت ابنها بالمسيح .)

ومنه أيضا ما نقرأه فى صفحتى ٢٢٧ و ٢٢٨ من الكتاب نفسه :

(الفداء : تظهر حقيقة الفداء فى هذا السفر ـ سفر نشيد الأنشاد ـ مكنى عنها بالجمال ولكنه ليس جمال العروس بل جمال العريس معكوسا عليها ببهائه الساطع . فقالت « أنا سوداء وجميلة يابنات اورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان » اى سوداء كخيام عرب البادية المصنوعة من شعر الماعز ، وجميلة كاستار الهيكل . فمن اين أتاها هذا الجمال وهى سوداء ، فاجيب : القاه عليها عريسها . وعلى ذلك قوله تعالى مخاطبا شعبه المختار « خرج لك اسم فى الامم لجمالك لانه كان كاملا ببهائى الذى جعلته عليك » . برنا الذاتى هو فى الحقيقة كخرقة بالية لاتزين ولاتستر ، ولكنا لبسنا رداء بره الكامل .

يقول الحبيب خطابا لعروسه « ياحمامتى فى محاجئ الصخر » اى مستترة فى معقل « صخر الدهور » . « مع المسيح صلبت » فمت عن العالم . فاكد لها مكررا « انت جميلة » ها انت جميلة يا حبيبتى « لادنس فيك » . « احب المسيح ايضا الكنيسة واسلم نفسه لاجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لادنس فيها ولاغضن او شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب » (١ ف ٥ : ٢٥ ـ ٢٧) . ( )

واذا أمعنا النظر فى هذه الأمثلة الثلاثة لدراسة الكتاب المقدس بطريقة دراسة الرموز لوجدنا أنها لامكان لها فى بحثنا هذا ، فمثلا ، فى المثال الأول اعتبرت الآيات « هذه فريضة الفصح . . . وعظما لاتكسروا منه » ، رمزا لعدم كسر ساقى المسيح على الصليب ، ولقد اعتبرها البشير يوحنا فى انجيله نبوءة بذلك ، فاذا مارجعنا الى الآيات التى وردت فيها هاتان الآيتان نجدها تقول :

﴿ وقال الرب لموسى وهرون هذه فريضة الفصح . كل ابن غريب لايأكل منه .

ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختته ثم يأكل منه . النزيل والأجير لا يأكلان منه وفى بيت واحد يؤكل . لا تخرج من اللحم من البيت الى خارج . وعظما لا تكسروا منه . ﴾ (خروج ص١٢ : ٤٢ – ٤٦) .

ويبدو من الصعوبة بمكان فهم كون الآيتين (هذه فريضة الفصح .. وعظما لا تكسروا منه) ليس مجرد رمز ، بل نبوءة عن عدم كسر ساقى المسيح على الصليب ، ولكن المسيحيين معذورون أن يعتبروا هاتين الآيتين نبوءة عن ذلك لأن الأنجيل نفسه اعتبرها كذلك ، انما ، وبالرغم من ذلك ، فانه من المستحيل اتخاذ مثل هذه الطريقة سبيلا للكشف عن الحقيقة فيما يختلف فيه ، واذا راجعنا المثالين الآخرين لتأكد لنا ذلك ، ولسنا نقصد هنا أن نتعرض لهذه الطريقة فى دراسة الكتاب المقدس بالنقد فى حد ذاتها ، لانها معتبرة عند المسيحيين ، وانما كل ما نقصده أنها ، لا تقوم على معيار محدد يمكن البحث على أساسه ، وانما يمكن لكل شخص أن يستخرج على أساسها من الرموز ما يشاء ، بل اننا لا نغالى اذا قلنا أن أى قصة يمكن استخراج رموز لها من الكتاب المقدس على أساس هذه الطريقة ، مهما كان بعدها عن الكتاب المقدس نفسه ، أو حتى عن الدين عموما ، ولذلك ، فالذى يتصور لهذه الطريقة أن تفيد فيه ، هو افتراض ثبوت الحقيقه ابتداء على نحو معين ، ثم البحث عن الرموز التى تؤكد هذه الحقيقة المفترضة ابتداء ، وبذلك فان هذه الطريقة لا تفيد فى الكشف عن الحقيقة ، وانما قد تفيد بعد الكشف عنها ولذا كان ما قلناه من انها لا مكان لها فى بحثنا هذا ، لأننا قد انتهينا من قبل الى أنه لا يجوز افتراض الحقيقة على نحو معين ابتداء ، وانما ينبغى أن نبحث عنها بين الفرضين موضوع البحث فى هذا الباب ، دون افتراض صحة أى منها مقدما .

وهكذا ، فانه لا يبقى صالحا كمعيار للكشف عن الحقيقة ، من النبوءات التى

يمكن استخلاصها من العهد القديم سوى نوعين ، أولهما هو النبوءة الصريحة التي ترد بمعنى الاخبار عن الغيب أو المستقبل ، وهذه بلا جدال أقواها درجة وأجـــدرها بالاعتبار ، وثانيها تلك الاقوال التي تصف أمورا معينة كأنها تحدث لقائليهـا أو تقع أمام أبصارهم بينما لم تقع هذه الامور لقائليها ولم تـكن أما أبصارهم في الواقع ثم تقع بعد ذلك تماما كما وردت على ألسنتهم ، وهذه يمكن اعتبارها نبوءة بالقياس على النبوءة الصريحة، مع أعتبارها وتقديرها كتالية في القوة والأهمية للنبوءة الصريحة ويلاحظ أن منها ما قد تكون فيه اشارة الى المستقبل أيضا ، ولـكن تبدو وكأنها خاصة بنفس المتكلم ، بينما الواقع أنها ليست خاصة به ، ولعل هذه حقيقة بأن تعتبر أعلا درجة من النبوءة بالقياس في التفصيل السابق وأدنى درجة من النبوءة الصريحة فيه.

على أنه قد يقال بالنسبة لهذه الآيات التي رأينا اعتبارها نبوءات بالقياس على النبوءات الصريحة ، أنها لا يصح أن تعتبر نبوءات لا صريحة ولا بالقياس ما دامت لا تتضمن ما يفيد كونها نبوءات ، الا أنه ينبغي ألا يغيب عن اعتبـــارنا أن هـذه الآيات موحى بها من الله ، ولا معنى لأن يوحي الله بأمور وحوادث لم تـكن في في الواقع الا أن يقصد بذلك أمرا معينا ، وليس ثمة ما يمنع أن يـكون التنبـؤ هو هذا القصد وان لم تشر اليه الآيات صراحة ، ويتأكد هـذا القصد بوقـــوع تلك الحوادث في المستقبل بالفعل ، ولا يكون لذلك ثمة ما يمنع من اعتبارها نبوءة لهذا النبي وقع في المستقبل .

وفي تطبيقنا لما تقدم ، قد نقول أن آية معينة ترمز الى واقعة معينة ، وذلك في مجال مطابقتنا سواء لنبوءة صريحة أو لنبوءة بالقياس على نحو ما فصلنـا فيما سبق ويجب ، عندئذ أن يكون حاضرا في الذهن ، أن القول بأن آية معينة ترمز الى واقعة معينة ، لا يعني أخذنا بطريقة الدراسة بطريق الرموز ، وانمـا المطابقة بين آيات

النبوءات وبين الوقائع التي تحقق هذه النبوءات ، قد تقتضي الربط بين الآية والواقعة بالقول بأن الآية ترمز للواقعة ، وذلك في حدود اعتبار الآية نبوءة صريحة أو نبوءة بالقياس على النبوءة الصريحة وفقا لما انتهينا اليه فيما سبق .

وبذلك ننتهي في هذا الفصل ، الى أن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون ، وتخليص الله له ورفعه اليه وصلب غيره بدلا منه كما يعتقد المسلمون ، يكون بالإحتكام الى الكتب السماوية السابقة على المسيح عليه السلام ، بالاحتكام الى ما فيها من نبوءات ، وبصفة خاصة بالإحتكام الى ما ورد في سفر المزامير من نبوءات وهذه النبوءات إما أن تكون صريحة بحيث ترد بمعنى الاخبار عن الغيب أو المستقبل وإما يمكن اعتبارها نبوءات قياسا على النبوءات الصريحة لأنها تصف أمورا معينة كأنها تحدث لقائليها أو تقع أمام أبصارهم ، بينما لم تقع هذه الامور لقائليها أو أمام أبصارهم ، ثم تقع هذه الأمور بعد ذلك كما وردت على لسان قائليها ، فيعتبر قولهم عنها بمثابة تنبؤ بها ، ولا نفوت الاشارة هنا ، الى أن هذه الأمور التي نعتبرها وقعت بالفعل في العهد الجديد ونبحث عن ذكرها بتفاصيلها كما وقعت في سفر المزامير ، هي الصورة التفصيلية التي استخلصناها من الاناجيل لصلب المسيح عليه السلام كما يعتقد المسيحيون ، ونفس الصورة التي استخلصناها من الأناجيل أيضا لتخليص الله للمسيح عليه السلام والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه كما يعتقد المسلمون ، وكما سبق فالصورتان متطابقتان فيما عدا الخلاف حول شخص من قبض عليه وحوكم وصلب ، فيعتقد المسلمون أنه يهوذا بعد أن خلص الله المسيح وتوفاه ورفعه اليه عند محاولة القبض عليه ، بينما يؤمن المسيحيون أنه المسيح نفسه عليه السلام .

الفصل الثالث

الاحتكام الى ما فى المزامير من نبوءات للكشف عن الحقيقة بين صلب المسيح وتخليص الله له ورفعه اليه وصلب غيره

ويقتضى البحث فى هذا الفصل تقسيمه الى مبحثين ، الأول، يكون عن النبوءات فى المزامير ، ونتناول فيه المزامير وما فيها من نبوءات ونطابقها على كلا الفرضين موضوع البحث ، ومن جمـــاع ما ننتهى اليه فى هذا الشأن ، نقيم للبحث الثانى . و نتناول فيه الحقيقة فى المزامير .

المبحث الأول

النبوءات فى المزامير

فى بحثنا عن النبوءات فى المزامير ، لاشك أننا سنقصر بحثنا على ما فى المزامير من نبوءات عن صلب المسيح عليه السلام أو تخليص الله له وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه بعد القبض عليه ومحاكمته ، لأن هذه النبوءات هى التى تتعلق بموضـــوع البحث فى هذا الباب ، أما غير ذلك من النبوءات التى قد تكون فى المزامير ، فلا محل للتعرض لها ، وطبيعى أن ذلك سيقتضى منا أن نتنـــاول بعض المزامير دون البعض الآخر، ولذا يجب أن يكون مفهوما أن ذلك ليس لشىء ، إلا لأن هذا البعض الآخر ليس فيه من النبوءات ما يتعلق بموضوع البحث ، ولعله يكون من المفيد للقـــارىء ، زيادة فى تأكيد ثقته واطمئنانه ، أن يكون معه وهو يطالع هـــذا الفصل الـكتاب المقدس أو سفر المزامير بالذات ، ليراجع ما ننقله من مزامير .

ولنتناول الآن المزامير التى تحوى نبوءات تتعلق بموضوع البحث ، باحثين فى كل مزمور على حدة ، وذلك بحسب ترتيب المزامير فى سفرها .

المزمور الثاني :

﴿ لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على على الرب وعلى مسيحه قائلين. لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما.

الساكن فى السماوات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه ﴾ (١ – ٥) .

ونقرأ عن الآيات الثلاثة الأولى من هذا المزمور فى كتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته (للدكتور هانى رزق – الطبعة الثانية – ص ٤٦) تحت عنوان (تنبؤ داود النبي ١٠٥٦ ق.م بتآمر رؤساء الشعب على يسوع المسيح لبهلكوه :) وبعد أن أورد نص هذه الآيات قال :

(وقد تحققت هذه النبوءة فى أحداث العهد الجديد .

ان هذه النبوءة تشير الى تآمر وقيام ملوك ورؤساء الشعب على يسوع المسيح لقتله وقطعه من الشعب ، وهذا ما تحقق فى أحداث العهد الجديد فى فترتين من زمان وجود يسوع المسيح له المجد فى العالم :

(١) الفترة الأولى تآمر هيرودس الملك لقتل يسوع المسيح وهو طفل . . .

(٢) الفترة الثانية تآمر رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب لصلب يسوع المسيح .)

وعن نفس المزمور أيضا نقرأ فى كتاب دراسات فى سفر المزامير من سلسلة تأمل معى للسيد فخرى عطية فى صفحة ٦١ منه :

(التطبيق النبوى : هذا المزمور من أشهر المزامير الخاصة بالمسيا ، وفيه نجد مشيورات الله من نحو مسيحه ، الذى وان كانت الأرض ترفضه فان السماء تعترف به وتقبله . وان كنا نقرأ فى أع ٤ : ٢٥ – ٢٨ ان هيرودس وبيلاطس البنطى مع اسرائيل فى اتحاد متآمر مؤلف من اليهود والأمم ضد سيدنا ، فسيأتى وقت تتم فيه نبوءة هذا المزمور فى نطاق أوسع ، وذلك فى آخر الأيام .)

ونقرأ فى صفحة ٦٦ من نفس الكتاب تعليقا على الآيات من ٤ ــ ٦ :

(زعموا أنهم يستطيعون اتمام مؤامرتهم، ولكن الرب (الساكن فى السماوات) و (سيد الارض كلها) أعظم مما لا يقاس من جهودهم الباطلة، فيضحك مستهزئا من الحلم الباطل الذى يراودهم : حلم الاستقلال والتحدى . وفى الوقت المعين سوف يكلمهم بسخطه ويرجفهم ، يروعهم ويزعجهم بغيظه، كما أزعج عسكر المصريين قديما وأبطل تدابيرهم (خر ١٤ : ٢٤) . وهذا القول يشير الى وقت النهاية . . .)

ونقرأ فى ص١٨ من كتاب من وحى القيثارة للسيد/حبيب سعيد عن هذا المزمور :

(وقد اعتبر المسيحيون هذا المزمور نبوة عن المسيح ورمزا اليه . . .)

وفى كتاب مسيا ــ عمله الفدائى للدكتور ديفل ل. كوبر (ترجمة القس ابراهيم سعيد وصدر من مطبعة النيل المسيحية سنة ١٩٤٠) نقرأ فى ص ٣٣ :

(وفى المزمور الثانى بنوع خاص ، نبوة قوية صريحة : ــ فى الثلاثة الاعداد الاولى من هذا المزمور (١ ــ ٣) نرى رؤساء الارض وملوكها متآمرين معا على الرب وعلى مسيحه . وفى الثلاثة الاعداد التى تليها (٤ ــ ٦) نرى الرب فى السماء مراقبا حركاتهم ساخرا منهم ومن مؤامرتهم .)

وفى كتاب الصليب فى جميع الاديان للسيد / يسى منصور ــ الطبعه الثالثة ــ نقرأ فى ص ١٣ :

(والى جانب هذا نجد مزمور ٢ يتنبأ عن اضطهاد هيرودس وبيلاطس له . . « يقصد المسيح »)

هذا المزمور اذن ، وباجماع المسيحيين ، يشير الى المؤامرة على المسيح عليه السلام لقتله ، وفى هذا فلا خلاف بين المسلمين والمسيحيين ، ولكن ، ما قولنا فيما اختلف فيه ، هل ينجحون فى مؤامرتهم ، أم تحبط هذه المؤامرة ، هل يتمكنون منه ويصلبوه ، أم يخلصه الله ويرفعه اليه ، ان (الساكن فى السماوات يضحك . الرب .

يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . ﴾ . لماذا أيها العلي القدير الساكن في السماوات تضحك ، لـــماذا جلت قدرتك أنت بهم مستهزىء ، أأنت ممكنهم من مؤامراتهم ، أأنت مسلمهم مسيحك ليصلبوه ، فقيم إذن ضحكك والهزء بهم ، وفيم قول السيد/ فخرى عطية (زعموا أنهم يستطيعون إتمام مؤامرتهم) ، أليس هذا التفسير منه تقيا لزعمهم ذلك . هل يكون ضحك الساكن في السماوات وهزءه بالمتآمرين إلا أن يكون غير ممكنهم من إتمام مؤامرتهم كما يكاد أن ينطق السيد / فخرى عطية ، أى النتيجتين يمكن أن نستخلصها من الآيات الأخيرة ، أن الله سيمكن أعداء المسيح منه ، أم أنه سيخلصه ، بالقطع لن يمكنهم منه .

وبالرغم من ذلك ، وأخذا بما قيدنا به أنفسنا في الفصل السابق ، فاننـــا اذا استخلصنا من هذا المزمور نبوءة صريحة عن التآمر على المسيح عليه السلام لقتله ، فاننا لانستطيع أن نقول أنه يحوى في نفس الوقت نبوءة صريحة عن تخليصه ، وانما نقول فقط أن هذا هو ما قد يمكن استنتاجه من باقي المزمور ، وفي القليل ، فان المستحيل القول بأن هذا المزمور ينبىء عن نجاح المتآمرين على المسيح ، فان العكس وحده هو ما يمكن استخلاصه منه ، أى تخليصه وليس صلبه .

المزمور الثالث : (مزمور لداود حينما هرب من وجه أبشالوم ابنه) .

﴿ يارب ما أكثر مضايقى . كثيرون قائمون على . كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بالهه . سلاه . أما أنت يارب فترس لى . مجدى ورافع رأسى . بصوتى الى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه . سلاه .

أنا اضطجعت ونمت استيقظت لأن الرب يعضدنى . لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفين على من حولى . قم يارب . خلصنى يا الهى . لأنك ضربت كل أعدائى على الفك . هشمت أسنان الأشرار . للرب الخلاص . على شعبك بركتك . سلاه . ﴾

وعن هذا المزمور نقرأ في كتاب دراسات في سفر المزامير ص ٧٦ :

(التطبيق النبـــوى : إن جانبا من اختبارات داود يرمز ـ بدرجة ما ـ الى اختبارات مسيا .)

وهذا المزمور كما يبين من نصه كاملا ، يعطينا صورة مماثلة للحظة محاولة القبض على المسيح عليه السلام ، وذلك مايتضح من عبارات « كثيرون قائمون على . . » و « كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بالهـه . » و « . . . ربوات الشعوب المصطفين على من حولى . » ، والعبارة الأخـيرة تعطى صورة لنفس لحظة محاولة القبض على المسيح ، وقبل هذه اللحظة ، رأينا المسيح فى الأناجيل يدعو الله أن يعبر عنه كأس الصلب ، أليس الى هذا يشير المزمور بقوله « بصوتى الى الرب أصرخ . . . » ، فماذ يفعل الرب فى صلاته ودعائه ، ان المزمور يستطرد مؤكدا « فيجيبنى من جبل قدسه . » ، ويوضح المزمور بعد ذلك هذا الدعاء الذى دعاه بقـوله « قم يارب . خلصنى . » ، أليس هذا هو دعاء المسيح بتخليصه من الصلب ، فماذا الله فاعل بأعدائه ، نقرأ « لأنك ضربت كل اعدائى على الفك . » ، وهكذا نجد أن المزمور يشير صراحة الى صلاة المسيح ودعائه الى الله ان يخلصه من الصلب ، ويؤكد أن الرب مستجيبة ، بل ويضرب أعداءه .

المزمور الرابع : (لامام المغنين على ذوات الاوتار . مزمور لداود).

(عند دعائى استجب لى يا اله برى . فى الضيق رحبت لى . تراءف على واسمع صلاتى . يابنى البشر حتى متى يـكون مجدى عارا . حتى متى تحبون الباطل وتبغون الكذب . سلاه . فاعلموا أن الرب قد ميز تقيه . الرب يسمع عندما أدعوه .) (١ ـ ٣)

وعن هذا المزمور نقرأ فى كتاب دراسات فى سفر المزامير ص ٨٥ :

(وكم تصدق هذه الأقوال على مسيح الله الحقيقى ، ربنـا يسوع المسيح ، فان تصرف الـكتبة والفريسيين وعامة الشعب من ورائهم برهن على أنهم أحبوا الباطل وابتغوا الـكذب اذ ساروا وراء عناد قلوبهم فى مقاومة مسيح الله ، ملـكهم الحقيقى

المعين من الله .والاصحاح الثامن من انجيل يوحنا يـكشف عن هذه الحقيقة ، وهى محاولة الحط من كرامته وانـكار مجده الشخصى كابن الله وملكهم .وهو نداء أيضا لجميع الناس أن يعتبروا مجد الابن المبارك ويقبلوه فاديا ومخلصا لهم .

وكم يلزم أن نشـكر الله لأجل النعمة الغنية التى عرفتنا بابن الله وكشفت لنا عن أمجاده .وبينما الناس يرون فى مجـسده عارا ، نرى نحن فى عاره مجدا لايفوقة مجد ، حاسبين «عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر» (عب ١١:٢٦) .٠٠٠

والان ، فلنتأمل الزمور ،انه يبدأ «عند دعائى استجب لى ياالله برى .» ، فنفهم منه أن داود يطلب من الله أن يستجيب له عندما سيدعوه ، وينصرف هذا القول الى أن الدعاء سيكون فى زمن مستقبل . إلا أنه رغم ذلك يمضى فيقول « فاعلموا ٠ ٠ » ، وهو هنا إذن يخبر بخبر ، ماهو ، «أن الرب ميز تقيه .» ، ثم يزيد ما أراد إيضاحه فيستطرد قائلا « الرب يسمع عندما أدعوه ٠ » ، وإذ نعلم من أول الزمور أنه إنما يتحدث عن زمن مستقبل ، ولـكنه يصل إلى الاعلام بخبر بشأنه ، نفهم من هذا قصد التنبؤ صراحة بما تضمنه المزمور ، فهو تنبأ ، بأن «الرب قد ميز تقيه » والرب سيسمع عندما يدعوه ، وإذا كانت هذه الأقوال تصدق على المسيح كما يرى السيد / فخرى عطية فى دراساته فى سفر الزامير فـكيف هى تصدق ؟

« عند دعائى استجب لى يا إله برى . » ، ونعلم بمـا دعا المسيح قبل محاولة القبض عليه لصلبه ، أن يعبر عنه هذه الكأس ، «فى الضيق ٠٠» ، أليس هو هذه الـكأس ، « رحبت لى . تراءف على واسمع صلاتى . » ، تضرع إلى الله أن يسمع صلاته ، ليستجيب دعاءه بالطبع ، فمـاذا الرب فاعل فى هذه الصلاة وذلك الدعاء «فاعلموا أن الرب قد ميز تقيه. الرب يسمع عندما أدعوه ٠» ، إذن الرب سيميزه، بل يجب أن يعلم الجميع ذلك ، والرب يسمع عندما يدعوه ، فـكيف ، بصلبه ، أم بتخليصه ، الدعاء بتخليصه ، إذن استجابته أيضا بتخليصه ، وإذا كان الله قد خلصه

ورفعه اليه ، فهل بعد هذا يكون مجد ، ومع ذلك يصرون أنه قد صلب ، ويرفضون القبول بتخليص الله له ، أليس تخليصه هو المجد الذى يرفضونه له والذى يجعلون منه عارا بالقول بصلبه أليس الصلب هنا دون تخليص المسيح هو الباطل والكذب الذى يحبونه، هل لغير هذا يمكن أن نفهم صيحة داود عليه السلام « يابنى البشر حتى متى يكون مجدى عارا حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب . » ، أليس ردا على هذا يصرخ جازما فيقول « فاعلموا أن الرب قد ميز تقيه . الرب يسمع عندما أدعوه . » ، هل يحتمل هذا الكلام إلا معنى واحدا أن الباطل والكذب الذى يحبونه ويبتغونه ، والمجد الذى جعلوه عارا ، ظنهم أن الرب لم يميز تقيه ، وتمسكهم بأنه لم يسمع منه عندما دعاه ، حقا ما أصدق ما قاله السيد/ فخرى عطية (كم تصدق هذه الأقوال على مسيح الله الحقيق) ، ومع أن المزمور يتحدث صراحة عن المجد الذى جعلوه عارا ، يعكس السيد / فخرى عطيه الوضع فيرى فى هذا العار مجدا ويرى فى هذا الكفاية ليستقيم المزمور ، إنما العار مرفوض أصلا فى المزمور ، والمجد متمثلا فى إن الرب قد ميز تقيه وسمع عندما دعاه هو ما يريد المزمور ويرفض عكسه ، أما التمسك رغم ذلك بأن الله لم يستجب للمسيح عندما دعاه ليخلصه من الصلب ، وصلبه رغم ذلك ، واعتبار هذا المسار فى حد ذاته مجدا فذاك عكس لكل ما يصرخ به داود وينبىء به فى مزموره .

المزمور الخامس : (لامام المغنين على ذوات النفخ . مزمور لداود) .

(لكلماتى اصغ يارب . تأمل صراخى . استمع لصوت دعائى ياملكى والهى لأنى اليك أصلى . يارب بالغداة تسمع صوتى . بالغداة أوجه صلاتى نحوك وانتظر .

لأنك أنت لست إلها يسر بالشر . لايساكنك الشرير . لايقف المفتخرون قدام عينيك . أبغضت كل فاعلى الاثم . تهلك المتكلمين بالكذب . رجل الدماء والغش يكرهه الرب . أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك . أسجد فى هيكل قدسك بخوفك .

يارب اهدنى إلى برك بسبب أعدائى . سهل قدامى طريقك . لأنه ليس فى أفواههم

صدق . جوفهم هوة . حلقهم قبر مفتوح . ألسنتهم صقلوها . أدنهم يا الله . ليسقطوا من مؤامرتهم بكثرة ذنوبهم طوح بهم لأنهم تمردوا عليك .

ويفرح جميع المتكلين عليك . إلى الأبد يهتفون وتظللهم . ويبتهج بك محبو اسمك . لأنك أنت تبارك الصديق يارب . كأنه بترس تحيطه بالرضا . »

وعلى أن المزمور يبدأ بالدعاء إلى الله أن يصغى لكلماته ويتأمل صراخه ويستمع لصوت دعائه لأنه اليه يصلى ، فإنه يستطرد بعد ذلك موضحا أن هذا سيكون فى المستقبل ، حيث يقول بعد ذلك مباشرة أنه بالغداة يسمع الله صوته ويوجه اليه صلاته وينتظر ، فنفهم من ذلك قصد التنبؤ بالمستقبل من المزمور ، ولقد رأينا صلاة المسيح عليه السلام ودعاءه لله أن يخلصه من الصلب قبل أن يأتى يهوذا ومن معه للقبض عليه ، ثم يمضى المزمور بعد ذلك فيشرح كيف أن هذه الصلاة وهذا الدعاء حقيقان بأن يستجيب الله لهما ، مبررا ذلك بأن الله ليس إلها يسر بالشر ، والشر هنا فى القبض على المسيح وصلبه والتآمر عليه ، إذ لا يمكن أن يكون هذا إلا شرا ، ولا يقف المفتخرون أمام عينيه ، فهو قد أبغض كل فاعلى الاثم كما يهلك المتكلمين بالكذب ويكره رجل الدماء والغش ، أما هو ، أى المسيح ، فبكثرة مراحم الله يدخل بيته ، ويسجد فى هيكل قدسه بخوفه .

ثم يدعو الداعى فى المزمور الله أن يهديه إلى بره ، وأن يسهل أمامه طريقه ، لأن أعداءه ليس فى أفواههم صدق ، أليس لأنهم يظلمون المسيح إذ يتآمرون عليه وجوفهم هوة وقلبهم قبر مفتوح ، ألا يعنى ذلك أن القصد من التآمر هو قتله ، وهنا يطلب من الله أن يسقطهم من مؤامرتهم ، أى أن يجعلها تبوء بالفشل ، وأن يطوح بهم لذنوبهم ، وفشل المؤامرة هنا لا يكون إلا بتخليص المسيح وليس بصلبه ، ويستطرد المزمور مؤكدا ذلك فيقول « لأنك أنت تبارك الصديق يارب . كأنه بترس تحيطه

بالرضا » فهل الصديق غير المسيح، وهل تكون مباركة الله له بتخليصه من الصلب أم بصلبه ؟ من غير شك أنها بتخليصه من الصلب .

المزمور السادس: (لامام المغنين على ذوات الأوتار على القرار . مزمور لداود).

﴿ يارب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بغيظك . ارحمني يارب لأني ضعيف . أشفني يارب لأن عظامي قد رجفت . ونفسي قد ارتاعت جدا . وأنت يارب فحتى متى .

عد يارب . نج نفسي . خلصني من أجل رحمتك . لأنه ليس في الموت ذكرك . ﴾ (١ – ٥)

﴿ أبعدوا عني ياجميع فاعلي الاثم . لأن الرب قد سمع صوت بكائي . سمع الرب تضرعي . الرب يقبل صلاتي . جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جدا . يعودون ويخزون بغتة . ﴾ (٨ – ١٠)

ومثل المزمور السابق ، إذ يبدأ هذا المزمور بالدعاء إلى الله على لسان الداعي أن يرحمه وينجي نفسه ويخلصه ، فانه يؤكد أن هذا الدعاء حقيق باستجابته ، وبأن الداعي إنما يدعو بتخليصه من الموت بقوله « لأنه ليس في الموت ذكرك » ، وكالمزمور السابق أيضا ، يستطرد هذا المزمور فيؤكد أن الله قد سمع صوت بكائه ، سمع تضرعه ويقبل صلاته ، فنفهم من ذلك أنه قصد التنبؤ بهذه الاستجابة ، وإذا عرفنا أن المسيح نفسه عليه السلام قد استعار آية من هذا المزمور حين ورد على لسانه في أنجيل متى « اذهبوا عني يافاعلي الاثم » . (ص ٧ : ٢٣) ، فاننا نستطيع إزاء ذلك أن نعتبر هذا المزمور نبوءة عن المسيح عليه السلام ، وعلى هذا نفهم مابدأ به المزمور من دعاء إلى الله أن ينجيه ، ونفهم أيضا مايعنيه قوله لله أنه ليس في الموت ذكره ، فهو يدعو الله أن يخلصه من الصلب ويؤكد دعاءه بأنه ليس في صلبه ذكر الله ، وينتهي المزمور بعد ذلك مؤكدا استجابة الله لدعائه وبالتالي تخليصه من الصلب ، أما أعداؤه فيخزون ويرتاعون جدا يعودون ويخزون بغتة ، فلماذا بغتة ، ولماذا يخزون ، إلا أن يخلص الله مسيحه بغتة من بين أيديهم .

المزمور السابع : (شجوية لداود غناها الرب بسبب كلام كوش البنياميني)

﴿يارب إلهي عليك توكلت . خلصني من كل الذين يطردونني ونجني . لئلا يفترس كاسد نفسي هاشماً إياها ولا منقذ .

يارب إلهي إن كنت قد فعلت هذا إن وجد ظلم في يدي . إن كافأت مسالمي شرا وسلبت مضايقي بلا سبب . فليطارد عدو نفسي وليدركها وليدس إلى الأرض حياتي وليحط إلى التراب مجدي . سلاه .

قم يارب بغضبك ارتفع على سخط مضايقي وانتبه لي . بالحق أوصيت . ومجمع القبائل يحيط بك فعد فوقها إلى العلى . الرب يدين الشعوب . اقض لي يارب كحقي ومثل كمالي الذى في . لينته شر الأشرار وثبت الصديق . فان فاحص القلوب والكلى الله البار . ترسي عند الله مخلص مستقيمي القلوب .

الله قاض عادل واله يسخط في كل يوم . إن لم يرجع يحدد سيفه . مد قوسها وهيأها . وسدد نحوه آلة الموت . يجعل سهامه ملتهبة .

هوذا يمخض بالاثم . حمل تعبا وولد كذبا . كرا جبا . حفره فسقط في الهوة التي صنع . يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه . احمد الرب حسب بره . وأرنم لاسم الرب العلي .﴾

وفي التعليق على هذا المزمور نقرأ في كتاب دراسات في سفر المزامير في صفحة ١١٨ منه :

(التطبيق النبوي : واضح أنه من مزامير البقية ، إذ يشير إلى زمن ضد المسيح وفيه نسمع صوت البقية . ومرة أخرى نجد روح المسيح ينطق على فم داود بالأقوال التي تعبر عن مشاعر تلك البقية المتألمة في أيام الضيقة العظيمة .)

والمزمور يبدأ بالدعاء على لسان الداعي ، والدعاء لأمر مستقبل وينتهي بما يفهم منه استجابة الدعاء فنفهم من ذلك قصد التنبؤ بهذه الاستجابة ، وهذا المزمور حقيق

بالكثير من التأمل والاعتبار ، ذلك ان الداعي اذ يتوكل على الرب ويسأله أن يخلصه من كل الذين يطردونه وينجيه ، يماثل دعاء المسيح عليه السلام الى الله أن يخلصه وينجيه ، ثم هو يؤكد أن هذا الدعاء حقيق بأن يستجاب بسؤاله الله أن يمكن العدو منه فيدس الى الأرض حياته ويحط الى التراب مجده ان وجد ظلم في يده وحاشى لله أن يكون في يد المسيح ظلم .

ولذا يمضي المزمور فيدعو الله أن يرتفع على سخط مضايقه ويتنبه له ، وكأنه هنا في اللحظة التي أحاطوا فيها بالمسيح ليقبضوا عليه ، ولذا يسأل الله أن يتنبه له ، ويؤكد المزمور بعد ذلك أن الله سيخلصه ، بل ويصف كيفية تخليصه له فيقول (ومجمع القبائل يحيط بك) مشيرا بذلك الى من أحاطوا بالمسيح للقبض عليه (وواضح هنا من كلمة «بك» أن المقصود بالمزمور غير المتكلم فيه) ، ثم يضيف «فعد فوقها الى العلى» ، تأكيدا وتقريرا بأن تخليصه سيكون برفعه الى العلى ، والمزمور يستطرد بعد ذلك على لسان الداعي ، وهو هنا يرمز الى المسيح كما قلنا فيطلب من الله أن يقضي له كحقه ومثل كماله الذي فيه ، وحقا ، ان تخليص المسيح ورفعه الى العلى لهو قضاء له كحقه ومثل كماله الذي فيه ، ومن ، من الله ، وهو كما يقول المزمور «الله قاض عادل» ويمضي المزمور طالبا أن ينتهي شر الأشرار وأن يثبت الصديق ، وهل يكون ذلك بصلب المسيح أم بتخليصه ، لاشك بتخليصه وهو ما يؤكده المزمور بقوله عن الله أنه مخلص مستقيمي القلوب ، وهل هناك أكثر استقامة من قلب المسيح عليه السلام .

«الله قاض عادل» ، يقول المزمور ، ثم يشير الى هذا الذي تآمر على المسيح فيقول أنه «مد قوسه وهيأها . وسدد نحوه آلة الموت . يجعل سهامه ملتهبة» ، وذلك يرمز الى تمام الخيانة ووصول يهوذا ومن معه الى المسيح حتى يهموا بالقبض عليه ، وهنا تلزم من المزمور وقفة ، أمر جلل سيكون «هوذا يمخض بالاثم .

حمل تعبا وولد كذبا كرا جبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع . يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه.» ، ما هذا ؟ ما الذى تقوله الآيات ، ما تفسيرها ، الا أن نفس الحفرة التى حفرها يهوذا الخائن للمسيح عليه السلام ، حين أتى اليه بالخدام والجند ليقبضوا عليه ويحاكم بعد ذلك ويصلب ، نفس هذه الحفرة وقع هو فيها ، من قبل عاد المسيح الى العلى، أما هو فبقى ليجرع الكأس التى أعدها لسيده فرجع تعبه على رأسه وعلى هامتة هبط ظلمه ، أما المسيح الكريم ، وقد خلصه الله ومجمع القبائل يحيط به ، فعاد الى العلى، بينما سقط يهوذا فى الهوة التى صنع ، للمسيح حينئذ يحمد الرب حسب بره ويرنم لاسم الرب العلى ، وهكذا ينتهى المزمور .

نبوءة صريحة واضحة قاطعة ، تلك التى نجدها اذن فى المزمور السابع،أولها عن دعاء المسيح لله أن يخلصه ، ويؤكد أن هذا الدعاء حقيق باستجابته ، ثم هو يؤكد هذه الاستجابة ويصف تخليص الله للمسيح بأنه يعود فوقها الى العلى ، كما يعرفنا بأن من سيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا من المسيح عليه السلام هو يهوذا الاسخريوطى اذ بهذا يتحقق ما انتهى اليه المزمور من أن من حفر الحفرة للمسيح وقع فيها فرجع تعبه على رأسه وعلى هامته هبط ظلمه .

وهكذا ، فان هذا المزمور والمزامير السابقة ، تطابق الفرض الذى يؤمن به المسلمون من تخليص الله المسيح ورفعه اليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه .

المزمور التاسع : (لإمام المغنين . على موت الابن . مزمور لداود)

«أحمد الرب بكل قلبي . أحدث بجميع عجائبك . أفرح وأبتهج بك . أرنم لاسمك أيها العلى . عند رجوع أعدائى الى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك . لأنك أقمت حقى ودعواى . جلست على الكرسى قاضيا عادلا . انتهرت الأمم . أهلكت الشرير . محوت اسمهم الى الدهر والأبد . العدو تم خرابه الى الابد . وهدمت مدنا . باد ذكره نفسه . أما الرب فالى الدهر يجلس . ثبت للقضاء

كرسيه . وهو يقضى للمسكونه بالعدل . يدين الشعوب بالاستقامة . ويكون الرب ملجأ للمنسحق . ملجأ فى أزمنة الضيق . ويتكل عليك العارفون اسمك . لأنك لم تترك طالبيك يارب﴾ . (١ – ١٠)

والمزمور يبدأ بحمد الله وبالحديث بجميع عجائبه ، وانها حقا لتكون من عجائب الله أن يرفع المسيح اليه ، ويمضى المزمور فيبين الفرح بالله والترنم لاسمه وكأنما يريد أن يوضح السبب فى هذا فيقول بعد ذلك أنه عند رجوع أعدائه الى خلف يسقطون ، وقد قرأنا فى انجيل يوحنا أن من أتوا للقبض على المسيح رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، ويستطرد المزمور فيوضح ما كان بعد ذلك بقوله أن الله أهلك الشرير ، فمن هو هذا الشرير الذى أهلكه ، هل يمكن أن يكون هو المسيح ، بالطبع مستحيل ، وإنه لحقا يهوذا الذى يمكن أن يلقب بالشرير ، وما دام أن الشرير هو من هلك ، فهو ليس المسيح اذن ، ويكون المسيح لذلك قد خلص ، وهذا ما يؤكده المزمور بعد ذلك بقوله عن الله أنه يقضى للمسكونة بالعدل والعدل حقا فى تخليص الله للمسيح وليس فى صلبه ، ويؤكد المزمور هذا المعنى بعد ذلك بقوله أن الرب يكون ملجأ للمنسحق فى يوم الضيق ، وتكشف لنا صلاة المسيح ودعائه لله فى الأناجيل أن يخلصه من الصلب كم هو منسحق عندئذ ، وهل زمن الضيق عنده الا هذا الزمن .

ثم يمضى المزمور ليؤكد ثانية كل ذلك بقوله :

﴿ ارحمنى يارب . أنظر مذلتى من مبغضى يا رافعى من أبواب الموت . لكى أحدث بكل تسابيحك فى أبواب ابنة صهيون مبتهجا بخلاصك .

تورطت الأمم فى الحفرة التى عملوها . فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم . معروف هو الرب . قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه . ضرب الأوتار . سلاه الأشرار يرجعون الى الهاوية . كل الأمم الناسين الله . لأنه لا ينسى المسكين الى

الأبد . رجاء البائسين لا يخيب الى الدهر . قم يا رب . لا يعتز الانسان . لتحاكم الأمم قدامك. يارب اجعل عليهم رعبا . ليعلم الأمم أنهم بشر. سلاه .»(١٣–٢٠)

والمزمور فى هذا الجزء منه يكاد أن يكون نبوءة صريحة كاملة عن تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه ، ذلك أن الدعاء لا يستقيم مع التقرير فى نفس الوقت باستجابته ، الا أن يكون قد قصد به التنبؤ ، وهذا الجزء من المزمور يبدأ بالدعاء الى الله ، رمزا الى دعاء المسيح لله أن يخلصه ، ثم يمضى وكأنه يرى كيفية استجابة الله لدعاء مسيحه فيصف ذلك بقوله « يارافعى من أبواب الموت » ، وفى ذلك أكبر تصريح عن كيفية تخليص الله للمسيح ، فانه يكون وكما قال المزمور برفعه ، وإنه لتعبير بليغ دقيق ، أن يوصف رفع المسيح من بين من جاءوا للقبض عليه ، بأنه رفع له من أبواب الموت ، ذلك أن الموت هو ما كان ينتهى اليه لو قبض عليه بالفعل . ويستطرد المزمور بعد ذلك بما يفهم منه أن الوصف السابق وان ورد فى صورة يبدو عليها أنه يتحدث عن أمر قد حدث الا أن الواقع أنه يتحدث عما يأمل أن يحدث ، فذلك مفهوم قوله « لكى أحدث بكل تسابيحك ...» .

والمزمور بعد أن يرمز لدعاء المسيح ورفعه ، يمضى فيتنبأ عما سيحدث بعدذلك فيقول أن الأمم تورطت فى الحفرة التى عملوها ، وفى الشبكة التى أخفوها انتشب الرب أرجلهم ، ويطابق هذا ما سبق أن قرأناه فى المزمور السابع من قوله « كرا جبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع » ، ومن ثم ، فمثل الآية الأخيرة ، نفهم منها أن يهوذا الأسخريوطى هو الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا من المسيح ، ثم يستطرد المزمور ليقطع بصحةهذا المعنى فيقول «معروف هوالرب. قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه » ولأى امرىء أن يرسم صليبا وقد علق عليه المصلوب، ويكتب تحته هذه الآية ، فيتبين من فوره، أن هذا المصلوب هو يهوذا الاسخريوطى

وليس المسيح عليه السلام ، فالمسيح لم يكن في يوم من الأيام شريرا ، وإنما يهوذا هو الذى خان المسيح فأصبح لذلك شريرا ، ثم أنه هو وحده دون كل الأشرار الذى يمكن أن تنطبق عليه هذه الآية ، فهو الذى سعى ليرشد عن المسيح فيقبض عليه ويحاكم ويصلب ، فاذا خلص الله المسيح عند محاولة القبض عليه ورفعه اليه وقبض على يهوذا وحوكم وصلب بدلا منه ، فانه يكون بذلك قد علق بعمل يديه، وتعليق الشرير على هذا النحو وكما جاء فى المزمور هو قضاء من الرب ، وهو لذلك لا يمكن إلا أن يكون القضاء العادل الحق ، وما أحق وأعدل أن يصلب يهوذا الأسخريوطى بعمل يديه ، فيشرب بذلك نفس الكأس التى كان سيذيقها لسيده .

وهكذا نجد أن المزمور التاسع بدوره ، يكرر ماجاء فى المزامير السابقة عن دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، وتخليصه له برفعه إياه من أبواب الموت ، ووقوع الشرير الذى هو يهوذا الأسخريوطى فى الحفرة التى عملها ، ويصلب بعد ذلك فيكون قد علق بعمل يديه قضاء عادلا من الله ، وفى هذا يتطابق هذا المزمور تمام التطابق مع الفرض الذى يعتقد به المسلمون (١) .

---

(١) يعلق السيد / ى.ى منصور فى كتابه بيان الحق — الجزء الأول — ص ٥٣ إلى ص ٥٥ على ماذكرته عن المزمور التاسع بقوله :

(وقبل كل شيء أريد أن يستقر فى الأذهان وليعرف الأستاذ منصور حسين أن داود كاتب سفر المزامير كانت حياته كلها مليئة بالضيقات والاضطهادات وكثيرا ماوصل إلى حافة الهاوية وكانت بينه وبين الموت خطوة ١ صم ٢٠ : ٣ — ثم ذكر مايراه أمثلة لذلك وأضاف — وكانت تعزيته فى كل هذه المواقف الحرجة هى أناشيده ومزاميره التى كان يسكب فيها قلبه ويعبر عن إيمانه وثقته بالله .

أما الأستاذ منصور حسين فبعد أن قرأ هذه المزامير حلها معان غريبة عن معانيها .

فصلوات داود المستجابة والنجاة التى أحرزها والعقاب الذى حاق بأعدائه أمور معروفة =

= أمرها أنها خاصة بداود . فلايجوز أن نستنتج منها تعسفا ـ كما استنتج منها الأستاذ منصور حسين ـ أن المسيح لم يصلب ونجا كداود . لأن هذا ليس من المنطق فى شىء .

تماما كما لو كذبنا قصة الأنجيل عن قتل هيردس ليوحنا المعمدان إدعاء بنجاة يوحنا المعمدان من يد هيرودس لأن داود نجا من يد شاول .

فهل يقبل أحد هذا المنطق السخيف الذى يفترض مقياسا سقيما تكذب نتيجته وقائع التاريخ ؟

ولنذكر مثلا الآية التى أوردها من أقوال داود النبى « الشرير يعلق بعمل يديه » مز ٩ : ١٦ فقد فسر هذه الآية تفسيرا تعسفيا فقال بالحرف الواحد « إنما هو يهوذا الأسخريوطى الذى يعرف منه الجميع بالشرير . . هو الوحيد الذى يكون قد علق بعمل يديه »

وقالت سيادته أن هذه الآية «الشرير يعلق بعمل يديه» هى كلمة مطلقة تدل على أن الشرير أعماله تتبعه وهو يتحمل ذنبه .)

ثم ضرب السيد / يسى منصور مثالين قال عنهما أنهما اختبار داود مع أعدائه مما أوحى اليه بهذه الآية ، واستطرد قائلا :(وفى مجرى التاريخ لما رأى يهوذا أنه قد دين بتسليمه المسيح للصلب ندم ورد الثلاثين من الفضه ومضى وشنق نفسه . مت ٢٧ : ٥

وألوف الناس اليوم يعلقون على المشانق لأنهم قتله .

فشنق يهوذا لم يعف المسيح من الصلب بل جاء دليلا على حدوثه . لأنه لولا تسليمه المسيح للصلب لما شنق نفسه أما المسيح فانتصر بقيامته من الأموات .)

وأول ما أشير اليه بالنسبة لهذا التعليق، أن يوحنا المعمدان يختلف عن المسيح بالنسبة لسفر المزامير ، فهذا هو السفر الذى يقول فيه المسيحيون ـ كما وجدنا فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هـذا الكتاب ـ أن المسيح قد ظهر فيه واضحا جليا فى كمال مجده كأنه الانجيل يتكلم عن يسوع من كل من مناحى حياته من أعماله وأقواله وتعاليمه وظروفه وأحواله ، وهو السفر الذى اقتبس منه العهد الجديد نصف الاقتباسات التى اقتبسها من العهد القديم كله ، وهو السفر الذى يقتبس منه المسيح كثيرا ويطبقه على ذات نفسه مستلفتا النظر الى اعتباره سفر مسيا الخاص وهو السفر الذى لم يوجد كتاب ملىء بالاشارات والرموز والنبوءات عن المسيح أكثر منه ، وهو السفر الذى يقول عنه السيد/يسى منصور نفسه فى صفحة ٣٠ من الجزء الأول من رده أنه معلوم أنه يسمى عند اليهود والمسيحيين بسفر المسيا وأنه يتكلم عن شخصية المسيح =

المزمور العاشر :

« يؤخذون بالمؤامرة التى فكروا بها . »

وهذه الآية تؤدى فى معناها وفى رمزها ما تؤدية الآيات « كراجبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع » و « فى الشبكه التى اخفوها انتشبت أرجلهم . » وذلك على التفصيل السالف بيانه ، لأن أخذ شخص بالمؤامرة التى فكر بها هو تماما

= بالتفصيل وفى غاية الجلاء والوضوح، ولهذا فيوحنا المعمدان وغيره يختلفون تماما عن المسيح بالنسبة لهذا السفر من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد شاء السيد/ يسى منصور فى تعليقه أن يفصل بين ماسماه الصلوات المستجابة فى للزمور ، وبين الآية التى تقول أن الشرير يعلق بعمل يديه ، مختارا أن يستقل بالرد على كل منها على حدة ، ولا أفهم كيف يفرق بينهما على على هذا النحو وقد جمعها المزمور معا بحيث تكمل كل منها الاخرى ، فاذا كان سيادته يرى فى آية أن الشرير يعلق بعمل يديه أنها مطلقة تدل على أن الشرير أعماله تتبعه وهو يتحمل ذنبة ، كالألوف الذين يعلقون على المشانق لأنهم قتلة ، فانه لم يقل لنا ، هل كل من يشنق لأنه قاتل يقابله آخر تآمر عليه هذا القاتل فدعا الله أن يخلصه فاستجاب له ورفعه من أبواب الموت ، انى لم أستدل على صلب يهوذا بدلا من المسيح من آية واحدة فى المزمور ، وانما من آياته مترابطة معا ، فمن ناحية هناك الآية « **يارافعى من أبواب الموت** » ، ويقابلها من الناحية الأخرى « **الشرير يعلق بعمل يديه** » ، وهما مترابطتان تكمل كل منها الأخرى ، وهذا الترابط هو ماهرب منه السيد/ يسى منصور بافراده ردا مستقلا على كل جانب من جانبى الصورة فى المزمور لأنه لو ربط بينهما ، سيستحيل عليه أن يقول أن كل شرير يهلك نتيجة شره ، يقابله بار يخلصه الله ، ولن يجد تطبيقا لذلك سوى تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه وصلب يهوذا الأسخريوطى بدلا منه فعلق بذلك بعمل يديه ، وهذه الصورة هى التى تتطابق مع معنى المزمور ، وقد وجدنا مثيلا لها فى المزامير السابقة ، من تقابل بين بار يخلصه الله وشرير يقع فى الحفرة التى حفرها ، وهذا أيضا هو ماسنجده فى مزامير تالية ، أما عن شنق يهوذا لنفسه ، فستلى الاشارة اليه فى متن الكتاب .

كمن يسقط فى حفرة حفرها لغيره أو يقع أو يقع فى شبكة أخفاها لهذا الغير .

المزمور السادس عشر : ﴿ مذهبة لداود ﴾

﴿ احفظنى يا الله لأنى عليك توكلت . قلت للرب أنت سيدى . خيرى لاشىء غيرك . القديسون الذين فى الأرض والأفاضل كل مسرتى بهم . تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر . لا أسكب سكائبهم من دم . ولا أذكر أسماءهم بشفتى . الرب نصيب قسمتى وكأسى . أنت قابض قرعتى . حبال وقعت لى فى النعماء . فالميراث حسن عندى .

أبارك الرب الذى نصحنى . وأيضا بالليل تنذرنى كليتاى . جعلت الرب أمامى فى كل حين . لأنه عن يمينى فلا أتزعزع . لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى . جسدى أيضا يسكن مطمئنا . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا . تعرفنى سبيل الحياة . أمامك شبع سرور . فى يمينك نعم الى الأبد . ﴾

ونقرأ تعليقات على هذا المزمور فى كتابى لكى لاننكر المسيح (ص ٧) والصليب فى جميع الأديان (الطبعة الثالثة ص ١٣) وهما للسيد / يسى منصور ، كما نقرأ عنه فى كتاب دراسات فى سفر المزامير من صفحة ٢٠٤ ، وكذلك فى كتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ، وهى كلها متفقة على أن المزمور المذكور يتنبأ عن المسيح عليه السلام ، ونكتفى ببيان ماورد فى الكتاب الأخير فى هذا الخصوص اذ تتفق التعليقات الأخرى معه وهو أكثرها تفصيلا ، ونقرأ من صفحة ٦ من ذلك الكتاب مانصه :

(تنبؤ داود النبى ١٠٥٤ ق . م بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات :

مز ١٦ : ١٠ «لأنك لن تترك نفسي في الجحيم لاتدع قدوسك يرى فسادا».
ــ وهــذا النص يختلف عن النص الذى ذكرته ويبدو أنه من ترجمة أخــرى ــ
تحقق التنبؤ في أحداث العهد الجديد .

يشير هذا القول الى قيامة يسوع المسيح من بين الأموات (١) اذ القول القائل لاتدع قدوسك يرى فسادا يعنى لاتدع قدوسك أنت يا الله . وقدوس الله هو يسوع المسيح كما يشهد الكتاب بذلك ....

والقول ــ يرى فسادا ــ يعني يرى موتا فالفساد هو فساد الموت كما يوضح ذلك بولس الرسول .

١ كو ١٥ : ٤٢ و ٤٤ « هكذا قيــامة الأموات يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد ، يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا » .

١ كو ١٥ : ٥٢ ــ ٥٣ «فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير . فانه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت . »

وبذلك يكون الموت هو الفساد ، الجسم الحيوانى للانسان بموته وفنائه ولــكن متى لبس الانسان عدم فساد أى عدم موت (جسما روحانيا) ينتقل بذلك من الموت (الفساد) إلى قيامة الأموات ــ عدم فساد ــ (الحياة الأبدية) .

بذلك يشير تنبؤ داود القائل ــ لاتدع قدوسك يرى فسادا ــ الى قيامة يسوع المسيح قدوس الله من الأموات كاسرا شوكة الموت وفساده ليكون هو باكورة القائمين من بين الأموات ولتكون به قيامة الأموات الى الحياة الأبدية لــكل من آمن به (يو ٥ : ٢٥ ــ ٢٩) ويشهد سفر أعمال الرسل باشارة تنبــؤ دواد الى قيامة المسيح .

---

(١) يعتقد المسيحيون بأن المسيح بعد أن صلب ودفن قام من بين الأموات بعد ثلاثة إيام وصعد للسماء .

أع ٢ : ٣٠ – ٣١ « فاذا كان نبيا (داود) وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فسادا » .

مز ١٦ : ٩ « لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى. جسدى أيضا يسكن مطمئنا»

ويقول داود النبى جسدى يسكن مطمئنا أى يرقد جسده على رجاء الخلاص والقيامة من بين الأموات إلى الحياة الأبدية بيسوع المسيح بكر القيامة من بين الأموات إذ هو القيامة والحياة الأبدية وهذا سيتم فى اليوم الأخير يوم الدينونة عندما تتم الكلمة المكتوبة كما يقول بولس الرسول « ابتلع الموت إلى غلبة أين شوكتك ياموت أين غلبتك ياهاوية » (١ كو ١٥ : ٥١ – ٥٥) .

المزمور إذن ، وبدليل من الكتاب المقدس نفسه ، يشير إلى المسيح ، وهذا مايتفق عليه إجماع المسيحيين ، فماذا يقول المزمور .

إنه يبدأ بالدعاء إلى الرب أن يحفظه ، تماما كما دعا المسيح الله أن يخلصه من الصلب ، أن يعبر عنه كأس الصلب ، ثم يقول المزمور أن القديسين الذين فى الأرض والأفاضل كل مسرته — وهو المتحدث فى المزمور — بهم ، نعم ، بهم ولاشك مسرة المسيح ، ثم يقول المزمور « تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر » ، فاذا كان المسيح هو القائل لهذا الكلام كما يتنبأ المزمور وكما يعتقد المسيحيون ، فمن هو هذا الآخر ، ومن هم هؤلاء الذين تكثر أوجاعهم إذ أسرعوا خلفه ، ألا تكثر أوجاع المسيحيين وقد جروا وراء من ظنوه المسيح مصلوبا ، أليس هو هنا وكما يقول المزمور آخر ، آخر غير المسيح عليه السلام ، هل يحتمل قول المزمور غير هذا المعنى ، وألا يؤكده مايستطرد اليه المزمور بعد ذلك من قوله « لا أسكب سكائبهم من دم . ولا أذكر أسماءهم بشفتى . » ، ألا يعنى هذا أن المسيح لن يسكب دمه ، ثم مامعنى أن يقول المزمور بعد ذلك « الرب نصيب قسمتى وكأسى . أنت قابض

قرعتي.حبال وقعت لي في النعماء . فالميراث حسن عندي . » هل يقول المتحدث ذلك في المزمور إن كان سيصلب ، أي ميراث حسن هو الصلب ، وكيف يكون الرب نصيبه وقسمته ورغم ذلك يصلب .

ثم نأتي للآية « لن تدع تقيك يرى فسادا . » أو « لاتدع قدوسك يرى فسادا . » كما أوردها السيد/ فخري عطية في كتابه ، فما هـو الفساد في رأيه ، أليس هو الموت كما يقول صراحة ، ألم يقل أن القول – يرى فسادا – يعني يرى موتا فالفساد هو فساد الموت كما يوضح ذلك بولس الرسول ، فهم إذن القول بموته على الصليب رغم ذلك ثم دفنه فقيامته من بين الأموات كما يقولون، إن الموت موت، وأن الصلب قتل وموت ، ولا يقال أبدا مات على الصليب ودفن ، ثم يقال أن ذلك يطابق مايقوله المزمور من أنه لن يرى فسادا أي لن يرى موتا ، أنه تحايل على النصوص لاتسعف به النصوص نفسها ، وهو في نفس الوقت يناقض مايقوله المزمور قبله من دعاء للرب أن يحفظه ، ومن أنه تـكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخـر ، وأنـه لايسكب سكائبهم من دم ، وأيضا مما يقوله المزمور « جعلت الرب أمامي في كل حين . لأنـه عن يميني فلا أتزعزع . » ، أليس في هذا يقين بتخليص الله له ، وألا يقطع بذلك مايقوله المزمور « جسدي أيضا يسكن مطمئنا . لأنك لن تترك نفسي في الهاوية . » أليس تشبيها دقيقا لرفع الله للمسيح وتخليصه ممن أتوا للقبض عليه أن يقول أنه لن يترك نفسه في الهاوية ، أليست الهاوية ، القتل ، هي ما كان سيحيق به لو تركه عندئذ ، فاذا قال المزمور بعـد كل ذلك « لن تدع تقيك يرى فســادا » ، أي لن يرى موتا كما يقول السيد / فخري عطية ، فهل أقطع من ذلك دليل على أن المسيح لن يصلب وإنما سيخلصه الله ويرفعه اليه ويصلب بدلا منه آخر ، وهذا الآخر تـكثر أوجاعهم وقد أسرعوا خلفه إذ ظنوه للمسيح قد صلب .

المزمور الثامن عشر : (لإمام المغنين . لعبد الرب داود الذي كلم الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول . فقال)

﴿ أحبك يا رب يا قوتى . الرب صخرتى وحصنى ومنقذى . الهى صخرتى . به أحتمى . ترسى وقرن خلاصى وملجاى . أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى . اكتنفتنى حبال الموت . وسيول الهلاك أفزعتنى . حبال الهاوية حاقت بى . أشراك الموت انتشبت بى . فى ضيقى دعوت الرب والى الهى صرخت . فسمع من هيكله صوتى وصراخى قدامه دخل أذنيه . ﴾ (١ — ٦)

﴿ أرسل من العلى فأخذنى . نشلنى من مياه كثيرة . أنقذنى من عدوى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى منى . أصابونى فى يوم بليتى وكان الرب سندى . أخرجنى الى الرحب . خلصنى لأنه سر بى . يكافئنى الرب حسب برى . حسب طهارة يدى يرد لى . لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص الهى . لأن جميع أحكامه أمامى وفرائضه لم أبعدها عن نفسى . وأكون كاملا معه وأتحفظ من أثمى . فيرد الرب لى كبرى وكطهارة يدى أمام عينيه .

مع الرحيم تكون رحيما . مع الرجل الكامل تكون كاملا . مع الطاهر تكون طاهرا ومع الأعوج تكون ملتويا . لأنك أنت تخلص الشعب البائس والأعين المرتفعة تضعها . لأنك أنت تضىء سراجى . الرب الهى ينير ظلمتى . لأنى بك اقتحمت جيشا وبالهى تسورت أسوارا . الله طريقه كامل . قول الرب نقى . ترس هو لجميع المحتمين به . لأنه من هو اله غير الرب ، من هو صخرة سوى الهنا . الاله الذى ينطقنى بالقوة ويصير طريقى كاملا . الذى يجعل رجلى كالايل وعلى مرتفعاتى يقيمنى . الذى يعلم يدى القتال فتحنى بذراعى قوس من نحاس . وتجعل لى ترس خلاصك ويمينك تعضدنى ولطفك يعظمنى . توسع خطواتى تحتى فلم تتقلقل عقباى . اتبع أعدائى فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم . أسحقهم فلا يستطيعون القيام . يسقطون تحت رجلى .

تمنطقنى بقوة للقتال . تصرع تحتى القائمين على . وتعطينى أقفية أعدائى ومبغضى

أفنيهم . يصرخون ولا مخلص . الى الرب فلا يستجيب لهم . فاسحقهم كالغبار قدام الريح . مثل طين الأسواق أطرحهم . تنقذني من مخاصات الشعب . تجعلني رأسا للامم . شعب لم أعرفه يتعبد لى . من سماع الاذن يسمعون لى . بنو الغرباء يتذللون لى . بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم . حى هو الرب ومبارك صخرتى ومرتفع اله خلاصى . الاله المنتقم لى والذى يخضع الشعوب تحتى . منجى من أعدائى . رافعى أيضا فوق القائمين على . من الرجل الظالم تنقذنى . لذلك أحمدك يا رب فى الامم وأرنم لاسمك . برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله الى الابد .) (١٦ — ٥٠)

وعن هذا المزمور نقرأ فى كتاب دراسات فى سفر المزامير فى صفحة ٢٤٥ منه:

(التطبيق النبوى : هنا نرى الله يعلن قوته لحساب مسيحه، اذ يخلصه من الموت ويرفعه على جميع أعدائه . و «مسيا» ، باعتباره ممثلا لشعبه ، يربطهم ويوحدهم بنفسه . والمزمور مرتبط بوجه خاص بالآمال والمواعيد المستقبلة الباقية . والمسيح . كان الانسان المرتفع ، لا يزال يحتفظ بمكان الاعتماد على الله وخدمة المحبة فى اتمام كل مشيئته .)

ولعله قبل التعليق على المزمور يحسن أن نعرف أمرا ما عن داود عليه السلام ، وفى كتاب بعنوان حياة داود (للدكتور ف . ب ماير ترجمة القس مرقس داود ونشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة) نقرأ فى الصفحات ٢٥١ و ٢٥٤ وتحت عنوان (خطية حياته) :

(يخبرنا الكتاب المقدس صراحة أن داود بعد أن استقر كرسيه فى أورشليم اتخذ لنفسه نساء وسرارى كثيرات متعديا بذلك شريعة موسى الصريحة التى كانت تحذر ملوك العبرانيين من تعدد الزوجات لئلا « يحولن قلوبهم » . وبذلك حصد داود ما لابد أن يحصده من مرارة الغيرة والحسد والمنازعات والجرائم التى لابد أن

بسببها النساء ، وفضلا عن ذلك فقد أدت كثرة النساء الى أن تغرس فيه عادة الانغماس فى الشهوات الجسدية التى هيأته لسقطته الشنيعة فى مساء ذلك اليوم الاسود .... وفى مساء يوم مشئوم استيقظ الملك من قيلولته ، وكان مستلقيا على سطح قصره فى تلك الساعة ، ساعة الراحة والكسل والخمول ، جاءه ضيف ، على حد تعبير ناثان ، جاءته فكرة عاطلة ، ولاشباع جوع ذلك الضيف نزل الى بيت رجل مسكين وأخذ نعجته الوحيدة بينما كانت حظائره مكتظة بالغنم . انا لن نحاول التخفيف من خطية داود بالتأمل فى اشتراك بتشبع فى الجريمة بمطلق حريتها ، أو فى حرصها على عدم الاضجاع معه الا بعد أن تتطهر من طمثها ، أو فى استهانتها بعهد الزوجية مع زوجها النجيب . ومما هو جدير بالملاحظة أن رواية الكتاب المقدس تلقى كل مسئولية هذه الخطية على الملك وحده ، لان بتشبع ربما تكون قد اضطرت للخضوع أمام سلطانه المطلق ...

وفى أحد الايام أتت الى داود رسالة من شريكته فى الخطية بأن النتائج لا يمكن اخفاؤها . وعندئذ سرت فيه رعشة كالمحموم . كان ناموس موسى يقضى بموت الطرفين فى خطية الزنى . اذا فكان لابد من اتخاذ اجراءات سريعة لاخفاء الجريمة يجب أن يعود أوريا الى بيته . وعاد فعلا ، ولكن عودته لم يكن فيها علاج . فانه رفض دخول بيته ...

لم يكن هناك بديل من موته (موت أوريا) ، لأن الموتى لا يقصون الاخبار فاذا ولد طفل لا يبقى هنالك مجال بعد لاوريا ليتبرأ منه .

حمل أوريا رسالة الى يوآب تقضى باعدامه وهو لا يدرى . ولابد أن يكون يوآب قد ضحك فى داخل قلبه عند ما فض هذه الرسالة وقرأها . ولعله ناجى نفسه بهذه العبارة : « ان سيدى اذا ما أراد أن ينشد مزاميره أطرب بها غيرى أما اذا أراد أن يأتى عملا قذرا لجأ الى ، لست أدرى لماذا يريد أن يتخلص من أوريا

وعلى أى حال فانى سأعينه على قضاء بغيته . وبعد ذلك لن يستطيع أن يحدثنى مرة أخرى عن أبنير . ثم ستكون لى حرية التصرف كما أشاء . لأنه سوف يكون فى قبضة يدى من الآن فصاعدا » .

وضع أوريا فى مقدمة المعركة الحامية ليلقى حتفه . ومن ساحة القتال أرسلت رسالة الى الملك تحمل اليه البشرى بموت أوريا . . .)

بالطبع ليس هذا هو داود ، وانما فحسب خطيئته ، وفيما عداها ، فهو باتفاق المسيحين والمسلمين على السواء ، نبى عظيم كريم ، وإنما أشير فقط هنا الى خطيئته لأن المزمور يتحدث عن شخص لم يعص الهه وحفظ جميع أحكامه وفرائضه وكان كاملا معه إذ يقول « لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص الهى . لأن جميع أحكامه أمامى وفرائضه لم أبعدها عن نفسى . فأكون كاملا معه » ، وليس هذا أبدا بحال من أتى كل هذه المعصية التى أتاها داود عليه السلام ، وفوق هذا فاننا نقرأ فى أنجيل متى (ص ١٧ : ٥) أن صوتا انطلق من سحابة يقول عن المسيح عليه السلام « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . » ، كما نقرأ فى المزمور « خلصنى لأنه سر بى . » ، والربط بين آية المزمور هذه وآية انجيل متى تلك لايحتاج الى ايضاح ، ونعلم من ذلك أن المسيح عليه السلام وليس داود ، هو الذى يتحدث داود فى المزمور على لسانه ، متنبئا بذلك عنه ، كما أنه من الواضح من تعليق السيد/ فخرى عطيه فى كتابه دراسات فى سفر المزامير أنه يعتبر ذلك المزمور أيضا نبوءة عن المسيح ، والآن ، الى المزمور نفسه ، فنرى ماذا يقول .

« اكتنفتنى حبال الموت . وسيول الهلاك أفزعتنى . حبال الهاوية حاقت بى . أشراك الموت إنتشبت بى . فى ضيقى دعوت الرب والى الهى صرخت . » ، أليس هذا كله يرمز الى المؤامرة على المسيح ودعائه الى الله أن يخلصه ، أن يرفع عنه هذه الكأس ، فما الله فاعل بهذا الدعاء ، « أرسل من العلى فأخذنى . » ، أرسل

من أين ، من العلى ، إذن فالى العلى أيضا أخذه ، أليس هذا هو رفعه الى الله ، أيضاً يقول « أخرجنى الى الرحب . » ، فمن أين أخرجه ، أليس من الأرض (الكرة الأرضية) ، والى أين أخرجه ، الى الرحب ، أليس الرحب هو السماء بالنسبة للارض ، نشاله ، أليس رفعه من بين من أتوا للقبض عليه قريب جدا فى معناه مما تعنيه كلمة نشانى ، أنقذه ، خلصه لأنه سر به ، يكافئه حسب بره وحسب طهارة يده يرد له ، فكيف كل ذلك ، هل يمكن أن يكون بصلبه ، أم كما يقول الزمور برفعه ، لاجدال ، برفعه .

« . . . مع الأعوج تكون ملتويا . » ، فمن هو الأعوج غير يهوذا ، أليس فى القبض عليه بدلا من المسيح ما يتحقق به هذا الالتواء ، أعداءه — أعداء المسيح — « يسقطون تحت رجلى . » ، أليس هذا حال يهوذا عند رفع المسيح ، « يصرخون ولا مخلص . الى الرب فلا يستجيب لهم . » ، هل يفسر لنا هذا صيحة يهوذا على الصليب — كما يعتقد المسلمون بالنسبة لشخص من صلب — « الهى الهى لماذا تركتنى . » .

ولا ينتهى الزمور قبل أن يقطع لنا بأن من قصد به هو المسيح عليه السلام وليس داود ، إذ نراه يقول « شعب لم أعرفه يتعبد لى . » ، ونعرف جميعاً أن المسيح وليس داود هو من تعبد الناس له ، إذ يعتقد المسيحيون اليوم أن المسيح عليه السلام هو الله نفسه وعلى هذا الأساس يتعبدون له .

وهكذا ننتهى من هذا الزمور الى أنه ينطوى — بحق — على نبوءة صريحة بتخليص الله للمسيح عليه السلام و بأن هذا التخليص سيكون برفعه الى العلى ، بنشاله من بين أعدائه ورفعه ، كما أنه وان وردت فيه اشارات يمكن أن تنطبق على المصلوب ، إلا أننا لا نستطيع اعتبارها نبوءة صريحة بصلب يهوذا .

المزمور العشرون : (لامام المغنين . مزمور لداود)

{ ليستجب لك الرب فى يوم الضيق . ليرفعك اسم اله يعقوب ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك . ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك . سلاه . ليعطك حسب قلبك ويتمم كل رأيك . نترنم بخلاصك وباسم الهنا نرفع رايتنا . ليكمل الرب كل سؤلك .

الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه . هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل . أما نحن فاسم الرب الهنا نذكر . هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا . يا رب خلص . ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا . }

وفى التعليق على هذا المزمور نقرأ فى كتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ٨٩ و ٩٠ :

(٢ـ تنبؤ داود النبى ١٠٥٦ وحبقوق النبى ٧٢٦ ق.م بأن الرب هو المسيح المخلص .

نبوءة داود النبى : مز ٢٠ : ٦) الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه .

والقول بأن الرب مخلص مسيحه ، يعنى بأن خلاص المسيح يكون بالرب .)

كما نقرأ فى كتاب دراسات فى سفر المزامير ص ٣٠٢:

(والمزموران ٢٠ و ٢١ يرتبطان ببعضهما من جهة التركيب والمحتويات . فالأول توسل الى الله لأجل النصرة . والثانى شكر لاستجابة الله . والملك ، ممثل الشعب أمام الله ، وممثل الله أمام الشعب ، هو موضوع المزمورين . والفكرة العامة فيهما هى خلاص الملك ونصرته .

التطبيق النبوى : ان الروح القدس يستخدم أقوال المزمورين ٢٠ و ٢١ امرض

نبوى ، ومن هنا فالتكميل والاتمام لا يوجدان الا فى المسيح.ونرى البقية الأمينة توحد نفسها بمسيحها . ولاحظ كيف أن طلبة مز ٢٠ : ٤ « ليعطك حسب قلبك ويتمم كل رأيك » تجد استجابتها فى مز ٢١ : ٢ « شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه (اشارة الى القيامه) حياة سألك فأعطيته . طول الأيام الى الدهر والأبد » (مز ٢١ : ٤) . إن يوم « ضيق » مسيا هو اليوم الذى فيه قدم نفسه . والان هو «مرتفع» . ويشمل خلاصه خلاص شعبه ، ولو أن مز ٢٠ : ٢ «ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك » يمتد الى الأيام الألفية يوم يكون المسيح كاهنا على كرسيه — على كرسى السلطة الملكية كما سنرى .)

ويستطرد الكاتب فى تعليقه على نفس المزمور فى ص ٣٠٤ فيقول :

(ان الله كان فى جانب مسيحه فى يوم ضيقه يوم قدم نفسه ذبيحة على الصليب ومع التسليم أن بعض هذا المزمور قد تم تاريخيا ، ولكن لايجب أن ننسى أن المسيح هو غرضه النهائى . فلو أن داود قدم هذه الذبائح فى يوم ضيقه فما أقل قيمتها ازاء تلك الذبيحة الواحدة التى قدمها الملك المجيد الذى هوعلى الدوام موضوع شهادة الروح القدس .)

وفى التعليق على الآية التى تبدأ بـ « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .. » يقول الكاتب فى ص ٣٠٨ :

(فى هذا العدد تعبير يشير فى الكتب النبوية الى ربنا يسوع المسيح نفسه ، تعبير يستخدمه الشعب الأرضى عن المخلص العتيد « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » . والمسيح (الممسوح) هو مسيا . ومسيا هوالذى كان ذلك الشعب ينتظرونه طوال القرون . ولكن هذه النبوات سبقت وأوضحت أن مسيح الله لابد أن يتألم ويرفض ويموت . ثم يقوم من الأموات فى نصرة مجيدة . وهكذا يتشوق المرنم الى يوم النصرة ويقول : « يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه » .

وتفس القوة ، التى أقامت ربنا يسوع المسيح من الأموات ، هى المتكفلة بنا .)

والآن لنر ، ماذا يقول هذا المزمور ، الذى يرى فية الكاتبان نبوءة عن المسيح عليه السلام .

ان المزمور يبدأ بقوله « ليستجب لك الرب . . » ، فنفهم أن المتحدث فى المزمور يخاطب آخر ، وهو يدعو الله هنا أن يستجيب له فى يوم الضيق ، ويوم الضيق يحق فى حياة المسيح عليه السلام هو ذلك اليوم الذى كان عالما فيه أنه سيسلم ليصلب،وقدرأينا كم كانت عميقة هى صلاته فى هذا اليوم،ويتفق معنا السيد/فخرى عطية ، أو بمعنى أصح ، نتفق معه ، فى أن المزمور قد قصد هذا اليوم بقوله «يوم الضيق »، فما الذى طلبه المسيح فى صلاته ودعا الله ليستجيبه له فى هذا اليوم ، نعرف أنه طلب أن يعبر عنه كأس الصلب ، أن يخلصه من ذلك ، وها هو داود النبى يدعو الله أن يستجيب دعاء المسيح هذا ، فكيف يتصور داود أن تكون هذه الاستجابة ، أنه يقول «ليرفعك»، انه يطلب من الله أن يستجيب دعاء المسيح بأن يرفعه ، « ليرفعك اسم اله يعقوب . ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك . ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك . سلاه ليعطك حسب قلبك ويتمم كل رأيك . نترنم بخلاصك وباسم الهنا نرفع رايتنا . ليكمل الرب كل سؤلك . » ، آيات كلها تحمل مضمونا واحدا، أن تكون استجابة الله للمسيح برفعه فيكون بذلك قد وفاه ماهو مستحق له، وأبدا لاتكون استجابة الدعاء بصلبه ودفنه ثم قيامته من الأموات كما يذهب السيد/فخرى عطيه، فان ماطلبه المسيح فى صلاته فى ذلك اليوم هو ألا يصلب وليس أن يصلب ثم يدفن ويقوم ، والأناجيل كلها تشهد بذلك .

أنهى داود عليه السلام دعاءه ، ووقف لحظة ، ليبدأ فقرة جديدة ، يعرفنا فيها أنه انما ينبئنا عن المستقبل ، بكل صراحة هو يتنبأ فيقول بعد هذا الدعاء « الآن عرفت . . » ، انه الوحى مايريد أن يحدثنا به ، أنه بعد أن دعا ، يتنبأ ، « الان

عرفت أن الرب مخلص مسيحه ... » ، بأصرح ما تكون العبارة ، وبأوضح ما تكون النبوءة ، وبأقطع ما يكون قصد الانباء عن المستقبل ، إنه الآن ، والآن فقط عرف إذن أنه الوحى الذى هبط عليه للحظة نفسها ، إنه الآن ، والآن فقط قد عرف أن الرب مخلص مسيحه ، اذن فهو للمسيح كان يدعو ، وعن المسيح الان يتنبأ ، أن الرب مخلص مسيحه ، فكيف أيها النبي الكريم أنبئنا ، أبصلبه ودفنه وقيامته من الأموات ، أم بتخليصه من الصلب ورفعه اليه ، إنه يستطرد فيقول «يستجيبه» ، أنه هنا يربط بين هذا التخليص وبين دعاء المسيح فى يوم الضيق والذى دعا داود الله فى أول المزمور أن يستجيبه ، وهو هنا يتنبأ ، بأن الله سوف «يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه .» ، وأن يدعو المسيح الله أن يرفع عنه كأس الصلب ، ويستجيبه الله ، اذن فهو عنه رافعها ، وأبدا ليس بصلبه يكون قد استجابة ويمضى داود النبى فى نبوءته ، فيصف لنا كيفية هذه الاستجابه وصورتها فيقول « هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل.» فالى أى لحظة ترمز هذه الآية ، إلى لحظة هى فى قبر حتى يقال أن تخليص الله لمسيحه المقصود فى المزمور هو بقيامته من الأموات أم إلى لحظة محاولة القبض على المسيح عليه السلام ، بغير شك الى هذه اللحظة الأخيرة ، فماذا يحدث فيها ، يقول المزمور «هم جثوا وسقطوا ..» ، ألا يشير ذلك الى ما كان من أمر من أتوا للقبض على المسيح عندما سألهم عليه السلام من يطلبون فقالوا يسوع الناصرى فقال لهم أنه هو وهنا يقول انجيل يوحنا « فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض » . (ص ١٨ : ٦) ، أما المسيح ، فيمضى المزمور ويقول على لسانه «أما نحن فقمنا وانتصبنا .» ، وبعدها ينتهى المزمور منبها الى أنه انما قصد به التنبوء حيث نفهم ذلك من قوله « يا رب خلص ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا .» ، وهو ما معناه أن ذلك اليوم لم يأت بعد.

بيقين النبوة اذن وبجلال الوحى ، ينبئنا داود النبي عليه السلام فى هذا المزمور

بأنه فى يوم ضيق المسيح الكريم ، يستجيب الله دعاءه الذى دعاه أن يخلصه من الصلب ، فيخلصه منه ويرفعه ، وليس لمنصف الا أن يقرر أنه لا تكاد أن تكون فى المزامير أو غيرها من أسفار العهد القديم نبوءة أصرح أو أقطع من تلك النبوءة التى حواهاهذا المزمور، مؤكدا فى ثقة ويقين أن الله سيخلص المسيح عليه السلام.(١)

---

(١) على هذه الاهمية البالغة التى أعطيتها لهذا المزمور فى الطبعة الاولى من هذا الكتاب تلك الاهمية التى لا تخفى على أى قارىء ، وعلى أن السيد/ يسى منصور خصنى بأربع كتب يرد بها على هذا الكتاب ، الا أنه رغم هذا أغفل اغفالا تاما الرد على ما ذكرته بالنسبة لهذا المزمور ، وللقارىء أن يقرر ما اذا كان هذا المزمور ضئيل الاهمية فى هذا البحث الى حد أن لا تتسع له أربعة أجزاء نشرت للرد على الكتاب ، أم لامر آخر لم يرد عليه السيد/يسى منصور للقارىء وحده أترك أمر استخلاصه .

أما القمص باسيليوس اسحق فقد رد على قائلا من ص ٨٤ — ٨٦ من كتابه :

(معنى كلمة مسيح : استند أحد الكتاب على الآية الواردة فى المزمور ٢٠ : الآن عرفت أن الرب خلص مسيحه . ظنا منه أن كلمة مسيح قصد بها المسيح بأل التعريف . وهذا خطأ إما أن يكون عن جهل بكتب النصارى وأقحم نفسه فيما لا يعرف ، وإما أن يكون عن قصد لتضليل الجهلاء . . . . والله أعلم بما تخفيه الصدور . مسيح أى ممسوح . . وكلمة مسيح لقب أطلقه اليهود على كهنتهم وأنبيائهم وملوكهم لانهم كانوا يمسحون بالدهن المقدس عند تكريسهم لوظائفهم السامية . وفى مسح الكهنة : راجع خر ٢٠ حيث أمر الله موسى بمسح هرون وبنيه كهنة . وفى مسح الانبياء : راجع امل ١٩ حيث أمر الله ايليا النبى بمسح اليشع نبيا خلفا له . وفى مسح الملوك : قد أمر الله صمويل بمسح شاول ملكا ، وأيضا بمسح داود ملكا ، وأمر اليشع بمسح ياهو ملكا . وبذلك يسمى الملك الممسوح مسيح الرب . ومن أمثلة ذلك قول داود للرجل العماليقى الذى قتل شاول الملك : « كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب . . . » وقول ابيشاى لداود الملك عن شمعى عندما تجرأ على الملك وسبه : « ألا يقتل شمعى لاجل هذا لانه سب مسيح الرب » ، وقصد بمسيح الرب فى الحالتين : الملك .. لانه مقلم من الله .. ر و ١٣ ولانه ممسوح بالدهن المقدس . وفى هذا يقول داود فى صلاته : برج خلاص لملكه . والصانع رحمة لمسيحه =

المزمور الحادى والعشرين : (لامام المغنين . مزمور لداود)

{يا رب بقوتك يفرح الملك وبخلاصك كيف لا يبتهج جدا. شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه . سلاه . لأنك تتقدمه ببركات خير . وضعت على رأسه تاجا من ابريز . حياة سألك فأعطيته. طول الأيام الى الدهر والأبد. عظيم مجده بخلاصك جلالا وبهاء تضع عليه . لأنك جعلته بركات الى الأبد . تفرحه ابتهاجا أمامك . لأن الملك يتوكل على الرب . وبنعمة العلى لا يتزعزع .

تصيب يدك جميع أعدائك . يمينك تصيب كل مبغضيك . تجعلهم مثل تنور نار فى زمان حضورك . الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار . تبيد ثمرهم من الأرض وذريتهم من بين بنى آدم . لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة. لم يستطيعوها لأنك تجعلهم يتولون . تفوق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم . ارتفع يا رب بقوتك . نرنم وننغم بجبروتك.}

وفى التعليق على هذا المزمور ، نقرأ فى كتاب دراسات فى سفر المزامير ص٣١١ (التطبيق النبوى : مسيا الملك يرى فى المجد بعد نصرة الصليب ، واذ هو مرفع

=لداود ونسله الى الابد مز ١٩ . وفى مز ٢ يتكلم عن مؤامرات الملوك والرؤساء عليه .. فيقول : «قام ملوك الارض وتآمر الرؤساء على الرب وعلى مسيحه » وقصد بذلك الملك .. ولنشرح الاية التى استند عليها الكاتب فى نفى الصلب عن المسيح . وتوهم أنه سرعان ما قد توصل بسهولة ويسر الى توكيد نفى الصلب . «الآن عرفت ان الرب مخلص مسيحه .» مسيح ... أى الممسوح بالدهن . وهكذا جميع الآيات التى وردت فى التوراة عن مسيح . عبر عنها بما معناه ممسوح . ولو كان قصد بها المسيح لقال المسيا كما ذكرها دانيال فى ص ٩ عندما تنبأ عن مجىء المسيح له المجد .)

أما ردى على هذا فبسيط . فمن جهلى بكتب النصارى واقحام نفسى فيما لا أعرف فيكفينى فى شأنه ما أوردته بعد المزمور مباشرة من تعليقات على المزمور من كتب النصارى نفسها لم أكن قد أوردتها فى الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وفى هذه التعليقات نفسها ما يكفينى ردا على كل هذه الاقوال .

(مز ٢٠ : ١) كابن الانسان ، فانه بثقة يتوقع اتمام الوعد (اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك) (مز ١١٠ : ١) الذى يشير اليه الرسول فى قـوله : (لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميـة) (١ كو ١٤ : ٢٥) . والمزمور ينظر الى الوراء حيث عمل المسيـح الذى قد تم ، وينظر الى الأمام ، الى انتصاراته المستقبلة على جميع أعدائه وانتصارات شعبه ...)

ونقرأ فى ص ٣١٢ تعليقا على الآية الأولى :

(لقد استجيبت الصلوات التى قدمت بثقة فى مز ٢٠ لأجل الانتصار فى المعركة)

ويقول فى ص ٣١٥ و ٣١٦ :

(أما فيما يختص بربنا يسوع المسيح فهذا ـ يقصد الآية (حياة سألك ...)ـ يشير الى حياته بعد القيامة . لقد مضى ـ له المجد ـ الى الموت متـكلا على الله الآب أن يقيمه ويعطيه (طول الأيام الى الدهر والأبد) . لقـد مات مرة واحد وأقيـم من الأموات ...)

ويقول أيضا ص ٣١٨ و ٣١٩ تعليقا على الآيتين (لأنهم نصبـوا عليك ...) وما تليها :

(لاحظ أن المـكر والمـكايد ضد الله وضد مسيحـه تتجلى فى اضطهـاد ومقاومة شعب الله ، ومن هنا كان كلام الرب لشاول (شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟) (أ ع ٩ : ٤) . إنه يصور الأعداء وقد نصبوا له الشر كما ينصب الصياد شباكه لاصطياد فريسته . انهم دبروا له المـكايد وأعـدوا له الشر ، ولـكنهـم لم يستطيعـوا الحاق الأذى بمسيح الرب والذى اتـكل على الهه . بل العكس (يتـولون) ، أى يهربون من حضرته ..)

وفى كتيب تأملات فى المزامير لآباء الـكنيسة القديسين الصادر عن كنيسة مارجرجس باسبورتنج نقرأ فى التعليق على هذا المزمور فى ص ١٠ :

(نصبوا عليك شرا تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها : وهذا قول ينطبق على تفكرات الأشرار على الرب يسوع عند قولهم «خير لنا أن يموت واحد عن الكل» يو ١١ : ٥٠ . وتفكروا بمكيدة ليقتلوه ، ولكنه قام من الأموات فى اليوم الثالث ، لذلك يقول النبى مكيدة لم يستطيعوها .)

ونحن إذا طالعنا نص هذا المزمور ونص المزمور السابق عليه ، نستطيع أن نقرر بسهولة أن هذا المزمور يكمل المزمور السابق ، وقد سبق أن رأينا مؤلف دراسات فى سفر المزامير يقرر مثل هذا الربط ، ذلك أننا فى المزمور ٢٠ نجد دعاء داود النبى الله ليستجيب للمسيح حين يدعوه فى يوم الضيق ، ثم تنبأ لنــا داود بأن الله مستجيب مسيحه ومخلصه ، أما المزمور ٢١ فيبدأ بوصف فرحة هذا الذى خاصه الله ، فهو بهذا يبدأ من حيث انتهى المزمور السابق ، ثم إننا نجد فى المزمور مايقطع بأنه عن المسيح إذ يقول عن هذا الذى خلصه الله أنه سأل الرب حياة فأعطاه طول الأيام إلى الدهر والأبد ، وهذا القول عند المسيحيين لايمكن أن ينطبق على غير المسيح عليه السلام، ويؤكد المزمور بعد ذلك تخليص المسيح بقوله « عظيم مجده بخلاصك » ، وحقا ما أعظم مجد المسيح بتخليص الله له .

ولايغفل المزمور أعداء المسيح الذين تآمروا عليه ، وخانوه وحاولوا القبض عليه ، فيقول عن هؤلاء أن يد الرب ستصيبهم والرب بسخطة يبتلعهم وتأكلهم النار ويبيد ثمرهم من الأرض وذريتهم من بين بنى آدم ، أما لماذا يكون ذلك فلأنهم تآمروا على المسيح وحاولوا الايقاع به وقتله بالقبض عليه وصلبه ، وهذا مايوضحه المزمور بعد ذلك بقوله « لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة » ، وهنا نتساءل عما تم فى أمر هذا الشر الذى نصبوه وتلك المكيدة التى تفكروا بها ، هل استطاعوها ، لا ، هذا مايؤكده المزمور إذ يقول بعد ذلك مباشرة « لم يستطيعوها » مؤكدا بذلك فشلهم وعجزهم عن تنفيذ مكيدتهم وتحقيق شرهم ، تأكيدا لما ورد فى

المزمور السابق من أن الرب مخلص مسيحه ، وتأكيدا للتنبؤ بهذا التخليص .

ولا أحسب أن الأمر يحتاج لأكثر من قراءة المزمور لنخلص إلى هذه النتيجة بغير إجهاد ، وبغير أى تحميل للنصوص سوى بما تحتمله ، ولا أستطيع أن أفهم كيف يسلم المسيحيون بأن هذا المزمور يتحدث عن المسيح عليه السلام ، وأنه المقصود بالآية « نصبوا عليك شرا تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها » ، وبأن المقصود من ذلك أن الأعداء لم يستطيعوا إلحاق الأذى به ، ويفسرون ذلك بالرغم من كل هذا بأنهم صلبوه ، فأى أذى هذا إذن الذى لم يلحقوه به وقد صلبوه ، وكيف يكون الربط بين هذا المزمور وبين ماقرره المزمور السابق من أن « الرب مخلص مسيحه » ، ومع ذلك يكون هذا التخليص بالصلب ثم الدفن ثم مايقال به من القيامة من الأموات ، أين فى المزمورين مايقول هذا ، أين فيهما مايقول بغير رفع المسيح وتخليصه ممن تآمروا عليه ، أين فيهما مايقول بغير رفع كأس الصلب عنه .

المزمور الثانى والعشرون :

(لإمام المغنين على أيلة الصبح . مزمور لداود) :

{ إلهى إلهى لماذا تركتنى . بعيدا عن خلاصى عن كلام زفيرى . إلهى فى النهار أدعو فلا تستجيب فى الليل أدعو فلا هدو لى . وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل . عليك إتكل آباؤنا . إتكلوا فنجيتهم . إليك صرخوا فنجوا . عليك اتكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب . كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين . إتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به . لأنك جذبتنى من البطن . جعلتنى مطمئنا على ثديى أمى . عليك ألقيت من الرحم . من بطن أمى أنت إلهى . لاتتباعد عنى لأن الضيق قريب . لأنه لا معين .

أحاطت بى ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتنى . فغروا على أفواههم كأسد مفترس مزمجر . كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامى . صار قلبى كالشمع . قد ذاب فى وسط أمعائى . يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى وإلى تراب الموت تضعنى . لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدى ورجلى . أحصى كل عظامى . وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » . (١ – ١٨)

ويجمع المسيحيون على أن هذا المزمور إنما تنبأ بواقعة الصلب ، وتبين الأهمية البالغة لهذا المزمور عندما نجد أن الأناجيل نفسها قد أوضحت أن ما كان فى الصلب إنما سبق أن تنبأ به هذا المزمور ، فنحن مثلا نجد أن المزمور يبدأ بقوله « إلهى إلهى لماذا تركتنى . » ، وقد جاء فى أنجيل متى أن المسيح قال نفس العبارة وهو على الصليب ، إذ جاء فيه « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى » . (ص ٢٧ : ٤٦) كما جاء فى أنجيل مرقس فى نفس الواقعة أيضا « وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا الوى الوى لما شبقتنى . الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى . » (ص ١٥ : ٣٤) .

ثم إن المزمور يمضى بعد بضع آيات فيقول « ... ومحتقر الشعب . كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين . اتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به . » ، وقد جاء فى أنجيل متى « وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم . قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك . إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ . قالوا خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده . » (ص ٢٧ : ٣٩ – ٤٣) ، كما جاء فى أنجيل مرقس « وكان المجتازون

يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين ياناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة ايام . خلص نفسك وانزل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون فما بينهم مع الكتبة قالوا خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن . » (ص١٥ : ٢٩ – ٣٢) ، ونقرأ كذلك فى أنجيل لوقا « وكان الشعب واقفين ينظرون . والرؤساء أيضا معهم يسخرون به قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله . »(ص٢٣ : ٣٥) .

ويضيف المزمور بعد ذلك قوله « جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدى ورجلى . أحصى كل عظامى . وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون . » ، ولاشك فى أن ثقب اليدين والرجلين هو الصلب ، ونحن نقرأ فى أنجيل متى « ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكى يتم ماقيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . » (ص ٢٧ : ٣٥) ، ونقرأ كذلك فى أنجيل مرقس « ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد . » (ص ١٥ : ٢٤) ، كما جاء فى أنجيل لوقا كذلك « وإذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها » (ص ٢٣ : ٣٤) ، ونقرأ أخيرا فى أنجيل يوحنا « ثم أن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسما . وأخذوا القميص أيضا . وكان القميص بغير خياطة منسوجا كله من فوق . فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . هذا فعله العسكر . » (ص ١٩ : ٢٣ و ٢٤) ، وواضح تطابق ما كان فى الواقع وذكرته الأناجيل من اقتسام ثياب المصلوب والقاء قرعة على لباسه مع ماجاء فى المزمور حتى أن أنجيلى يوحنا ومتى أشارا صراحة إلى أن هذا هو ماسبق التنبؤ به فى هذا المزمور .

ولست فى حاجة لأن أشير هنا إلى تعليقات المسيحيين على هذا المزمور ، فهم

يجمعون كما قلت على أنه يتنبأ بواقعة الصلب ، ولذلك يرون فيه نبوءة بصلب المسيح عليه السلام ، وسبب الاجماع هنا ، فوق اتفاق التفاصيل الواردة فيه ، مع تفاصيل واقعة الصلب كما وردت فى الأناجيل ، مارأيناه فى أنجيلى متى ويوحنا من اعتبار ماورد فى هذا المزمور من آية « يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون . » أنها تتنبأ عن هذا الذى حدث مع المصلوب فى الأناجيل من اقتسام ثيابه والقاء قرعة عليها ، وإذ نعلم جميعا — كما يقول المسيحيون أيضا — أن داود عليه السلام لم يمت مصلوبا ، فهو إذن فى هـذا المزمور لايتحدث عن نفسه ، وإذ تتفق الوقائع المشار اليهـا فى هذا المزمور مع الوقائع التى حدثت مع المصلوب فى الأناجيل ، فلا محل إزاء كل ذلك إلا للتسليم بأن هذا المزمور إنما كان يتنبـأ بواقعة الصلب كما حدثت فى الأناجيل ، ولـكن كل هذه الوقائع لاخلاف عليها كما سبق أن رأينـا بين أى من الصورتين المسيحية أو الاسلامية ، وإنمـا الخلاف بالنسبة لواقعة الصلب نفسهـا هو بالنسبـة لشخصية المصلوب وحدها ، فهل هو المسيح عليه السلام ، كما يعتقد المسيحيون أم هو يهوذا الأسخريوطى طبقا لما جرى عليه اعتقاد المسلمين .

وهنا يعيننـــا المزمور نفسه ، فالمصلوب فيه إذ يتحدث عن نفسه فيصفها ويقول « أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر . . » ، فهنـا المصلوب يقول عن نفسه أنه دودة لا إنسان ، بكل مافى كلـة دودة من معنى التصغير والتحقير والازدراء ، ولايكتفى بهذا ، بل يضيف أنه عار عند البشر ، بكل ماتحمله كلمة عار من معنى الدناءة والخطة ، وهنا لايملك أبسط الناس إلا أن يتعرف بسهولة على هذا الذى يقول عن نفسه هذا الكلام ، وقبل أن يشير أى إنسان اليه ، لابد وأنه مستبعد ابتداء وكلية أن يكون هذا المتحدث عن نفسه هو المسيح عليه السلام ، فما كان المسيح بالذى يمكن أن يشبه يوما بالدودة ، إن هـــو إلا من أسمى البشر وأكرمهم ، وحاشى ، حاشى للمسيح أبدا أن يكون عارا عند البشر ، لم يكن عليه السلام ولن يكون عارا

عند البشر ، لم يكن عليه السلام ولن يكون أبدا فى يوم من الأيام الا مجـدا وفخرا للبشر ، لـكل البشر ، أما هذا الذى نستطيع أن نتبين فيه بسهولة هذه الأقـوال ، فانه يهوذا الاسخريوطى ، التلميذ الذى خان المسيح سيـده ، الذى بقبـلة أراد أن يسلمه ، نعرف بالخائن ، وعرفت قبلته بقبلة الخيانة ، وأصبح لخيانته عارا عندالبشر وإنه لعار عندهم حتى اليوم ، وهو لهذا يمـكن أن يبلغ به شعوره بالخسة والدناءة والخيانة ، حتى ليرى فى نفسه دودة لا انسان ، وأن يعـرف عن نفسه أنه أصبح بخيانته عارا عند البشر ، وهكذا ، فاذا كان هذا المزمور قد تضمن نبوءة عن الصلب فلقد تضمنها بحق ، بل ولقد أنبأنا أيضا بحـق ، بشخصيـة من سيصلب ، وبأنه يهوذا الاسخريوطى وأبدا ليس المسيح عليه السلام .(١)

ولقد يقال أن الأناجيل نفسها قالت نحو ذلك مما يترجمه المزمور بقوله «ومحتقر الشعب» ، والواقع أن هذا الوصف يمكن أن ينطبق على المصلوب سواء أكان هـو المسيح أو يهوذا ، ولـكن الفارق واضح بين عبارة « عار عند البشر » وعبـارة «محتقر الشعب» ، فكلمة الشعب محدودة فى معناها اللغـوى ، فهى تعنى لغـة قبيلة عظيمة أو الجيل من الناس ، وهى هنا ، سواء فى المزمور أو فى الأناجيـل ، تشير

---

(١) يرد القمص باسيليوس اسحق فى كتابه «الحـق» ص ٨٦ و ٨٧ على ذلك بقوله موجها الخطاب الى : (أما عن الاوصاف التى ذكرتموها الواردة فى مز ٢٢ : متروك من الله ودودة لا انسان ، وعار عند البشر . ومحتقر الشعب . وأن الاشرار اكتنفوه وثقبوا يديه ورجليه . وقسموا ثيابه بينهم . واقترعوا على لباسه . . كل هذا قصد به المسيح . ولم يقصد به يهوذا . وهذا لـكى يعرفنا داود النبى ما سيتم يوم الصلب . ووصف فى نفس المزمـور ٢٢ ما يشير الى أن المقصود بهذا الـكلام انما هو الملك مسيا العظيم وان مجده يعقب اتضاعه وان كل ممالك العالم تصير رعيته . وكل قبائل الارض تسجد قدامه) قال سيـادته هذا ولم يزد . واعتبر أنه قد رد على . ولعله يرى أنى لذلك لابد مفحم . وأترك للقارىء تقدير هذا الرد مكتفيا بما فى المتن .

الى المجموعة من الناس التى حضرت واقعة الصلب ، وهم فى الأناجيل كانوا يظنون المصلوب هو المسيح ومع ذلك فقد كان منهم معه ما رأيناه فى الأناجيل ودل على تحقيرهم له ، وهذا طبيعى منهم اذ كانوا يكرهونه حتى أنهم فضلوا اطـلاق سراح اللص القاتل المسمى باراباس على اطلاق سراحه هوطالبين صلبه، هذا عن الشعب ، أما كلمة البشر ، فهى عامة ، لا تخص أشخاصا معينين أو أفرادا معينين ، لا تخص جيلا دون جيل ، وانما هى تنصرف الى الناس جميعا ، الذكر منهم والانثى،الواحد منهم والجمع ، وعند هؤلاء ، ليس المسيح الا مجدا وفخرا ، والعـار عندهم ، حتى اليوم ، هو يهوذا الاسخريوطى .

ثم ، ما الذى وجـدناه فى المزامير السابقـة ، ألم نر المسيح فيهـا دائمـا يدعو فيستجيب الله لدعائه ، «صوتى الى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه.» (مز ٣:٤) و «الرب يسمع عندما أدعوه.» (مز ٤:٣) و «ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الأثـم . لان الرب قد سمع صوت بكائى . سمع الرب تضرعى . الرب يقبل صلاتى » (مز ٦ : ٨ ـ ١٠) و «فى ضيقى دعوت الرب والى الهى صرخت . فسمع من هيكلـه صوتى وصراخى قدامه دخل أذنيـه . » (مز ١٨ : ٦) و «ليستجب لك الرب فى يوم الضيق ... الان عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبـه من سماء قدسه ...» (مز ٢٠) و «حياة سألك فأعطيته . طول الأيام الى الدهر والأبد . » (مز ٢١:٤) فى كل ذلك نجد المسيح اذ يدعو فان الله يستجيب لدعائه ، أما المصلوب فى مزمور ٢٢ فيقول «الهى فى النهار أدعو فلا تستجيب فى الليل أدعو فلا هدو لى .» (٢) ، ألايعنى هذا أن هذا الذى لايستجيب الله له هوشخص آخر غيرهذا الذى يستجيب له فى المزامير السابقة .

كان هذا هو المزمور ٢٢ ، والذى اتفق اجماع المسيحين على أنه يتنبـأ عن واقعة الصلب ، وذهبوا الى أنه يتنبأ عن صلب المسيح عليه السلام ، وقد اتفقنا معهم

على أن ذلك المزمور يتنبأ بالفعل عن واقعة الصلب ، ولكننا وجدنا أنه ينبئنا بجلاء عن شخصية المصلوب ، بما نعرف منه أنه يهوذا الأسخريوطي ، وليس المسيح عليه السلام (١) ، وإذا عدنا إلى المزمورين السابقين على هذا المزمور ، نجد أنهما مع هذا المزمور يكونون ثلاثتهم معا نبوءة واحدة صريحة قاطعة ومتكاملة مع بعضها البعض، وهي في تسلسلها تتفق مع الفرض القائل بتخليص الله للمسيح عليه السلام من الصلب ورفعه اليه وصلب يهوذا الأسخريوطي بدلا منه ، فالمزمور العشرون يبدأ بالدعاء لله أن يستجيب لآخر عندما يدعوه يوم الضيق ، ويدعو الداعي لهذا الآخر

(١) يرد السيد / يسى منصور في الجزء الأول من كتابه بيان الحق من صفحة ٤٥ على ذلك بقوله : (اعترف الاستاذ منصور حسين في كـتابه « دعوة الحق » أن كل ماجاء في مزمور ٢٢ هو نبوءة صحيحة عن الصلب . وأن كل ما كتبه البشيرون الاربعة عن المصلوب مستشهدين بآيات المزمور ٢٢ هو صحيح ولكنه ادعى تعسفا أن المصلوب هو يهوذا . فقد استبعد أن ينطبق على المسيح القول الوارد في المزمور ٢٢ : ٦ « أما أنا فدودة لا إنسان عار عند البشر ومحتقر الشعب » وفاته أن المسيح له المجد «أخلى نفسه آخذا صورة عبد »في ٢ : ٧ وأنه من فرط تواضعه في انسانيته المضطهدة المحتقرة من باب المجاز والكناية شبه نفسه « بدودة » كما شبه داود نفسه « ببرغوث » في قوله لشاول الملك « وراء من خرج ملك اسرائيل - وراء من أنت مطارد - وراء كلب ميت. وراء برغوث واحد . » ١ صم ٢٤ : ١٤ وعلى هذا المنوال مثل القرآن الدواب والطيور بالناس الذين خلقوا في أحسن تقويم « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » سورة الانعام : ٣٨ وقد شبه أشعياء النبي « اسرائيل » بدودة كقوله « لاتخف يادودة يعقوب ياشرذمة اسرائيل أنا أعينك يقول الرب وفاديك قدوس اسرائيل . هأنذا جعلتك نورجا محددا جديدا ذا أسنان تدوس الجبال وتسحقها وتجعل الآكام كالعصافة » اش ٤١ : ١٤ و ١٥) ، ورأى سيادته في عنوان المزمور إشارة لقيامة المسيح من الاموات وبالتالي عدم انطباقه على يهوذا ثم أخذ يطابق بين المزمور وواقعة الصلب ، ولا أرى معنى لما أورده من الامثلة بعد أن قابل بين تعبير الدودة وفرط التواضع في انسانية مضطهدة محتقرة كما يقول ، واكتفى أيضا بهذا التعليق اكتفاء بما ورد في المتن وبما سيلي في المبحث الرابع من الفصل الرابع .

بأن يرفعه اسم إله يعقوب ، ويؤكد المزمور بعد ذلك أن المسيح عليه السلام هو المقصود بهذا المزمور وأن الله سيخلصه فيقول « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » ، ونعلم من كلمة الآن هذه أن الوحى بتلك النبوءة إنما أوحى لداود للتو واللحظة إثر تلاوته ماسبق من دعاء ، وهذا الذى عرفه داود أعلنه للناس فى هذا المزمور ، وهذا المسيح الذى أشار اليه داود بأنه مسيح الرب هو يسوع المسيح كما يسميه المسيحيون وهو المسيح عيسى ابن مريم كما يسميه المسلمون ، لأنه أن قيل بأن هناك مسحاء عديدون ، فان يسوع المسيح عند المسيحيين والمسيح عيسى ابن مريم عند المسلمين ، هو من يتعرف عليه المرء عند إطلاق كلمة المسيح ، والمزمور يصف تخليص الله له فيقول عمن يهجمون عليه أنهم يجثون ويسقطون ، ونعلم يقين أن هذه الصورة لاتكون فى قبر يقوم منه المسيح من الأموات كما يعتقد البعض ، وإنما هى صورة محاولة القبض على المسيح عليه السلام ، ونرى هذا الذى يحدث فى المزمور لمن قاموا عليه يحدث تماما لمن قاموا على المسيح ليقبضوا عليه إذ يذكر أنجيل يوحنا أنهم رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ، وينتهى المزمور إلى أن المسيح يقوم وينتصب ، ومن هذه النقطة يستطرد المزمور الحادى والعشرون ، فيصف فرحة المسيح بخلاصه ، ثم يصف هذا الذى خلص بأوصاف لاتنطبق على غير المسيح عليه السلام ، إذ يقول عنه أنه منح حياة طول الأيام إلى الدهر والأبد ، ويمضى المزمور ، فيتحدث عن غضب الله على هؤلاء الذين نصبوا على المسيح شرا ، وتفكروا له بمكيدة ، ولا يفوته هنا أيضا أن يؤكد تخليص الله له ، فيقول أنهم لم يستطيعوها ، ومن هذه النقطة ، نقطة غضب الله على هؤلاء المتآمرين ، يستطرد المزمور الثانى والعشرون ، فيتحدث عما يجرى لأول هؤلاء المتآمرين وأحقهم بالعقاب ، يهوذا الأسخريوطى ، الذى كان من تلاميذ المسيح وخانه ، فيصف المزمور ماحدث له وكأنه يتحدث بلسانه ، فيصف تماما كل ماكان مع هـذا الذى صلب ، ويعرف المصلوب الناس

بشخصيته فى المزمور فيقول عن نفسه أنه دودة لا إنسان ، عار عند البشر ، فنعرف جميعا أن هذا الذى صلب هو يهوذا الأسخريوطى لا المسيح كما يظن المسيحيون ، فيهوذا هو الذى بخيانته أضحى حقيرا كدودة ، وعاراً عند البشر ، وهكذا ، يكون من هذه المزامير الثلاثة وبنفس ترتيبها ، نبوءة كاملة وصريحة ، عن دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، وتخليص الله له برفعه ، وفشل مؤامرة المتآمرين عليه بهذا الرفع ، وصلب يهوذا الأسخريوطى بدلا منه ، وهذا هو نفس مايقول به القرآن ومايعتقده المسلمون .

المزمور السابع والعشرون : (لداود) .

﴿ الرب نورى وخلاصى ممن أخاف . الرب حصن حياتى ممن أرتعب . عندما اقترب الى الاشرار ليأكلوا لحمى مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا . ان نزل على جيش لا يخاف قلبى . أن قامت على حرب ففى ذلك أنا مطمئن . واحدة سألت من الرب واياها ألتمس . أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكى أنظر الى جمال الرب وأتفرس فى هيكله . لأنه يخبئنى فى مظلته فى يوم الشر . يسترنى بستر خيمته. على صخرة يرفعنى . والآن يرتفع رأسى على أعدائى حولى فأذبح فى خيمته ذبائح الهتاف . أغنى وأرنم للرب .

استمع يا رب . بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى . لك قال قلبى قلت اطلبوا وجهى . وجهك يا رب أطلب . لا تحجب وجهك عنى . لا تخيب بسخط عبدك . قد كنت عونى . فلا ترفضنى ولا تتركنى يا اله خلاصى. أن أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى . علمنى يا رب طريقك . واهدنى فى سبيل مستقيم بسبب أعدائى . لا تسلمنى الى مرام مضايقى . لأنه قد قام على شهود زور ونافث ظلم . لولا أننى آمنت بأن أرى جود الرب فى أرض الأحياء — انتظر الرب . ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب . ﴾

وفى الشطر الأول من هذا المزمور نرى الثقة واليقين بالله والايمان بعظمته وجبروته ، وهو يصف اقتراب الأشرار من المتكلم ، مطابقا فى ذلك اقتراب الأعداء من المسيح ليقبضوا عليه ، فاذا به يقول أنهم عثروا وسقطوا ، مطابقا فى ذلك ما قرأناه فى المزمور العشرين من قوله «هم جثوا وسقطوا» ، ومطابقا أيضا ما جاء فى انجيل يوحنا عمن أتوا للقبض على المسيح من أنهم «رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض » ، ومن ثم فهذا الجزء من المزمور يرمز لمحاولة القبض على المسيح عليه السلام ، ثم إن المزمور يورد بعد ذلك دعاء على لسان قائله ، لم يقل المسيحيون بأنه تحقق فى غير المسيح نفسه ، وذلك عندما يقول أنه سأل الرب واحدة فقط وإياها يلتمس ، وهى أن يسكن فى بيت الرب كل أيام حياته ، ويربط المزمور بعد ذلك بين هذا الدعاء وبين ما تم عند محاولة القبض عليه فيقول أن الرب يخبئه فى مظلته يوم الشر ، فيستره بستر خيمته وعلى صخرة يرفعه ، وكل هذه الأوصاف تعنى وتطابق تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه عند محاولة القبض عليه ، أليس رفعه عليه السلام فى هذه اللحظة وعدم تنبه القادمين للقبض عليه لذلك ، وقبضهم على آخر ظنا منهم أنه المسيح ، يطابق أن الله يخبئه فى مظلته يوم الشر ويستره بستر خيمته ، أليس رفعه هو مايقوله المزمور تتمة لذلك « على صخرة يرفعنى . » أليس القادمون للقبض عليه هم الجيش الذى ينزل عليه فلايخاف قلبه ، لأن الرب يستره عنهم وعلى صخرة يرفعه ، أليست التخبئة هنا تفيد أن أحدا لن يلاحظ ذلك عندما سيكون لأن الله سيخبئه .

وبعد أن يتحدث المزمور فى شقة الأول بهذا اليقين عن تخليص الله للمسيح وتخبئته عند محاولة القبض عليه ورفعه ، نرى الشطر الثانى منه يتحدث عن أمر آخر ، ونلاحظ فى هذا الشطر أنه يقول «لأنه قد قام على شهود زور ونافث ظلم . » واذا رجعنا الى الاناجيل نجد أن انجيل متى يقول « وكان رؤساء الكهنة والشيوخ

والجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه . فلم يجدوا . ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور . وقالا . هذا قال انى أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه . » (مت ٢٦ : ٥٩ — ٦١) ، كما نقرأ فى انجيل مرقس « وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا . لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم . ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين . نحن سمعناه يقول انى انقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد . ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق » (مر ١٤ : ٥٥ — ٥٩) ، وهذا كله يطابق ما وجدناه فى المزمور من قوله « لأنه قام على شهود زور ونافث ظلم » ، ومن ثم نعرف أن هذا الشطر من المزمور يرمز الى الذى يحاكم ، وهو نفسه فى الفرضين الذى قبض عليه وصلب ، فمن هو الذى يحاكم اذن كما يتضح من هذا الشق من المزمور ، المسيح أم يهوذا الاسخريوطى .

ولنمض مع هذا الشطر من المزمور لنتعرف على شخصية المتحدث فيه ، إنه يبدأ بأن يطلب الى الرب أن يستمع له ، أن يرحمه ويستجيب له ، وهو يذكر الله بأنه قال أن يطلبوا وجهه وها هو ذا يفعل فيطلب وجهه ، ويسأله ألا يحجب وجهه عنه وألا يخيب بسخط عبده المتكلم بطبيعة الحال ، ويسأل الله ألا يتركه ، وألا يرفضه وهنا نجد أن صيغة الدعاء تختلف تماما عن كل ما سبق من دعاء رأينا أنه يرمز الى دعاء المسيح لله ان يخلصه ، ففى الأدعية الاخرى التى ترمز لدعاء المسيح نرى الداعى فيها يطلب من الله أن يعامله مثل كماله ومثل حقه وألا يستجيب له ان وجد فيه ظلما ، .. الى آخر ذلك مما وجدناه من دعاء لاحظنا دائما أنه انما كان يتحدث بلهجة صاحب الحق الحقيق بأن يستجاب دعاؤه ، الواثق من أن الله سيستجيبه ، أما فى هذا الشطر من المزمور ، فان الداعى لا يستند فى دعائه الى أى حق اطلاقا ، وانما هو يطلب وجه الرب لأن الرب قال أن يطلب وجهه ، وهو غير واثق من

استجابة الرب لدعائه ، بل انه يخشى أن يخيبه الله بسخطه ، والمستحيل أن يسخط الله على مسيحه أو أن يتصور المسيح ان الله يسخط عليه ، وانما الذى يتصور هذا حقا هو يهوذا الاسخريوطى لخيانته للمسيح عليه السلام ، ولذلك أيضا فهــو غير واثق من استجابة الله لدعائه .

ثم إن المزمور يذكر على لسان المتحدث أن أباه وأمه قد تركاه ، والذى يعرفه الجميع أن المسيح كان من أم فقط وليس له أب ، بعكس يهوذا بطبيعة الحال ، والذى كان كغيره من البشر من أب وأم ، ومن ثم فان هذا الشطر من المزمور ، ولا يمكن أن يكون المقصود منه هو المسيح عليه السلام ، وإنما آخر غيره .

ثم إن المتحدث فى المزمور يمضى فيطلب من الله أن يعلمه طريقه ويهديه فى سبيل مستقيم ، وليس هذا هو مايقوله المسيح فى ختام حياته على الأرض ، فهو قد كان على الهدى طوال حياته ، فما بالنا فى آخر أيامه ، والذى كان فى حاجة الى الهدى بحق فى ختام حياته هو يهوذا الاسخريوطى ، فقد اختتمها بالخيانة والغدر .

واذ ينتهى المزمور نفهم منه أن الداعى فى شطره الثانى لن يستجــاب دعاؤه ، فهذا ما نفهمه من طلب المزمور منه أن يتشدد ويتشجع قلبه ، فما ذلك الا ليتحمــل ما هو مقبل عليه ، قاطعا بذلك أنه سيصلب ولن يخلصه الله من الصلب .

وبذا فان هذا المزمور فى شطره الأول ، يشير الى تخليص الله للمسيح عليــه السلام ورفعه له اليه ، فى خفاء حتى أن الناس لن يلاحظوا ذلك ، ثم هم اذ يقبضون على آخر غير المسيح ، فانه سيحاكم ويقوم عليه شهود زور كما رأينا فى الشطر الثانى من المزمور ، والذى نفهم منه بجلاء أن هذا الذى يحاكم ويقوم عليه شهود زور لن يستجيب الله له بل يخيبه بسخطه ، وهو قول لا ينطبق على المسيح عليه السلام وانما ينطبق تماما على يهوذا الاسخريوطى الذى خانه ، وهكذا يكون من ذلك المزمــور نبوءة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه .

المزمور الثامن والعشرون : (لداود) .

﴿ اليك يا رب أصرخ . يا صخرتى لا تتصامم من جهتى لئلا تسكت عنى فأشبه الهابطين فى الجب . استمع صوت تضرعى اذ أستغيث بك وأرفع يدى الى محراب قدسك . لا تجذبنى مع الأشرار ومع فعلة الاثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم . أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم . حسب صنع أيديهم أعطهم . رد عليهم معاملتهم . لأنهم لم ينتبهوا الى أفعال الرب ولا الى أعمال يديه يهدمهم ولا يبنيهم .

مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعى . الرب عزى وترسى عليه اتكل قلبى فانتصرت . ويبتهج قلبى وبأغنيتى أحمد . الرب عز لهم وحصن خلاص مسيحه هو. خلص شعبك وبارك ميراثك وارعهم واحملهم الى الابد . ﴾

والمزمور يبدأ مشيرا الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، فهو يصرخ الى الرب ألا يسكت عنه فيشبه الهابطين فى الجب ، أن يستمع صوت تضرعه اذ يستغيث به ويرفع يده الى محراب قدسه ، وقد وجدنا أنه قبل قدوم من حضروا للقبض على المسيح تضرع الى الله لكى يخلصه من الصلب ، والمزمور يدعو الداعى فيه الله ألا يجذبه مع الاشرار وحملة الاثم ، مشيرا بذلك الى القادمين للقبض على المسيح ، فهم بغير شك أشرار وحملة اثم ، وهو يسأل الله ألا يجذبه معهم ، بالطبع بألا يسلمه لهم ولا يتركه فى أيديهم، وثمة واحدمن هؤلاء نعرف من المزمور أنه يهوذا الاسخريوطى حيث يقول المزمور «المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم » ، وهذا هو يهوذا ، اذ هو من تلاميذ المسيح وأصحابه ، وقد تقدم منه عندئذ يقبله ، وكأنما هو بذلك بالسلام يخاطبه ، بينما كان الشر فى قلبه ، اذ كانت هذه القبلة نفسها هى العلامة لمن معه ليعرفوا المسيح ويقبضوا عليه.

والمزمور يمضى بعد ذلك، فيطلب على لسان الداعى، والذى قلنا أنه هنا المسيح،

يطلب ، أن يعطيهم الله حسب فعلهم وصنع أيديهم ويرد عليهم معاملتهم ، ونفهم من هذا أن يهوذا هو المقصود من هذا الدعاء ، فهو الذى قبل المسيح مخاطبا اياه بالسلام والشر فى قلبه على نحو ماتقدم ، وإعمال هذا الدعاء على يهوذا ، برد معاملته عليه ، لا يكون إلا بالقبض عليه ومحاكمته بعد ذلك وصلبه بدلا من المسيح عليه السلام ، فبذلك وحده يعطى حسب فعله وحسب شر أعماله وحسب صنع يديه وتكون معاملته قد ردت عليه ، ومن ثم فاستجابة هذا الدعاء تكون بحق على هذا النحو .

ويمضى المزمور فيؤكد ذلك على لسان الداعى اذ يقول أن الرب مبارك لانه سمع صوت تضرعه ، مشيرا بذلك الى تضرعه فى أول المزمور ، ويقول بأن الرب ترسه وعزه عليه اتكل قلبه فانتصر ويبتهج قلبه لذلك ، ثم يؤكد المزمور تخليص المسيح بقوله «الرب عز لهم وحصن خلاص مسيحه هو .»

ونخلص من هذا المزمور الى أنه ، وقد تضمن دعاء ، ثم تضمن فى نفس الوقت استجابته ، فانه بذلك انما قصد به التنبؤ ، وهو فى أوله يشير الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب وصلب يهوذا بدلا منه، واذ يقطع المزمور باستجابة هذا الدعاء اذن فقد خلص الله مسيحه وأوقع يهوذا فى نفس الحفرة التى حفرها للمسيح سيده .

المزمور الثلاثون : (مزمور . اغنية تدشين البيت . لداود)

{ أعظمك يا رب لانك نشلتنى ولم تشمت بى أعدائى . يا رب الهى استغثت بك فشفيتنى . يا رب أصعدت من الهاوية نفسى أحييتنى من بين الهابطين فى الجب. رنموا للرب يا أتقياءه واحمدوا ذكر قدسه . لان للحظة غضبه . حياة فى رضاه . عند المساء يبيت البكاء وفى الصباح ترنم . وأنا قلت فى طمأنينتى لا أتزعزع الى الأبد . يارب برضاك ثبت لجبلى عزا . حجبت وجهك فصرت مرتاعا . اليك يارب أصرخ والى السيد أتضرع . ما الفائدة من دمى اذا نزلت الى الحفرة. هل يحمدك التراب . هل يخبر بحقك . استمع يا رب وارحمنى يارب كن معينا لى . حولت

نوحى الى رقص لى . حللت مسحى ومنطقتنى فرحا . لـكى تترنم لك روحى ولا تسكت . يا رب الهى الى الابد احمدك . ﴾

والمزمور يبدأ بتعظيم الرب لأنه نشله ، وليس أدق من وصف لرفع المسيح من بين من قدموا للقبض عليه من هذا الوصف ، نشلتنى ، والمزمور يمضى مؤكدا ذلك بقوله أن الله لم يشمت به أعدائه ويعود المزمور بعد ذلك ليؤكد تخليص الله للمسيح برفعه اليه فيقول للرب أنه قد أصعد من الهاوية نفسه وأحياه من بين الهابطـين فى الجب ، وانها لهاوية حقا تلك التى كان سيسقط فيها المسيح وجب كان سيهبط فيـه لو تمـكن أعداؤه من القبض عليه ، وإنه لاحياء له حقا من بين الهابطين فى الجب رفعه الى السماء من بين أعدائه .

على أنه قد يقال هنا أن إصعاد نفس المسيح من الهاوية واحيائه من بين الهابطين فى الجب انما هو نبوءة عن قيامة المسيح بعد صلبه ودفنه لثـلاثة أيام ، الا أن الرد على ذلك بسيط ، يتولاه الجزء الثانى من المزمور بـكل جلاء ووضوح ، ففيه يتساءل الداعى الذى يرمز للمسيح عليه السلام ، متوجها بـذلك الى الرب ، فيتساءل عن الفائدة من دمه اذا نزل الى الحفرة ، هل التراب سيحمد الله أو يخبر بحقه ، ومفهوم التساؤل أنه ينفى ما يتساءل عنه ، والربط بين هذا التساؤل وبين تعظيمه للرب فى أول المزمور لأنه أصعد من الهاوية نفسه وأحياه من بين الهابطين فى الجب ، انما يقطع بأنه لم يسفك دمه ولم ينزل الى الحفرة ، أى لم يدفن ، وبذلك فان أول المزمور يشير الى لحظة محاولة القبض على المسيح وليس الى أية لحظة أخرى غيرها ، والمـزمور بعد هذا ينتهى مؤكدا كل ذلك بقوله «حولت نوحى الى رقص لى . حللت مسحى ومنطقتنى فرحا .» ، أفليس هذا هو حال المسيح عليه السلام اذ يخلصه الله ويرفعـه اليه بعد أن كان قد ظن أنه سيصلب .

وثمة آية وردت فى المزمور قد يتصور منها أن الرب قد حجب وجهه عن هذا

الداعى ، وهى تلك التى تقول «حجبت وجهك فصرت مرتاعا» ، والواقع أن هذه الجملة لهى أدق وصف لتلك اللحظة التى وجدنا المسيح فى نهايتها يقول «... ياأبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك .» (متى ص ٢٦ ٤٢) ، فهنا يبدو على المسيح اليأس من استجابة الله لدعائه فيسلم بمشيئته ، وكأنما فى هذه اللحظة ، وحتى خلصه الله ، بدا له وكأن الله قد حجب وجهه عنه ، ولذا يقول المزمور «حجبت وجهك فصرت مرتاعا » ، الا أن المزمور يمضى بعد ذلك فيؤكد أن ذلك لم يكن سوى الى حين حيث ينتهى بقوله «حولت نوحى الى رقص ... »

والمزمور كما نرى يتضمن دعاء الى الله ويتضمن فى نفس الوقت استجابة هذا الدعاء فنفهم من ذلك قصد التنبؤ فيه ، وهو على نحو ما تقدم نبوءة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه .

المزمور الحادى والثلاثون : (لامام المغنين . مزمور لداود)

(عليك يا رب توكلت . لا تدعنى أخزى مدى الدهر . بعدلك نجنى . أمل الى اذنك . سريعا أنقذنى . كن لى صخرة حصن بيت ملجأ لتخليصى . لأن صخرتى ومعقلى أنت . من أجل اسمك تهدينى وتقودنى . اخرجنى من الشبكة التى خبأوها لى . لأنك أنت حصنى . فى يدك أستودع روحى . فديتنى يارب اله الحق . بغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة . أما أنا فعلى الرب توكلت . أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت الى مذلتى وعرفت فى الشدائد نفسى . ولم تحبسنى فى يد العدو بل أقمت فى الرحب رجلى .

ارحمنى يارب لأنى فى ضيق . خسفت من الغم عينى . نفسى وبطنى . لأن حياتى قد فنيت بالحزن وسنينى بالتنهد . ضعفت بشقاوتى قوتى وبليت عظامى . عند كل أعدائى صرت عارا وعند جيرانى بالكلية ورعبا لمعارفى . الذين رأونى خارجا هربوا عنى . نسيت من القلب مثل الميت . صرت مثل إناء متلف . لأنى سمعت

مذمة من كثيرين . الخوف مستدير بى بمؤامرتهم معا على . تفكروا فى أخذنفسى .
أما أنا فعليك توكلت يا رب . قلت الهى أنت . فى يدك آجالى . نجنى من يد
أعدائى ومن الذين يطردوننى . أضىء بوجهك على عبدك . خلصنى برحمتك. يارب
لاتدعنى أخزى لأنى دعوتك. ليخز الاشرار . ليسكنوا فى الهاويه . لتبكم شفاه
الكذب المتكلمة على الصديق بوقاحة بكبرياء واستهانة . ما أعظم جودك الذى
ذخرته لخائفيك . وفعلته للتكلين عليك تجاه بنى البشر . تسترهم بستر وجهك من
مكايد الناس . تخفيهم فى مظلة من مخاصمة الألسن . مبارك الرب لأنه جعل عجيبا
رحمته لى فى مدينة محصنة . وأنا قلت فى حيرتى أنى قد انقطعت من قدام عينيك .
ولكنك سمعت صوت تضرعى اذ صرخت اليك . أحبوا الرب يا جميع أتقيائه .
الرب حافظ الأمانة ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء . لتتشدد ولتتشجع قلوبكم
يا جميع المنتظرين الرب . »

والمزمور اذ يرمز للمسيح ، نراه فيه يبدأ بالتوكل على الرب وسؤاله له ألا
يجعله يخزى مدى الدهر ، وأن ينجيه بعدله ، وإن العدل حقاالان يخلص اللهمسيحه ،
ويمضى فيسأله أن يكون صخرة له وحصنا وبيتا يلجأ اليه ليخلصه ، لأنه صخرته
ومعقله ، ويصف محاولة القبض عليه كأنما سيلقون عليه بشبكة فيسأل الرب أن يخرجه
منها ، ثم نرى بعد ذلك تسليمه لمشيئة الله والتى عبر عنها فى الاناجيل بقوله « . .
ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » وقوله « . . . ولكن لتكن لا ارادتى
بل ارادتك . » ، وذلك بعد أن دعا الله أن يخلصه من الصلب ، فهو هنا انما لتقواه قد
استسلم لمشيئة الله وهو ما نقرؤه فى (عبرانيين ص ٥ : ٧) « الذى فى أيام جسده اذ
قدم بصراخ شديد طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل
تقواه . » ونرى المزمور يعبر عن هذا التسليم بقوله « فى يدك أستودع روحى . » ،
وإنه لحقا فى يد الله يستودع روحه اذ يسلم بمشيئته أن يصلب ، كأنه بذلك يقول ،

وبعد أن دعا الله أن يخلصه من الصلب ، أن هــذى روحى بين يديك ، ان شئت فاقبضها ، وان شئت فنجنى كما دعوتك .

الا أن المزمور يؤكد بعد ذلك أن الله خلصه اذ يقول « فديتنى يارب اله الحق » ثم يزيد تخليصه له تأكيدا فيقول «أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظـرت الى مذلتى وعرفت فى الشدائد نفسى . ولم تحبسنى فى يد العدو بل أقمت فى الرحب رجلى .» فأى تعبير أوضح وأدق من هذا ، حتى يشير المزمور الى لحظة محاولة القبــض على المسيح وتخليص الله له عندئذ من قوله « ولم تحبسنى فى يد العــدو » ، وأى تعبير أوضح وأدق مما يقوله المزمور بعد ذلك مباشرة «بل أقمت فى الرحــب رجـلى » مؤكدا بذلك أن عدم حبسه فى يد العدو كان باقامة رجله فى الرحب ، وهل ذلك غير السماء كما سبق أن رأينا .

ويعود المزمور فيكرر الدعاء الى الله أن يرحمه لأنه فى ضيق ، والضيق فى حياة المسيح كما سبق أن رأينا هو يوم محاولة القبض عليه والذى كان يظن أنه سيـؤدى الى صلبه ، وقد بان أثر هذا الضيق فى دعائه وصلاته وتضرعه لله أن يخلصه من الصلب ويقول المزمور بعد ذلك أنه قد صار عارا عند كل أعدائه ، ولقد يختلــط ذلك فى الأذهان بما ورد فى المزمور العشرين من قول المصلوب فيه «أما أنا فدودة لا انسان. عار عند البشر » حيث انتهينا الى ان المسيح لايمكن أن يكون هو القــائل لذلك ، والواقع أن الآيتين تختلفان تمام الاختلاف رغم اتفاقهما فى كلمة عار ، فالقــائل فى المزمور ٢٢ أنه عار عند البشر لا يمكن أن يكون هو المسيح عليه السلام لما وجدناه من أن كلمة البشر هذه لاتضم شخصا دون آخر أو جيلا دون غيره ولا حتى شعبــه دون غيره ، وانما تنصرف الى الناس جميعا ، أما هنا فى المزمور الحادى والثــلاثون فالمتكلم فيه يقول أنه قد صار عارا بالتحديد عند كل أعدائه ، وعند الأعــداء دون غيرهم ، وهو قول ليس فيه ثمة ما يمنع أن يــكون عن المسيح نفسه عليه السلام ،

فقد كان عارا عند أعدائه بغير شك ، ولـكن عند أعدائه فقط دون سواهم ، اذ هو عند غيرهم مجـد وفخر ، ثم يمضى للزمور فيقول أنه قد صار ليس فقط عارا عند أعدائه ، بل أيضا صار رعبا لمعارفه ، ونراه يشرح بعد ذلك بالتفصيل كيف كان رعبا لمعارفه فيقول « الذين رأونى خارجا هربوا عنى . » ، وهو يشيرهنا الى هرب تلاميذ المسيح عند خروجة لمن أتوا للقبض عليه ، بل ان انجيل متى يشير الى الآية الأخيرة فى هذا المزمور باعتبار أنها تتنبأ بالفعل عن هذه الواقعة فيقـول عن لحظة محاولة القبض على المسيح « وأما هذا كله فقد كان لـكى تـكمل كـتب الأنبياء . حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا . » (٢٦ : ٥٦) ، ويمضى المزمور بعد ذلك مشيرا الى التآمر على المسيح مؤكداً أنه يرمز الى محاولة القبض عليه فيقول « الخوف مستدير بى بتآمرهم معا على . تفـكروا فى أخذ نفسى . » ، وما أخـذ نفسه الا القبض عليه .

واذ يقف المزمور بنا هنا فى اللحظة التى التف فيها الأعداء حول المسيح للقبض عليه ، ويهرب فيها تلاميذه ، نرى المسيح يتوكل على الله فيقول له أنه الهه وفى يده آجاله، ويسأله أن ينجيه من أعدائه وأن يضىء بوجهه عبده ويخلصه برحمته ولايدعه يخزى لأنه دعاه ، ويسأله أيضا أن يخز الأشرار ، وهم بالطبع من أتوا للقبض عليه وعلى رأسهم يهوذا الاسخريوطى ومن معه ، وأن يسكنهم فى الهاوية ، أليست هى الهاويه التى دعا فى المزامير السابقة ليتخلص منها ، ورأينا الله فى المزامير السابقة يصعد نفسه منها ، فـكيف يسكن أعداءه فيها الا برفعه وتخليصه وصلب يهوذا بدلا منه ، وبعد هذا يستطرد المزمور بلسان الحمـد والشكر لله شاكرا له عظيم جوده الذى ادخره لخائفيه ، والذى فعله للمتكلـين عليه ، ثم يؤكد استجابة الرب له ورحمته به بقوله « مبارك الرب لأنه جعل عجبا رحمته لى فى مدينـة محصنة . » ، فأى رحمة هذه رحمها الله لمسيحه ، أهى صلبه ، أم تخليصه من الصلب ، وأى عجب أعجب

من هذه الرحمة التى رحمها الله لمسيحه من أن يرفعه اليه من بين القائمين عليه ليمسكوه ، فلا يحبسه فى ايديهم ، وانما يرسل من العلا فيأخذه . أليست هذه هى الرحمة العجيبة التى رحمها له الله ونطق بها المزمور ، بل ان هذا الذى خانه وأتى ليرشد عنه يقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلاً منه ، فهل أعجب من كل هذا تكون رحمة الرب ، إنه بذلك ليرحمه مستجيبا لدعائه أن يخزى الأشرار ويسكنهم فى الهاويه فيقعون بذلك فى الحفرة التى حفروها .

ويستطرد المزمور بعد هذا فيشير الى انه وحتى هذه اللحظة التى خلص الله فيها مسيحه برفعه اليه من بين من قدموا للقبض عليه ، حتى هذه اللحظة يحسب المسيح أن الله قد لايستجيبه ، وقد فصلنا ذلك فى شرحنا لأول المزمور من قول المسيح عليه السلام فى الأناجيل « . . ولكن لتكن لاارادتى بل ارادتك . » ، وهذه الحيرة نفسها يعبر عنها المزمور فيقول « وأنا قلت فى حيرتى قد انقطعت من قدام عينيك . » ، ويقطع المزمور بعد هذا بأن ذلك الظن لم يكن صحيحا وبأن الله انما سيستجيب له فيقول « ولكنك سمعت صوت تضرعى اذ صرخت اليك . ».

وهكذا لانجد فى هذا المزمور الا نبوءة صريحة بتخليص الله للمسيح عليه السلام من بين أعدائه عند قدومهم للقبض عليه ، فلا يحبسه بين أيديهم ، بل يرفعه عاليا اليه ، موضحا أنه فى هذه اللحظة سيهرب من كان مع المسيح من تلاميذه ، والى هذه اللحظة يحسب المسيح أن الله قد لايستجيب دعاءه ، ولكن الواقع أنه قد استجاب له ، ولكن فى آخر لحظة ، عندما وصلوا اليه ليقبضوا عليه .

المزمور الرابع والثلاثون : (لداود عندما غير عقله قدام أبيمالك فطرده فانطلق) .

{ أبارك الرب فى كل حين . دائما تسبيحه فى فمى . بالرب تفتخر نفسى . يسمع الودعاء فيفرحون . عظموا الرب معي ولنعل اسمه معا .

طلبت الى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى . نظروا إلى واستناروا ووجوههم لم تخجل . هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم . ذوقوا وانظـروا ما أطيب الرب . طوبى للرجل المتوكل عليه . اتقوا الرب ياقديسيه لأنه ليس عوز لمتقية . الأشبال احتجت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شىء من الخير .

هلم أيها البنون استمعوا الى فأعلمكم مخافة الرب . من هو الانسان الذى يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيرا . صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش . حد عن الشر واصنع الخير . اطلب السلامة واسع وراءها . عينا الرب نحـو الصديقين وأذناه الى صراخهم . وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم . أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم .

قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح . كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب . يحفظ جميع عظامه . واحد منها لا ينكسر . الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون . الرب فادى نفوس عبيده وكل من اتكل عليه لا يعاقب .)

ونقرأ فى التعليق على هـذا المزمور فى ص ٥٧ من كتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته :

(٢٩ — تنبؤ داود النبى ١٠٥٦ ق . م بعدم كسر عظام يسوع المسيح بعد صلبه: مز ٣٤ . . . « يحفظ جميع عظامه . واحد منها لا ينكسر . »)

هذه النبوءة تشير الى عدم كسر عظام يسوع المسيح بعد صلبـه على الصليب . اذ جرت العادة عند اليهود أن المصلوبين لا يستمر وجودهم على الصليب حتى يـوم السبت . ولما كان الصلب فى يوم الجمعة فقد أتى العسكر ليكسروا عظام رجليه لإزالة من على الصليب ولـكنهم وجدوه قد مات فلم تكسر عظام رجليه أى حفظت جميع

عظامه وواحدة منها لم تنكسر تحقيقا لما تقوله نبوءه الكتاب .

يو ١٩ : ٣٢ – ٣٣ ، ٣٦ « فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والآخر المصلوب معه . وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قدمات لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه . »)

فهذا المزمور إذن ، وبدليل كتابى هو ماورد فى انجيل يوحنا ، يرمز عند المسيحيين للمسيح عليه السلام ، ونحن نراه فى المزمور يبدأ بتسبيح الرب لأنه طلب اليه فاستجاب له ومن كل مخاوفه أنقذه ، ونعرف من قولة مخاوفه أن الدعاء المقصود هنا هو ذلك الذى كان عند المخاوف، ولم تكن هذه المخاوف كما نعلم الاعند قدوم يهوذا ومن معه للقبض على المسيح ، والدعاء المقصود هنا اذن هو ذاك الذى دعاه فى هذا الحين ؛ أى أن يخلصه الله من الصلب ، وهو مايؤكد المزمور حدوثه – أى تخليصه من الصلب – بقوله أن الرب استجاب له ومن كل مخاوفه أنقذه ، وبأنه استمعه ومن كل ضيقاته خلصه ، ولا يكون ذلك الا بتخليصه من الصلب وليس بصلبه ، ثم هو يؤكد ذلك ثانية فيقول « كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب » ؛ فاذا استطرد بعد ذلك وقال « يحفظ جميع عظامه . واحد منها لاينكسر . » فاننا نتساءل كيف يكون ذلك ، كيف لاينكسر واحد من عظامه ، هل بصلبه كما يقولون وعدم كسر الجند لساقيه ؛ أم بعدم صلبه على الاطلاق ، ان المستحيل أن يصلب شخص ولاينكسر عظم منه ، ولينظر أى قارىء الى يديه ورجليه وليقل أين يمكن أن تثقب يدان ورجلان ولايمر الثقب فى عظم ، ان ثقب اليدين والرجلين لابد يقينا أن يكسر به عظم ، ولذا فعدم كسر الجند لساقى المصلوب لايعنى بحال أن عظما لم يكسر منه ، وانما هو هذا الذى لم يصلب من يصدق عليه القول أن عظما لم يكسر منه ، واذا كان هو المسيح عليه السلام ، فانه لم يصلب بل خلصه الله ، استجاب لدعائه ورفعه اليه فخلصه بذلك من الصلب وحفظ جميع

عظامه وواحد منها لم ينكسر ، ثم يتحدث المزمور بعد ذلك عن هذا الشرير الذى خان سيده وأتى ليرشد عنه من يقبضون عليه ليحاكموه ويصلبوه فيقول عنه « الشر يميت الشرير » ، تماما كما قالت المزامير من قبل « كرا جبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع . » و « الشرير يعلق بعمل يديه » ، وهنا أيضا « الشر يميت الشرير » ، نعم ، فانه بالقبض عليه بدلا من المسيح بعد أن خانه ، ومحاكمته وصلبه بعد ذلك ، بهذا يكون شره فعلا قد أماته .

وهكذا ، وإذ يجد المسيحيون فى هذا المزمور نبوءة عن المسيح ، فاننا نجد فيها بحق أنها نبوءة كاملة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه .

المزمور الخامس والثلاثون : (لداود)

﴿خاصم يارب مخاصمى . قاتل مقاتلى . امسك مجنا وترسا وانهض الى معونتى . واشرع رمحا وصد تلقاء مطاردى . قل لنفسى خلاصك أنا . ليخز ويخجل الذين يطلبون نفسى . ليرتد الى الوراء ويخجل المتفكرون باساءتى . ليكونوا مثل العصافة قدام الريح وملاك الرب داحرهم . ليكن طريقهم ظلاما وزلقا وملاك الرب طاردهم . لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوة شبكتهم . بلا سبب حفروا لنفسى . لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع . أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه .﴾ (١ — ٩)

وفى التعليق على هذا المزمور نقرأ فى كتيب تأملات فى المزامير — العدد ١١ — وهو منسوب لآباء الكنيسة القديسين وأصدرته كنيسة مار جرجس بالاسكندرية باسبورتنج ، نقرأ فى ص ٥٣ و ٥٤ :

« لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوة شبكتهم » (٧)

ان رأسنا الرب يسوع أخفى له اليهود هوة شبكتهم وظنوه قد انخدع فى حبالهم ،

فى حين أنهم هم الذين قد خدعوا أنفسهم . فيهوذا كان أحد الاثنى عشر ، وهو مثل لنا لأنه لابد أن نعيش فى وسط الأشرار وان نحتمل شرهم سواء عرفناهم أم لا — فقد أعطانا الرب مثالا لئلا نفشل — كما أن مدرسة يسوع المكونة من التلاميذ الاثنى عشر لم تفشل فكم بالحرى يجب علينا أن نكون حكماء لأنه قد تمت النبوة عن ظهور الشر فى مدرسة المسيح . إنهم بلا سبب أخفوا لى فخا — أى ظلما وبهتانا .

« لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به الشبكة التى اخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع » . (٨)

عقاب عادل ليهوذا الذى صنع الفخ فوقع فيه .

عقاب عادل للشيطان الذى نصب فخا لاماتة ربنا فوقع هو فى الفخ وانكسرت قوته .

يتفق مع هذا قول الأمثال : من يحفر حفرة يسقط فيها ومن يدحرج حجراً تتدحرج عليه « أم ٢٦ : ٢٧ » ان الشرير تأخذه خطيته وبحبال خطيته يمسك أم ٥ : ٢٢)

إنه المسيح اذن الداعى فى هذا المزمور ، وانه ليهوذا الاسخريوطى مقاتله فى هذا المزمور ، ذلك ما يقوله آباء الكنيسة فى كتبهم هذا ، وذاك ما أتفق معهم عليه ، فماذا يقول المسيح فى هذا المزمور ، اننا نراه يسأل الرب أن يخاصم مخاصميه ويقاتل مقاتليه ويصد مطارديه ويكون خلاصه ليخز ويخجل الذين يطلبونه ، أى الذين يريدون القبض عليه ، وليرتدوا الى الوراء ، وقد رأينا فى انجيل يوحنا أن من أرادوا القبض على المسيح رجعوا وقتها الى الوراء ، بل وسقطوا على الأرض ، ويمضى المزمور فى هذا المعنى فيطلب من الله أن يجعلهم عندئذ مثل العصافة قدام الريح ، وهذا ما يوضح سبب سقوطهم على الأرض كما ورد فى انجيل يوحنا ، ثم

يوضح المزمور سبب الدعاء عليهم فيقول بأنهم قد أخفوا له هوة شبكتهم بلا سبب وحفروا له بلا سبب ، وفى هـذا ما يشير الى لحظة محاولة القبض على المسيح عليه السلام ، فبدلا من أن يجاهر يهوذا بسبب حضوره ، يخفيه ، ويتقدم من المسيح ليقبله ، ساترا بذلك غرضه الأصلى ، والذى ينفس هذه القبلة ينفذه ، اذ أتى ليرشد الجند والخدام الى المسيح ، وكانت هذه القبلة نفسها هى العلامة عليه ، وبهذا يكون قد أخفى هوة شبكته ، ألم يأت لصيده ، وأليست هذه القبلة ما يخفى به شبكة صيده ، فماذا تكون النتيجة ، « لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع . » ، وهذا هو ما فسره بحق آباء الكنيسة القديسون فى كتبهم — تأملات فى المزامير — بأنه عقاب عادل ليهوذا الذى صنع الفخ فوقع فيه ، وبأنه يتفق مع قول الأمثال من يحفر حفرة يسقط فيها ومن يدحرج حجرا تتدحرج عليه وأن الشرير تأخذه خطيته وبحبال خطيته يمسك ، وأضيف أيضا أنه يتفق مع ما جاء فى المزامير السابقة من « كراجبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع » و « الشرير يعلق بعمل يديه » ، ولكن بالله عليكم يا آباء الكنيسة القديسين ، يا من قلتم بهذا ، كيف يكون ، أبصلب المسيح عليه السلام ، أم بصلب يهوذا الاسخريوطى ، هل بغير صلب يهوذا يكون قد وقع فى التهلكة نفسها ، أبغير صلب يهوذا تكون قد نشبت به الشبكة التى أخفاها ، أبغير صلب يهوذا يكون قد وقع فى الحفرة التى حفرها ، وهل أوضح من هذا تكون النبوءة أن الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب سيكون هو يهوذا الاسخريوطى لا المسيح عليه السلام والذى ينتهى المزمور بالقـــول على لسانه « أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه » .

وهكذا ، نجد فى هذا المزمور ، نفس ما وجدناه فى المزامير السابقة ، فهـو يتضمن نبوءة واضحة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام ممن يحاولون القبض عليه ، وأيضا عن القبض على يهوذا الاسخريوطى بدلا منه ، فيشرب بذلك نفس

الكأس التى كان سيذيقها للمسيح سيده ، وفى التهلكة نفسها يقع .

المزمور السابع والثلاثون : (لداود)

﴿الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه . الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت . الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم . سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر .﴾ (١٢ – ١٥) .

﴿الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته . الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته . انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض . الى انقراض الأشرار تنظر .﴾ (٣٢ – ٣٤) .

والجزء الأول الذى أوردناه فى المزمور يرمز الى تآمر يهوذا الاسخريوطى «الشرير» على المسيح «الصديق» ، ولكن المزمور يقول أن الرب يضحك به ، وكان حريا بالرب على الاقل ألا يضحك لو كانت المؤامرة ستنجح ، ولكن المزمور يمضى فيوضح سبب ضحك الرب بقوله أن ذلك لانه رأى أن يوم الشرير آت ، ولا يعنى ذلك الا أن المؤامرة نفسها هى التى ستجعل يوم الشرير يأتى ، وهذا مايستطرد المزمور فيوضحه بكل جلاء حين يقول عن الأشرار أنهم بعد أن سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم ، رمزا للمؤامرة على المسيح بطبيعة الحال ، فاذا بسيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر ، ومن هنا نعرف لماذا يضحك الرب من مؤامرتهم ، وكيف أنه بذلك عرف أن يوم الشرير آت ، ذلك أن المؤامرة انقلبت على هذا الشرير ، ولا يكون ذلك ، والمزمور يقول اذا بسيفهم يدخل فى قلبهم ، الا بالقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح ، اذ بذلك يكون سيفه قد دخل فى قلبه ووقع فى نفس الحفرة التى صنع كما وجدنا فى المزامير السابقة .

ويعود الجزء الآخر الذى أوردناه من المزمور فيؤكد كل ذلك ، فهو يقول

أن الشرير ، وهو هنا يهوذا ، يراقب الصديق ، الذى يرمز إلى المسيح ، محاولا أن يميته ، ويقطع المزمور بأن الرب لايتركه فى يده ، قاطعا بذلك بأنه عندمحاولة القبض على المسيح تنفيذا للمؤامرة عليه ، فانه لن يتركه فى يد أعدائه ، ويمضى المزمور بعد ذلك فيقول قولا يبدو عجبا ، فهو يقول « ولايحكم عليه عند محاكمته . » ، فاذا كان المسيح هو الذى يحاكم ، فكيف هنا لايحكم عليه ، أببرئته ، بالطبع لا ، لأننا نعلم جميعا أن هذا الذى حوكم قد أدين ، فكيف لو كان المسيح هو الذى يحاكم لايحكم عليه ، مستحيل أن يتفق المزمور مع هذا الكلام ، إذن ، لو كان هذا الذى يحاكم هو يهوذا الأسخريوطى ، فهل يصح هذا الذى يقوله المزمور ، نعلم أن يهوذا فى الفرض الذى يعتقده المسلمون ، رغم أنه هو الذى قبض عليه وحوكم وصلب بدلا من المسيح ، إلا أنه لم يحاكم باعتباره يهوذا ، وإنما حوكم باعتباره المسيح ، والحكم صدر أيضا بادانته ولكن باعتباره صادرا على المسيح ، وليس على يهوذا ، إذن المحاكمة معقودة لمحاكمة المسيح ، ولكن الذى يحاكم فى الواقع أمامهم هو يهوذا الأسخريوطى ، والحكم يصدر باعتباره صادرا على المسيح نفسه ، ولكن الذى يحكم عليه هو يهوذا الأسخريوطى ، أما المسيح فليس هو هذا الذى يحكم عليه فى الواقع وإن انعقدت المحاكمة لمحاكمته أصلا ، وبذلك يصدق ما قاله المزمور «ولا يحكم عليه عند محاكمته . » ، وهكذا لايعود فى هذا القول من المزمور أى عجب ، إذ ليس فيه إلا التطابق الكامل مع الفرض الذى يعتقده المسلمون ، وأخيرا فان المزمور ينتهى بتأكيد تخليص الله للمسيح ، مشيرا إلى كيفية هذا التخليص بقوله «فيرفعك» ، كما أنه يشير إلى ماسيحيق بيهوذا بقوله «إلى انقراض الأشرار تنظر . »

وهكذا نجد فى هذا المزمور نبوءة كاملة لتخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا الأسخريوطى ومحاكمته على أنه المسيح ، فيصدر الحكم فى الواقع على يهوذا رغم أن المحاكمة انعقدت لمحاكمة المسيح وليس يهوذا ، وإذ يصدر الحكم

على يهوذا فانه ينفذ عليه ويصلب بدلا من المسيح عليه السلام .

المزمور الاربعون : (لامام المغنين - مزمور لداود)

﴿انتظارا انتظرت الرب فمال إلى وسمع صراخى . وأصعدنى من جب الهلاك . من طين الحمأة وأقام على صخرة رجلى. ثبت خطواتى . وجعل فى فمى ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا .﴾ (١ – ٣)

وترمز هذه الآيات إلى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، وتوضح أن الله قد سمع له ، وتصف كيفية تخليصه فتقول أنه أصعده من جب الهلاك من طين الحمأة ، مشبها بذلك الذين التفوا حـــوله المسيح ليقبضوا عليه بجب الهلاك وطين الحمأة ، وإنهم حقا لـكذلك لأنهم إنما بغوا هلاكه ، ويضيف المتحدث أن الله قد جعل بذلك فى فمه ترنيمة جديدة يسبحه بها ، ولاشك أنها ترنيمه خلاصه التى لايـكاد مزمور يخلو منها .

المزمور الحادى والاربعون : (لامام المغنين . مزمور لداود) .

﴿طوبى للذى ينظر إلى المسكين. فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه يغتبط فى الأرض ولا يسلمه الى مرام أعدائه . الرب يعضده وهو على فراش الضعف مهدت مضجعه كله فى مرضه .

أنا قلت يارب ارحمنى . اشف نفسى لأنى قد أخطأت اليك . أعدائى يتقاولون على بشر . متى يموت ويبيد اسمه . وان دخل ليرانى يتكلم بالـكذب . قلبه يجمع لنفسه اثما . يخرج . فى الخارج يتكلم. كل مبغضى يتناجون معا على. تفـكروا بأذيتى. يقولون أمر ردىء قد انسكب عليه. حيث اضطجع لايعود يقوم . أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع على عقبه .

أما أنت يارب فارحمنى وأقمنى فأجازيهم. بهذا علمت أنك سررت بى أنه لم يهتف على عدوى . أما أنـــا فبكمالى دعمتنى وأقمتنى قدامك الى الأبد . مبارك الرب الله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد . آمين فآمين .﴾

ولهذا المزمور أهمية خاصة عند المسيحيين ، فقد جاء فى إنجيل يوحنا على لسان المسيح عليه السلام مايفيد أن هذا المزمور يتنبأ عنه ، إذ جاء على لسانه فى هذا الانجيل « لكن لكى يتم الكتاب . الذى يأكل معى الخبز رفع على عقبه . أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون أنى أنا هو .» (ص ١٣ : ١٨ و ١٩)، فهذا الكتاب الذى يشير اليه المسيح فى أنجيل يوحنا هو ماورد فى هذا المزمور من قوله «.. آكل خبزى رفع على عقبه» ، وعلى هذا فان هذا المزمور عند المسيحيين يتنبأ عن المسيح ، وفى هذا المعنى نقرأ فى كتيب تأملات فى المزامير ص ٧ :

(«وإن دخل ليرانى يتكلم بالكذب قلبه يجمع لنفسه إثما يخرج فى الخارج يتكلم»

« أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به اكل خبزى ورفع على عقبه »

هاتان الآيتان تنطبقان على يهوذا الأسخريوطى فهو تكلم بالكذب ـ تكلم مع الرب بكلام معسول وخرج خارجا وتكلم بكلام آخر ، من أجل ذلك هو جمع لنفسه إثما .

وهو أيضا رجل سلامة الرب لأنه أحد الاثنى عشر تلميذا أحباء الرب ورجال سلامته الذين وثق بهم لذلك قال له الرب « أبقبلة تسلم ابن الانسان » .

وهو الذى أكل خبزه « الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه » يو ١٣ : ٦ .

وهكذا يصل المزمور إلى درجة عالية فى الدقة من النبوة عن الرب يسوع وتسليم يهوذا له .)

وتفس المعنى نقرأه فى كتاب قضية الصليب للقس لبيب ميخائيل ص ٨٧ وكتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته نقرأ فيه ص ٤٩ و ٥٠ :

(٢٠ ـ تنبؤ داود النبى ١٠٥٦ ق م بخيانة يهوذا الأسخريوطى ليسوع المسيح وتسليمه لليهود وعلم الرب يسوع السابق بذلك :

مز ٤١ : ٩ « أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع على عقبه »

هذه النبوءة تشير الى خيانة يهوذا الاسخريوطى أحد الاثنى عشر تلميذا معلمه يسوع المسيح الذى يثـق به اذ هو من خاصته الذين اختارهم واتمنهم على ذاته « رجل سلامتى الذى وثقت به » .

كذلك تحققت بقية النبوة فى تحديدها للشخص الذى أسلم يسوع المسيح اذيقول «آكل خبزى رفع على عقبه» وهوماتحقق فى أحداث العهد الجديد . اذ تشهد الأناجيل بأن مسلم الرب يسوع هو الآكل الخبز معه » .)

ونحن نجد أن أول ما يبدأ به المزمور هـو تأكيده تخليص الله للمسيح عليـه السلام فى يوم الشر وهو بطبيعة الحال يوم يحاول المتآمرون القبض عليه فيقول « فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه . يغتبط فى الأرض ولا يسلمه الى مرام أعدائه . » والمزمور يؤكد أنه فى يوم الشر هذا سينجيه الرب ، سيحفظه ويحييه ، لايسلمه الى مرام أعدائه ، وذلك كله لا يكون الا بتخليصه منهم وليس بصلبه بطبيعة الحال فهذا ما رموا اليه ، وينتهى المزمور بتأكيد تخليص الله له بقوله ان الله قددعمه بكماله واقامه قدامه الى الابد .

وبهذا ، لا نجد فى هذا المزمور الذى يؤمن المسيحيون بأنه يتنبـأ عن المسيح عليه السلام وتآمر يهوذا الاسخريوطى عليه ، لانجد فيه الا نبوءة صريحة بأن سينجيه فيخلصه من أعدائه ولا يسلمه لمرامهم .

المزمور الرابع والخمسون : (لامام المغنين على ذوات الاوتار . قصيدة لداود عندما أتى الزيفيون وقالوا لشاول اليس داود مختبئا عندنا)

﴿ اللهم باسمك خلصنى . وبقوتك احكم لى . اسمع يا الله صلاتى اصغ الى كلام فمى . لان غرباء قاموا على وعتاة طلبوا نفسى . لم يجعلوا الله أمامهم . سلاه . هوذا الله معين لى . الرب بين عاضدى نفسى . يرجع الشر على أعدائى . بحقك افنهم . أذبح لك منتدبا . أحمد اسمك يا رب لانه صالـح . لانه من كل ضيق نجانى وبأعدائى رأت عينى . ﴾

والمزمور يرمز بوضوح الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، فهو يطلب من الله أن يخلصه وأن يسمع صلاته ويصغى الى كلام فمه ، ويعلل الدعاء بأن غرباء قاموا عليه وعتاة طلبوا نفسه ، رامزا بذلك الى من تقدموا من المسيح للقبض عليه فكلهم غرباء عنه عدا يهوذا لانهم لم يكونوا يعرفونه ، وفيهم العتاة بطبيعة الحال ، ثم يمضى المزمور مؤكدا استجابة الله للدعاء حين يقول ان الله معينه وبين عاضدى نفسه ، بل ويشير الى ما سيحيق بيهوذا فيقول أن الشر يرجع على أعدائه ، تماما كما وجدنا فى المزامير السابقة عبارات كراجيا حفره فسقط فى الهوة التى صنع والشرير يعلق بعمل يديه ويرجع سيفه الى قلبه ، فنفس المعنى يؤديه قوله أن الشر يرجع على أعدائه ، وينتهى المزمور باعادة تأكيد تخليص الله للمسيح بقوله أن الله من كل ضيق نجاه ، بل ويعود ويشير الى ما سيكون مع يهوذا بقوله أنه بأعدائه رأت عينه.

ويلاحظ أن المزمور يبدأ بالدعاء ، ثم يستطرد مقررا استجابة هذا الدعاء ، وهو مالا يكون الا اذا قصد به التنبؤ ، وهكذا يكون هذا المزمور نبوءة صريحة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه .

المزمور الخامس والخمسون: (لامام المغنين على ذوات الأوتار. قصيدة لداود)

«اصغ يا الله الى صلاتى ولاتتغاض عن تضرعى . استمع لى واستجب لى . اتحير فى كربتى وأضطرب . من صوت العدو من قبل ظلم الشرير . لأنهم يحيلون على اثما وبغضب يضطهدوننى . يمخض قلبى فى داخلى وأهوال الموت سقطت على . خوف ورعدة أتيا على وغشينى رعب . فقلت ليت لى جناحا كالحمامه فأطير واستريح . هاأنذا كنت ابعد هاربا وابيت فى البرية . سلاه . كنت اسرع فى نجاتى من الريح العاصفة ومن النوء .

أهلك يارب فرق ألسنتهم لأنى قد رأيت ظلما وخصاما فى المدينة . نهارا وليلا يحيطون بها على أسوارها واثم ومشقة فى وسطها . مفاسد فى وسطها ولا يبرح من

ساحتها ظلم وغش . لأنه ليس عدو يعيرنى فأحتمل . ليس مبغض تعظم على فأختبىء منه . بل أنت انسان عديلى الفى وصديقى . الذى معه كانت تحـــلو لنا العشرة . الى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور . ليفتهم الموت . لينحدروا الى الهاوية أحياء . لأن فى مساكنهم فى وسطهم شرورا .

أما أنا فالى الله أصرخ والرب يخلصنى . » (١-١٦) .

وعن هذا المزمور نقرأ فى صفحة ٨٧ من كتاب قضية الصليب :

(٢ ـ سلم المسيح لليهود صاحب من تلاميذه .

وقد تنبأ عن ذلك صاحب المزمور فقال « لأنه ليس عدو يعـيرنى فأحتمل ليس مبغضى تعظم فأختبىء منه . بل أنت انسان عديلى الفى وصديقى . الذى معه كانت تحلو لنا العشرة الى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور » مز ٥٥ : ١٢ ـ ١٤ كما جاءت هذه النبوة فى مزمور آخر « أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع على عقبه » مز ٤١ : ٩ ، وتمت هذه النبوة وذكرها متى أيضا قائلا « وفيما هو يتكلم اذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الـكهنة . . . فللوقت تقدم الى يسوع وقال السلام ياسيدى . وقبله . فقال له يسوع ياصاحب لماذا جئت حينئذ تقدموا وألقـــوا الأيادى على يسوع وأمسكوه » متى ٢٦ : ٤٧ و ٤٩ و ٥٠)

فهذا المزمور اذن يرمز الى المسيح ويتحدث بلسانه ، هو هنا يطلب الى الله أن يصغى الى صلاته وألا يتغاضى عن تضرعه ، ثم يصف محاولة القبض عليه بأن أهوال الموت سقطت عليه ويتمنى لو كان له جناحا كالحمامة فيطير ويستريح ، ولعل فى ذلك رمز الى أن تخليصه لايـكون الا على نحو ذلك ، أى أن يطير أو يرفع ، ثم يمضى المزمور فيستمطر لعنة الله على أعدائه ، ونشعر بالمرارة التى يحسها وهو يعرف أن هذا الذى تقدم على رأس الأعداء لم يـكن عدوه من قبل ، ولذا فهو يتمنى لو كان

عدوا له فيحتمل غدره ، ولـكن الذى يفعل هذا هو انسان عديله ، الفه وصديقه الذى كانت معه تحلو العشرة ، إنه يهوذا أحد تلاميذه ، الى بيت الله كانا يذهبان فى الجمهور ، لذلك فان الألم لخيانته لا يحتمل ، ولذا يدعو الله أن يبغتـه والآخرين الموت ، وأن ينحدروا الى الهاوية أحياء ، ترى ، أليس الصلب هاوية ، وألم يصلب المصلوب حيا ، والمزمور يشير بعد ذلك الى ما سيكون من أمر المسيح فيقول أنه الى الله يصرخ والله يخلصه ، وما ذلك الا ليؤكد استجابة دعائه فى أول المزمور .

وبذلك نتبين أن هذا المزمور الذى يرى المسيحيون أنه يتنبأ عن المسيح عليه السلام ، أنه انما يتنبأ بخيانة يهوذا للمسيح فيأتى اليه على رأس الأعداء ليرشد عنه ، وأن المسيح سيدعو الله أن يخلصه من الصلب ، ويستجيبه الله .

المزمور السادس والخمسون : (لامام المغنين على الحمامه البكما بين الغرباء مذهبة لداود عندما اخذه الفلسطينيون فى جت)

﴿ ارحمنى يا الله لأن الانسان يتهممنى واليوم كله محاربا يضـايقنى . تهممنى أعدائى اليوم كله لأن كثيرين يقاوموننى بكبرياء . فى يوم خوفى أنا عليك أتكل . الله أفتخر بكلامه على الله توكلت فـــلا أخاف . ماذا يصنعه بى البشر . اليوم كله يحرفـون كلامى . على كل أفكارهم بالشر . يجتمعون يختفون يلاحظون خطواتى عندما ترصدوا نفسى . على اثمهم جازهم . بغضب أخضع الشعوب يا الله . تيهانى راقبت . اجعـل أنت دموعى فى زقك . أما هى فى سفرك :

حينئذ ترتد أعدائى الى الوراء فى يوم أدعوك فيه . هذا قد علمته لان الله لى . الله أفتخر بكلامه الرب أفتخر بكلامه . على الله توكلت فلا أخاف . ماذا يصنعه بى الانسان . اللهم على نذورك . أوفى ذبائح شكر لك . لأنك نجيت نفسى من الموت . نعم ورجلى من الزلق لـكى أسير قدام الله فى نور الأحياء . ﴾

والمزمور يبدأ فيرمز الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، ويصف تربص

أعدائه به ويسأل الله أن يجازيهم على إثمهم ، ثم يقول أنه يوم يدعـــو الرب يرتد أعداؤه الى الوراء ، وقد سبق أن رأينا أنه ورد فى إنجيل يوحنا عمن أتوا للقبض على المسيح أنه لما قال لهم أنه هو — يقصد يسوع الناصرى — رجعوا الى الوراء ، ويمضى المزمور فيؤكد قصد التنبؤ بقوله « هذا قد علمته » ، ثم يمضى المزمور بعد ذلك فيحمد الله لأنه نجى نفسه من الموت ، مشيرا بذلك الى استجابة الدعاء الذي بدأ به المزمور ، والمزمور على هذا النحو ، اذ يبدأ بالدعاء وينتهى باستجابته انما يكون مقصودا به التنبؤ ، خاصة مع قوله أنه قد علم هذا الذى يقوله ، وبهذا يكون المزمور نبوءة صريحة عن تخليص الله للمسيح من الصلب .

المزمور السابع والخمسون : (لامام المغنين - على لا تهلك . لداود عندما هرب من قدام شاول فى المغارة)

﴿ارحمنى يا الله ارحمنى لأنه بك احتمت نفسى وبظل جناحيك أحتمى الى أن تعبر المصائب . أصرخ الى الله العلى الحامى عنى . يرسل من السماء ويخلصنى . عير الذى يتهممنى . سلاه . يرسل الله رحمته وحقه . نفسى بين الأشبال . أضطجع بين المتقدين بنى آدم أسنانهم أسنة وسهام ولسانهم سيـف ماض . ارتفع اللهم على السماوات . ليرتفع على كل الأرض مجدك . هيأوا شبكة لخطواتى . انحنت نفسى . حفروا قدامى حفرة . سقطوا فى وسطها . سلاه .﴾ (١ — ٦)

والمزمور يبدأ فيرمز الى دعاء المسيح لله أن يخلصه ، فهـو يصرخ الى الله العلى الى الله الحامى عنه ، وهنا يقطع المزمور باستجابة الله لهـــذا الدعاء ، بل ويصف كيف تكون هذه الاستجابة فيقول « يرسل من السماء ويخلصنى . » ، فأى معنى يتضمنه ذلك الا أن الله رافعه ، فمن السماء أرسل اليـه ، والى السماء يأخذه ، وقد وجدنا مثل هذا من قبل مثل قوله أنه أرسل من العلا فأخذه ، ولا ينتهى المزمـور بعد حمد الله قبل أن يشير الى هذا الذى سيناله الخائن يهوذا الأسخـريوطى الذى

قدم على رأس أعداء المسيح فيقول المزمور « حفروا قدامى حفرة . سقطوا فى وسطها . » ، وهو نفس ما وجدناه فى المزامير السابقة وفهمنا أن معناه أن يهوذا سيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا من المسيح اذ بذلك وحده يكون قد سقط وسط الحفرة التى حفرها للمسيح ، وذلك بطبيعة الحال بعد تخليص الله المسيح ورفعه اليه ، والمزمور اذ يبدأ بالدعاء ثم يقرر استجابته يبين لنا بذلك أنه قصد التنبؤ بهذا ، وهكذا يكون من هذا المزمور أيضا نبوءة صريحة عن تخليص المسيح ورفعه والقبض على يهوذا وصلبه بدلا منه .

المزمور الرابع والستون : (لامام المغنين . مزمور لداود)

﴿استمع يا الله صوتى فى شكواى . من خوف العدو احفظ حياتى . استرنى من من مؤامرة الأشرار من جمهور فاعلى الاثم . الذين صقلوا ألسنتهم كالسيف . فوقوا سهمهم كلاما مرا ليرموا الكامل فى المختفى بغتة يرمونه ولا يخشون . يشددون أنفسهم لأمر ردىء . يتحادثون بطمر فخاخ . قالوا من يراهم . يخترعون اثما تمموا اختراعا محكما . وداخل الانسان وقلبه عميق .

فيرميهم الله بسهم بغتة كانت ضربتهم . ويوقعون ألسنتهم على أنفسهم . ينغض الرأس كل من ينظر اليهم . ويخشى كل انسان ويخبر بفعل الله وبعمله يفطنون . يفرح الصديق بالرب ويحتمى به ويبتهج كل المستقيمى القلوب .﴾

والمزمور اذ يبدأ بالدعاء وينتهى باستجابة هذا الدعاء نفهم منه أنه قصد التنبؤ بما حواه ، وهو هنا يبدأ بالرمز الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب أن يستمع صوته فى شكواه ، أن يحفظ حياته من خوف العدو ، وأن يستره من مؤامرة الأشرار ومن جمهور فاعلى الاثم ، رامزا بكل ذلك الى دعاء المسيح ، ثم يشير المزمور بعد ذلك الى ما سيكون للخائن يهوذا الاسخريوطى الذى خان المسيح وجاء مع الأعداء ليرشدهم عنه فيقول « ويوقعون ألسنتهم على أنفسهم . » ، ويطابق

هذا القول فى معناه ما سبق أن قرأناه من أنهم يؤخذون بالمؤامرة التى تفكروا بها ويسقطون فى الحفرة التى حفروها ، وبذا فان يهوذا يحيق به ما أعده للمسيح ، فيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا منه ، والمزمور بذلك نبوءة صريحة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام وصلب يهوذا بدلا منه .

المزمور التاسع والستون : لامام المغنين على السوسن . لداود)

(خلصنى يا الله لأن المياه قد دخلت الى نفسى. غرقت فى حمأة عميقة وليس مقر . دخلت الى أعماق المياه والسيل غمرنى . تعبت من صراخى . يبس حلقى . كلت عيناى من انتظار الهى . أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب . اعتز مستهلكى أعدائى ظلما . حينئذ رددت الذى لم أخطفه .

يا الله أنت عرفت حماقتى وذنوبى عنك لم تخف . لا يخز بى منتظروك يا سيد رب الجنود . لايخجل بى ملتمسوك يا اله اسرائيل . لأنى من أجلك احتملت العار. غطى الخجل وجهى . صرت أجنبيا عند إخوتى وغريبا عند بنى أمى . لأن غيرة بيتك أكلتنى وتعييرات معيريك وقعت على . وابكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا على . جعلت لباسى مسحا وصرت لهم مثلا . يتكلم فى الجالسون فى الباب وأغانى شرابى المسكر .

أما أنا فلك صلاتى يا رب فى وقت رضى يا الله بكثرة رحمتك استجب لى بحق خلاصك . نجنى من الطين فلا أغرق نجنى من مبغضى ومن أعماق المياه . لا يغمرنى سيل المياه ولا يبتلعنى العمق ولا تطبق الهاويه على فاها . استجب لى يا رب لأن رحمتك صالحة . ككثرة مراحمك التفت الى . ولا تحجب وجهك عن عبدك . لأن لى ضيقا . استجب لى سريعا . اقترب الى نفسى . فكها . بسبب أعدائى افدنى . أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى . قدامك جميع مضايقى . العار قد كسر قلبى فمرضت . انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد . ويجعلون فى طعامى

علقما وفى عطشى يسقوننى خلا ․» (١ — ٢١)

ونلاحظ بالنسبة لهذا المزمور أن فيه اشارة لأمر ما مما كان مع هـذا الذى ذكرت الأناجيل أنه صلب ، فآخر آية ذكرناها تقول « ويجعـــلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلا ․» ، وفى جميع الأناجيل نجد فيهـا أن المصـلوب قد ملئت له اسفنجة خلا وجعلت على قصبة وسقى منها ، بل إن إنجيل يوحنا يوضح أن ذلك الأمر هو ما سبق التنبؤ به اذ جاء فيه « بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان . وكان أناء موضوعا مملوا خلا . فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمه . » (ص ١٩ : ٢٨ و ٢٩)․

وفى هذا المعنى نقرأ فى كتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ٥٥ و ٥٦ :

(٢٧ — تنبؤ داود النبى ١٠٥٦ ق․م بعطش يسوع المسيح وهو على الصليب واذاقته خلا ممزوجا بمرارة :

مز ٦٩ : ٢١ «ويجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلا »․

هذه النبوءة تشير الى عطش الرب يسوع المسيح وهو مصـلوب على الصليب واعطائه خلا ممزوجا بمرارة (علقما) ليشرب . كما تشهد الأناجيل بذلك․)

كما نقرأ عن نفس المزمور فى نفس الكتاب ص ٥٢ :

(٢٤ — تنبؤ داود النبى ١٠٥٦ ق․م بتعيير واستهزاء شعب اليهـود ورؤسائه ليسوع المسيح أثناء محاكمته وصلبه :

مز ٦٩ : ٩ « وتعييرات معيريك وقعت على » ․ ․ ․

هذه النبوءة تشير الى واقعة تعيير واستهـزاء الشعب اليهـــودى ورؤسائه من الكتبة ورؤساء الكهنة ليسوع المسيح له المجد أثنـاء محاكمته وصلبه كما تشهـد الأناجيل بذلك ․)

المزمور اذن يشير الى المصلوب وهو على الصليب ، فمن هو هذا المصلوب الذى

يتنبأ عنه المزمور ، هل هو المسيح كما يعتقد المسيحيون ، أم يهوذا الاسخريوطى على ما جرى به اعتقاد المسلمين .

أول ما نلاحظه فى هذا المزمور أن صيغة الدعاء فيه تختلف اختلافا واضحا عن صيغة الدعاء فى المزامير السابقة التى رأينا أنها تشير الى المسيح عليه السلام ودعائه لله أن يخلصه من الصلب ، فمن ناحية نلاحظ أن الدعاء فى المزامير السابقة كان يقترن بالقطع باستجابته ، ومن ذلك « بصوتى الى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه » . (مز ٣ : ٤) و « أنظر مذلتى من بغضى يا رافعى من أبواب الموت » . (مز ٩ : ١٣) و « طلبت الى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى » . (مز ٣٤ : ٤) ومن ناحية أخرى ، نلاحظ أن الداعى إذ كان يدعو الله أن يستجيب لدعائه كان يقطع بأن هذا الدعاء حقيق باستجابته بمجرد إعمال العدل ومعاملة الداعى حسب قلبه وحسب كماله الذى فيه كقوله « أخرجنى الى الرحب . خلصنى لأنه سر بى . يكافئنى الرب حسب برى . حسب طهارة يدى يرد الى . لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص الهى . لأن جميع أحكامه أمامى وفرائضه لم أبعدها عن نفسى . وأكون كاملا معه وأتحفظ من اثمى . فيرد الرب لى كبرى وكطهارة يدى أمام عينيه » . (مز ١٨ : ١٩ — ٢٤) ، ومن هذا أيضا « ليعطك حسب قلبك » . (مز ٢٠ : ٤) ، ففى المزامير السابقة يدعو الداعى الله ويطلب منه وهو يعلم أنه لمجرد الحق والعدل فان دعاءه حقيق بأن يستجاب ، ثم إنه لمستجاب بالفعل ، وذلك كله بعكس الحال فى هذا المزمور ، فهو اذ يسأل الله أن يستجيب لدعائه ، لايقول بأن ذلك يتفق مع الحق والعدل ، أو مع كماله الذى فيه ، وانما هو يسأله طمعا فى كثرة مراحمه ، فيقول « ككثرة مراحمك التفت الى » ، كما يقول « بكثرة رحمتك استجب لى » ، ومن هذا نفهم أن الداعى يعرف أن مجرد رحمة الله لا تكفى لاستجابته ، بل بكثرة مراحمه ، والطمع فى كثرة مراحم الله فقط ، هو ما جعل الداعى يأمل أن

يستجاب دعاؤه .

فلماذا تختلف صيغة الدعاء فى هذا المزمور عنه فى المزامير السابقة ، ألا يدل ذلك على اختلاف شخص الداعى فى هـــذا المزمور عن شخص ذاك الداعى فى المزامير السابقه ، ألا يدل على أن الداعى هنا يعلم أن دعاءه غير حقيق باستجــابته الا طمعا فى كثرة مراحم الله ، ثم لمــاذا كان هـــذا الموقف من الداعى ، لابد أن اثما عظيما ارتــكبه حتى جعل دعاءه على هذا النحو ، وهذا هو ما يؤكده لنا الداعى فى هــذا المزمور حين نراه يتحدث عن نفسه فيه فيقول لله أنه ــ أى الله ــ قــد عرف حماقته وذنوبه عنه لم تخف ، ثم يعود مؤكدا نفس المعنى بقوله لله أنه ــ أى الله ــ عــرف عاره وخزيه وخجله ، وشخص مثل هذا حاله لا ينتظر بطبيعة الحال أن يستجيب الله دعاءه الا طمعا فى كثرة مراحم الله التى تسع الناس جميعا حتى هــو بالرغم من عاره وخزيه وخجله ، فمن هو الذي يعرف عنه الله كل هــذا ، أمسيحه الــكريم ، هل عرف الله له حماقة وذنوبا ، هل عرف له عارا وخزيا وخجلا ، حاشى لله أن يكون هذا عن المسيح كله ، بل حاشى لله أن يكون أى شىء منه عن المسيح ، فلم نعــرف عنه إلا كل ما يجعله يفخر ، ولم يعرف الله عنه غير هذا ، والناس جميعا لم يعرفوا عنه الا كل ما يفاخرون به ، أما هذا الذى ينطبق عليه كل هذا القول ، فهــل هو غير يهوذا ، أليس هــو الذى خان المسيح فــكلل نفسه بذلك أمام الله والناس بالعـــار والخزى والخجــل ، ولــكنه مع كل هذا يطمع فى كثرة مراحم الله ، يطمع فى أن يستجيب له ، بل إنه ليحدوه الأمــل فى أن يستجيب الله له ، وألا يتركه ليصلب هو الآخر ، ولــكن ذنبه كان أكبر من أن يغفــر ، ذنبه كان أكبر من أن يترك بغــير عقــاب ، فيتركه ليصلب ، وهنــا نتساءل ، أليس فى ضــوء كل ذلك ، نستطيع أن نعرف لماذا كانت صيحته على الصليب « الهى الهى لماذا تركتنى » .

ونقرأ فى المزمور أيضا على لسان الداعى « صرت أجنبيا عند اخــوتى وغريبا

عند بنى أمى . » ، ولو كان المصلوب هو المسيح عليه السلام ، فكيف صار على الصليب غريبا عند بنى أمه وأجنبيا عند أخوته ، ألا ينبئنا هذا القول بأن الذى سيصلب وسيحسبه الناس المسيح عليه السلام ، لن يكون هو ، بل آخر ، وإذ يحسب الناس هذا الآخر المسيح نفسه ، فانه ـ أى المصلوب ـ يصير بذلك أجنبيا عند إخوته وغريبا عند بنى أمه ، أى أنهم لم يعرفوا أنه يهوذا إذ ظنوه المسيح ، وبهذا يستقيم معنى الآية المذكورة ونفهمه ، أما القول بأن الذى صلب هو نفسه المسيح ، فقول لاتستقيم به على الإطلاق معانى الآية .

ثم إن المزمور يقول أيضا على لسان المصلوب « حينئذ رددت الذى لم أخطفه » وعلى مايبدو فى هذا المزمور من غرابة فى هذه الآية ، فان الغرابة لاتقوم إلا مع القول بأن المسيح هو الذى صلب ، لأننا لانفهم حينئذ معنى لقوله أنه رد الذى لم يخطفه ، ولكن الغرابة تزول حين نقول أن الذى صلب هو يهوذا الأسخريوطى ، فهو قد حاول بمؤامرته القبض على المسيح ، بخطفه من بين تلاميذه . ولكن الله خلصه منه وممن معه ورفعه اليه من بين أيديهم ، فهو إذن وإن أتى ليخطفه ، إلا أنه لم يخطفه ، فكيف هو رغم ذلك رده ، والإجابة على ذلك تتضح فى سكوته بعد ذلك وإصراره الواضح فى الأناجيل على عدم الكشف عن حقيقة شخصيته ، وكأنما هو بذلك فى ظنه يحفظ المسيح منهم ، فيصلبونه ظنا منهم أنهم يصلبون المسيح بينما المسيح بعيد عن أيديهم كما يعتقد ، وهو بذلك كأنما يكفر عن خطيئته ويحفظ المسيح نفسه ، ومن ثم فكأنما هو يرد هذا الذى لم يخطفه بالتستر على حقيقة شخصيته هو ـ أى يهوذا ـ رغم أنه لم يخطفه بالفعل .

والمزمور من أوله يؤكد اليأس واقتراب النهاية ، وينتهى باليأس أيضا ، وهو إنما يرمز بحق إلى يهوذا الأسخريوطى دون المسيح كما فصلنا ، ومن ثم فهو نبوءة

بصلبه ، أي بصلب يهوذا (١).

(١) فى التعليق على ما كتبت عن هذا المزمور يقول السيد يسى منصور فى كتابه بيان الحق من ص ٥٦ — ٦٠ من الجزء الاول :

(واخيرا لا يفوتنى ان اذكر مزمور ٦٩ فهو بين المزامير اشهر من نار على علم فى التنبؤ عن صلب المسيح . ولكن الاستاذ منصور حسين كعادته فى جعل النور ظلاما يقول « والمزمور من اوله الى آخره يؤكد اليأس واقتراب النهاية . وهو انما يرمز الى يهوذا الاسخريوطى دون المسيح .. والحقيقة هى عكس ما يقول تماما . فهذا هو العهد الجديد يقتبس ما لا يقل عن اربع آيات من هذا المزمور ، تشير الى ذات المسيح . فأولا — المزمور يقول « اكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب » والمسيح نفسه قال أن ذلك مكتوب عنه كقوله « لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم انهم ابغضونى بلا سبب » يو ١٥ : ٢٥ ، ثانيا — المزمور يقول « لان غيرة بيتك أكلتنى » وقد فهم الرسل أن ذلك عن المسيح . كقول يوحنا البشير « فتذكر تلاميذه انه مكتوب غيرة بيتك اكلتنى » يو ٢ : ١٧ ، — وثالثا : المزمور يقول « تعييرات معيريك وقعت على » وقد اوضح بولس الرسول ان ذلك عن المسيح كقوله « لان المسيح لم يرض نفسه كما هو مكتوب تعييرات معيرك وقعت على » ، ورابعا — المزمور يقول « .... ويجعلون فى طعامى وفى عطشى يسقوننى خلا » ، وقال يوحنا فى ذلك « فلكى يتم الكتاب قال انا عطشان . وكان اناء موضوعا مملوءا خلا . فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها الى فمه فلما اخذ يسوع الخل قال قد أكمل » يو ١٩ : ٢٨ ، ومع كل هذا فيدعى الاستاذ منصور حسين أن هذا المزمور كله عن يهوذا .

ونحن نسأله من نفس هذا المزمور ان استطاع ان يجيب : —

١ — هل يهوذا احتمل العار من اجل الله ؟ وهل هو الذى يقول « من أجلك احتملت العار » (٧) .

٢ — هل يهوذا وسيط بين الله والناس لنجاتهم ؟ وهل هو الذى يقول « لا يخزى بى منتظروك يا سيد رب الجنود . لا يخجل بى ملتمسوك يا آله اسرائيل » (٩) .

٣ — هل يتصف يهوذا بالغيرة على بيت الله ؟ وهل يقول « غيرة بيتك أكلتنى » ؟ (٩) .

٤ — وهل يهوذا احتمل التعييرات الموجهة لله ؟ وهل هو الذى يقول « تعييرات معيريك وقعت على » ؟ (٩) .

٥ — هل نال يهوذا رضى الله ؟ وهل هو الذى يقول « اما انا فلك صلاتى فى وقت رضى » (١٣) .

٦ — وهل يهوذا طرده الاشرار وشمتوا فى جراحة فاستحقوا سخط الله وغضبه ؟ وهل هو الذى اعداؤه يهددهم الله بأشد اللعنات والويلات =

= فيقول «لتصر مائدتهم قدامهم فخا وللآمنين شركا . لتظلم عيونهم عن البصر وقلقل متونهم دائما . صب عليهم سخطك وليدركهم حمو غضبك . لتصر مائدتهم خرابا وفي خيامهم لا يسكن ساكن . لان الذى ضربته أنت هم طردوه وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون . اجعل اثما على اثمهم ولا يدخلوا فى برك . ليمحو من سفر الاحياء ومع الصديقين لا يكتبوا » (مز ٦٩ : ٢٢ — ٢٧) .

٧ — وهل رفع خلاص الله يهوذا ؟ وهل هو الذى يقول « خلاصك يا الله فليرفعنى » ؟ (مز ٦٩ : ٢٩) .

٨ — وهل انتصر يهوذا وقدم لله تسابيح وفرح معه الودعاء ؟ وهل هو الذى يقول « اسبح اسم الله واعظمه بحمد فيستطاب عند الرب اكثر من ثور بقر ذى قرون واظلاف . يرى ذلك الودعاء فيفرحون . تحيا قلوبكم يا طالبى الله » ؟ (مز ٦٩ : ٣٠ — ٣٢) .

٩ — وهل بيهوذا يعود الخلاص الى اسرائيل ؟ وهل هو الذى يقول « لان الله يخلص صهيون » ؟ (مز ٦٩ : ٣٥) .

واذا كان هذا المزمور بعد ان تحدث عن الآلام يختتم بكلمات : الخلاص ، الرفعة ، الفرح ، الحيـاة ، الملك ، التسبيح ، التعظيم ، الحـمد ، المحبة ، مما يتفق مع آلام المسيح وامجاده ، فكيف يدعى الاستاذ منصور حسين أن المزمور يبتـدىء باليأس وينتهى باليأس ؟

واما الآيات الواردة فى هذا المزمور والتى ظن انها تناسب يهـوذا اكثر من غيرها انما هى لا تنطبق الا على المسيح . وهذه هى الآيات مـع شرحهـا : —

١ — « صرت اجنبيا عند اخوتى وغريبا عند بنى أمى » ، ومفهومها الحقيقى هو ان المسيح جـاء الى خاصته وخاصته لم تقبله فتنكروا لـه كشخص غريب .

٢ — «بكثرة رحمتك استجب لى بحق خلاصك » ومفهومها الحقيقى هو أن المسيح كان يمثل الخطاة وينوب عنهم . فطلب الرحمة ان تأتى للبشر فى شخصه عن طريق قيامته المعبر عنها فى اشعياء «مراحم داود الصادقة» اش ٥٥ :١٣ ع١٣ :٣٤ والتى قال فيها بطرس الرسول « حسب رحمتـه الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الاموات» ١ بط ١ :٣

٣ — « حينئذ رددت الذى لم اخطفه » ، ومفهومها الحقيقى هو أن المسيح لوداعته المتناهية كان يسلم فى حقوقه . فمثلا لما طلبوا منه الجزية فى كفر ناحوم دفعها لكى لا يعثرهم مع ان له مطلق الحرية الا يدفعها .. وقد اوصى اتباعه ان يضحوا بحقوقهم المادية فى سبيل خلاص نفوس أعدائهم فقال «من اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا» مت٥ :٤٠

هذا هو الحق نعلنه على رؤوس الاشـهاد ، ليؤمن بـه من اراد الادمان وليتحرر به من اراد الحرية .) وأول ما نلاحظه على هذا الرد أنـه يختار النتيجة التى انتهيت اليها ليحاول الرد عليها دون الاسـباب التى

= استندت اليها في الوصول الى هذه النتيجة حتى ان من يطالع هذا الرد ليكاد يتخيل انى لم آت أسبابا لهذا الذى يرد عليه ، ولا يغير من ذلك انه اورد ثلاث آيات قال انى رأيتها تتناسب مع يهوذا دون المسيح ، اذ اقتصر على ايرادها دون ما استندت اليه فى نسبتها الى هذا دون ذاك وهو ما قد يترك نفس الانطباع لدى القارىء ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان اهم ما استندت اليه فى نسبة هذا المزمور ليهوذا دون المسيح هو ما ورد على لسان المتحدث فيه مخاطبا الله أنه — أى الله — عرف حماقته وذنوبه عنه لم تخف وعرف عاره وخزيه وخجله ، ولاشك انه العجز عن الرد ما جعله يتغاضى عن أهم ما استندت اليه فلم يجد سبيلا الا أن يتجاهله ؛ ولكن هل ينفى ذلك التجاهل وجود هذه الآيات فى ذلك المزمور ؛ وانه ليكفينى ردا عليه ان أتحداه ان يذكر لنا حماقة المسيح وذنوبه ويبين لنا عاره وخزيه وخجله هذا امام الله لماذا كان ، ويقينا لن يستطيع ، بل لن يجرؤ أن ينسب للمسيح ذنبا واحدا يكلله بالعار والخزى والخجل امام الله على هذا النحو ، ومع كل هذا ، فلنتناول رده ؛ فهو فى شقه الاول يدلل على رأيه بأن العهد الجديد أشار الى أن هذا المزمور تنبأ عن المسيح ، والرد على هذا بسيط ، فمن ناحية أشرت أنا الى ذلك صراحة فى متن الكتاب ، ومن ناحية أخرى ، فانه واذ ورد فى العهد الجديد الاشارة الى هذا المزمور باعتباره يتنبأ عن المسيح ، وثبت امامنا انه انما يتنبأ عن يهوذا ، فلا يدل ذلك على شىء سوى على خطأ ما ورد فى العهد الجديد من ذلك ، واما الاسئلة التسعة التى اوردها ، فاننا يجب أن ننظر اليها فى ضوء الصورة التى أقول بها عن تخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، فيهوذا بغير شك اول من تجلى له جلال الله وقدرته بتخليص المسيح ورفعه اليه ، وهو من قبل لم يكن شريرا بل كان من تلاميذ المسيح ، واذا رأى بعينيه معجزة تخليص المسيح والقبض عليه بعد ذلك ومحاكمته على أنه المسيح ، محتملا عار صلبه ، بل ودون أن يحاول أن ينبه الاعداء الى انه ليس المسيح ؛ فمن أجل من هو هنا يحتمل العار غير الله ، وهو ما ورد فى السؤال الاول ، اما الآية فى السؤال الثانى فهى دعاء على لسان المصلوب ولا تتضمن أى تنبؤ وله أن يرى فى نفسه ما يشاء ، ولعله يرى فى نفسه ذلك لقبوله الصلب عوضا عن المسيح بعد أن رأى معجزة ربه ورفعه ؛ أما السؤال الثالث فلا أفهم لم لا يرى يهوذا ذلك فى نفسه بعد قبوله الصلب على هذا النحو ، وعن السؤال الرابع فقدرأينا ان ذلك — كما يقول المسيحيون انفسهم — رمز لما كان مع المصلوب من الناس حوله ؛ والسؤال الخامس يحمل الآية ما لا تحتمله ؛ فان القول « فى وقت رضى » ، لا يعنى نوال الرضا وانما هو يطلب أن يستجاب دعاؤه فى وقت رضا عنه لانه فى غير هذا الوقت لن يستجاب له ، وقد وجدنا انه لم =

المزمور السبعون : (لامام المغنين . لداود للتذكير)

﴿ اللهم الى تنجيني يا رب الى معونتى أسرع . ليخز ويخجل طالبو نفسى . ليرتد الى خلف ويخجل المشتهون لى شرا . ليرجع من أجل خزيهم القائلون هه هه. وليبتهج ويفرح بك كل طالبيك وليقل دائما محبو خلاصك ليتعظم الرب . أما أنا فمسكين وفقير . اللهم أسرع الى . معينى ومنقذى أنت . يا رب لا تبطؤ . ﴾

واذ يرمز هذا المزمور الى دعاء المسيح لله أن يخلصه ، نراه لا يدعو بذلك فحسب ، بل يدعو أيضا بأن يخز ويخجل طالبو نفسه ، ولقد وجدنا هذا الخزى وذلك الخجل واضحين فى الزمور السابق مما يقطع بأن هذا الذى يخز ويخجل ليس المسيح ولكنه يهوذا طالبه ، الذى أراد به الشر فسعى ليرشد عنه ويقبض عليه

= يستجب له ، فأين هو الرضا، اما السؤال السادس، فالطرد والشماته للمصلوب ، أيا كان ، واما باقى السؤال فدعاء على لسان المصلوب ، ومن صلبوه ويراهم اعداءه هم انفسهم من ارادوا صلب المسيح بالتالى ، فليس فى مثل هذا الكلام ما يصرفه الى المسيح دون يهوذا ، فالاعداء فى الحالتين لا يختلفون ، وهم مستحقون فى الحالتين لكل هذا الدعاء عليهم ، اما السؤال السابع فنرى فيه يهوذا يدعو الله أن يخلصه برفعه ، فلم يختار هذه الصورة لدعائه لله ان يخلصه الا ان يكون قد رأى معجزة الله برفعه لمسيحه فسأل الله أن يخلصه كما خلص المسيح، ولكن الله لا يرفعه، لانه ليس المسيح وانما يهوذا خائنة، وعن السؤال الثامن، فانا لا ننسى ان يهوذا كان اولا من تلاميذ المسيح والذى يرى المسيحيون انفسهم فيه انه ينطبق عليه قول المزمور الحادى والاربعون «رجل سلامتى الذى وثقت به اكل خبزى رفع على عقبه . » فهو قبل خيانته كان رجل سلامة المسيح الذى وثق به فماذا يمنع أن يقول هذا عن نفسه انه يسبح اسم الله ويعظمه بحمد . . الخ ، اما السؤال التاسع فليس فى آيــة « لان الله يخلص صهيون . » ما يجعل بيهوذا يعود الخلاص الى اسرائيل لو كان هو الذى يصلب وليس المسيح ، وأما الكلمات الاخيرة للمزمور ، فليس لى فى شأنها الا ان احيل القارىء على المزمور نفسه فيقرأها ليرى انه ليس فيها ما يحاول الكاتب الايحاء به من معان ، واما الآيات التى اوردها فيكفى ردا عليها ما اوردته فى المتن وتجاهله الكاتب، فقط أسأل من يصدق لو أن المسيح هو من صلب يفكر على الصليب فى أنه دفع جزية ، وأين هى الجزية فى « رددت الذى لم اخطفه »

ليقتل ، والزمور يمضى فيطلب أن يرتد الى خلف ويخجل المشتهون له شرا ، وهو هنا يعطينا صورة لما كان عند محاوله القبض على المسيح وقاله يوحنا فى انجيله من أنهم عندئذ رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، وينتهى المزمور مؤكدا تخليص المسيح بقوله أن الله معينه ومنقذه .

المزمور الحادى والسبعون :

﴿ بك يا رب احتميت فلا أخزى الى الدهر . بعد لك نجنى وأنقذنى . أمل الى أذنك وخلصنى . كن لى صخرة ملجأ ادخله دائما . أمرت بخلاصى لأنك صخرتى وحصنى . يا الهى نجنى من يد الشرير من كف فاعل الشر والظالم . لأنك أنت رجائى يا سيدى الرب متكلى منذ صباى . عليك إستندت من البطن وأنت مخرجى من أحشاء أمى بك تسبيحى دائما . صرت كآية لكثيرين . أما أنت فملجاى القوى . يمتلىء فمى من تسبيحك اليوم كله من مجدك .

لا ترفضنى فى زمن الشيخوخة . لاتتركنى عند فناء قوتى . لأن أعدائى تقاولوا على والذين يرصدون نفسى تآمروا معا . قائلين ان الله قد تركه . الحقوه . وأمسكوه لأنه لا منقذ له . يا الله لا تبعد عنى يا الهى الى معونتى أسرع . ليخزويفن مخاصموا نفسى . ليلبس العار والخجل الملتمسون لى شرا . أما أنا فأرجو دائما وأزيد على كل تسبيحك . فمى يحدث بعد لك اليوم كله بخلاصك لأنى لا أعرف لها أعدادا . آتى بجبروت السيد الرب . اذكر برك وحدك . ﴾ (١ — ١٦)

﴿ تبتهج شفتاى اذ أرنم لك ونفسى التى فديتها . ولسانى أيضا اليوم كله يلهج ببرك . لأنه قد خزى قد خجل الملتمسون لى شرا . ﴾ (٢٣ و ٢٤)

واذ يبدأ المزمور بالرمز الى دعاء المسيح لله أن يخلصه ، نراه يسأله أن ينجيه وينقذه بعدله ، فالعدل اذن أن ينقذه ويخلصه ، ثم يقطع المزمور بعد ذلك باستجابة هذا الدعاء فيقول لله «أمرت بخلاصى لأنك صخرتى وحصنى . » ، ويكرر المزمور

الدعاء بعد ذلك ، ويسأل الله أن يلبس العار والخجل الملتمسين له شرا ، بل وينتهى مؤكدا أن من التمسوا له شرا قد خزوا وخجلوا ، مؤكدا بذلك أن هذا الذى خزى وخجل فى المزمورين السابقين هو من التمس شرا للمسيح أى يهوذا الاسخريوطى ، ويعود المزمور فيؤكد تخليص الله للمسيح بقوله أن فمه يحدث بعدل الله اليوم كله وبخلاصه ، وينتهى المزمور بتأكيد تخليص الله للمسيح بقوله «تبتهج شفتاى اذ أرنم لك ونفسى التى فديتها .»» والمزمور اذ يبدأ بالدعاء ثم يؤكد استجابة هذا الدعاء ، يكون قد قصد به التنبؤ بما حواه وفقا لما أسلفنا ، وبذا فهو نبوءة صريحة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام .

المزمور السادس والثمانون : (صلاة لداود)

﴿أمل يا رب اذنك . استجب لى . لأنى مسكين وبائس أنا . احفظ نفسى لأنى تقى . يا الهى خلص أنت عبدك المتكل عليك . ارحمنى يا رب لأننى اليك أصرخ اليوم كله . فرح نفس عبدك لأننى اليك يا رب أرفع راسى . لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين اليك .

اصغ يا رب الى صلاتى وانصت الى صوت تضرعاتى . فى يوم ضيقى أدعوك لأنك تستجيب لى .﴾ (١-٧)

﴿أحمدك يا رب الهى من كل قلبى وأمجد اسمك الى الدهر . لأن رحمتك عظيمة نحوى وقد نجيت نفسى من الهاوية السفلى . اللهم المتكبرون قد قاموا على وجماعة العتاة طلبوا نفسى ولم يجعلوك أمامهم . أما أنت يا رب فاله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة والحق . التفت الى وارحمنى . اعط عبدك قوتك وخلص ابن امتك . اصنع معى آية للخير فيرى ذلك مبغضى فيخزوا لأنك أنت يا رب أعنتنى وعزيتنى .﴾ (١٢-١٧)

والمزمور يبدأ فيرمز الى دعاء المسيح لله أن يخلصه ، مؤكدا ذلك بقوله بعد

ذلك « فى يوم ضيقى أدعوك » ، ويوم الضيق فى حياة المسيح كما نعلم هو يوم يحاول أعداؤه القبض عليه لصلبه ، والدعاء الذى دعاه فى ذلك اليوم هو أن يرفع الله عنه كأس الصلب ، والزمور يستطرد مؤكدا أن الله سيستجيب هذا الدعاء بقوله « لأنك تستجيب لى . » ، وأخيرا يؤكد المزمور استجابة الله لهذا الدعاء بحمد الله لأنه نجاه من الهاوية السفلى ، وهى هنا صلبه بطبيعة الحال ، واذ بدأ المزمور بالدعاء وانتهى الى استجابته نفهم من ذلك قصده التنبؤ كما أسلفنا ، وهو بذلك نبوءة صريحة عن تخليص الله للمسيح عليه السلام .

المزمور الثامن والثمانون : (تسبيحة مزمور لبنى قورح . لامام المغنين على العود للغناء . قصيدة لهيمان الازراحى)

﴿ يا رب اله خلاصى بالنهار والليل صرخت أمامك . فلتأت قدامك صلاتى . أمل اذنك الى صراخى. لأنه قد شبعت من المصائب نفسى وحياتى الى الهاوية دنت. حسبت مثل المنحدرين الى الجب . صرت كرجل لا قوة له . بين الأموات فراشى مثل القتلى المضطجعين فى القبر الذين لا تذكرهم بعد وهم من يدك انقطعوا . وضعتنى فى الجب الأسفل فى ظلمات فى أعماق . على استقر غضبك وبكل تياراتك ذللتنى . سلاه . ابعدت عنى معارفى . جعلتنى رجسا لهم . أغلق على فما أخرج . عينى ذابت من الذل دعوتك يا رب كل يوم . بسطت اليك يدى . ﴾ (١-٩)

﴿ لماذا يا رب ترفض نفسى . لماذا تحجب وجهك عنى . أنا مسكين ومسلم الروح منذ صباى . احتملت أهوالك . تحيرت. على عبرسخطك. اهوالك اهلكتنى. أحاطت بى كالمياه اليوم كله . اكتنفتنى معا . أبعدت عنى محبا وصاحبا . معارفى فى الظلمة . ﴾ (١٤-١٨)

فى هذا المزمور نرى الداعى يائسا كل اليأس ، بل اننا نراه قد انتهى الى ان بين الأموات فراشه مثل القتلى المضطجعين فى القبر الذين لا يذكرهم الله وهم من

يده قد انقطعوا ، وبذلك نعرف أن المزمور يتنبأ ، اذ المفروض أن المتحدث لم يمت بعد ، واذ تحدث عن موته ، فلابد أنه موت آخر تنبأ عنه ، وهو هنا من صلب ، فمن هو ، ان المزمور يكمل بعد ذلك فيقول أن الله قد وضعه فى الجب الأسفل فى ظلمات فى أعماق ، ولو أن المسيح هو الذى صلب لقال المزمور أن الأشرار وليس الله هم الذين فعلوا به ذلك ، أما أن يكون الله فاعل ذلك ، فليس المسيح اذن من صلب ، وتؤكد الآيات هذا المعنى فيقول المتحدث أن عليه استقر كل غضب الله وبكل تياراته ذلله ، وأبعد عنه معارفه وجعله رجسا لهم ، فمن يمكن أن يكون هذا غير يهوذا الاسخريوطى ، ليس المسيح من يمكن أن يستقر عليه غضب الله أو أن يذلله الله بكل تياراته ، فما استحق المسيح من الله الا رحمته ورضاه ، ولكنه يهوذا الذى استحق ذلك لخيانته ، كما أن الله لم يبعد المسيح عن معارفه أو يجعله رجسا لهم ، ونعرف من المزمور أن على المتحدث فيه عبر سخط الله وأهوال الله اهلكته وأبعد الله عنه محبا وصاحبا ، ومعارفه فى الظلمة ، وذلك من الله أبدا لا يكون للمسيح الكريم وانما ليهوذا الذى خانه ، وهكذا فالمزمور هنا يحدد لنا شخصية المصلوب يهوذا الاسخريوطى وليس المسيح عليه السلام .

المزمور الحادى والتسعون:

(الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت . أقول للرب ملجاى وحصنى الهى فأتكل عليه . لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوباء الخطر . بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمى . ترس ومجن حقه . لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار . ولا من وبأ يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة . يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك . اليك لا يقرب . انما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار .

لأنك قلت أنت ربى وملجاى . جعلت العلى مسكنك . لا يلاقيك شر ولا تدنو

ضربة من خيمتك . لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك . على الاسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس . لأنه تعلق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى .»

وأول ما نلاحظه فى هذا المزمور أن فى الأناجيل اشارة الى ان المقصود منه هو المسيح عليه السلام ، فقد جاء فى انجيل متى «ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس . فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا . فتقدم اليه المجرب . . . وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك . فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك .» (ص٤:١-٧)، كما جاء فى انجيل لوقا عن تجربة ابليس للمسيح «ثم جاء به الى اورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك . وأنهم على أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك . فأجاب يسوع وقال له أنه قيل لا تجرب الرب الهك .» (ص ٤ : ٦-١٢) وهذا الذى قال ابليس أنه مكتوب عن المسيح عليه السلام وجاءت أجابة المسيح له مؤيدة أنه مكتوب عنه ، هو ما نقرأه فى هذا المزمور من قوله «لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الايدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك .» وعلى هذا فان هذا المزمور عند المسيحيين يتنبأ عن المسيح عليه السلام .

وفى هذا المعنى نقرأ فى كتاب تفسير المزامير للقديس أغسطينوس (الجزء الأول وهو من منشورات بيت التكريس بحلوان) فى صفحة ١٥٥ :

(هذا هو المزمور الذى اقتبس منه الشيطان اذ تجاسر على أن يجرب ربنا يسوع المسيح)

كما نقرأ فى نفس الكتاب ص ١٧٣ :

(«على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك »(ع ١٢).

عندما أصعد المسيح الى السماء كان محمولا على أيدى الملائكة. وليس هذا معناه أنه لو لم تحمله الملائكة لكان قد سقط ، بل المعنى أنها حملت ملكها اذ كانت واقفة فى خدمته وتحت أمره . فلا تقل أن الملائكة التى حملته أفضل ممن حمل ...)

المزمور اذن عند المسيحيين يتنبأ عن المسيح ، بل ويبين كيفية رفعه الى السماء، فبم تنبأ ؟

ان المزمور يقول على لسان المسيح — باعتبار أنه يتنبأ عنه — أن الرب حصنه وملجأه ، ثم هو ينجيه من فخ الصياد ، فأى فخ وأى صياد هذا الذى ينجيه الله منه ، أليس هذا التعبير يتحدث عن محاولة القبض على المسيح ، أليس ذلك فخ نصب له ، أليست القبلة التى كانت علامة عليه هى الفخ الذى أراد يهوذا ايقاع المسيح به ليقبض عليه أعداؤه ، أليس تعبير الفخ هنا دقيق عن ذلك ، فكيف ينجيه الله منه ، ان هذا ما يستطرد المزمور موضحا له بقوله أنه بخوافيه يظلله وتحت أجنحته يحتمى ويسقط عن جانبه ألف واليه لايقرب ، ما أوضح ما يعبر به هذا الكلام عن تخليص الله للمسيح من بين من قدموا للقبض عليه، لقد أعماهم عنه، بخوافيه ظلله وتحت أجنحته احتمى ، فلا يعرفون أنه قد ارتفع من بينهم ، وألف يسقطون عن جانبه واليه لايقرب ، فمن هم هؤلاء الألف الذين يسقطون ، أليسوا هم من يحاولون القبض على المسيح فنقرأ عنهم فى انجيل يوحنا أنهم فى هذه اللحظة رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، والألف هذا العدد بالذات ، قريب منه جدا مانقرأه فى كتاب الحق للقمص باسيليوس اسحق (الذى يحاول به الرد على هذا الكتاب) فانه يقول فى ص ٧٣ :

(القبض على المسيح .

كانت القوة التى نيط بها القبض على المسيح مكونة من :

١ ـ كتيبة من الجنود الرومانيين والكتيبة كان فى العادة عددها ٦٠٠ جنديا مسلحا بقيادة ضابط رومانى .

٢ ـ الخدام : وهم الموظفون اليهود الملحقون بمحكمة السندرهيم (وهى المحكمة اليهودية العليا) وموظفو ادارة بوليس الهيكل يحملون سيوفا وعصى .

فى البستان حيث كان المسيح :

ذهبت القوتان المسلحتان ، .....)

اذن فعدد من قدموا للقبض على المسيح يتكون من ستمائة جندى وهم أفراد الكتيبة الرومانية ، ومن الموظفين اليهود الملحقون بمحكمة السندرهيم وموظفى ادارة بوليس الهيكل ، وهؤلاء أيضا لابد وأن عددهم كان كبيرا وقريبا من عدد الكتيبة حتى أن السيد الكاتب يعتبر المجموع مكونا من قوتين لا من قوة واحدة ، فما مجموع هاتين القوتين ، ألا يكون بذلك قريبا من الألف ، أو قد يكون ألفا تماما .

فماذا يكون بعد اذ يسقط هؤلاء الألف ، هل يقبضون عليه ، لا ، بل اليه لايقرب ، هكذا يقول الزمور ، والربط بين هذا القول وبين سقوطهم يعنى أنهم بعد سقوطهم لايستطيعون أن يقربوا منه ، فلماذا ذلك الا أن يكون الله قد رفعه من بينهم ، بخوافيه أخفاه وتحته أجنحته حماه كما يقول الزمور ، ويتحدث الزمور اثر ذلك عما سيكون من أمر يهوذا الاسخريوطى اذ بعد قوله أن اليه ــ أى المسيح ــ لا يقرب ، نراه يقول له أن بعينيه ينظر ويرى مجازاة الأشرار ، أليس ذلك يهوذا الاسخريوطى مقبوضا عليه ومصلوبا بدلا منه ، ويمضى الزمور بعد ذلك مؤكدا تخليص الله للمسيح عليه السلام فى هذه اللحظة بالذات ورفعه اليه ، فهو يقول عن المسيح أنه لأنه قال لله يارب أنت ملجأى جعل العلى مسكنه ، وما ذلك ليكون الا رفعه اليه ، ثم هو يؤكد أنهم لن ينالوه بقوله أنه لايلاقيه شر ولا تدنو ضربة من خيمته ،

ثم نصل الى هذا الكلام الذى جرب به ابليس المسيح ونعرف من رد المسيح أنه يؤيد أنه المقصود بهذا الكلام ولكن لايطيع ابليس لأنه مكتوب أيضا « لاتجرب الرب الهك » ، وللمرء أن يتساءل ، فاذا كان المسيح هو المقصود بهذا الكلام فمتى تحقق، إن المسيح على علمه أن هذا الكلام مكتوب عنه رفض أن يجربه لأنه مكتوب « لاتجرب الرب الهك » ، فكيف اذن كان هذا الكلام مكتوبا عنه الا أن يتحقق فيه بالفعل ، وانما فى الوقت الذى يختاره الله وليس المسيح حتى لايجرب بذلك ربه، ولكن ليس معنى ألا يجرب المسيح ربه أن ما كتب عنه لن يتحقق ، بل لابد وأن يتحقق ، والا لما صح اعتباره مكتوبا عنه ، فهل تحقق ذلك الا برفع المسيح عليه السلام ، وهو مايقول به فى كتابه كما رأينا القديس اغسطينوس ، ولكن متى كان ذلك ، هل فى المزمور ما يشير الى لحظة أخرى غير محاولة القبض على المسيح ، أبداً، فكل مافيه يشير تماما الى تلك اللحظة،والمزمور نفسه اذ يستطرد يقطع بأن المقصود منه هو رفع المسيح فى هذه اللحظة اذ يقول « لأنه تعلق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمى » ، ويوضح المزمور أن ذلك كله انما كان استجابة لدعاء المسيح فيقول « يدعونى فأستجيب له »،ويوضح المزمور أن الدعاء المقصود بالذات هو دعاء المسيح يوم يحاولون القبض عليه ليصلبوه ، أى لدعاء المسيح فى يوم ضيقه فيقول « معه أنا فى الضيق »، ويؤكد ثانية أن الله سيخلصه عندئذ بقوله « أنقذه وأمجده »، والربط بين الانقاذ والتمجيد هنا اشارة الى أن انقاذه يكون بطريق يمجده ، وأى تمجيد للمسيح أكثر من أن يكون تخليصه وانقاذه من بين أعدائه برفعه الى الله وذلك ماينتهى المزمور بتأكيده حين يقول « من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى . »

وهكذا ، فاذ المتفق عليه أن هذا المزمور يتنبأ عن المسيح عليه السلام، لانجده قد تنبأ الا بتخليص الله له فى يوم الضيق ، مستجيبا لدعائه فى ذلك اليوم ، فينقذه ويرفعه عاليا اليه ، وبذا يكون هذا المزمور نبوءة قاطعة فى صراحتها ، وفى تفاصيلها ،

عن تخليص الله للسيح علية السلام ورفعه اليه ، بل وفيه أيضا اشارة الى ماسيحيق يهوذا الاسخريوطى الذى خان المسيح سيده .

المزمور المئة والتاسع : (لامام المغنين . لداود . مزمور)

﴿يا اله تسبيحى لاتسكت . لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب. بكلام بغض أحاطوا بى وقاتلونى بلاسبب. بدل محبتى يخاصموننى . أما أنا فصلاة . وضعوا على شرا بدل خير وبغضا بدل حبى .

فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه. اذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر . ليكن بنوه أيتاما وامرأته أرملة . ليته بنوه تيهانا ويستعطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم . ليصطد المرابى كل ماله ولينهب الغرباء تعبه . لايكن له باسط رحمة ولايكن مترأف على يتاماه . لتنقرض ذريته . فى الجيل القادم ليمح اسمهم ليذكر اثم آبائه لدى الرب ولاتمح خطية أمه . لتكن أمام الرب دائما وليقرض من الأرض ذكرهم . من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد انسانا مسكينا وفقيرا والمنسحق القلب ليميته . وأحب اللعنة فأتته ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه . ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كمياه فى حشاه وكزيت فى عظامه . لتكن له كثوب يتعطف به وكمنطقة يتنطق بها دائما . هذه أجرة مبغضى من عند الرب وأجرة المتكلمين شرا على نفسى .

(١ – ٢٠)

﴿أعنى يا رب الهى . خلصنى حسب رحمتك . وليعلموا أن هذه هى يدك . أنت يا رب فعلت هذا . أما هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح . ليلبس خصمائى خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء . أحمد الرب جدا وفى وسط كثيرين أسبحه . لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه.﴾

(٢٦ – ٣١)

وهذا المزمور بالذات قد أشير اليه فى الاصحاح الأول من سفر أعمـال الرسل (وهـو السـفر التالى للآناجيل مباشرة فى كتاب العهد الجـديد من الكتاب المقـدس) الى أن يهوذا الاسخريوطى هو المقصـود ببعض ما ورد فيه ، حيث جاء فى هذا الاصحاح :

« وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ . وكان عدة أسماء معا نحو مئة وعشرين . فقال . أيها الرجال الاخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلا للذين قبضـوا على يسوع اذ كان معدودا بيننا وصار له نصيب فى هذه الخدمة . فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها . وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما أى حقل دم لأنه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر . فينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل الينا الرب يسوع وخرج . منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذى ارتفع فيه عنا يصير واحد منهم شاهدا معنا بقيامته. فأقاموا اثنين يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوستس ومتياس. وصلوا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عين أنت من هذين الاثنين أيا اخترته. ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التى تعداها يهوذا ليذهب الى مكانه. ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعه على متياس فحسب مع الأحد عشر رسولا . » (١٥ — ٢٦)

والمزمور المائة والتاسع هذا هو الذى وردت فيه الآية التى أشار اليها بطرس فى هذا الاصحاح من سفر أعمال الرسل والتى تقول «ووظيفته ليأخذها آخر .» وعلى هذا ،فان هذا المزمور ، وفى الشق الذى تضمنته هذه الآية ، وبدليـل كتـابى عند المسيحيين ، يرمز الى يهوذا الاسخريوطى ويتنبأ عنه ، فاذا ما طالعنـا هـذا الجزء من المزمور ، نجده يقول قبل هذه الآية مباشرة « اذا حوكم فليخرج مذنبا» ونحن

نعرف أن هذا الذى حوكم فى الأناجيل قد أدين أى خرج مذنبا ، فمن هو الذى حوكم وأدين ثم صلب ، أليس يهوذا الاسخريوطى والذى يقول بطرس الرسول أن هـذا الجزء من المزمور يتنبأ عنه ، ان الأمر هنا لأوضح من أن يحتاج لشرح أو يقبل مكابرة ، فأى مستهدف للحقيقة يجب أن يقر بذلك ، ومن غير المعقول أن تقتطع من المزمور آية ويقال انها ترمز ليهوذا وتستبعد الآية السابقة لهـا من هـذا الرمز رغم أن المزمور يربط بينها بما لا يقبلان معه انفصـالا ، والا فمتى حوكم يهـوذا وخرج مذنبا ان لم يكن هو هذا الذى حوكم على أنه المسيح .

والشطر الأول من المزمور واضح ارتباطه بالشطر الأخير منـه وأن المتحدث فيها واحد ، فهو فى الأول يتحدث عن الاشرار الذين تحدثوا عنـه بغش وأحاطوا به وقاتلوه بلا سبب ، وهذا كله يرمز الى من قدموا للقبض على المسيح ، وفى الشطر الثانى نجد المسيح يستمطر اللعنة على هـذا الشرير والذى حـدده بطرس بأنه يهوذا الاسخريوطى ، ونعرف من ذلك أن يهوذا هو الذى قبض عليه وحـوكم وأدين ، وفى الشطر الأخير نرى المسيح يسأل الله أن يخلصـه حسب رحمته وليعلم الناس أن التى خلصته هى يد الله ، ويشير الى الذين تآمروا عليه بأنهم يلعنون ويخزون ويخجلون ، أما هو ، أى المسيح ، فيفرح ، لتخليص الله له بالطبع ، ويحمد الرب جدا ويسبحه لأنه يخلصه ، وهذا التخليص هو الذى تؤكده نهاية المزمور والتى تقول « لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه . »

وعلى هذا ، فلا يـكون فى هذا المزمور الا نبوءة صريحة عن تخليص الله للمسيح مستجيبا لدعائه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته واذانته وبالتالى صلبه بدلا من المسيح . (١)

---

(١) كعادته فى رده فى اجزائه الاربعة ، لا يرى السيد / يسى منصور ما يرد به على ما قلت بالنسبة لهذا المزمور سوى ان يتجاهله فلا تتسع له اجزاءه الاربعة ، وكأنما هو بهذا يحسب انه يطفىء نور النبوة فى المزمور

المزمور المئة والثامن عشر :

﴿ احمدوا الرب لأنه صالح لان الى الابد رحمته . ليقل اسرائيل أن الى الأبد رحمته . ليقل بيت هرون ان الى الابد رحمته . ليقل متقو الرب ان الى الابد رحمته

من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب . الرب لى فلا أخاف . ماذا يصنع بى الانسان . الرب لى بين معينى وأنا سأرى بأعدائى . الاحتماء بالرب خير من التوكل على انسان . الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء . كل الأمم أحاطوا بى . باسم الرب أبيدهم . احاطوا بى وا كتنفونى . باسم الرب ابيدهم . احاطوا بى مثل النحل . انطفأوا كنار الشوك . باسم الرب أبيدهم . دحرتنى دحورا لأسقط . أما الرب فعضدنى . قوتى وترنمى الرب صار لى خلاصا . صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين . يمين الرب صانعة بباس . يمين الرب مرتفعة . يمين الرب صانعة بباس . لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب . تأديبا أدبنى الرب والى الموت لم يسلمنى .

افتحوا لى أبواب البر . أدخل فيها وأحمد الرب . هذا الباب للرب . الصديقون

والواقع أنه لا يفعل سوى أنه يحجب ذلك النور عن عينيه وحدها ، أما الشخص باسيليوس اسحق فيرد على ذلك فى ص ٥٩ من كتابه ولكنه يقول عجبا ، اذ يقول : (قال داود فى مز ١٠٩ : فأقم انت عليه شريرا ، وليقف شيطان عن يمينه ، اذا حوكم فليخرج مذنبا ، وصلاته فلتكن خطية ... لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر . لتكن بنوه ايتاما وامرأته ارملة . واستخلص احد الكتاب من هذا أن الذى حوكم كان يهوذا ، وليس المسيح ، لان الله اوقع شبهه عليه ... ودلل بذلك على صحة ما ورد فى القرآن عن أن المسيح لم يصلب ... ولكن من أين استدل الكاتب على أن هذا الكلام خاص بشخص معين .. كلا انما هو كلام موحى به من الله عما يصيب كل من ناه فى عمل الشر ... لما كان يهوذا قد تناهى فى عمل الشر فقد جوزى بما نطق به الوحى وتم عليه حكم الرب الذى نطق به على الاشرار .) أليس عجبا أن يتساءل هذا الكاتب بعد كل ما كتبته من أين استدللت على أن هذا الكلام خاص بشخص معين ، موحيا بذلك للقارىء بأنى قد افترضت ذلك دون سند ، واما قوله بأنى استخلصت كون الذى حوكم كان يهوذا وليس المسيح لان الله اوقع شبهه عليه ، فهو قول زور لانى لا فى هذا المكان ولا فى أى مكان آخر غيره قلت بأن الله أوقع شبه المسيح على يهوذا ، كما أنى لا اعتقـد فى ذلك .

يدخلون فيه . أحمدك لأنــك استجبت لى وصرت لى خلاصاً . الحجر الذى رفضه البناؤون قد صاررأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهوعجيب فى أعيننا. ﴾(١-٢٣)

وأول مانلاحظه بالنسبة لهذا المزمور، أن المسيح عليه السلام قد أشار الى الآية الأخيرة التى أوردناها منه ، فقد جاء فى انجيل متى « قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب . الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى اعيننا . » (ص ٢١ : ٤٢) ، كما جاء فى انجيل مرقس قول المسيح « اما قرأتم هذا المكتوب . الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى اعيننا . » (١٢: ١٠، ١١) ونقرأ ايضا فى انجيل لوقا « فنظر اليهم وقال اذا ماهو هذا المكتوب الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . » (ص ٢٠ : ١٧) ، ويشير بطرس الرسول الى أن هذا القول قصد به المسيح وذلك فى سفر اعمال الرسل حيث يقول « فليكن معلوما عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه انتم الذى اقامه الله من الأموات . بذاك وقف هذا امامكم صحيحا . هذا هوالحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية . » (ص٤: ١٠ و١١) ، كما نقرأ فى رسالة بطرس الرسول الأولى « لذلك يتضمن ايضا فى الكتاب هانذا أضع فى صهيون حجر زاوية مختارا كريما والذى يؤمن به لن يخزى. فلكم انتم الذين تؤمنون الكرامة وأما للذين لايطيعون فالحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . » (ص ٢ : ٦ و٧) ، ولهذا فان المسيحيين يعتبرون هذا المزمور رمزا للمسيح عليه السلام ونبوءة عنه ، فما الذى يتنبأ به المزمور عن المسيح .

واذ نطالع المزمور نراه يبدأ بأن يذكر انه من الضيق دعا الرب فأجابه من الرحب ، والضيق كما عرفنا فى حياة المسيح هو لحظة محاوله القبض عليه لصلبه بعد ذلك ، ويؤكد المزمور قصده هذه اللحظة بقوله بعد ذلك « أحاطوا بى واكتنفونى

« أحاطوا بى مثل النحل » ، ويؤكد المزمور أن الله مستجيب دعـــاءه فيقول « فأجابنى من الرحب » ، ولعل فى كلمة الرحب اشارة الى كيفية تخليص المسيح برفعه الى أعلا ، وان كنا لا نستطيع القول بأنها نبوءة صريحة عن ذلك ، ثم يقطع المزمور بأن المسيح لن يصلب بقوله « لا أموت بل أحيا » ، وقوله أيضا « والى الموت لم يسلمنى » ، ثم هو يشير الى ماسيحيق بيهوذا الاسخريوطى بقوله « وأنا سأرى بأعدائى » ، وهكذا نرى فى هذا المزمور والذى يرى فيه المسيحيون أنه يرمز للمسيح عليه السلام مايقطع بأنه لن يصلب .

المزمور المئة والثانى والثلاثون : (ترنيمة الصاعد)

« من اجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك . » (١٠)

ولعل هذه الآية ، خير ماتختم به النبوءات فى المزامـــير ، وهى تقطع بأن المقصود منها هو المسيح عليه السلام ، والداعى فيها يتشفع عند الله بمحبته لداود عبده ألا يرد وجه مسيحه ، مشيرا بذلك الى دعاء المسيح عليه السلام لله يوم قـدم الأعداء ليقبضوا عليه ويقتلوه ، ان يخلصه من الصلب ، أفلا يستجيب الله هذا الدعاء ، انه لحقيق باستجابته ، وانه لحقا قد فعل ، فذلك ماتصيح به كل المزامير السابقة .

المبحث الثـــانى

الحقيقة فى المزامير

كانت هذه هى المزامير ، التى وجدنا أن بحثنا عن الحقيقة بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون ، وتخليص الله له ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، بحثنا عن الحقيقة فى ذلك ، يجب أن يكون فيها ، ولقد وجدنا الحقيقة ساطعة بكل جلاء فى كل ما بحثنا فيه من المزامـــير ، فهى تتحـدث عن المؤامرة على المسيح ، وتصف المتآمرين دائما بالأشرار ، ثم هى تتحدث عن شخص يدعوا الله أن ينجيه ، أن ينقذه ، أن يخلصه ، أن يستجيب لدعائه ، ودائما نجد هذا الداعى بارا كريما حقيقا بأن يستجاب دعاؤه ، لأنه ليس فى فمه غش ، كامل مع الله ،

لأن الحق والعدل والرحمة كلها تقتضى أن يستجاب دعاؤه ، صورة سـامية لانسان كامل هو الداعى الذى لا يمكن أن يكون غير المسيح عليه السلام ، ودائما ، فى كل المزامير التى تناولناها، نجد أن الله سيستجيب لدعاء هذا الكامل، سيخلصه ، سيرفعه سينقذه ، دائما تتحدث المزامير عن انقاذ الله له وتخليصه له ، وبعدئذ ، نجد أن كل المزامير التى تتحدث عمن سيصلب ، فنرى فيه صورة أخرى مغايرة تماما للصورة الأولى ، صورة لشخص يعرف الله حماقته وذنوبه التى عنه لم تخف ، يعرف الله عاره وخزيه وخجله ، نجد فيه صورة تتكرر للشرير الذى تآمر ، ودائما نرى هذا الشرير ونعرف أنه هو الذى سيصلب ، فالشرير يعلق بعمل يديه ، كرا جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع ، انتشبت برجله الشبكة التى أخفاها ، صورة شخص كريه ، تتكرر فى المزامير ، وهى دائما التى سيحيق بها شرها نفسه ، فنعرف فيها لذلك شخصية يهوذا الاسخريوطى الذى خان المسيح سيده ، فنال جزاء خيانته ، بأن سقط فى الحفرة نفسها التى حفرها له، فيقبض عليه هو بدلا من المسيح وحوكم وصلب عوضا عنه ، فشرب بذلك نفس الكأس التى أعدها لمن خانه .

صورة كاملة ، هى تلك التى رأيناها فى المزامير ، تتنبأ عن مؤامرة يهوذا الاسخريوطى مع أعداء المسيح للقبض عليه ، ثم تحركهم ليمسكوه ، وأما هو ، أى المسيح ، فيصلى لله ، ويضرع اليه ، ويدعوه ، أن يخلصه من الصلب الذى هو آت اليه على يد أعدائه ، وصوت الأعداء يقترب ، والدعاء يزيد حرارة ، حتى اذا ما وصلوا حسب المسيح للحظة أن الله قد تخلى عنه ، ولايمانه يرضخ لمشيئة الله ، واذ يستسلم لمن قدموا للقبض عليه ، اذا بمعجزة الله تقع ، وبقدرته تتجلى ، فاذا هو مستجيب دعاء مسيحه ، واليه من بينهم يرفعه ويرتد الاعداء الى الخلف ويسقطون وهم لا يدرون تفسيرا لسقوطهم ، ولا يعرفون ما حدث ، ثم انهم لا يجدون وسطهم غير الخائن يهوذا الاسخريوطى ، والذى له بغير شك تبدت قدرة الله وجلاله ، وله

بأن أن الله قد رفع مسيحه ، فيقف مبهوتا أمام عظمة العلى وقدرته ، ويقبض عليه الجند والخدام وقد ظنوه المسيح ، وهو على هذه الحال ، فيستسلم لهم ، ويحاكم بعد ذلك ويصلب ، وبذا فانه بعمل يديه يكون قد علق.

هذه هى الصورة التى وجدنا المزامير تتنبأ بها ، وجدناها بكاملها فى بعض المزامير ، ووجدناها بهذا التسلسل فى مزامير متتالية ، ووجدنا جانبا منها على حدة أو أكثر من جانب معا فى مزامير أخرى ، ولكن ، وعلى أى حال وجدناها عليه فانه يجمع بينها جميعا ، أنها إنما صورة واحدة هى تلك التى تجرى بها النبوءات ، تتكرر فيها جميعا ، ولكن أبدا لا تتغير ، هذا الكامل الذى ليس فى فمه غش ولا فى قلبه اثم ، يدعو الله فيستجيب له ، يخلصه ويرفعه اليه ، أما هذا الشرير الذى تآمر عليه ، فانه يقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا منه فيعلق بذلك بعمل يديه ويسقط بهذا فى نفس الحفرة التى حفرها ، وبذلك تتجلى النبوءة فى أجلى صورها وأصرح معانيها وأبهى صدقها وكمالها ، أن انما اتفقت المزامير على التنبؤ بدعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب واستجابة الله لهذا الدعاء برفعه اليه عند محاولة القبض عليه ثم القبض على يهوذا بعد ذلك ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح عليه السلام جزاء وفاقا لما قدمت يداه بأن يشرب نفس الكأس التى كان سيذيقها للمسيح سيده بعد أن خانه .

وأنه لمن الأحسن ، توضيحا لكمال النبوءة وصراحتها وقطعها ، أن نجمع على حدة ، النبوءات التى تشير الى كل جانب من جوانب النبوءة ، فنجمع على حدة الآيات التى تشير الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، ثم تلك الآيات التى تشير الى استجابة الله لدعاء مسيحه بتخليصه من الصلب ، ثم أخيرا ، الآيات التى تشير الى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح عليه السلام ، لنستخلص من كل ذلك ، الحقيقة كما تنبأت بها المزامير .

أولا : الآيات التى تشير الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب :

« قم يا رب . خلصنى يا الهى .» (مز ٣ : ٧)

« عند دعائى استجب لى يا اله برى . فى الضيق رحبت لى . تراءف على واسمع صلاتى .» (مز ٤ : ١)

« لكلماتى أصغ يا رب . تأمل صراخى . استمع لصوت دعائى يا ملكى والهى لأنى اليك أصلى . يا رب الغداة تسمع صوتى . بالغداة أوجه صلاتى نحوك وأنتظر .» (مز ٥ : ١ - ٣)

« عد يا رب . نج نفسى . خلصنى من أجل رحمتك . لأنه ليس فى الموت ذكرك .» (مز ٦ : ٤ و ٥)

« يا رب الهى عليك توكلت . خلصنى من كل الذين يطردوننى ونجنى . » (مز ٧ : ١)

« اقض لى يا رب كحقى ومثل كمالى الذى فى . ليتنه شر الأشرار وثبت الصديق .» (مز ٧ : ٨ و ٩)

« ارحمنى يارب . أنظر مذلتى من مبغضى .» (مز ٩ : ١٣)

« احفظنى يا الله لأنى عليك توكلت .» (مز ١٦ : ١)

« ليستجب لك الرب فى يوم الضيق . ليرفعك اسم اله يعقوب . ليرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون ليعضدك . ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك . سلاه . ليعطك حسب قلبك ويتمم كل رأيك .» (مز ٢٠ : ١ - ٤)

« اليك يا رب أصرخ . يا صخرتى لا تتصامم من جهتى لئلا تسكت عنى فأشبه الهابطين فى الجب . استمع صوت تضرعى اذ أستغيث بك وأرفع يدى الى محراب قدسك . لا تجذبنى مع الأشرار ومع فعلة الاثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم . » (مز ٢٨ : ١ - ٣)

« اليك يا رب اصرخ والى السيد أتضرع . ما الفـائدة من دمى اذا نزلت الى الحفرة . هل يحمدك التراب . هـل يخبر بحقك . اسـتمع يا رب وارحمنى يا رب كن معينا لى . » (مز ٣٠ : ٨ — ١٠)

« عليك يا رب توكلت . لا تدعنى أخزى مدى الدهر . بعـدلك نجنى . أمل الى أذنك . سريعا أنقذنى . كن لى صخرة حصن بيت ملجأ لتخليصى . لأن صخرتى ومعقلى أنت . من أجل اسمك تهدينى وتقودنى . أخرجنى من الشبكة التى خبأوها لى . لأنك أنت حصنى . » (مز ٣١ : ١ — ٤)

« ارحمنى يا رب لأنى فى ضيق . » (مز ٣١ : ٩)

« أما أنا فعليك توكلت يا رب . قلت الهى أنت . فى يدك آجالى . نجنى من يد أعدائى ومن الذين يطردوننى . أضىء بوجهك على عبدك . خلصنى برحمتك . يارب لا تدعنى أخزى لأنى دعوتك . » (مز ٣١ : ١٤ — ١٧)

« اللهم باسمك خلصنى . وبقوتك احكم لى . اسمع يا الله صلاتى اصغ الى كلام فمى . لأن غرباء قد قاموا على وعتاة طلبوا نفسى . لم يجعلوا الله أمامهم . سلاه . » (مز ٥٤ : ١ — ٣)

« اصغ يا الله الى صلاتى ولا تتغاض عن تضرعى . استمع لى واستجـب لى . » (مز ٥٥ : ١ و ٢)

« ارحمنى يا الله لأن الانسان يتهممنى واليوم كله محاربا يضـايقنى . تهممنى أعدائى اليوم كله لأن كثيرين يقاوموننى بكبرياء . فى يوم خوفى أنا عليك أتكل . » (مز ٥٦ : ١ — ٣)

« ارحمنى يا الله ارحمنى لأنه بك احتمت نفسى وبظـل جناحيك أحتمى الى أن تعبر المصائب . أصرخ الى الله العلى الله المحامى عنى . » (مز ٥٧ : ١ و ٢)

« استمع يا الله صوتى فى شكواى . من خوف العدو احفظ حياتى . استرنى من

مؤامرة الأشرار من جمهور فاعلى الاثم .» (مز ٦٤ : ١ و ٢)

« اللهم الى تنجيتي يا رب الى معونتى أسرع .» (مز ٧٠ : ١)

« بك يا رب احتميت فلا أخزى الى الدهر . بعدلك نجنى وأنقذنى . أمل الى أذنك وخلصنى . كن لى صخرة ملجأ أدخله دائما . » (مز ٧١ : ١ – ٣)

« أمل يا رب أذنك . استجب لى . لأنى مسكين وبائس أنا . احفظ نفسى لأنى تقى . يا الهى خلص أنت عبدك المتكل عليك . ارحمنى يا رب لأننى اليك أصرخ اليوم كله . فرح نفس عبدك لأننى اليك يا رب أرفع نفسى . لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين اليك .

اصغ يا رب الى صلاتى وأنصت الى صوت تضرعاتى . فى يوم ضيقى أدعوك .» (مز ٨٦ : ١ – ٧)

« اللهم المتكبرون قد قاموا على وجماعة العتاة طلبوا نفسى ولم يجعلوك أمامهم . أما أنت يا رب فاله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة والحق . التفت الى وارحمنى . أعط عبدك قوتك وخلص ابن أمتك . اصنع معى آية للخير فيرى ذلك مبغضى فيخزوا .» (مز ٨٦ : ١٤ – ١٧)

« يا اله تسبيحى لا تسكت . لأنه قد أفتح على فم الشرير وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب . بكلام بغض أحاطوا بى وقاتلونى بلا سبب . بدل محبتى يخاصموننى . أما أنا فصلاة . وضعوا على شرا بدل خير وبغضا بدل حبى . » (مز ١٠٩ : ١ – ٥)

« من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك .» (مز ١٣٢ : ١٠)

وعلى اختلاف الألفاظ فى الآيات السابقة ، فإنها تجتمع جميعا عند معان واحدة ومنها ما يشير صراحة الى أن الدعاء فيها لا يقصد به زمن حاضر ، وانما زمن فى المستقبل ، كما فى القول « عند دعائى استجب لى » والقول « يا رب بالغداة تسمع

صوتى » ، كما أن صيغة الدعاء تكشف عن أن هذا الداعى يرى أنه حقيق بأن يستجاب دعاؤه ، كما فى قوله « اقض لى يارب كحقى ومثل كمالى الذى فى » ، ثم هو يقول عن الأعداء أنهم « لم يجعلوا الله أمامهم » وهو يشير بالذات إلى يوم يحاول أعداء المسيح القبض عليه ليصلبوه بقوله عن ذلك اليوم « يوم الضيق » و « يوم خوفى » ، وأخيرا فان الواضح أن الداعى يدعو الله أن يخلصه من الموت كما فى القول « خلصنى من أجل رحمتك . لأنه ليس فى الموت ذكرك . » ، والقول « اليك يارب أصرخ وإلى السيد أتضرع . ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة . » ، بل وفوق هذا فان فيهما مايشير صراحة إلى المسيح عليه السلام كما فى القول « لاترد وجه مسيحك . » ، كما يشير إلى الصورة المرتجاة لتخليص المسيح برفعه كما فى القول « ليرفعك إسم إله يعقوب . » .

واستخلاص النبوءة من هذه الآيات عن دعاء المسيح لله يوم أن علم بأن الأعداء قادمون ليقبضوا عليه ويصلبوه ، عن دعائه فى ذلك اليوم لله أن يعبر عنه كأس الصلب فيرفعها عنه ويخلصه من الصلب ، استخلاص النبوءة من هذه الآيات على هذا النحو لايبدو أمرا يثير أى خلاف ، ولايتصور قيام خلاف بشأنه ، لأنه حق هنا ، فان الصورتين المسيحية والاسلامية تتفقان ، وبذلك فان هذه الآيات تتنبأ بما هو متفق عليه ولا خلاف بشأنه .

ثانيا : الآيات التى تشير إلى تخليص الله للمسيح من الصلب ورفعه إليه :

« بصوتى إلى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه . » (مز ٣ : ٤) .

« يابنى البشر حتى متى يكون مجدى عارا . حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب . سلاه . فاعلموا أن الرب قد ميز تقية . الرب يسمع عندما أدعوه . » (مز ٤ : ٢ و ٣) .

« ويفرح جميع المتكلين عليك . إلى الأبد يهتفون وتظللهم . ويبتهج بك محبو

اسمك . لأنك أنت تبارك الصديق يارب . كأنه بترس تحيطه بالرضا . » (مز ٥ : ١١ و ١٢)

« ابعدوا عنى ياجميع فاعلى الإثم . لأن الرب قد سمع صوت بكائى . سمع الرب تضرعى . الرب يقبل صلاتى . » (مز ٦ : ٨ و ٩) .

« ومجمع القبائل يحيط بك فعد فوقها إلى العلى . » . (مز ٧ : ٧)

« لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى . جسدى أيضا يسكن مطمئنا . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا . » (مز ١٦ : ٩ و ١٠)

« الرب صخرتى وحصنى ومنقذى . إلهى صخرتى بـه أحتمى . ترسى وقرن خلاصى وملجإى . أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى . إكتنفتنى حبال الموت وسيول الهلاك أفزعتنى . حبال الهاوية حاقت بى . أشراك الموت انتشبت بى . فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت . فسمع من هيكله صوتى وصراخى قدامه دخل أذنيه فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال ... أرسل من العلى فأخذنى . نشلنى من مياه كثيرة . أنقذنى من عدوى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى منى . أصابونى فى يوم بليتى وكان الرب سندى . أخرجنى إلى الرحب . خلصنى لأنـه سر بى . » (مز ١٨ : ٢ - ١٩) .

« تنقذنى من مخاصمات الشعب . » (مز ١٨ : ٤٣)

« حى هو الرب ومبارك صخرتى ومرتفع إله خلاصى . الإله المنتقم لى والذى يخضع الشعوب تحتى . منجى من أعدائى . رافعى أيضا فوق القائمين على . من الرجل الظالم تنقذنى . لذلك أحمدك يارب فى الأمم وأرنم لإسمك . برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله إلى الابد » . (مز ١٨ : ٤٦ - ٥٠) .

« الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه . هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر . هم جثوا

وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا . يارب خلص . ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا . »

(مز ٢٠ : ٦ — ٩)

« يارب بقوتك يفرح الملك وبخلاصك كيف لايبتهج جدا . شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه . سلاه . لأنك تتقدمه ببركات خير . . حياة سألك فأعطيته . طول الأيام إلى الدهر والأبد . عظيم مجده بخلاصك جلالا وبهاء تضع عليه . لأنك جعلته بركات إلى الأبد » (مز ٢١ : ١ — ٦)

« لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة . لم يستطيعوها . » (مز ٢١ : ١١)

« لأنه يخبئنى فى مظلته فى يوم الشر . يسترنى بستر خيمته . على صخرة يرفعنى . »

(مز ٢٧ : ٥)

« مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعى . الرب عزى وترسى عليه اتكل قلبى فانتصرت . ويبتهج قلبى وبأغنيتى أحمده . الرب عزلهم وحصن خلاص مسيحه هو . »

(مز ٢٨ : ٦ — ٨)

« أعظمك يارب لأنك نشلتنى ولم تشمت بى أعدائى . يارب إلهى استغثت بك فشفيتنى . يارب أصعدت من الهاوية نفسى أحييتنى من بين الهابطين فى الجب . »

(مز ٣٠ : ١ — ٣)

« حولت نوحى إلى رقص لى . حللت مسحى ومنطقتى فرحا . (مز ٣٠ : ١١)

« فديتنى يارب إله الحق . . أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتى . وعرفت فى الشدائد نفسى . ولم تحبسنى فى يد العدو بل أقمت فى الرحب رجلى . »

(مز ٣١ : ٥ — ٨)

« مبارك الرب لأنه جعل عجبا رحمته لى فى مدينة محصنة . وأنا قلت فى حيرتى أنى قد انقطعت من قدام عينيك . ولكنك سمعت صوت تضرعى إذ صرخت اليك . »

(مز ٣١ : ٢١ و ٢٢)

« طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى . نظروا اليه واستناروا ووجوههم لم تخجل . هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . » (مز ٣٤ : ٤ — ٦)

« الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته . الرب لايتركه فى يده ولايحكم عليه عند محاكمته . انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض » (مز ٣٧ : ٣٢ — ٣٤)

« انتظارا انتظرت الرب فمال إلى وسمع صراخى . وأصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة وأقام على صخرة رجلى . » (مز ٤٠ : ١ و ٢)

« طوبى للذى ينظر إلى المسكين . فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه . ويغتبط فى الأرض ولايسلمه إلى مرام أعدائه . » (مز ٤١ : ١ و ٢)

« أما أنا فالى الله أصرخ والله يخلصنى . » (مز ٥٥ : ١٦)

« حينئذ ترتد أعدائى إلى الوراء فى يوم أدعوك فيه . هذا قد علمته لأن الله لى . الله أفتخر بكلامه الرب أفتخر بكلامه . على الله توكلت فلا أخاف . ماذا يصنعه بى الانسان. اللهم على نذورك. أوفى ذبائح شكر لك. لأنك نجيت نفسى من الموت » . (مز ٥٦ : ٩ — ١٣)

« أصرخ إلى الله العلى الله المحامى عنى . يرسل من السماء ويخلصنى . » (مز ٥٧ : ٢ و ٣)

« أمرت بخلاصى لأنك صخرتى وحصنى . » (مز ٧١ : ٣)

« فمى يحدث بعدلك اليوم كله بخلاصك لأنى لا أعرف لها أعدادا . » (مز ٧١ : ١٥)

« تبتهج شفتاى إذ أرنم لك ونفسى التى فديتها . ولسانى أيضا اليوم كله يلهج ببرك . لأنه قد خزى قد خجل الملتمسون لى شرا . » (مز ٧١ : ٢٣ و ٢٤)

« فى يوم ضيق أدعوك لأنك تستجيب لى . » (مز ٨٦ : ٧)

« أحمدك يارب إلهى من كل قلبى وأمجد اسمك إلى الدهر . لأن رحمتك عظيمة نحوى وقد نجيت نفسى من الهاوية السفلى . » (مز ٨٦ : ١٢ و ١٣)

« أقول للرب ملجإى وحصنى إلهى فاتكل عليه . لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوباء الخطر بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمى . . . يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك . اليك لايقرب. إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار. لأنك قلت أنت يارب ملجإى . جعلت العلى مسكنك . لايلاقيك شر ولاتدنو ضربة من خيمتك. لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك . . . . لأنه تعلق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف إسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى . » (مز ٩١)

« أحمد الرب جدا بفمى وفى وسط كثيرين أسبحه . لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه . » (١٠٩ : ٣٠ و ٣١)

« أحببت الرب لأن الرب يسمع صوت تضرعاتى . لأنه أمال أذنه إلى . » (مز ١١٦ : ١ و ٢)

« الرب حنان وصديق وإلهنا رحيم . الرب حافظ البسطاء . تذللت فخلصنى . ارجعى يانفسى إلى راحتك لأن الرب قد أحسن اليك . لأنك أنقذت نفسى من الموت ....» (مز ١١٦ : ٥ — ٨)

« من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب . » (مز ١١٨ : ٥)

« أما الرب فعضدنى . قوتى وترنمى الرب وقد صار لى خلاصا . صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين . يمين الرب صانعة ببأس . يمين الرب مرتفعة . يمين الرب صانعة ببأس . لا أموت بل أحيا وأحدث بكل أعمال الرب . تأديبا أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى . » (مز ١١٨ : ١٣ — ١٨)

« أحمدك لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا . الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننــا . »
(مز ١١٨ : ٢١ — ٢٣)

وهكذا يبين لنا بكل جلاء أن المزامير انما تنبأت عن تخليص الله للمسيح عليه السلام من الصلب ، بكل جلاء ووضوح فهاهو داود النبى عليه السلام فى المزمور العشرين وقد أخذ يدعو الله أن يستجيب للمسيح فى يوم الضيـــق ويرفعه ، اذا به يقف عن الدعاء فجأة ليقول لنا أنه الآن قد عرف أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه ، وأن يعرف ذلك بينما هو يدعو الله لا يفهم الا أن وحى الله قد أعلمه ذلك أثناء دعائه ، وهكذا وجدنا فى كل ما سبق من مزامير بلغت بها الدقة فى وصف كيفية تخليص الله للمسيح بأن حددت الوقت بل واللحظة التى يكون فيها ذلك ، وهى لحظة أن يهم الأعداء بالقبض على المسيح ، وبينت بأجلى صراحة أن الله مخلص مسيحه فى هذه اللحظة بالذات ورافعه اليه ، فلا يقبض عليه عدوه ، بل زيادة فى الدقة تصف لنا المزامير ما يكون من أمر أعداء المسيح فى هذه اللحظة من رجوعهم الى الوراء وسقوطهم على الأرض .

وعن كل ذلك فاننا نقرأ « ومجمع القبائل يحيط بك فعد فوقها الى العلى . » فالآية تشير إلى الأعداء يحيطون بالمسيح للقبض عليه ، فهنا يعود فوقهم الى العلى ، وهل هذا غير أن يرفعه الله اليه ، ونقرأ « يا رافعى من أبواب الموت » ، فهنـــا الله سيرفع مسيحه من أبواب الموت ، وما أيدى أعداءه التى تمتـــد للقبض عليه الا كأبواب الموت اذ تريد صلبه ، ومن هنا الله يرفعه ، ونقرأ أيضا « أرسل من العلى فأخذنى . » ، وليس أوضح من ذلك ليقول أن تخليص المسيح سيكون برفعه الى السماء ، وفى مثل نفس المعنى نقرأ « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .. هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل . أما نحن فاسم الرب الهنا نذكر . هم جثوا وسقطوا أما

نحن فقمنا وانتصبنا . » ، وتقطع هذه الآيات بأن لحظة تخليص الله لمسيحه انما هى لحظة أن يحاول الأعداء القبض عليه ، ونقرأ أيضا « على صخـــرة يرفعنى » و « نشلتنى» ، وكل منها تشير الى أن تخليص المسيح سيكـــون برفعه ، ثم نقرأ « ولم تحبسنى فى يد العدو » ، وهى تفيد أن تخليص الله للمسيح سيكون لحظة يهم أعداؤه بالقبض عليه، فلا يحبسه حينئذ فى أيديهم ، ونقرأ « الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته . » ، والشطر الأول من هذه الآية يؤدى نفس المعنى الذى تؤديه الآية السابقة ، أما الشطر الثانى فيشير الى أنه رغم ظنهم أنهم قبضوا على المسيح وحاكموه وأدانوه ، فان هذا الحكم لا يكون عليه فى الواقع لأنه الله خلصه من أيديهم وقبضوا على آخر وكان الحكم فى الواقع علىهذا الآخر وليس علىالمسيح، ولا يفوتنا هنا أن نشير الى المعنى الذى تؤدى اليه الكلمات « هم جثوا وسقطوا » فى المزمور العشرين والتى تطابق ماكان مع من أتوا للقبض علىالمسيح منرجوعهم الى الوراء وسقوطهم على الأرض اذ دنوا منه كما نعلم من انجيل يوحنا .

وعلى هذا النحو وجدنا النبوءات فى المزامير السابقة ، صورة واحدة تتكرر ولا تتغير ، وتشير دائما الى اللحظة التى يخلص الله مسيحه فيها ، وهى لحظة يحاول أعداؤه القبض عليه فيها ، وتشير دائما الى كيفية تخليص الله له عندئذ ، فتقول أن ذلك يكون برفعه الى السماء ، الى الله ، صراحة ، أو بألفاظ أخرى تؤدي نفس المعنى ضمنا وتشير أيضا الى أن الذين سيحـــاولون القبض على المسيح سيجثون ويسقطون لحظة أن يرفعه الله اليه ، صورة واحدة ، وتتكرر فى العديد من المزامير، ولكن أبدا ، فى واحد منها لا تتغير ، وهى صورة لا تقوم بمفردها فى المزامير ، وانما مرتبطة ومتممة ومكملة لتلك الآيات التى تشير وتتنبأ عن دعـاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، مؤكدة بذلك أن هذا الذى يتحقق فيهـــا من تخليص الله لمسيحه ورفعه اليه ، ان هو إلا استجابة لذلك الدعاء البار الكريم ، من ذلك النبي

البار العظيم، وذلك كله على النحو الذى فصلناه فى تناولنا لـكل مزمور على حدة.

ثالثا: الآيات التى تشير الى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح:

« هوذا يمخض بالاثم . حمل تعبا وولد كذبا . كرا جبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع . يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه. » (مز٧: ١٤-١٦)

« لأنك أقمت حقى ودعواى . جلست على الـكرسى قاضيا عادلا . انتهـرت الأمم . أهلـكت الشرير . » (مز ٩ : ٤ و ٥)

« تورطت الأمم فى الحفرة التى عملوها . فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم. معروف هو الرب قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه . » (مز ٩ : ١٥ و ١٦)

« يؤخذون بالمؤامرة التى فـكروا بها . » (مز ١٠ : ٢)

« الهى الهى لماذا تركتنى ... الهى فى النهـــار أدعو فلا تستجيب فى الليل أدعو فلا هدولى . ... عليك اتـكل آباؤنا . اتـكلوا فنجيتهم . اليك صرخوا . فنجوا . عليك اتـكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب . كل الذين يروننى يستهزئون بى يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين اتـكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به ...

كالماء انسكبت . انفصلت كل عظـامى . صار قلبى كالشمع . قد ذاب فى وسط أمعائى . يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى والى تراب الموت تضعنى . لأنه قد احاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدى ورجلى . أحصى كل عظامى . وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون . ».

(مز ٢٢ : ١-١٨)

« عندما اقترب الى الأشرار ليأكلوا لحمى مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا . ».

(مز ٢٧ : ٢)

« أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم . حسب صنع أيديهم أعطيهم.

رد عليهم معاملتهم . » (مز ٢٨ : ٤)

« ليخز الاشرار . ليسكتوا فى الهاوية . » (مز ٣١ : ١٠)

« خاصم يا رب مخاصمى . قاتل مقاتلى . . ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى . ليرتد الى الوراء ويخجل المتفكرون باساءتى . . . لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوة شبكتهم . بلا سبب حفروا لنفسى . لتأته التهلكة وهو لايعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع . » (مز ٣٥ : ١ — ٨)

« الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه . الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت . الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم . سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر . » (مز ٣٧ : ١٢ — ١٥)

« أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع على عقبه » (مز ٤١ : ٩) (يعرفنا بأن المتآمر هو يهوذا الاسخريوطى)

« يرجع الشر على أعدائى . بحقك أفنهم . » (مز ٥٤ : ٥)

« لأنه ليس عدو يعيرنى فأحتمل . ليس مبغضى تعظم على فأختبىء منه . بل أنت انسان عديلى الفى وصديقى . الذى معه كانت تحلو لنا العشرة . الى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور . » (مز ٥٥ : ١٢ — ١٤) (يعرفنا بأن الخائن هو يهوذا الاسخريوطى)

« حينئذ ترتد أعدائى الى الوراء فى يوم أدعوك فيه . » (مز ٥٦ : ٩)

« هيأوا شبكة لخطواتى . انحنت نفسى . حفروا قدامى حفرة . سقطوا فى وسطها . سلاه . » (مز ٥٧ : ٦)

« فيرميهم الله بسهم بغتة كانت ضربتهم . ويوقعون ألسنتهم على أنفسهم . » . (مز ٦٤ : ٧ و ٨)

« يا الله أنت عرفت حماقتى وذنوبى عنك لم تخف . . . غطى الخجل وجهى .

صرت أجنبيا عند اخوتي وغريبا عند بني أمي ٠٠٠

٠٠٠ أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي . قدامك جميع مضايقي العار قد كسر قلبي فمرضت . انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد . ويجعلون في طعامي علقما وفي عطشي يسقونني خلا . » (مز ٦٩ : ٥ – ٢١)

« ليخز ويخجل طالبو نفسي . ليرتد الى خلف ويخجل المشتهون لي شرا ٠ » (مز ٧٠ : ٢)

« ليخز ويفن مخاصمو نفسي . ليلبس العار والخجل الملتمسون لي شرا . » (مز ٧١ : ١٣)

« لأنه قد خزي لأنه قد خجل الملتمسون لي شرا ٠ » (مز ٧١ : ٢٤)

« وضعتني في الجب الأسفل في ظلمات في أعماق . علي استقر غضبك وبكل تياراتك ذللتني . سلاه . أبعدت عني معارفي . جعلتني رجسا لهم ٠ » (مز ٨٨ : ٦ – ٨)

« لماذا يا رب ترفض نفسي . لماذا تحجب وجهك عني . أنا مسكين ومسلم الروح منذ صباي . احتملت أهوالك . تحيرت . علي عبر سخطك . أهوالك أهلكتني ٠ » (مز ٨٨ : ١٤ – ١٦)

« فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه . اذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر . » (مز ١٠٩ : ٦ – ٨)

« الرب لي بين معيني وأنا سأرى بأعدائي ٠ » (مز ١١٨ : ٧)

وهكذا يبين بكل جلاء أيضا ، أن المزامير انما تتنبأ بصلب يهوذا الأسخريوطي بدلا من المسيح عليه السلام ، فتعطينا أوصافا للمصلوب نعلم منها أنه لا يمكن أن يكون المسيح وانما يهوذا الذي خانه ، فهو في المزمور ٢٢ عار عند البشر ، وبينما نرى المسيح يطلب في بعض المزامير أن يخز ويخجل طالبو نفسه ، نرى الذي سيصلب يتحدث عن خزيه وخجله وعاره في مزامير أخرى ، ومن ثم فهذا الذي

خزى وخجل ولحق به العار لا يمكن أن يكون المسيح ، وإنما يهوذا طالب نفس المسيح والذى خزى وخجل ولحقه العار حتى يومنا هذا حتى أنه أضحى يضرب به المثل على الخيانة والغدر .

ثم إن الفرض الذى يقول بصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا من المسيح عليه السلام ، يقول بأنه قد قدم على رأس الاعداء ليقبضوا على المسيح ويحاكم ويصلب بعد ذلك ، وما ان وصلوا الى المسيح وهموا به ، حتى خلصه الله من بين أيديهم ورفعه اليه وقبض على يهوذا الاسخريوطى بدلا منه وحوكم هو بعد ذلك وصلب بدلا من المسيح ، وهو ما يصدق عليه تماما المثل القائل بأن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، وهذا الذى يقول به هذا الفرض، هو ماوصفته المزامير متنبأة لنا به بكل دقة ووضوح ، مؤكدة هذه الصورة فى تكرار لا يختل ، فنقرأ فيها « كرا جبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع . » ، « يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه . » ، « فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم . » ، « يؤخذون بالمؤامرة التى فكروا بها . » ، « أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم . » ، « لتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع . » ، « سيفهم يدخل فى قلوبهم » ، « حفروا قدامى حفرة . سقطوا فى وسطها . » ، « يوقعون ألسنتهم على أنفسهم . » ، ولعل من أوضح هذه الصور « الشرير يعلق بعمل يديه . » .

وتمضى المزامير فى وصف شخصية هذا الذى سيصلب فتراه الشرير دائما، ومحال أن يكون هذا هو المسيح وانما هو يهوذا الاسخريوطى الذى خانه ، وفى وصف المزامير لهذا الذى سيصلب نراها تقول « أهلكت الشرير . » ، « الشرير يعلق بعمل يديه . » ، « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر » ، « ليخز الأشرار . ليسكنوا فى الهاوية . » ، « الشر يميت الشرير . » ، « فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه . اذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية »

وهكذا نجد أن هذا الذى سيصلب لا يوصف بغير الشرير .

وعلى هذا فان المزامير انما تنبأت بصلب يهوذا الاسخريوطى وليس المسيح ، وقد وصفت كيفية القبض عليه ومحاكمته وصلبه بكل دقة تطابق وتتفق مع الفرض الذى يقول بتخليص الله للمسيح عليه السلام والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، والمزامير فى تنبئها عن ذلك ، غير منفصلة عما سبق أن رأيناه من نبوءات عن دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، وعن تخليص الله للمسيح عليه السلام برفعه لحظة يهم المتآمرون بالقبض عليه ، وانما النبوءات كلها متصلة متماسكة تكمل بعضها بعضا حتى لتعطينا فى النهاية صورة كاملة متكامله متطابقة مع الفرض القائل بتخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلاً منه .

الحقيقة فى المزامير :

وهكذا ، ومن جماع ما تقدم ، لا نخلص الا بأن المزامير تنبأت بحق ، بأن الله يخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، يرفعه من أبواب الموت ، يرفعه فوق القائمين عليه ، يرسل من العلا فيأخذه ، أما يهوذا الاسخريوطى ، الذى حفر له هذه الحفرة ، وأتى على رأس الجمع من جنود وخدام ليقبضوا عليه ، على المسيح سيده ، فانه فى الحفرة نفسها يقع ، وبعمل يديه يعلق ، رجع تعبه على رأسه ، وعلى هامته هبط ظلمه ، صار عارا عند البشر ، فقبض عليه هو بدلا من المسيح وحوكم هو وصلب بدلا منه ، وهكذا تستقيم النبوءة فى المزامير ، وهكذا تتجلى النبوءة فى المزامير فى أسطع وأروع وأسمى ما تكون النبوءة ، ليست آية نحرفها ، أو كلمة نحور معناها ، بل صورة كاملة ، عشرات الآيات ، عشرات المزامير ، كلها تنطق بصورة واحدة ، كاملة متكاملة ، تتكرر كثيرا ، ولكن أبدا لا تتغير ، لا مجال فيها للبس أو خلاف ، ولا محل فيها لأدنى ضلال أو تضليل ، أما هذه الحقيقة ، فانما هى

تلك التى نطق بها القرآن واعتقدها المسلمون ، أن الله مخلص مسيحه ورافعه اليه وأن الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا منه ، هو يهوذا الاسخريوطى ، تلميذ المسيح الذى خانه ، ولمن يريد أن يزيد يقينا ، فها هى المزامير كلها ، فى الكتاب المقدس الذى يؤمن به المسيحيون ويتداولونه ، وإليها فليرجع ، ولن يزيده هذا الا يقينا وتقديرا لهذه الحقيقة التى انتهينا اليها ، واذا كنت قد دعوت القارىء الى هذا الأمر فى أول هذا الفصل ، فانه لا يفوتنى أن أنبه اليه فى نهايته ، ذلك أن كثيرين ، ومن عجب منهم مسيحيين ناقشونى شخصيا ، لم يصدقوا أن تكون فى المزامير مثل هذه الآيات .

الفصل الرابع

ما قد يثور من اعتراضات على حقيقة تخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه

وجدنا من قبل أنه لكى نعرف تفاصيل تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، وهو الفرض الذى يقول به المسلمون ويجرى عليه اعتقادهم ، وجدنا أنه لا مناص لنا لكى نعرف هذه التفاصيل من الالتجاء الى الاناجيل نفسها ، نتلمس منها الصورة التى يمكن أن يكون عليها ذلك ، ثم فى بحثنا عن المعيار الذى يمكن أن نحتكم اليه للوصول الى الحقيقة بين صلب المسيح وتخليص الله له ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، لم يكن ثمة مناص من الاحتكام الى ما جاء فى الكتب السماوية السابقة ، والتى يتداولها المسيحيون الى اليوم ، من نبوءات ، وبصفة خاصة الى تلك التى وردت فى سفر المزامير ، آخذين فى ذلك بما يقيم عليه المسيحيون أنفسهم دراساتهم وأبحاثهم دون المسلمين ، وكان يبدو لأول وهلة أننا كأنما نحكم المسيحيين أنفسهم فى البحث — وكان هذا الى حد كبير جدا صحيحا — وبدا لذلك أيضا أننا لا يمكن أن ننتهى الى غير ما انتهوا اليه من قبل مما يؤيد معتقداتهم ، ولكن استهدافنا للحقيقة لم يكن ليجعلنا نحيد عما رأينا لزوم وصحة الاحتكام اليه ، فما دام معيار الاحتكام صحيحا ومقبولا فى البحث ، لا ينبغى أن يكون هناك أى تردد فى قبوله ، ولقد قبلناه ، ومضينا فى الطريق الى نهايته ، فلم نجد الا ما يؤيد بأجلى بيان وبأوضح صراحة ، وبما لا يحتمل أدنى شك أو تردد ، ما يؤيد ، ما يقول به المسلمون ويجرى عليه اعتقادهم من أن الله خلص مسيحه ورافعه اليه وأن الذى قبض عليه وحوكم وصلب بدلا منه انما هو يهوذا الاسخريوطى .

وإنه ليحق لنا بعد كل هذا ، أن نقف بالحقيقة التى وصلنا اليها، الى هذه النقطة من البحث ، فلا نمضى الى أكثر منها ، ففى كل ما سبق ، الدليل الكافى على صحة ما انتهينا اليه ، فأى دليل على ذلك أدل من هذا السبيل الذى سلكناه ، أى يقين بهذه الحقيقة أكبر من أن لا نجد سبيلا يثبتها ويؤكد صحتها الا أن ننتهج نفس منهج من ينفونها وينكرونها ، فمن كتابهم ، وبنفس منهجهم ، كان طريقنا فى الوصول اليها ، مع اختلاف واحد فقط بيننا وبينهم ، هو أننا لم نفترض الحقيقة ابتداء على نحو معين ، بل وضعنا كلا الفرضين أمامنا ، وأخذنا بمنهجهم ودراستهم وفى كتابهم نبحث عنها ، فاذا بها واضحة جلية ، تنطق بها النبوءات كلها ، بغير جهد ، وبدون مشقة ، يمكن لكل أن يصل اليها ، فقط يكون له عينان فيقرأ ، وعقل فيعى ، وبعدها يجد الحقيقة أمامه جلية واضحة سهلة ميسره ، رغما عنه ، باصبعه سيشير اليها، وسيقرأ بنفسه أن الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، يرفعه فوق القائمين عليه ، ويرسل من العلا فيأخذه ، ويوصى ملائكته به لكى يحفظوه وعلى الأيدى يحملونه ، أما الشرير الذى خانه وتآمر عليه ففى الحفرة التى حفرها للمسيح يقع ويعلق بعمل يديه ويصير عارا عند البشر .

ولكن اثبات هذه الحقيقة لاينبغى أن ينسينا بحال أننا بصدد عقيدة ، واذا كان يكفى اثبات العقيدة للإيمان بها ، فانه لكمال العقيدة ينبغى أن تكون مانعة لما عداها ، ولا شك ، أن هناك عقيدة مغايرة لما انتهينا اليه ، قد استقرت لدى الملايين ولمئات السنين ، قامت على الاعتقاد بعكس ما انتهينا اليه ، ولذلك ، ولكمال العقيدة، فانه لابد وأن هناك أمورا أخرى تبقى فى حاجة الى الرد أو التفسير .

وأول الاعتراضات التى يمكن أن تثار فى هذا الصدد ، هو ما يعترى الذهن ، وللوهله الأولى ، من استبعاد احتمال أن يكون يهوذا الاسخريوطى هو نفسه مرشد الأعداء ليقبضوا على المسيح ، ورغم ذلك يقبضون عليه هو على أنه المسيح نفسه ،

بل ويحاكم أيضا ويصلب على أنه المسيح ، فهل يمكن أن يكون هذا الذى انتهينا اليه صحيحا؟.

أما ثانى الاعتراضات فهو التساؤل عن مصير جسد يهوذا اذا كان هو من صلب خاصة وقد رتب المسيحيون على عدم العثور على ذلك الجسد فى القبر قيامة المسيح من الأموات كما يقولون ، فضلا عن تناقض ما انتهينا اليه مع ما ورد فى انجيل متى عن يهوذا من أنه مضى وخنق نفسه.

أما ثالث ما قد يثار فى هذا الصدد ، فهو أنه ما دامت المزامير قد تنبأت على هذا النحو الواضح الصريح بتخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، فكيف اذن يستدل المسيحيون على صلب المسيح نفسه لا يهوذا(١) ،خاصة أن هذه الحقيقة هى ما وصلنا اليه بنفس منهجهم فى البحث وطريقة دراستهم للكتاب المقدس ، مع الخلاف الوحيد بالطبع وهو عدم افتراض الحقيقة على وجه معين مقدما.

ورابع هذه الاعتراضات ، وهو متصل بالاعتراض السابق ومترتب عليه ، فهو أنه اذا كانت حقيقة تخليص الله للمسيح عليه السلام والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، واضحة كل هذا الوضوح فى المزامير ، واذا كان ما اتبعناه فى

---

(١) فى رد السيد / يسى منصور على كتابنا ، اورد فى صفحتى ١٣٠ و ١٣١ من الجزء الاول من رده ، ما سبق أن قررناه فى الفصل الاول من هذا الباب من اتفاق اعتقاد المسلمين مع ايمان المسيحيين فى التفاصيل حتى لحظة محاولة القبض على المسيح وانه هنا يعتقد المسلمون بأن الله رفعه بينما قبض على يهوذا وحوكم وصلب بدلا منه بينما يعتقد المسيحيون بأن الذى قبض عليه وحوكم وصلب هو المسيح ايضا ، ثم يضيف انى تساءلت قائلا («كيف اذن يستدل المسيحيون على صلب المسيح لا يهوذا») ويحاول بعد ذلك أن يوضح كيفية هذا الاستدلال ، وواضح انه بذلك يتجاهل كل ما تقدم من بحث بين هاتين العبارتين ، بينما هذا البحث وحده هو عماد الكتاب ، وفيه بطبيعة الحال الرد على استدلالاته، ولكنه كعادته ، يعبر نحو مائة صفحة بين العبارتين ، ثم يدعى بعد ذلك انه يرد على ما كتبت .

الوصول اليها يتفق مع منهج المسيحيين فى البحث وطريقتهم فى دراسة الكتاب المقدس نفسه ، فكيف لا يصل المسيحيون بأنفسهم إلى هذه الحقيقة .

أما خامس ما يتعين علينا بحثه فى هذا الصدد ، فهو تفسير الأمر وفق الصورة التى انتهينا اليها ، وهو ما يقتضينا أن نبحث الصورة التى يرى عليها المسيحيون صلب المسيح عليه السلام ، من حيث سببه ومبرراته ونتائجه ونحو ذلك ، ثم بيان حقيقة الأمر من حيث سببه ومبرراته ونتائجه وفق الصورة التى انتهينا اليها من تخليص الله للمسيح ورفعه له اليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه .

وأخيرا ، فقد انتهينا فى شرح منهج بحثنا الى اننا سنعتبر أن الأصل فى الاناجيل المتداولة افتراض صحتها ، وأننا لا يجب أن نأخذ بما يخالف ذلك دون دليله وسنده ، ولنا فيما أوردناه فى الفصل السابق الدليل والسند الصحيحين على عدم صحة ما جاء فى الأناجيل وباقى أسفار العهد الجديد من أن المسيح عليه السلام هو الذى قبض عليه وحوكم وصلب ، وقد كان يكفينا هذا دليلا على عدم صحة ما جاء فى الأناجيل وغيرها من أسفار العهد الجديد عن ذلك ، ولكننا قلنا فى أول هذا الفصل أن العقيدة يجب أن تكون جامعة ، ومانعة ، لما عداها ، ويجب بنا أن نبلغ بها حد الكمال ، وهى هنا لا تبلغه الا بأن نبحث فى العهد الجديد نفسه ، لنتبين هل يمكن أن يرد فيه أمر غير صحيح كما انتهينا أم لا .

المبحث الأول

هل يمكن أن تكون الصورة التى انتهينا اليها من تخليص الله للمسيح والقبض على يهوذا بعد ذلك رغم أنه كان المرشد اليه ثم محاكمته وصلبه على أنه المسيح ، صحيحة

نعرف فيما سبق ، أن يهوذا الاسخريوطى كان هو مرشد الأعداء عن المسيح عليه السلام ليقبضوا عليه ويقتلوه بعد ذلك ، وانتهينا فيما سبق أيضا الى أن الحقيقة

أن الله قد خلص المسيح عليه السلام من بينهم ورفعه اليه ثم قبضوا على يهوذا الاسخريوطى إثر ذلك على أنه المسيح عليه السلام ، وحوكم وصلب على أنه المسيح أيضا ، وان الذهن ليعترض على هذه الصورة للوهلة الأولى ، اذ كيف يكون يهوذا الاسخريوطى هو مرشد الأعداء عن المسيح عليه السلام ، ورغم ذلك يقبضون عليه هو ظنا منهم أنه هو نفسه المسيح الذى قدموا للقبض عليه .

وأول ما يجب أن نلاحظه ونحن نبحث هذا الأمر ، أننا نعيش اليوم فى القرن العشرين ، وسط حضارة لم يشهد العالم لها مثيلا من قبل ، حضارة هى الخيال بل هى فوق كل خيال بالنسبة لمن عاصروا المسيح عليه السلام ، وصلت بالانسان الى القمر ، والعالم كله يرى هذا الانسان ويتابع أقدامه الأولى على القمر لحظة بلحظة ، حضارة جعلت من الليل فى معظم المدن نهارا ، وجعلت من الشخصيات ، حتى المتوسط الأهمية منها فى هذا العالم ، معروفا ، ان لم يكن فى دول متعددة من دول العالم ، فعلى الأقل فى حدود الدول التى تنتمى اليها ، تعرف تماما بشكلها وبملامحها ، وحتى بصوتها ، حتى أن من يراها ، وربما أيضا يسمعها فقط ، يتعرف عليها للوهلة الأولى ولو لم يكن قد رآها من قبل ، ومن الشخصيات الهامة فى هذا العصر ، من يعرفها معظم سكان العالم ، بشكلها وملامحها حتى ليتعرف عليهم أى انسان فى معظم بلاد العالم ولو رآهم لأول مرة ، ولو أن المسيح عليه السلام كان ظهوره فى عصرنا الحالى لعرفه الصغير والكبير ، البعيد والقريب ، ولعرفوه جميعا بشكله وملامحه حتى لا يختلف اثنان عليه ، ولكن المسيح عليه السلام لم يظهر فى عصرنا هذا ، كما أننا لم نعش فى عصر المسيح عليه السلام وانما نعيش فى عصرنا الحاضر ، ولذا فاننا حين نفكر فى أمر ، نقرنه عادة بالصورة التى نعيشها اليوم ، لا لشىء ، الا لأن هذه هى الدنيا كما اعتدناها ولذا ، فلعل أول ما يتبادر الى أذهاننا بصدد ما نبحثه ، أن المسيح لابد وأنه كان معروفا ؛ بشكله وملامحه ، لكل الناس فى عصره ، أو فى القليل ، لكل الناس فى أرض دعوته ورسالته ، بل ولعلنا نتخيل أيضا أن تلاميذه كانوا معروفين للجميع حتى ليستحيل أن يلتبس الأمر على أحد بشأن شخصياتهم .

ولكن ذلك كله غير صحيح ، فشتان بين مايعتمل فى أذهاننا وبين الواقع ، ولذا فاننا يجب أن نعى تماما أننا لانحكم على الواقعة لنتبين إن كان يمكن أن تحدث فى عصرنا الحاضر أم لا ، بل إننا لنقطع بيقين أنها ما كان لها أن تحدث على هذا النحو فى عصرنا هذا ، وإنما نحن نحكم على الواقعة لنتبين هل يمكن أن تحدث فى عصر المسيح عليه السلام وفى الظروف التى أحاطت بها أم لا ، ولذا فان أول ماينبغى أن نفعله فى هذا الصدد ، هو أن نخلص أذهاننا وتفكيرنا وتصورنا من مدنية القرن العشرين ، بل ومما سبقها من حضارات ومدنيات ، وأن نعود بتصورنا القهقرى ، إلى الوراء ، إلى القرن الأول للميلاد ، بعيدا عن التلفزيون ، بعيدا عن الكهرباء وما أنتجته من أنوار ساطعة ، بعيدا عن الصور الفوتوغرافية وأفلام السينما والتلفزيون ، بعيدا عن الطباعة وعن كل وسائل النشر والاعلام التى عرفها العصر الحديث ، بعيدا حتى عن الطرق المعبدة ، ثم لنرى أنفسنا بعد ذلك ، مع يهوذا الأسخريوطى ، تلميذ المسيح ، وهو يخون المسيح سيده ، فيذهب إلى رؤساء الكهنة وقواد الجند عارضا عليهم أن يسلم لهم المسيح عليه السلام ، ثم لنتتبعه بعد ذلك بيومين ، متوجها ومعه جمع كثير ، ليسلمهم المسيح عليه السلام ، ثم نمضى معهم حتى يصلوا إلى المسيح فعلا ، ولنحاول أن نتخيل هذه اللحظات جميعها ، بكل ما يلابسها من ظروف ، بأكبر قدر من الدقة ، حتى لكأننا نعيشها معهم ، ولنرى بعد ذلك إن كان مقبولا فى العقل والمنطق ، لو أن الله قد رفع المسيح عليه السلام اليه وقتها ، يمكن أن يقبض على يهوذا الأسخريوطى بعد ذلك ثم يحاكم ويصلب على أنه المسيح أم لا .

والذى لاشك فيه أن المسيح نفسه عليه السلام هو من يهم رؤساء الكهنة والجند والشيوخ ممن تآمروا للقبض عليه وقتله ، ولاشك أيضا أن اهتمام هؤلاء بالمسيح يفوق اهتمامهم بتلاميذه إلى أكبر حد ، بل لعلهم لم يفكروا فى هؤلاء التلاميذ

ولم يهتموا بأمرهم على الإطلاق ، ومع كل هذا ، مع هذا الاهتمام الطبيعى والفروض بشخص المسيح ، فان الذى نستطيع أن نستخلصه من الأناجيل أن من توجهوا للقبض على المسيح لم يكونوا يعرفونه بحيث يستطيعون التعرف عليه لو رأوه ، فنحن نقرأ فى إنجيل متى « وفيما هو يتكلم إذا يهوذا واحد من الإثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو . أمسكوه . » (ص ٢٦ : ٤٧ و ٤٨) ، كما نقرأ فى إنجيل مرقس « وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الإثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو . امسكوه وامضوا به بحرص . » (ص ١٤ : ٤٣ و ٤٤) ومن هنا نعرف أن الذين توجهوا للقبض عليه لم يكونوا يعرفونه ، وما كانوا ليتعرفوا عليه لو رأوه أمامهم ، وإلا لما كانوا بحاجة لعلامة من يهوذا حتى يعرفوه ، فيقبله ليكون من يقبله هو المسيح عندهم ، ولو كانوا يعرفونه لما كانوا بحاجه إلى هذه العلامة ، ولكفاهم أن يدلهم على مكانه ليذهبوا إليه بأنفسهم فيقبضوا عليه ، وإذا كان هذا هو حالهم بالنسبة للمسيح ، فمن باب أولى يكون هذا هو حالهم بالنسبة لتلاميذه ، إذ هم أقل أهمية منه بالنسبة لهم ، فهم لهذا لايعرفون أيا من تلاميذ المسيح ، بما فيهم يهوذا الأسخريوطى بطبيعة الحال الذى لم يعرفوه من قبل أن يلجأ هو اليهم .

ومن هنا نستطيع أن نعرف أن أول فرصة لرؤساء الكهنة وقواد الجند ليتعرفوا فيها على يهوذا الأسخريوطى كانت لحظة أن توجه اليهم عارضا أن يسلمهم المسيح عليه السلام ، وعن هذه اللحظة نقرأ فى إنجيل متى « حينئذ ذهب واحد من الإثنى عشر الذى يدعى يهوذا الأسخريوطى إلى رؤساء الكهنة . وقال لهم ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه اليكم . فجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت كان

يطلب فرصة ليسلمه . » (ص ٢٦ : ١٤ – ١٦) كما نقرأ فى إنجيل مرقس « ثم ان يهوذا الأسخريوطى واحدا من الإثنى عشر مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه اليهم . ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة . وكان يطلب كيف يسلمه فى فرصة موافقة . » (ص ١٤ : ١٠ و ١١) ، ونقرأ أخيرا فى إنجيل لوقا « فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يدعى الأسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر . فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة . فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم خلوا من جمع . » (ص ٢٢ : ٣ – ٦) .

فهنا أول لقاء بين يهوذا ورؤساء الكهنة كما يقول البشيران متى ومرقس ، أو بينه وبين رؤساء الكهنة وقواد الجند كما يقول البشير لوقا ، وهو يوم أن ذهب اليهم يعرض عليهم أن يسلمهم المسيح عليه السلام ، ونعرف من الأناجيل أن رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب كانوا فى نفس الوقت قد تشاوروا لكى يمسكوا المسيح بمكر ويقتلوه ، ولذا فانهم حين قدم اليهم يهوذا ليسلمه لهم لم يترددوا فى قبول عرضه ، بل كان هذا العرض بمثابة فرصة لهم ، بل انهم قد فرحوا بذلك كما قال البشيران مرقس ولوقا ، وقبلوا من فورهم ، ووعدوه أن يعطوه فضة إن هو فعل ذلك ، ومن هنا نستطيع أن نقول بحق أن هذا اللقاء لم يستغرق وقتا ، فيهوذا يعرض عليهم مايسمون هم اليه ، وهم يفرحون ويعدونه بفضة إن فعل ، لا مجال لنقاش ولا لأخذ أو رد ، فليفعل وسيعطونه فضة عندئذ ، لا مجال لوقت طويل تستغرقه مثل هذه المقابلة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أين تم مثل هذه المقابلة ، إن الأناجيل لاتحدد لنا المكان بأكثر من أن يهوذا يذهب الى رؤساء الكهنة ، وحتى يذهب اليهم لابد وأن يكونوا فى مكان معتاد تواجدهم فيه ، وهو بالقطع ليس خلاء ، وانما مبنى ، أيا كان هذا المبنى ، وفى أى وقت يذهب اليهم فيه ، ليلا كان أم نهارا ، فالضوء بداخله ليس بحال كضوء النهار فى الخلاء ، ضوء أقل على أى حال ، وضوء

خافت الى حد كبير لو كان الوقت ليلا ، وفى لقاء عابر كهذا اللقاء ، ومع شخص لن ينظر اليه أى واحد ممن ذهب اليهم بأى حال الا نظرة احتقار لخيانته ولو كانت لصالحهم ، ومع وضعنا فى الاعتبار أن يهوذا وهو يفعل ذلك لايشعر بطبيعة الحال أنه يقوم برسالة جليلة يريد أن يعلنها للناس ، وانما هو أيا كانت شخصيته ، يعلم أنه يأتى أمرا سيئا يسعى لاخفائه ، وحتى فى القليل حتى لاتشتهر خيانته فتضيع لذلك فرصته فى تسليم المسيح ، ولذا فهو على أى الأحوال لابد وأن يحاول أن يتستر ، وفى ضوء كل هذه الظروف ، لانحسب أن مثل هذا اللقاء يمكن أن يترك فى أذهان رؤساء الكهنة أو رؤساء الكهنة والجند ، صورة لهذا الشخص تعلق بذاكرتهم فلا ينسوه .

ثم اننا نفهم من الأناجيل أنه قد مضى بين هذه المقابلة وبين قدوم يهوذا ومن معه للقبض على المسيح نحو يومين ، فقد ورد فى انجيل متى « ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه . تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب . » (ص ٢٦ : ١ و ٢) ، ثم يذكر الاصحاح بعد ذلك ذهاب يهوذا الى رؤساء الكهنة عارضا عليهم أن يسلمهم المسيح بما يفهم منه أن ذلك كان من يهوذا أول مرة يذهب فيها لرؤساء الكهنة ، وليس كثيرا أن نقول أن هذين اليومين بين ذهاب يهوذا الى رؤساء الكهنة ومحاولته القبض على المسيح كافيان لتباعد صورته عن مخيلة هؤلاء ان لم تكن قد محيت تماما حتى أنه لم يمكن استبعاد هذه المقابلة كدليل على معرفتهم ليهوذا .

وعلى أن الأناجيل لم تشر الى مقابلة ثانية بين يهوذا ورؤساء الكهنة وقواد الجند ، الا أننا نستطيع أن نقطع بأنه كانت هناك ثمة مقابلة أخرى ، وهى تلك التى سبقت ذهاب يهوذا ومن معه من جند وخدام من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وشيوخ الشعب ، اذا من غير المتصور أن يكون هو قد حرك كل هؤلاء ليتوجهوا

معه ، وإنما هو لابد وقد قابل أولا من أمرهم بذلك ، فاذا حاولنا أن نعرف من قابلهم يهوذا عندئذ ، نستطيع أن نتصور أنهم بعض رؤساء الكهنة ، وأيضا بعض من قواد الجند ، ولقد سبق له الاتفاق مع رؤساء الكهنة ، ولذا فمقابلته لهم الآن ليست بذات بال اللهم الا ليحركوا له من ذهبوا معه ، أما المقابلة ذات البال فهى مع قواد الجند عندئذ ، اذ هم الذين سيتوجهون معه للقبض على المسيح ، واذا كان تقابل يهوذا عندئذ مع رؤساء الكهنة هو مجرد احتمال ، فان مقابلته مع قواد الجند لابد وأنها قد تمت بيقين ، ولذا فان هذه المقابلة تستحق شيئا من التفصيل هى ولقاء يهوذا مع غير هؤلاء القواد من الجنود والخدم الذين توجهوا معه .

ولنتوقف قليلا لنستعرض هذه اللحظة وما تلاها من تحرك يهوذا وقواد الجند والخدم متوجهين الى المسيح عليه السلام ليقبضوا عليه ، وأول ما نقطع به أن الوقت عندئذ كان ليلا ، والى ذلك أشار انجيل يوحنا بقوله « فذاك لما أخذ اللقمه خرج للوقت . وكان ليلا . » (ص ١٣ : ٣٠) ، مشيرا بذلك الى الوقت الذى ترك فيه يهوذا الاسخريوطى المسيح ومن معه من التلاميذ متوجها الى من اعتزم أن يسلمهم المسيح ، كما أن نفس الانجيل وهو يصف قدوم يهوذا ومن معه ليقبضوا على المسيح يقول « فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . » (ص ١٨ : ٣) ، ولا شك أن حملهم مشاعل ومصابيح يفيد فى حد ذاته أن الوقت كان ليلا .

ونحاول أن نستكمل الصورة فى أذهاننا فنرى انجيل متى يصف هؤلاء الذين صحبهم يهوذا للقبض على المسيح بقوله « جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . » (٢٦ : ٤٧) ، كما يصفهم البشير مرقس بقوله « ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . » (ص ١٤ : ٤٣) ، ويقول انجيل لوقا « جمع والذى يدعى يهوذا واحد من الاثنى عشر يتقدمهم »

(ص ٢٢ : ٤٧) ، وأخيرا نقرأ عنهم فى أنجيل يوحنا « فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . » (ص ١٨:٣) ، فهم اذن جمع كثير ، بين جند وخدام ، يحملون مصابيح ومشاعل وسيوفا وعصيا،وقد سبق أن قرأنا ونحن بصدد التعليق على المزمور الحادى والتسعون تحديد القمص باسيليوس اسحق عدد الجنود بأنهم كانوا كتيبةمن الجنود الرومانيين التى يبلغ عددها ستمائة جندى مسلحين بقيادة ضابط والخدام وهم الموظفون اليهود الملحقون بمحكمة السندرهيم والذين رأى فيهم قوة ثانية بالاضافة الى القوة الأولى الرومانية ، والمفهوم أن يهوذا لا يقابل هذا الجمع فردا فردا ، وانما الطبيعى أو المفهوم أنه قابل قوادهم أو رؤساءهم ، أو ربما قائدهم أو رئيسهم ان كان واحدا ، وهؤلاء أو هذا ومن هم دونهم رتبة وأعلى درجة من الباقين ، هم الذين يتوجهون مع يهوذا على رأس الجمع .

ولعلنا بذلك نستطيع أن نتخيل يهوذا وهو يسير مع الجمع ، مع هذا الجمع الكبير الذى يجاوز الستمائة وربما بلغ ألفا ، وهو باعتباره مرشد الجمع لابد وأنه يتقدمهم ، ولا أحسبه فى هذا السبيل يحاول أن يعلن حقيقة شخصيته بل لابد أنه هنا أيضا يحاول قدر جهده ألا يفضح نفسه ، وطبيعى وهو أمام هذا العدد الضخم فانهم جميعا لايجاورونه ، وإنما يجاوره منهم عدد محدود لابد أنه قواد هذا الجمع أو الرؤساء فيه أو الأعلى درجة بينهم ، اما الباقون ، فيسيرون خلفهم ، واذ كان الوقت ليلا ، فان منهم من يحمل مصابيح ومشاعل ، ومنهم من يتقدم الجمع ،ومنهم من يحيط بهم ، ومنهم من قد يتوسطهم، ولعل هذه الصورة حقيقة بشىء من التأمل والامعان.

فرب قائل هنا يقول أنهم وقد حملوا معهم مصابيح ومشاعل فلا معنى اذن للقول بأن الوقت كان ليلا ، فهاهوذا ضوء يعوض ظلام الليل ، ولقد يبدو للوهلة الأولى ان هذا القول صحيح ، الا أن امعان النظر فى الصورة يبين ان هذه المصابيح والمشاعل

لم تكن الا لتزيد من غموض وابهام مايحيط بالجمع، ولقد يبدو ذلك غريبا، ولكن ليس أسهل من التحقق منه، فلو جلس شخص ليلا الى الداخل من حجرة ورنا ببصره الى خارجها، لرأى مافى الخارج على درجة معينة من الوضوح حسب ضوء القمر عندئذ، بفرض عدم وجود اضاءة صناعية بالخارج، فاذا ما أضاء مصباحا بالحجرة فانه لايعود يرى شيئا خارجها على الاطلاق خاصة اذا كان مصدر الضوء أمام عينيه، وذلك بطبيعة الحال الا اذا كان المصباح الذى أضاءه خافت الضوء الى حد بعيد، وعلى أى حال فكلما زادت قوة اضاءة المصباح كلما قل امكان رؤية مابخارج الحجرة، وتفسير ذلك بسيط، اذ المعروف أن حدقة العين تتسع كلما اشتد الظلام وتضيق كلما اشتد الضوء، ولذلك فان ما قد تراه فى الظلام وعند انعدام أى اضاءة قد لاتستطيع أن تراه أو تتحقق منه بالمرة أو على نفس الدرجة من الوضوح إذا ظهر أمام العين ضوء وسط هذا الظلام، ولذلك فان حمل المصابيح والمشاعل وان مكن من الرؤية الى المدى القريب الذى تضيئه تلك المصابيح والمشاعل، فانه فى نفس الوقت يحجب رؤية ماوراء ذلك، كما أن هذه المصابيح والمشاعل واذ هى تتحرك بحركة حامليها، ومع ما ينبعث منها من ضوء، انما تصبح عاملا يتلاعب بأعين الجمع، فيزيد غموض ماحوله وابهامه .

وعلى هذا النحو فان يهوذا الاسخريوطى يسير فى المقدمة، وبجواره القواد أو الرؤساء الذين يقودون الجمع، ولكن، بين حركة الجميع وحركة المصابيح والمشاعل فى أيدى حامليها، فانه لايمكن أن تترسب ليهوذا فى مخيلة من يجاوره الا صورة مهتزة لاتكادأن تطبع شيئا عنه فى أذهانهم خاصة وأنهم لايعنيهم بأى حال أن يتحققوا من ملامح هذا الذى سيرشدهم عن المسيح، اذ كل مايعنيهم أن يسير معهم ليرشدهم عمن يطلبونه، واذا كان هذا هو الأمر بالنسبة لمن جاوروا يهوذا، فان باقى الجمع، وهم الغالبية بطبيعة الحال، فلا يبدو حتى الآن أن هناك ثمة فرصة

سنحت لهم للتعرف على يهوذا أو التحقق من شخصيته خاصة أن ذلك لايعنيهم أصلا، فهم لايفهمون من مهمتهم سوى أنه سيطلب منهم القبض على شخص معين فيقبضون عليه ، ولاشك هنا أن أيا منهم لايعرف ملامح هذا الذى قدموا للقبض عليه ولاهذا الذى سيرشدهم عنه ، كما أن من يتقدمهم من قواد أو رؤساء لايعرفون ملامح المسيح الذى يتوجهون الآن للقبض عليه ، والالما احتاجوا علامة ليعرفوه بها كما تقدم .

هذه هى الصورة التى نستخلصها من الأناجيل نفسها عن الظروف التى أحاطت بيهوذا ومن معه حتى لحظة وصولهم الى المسيح عليه السلام للقبض عليه ، فما هى الحالة التى كان عليها المسيح عليه السلام وتلاميذه فى نفس الوقت ، وهنا نعرف من الأناجيل أن المسيح وتلاميذه كانوا قد وصلوا قبل ذلك الى الضيعة التى تسمى جثسيمانى ، وهناك صلى هو بينما غالب النوم تلاميذه وغلبهم ، ويذهب المسيح اليهم بعد أن يصلى فيجدهم نياما ويوقظهم ، ثم يعود ليصلى ويرجع اليهم ثانية فاذا هم نيام أيضا فيوقظهم للمرة الثالثة ، وهنا يستطرد انجيل متى فيقول « فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه . ثم جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا . هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدى الخطاة . قوموا ننطلق . هوذا الذى يسلمنى قد اقترب . وفيما هو يتكلم اذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى . . . » (ص ٢٦ : ٤٤ — ٤٧) ، ومن هنا نعلم أن تلاميذ المسيح كانوا نياما عند وصول يهوذا الاسخريوطى ومن معه للقبض على المسيح ، بل وكانت أعينهم ثقيله الى حد أن المسيح أيقظهم بنفسه مرتان وطلب منهم ألا يناموا ، ومع ذلك كان يرجع فى كل مرة فيجدهم وقد ناموا ثانية .

ونعرف من الأناجيل أن تلاميذ المسيح هربوا جميعا بعد ذلك بلحظات ، ومع تقديرنا لحسن قصد كتبة الأناجيل ، الا أننا سنحاول بالمنطق والعقل أن نتعرف على

اللحظة التى كان فيها هرب التلاميذ ، ذلك أن الأناجيل تشير الى أنهم بعد القبض على المسيح تصدى واحد منهم لمن قبضوا عليه واستل سيفه وقطع به أذن واحد منهم ثم دار نقاش بعد ذلك من المسيح لمن استل هذا السيف يمنعه فيه من الاستمرار فى استعماله ، وهو ما يوحى بأن المسيح هو من قبض عليه فعلا وبالتالى هو من حوكم وصلب ، ولكن لنبحث فى حدود العقل والمنطق ما يمكن أن يكون قد حدث فى هذه اللحظات .

وهنا نجد أنفسنا بين أحد أمرين ، فاما أن تلاميذ المسيح قد استيقظوا فجأة على الحركة الصياح وفوجئوا بالجنود والخدم وغيرهم ، فلم تترك الفاجأة لهم فرصة للتفكير فهربوا جميعا على الفور ، وهذا معقول اذ ليس هناك ثمة ما يبرر أن يقفوا وهم يعلمون ما هو قادم عليهم ثم يهربون بعد ذلك ، اذ لو أنهم انتووا الوقوف ، فما الذى يجعلهم يهربون ، كما أنهم لو انتووا الهرب ، فما الذى يجعلهم يبقون ، وهذا ممكن ، ويمكن أيضا أن يكونوا قد فوجئوا بالجند على هذا النحو ومن معهم فلم يتمالك أحدهم ، وهو الذى حدده انجيل يوحنا بأنه سمعان بطرس ، لم يتمالك هذا نفسه فاستل سيفه على الفور وضرب به عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فنهاه المسيح ولذا لم يجد التلاميذ بدا من أن يهربوا ، وبعدئذ كان ما قيل من القبض على المسيح عليه السلام والذى واقعه الحقيقى كما انتهينا من قبل أن الله قد رفع المسيح اليه فى هذه اللحظة وقبض على يهوذا الاسخريوطى بدلا منه ، وهذا الذى انتهينا اليه هو ما تؤيده رواية انجيل لوقا الذى نعرف منه أن القبض على من قبض عليه كان بعد واقعة استعمال السيف هذه ، وكذلك انجيل يوحنا الذى يذكر لنا صراحة أن واقعة القبض كانت تالية لواقعة استعمال السيف ، وما يؤيده العقل والمنطق هو أن هرب التلاميذ انما كان إثر هذه الواقعة مباشرة ان كانت .

ولنستعرض الآن مسرح الواقعة بعد كل ذلك ، فهاهم تلاميذ المسيح جميعا وقد

هربوا ، سواء استل أحدهم سيفه قبل ذلك أو لم يفعل ، وها هوذا المسيح عليه السلام يقف بمفرده وحيدا من تلاميذه الا تلميذه الذى خانه يهوذا الاسخريوطى الذى قدم مع الأعداء ليرشدهم عنه ؛ وقد أعطاهم علامة أن من يقبله يكون هو المسيح فيقبضون عليه ، وها هو ذا يدنو منه ليقبله ، ومن خلفه الجمع الذى قدم معـــه ، والذى يزيد عدده عن ستمائة وقد يصل الى ألف ، يتقدمهم قواد الجند أو رؤساء الجمـــع الذين يكادون بالكاد أن يتبينوا شيئا من ملامح يهوذا دون انتباه منهم اليه لأن مـــلامحه لاتعنيهم ، وخلفهم باقى الجمع ، الذى لا يعرف أحد منهم ملامح يهوذا ، ثم هم جميعا ، الجمع بأفراده وقواده أو رؤسائه ، لا يعرفون شيئا عن شكل المسيح عليه السلام أو ملامحه ، واذا كان أحد التلاميذ قد إستل سيفه قبل هربهم ، فلابد أن يكون الجمـــع قد أصبح عندئذ فى هرج ومرج ، وهم على الأقل لابد وأن يكونوا على هـــذا الحال وقد علموا بأنهم قد وصلوا الى من أتوا للقبض عليه ، وفى هرجهم ومرجهم لابد وأن تزيد المصابيح والمشاعل حركة فى أيديهم ، فتتراقص الصور فى أعينهم ولايكادون أن يحيطوا تماما بكل ما حولهم .

وعلى هذه الصورة ، وفى هذه اللحظة بالذات ، لحظة التاريخ ، لحظة مجد المسيح عليه السلام ، لحظه اعلان الله جل وعلا لقدرته ورضائه عن مسيحه البار الأمين ، لحظة استجابة الله لدعائه الذى دعاه متوجها اليه « ان أمكن فلتعبر عنى هذه الـكأس » حين خر على وجهه ، حين خر على الأرض ، حين جثا وصلى ، حين كان فى جهـــاد فكان يصلى بأشد لجاجة حتى صار عرقه كقطـرات دم نازلة على الأرض سائلا الله أن يجيز عنه هذه الـكأس ، فاذا الله عنه مجيزها ، اللحظة التى تنبـأت عنهـا المزامير قبل أن تكون بمئات السنين فقالت « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه ... » و « أرسل من العلى فأخـذنى » و « يا رافعى من أبواب الموت » و « يخبئنى فى مظلتـه يوم الشر » و « لم تحبسنى فى يد العـدو » و « لأنه

يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك . » ، فى هذه اللحظة الحيدة ، انطلقت قدرة الله عز وجل ، تخلص مسيحه الكريم من بين أعدائه ، لترفعه عاليا اليه ، تقديرا من العزيز الحكيم ، لايمانه العظيم ، الذى وصل به الى حد أن ارتضى ارادة الله بأن يصلب ، عندما أعلنه الله بأن هذه هى مشيئته فاستسلم لها قائلا « ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن اشربها فلتكن مشيئتك . » ، أو « كل شىء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس . ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت . » ، أو « ان شئت أن تجيز عنى هذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك . » .

ولنعد الى مسرح الواقعة ، لنرى أثر قدرة الله الفائقة وتكريمه لمسيحه على هذا المسرح ، ولقد فصلت المزامير هذا الأثر بقولها « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه . هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل . أما نحن فاسم الرب الهنا نذكر . هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا . » فذاك ما قرأناه فى المزمور العشرين ، وفى غيره نقرأ أنهم « يعودون ويخزون بغتة . » و « حينئذ ترتد أعدائى الى الوراء » و « ليرتد الى خلف ويخجل ... » ، ومن ذلك نعرف أن الأعداء حينئذ سيرجعون الى الوراء ، يجثون ويسقطون على الأرض وهذا هو نفسه ما ذكره انجيل يوحنا حين قال عمن قدموا للقبض على المسيح أنه عندما سألهم المسيح عمن يطلبون فقالوا له يسوع الناصرى فقال لهم أنه هو « فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض . » (ص ١٨ : ٦)، ومن هنا نعرف أن ما تنبأت به المزامير من أن أعداء المسيح فى هذه اللحظه يرتدون الى الوراء ويجثون ويسقطون قد تحقق بالفعل حين رجع أعداء المسيح الى الوراء وسقطوا على الارض ، ورجوع الاعداء وسقوطهم على الارض فى هذه اللحظه وعلى هذا النحو هو ما لم نجد للمسيحيين أى تعليل له سوى القول بأن جلال المسيح

وبهاءه أو فداحة الجرم الذى كان الأعداء مقدمين عليه ، هو ما فعل بهم ذلك ، ونسوا أن لو كان هذا صحيحا لكان لازما أن يتكرر كلما حاول الأعداء القبض عليه مرة أخرى ، فجلاله وبهاءه لا يتغير ، وكذلك فداحة الجرم لا تتغير ، وإنما ذلك لا يفسره الا أمر واحد ، هو أن من سيقبضون عليه قد تغير ، أمر ما قد حدث فى المرة الأولى ، أمر جلل ، جعلهم يرجعون الى الوراء ويسقطون على الأرض ، وكان فقط فى المرة الأولى ولم يتكرر فى الثانية ، وما كان هذا الأمر الجلل الا قدرة الله وقد انطلقت فى هذه اللحظة بمسيحه من بين أعدائه رافعا اياه اليه ، فرجعوا عندئذ الى الوراء وسقطوا وعلى الأرض ، وما كان ليتصور آنئذ الا أن يحيق بهم ذلك ، أما فى المرة الثانية ، فلم يكن المسيح هناك ، وكانت قدرة الله قد ارتفعت به اليه ، وبقى يهوذا وحده وسطهم ، ولم يرفعه الله حين حاولوا القبض عليه ووضعوا الأيادى فوقه ، ولذا لم يرجع واحد منهم الى الوراء فى المرة الثانية أو يسقط على الأرض ، بل وتمكنوا من القبض على يهوذا .

ولكن ، كيف يقبضون على يهوذا وهو مرشدهم ، ولم يهوذا بالذات ، وهنا ، نعود الى مسرح الواقعة مرة أخرى ، فقد رأينا يهوذا يتقدم من المسيح وسط الظلام ، إذ لم نقرأ أن يهوذا كان يحمل مصباحا أو مشعلا ، وأمامهما — المسيح ويهوذا — أمامهما الجمع الذين قدموا للقبض على المسيح ولا يعرف واحد منهم شكله أو ملامحه ، وتتجلى قدرة الله فيرفع المسيح اليه ولا يكاد أن يحس بذلك أى ممن قدموا للقبض عليه ، فهؤلاء ، وخاصه الذين فى مقدمة الجمع ، يرجعون الى الوراء ويسقطون من أثر هذه القدرة ، ولاشك أن يهوذا يسقط هو الآخر ، ولكنه وحده من يدري بما كان ، فهو الذى يعرف المسيح ، وهو الذى دنا منه ليقبله تحقيقا لعلامته ، وهو وحده يراه يرتفع فجأة من أمامه ، والجمع فى الخلف وقد هالهم هذا الرجوع للوراء والسقوط على الأرض ممن تقدموهم ، خاصة وقد علموا

بوصولهم لمن أتوا للقبض عليه ، وهم كما نعلم مئات ، فهل يقفون ساكتين . بالقطع لا ، وانما الى الأمام وبسرعة يتقدمون ، متخطين هؤلاء الذين سقطوا أمامهم ، والذين منهم بالكاد من قد يذكر شيئا من ملامح يهوذا ، وعندئذ ، يجدون وسطهم ، وأمام الجمع ، يهوذا الاسخريوطى ، فيلقون عليه الأيادى ، وأحسبنى أرى يهوذا عندئذ ، واقفا بينهم ، وقد انخلع قلبه ، وعقدت الدهشة لسانه ، وأخذ يتطلع فى ذهول إلى السماء حيث رفع هذا الذى خانه وجاء مع الأعداء ليسلمه اليهم ، ولا يخفى على أحد ، ما يحسه فى هذه اللحظات من فداحة جرمه واثمه ، بل ومن ندمه ، حتى أنه يستسلم لهؤلاء الذين ألقوا عليه الأيادى ظنا منهم أنه هو المسيح عليه السلام ، تاركا اياهم على ظنهم أنه هو المسيح نفسه الذى حضروا للقبض عليه ، لينال بذلك جزاء غدره وخيانته له ، ويشرب نفس الكأس التى كان سيذيقها له ، ولعلى أتخيله غير مصدق أن المسيح قد صعد الى السماء الى غير عودة ، فيظنه قد ارتفع من بينهم ليذهب الى مكان آخر ، فيتركهم على ظنهم بأنه المسيح نفسه ، حتى لا يلاحقوا المسيح الحقيقى فى مكان آخر ، وكأنه بذلك ، وقد أتى ليخطف المسيح فلم يخطفه ، وإنما تستر عليه بسكوته وكأنما هو يتخيل نفسه بذلك يرد هذا الذى لم يخطفه ، ولذا كان ما قرأناه فى المزمور التاسع والستون على لسان المصلوب من قوله « حينئذ رددت الذى لم أخطفه . » .

واذا كان هذا هو حال يهوذا كما نتوقعه فى مثل هذه اللحظات ، فان الباقين وهم يلقون الأيادى على يهوذا ظنا منهم أنه المسيح عليه السلام ، وهو مستسلم لهم ، غير معترض على ذلك ، لا بد وأن يظنوه المسيح حقا ، والا لاعترض عليهم ، فما الذى يدعوهم للشك فى حقيقة شخصيته حينئذ وهو نفسه ورغم علمه بما هو مقبل عليه ، لا ينفى كونه المسيح الذى أتوا ليمسكوه ، بل ان الفرحة بالقبض عليه لا بد وأن تصرفهم عن التفكير فيما عدا ذلك فيسارعون به فرحين الى من أمروهم

بالقبض عليه ، ويسارع معهم به الباقون ممن رجعوا الى الوراء وسقطـوا عـــلى الأرض لحظة رفع المسيح ، وهم فى غمرة فرحتهم بالقبض على المسيح لن يعنيهـــم التحقق من شخصه أو من شكاله ، وحتى لو دققوا النظر اليه فهم لا يعرفون شـكل المسيح أو ملامحه أصـــلا ، وما بقى فى أذهانهم عن يهوذا ليس الا صورة مهتزة غير واضحة ، بل لعل أن احدا منهم لو ظن للحظة أن هذا المقبوض عليه هو يهوذا مرشدهم نفسه لاستبعد هذا الشك من نفسه مادام أن المقبوض عليه لا يدعى أنه يهوذا ولا ينفى كونه المسيح نفسه ، ثم حتى لو قوى الشك فى نفسه ، فأى مصلحة له فى أن يكشف حقيقة شخصية هذا المقبوض عليه ، هل يعلن خيبته وفشـله هو ومن معه من الجمع ، بل انه لو فعل لما وجد فى الجمع من يؤيده ، ولوجـد أعداء المسيح فى ذلك ضلالة يريد بها مطلقها أن يرفع من شأن المسيح وهو ما يرفضونه .

وما قلناه من استشعار يهوذا الندم وفداحة جرمه واثمه حتى ليستسلم لمن ألقوا عليه الأيادى باعتباره المسيح ليشرب نفس الـكأس التى كاسيذيقها للمسيـــح سيده، ما قلناه من ذلك ليس كثيرا على يهوذا وطبقا لرواية الأناجيل نفسها ، فنحن نعلـــم أولا أنه كان من تلاميذ المسيح ، وهو بذلك كـان من الأخيار المصطفين ، ثم ان انجيل متى يقرر لنا صراحة عن يهوذا الاسخريوطى أنه ندم على مافعله بالمسيح اذ نقرأ فيه «حينئذ لما رأى يهوذا الذى اسلمه أنه قد دين ندم ...» (ص ٢٧ : ٣) ، بل ان هـــذا الإنجيل لا يـكتفى بالقول بندم يهـوذا بل إنه يضيف أيضـــا أن ندمه هذا وصل به الى حد أن خنق نفسه ،إذ نقرأ فيه عن يهوذا بعد ندمه « ثـم مضى وخنق نفسه . » (ص ٢٧ : ٥) ، واذا كـان يهوذا يذكر بغير شك ما قاله المسيح عن هذا الذى سيسلمه من قوله « ولكن ويل لذلك الرجـل الذى به يسلم ابن الانسان . » (متى ص ٢٦ : ٢٤) ، اذا كان يهوذا يذكر ذلـــك ، وكان منطقيا ومعقولا طبقا لرواية انجيل متى أن يبلغ به الندم على ما أتاه مـع المسيـح

بأن يمضى ويخنق نفسه ، فليس بكثير مع هذا أن يكون منه أن يستسلم لمن ألقـوا عليه الأيادى ظنا منهم أنه المسيح عليه السلام وبعد رفع المسيح ، ويبلغ به ندمه أن يسكت على هذا ليجرع نفس الكأس التى كان سيذيقها له ، خاصة مع ما قلناه من أنه ربما ظنه ما ارتفع الا ليظهر فى مكان آخر ، وحسب أنه بذلك يدفع عنه شر أعدائه بعد ذلك ، أليس ذلك بكثير أن يكون منه ، بل ان هذا هو المنطقى والمعقول أن يكون منه حينئذ ، وبذلك أيضا ، تكون قد تحققت تماما وكاملة ، تلك النبوءات التى هتفت بها المزامير من قبل مئات السنين والتى تقول « كراجبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع . » و « يرجـع تعبه على رأسـه وعلى هامته يهبط ظلمه . » «ومعروف هو الرب قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه .» و « حفروا قدامى حفرة . سقطوا فى وسطها . » ، ويكون هو بذلك من قصدته المزامير بحديثها عن المصلوب وعلى لسانه فيقول « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر » و « ياالله أنت عرفت حماقتى وذنوبى عنك لم تخف . . . غطى الخجل وجهى . . أنـت عرفت عارى وخزيى وخجلى . . » ، أليس هـذا هو التحقيق الـكامل الدقيـق لـكل ذلك .

يقبض الجمـع إذن على يهوذا ، ويتوجهون به إلى قيافا رئيس الـكهنة ، أو إلى حنان الذى كان حمـا قيافا أولا كما ذكر إنجيل يوحنا ، وهنا تعود إلى أذهاننا تلك المقابلة الأولى بين يهوذا الأسخريوطى ورؤساء الـكهنة وقواد الجند ، والتى رأينا أنها لم تـكن لتسمح بأن ترسب فى أذهانهم صورته ، وخاصة بعد مضى هذا الوقت منذ أن كانت ، بل إن هـــذه الصورة لا محل لأن تثار فى أذهانهم لأن بين أيديهم شخص مقبوض عليه على أنه المسيح عليه السلام ، وهو لا ينفى ذلك ، ثم هو قد جاءهم ليلا بين جمع كثير حتى أنه لو كان لصورة يهوذا بعض الأثر فى أذهانهم ، فإن هذه الظروف لن تسمح لهذا الأثر بأن يبرز حينئذ ، وهنا يحضرنا شخص كان

حقيقاً بأن يتعرف على شخصية هذا الذى قبض عليه ، ويعلن للناس جميعاً أنه يهوذا الأسخريوطى وليس المسيح عليه السلام ، ألا وهو بطرس ، الذى رغم هربه مع باقى التلاميذ ، إلا أنه اختبأ بعيداً يراقبهم وهم يقبضون على يهوذا ، وإذا كنا قد رأينا أن عدد من أتوا للقبض على المسيح لا يقل عن ستمائة كما يرى القمص باسيليوس إسحق وقد يصل وفقاً لتقديره إلى ألف ، وكان بطرس قد اختبأ بعيداً ، فلا بد أنه بعد عن كل هذا العدد ، وبعد عنهم جميعاً إلى الحد الذى يطمئن معه إلى أنهم لن يلاحظوه فيه ، ومن هناك ، من مخبئه على هذا البعد ، والمقبوض عليه بين كل هذا العدد ، والوقت كما نعلم ليلا ، والمصابيح والمشاعل قد عرفنا أثرها ، فإننا لا نحسب أنه كانت هناك بذلك أدنى فرصة لبطرس ليتعرف على حقيقة شخصية هذا الذى قبض عليه ، ولكنه بغير شك سيحسبهم قبضوا على المسيح إذ هو من أتوا ليقبضوا عليه ، ثم ها هو الجمع وقد ألقوا الأيادى على من ظنوه المسيح ، ويسيرون به ، وهم يحيطون به من كل جانب ، وفى ظروف الليل والمصابيح والمشاعل والعدد الكبير ، فاننا لا نستطيع أيضاً أن نتبين هنا أدنى فرصة لبطرس ليتعرف على شخصية المقبوض عليه خاصة وأنه كان يتبعهم من بعد ، ظناً منه أنهم ألقوا الأيادى على المسيح ، وعلى تتبعه لهم حتى وصولهم إلى دار رئيس الكهنة ، فاننا لا نستطيع أن نتبين من الأناجيل أنه اقترب فى أى لحظه من المسيح ، بل المتوقع أن يكون تتبعه لهم دائماً عن بعد حتى يصل إلى دار رئيس الكهنة خلفهم ، ولا نحسبه بقادر حينئذ أن يدخل بين كل هذه الأعداد ، ومع ما يعتمل فى نفسه من خوف ، حتى يصل إلى مكان قريب من المقبوض عليه ، بل إننا نراه وقد اشتبه فيه البعض ، ينكر معرفته للمسيح ثلاث مرات ، بل ويحلف على ذلك من خوفه حتى أنه يضطر إلى الابتعاد نهائياً عن دار رئيس الكهنة ، وبذلك ضاعت فرصته فى الكشف عن حقيقة شخص هذا الذى قبض عليه .

ونعود إلى يهوذا الأسخريوطى ، لقد وصلوا به إلى قيافا رئيس الكهنة ، وهاهو ذا أمامه حيث اجتمع الكتبة والشيوخ وقد ظنه المسيح نفسه ، ولنتابع فى إنجيل متى ما حدث هناك ، لقد طلبوا شهود زور عليه لكى يقتلوه فلم يجدوا ، وتقدم شاهداً زور وقالا أنه قال أنه يقدر أن ينقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام يبنيه ، وظل هو ساكتاً لا يتكلم ، كأنما كان مصراً أن يتحمل وزر خيانته ، حتى أن رئيس الكهنة تعجب وسأله أما يجيب بشىء وقد سمع ما يشهدان به عليه ، ولكنه مع هذا ظل ساكتاً ، إنه نفس الإصرار ، وهنا يعود رئيس الكهنة فيسأله سؤالا غريباً ، إنه يستحلفه بالله الحى أن يقول هل هو المسيح ابن الله ، ولا يجيبه هذا بالايجاب لأنه ليس المسيح فعلا ، ولعله قد ندم وتاب ولم يشأ أن ينطق بغش فآثر الا يجيب بالايجاب فيكون قد غش ، كما أن رغبته فى التستر على المسيح لم تزل باقية فلم يجب أيضاً حتى بالنفى ، وإنما قال له أنت قلت ، أى أنت الذى تقول هذا وليس أنا ، ولا يكتفى بذلك وإنما كأنما أراد أن يعرف أتباع المسيح أنه ليس المسيح فقال « وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء . » (ص٢٦ : ٦٤) ، وابن الانسان فى إنجيل متى هو المسيح عليه السلام ، وإن المرء ليعجب ، كيف يذكر هذا فى الانجيل على لسان هذا الذى حوكم ، ورغم ذلك يجرى الاعتقاد بأنه هو نفسه المسيح عليه السلام ، إن جلوس ابن الانسان عن يمين القوة ومجيئه على سحاب السماء هو ما يكون بعد صعود المسيح عليه السلام بلا خلاف ، ولكن هذا الذى يتكلم أمام قيافا رئيس الكهنة ، إنما يقطع فيقول بالتحديد أنه من الآن ، أى منذ هذه اللحظة التى هو واقف فيها أمامهم ويتحدث فيها إليهم ، منذ هذه اللحظة ، يرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء ، وهذا القول منه لا يمكن أن يكون قد قصد به نفسه ، فالكلام نفسه ومعناه يقطعان بأنه يتحدث عن آخر جالس فى نفس اللحظة — فى تقديره — عن يمين القوة وآتيا على سحاب

السماء ، ذلك أنه هو الواقف أمامهم ، إنما بقى معهم حتى قدم للوالى وصلب فى اليوم التالى ، وظل بضع ساعات على الصليب حتى مات فدفن ، وحسب اعتقاد المسيحيين قام من القبر فى اليوم الثالث ، فكيف يكون معه كل هذا وعلى مدى تلك الأيام بينما يكون فى نفس اللحظة التى يتحدث فيها إلى قيافا قائلا هذا الكلام جالساً عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء ، لا شك أنه هنا يتحدث عن آخر ، وإنه ليهوذا الأسخريوطى وحده من يمكن أن يصدر منه هذا الكلام ، فهو الشاهد على معجزة رفع المسيح ، وهو من يستنتج من رفعه أنه قد أتى الوقت ليجلس عن يمين القوة ويأتى على سحاب السماء ، ولذا حق له أن يقطع لرئيس الكهنة بأنه منذ هذه اللحظة التى يتحدث إليه فيها يرون كل ذلك ، وهذه الأقوال فى حد ذاتها ، وفى الإنجيل نفسه ، لهى دليل قاطع على أن هذا الذى قبض عليه واقتيد إلى قيافا وحوكم وصلب فى اليوم التالى لم يكن المسيح بأى حال من الأحوال ، بل إن هذه الأقوال دليل قاطع على رفع المسيح من لسان هذا الذى حوكم والذى كان فى الأصل شاهد مجد المسيح بمعجزة رفعه .

وتمضى الرواية فى إنجيل متى فتقول أنه لما كان الصباح تشاوروا حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به إلى بيلاطس البنطى الوالى الذى سأله عما إذا كان هو ملك اليهود ، فلم يجب إلا بأنه هو — أى بيلاطس — الذى يقول ، تماما كما سئل فى اليوم السابق عما إذا كان هو المسيح .

ووقف رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه ، بينما هو هنا أيضاً لا يجيب بشىء حتى أن بيلاطس تعجب وسأله عما إذا كان لا يسمع ما يشهدون به عليه ، إلا أنه مع هذا لم يجب ولا عن كلمة واحدة ، حتى تعجب الوالى جداً ؟ وهنا نرى سكوت هذا المقبوض عليه ، هذا السكوت الغريب ، يتكرر كلما سئل عن حقيقة شخصيته ، فلا يجيب بشىء ، ولنا أن نتساءل ، لو كان هو المسيح حقاً ففيم سكوته

وهو الذى عند ما حضر الجمع للقبض عليه لم يتردد فى الافصاح لهم عن شخصيته ، فلماذا هناك يفصح بينما هنا يسكت ولا يجيب ، بينما الأجدر به أن يتكلم هنا لا هناك ان كان هو المسيح ، ولكن أبداً إنه لا يجيب ولا عن كلمة واحدة ، أبداً لن يكشف عن حقيقة شخصيته ، إنه نفس الاصرار ، أن يجرع نفس الكأس التى كان سيذيقها لسيده ، إنه يهوذا وليس المسيح ، إنه يهوذا وقد ندم فأبى أن ينطق بغش فيدعى أنه المسيح ، أو بحق ربما ظن أنه به سيكشف المسيح نفسه بينما قد عزم منذ تجلت له قدرة الله برفع مسيحه ، عزم عندئذ أن يحمى المسيح ولو بدمه .

ويعجب الوالى ، حتى ليفكر فى اطلاق سراحه ، خاصة وأنه قد تعود أن يطلق فى كل عيد أسيرا ، فسأل الناس عمن يريدون أن يطلق لهم سراحه ، وكان يريد أن يطلبوا الذى يظنونه المسيح ، ومع هذا فلم يرتفع صوت واحد يطلبه ، وانما هدرت الجموع تنادى باطلاق سراح من يدعى باراباس ، ويستردد الوالى اذ كان يريد أن يطلق سراح هذا الذى يظنونه المسيح ، ولذا يسألهم عما يفعله بهذا ، وهنا يتجلى حقد الحاضرين جميعا على من ظنوه المسيح ، فقالوا جميعا ليصلب ، ومن جميعا هذه التى وردت فى إنجيل متى ، والذى نواصل سرد الرواية منه ، نقطع بأنه لم يكن وسط هذا الجمع أحد من أتباع المسيح ، وإلا لطلب اطلاق سراحه ، أو فى القليل لوخاف لأحجم عن طلب صلبه ، ولكن الوالى يظل رغم ذلك على تردده بشأنه ، وكأنما أراد أن يستدر عطف الحاضرين على من يظنونه المسيح ، فيسألهم عن الشر الذى عمله حتى يصلب ، ولكن صراخهم يعلو ليصلب ليصلب ، وحينئذ يعلن الوالى أنه برىء من دم هذا البار ويسلمه ليصلب ، والى هنا لا نرى أحدا بين الحاضرين من أتباع المسيح أو ممن يمكنهم معرفة حقيقة شخصية هذا الذى قبض عليه .

حوكم اذن وخرج مذنبا ، انه هذا الذى طالعنا عنه فى سفر المزامير فى المزمور المائة والتاسع « اذا حوكم فليخرج مذنبا . . . ووظيفته ليأخذها آخر . » ، والذى

وجدنا فى سفر أعمال الرسل ينسب هذا الشطر الأخير من الآيات « ووظيفته ليأخذها آخر . » ، الى يهوذا ، ففهمنا منه أنه هو أيضا الذى حوكم وأدين ، أما المسيح عليه السلام ، والذى انعقدت المحاكمة له ، ورغم أن الجميع ظنوه هو بالفعل الذى يحاكم وهو الذى يحكم عليه ، الا أن الواقع أنه لا يحكم عليه عند محاكمته ، وانما يحكم على آخر ، تماما كما رأينا فى المزمور السابع والثلاثين من قوله « الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته . » ، أدين اذن يهوذا ، وسلم ليصلب ، فيخرجون به الى حيث يقابلون رجلا يسخرونه لحمل صليبه ، ويأتون به الى موضع يقال له جلجثة ، وهناك صلبوه ، فتم بذلك ما تنبأت المزامير من أن الشر يميت الشرير ، وأن الشرير يعلق بعمل يديه ، كرا جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع ، حفر حفرة أمام المسيح فسقط فى وسطها ، وصار يهوذا الى يومنا هذا عارا عند البشر ، تماما كما جاء على لسان المصلوب فى المزمور الثانى والعشرين أنه دودة لا انسان ، عار عند البشر ، وكما يستطرد نفس المزمور فان المجتازون كانوا يجدفون على هذا المصلوب وهم يهزون رؤوسهم ، وكذلك رؤساء الكهنة يستهزئون به مع الكتبة والشيوخ وهؤلاء هم من ذكر لنا انجيل متى أنهم شاهدوا المصلوب ، بخلاف الجنود الذى اقتسموا ثيابه بينهم واقترعوا عليها تماما كما جاء فى ذلك المزمور ، وبين كل هؤلاء لا نستطيع أن نتبين أحدا من أتباع المسيح عليه السلام ممن يعرفونه ويستطيعون التحقق مما اذا كان المصلوب هو المسيح نفسه أم غيره .

ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض الى الساعة التاسعة ، حيث صرخ المصلوب قائلا الهى الهى لماذا تركتنى ، وهى نفس الصيحة التى صاحها المصلوب فى المزمور الثانى والعشرين والذى وجدناه يتحدث أيضا عن نفسه فى هذا المزمور فيقول « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر ... » ، وهو القول الذى وجدنا بحق أنه ينطبق على يهوذا الاسخريوطى دون المسيح كما بينا من قبل ، فما كان

المسيح يوما بعار عند البشر ، فما كان أبدا الا مجدا وفخرا للبشر جميعا .

وان لمعترض أن يقول أنه قد ذكر فى انجيل يوحنا أنه « وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال يا امرأة هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ هوذا أمك . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته . » (ص ١٩ : ٢٥ – ٢٧) ، فهام أقرب الناس الى المسيح يقفون أمامه وهو على الصليب يتحدث اليهم ويشير عليهم بما يراه ، فكيف اذن لم يعرفه أحد وهو على الصليب ، والبحث فى هذا الأمر انما يدخل فى نطاق البحث عما اذا كان يمكن أن يذكر شىء غير صحيح فى الأناجيل ، وهو ما قلنا أننا سنفرد له المبحث السادس فى هذا الفصل ، وانما لعلنا نستطيع أن نقول شيئا فيما يختص بهذه الواقعة الآن ، فوجود هؤلاء الأشخاص أمام المصلوب وتحدثهم اليه على هذا النحو لهو أمر بالغ الأهمية بالنسبة لمن يسرد واقعة الصلب وما حدث خلالها ، ومع ذلك فاننا نجد أن الأناجيل الثلاثة الأخرى خالية من أى اشارة اليها ، فاذا عرفنا أن تلك الأناجيل الثلاثة هى أقرب الأناجيل الى حياة المسيح والى واقعة الصلب ، وأن إنجيل يوحنا لم يكتب الا حوالى سنة ٩٨ ميلادية ، لكان لزاما علينا أن نقول بأن هذه الواقعة لو كانت بالفعل للزم أن تذكر فى أى من هذه الأناجيل الثلاثة الاولى ان لم يكن فيها جميعا ، بل إن هذه الاناجيل الثلاثة لم تغفل الاشارة الى هؤلاء الذين أشار اليهم انجيل يوحنا وقال أنهم كانوا واقفين أمام الصليب يتحدثون الى المصلوب ، فقد جاء فى انجيل متى بعد أن وصف محاكمة من ظن أنه المسيح وصلبه « وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه . وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومة . اللواتى أيضا تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل . وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه الى أورشليم . » (ص ١٥ : ٤٠ و ٤١) ، كما جاء فى انجيل لوقا فى

الموضع نفسه « وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك.» (ص ٢٣ : ٤٩) فاذا كانت الاناجيل تجمع على أن من هؤلاء الذين ذكرهم انجيل يوحنا من كان واقفا من بعيد ولم يذكر أى من هذه الاناجيل أن أيا منهم قد اقترب منه ولم يشر أى منهم الى أم المسيح عليها السلام على الاطلاق. بينما أشاروا الى غيرها ، فهل من المعقول أن يذكروا وقوفهم عن بعد ويغفلوا وقوفهم عن قرب من المصلوب لو كان، وهل من المعقول أن يشيروا جميعا الى نساء غير أم المسيح ولا يشيرون الى أمه لو كانت هناك وهى الاناجيل التى كانت أقرب كثيرا الى تلك الواقعة من إنجيل يوحنا ، بل ويغفلوا حديثا بين المصلوب وأم المسيح وهو على الصليب ، لعمرى ان العقل ليأبى قبول ذلك ، وإن ما جاء فى الاناجيل الثلاثة الأولى بشأن هذه الواقعة لهو الحقيق بالاعتبار ، ولا يكون ما ورد فى انجيل يوحنا فى هذا الخصوص دليلا على وقوعه ما دام يتعارض مع باقى الاناجيل على هذا النحو الواضح.

وأخيرا فلعلنا بعد كل ذلك نستطيع أن نقول وبحق أن الصورة التى انتهينا إليها من قبل من تخليص الله للمسيح عليه السلام برفعه من بين أعدائه الذين قدموا للقبض عليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى رغم أنه كان مرشد الاعداء الى المسيح والقبض عليه ومحاكمته وصلبه على أنه المسيح نفسه ، لعلنا بعد كل ذلك نستطيع أن نقول بأن هذه الصورة يمكن فى العقل والمنطق أن تكون صحيحة ، بل لعلنا وبعد كل ما خضناه فى الصورة التى أوردتها الاناجيل نفسها نستطيع أن نقول بأن هذه الصورة هى وحدها التى يمكن أن تكون صحيحة.[1]

(١) فى التعليق على هذا البحث بدأ السيد / يسى منصور — فى الجزء الاول من ص ١٣٠ حتى ص ١٥٠ — بدأ بايراد ما انتهيت اليه فى الفصل الاول من هذا الباب من اتفاق الصورتين الاسلامية والمسيحية حتى لحظة محاولة القبض على المسيح حيث يعتقد المسلمون بأن الله قد رفعه.

حينئذ بينما قبض على يهوذا الاسخريوطى وحوكم وصلب بدلا منه بينما يعتقد المسيحيون بأن الذى قبض عليه وحوكم وصلب هو المسيح أيضا ، ثم قال انى تساءلت قائلا (كيف اذا يستدل المسيحيون على صلب المسيح لا يهوذا) وهى عبارة وردت فى مقدمة هذا الفصل ، ثم قال انه يقدم من نفس الصورة (التى وردت فى الاناجيل حسبما يقصد) تسعة عشر برهانا قاطعا على أن الذى رأوه مصلوبا وسجلوا ما سجلوه عنه هو المسيح لا يهوذا ، وكان أول ما استدل به على ذلك أن يهوذا كان هو نفسه الدليل الذى سلم المسيح لليهود فكيف يقبض اليهود على دليلهم ومرشدهم وكيف يعقل انهم اشتبهوا فيه على أنه المسيح ، واضاف قائلا (ومن يصدق ما قاله الاستاذ منصور حسين «ثم هم جميعا ، الجمع وقوادهم ورؤسائهم لا يعرفون شيئا عن شكل المسيح او ملامحه ») ثم يمضى مكملا هذه البراهين التسعة عشر فنرى منها أن المسيح عرف نفسه لمن اتوا للقبض عليه ، وان بطرس تبعه ، وانه ورد فى انجيل يوحنا ان سمعان بطرس وتلميذ آخر دخلا مع يسوع الى دار رئيس الكهنة ، وان شهودا شهدوا عليه بالمحكمة — وفاته انهم شهود زور — ، ويختار حديث الذى يحاكم امام قيافا فى انجيل يوحنا ، وشنق يهوذا لنفسه ، وكلام المقبوض عليه امام بيلاطس فى انجيل يوحنا ، وما ذكرته زوجة بيلاطس عنه من أنه بار — ولا ادرى قيمة لهذه الشهادة — والنسوة اللاتى تبعنه،والعنوان الذى كتب عن المصلوب ، والتجديف على المصلوب ، وما ورد فى انجيل يوحنا عن ام المسيح وغيرها بجوار الصليب ، وطلب المصلوب المغفرة لمن صلبوه ، ووعده أحد المصلوبين بجواره بالفردوس ، وما رآه من ثقة المصلوب فى الموت حين قال يا ابتاه فى يديك أستودع روحى ، وان من أخذ جسد المصلوب ورد عنهما فى انجيل يوحنا انهما تلميذان للمسيح ، ثم ما رآه من أن البعض شاهد قيامته من الاموات وظهوره المقال به بعد ذلك لشاول الذى اتب بولس الرسول ، وانهى تعليقه بقوله (فهذه كلها شهادات دامغة لشخص المسيح المصلوب . وقد تحقق منه جميع الذين عاينوه اثناء محاكمته ، وصلبه ، واثناء قيامته ، وصعوده الى السماء ، ووجوده فى المجد . أن هذه الحقيقة واضحة وضح النهار ولله در من قال:— ولا يصح فى الاذهان شىء : اذا احتاج النهار الى دليل)

وواضح ان السيد يسى منصور كعادته لا يشير الى ما استند اليه ، بل هو يتلقف جملة من هنا وجملة من هناك وكأنما انا اقول ما قلت بغير سند ومن ثم يرى المجال فسيحا لنفسه ليقول ما يشاء ، بل انه ليورد العبارات التى اكتبها بصورة لا تعنى الا التضليل بما قصدته منها ، فعبارة كيف اذن استدل المسيحيون على صلب المسيح لا يهوذا وردت فى مقدمة هذا الفصل بشأن ما قد يثور من اعتراض على الصورة التى انتهينا اليها والتى قامت على أن المزامير قد تنبأت بتخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، فكيف اذن يستدل المسيحيون على صلب المسيح لا يهوذا ، والمقصود بذلك بطبيعة الحال هو كيف يستدلون على أن الذى صلب هو المسيح نفسه لا يهوذا

الاسخريوطى ، والعبارة الاخيرة هى عنوان المبحث الثالث من هذا الفصل والذى خصصته للرد على هذا التساؤل الذى اشار اليه السيد/ يسى منصور ، ولكنه يورد هذا التساؤل فى كتابه مطلقا ، بما يوحى بأنى قد اوردته مطلقا ، بل وهو يؤكد هذا المعنى باجابته التى استند فيها كلها الى ما ورد فى الاناجيل دون العهد القديم وكأنى قصدت أنه ليس فى الاناجيل ما يفيد صلب المسيح ، ولا أدرى كيف يكون بذلك يرد على ، ثم ان معظم ما اورده فى شواهده التسعة عشر قد تناولته بالتعليق سواء فى هذا المبحث او المباحث التالية ، ولكنه ، وكعادته ، يكتب وكأنى لم اقل شيئا هذه الشواهد ، واخيرا ، فان الدليل الرئيسى والموضوع الاول الذى دار حوله البحث فى هذا الكتاب بالنسبة لموضوع الصلب ، انما قام اساسا فى نبوءات العهد القديم التى وردت فى المزامير ، وقد اوردت منها عشرات المزامير ، ومع هذا فلم يتسع رد السيد/ يسى منصور على هذا الموضوع فى اجزائه الاربعة من كتابه لغير ستة عشر صفحة من ص ٤٥ الى ص ٦٠ فى الجزء الاول من كتابه ، اما هذا المبحث ، والذى لم اورده بحال كدليل على أن الذى صلب هو يهوذا وليس المسيح ، وانما، وكما يبين من عنوان المبحث نفسه ، لنتبين ما اذا كانت الصورة التى انتهينا اليها يمكن ان تكون صحيحة أو لا ، ومن ثم فهذا المبحث ، وبمفرده ليس دليلى على صحة هذه الصورة ، وانما هو دليلى فقط على انها يمكن فى العقل والمنطق ان تكون صحيحة ، ومع هذا فاننا نرى السيد/ يسى منصور يفرد لها فى كتابه واحد وعشرين صفحة ، وعلى النحو السالف بيانه ، والذى لا يمكن لاى باحث ان يعتبره ردا على الاطلاق ، فهو لم يرد على ما قلت ، وانما رد فحسب ما ورد فى الاناجيل .

اما القمص باسيليوس اسحق فيتناول هذا الموضوع فى سبع عشرة صفحة من كتابه ابتداء من ص ٦٨ ، وهو بعد أن يذكر آيات من الاصحاح ٥٣ من سفر اشعياء فى العهد القديم — وسترد الاشارة اليه فى المتن — والآية القرآنية التى تقول بأنهم ما قتلوا المسيح وما صلبوه ولكن شبه لهم ... ، يستطرد فيقول : (وهنا نتساءل : هل صلب المسيح حقا ، أم أن الله خدع ابصار الناس ؟ وما هى الحكمة فى ان الله يخفى خبر هذ الخدعة نحو ستة قرون ثم يرى أن يعلن الحقيقة للبشر ، وان الذى صلب لم يكن المسيح . وانما هو شخص آخر اوقع الله شبه المسيح عليه... والعجيب ان القرآن لم يذكر من هو هذا الشخص الذى وقع عليه اختيار الله ليوقع شبه المسيح عليه ... ولماذا وقف الله من شرذمة من عباده هذا الموقف العجيب فيحتال لتنفيذ مشيئته الى مثل هذه الحيلة التى تتجافى مع العدالة ومع الكرامة ... وهو القادر ... ولماذا لم يرفعه الله اليه ... ويرونه صاعدا امامهم فيمجدون الله ... وبذلك يفتح امامهم بابا للندم والتوبة ...) ثم يمضى فيقول ان الصلب واقعة مادية لا سبيل الى انكارها لثلاثة أسباب ، اولها ان التاريخ أيد ذلك — وهذا ما لم انفيه — ، وثانيهما أن الانجيل اثبت هذا ايضا — وهذا ايضا لم أنفيه — وثالثها أن التوراة قد

= تنبأ بصلبه ، — وهذا ما ينفيه الفصل الثالث من هذا الباب — ، ثــم يمضى سيادته فيقول : (ولكن أحد الكتاب يقول انه بعد ستة قـرون جاء نبى الاسلام وقال انالمسيح لم يصلب وانما رفعــه الله اليــه . . . واستطرد يقول — يقصدنى ايضا — : وما دام القرآن قد نفى هذا وانه لم يصلب فانه اصدق نبأ من نبوءات التوراة ، واصدق نبأ من ســجلات التاريخ ، وأصدق نبأ من كلام المسيح نفسه عن صلبه ، واصدق نبــأ من الاناجيل ، ورسائل الرسل ، وذلك لان الله قال ذلك فى القرآن والله لا يخطىء أبدا . ولذا فمهما كان هناك من اجماع على أن المسيح قد صلب فانه لم يصلب ولكن رفعه الله اليه ما دام القرآن قال كذلك . . . ثم يعود الكاتب — وهو يقصدنى كذلك — فيقول ان الذى شبه لهم أنه المسيح لم تكن الا يهوذا . . وطبعا على سبيل التخمين والحدس ما دام القرآن أغفل ذكر اسمه من صلب عوضا عن المسيح . . . ثم استطرد يقــول — يقصدنى — وان كان يهوذا هو بذاته الذى ساوم رؤساء كهنة اليهــود على تسليم المسيح لهم الا ان مقابلة يهوذا لهم كانت سريعة ولم تكــن شخصيته معروفة لهم . . ولهذا فأخطأ الناس والجنود المكلفون بالقبض على يهوذا وساقوه الى المحاكمة التى كانت سريعة وحكم عليه بالمــوت صلبا . وافترض الكاتب فرضين — يقصدنى كذلك — : اوليهما أن شخصية المسيح لم تكن معروفة لهم . ثانيهما : ان المحاكمة كانت سريعة ، وان يهوذا لم يفصح عن شخصيته للجنود والناس الذين جاءوا للقبض على المسيح تحت قيادته او بمعنى ادق تحت ارشاده ، فقبضوا على يهوذا الذى استسلم لهم وقبل حكم الموت راضيا ، وبنى نظريته على مجرد هذه الفروض الوهمية . وسنبين هنا بطلان هذه الافتراضات كلهــا . . .) ثم يمضى سيادته فيحاول التدليل من الاناجيل بأن الذى صلب هو المسيح وليس يهوذا ثم اضاف ما سبق ان ذكرناه من تعليقــه على المزمورين العشرين والثانى والعشرين فى صفحات اخرى تالية .

وأول ما يلاحظ على رد القمص باسيليوس اسحق هو تزييفه الواضح لما كتبت ، فصحيح انه قد وردت فى كتابى العبارة التى تقول انه «لــذا فمهما كان هناك من اجماع على ان المسيح قد صلب فانه لم يصلب ولكن رفعه الله ما دام القرآن قال كذلك . . . » ولكنى ، وبخلاف ما يفهــم من رد الكاتب ، لم أورد هذه العبارة باعتبارها تمثل رأيا شخصيا لى ، وانما باعتبارها السبب فى اعتقاد المسلمين بعدم صلب المسيح ، كما لــم أوردها باعتبارها سندا لى ، وانما بالعكس ، فقد رفضت أن يكــون

المبحث الثانى

مصير الجسد الذى صلب وما قيل عن خنق يهوذا لنفسه وعن ظهور المسيح بعد ذلك

ولا نستطيع ، ونحن ننتهى إلى أن الذى قبض عليه وحوكم وصلب هو يهوذا الأسخريوطى ، أن نتغاضى عما جاء فى إنجيل متى من أن يهوذا وقد ندم « .. مضى وخنق نفسه » (ص٢٧ : ٥) ، كما لا نستطيع أيضاً أن نتغاضى عن السؤال البديهى عن مصير جسد يهوذا إن كان هو الذى صلب ، حيث لم يوجد الجسد فى القبر بعد دفنه ، وشاع ترتيباً على ذلك أنه المسيح وقد قام من الأموات بعد دفنه وقابله أيضاً كثيرون بعد ذلك ، ونتناول فيما يلى هذه النقاط الثلاث كلا على حدة .

أولا : ما ذكره انجيل متى عن ان يهوذا مضى وخنق نفسه :

والبحث فى هذه النقطة يدخل فى نطاق البحث عما إذا كان يمكن أن يذكر شيء غير صحيح فى الأناجيل ، وهو ما سنفرد له المبحث السادس من هذا الفصل كما

= سندى افتراض صحة القرآن ، ولهذا فانه تزييف صارخ ان تنسب لى هده العبارة وباعتبارها السند الذى استند اليه ، وله الحق بطبيعة الحال ان يتوقع من القارىء المسيحى بعد أن يزيف له ما كتبت على هذا النحو ان يرفض كلامى،ولكن هذا القول لم يكن ابدا بكلامى وانما هو زورا نسب الى ، ثم هو يمضى فيدعى بأنى بنيت نظريتى على ما سماه بالفرضين الوهميين ، ويعلم القارىء بأن هذين الفرضين لم يكونا سندى على الاطلاق ، وانما سندى كان ما تنبأت به المزامير ، واما هذين الفرضين فلم يردا الا فى سياق بحث ما اذا كان يمكن ان تكون الصورة التى انتهتنا اليها صحيحة ، وكزميله السيد / يسى منصور فانه يستند بعد ذلك الى رواية الاناجيل دون ادنى اشارة لما اوردته بشأنها ، اما المزامير ، فقد سبق ان اوردنا كل ما قاله بشأنها وهو عن المزامير ٢٠ ، ٢٢ ، ١٠٩ ، ويمكن للقارىء أن يرجع الى رده بهامش كل منها،والغريب ان سيادته يتصور أنه على هذا النحو يكون قد رد على ما كتبت .

قدمنا ، ولكن ، وبصدد هذا الموضوع بالذات ، فإنه يتعين بحثه ، هنا ، ونحن نجد أن إنجيل متى وهو يصف لنا كيفية موت يهوذا الأسخريوطي يقول :

« ثم مضى وخنق نفسه » . (ص ٢٧ : ٥) ، والذى نعرفه أن أياً من الأناجيل الثلاثة الأخرى لم تذكر لنا شيئاً بالمرة عن موت يهوذا ، والذى نستطيع أن نستخلصه من هذه الآية التى وردت فى إنجيل متى أن يهوذا قد خنق نفسه فمات ، عبارة واضحة وصريحة لا لبس فيها ولا غموض ، ولكن لعلنا نذكر هنا ما جاء فى أول إصحاح من سفر أعمال الرسل عن مصير يهوذا ، فقد رويت فيه رواية أخرى عن كيفية موته حيث جاء فى ذلك الإصحاح :

«وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ . وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين . فقال أيها الرجال الإخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلا للذين قبضوا على يسوع . إذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيب فى هذه الخدمة . فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها . وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما أى حقل دم . » (١٥—١٩) .

فهنا يذكر لنا بطرس عن كيفية موت يهوذا صورة أخرى مغايرة تماماً لما ذكره إنجيل متى فى هذا الشأن ، فبينما يذكر متى فى إنجيله أن يهوذا قد خنق نفسه ، يقول بطرس عن يهوذا أيضاً مبيناً لنا كيف مات أنه إذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، بل إنه يؤكد لنا هذه الرواية بقوله أن ذلك صار معلوماً عند جميع سكان أورشليم ، وشتان بين الروايتين ، ففى إنجيل متى يندم يهوذا حتى أنه يخنق نفسه ، أى ينتحر بيديه ، بينما ما نستطيع أن نفهمه من أقوال بطرس أن الصورة التى مات عليها يهوذا إنما كانت كلعنة الله ، فسقط على وجهه وانسكبت

أحشاؤه كلها ، ولم يكن ذلك بحال كما يفهم من الصـــورة بيديه أو خنقا لنفسه أو انتحارا ، فأى الروايتين يمكن أن تـكون صحيحة ، وكل منهما تنـــاقض الأخرى تناقضا ينفيها ، وليس فى العهد الجديد ما يرجح إحـداهما على الأخرى ، فاذا ما أقيم الدليل بعد ذلك على صورة أخرى لموت يهوذا ، وهى الصورة التى انتهينا اليهـا من تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، كانت هذه الصورة بغير شك حقيقة بالاعتبار ، ولا ينفيها أو يشكك فى صحتها ما ورد فى انجيل متى من أن يهوذا مضى وخنق نفسه ، أو ما ورد فى سفر الأعمال من أنه اذ سقط على وجهه انشق من الوسط وانسكبت أحشاؤه كلها ، لأن كلا من هاتين الصورتين تنفى الأخرى وليس هناك من دليل آخر يؤيد أيا منهما بخـــلاف الصورة التى انتهينا اليها على نحو ما تقدم .(١)

(١) يقول القمص باسيليوس اسحق ردا على ذلك ص ٥٩ ، ٦٠ من كتابه : (ورد فى مت ٢٧ ما يأتى : فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ثـم مضى وخنق نفسه . وجاء فى ١ ع ص ١ : واذا سقط — أى يهوذا — على وجهه فانشق ... وانسكبت احشاؤه ... وظن الكاتب ان هناك تناقضا بين القولين ولكن لا تناقض البته . فالاولى ذكرت انه انتحر اما الثانية فذكرت كيفية الانتحار ...) وهنا ايضا يظن أنه قد رد على ، وواضح أن الاولى لم تذكر انه انتحر فقط ، بل وذكرت كيفية الانتحار بأنه خنق نفسه ، بخلاف الثانية التى لم تذكر أنه انتحر وانما اتت بوصف يدل على أن موته كان جزاء من الله ، ومن الغريب انه لكى يحاول أن يجعل كلامه مقبولا ، لا يكتفى بما اتاه من قبل من محاولات لتزوير كلامى ، وانما يلجأ هنا ايضا الى ما يمكن عده تزويرا على الكتاب المقدس نفسه ، وطبيعى أن الكاتب يستطيع الاستناد الى آيات متباعدة من الكتاب ويغفل ما بين بعضها لطوله وعدم حاجته اليه اكتفاء بوضع نقط محله للربط بين الآيات اما أن يفعل ذلك فى آية واحدة ، باستبعاد كلمات منها ووضع نقط محلها ، مع اهمية هذه الكلمات ، فهذا لا شك أقرب ما يكون الى التزييف ، ولهذا فنحن نراه قد استبعد من الآية فى سفر الاعمال كلمتى « من الوسط » ووضع مكانهما ثلاث نقط ، فى غير ادنى محل أو مبرر لاغفالهما ، ومـع اهميتهما وقيمتهما فيـما استندت اليه .

اما السيد يسى منصور فانه يرد على ما قلت ص ١٦٨ فى الجـزء الاول من كتابه بقوله (والجواب — أن قصة متى أن يهوذا خنق نفسـه

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى تناقض آخر انطوت عليه الروايتان ، ففى انجيل متى نقرأ عن يهوذا « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ . قائلا . قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا . فقالوا ماذا علينا . أنت أبصره . فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لايحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء . لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم

= لم ينشها احد من البشيرين الآخرين بل ايدها بطرس الرسول امام جميع الرسل وقال «وصار ذلك معلوما عند جميع سكان اورشليم» أ ع ١٩:١ ، فيهوذا وقت أن شنق نفسه سقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها . فقصة متى وقصة بطرس مكملة احداهما للاخرى ولا تتنافى مطلقا . قال احد مشاهير المفسرين « ان يهوذا علق نفسه فى اعلى شجرة مغروسة على حافة هوة فوق وادى هنوم . فانقصف غصن الشجرة وانقطع الحبل فسقط يهوذا وانشقت احشاؤه كلها كما جاء فى سفر الاعمال ») .

والغريب ان السيد / يسى منصور كزميله يأتى هنا بالآيات بصورة تثير اللبس فى حقيقتها لمن لا يعرفها ، فهو يقول أن قصة متى أن يهوذا خنق نفسه أيدها بطرس أمام جميع الرسل وقال وصار ذلك معلوما عند جميع سكان اورشليم ، ومن يقرأ هذا لا بد وأن يعتقد أن ما أيده بطرس هو خنق يهوذا لنفسه وبينما وجدنا أن عبارته هذه انصرفت الى ما قاله من أن يهوذا اذ سقط على وجهه انشق من الوسط وانسكبت احشاؤه وهذا هو ما قال عنه انه صار معلوما عند جميع سكان اورشليم وليس خنق يهوذا لنفسه كما يدعى سيادته ، اما هذه الصورة التى قال بها احد المفسرين فلا ادرى ما قيمتها وليس هناك من سند يؤيدها ، واما القول بأن القصتين تكمل كل منهما الاخرى،فلو كان ذلك صحيحا لوجب ذكرهما معا سواء فى انجيل متى او على لسان بطرس او فى القليل فى احدهما، لانهما لو كانتا تكملان بعضهما لما كان هناك داع او مبرر لنسيان كل منهما جانبا هاما من الصورة وبشكل يوحى ، بل ويقطع ، بتعارضهما،ثم ما قول السيد/ يسى منصور فى تفسير القمص باسيليوس اسحق لهذا التناقض ، وأخيراً ، فانى لاعجب وهو يدعى الرد على ، لم لا يورد فى رده التفسير الذى قلت به حتى يستطيع القارىء ان يوازن بين الآراء ويختار ما يعتقد بصحته ، ان كل ما اورده عن لسانى بعد الآيتين اننى قلت « شتان بين الروايتين » ثم استباح لنفسه ان يرد على هذه الجملة دون أن يوضح كيف رأيت انا أنه شتان بينهما .

الى هذا اليوم . حينئذ تم ماقيل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن الثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل. وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب . » (ص ٢٧ : ٣ — ١٠) ، فنعلم من هذا أن يهوذا حسب رواية انجيل متى بعد أن ندم رد الثلاثين من الفضة ، أجرة الظلم الى رؤساء الكهنة والشيوخ الذين رفضوا قبولها فطرحها فى الهيكل وانصرف ومضى وخنق نفسه ، وتشاور رؤساء الكهنة وانتهوا الى أن يشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء والذى سمى لذلك حقل الدم، بل ويؤكد لنا متى البشير ذلك بقوله أنه بذلك تم ماقيل بأرميا النبي القائل ما تقدم، ومن الغريب أننا اذ نطالع سفر ارميا كله لانجد فيه أدنى أثر لهذه النبوءة ، وان كنا نجد شبيها بها فى سفر آخر هو سفر زكريا الذى نقرأ فيه « فقلت لهم ان حسن فى أعينكم فأعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا . فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة . فقال لى الرب ألقها الى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها الى الفخارى فى بيت الرب . » (ص ١١ : ١٢ و ١٣) ، هذا عن النبوءة أما ما ذكره متى البشير من رد يهوذا للثلاثين من الفضة وطرحها فى الهيكل وخنقه لنفسه اثر ذلك ، فانه يناقض ماورد فى الاصحاح الأول من سفر أعمال الرسل وسبق ذكره من قول بطرس عن يهوذا « فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم .. دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما أى حقل دم . » ، اذ نفهم من هذا أن يهوذا هو الذى اشترى الحقل وبأجرة الظلم وهى أجره عن تسليمه المسيح ، بعكس ماورد فى انجيل متى من أنه رد أجرة الظلم هذه وطرحها فى الهيكل واشترى رؤساء الكهنة الحقل بها.

ثانيا : مصير جسد يهوذا بعد دفنه :

يعتقد المسيحيون ، وطبقا لما جاء فى الأناجيل ، بأن المسيح عليه السلام هو الذى صلب ودفن ، وأنه فى اليوم الثالث قام من بين الأموات ، ولذا لم يوجد الجسد

فى القبر فى اليوم الثالث ، ولاشك أن من البديهى التساؤل عن مصير جسد يهوذا اذا كان هو الذى صلب ، ذلك أن عدم وجود جسد المصلوب فى قبره قد برره المسيحيون بأنه المسيح وقد قام من بين الأموات ، وهو مالا يمكن القول به اذا كان يهوذا الاسخريوطى هو الذى صلب ودفن ، فما مصير جسده اذن .

ولن نحاول هنا نقول جديدا ، بل نقرأ ما قاله متى البشير فى إنجيله من أنه :

« وفيما هما ذاهبتان اذا قوم من الحراس جاءوا الى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان . فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين . قولوا ان تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام . واذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين . فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم . فشاع هذا القول عند اليهود الى اليوم . » (ص ٢٨ : ١١ – ١٥) .

فمن هذه الآيات نعرف أنه قد أشيع بعد عدم العثور على جسد المصلوب فى قبره أن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ، وقد شاع هذا القول الى يوم كتابة انجيل متى عند اليهود ، ولسنا نعرف ، كيف تحقق كاتب هذا الانجيل من أن ما أشاعه العسكر كان بناء على اتفاقهم على ذلك مع رؤساء الكهنة والشيوخ ، فلسنا نعتقد أن هؤلاء العسكر على صلة بتلاميذ المسيح ، ولذا فليس ببعيد أن يكون بعض الناس ، أيا كان قصدهم ، قد سرقوا الجسد بالفعل ، سواء أكانوا من أتباع المسيح وقد ظنوا أنهم بذلك يؤدون واجبا أو ينالون بركة أو نحو ذلك ، أو من أعدائه وقد أرادوا أن يتخلصوا من هذا الجسد الذى علق عليه أتباع المسيح آمالا كبيرة ،وخاصة أننا نجدهم يقولون فى انجيل متى لبيلاطس بعد دفن المصلوب يوم « يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى انى بعد ثلاثة أيام أقوم . فأمر بضبط القبر الى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى . » (ص ٢٧ : ٦٣ و ٦٤) ، بل اننا نعرف من انجيل يوحنا

أن مريم المجدلية كان أول ما تبادر الى ذهنها عندما لم تجد الجسد فى اليوم الثالث فى القبر أن الأعداء سرقوه حتى أنها أبلغت سمعان بطرس وتلميذ آخر بذلك فركضا الى القبر ، وذلك بالطبع ليعرفا ان كان الجسد قدسرق حقا ، وفى هذا نقرأ فى انجيل يوحنا « وفى أول أيام الأسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر . فركضت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا الى القبر . وكان الاثنان يركضان معا . فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا الى القبر . وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة . والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا فى موضع وحده . فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا الى القبر ورأى فآمن . لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات . فمضى التلميذان أيضا الى موضعهما . » (ص ٢٠ : ٣ — ١٠) ، بل اننا نقرأ فى هذا الانجيل كذلك كما رأينا أنه وحتى هذه اللحظة ، لم يكن تلاميذ المسيح يعرفون أنه ينبغى أن يقوم من الأموات ، والمهم على أى حال ، أننا نخلص من كل ذلك ، الى أن القول بسرقة جسد المصلوب ليس جديدا نقوله اليوم بل هو أمر أشيع فى زمن الصلب نفسه وأيد الأنجيل الذى كتبه متى البشير وجود هذه الاشاعة ودوامها حتى كتابته لانجيله ، كما أن سرقة هذا الجسد هو أول ما تبادر الى ذهن مريم المجدلية عندما اكتشفت عدم وجود جسد المصلوب فى قبره وهو ما لم يعترض عليه تلميذان من تلاميذ المسيح عندما ابلغتهما به مريم المجدلية بل جريا من فورهما الى القبر ليتحققا مما قالته لهما ، واذا كانت هذه الاشاعة وذلك التفكير قد ماتا فى أذهان المسيحيين بعد ذلك فان هذا لم يكن الا لما قيل عن ظهور المسيح بعد ذلك للبعض واعتبار المسيحيين هذا الظهور المقال به فيه التبرير

الـكافى لعدم وجود الجسد فى القبر والدليل الـكافى على كذب تلك الاشاعة ولهـذا فان بحث ما قيل عن قيام المسيح من الأموات وظهوره للبعض هـو ما يتعين أن ننتقل اليه (١) .

ثالثا : ما قيل عن قيام المسيح من الاموات وظهوره لبعض الاشخاص :

وفى ذلك نجد أن الأناجيل المتداولة قد أجمعت على أن المسيح عليه السلام قد قام بين الأموات وظهر لأشخاص معينين ، رابطين بين ذلك وبين عدم العثور على جسد المصلوب فى القبر والذى كانوا يعتقدون أنه المسيح نفسه ، بل إن الأناجيل مضت الى أكثر من هذا حيث نجد منها ما قال بأن المسيح عرض على تلاميذه أثر المسامير فى يديه ورجليه وأثر الطعنة فى جنبه تأكيدا لأنه قد صلب بالفعـل ثم قام من بين الأموات بعد دفنه ، فما تفسير كل ذلك خاصة وأنه لا يتفق مع كل ما انتهينا اليه فيما تقدم ، بل ويناقضه .

ولعله يكفينا فى هذا الصدد أن نراجع ما جاء فى الأناجيل نفسها لنتبين وجـه الحقيقة فى هذا الأمر فنتناول ما قيل عن قيام المسيح من الأموات وظهـوره للبعض كما ورد فى الأناجيل على التوالى .

وهنا نجد أن انجيل متى يبدأ فيقـول «وبعد السبت عند فجـر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر . » (مت ٢٨ : ١) ومن ذلك نعرف أن اللتين ذهبتا لتنظرا القبر هما مريم المجدلية ومريم الأخرى ، بينما يبدأ انجيل مرقس

---

(١) ويعلق السيد / يسى منصور على ذلك فى الجزء الاول من كتابه من ص ١٦٩ — ص ١٧١ بأننى لم آخذ بقصة الانجيل المقدس بـل باشاعـة اليهود التى تنكر قيامة المسيح وتدعى سرقة الجسد ، وبالطبع لم يكن ما قلته من ذلك أعده دليلا على غير وجود هذه الاشاعة ، والانجيل يؤيد ذلك ثم ان احتمال صحتها لا يقوم فى وجودها ، وانما فى أن ذلك يتفق مع ما انتهينا اليه فى بحثنا من تنبؤ بتخليص المسيح ورفعه وصلب يهوذا بدلا منه ، ولكن كعادته ، يترك السيد / يسى منصور الاصل ليتعلق بفرع لا أقيـم له أنا وزنا سوى فى احتمال صحته فحسب وليس كدليل كامل .

فيقول « وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه . وباكرا جدا فى أول الأسبوع أتين الى القبر اذ طلعت الشمس . » (ص ١٦ : ١ و ٢) فنعرف من ذلك أن اللاتى ذهبن الى القبر بينهن سالومة والتى لم يشر اليها انجيل متى ، أما انجيل لوقا فهو يبدأ بقوله « ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين الى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس . » (ص ٢٤ : ١) ويقصد بمن أتين الى القبر هنا نساء كن قد أتين مع جسد المصلوب الى الجليل حيث ورد فى نهاية الاصحاح السابق مباشرة «وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح . وتبعه نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده . فرجعن واعددن حنوطا وأطيابا . وفى السبت استرحن حسب الوصية . » (ص ٢٣ : ٥٤ — ٥٦) ، ومن هذا نعرف أن اللاتى ذهبن الى القبر كثيرات ، بل ومعهن أناس آخرون أيضا ، أما انجيل يوحنا فيبدأ بقوله « وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً والظلام باق . . . »(ص ٢٠ : ١) ، ومن هنا نعرف أن التى ذهبت هى مريم المجدلية وحدها ، بل والظلام باق ، بخلاف ما قرأناه فى انجيل مرقس من أن الشمس طلعت ، وهكذا فمنذ أول رواية عما قيل عن قيام المسيح من بين الأموات وظهوره للبعض نجد تناقضا لا مزيد عليه حتى بالنسبة لمن قيل أنهم ذهبوا الى قبره أول مرة وكانوا أول من اكتشف عدم وجود الجسد فى القبر . (١)

---

(١) يعلق السيد / يسى منصور فى صفحتى ١٥٩ ، ١٦٠ من الجزء الاول من رده على ذلك بقوله : (وانى اقول انه لا يوجد فى مجموع هذه العبارات أى تناقض . فالبشائر الاربع متفقة فى ايراد اسم مريم المجدلية . ثم ان مرقس ١٦ : ١ ولوقا ٢٤ : ١٠ اوردا اسم مريم أم يعقوب التى يشير اليها متى بالقول مريم الاخرى مت ٢٧ : ٥٦ بمعنى ان مريم هذه وردت فى الثلاث بشائر . اذا يوجد اتفاق بين كل ما جاء فى البشائر عن النساء اللاتى اتين الى القبر . ولا ننكر ان مرقس قد انفرد بذكر سالومة بينهن ، كما انفرد لوقا بذكر يونا لو ٢٤ : ١٠ لكن هذا لا يدل على ان مرقس ولوقا يناقض احدهما الآخر . وكل ما فى الامران قول هذا يكمل قول ذاك . فسالومة كانت بين النساء فى ذلك الصباح كما كانت يونا ايضا . ومما

ويستطرد انجيل متى فيقول « واذا زلزلة عظيمة حدثت . لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه . » (ص ٢٨ : ٢) ، ومن ذلك نعرف أن الزلزلة ودحرجة الحجر كانت فى حضور مريم المجدلية ومريم الأخرى ، أما انجيل مرقس فيستطرد ليقول « وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج . لأنه كان عظيما جدا . » (ص ١٦ ٣ و ٤) ، ونفهم من ذلك أن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة وصلن بعد أن كان الحجر قد دحرج ، أما انجيل لوقا فنقرأ فيه « فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر . » (ص ٢٤ : ٢) ، ونعرف من ذلك أن النساء اللاتى تبعنه ومعهن أناس وصلن فوجدن الحجر مدحرجا ، بل ويضيف هذا الانجيل « فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع . » (ص ٢٤ : ٣) ، أما انجيل يوحنا فيقول مستطردا « فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر . » (ص ٢٠ : ١) ، ويكاد التناقض هنا أن يكون مجرد استطراد للتناقض السابق بالنسبة لمن وصلوا الى القبر ، فيما عدا أنه يفهم من انجيل متى أن الزلزلة ودحرجة الحجر كانت فى حضور من ذهبتا الى القبر ، بعكس باقى الاناجيل التى نعرف منها أن من وصلوا الى القبر وجدوا الحجر مدحرجا.(١)

= تليق ملاحظته ان يوحنا مع انه لا يذكر الا مريم المجدلية يشير فى كلامه الى مصاحبة بعض رفيقات اذ يقول انها لما وجدت القبر فارغا ركضت الى بطرس ويوحنا « وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه» يو ٢٠:٢ فقولها « لسنا نعلم» بصيغة الجمع يرى انها لم تذهب بمفردها .) وواضح أن فى العبارة الاخيرة تحميل للكلمة اكثر مما تحتمل ، ولو قصد يوحنا ما قاله الكاتب لكان لزاما أن يذكر صراحة أن من ذهبن مريم المجدلية وغيرها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان يرى السيد/ يسى منصور ان هذا التناقض ليس فيه تناقض ، فهذا شأنه ، ولكنه بحال لن ينفى هذا التناقض الواضح .

(١) ويعلق السيد / يسى منصور على ذلك فى ص ١٦١، ١٦٢ من جزئه الاول بقوله (وانى اقول قد اتفق البشيرون الاربعة على ان الملاك دحرج الحجر . وانه لما جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى حدثت الزلزلة ودحرجة الحجر وقال الملاك لهما حسب قول متى « هلم انظر الموضع الذى كان

وبعد ذلك يمضى انجيل متى فيقول «وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كالأموات . فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا انتما . فانى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . ليس هو ههنا لأنه قام كما قال . هلم انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه . واذهبا سريعا قولا لتلاميذه أنه قد قام من الأموات . وها هو يسبقكم الى الجليل . هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكما . فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه .» (ص ٢٨ : ٣ – ٨) أما انجيل مرقس فيستطرد قائلا «ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن . فقال لهن لا تندهشن . أنتن تطلبن يسوع الناصرى . قد قام . ليس هو ههنا . هوذا الموضع الذى وضعوه فيه . ولكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم . فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات .» (ص ١٦ : ٥ – ٨) ، أما انجيل لوقا فيستطرد قائلا «وفيما هن محتارات فى ذلك اذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة . واذ كن خائفات ومنكسات وجوههن الى الأرض قالا لهن . لماذا تطلبن الحى بين الأموات . ليس هو ههنا لكنه قام . اذكرن كيف كلمكم وهو بعد فى الجليل . قائلا أنه ينبغى أن يسلم ابن الانسان فى أيدى أناس خطاة ويصلب وفى اليوم الثالث يقوم . فتذكرن كلامه

= الرب مضطجعا فيه» مت٢٨ : فنعيا القبر على اثر قول الملاك وتطلعتا فرأتا الحجر مدحرجا حسب قول مرقس ولوقا ويوحنا فلا تناقض .) وزور جديد، ولكن واضح هذه المرة، ينسبه السيد/يسى منصور الى الاناجيل بقوله انه قد اتفق البشيرون الاربعة على أن الملاك دحرج الحجر ، ولا يعنى هذا الا أن الثلاثة ذكروا صراحة كما ذكر متى البشير فى انجيله ان الملاك دحرج الحجر ، ولكن الصحيح أن متى وحده هو من ذكر ذلك اما البشيرون الثلاثة الآخرون فلم يذكر اى واحد منهم من دحرج الحجر، وهو بمحاولته هذه انما يؤكد التناقض والذى لم يجد سبيلا لازالته الا بأن ينسب زورا البشيرين الثلاثة مرقس ولوقا ويوحنا ما لم يقله اى منهم ، واما باقى اقواله ؛ فللقارىء ان يقارن بينها وبين ما كتبت ليعرف ان السيد/ يسى منصور لم يزل التناقض بل اكده .

ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله . وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن . فقام بطرس وركض الى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجبا فى نفسه مما كان . » (ص ٢٤ : ٤-١٢) ، أما انجيل يوحنا فيستطرد قائلا « فركضت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا الى القبر . وكان الاثنان يركضان معا . فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا الى القبر . وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة . والمنديل الذى على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا فى موضع وحده . فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا الى القبر ورأى فآمن . لأنهم لم يكونوا يعرفون بعد الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات . فمضى التلميذان أيضا الى موضعهما . أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى . وفيما هى تبكى انحنت الى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا . فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين . قالت لهما انهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه . » (ص ٢٠ : ٢-١٣) ، وهكذا نجد تناقضا بينا آخر بين الأناجيل فى هذه الرواية ، فبينما نجد أن الذى يوجد فى انجيل متى ملاك وفى انجيل مرقس شاب ، وذلك عند القبر ، نجد انجيل لوقا يقول رجلان ، وانجيل يوحنا يقول ملاكان ، أما كيف يمكن أن يكونوا واحدا واثنين فى نفس الوقت فهذا ما لا يمكن فهمه(1) ، وبينما يذكر انجيل مرقس أن من ذهبن لم يقلن لأحد

---

(1) يقول السيد / يسى منصور ردا على ذلك فى صفحتى ١٦٢و١٦٣ من الجزء الاول من كتابه : (وانى اجيب ان متى البشير قال ان ملاكا نزل

= من السماء ودحرج الحجر عن القبر وجلس عليه . وقال للمراتين أن المسيح قد قام ودعاهما لرؤية القبر الفارغ مت ٢٨ : ١ — ٧ ، ومرقس يذكر أن النسوة لما تطلعن الى داخل القبر رأين ملاكا آخر فى زى شاب جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فحدثهن ان الرب ليس هنا لانه قد قام مر ١٦ : ٥ ، ٦ ، ولوقا البشير يذكر ان النسوة وهن داخل القبر كن محتارات . واذا بالملاك الذى خارج القبر ينضم للملاك الذى داخله . وكان الملاكان يبدوان كرجلين فى ثياب براقة وأكدا للنسوة قيامة المسيح حسبما تنبأ لو ٢٤ : ٣ر٤ ، وذهبت مريم المجدلية واخبرت الرسل بما سمعت ولما لم يصدقوها رجعت تتردد على القبر حتى تتحق الامر لانها سمعت عن قيامة المسيح ولكنها لم تره وأخذت فى البكاء . ولما انحنت لتنظر داخل القبر وجدت الملاكين جالسين واحدا عند الراس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع . فقالا لها يا أمراة لماذا تبكين ؟ ثم التفتت فنظرت يسوع يو ٢٠ : ١ — ١٨)فلا تناقض اطلاقا بين البشيرين الاربعة.)

وهذه الرواية وهذا التسلسل الذى اورده السيد / يسى منصور لهما ، هى بغير شك من تأليف سيادته ، فليس فى البشائر الاربع رواية واحدة تؤيدها ، وانما هو يضم روايات البشائر المتناقضة ليصنع منها رواية جديدة لا يراها تتناقض مع بعضها ، وذلك لا يعنينا بطبيعة الحال ، وانما الذى يعنينا هو تناقضها مع رواية البشائر الاربعة نفسها ، فطبقا لرواية سيادته الجديدة ، فان مريم المجدلية ذهبت الى القبر مرتان ، ثانيتهما هى تلك التى أشار اليها يوحنا البشير ، وتسبقها تبعا لذلك تلك التى اشار اليها البشير مرقس ، واذ كان الثابت فى رواية البشير مرقس ان المرة التى اشار اليها كانت الشمس فيها قد طلعت اذ يقول « اذ طلعت الشمس . » ، بينما يقول البشير يوحنا عن المرة التى اشار اليها « باكرا والظلام باق » ، ولكن نور الشمس هنا يجعل منه السيد / يسى منصور ظلاما ، اذ هو يراه اسبق من ذلك الذى قال عنه يوحنا البشير « والظلام باق » ، اذ قبل هذا الظلام لابد وان يكون ظلاما مثله ، او لعله رأى فى الظلام الذى اشار اليه يوحنا البشير نورا اسطع من نور الشمس ولذا رأى وقته تاليا للوقت الذى اشار اليه البشير مرقس بقوله « واذ طلعت الشمس . » ، وانه لن الطريف هنا الاشارة الى ما سبق ان قاله سيادته عنى فى تعليقة على المزمور ٦٩ فى صفحة ٥٦ من الجزء الاول من كتابه من قوله (ولكن الاستاذ منصور حسين كعادته فى جعل النور ظلاما يقول ...) ، ثم اذا كانت هذه الرواية التى الفها سيادته صحيحة ، فلماذا لم يذكرها كلها أى من البشيرين وهم كما يعتقد سيادته انما يكتبون بوحى من الله ، واذا صح هذا الوحى كما يعتقد ، فهل يختلف الوحى بين الملائكة والشباب فيرى الملائكة شبانا او العكس ، ثم ان الواضح الجلى ان الاناجيل الاربعة انما تصدت الاشارة الى واقعة واحدة وليس الى اكثر من واقعة كما يدعى سيادته ، بل وفوق هذا ، فانه فى تعليقه فى الهامش السابق انما قد افترض ضمنا ان الاناجيل الاربعة تتحدث عن واقعة واحدة ، والا لما كان اغناه من كل ذلك التعليق بالقول بأن هناك اكثر من واقعة ، ولكن له عذره، فانه امام تناقض صارخ ليس له حل إلا ويتناقض.

شيئا معللا ذلك بأنهن كن خائفات ، يؤكد انجيل لوقا انهن أخبرن الأحد عشر ، بل وجميع الباقين بهذا كله ولا يمكن أن نعرف من ذلك ما اذا كن لم يخبرن أحدا حقا أم أنهن أخبرن الجميع بهذا كله[1] ، أما انجيل يوحنا فقد بعد عن ذلك كله اذ جاءت روايته بعيدة كل البعد عما جاء في الأناجيل السابقة اذ يقـــول أن مريم المجدلية بمجرد أن رأت الحجر مرفوعا عن القبر ركضت الى بطرس وتلميـذ آخر

(١) يعلق السيد / يسى منصور على ذلك فى ص ١٦٦ فى الجزء الاول من كتابه بقوله : (والجواب ان اشارة مرقس ١٦ : ٨ تفيد وصف حالـــة النساء وهن راجعات فلم يقفن فى بيوت المعارف والاصدقاء ليخبرنهم بما رأين وسمعن اذ كن مرتعدات . ولا ريب ان مرقس لم يقصد باشارته هذه أن ينفى اخبارهن للتلاميذ لانه فى عدد ٧ من هذا الفصل يفيد ان الملاك قال لهن « اذهبن وقلن لتلاميذه وبطرس انه يسبقكم الى الجليل » فـــان كانت هؤلاء النسوة لم يخبرن التلاميذ يكون هذا عدم اطاعة منهن لامر الرب على لسان الملاك . الامر الذى لا يمكن صدوره من نساء تقيات امثالهن . وفى عدد ١٠ من هذا الفصل يؤكد مرقس نفسه انمريم المجدلية ذهبت واخبرت التلاميذ وهم ينوحون ويبكون مصداقا لقول انجيل لوقـــا ٢٤ : ٩ فاذن لا تناقض بين مرقس ولوقا مطلقا .)

وانها لغريبة جرأة السيد / يسى منصور على الحق ، فأن يقول مرقس البشير « فخرجن سريعا وهربن من القبر لان الرعدة والحيــرة اخذتاهن ولم يقلن لاحد شيئا لانهن كن خائفات . » ، أن يقـــول مرقس البشير ذلك بكل جلاء ووضوح لم يقصد به ان ينفى اخبارهن للتلاميذ ، فبالله فماذا يقول مرقس غير هذا حتى نعرف انه قصد نفى اخبـــارهن للتلاميذ ، ثم ما الذى يقصده سيادته من قوله انه لو ان هؤلاء النســـوة لم يخبرن التلاميذ يكون ذلك عدم اطاعة لامر الرب على لسان الملاك الامر الذى لا يمكن صدوره من نساء تقيات امثالهن ، هل يقصد مـــن ذلك ان مرقس البشير كذب علينا حين قال هذا الكلام اذن وهو فى حل من أن يصدقه ، وانى لقابل ذلك منه ان كان هذا هو قصده ، والغريب انـــه يمضى بعد هذا فيغالط مدعيا ان مرقس البشير اكد ان مريم المجدليةذهبت واخبرت التلاميذ ، يغالط لاننا نعلم ان هذا الذى ذهبت مريم المجـــدلية واخبرت التلاميذ عنه بعد ذلك هو واقعة اخرى وهى ان المسيح ظهـــر لها ، وليس تلك الواقعة الاولى التى نفى مرقس البشير بكل جلاء انها او غيرها اخبرن بها احدا وهى ما قاله لهن الشاب الذى لقينه داخــل القبر من ان يقلن لتلاميذ المسيح ولبطرس انه يسبقهم الـــى الجليـــل وهناك يرونـــه كـــما قال لهـــم .

جاءا معها ثانية الى القبر ثم وقفت خارج القبر تبكى ولما انحنـــت الى القبر رأت الملاكين ، وعلى أى حال فانه الى هنا لم يشاهد أحد بعد أو يتحدث الى من قيل أنه المسيح وقد قام من الأموات ، ولنتتبع فيما يلى ماجاء بعد ذلك لنعـــرف ما الذى قيل عن ظهوره .

وهنا نجد أن انجيل متى يستطرد فيقول «وفيما هما منطلقتان لتخبرا تـلاميذه اذا يسوع لاقاهما وقال سلام لـكما . فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له . فقال لهما يسوع لا تخافا . اذهبا قولا لاخوتى أن يذهبـوا الى الجليل وهنـــاك يروننى .» (ص ٢٨ : ٩ و ١٠) ، ومن ذلك نعرف أن أول ظهـور المسيح كان لمريم المجدلية ومريم الأخرى بعد وصولها الى القبر ومقابلتهما لملاك الرب بينما كانتـا منطلقتين لتخبرا تلاميذ المسيح بما رأيتاه ، كما أنهما عرفتاه على الفور اذ سجدتا له كما أنه لم يكن بحاجة ليعرفهما من هو ، أما انجيل مرقس فيستطرد قائلا « وبعـد ما قام باكرا فى أول الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدليه التى كان قد أخرج منها سبعة شيـاطين .» (ص ١٦ : ٩) ، فنعرف من ذلك أن أول ظهـوره كان لمريم المجدلية وحـدها ، أما انجيل لوقا فأمسك عن الاشارة الى ظهـور المسيح لأى من السيدات ، بينـما يستطرد انجيل يوحنا فيقول «ولما قالت هذا التفتت الى الوراء فنظرت يسوع واقفـا ولم تعلم أنه يسوع . قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين . من تطلبين . فظنـت تلك أنه البستانى فقالت له يا سيد ان كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه ، قال لها يسوع يا مريم . فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يا معلم . قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد الى أبى . ولـكن اذهبى الى اخوتى وقولى لهم انى أصعد الى أبى وأبيـكم والهى والهـكم . فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ انها رأت الرب وأنه قال لها هذا .» (ص ٢٠ . ١٤ — ١٨) ، وللمرء أن يعجب ، اذ يقرأ أن مريم المجدلية وهى من أعرف العارفين بالمسيح، تلقاه، وقد علمت بعدم وجوده

في القبر ، ثم لا تعرفه ، أفيكون هذا هو المسيح حقاً ، ثم هل صحيح أن هذا كان لقاءها به عند القبر وقد حسبته أنه البستاني وكانت بمفردها ، أم الصحيح ذاك الذى ذكره عنها إنجيل متى من أنها لقيته وكانت معها مريم الأخرى أثناء انطلاقهما لتخبرا تلاميذه بما قاله لهما الملاك ، وهل هو صحيح أنها لم تلمسه لأنه لم يصعد بعد إلى أبيه كما طلب منها ، أم الصحيح أنها ومريم الأخرى قد أمسكتا بقدميه ، إن المستحيل أن يكون كل من هذا وذاك صحيحاً ، وليس يبعيد عن التصديق إزاء كل هذه التناقضات ، أن يكون كل ذلك شائعات انطلقت من البلبلة التى نتجت عن صلب من ظنوا أنه المسيح ، وعن سرقة جسد المصلوب ، فانطلق كل بتفسير للأمر ، وأخذ كل واحد يؤلف فى الأمر رواية تتفق مع التفسير الذى يراه ، وكان فى القول بقيام المسيح من بين الأموات وظهوره للبعض تأييدا لذلك من أكثر الروايات التى لقيت قبولا وترحيباً لدى الكثيرين(١) .

---

(١) فى التعليق على ذلك يقول السيد / يسى منصور من ص ١٦٣—١٦٥ من الجزء الاول من رده : (وانى لجيب انه اذا رتبنا اخبار القيامة حسب وقوعها الزمنى لا نجد اى اشكال . ففى اول الاسبوع اول الفجر اتت مريم المجدلية والنسوة اللاتى معها فوجدن الحجر مرفوعا عن القبر واخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بهذا فلم يصدقوهن لو ٢٤ : ١ — ١١ . فخرج بطرس ويوحنا . وكان الاثنان يركضان معا . فسبق يوحنا بطرس وجاء اولا الى القبر . وانحنى فنظر الاكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء بطرس يتبعه ، ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة والمنديل الذى كان على راسه ليس موضوعا مع الاكفان بل ملفوفا فى موضع وحده . فحينئذ دخل يوحنا الذى جاء اولا الى القبر فراى وآمن . ومضيا الى موضعهما يو ١٠ : ٢ — ١٠ لو ٢٤ : ١٢ . اما مريم المجدلية فرجعت مع مريم الاخرى الى القبر ثانية وكانت عند القبر خارجا تبكى . وفيما هى تبكى انحنت الى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الراس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا فقالا لها يا امراة لماذا تبكين ؟ . . . والتفتت الى الوراء فنظرت يسوع واقفا . . . وقالت له ربونى . . وتقدمت هى ومريم الاخرى وامسكتا بقدميه وسجدتا له . قال لها يسوع لا تلمسينى لانى لم اصعد الى ابى . فجاءت مريم المجدلية

= وأخبرت التلاميذ انها رأت الرب يو ٢٠ : ١١ ـ ١٨ مت ٢٨ : ١ ـ ١٠ مر ١٦ : ١ ـ ٨ . « فبعد ما قام باكرا فى اول الاسبوع ظهر اولا لمريم المجدلية فذهبت هذه واخبرت التلاميذ الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون . فلما سمع اولئك انه حي وقد نظرته لم يصدقوها » مر ١٦ : ٩ ـ ١١ . ومن هذا البيان نعرف ا نظهور المسيح كان اولا لمريم المجدلية ومعها مريم الاخرى الاخرى كما ذكر متى . ولا تناقض مع ما ذكره مرقس ويوحنا انه ظهر لمريم المجدلية لانهما لم يتعرضا لذكر مريم الاخرى بالنفى ولا بالاثبات . وكذلك نعرف ان يوحنا ذكر ان المسيح قال لمريم لا تلمسينى، وحتى ذكر انها والاخرى لمساه ، وهذا لا تناقض فيه ، لان المسيح قال لمريم لا تلمسيني بعد ان امسكتا هي والاخرى بقدميه وسجدتا له .)

وهنا يطالعنا السيد / يسى منصور برواية اخرى من تأليفه ، وهو يبدأ بالقول بأنه فى اول الاسبوع اول الفجر اتت مريم المجدلية والنسوة اللاتى معها فوجدن الحجر مدحرجا ، هو بذلك يناقض ما قاله هو نفسه فى ص ١٦٢ من أن ملاكا نزل من السماء ودحرج الحجر عن القبر وجلس عليه وقال للمرأتين ان المسيح قد قام ودعاهما لرؤية القبر الفارغ ، اذ مفاد ذلك ان دحرجة الحجر كانت فى حضور المرأتين وهو ما يناقض روايته الاخيرة ، ثم هو يضيف بعد ذلك مباشرة انهن اخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بهذا ، وهو عكس ما قرره مرقس البشير من انهن لم يقلن لاحد شيئا لانهن كن خائفات ، ثم هو يقول انهن اخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بينما نعلم عن انجيل يوحنا انها مريم المجدلية وحدها وقد ركضت الى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه بالتحديد ولم يذكر أحدا آخر معهما فذهب بطرس والتلميذ الآخر ثم مضى التلميذان بعد ذلك الى موضعهما تأكيدا لان الرواية نقلت لهما وحدهما ، ورجوع مريم على النحو الذى يراه السيد / يسى منصور الى القبر قول لم تقل به أى من البشائر كما رأينا من قبل ، واما محاولة التوفيق بين ما قاله متى البشير من أن مريم المجدلية ومريم الاخرى فيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذ المسيح اذا به لاقاهما وحياهما فتقدمتا وامسكتا بقدميه وسجدتا له ، وما قاله مرقس البشير من أن المسيح ظهر اولا لمريم المجدلية ، وما قاله يوحنا البشير من أن المسيح طلب الى مريم المجدلية الا تلمسه لانه لم يصعد بعد الى ابيه وذلك على النحو الذى يقول به السيد/ يسى منصور ، فان هذه المحاولة بعيدة كل البعد عن الصواب ، فهو يقول انها فيما هى تبكى انحنت الى القبر ورأت الملاكين وسألاها عن سبب بكائها ثم التفتت الى الوراء فنظرت يسوع وقالت له ربونى ، ونحن نعرف من انجيل يوحنا انها لم تعرفه عن غيرها وانما ظنته اولا البستانى ولما ناداها باسمها عرفته ، والمقطوع به انها هنا كانت واقفة تتحدث اليه ولم تكن تركض هى ومريم الاخرى ، واللتين ذكر انجيل متى عنهما انهما خرجتا

وإذ يسكت إنجيل متى عن أى ظهور للمسيح بعد ذلك ، عدا القول بظهوره أخيراً للأحد عشر تلميذاً حين يقول « وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع . ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا . فتقدم يسوع وكلمهم قائلا . دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر . آمين » . (ص٢٨ : ١٦ — ٢٠) وبهذا انتهى إنجيل متى ، أما إنجيل مرقس فنراه يشير إلى ظهور آخر سبق ذلك فيقول « وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية . وذهبا هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين . » (ص ١٦ : ١٢ و١٣) ثم يستطرد إنجيل مرقس قائلا . « أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن يدن . وهذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة . يحملون حيات وإن شربوا شيئاً ميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون . ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله . وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام

= سريعا من القبر راكضتين وفيهما هما منطلقتان لاقاهما يسوع فحياهما فتقدمتا حينئذ وامسكتا بقدميه ، وشتان بين هذه الحالة التى تنطلقان فيها راكضتين ، والحال التى يشير اليها انجيل يوحنا عن حديث مريم المجدلية الى من ظنته اولا انه لبستانى ، ثم لو صح وجود مريم الاخرى مع مريم المجدلية لما كان هناك محل لان يخفى يوحنا البشير ذلك ، كما انه لو انهما او احداهما سجدتا للمسيح وامسكتا بقدميه حينئذ ، لما اخفى عنا ذلك ايضا يوحنا البشير ؛ بل لوجب عليه ذكره ؛ وهيهات على أى حال ان يستطيع واحد ان يأتى بصورة لا يجد فى الاناجيل نفسها ما ينفيها ، لا لشىء الا لعدم صحة كل ما ذكر عن ذلك الامر .

بالآيات التابعة . آمين » . (ص١٦٥ : ١٤ — ٢٠) وبذلك انتهى أيضـاً إنجيل مرقس ، أما إنجيل لوقا فقد فصل ما قيل عن مقابلة لاثنين التى أشار إليها إنجيـل مرقس فقال : « وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة إسمها عمواس . وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هـذه الحوادث . وفيما هما يتـكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما ولـكن أمسكت أعينهما عن معرفته . فقال لهما ما هذا الـكلام الذي تتطارحان به وأنتما تمشيان عابسين . فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام . فقال لهما وماهي. فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبيا مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب . كيف أسلمه رؤساء الـكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه . ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل . ولـكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك . بل بعض النساء منا حيرننا إذ كن باكراً عند القبر . ولما لم يجدن جسده أتين قائلات أنهن رأين منظر ملائـكة قالوا أنه حى . ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضاً النساء وأما هو فلم يروه . فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تـكلم به الأنبياء . أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده . ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبيـاء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الـكتب . ثم اقتربوا إلى القرية التى كانا منطلقين إليها وهو تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد . فألزماه قائلين امكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار . فدخل ليمـكث معهما . فلما اتـكأ معهما أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما . فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما . فقال بعضهما لبعض ألم يكن قلبنا ملتهبـاً فينا إذ كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الـكتب . فقاما فى تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم . وهم يقولون

أن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان . وأما هما فكانا يخبران بما حدث فى الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز » (ص ٢٤ : ١٢ — ٣٥) ويستطرد إنجيل لوقا مشيراً إلى ما قيل عن الظهور الأخير للمسيح قائلا « وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم . فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً . فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم. انظروا يدى ورجلى إنى أنا هو . جسونى فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه . وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام. فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئاً من شهد عسل . فأخذ وأكل قدامهم . وقال لهم هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير . حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب . وقال لهم هكذا هو مكتوب . وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك . وها أنا أرسل إليكم موعد أبى . فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى . وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا . ورفع يديه يباركهم . وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء . فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم . وكانوا كل حين فى الهيكل يسبحون ويبـــاركون الله . آمين » (ص ٢٤ : ٣٦ — ٥٣) وبهذا انتهى إنجيل لوقا ، وأما إنجيل يوحنا فإنه يستطرد قائلا : « ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم . ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه . ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب . فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم إقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت . أما توما

أحد الإثنى عشر الذى يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع . فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب . فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن . وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلا وتوما معهم . فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال سلام لكم ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . أجاب توما وقال له ربى وإلهى . قال له يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا . وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» . (ص ٢٠ : ١٩ — ٣١)

ثم يشير نفس الإنجيل فى الإصحاح التالى وهو الأخير إلى ظهور آخر للمسيح على بحر طبرية ، فنفهم منه أن التلاميذ كانوا فى سفينة ولم يصيدوا شيئاً ، ووقف المسيح على الشاطىء ، ولم يكن التلاميذ يعرفون أنه المسيح ، وسألهم عما إذا كان لديهم أكل فأجابوا بالنفى ، وعندئذ طلب إليهم أن يلقوا شبكتهم ففعلوا ، وامتلأت سمكا حتى لم يقدروا أن يجذبوها ، وعندئذ عرفه أحد التلاميذ وصاح فى الجميع أنه الرب ، فأسرعوا إليه وطلب منهم أن يتناولوا الغذاء ، ويقول إنجيل يوحنا مؤكداً أن هذه ثالث مرة يظهر فيها المسيح لتلاميذه ، ويشير ذلك الإنجيل بعد هذا إلى حديث دار بين المسيح وتلاميذه ولا يذكر لنا أين ذهب المسيح بعده ، وينتهى الإنجيل بقوله : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة . آمين » (ص ٢١ : ٢٥) .

وإذ نقف قليلا هنا ، فلنسترجع ما رأيناه فى الأناجيل عن ظهور المسيح للاثنين المنطلقين ولتلاميذه ، وليس أغرب من رواية الاثنين المنطلقين ، فهما إذ يقابلان شخصا يسيران معه ويتحدثان فى كل الأمور التى كانت ، ويستمران طويلا فى سيرهما

وهو يحدثهما عن كل شيء من موسى وجميع الأنبياء ، حتى اذا ما وصلا الى قريتهما حاول أن ينصرف فأبيا الا أن يستضيفاه فدخل معهما ، وطوال هذا الوقت لم يعرفا من هو الى أن أخذ خـبزا وبارك وكسر وناولهما فقالا بأنه المسيح وذهبا يخبران تلاميذه بذلك ، فأى عقل يصدق ويقطـع بأن هذا الذى كان معهما هو المسيح حقا وخاصة أننا بصدد شخص يقال أنه صلب وقبر ، ويقال أيضا أنه رفع الى السماء ، وهل يكفى هذا الذى قال به المنطلقان للقول والايمان بأن هذا الذى كان معهما هو المسيح حقا ، بالقطع لا ، ثم ما معنى ماذكره انجيل مرقس عمن قال أنه قابل هذين المنطلقين باعتباره المسيح ولـكنه ظهر لهما بهيئة أخرى ، فأى هيئة أخرى هذه التى قصدها الا أن يـكون بشكل رجل آخر ليس له شكل المسيح ، ولمجـرد أنه أخـذ منهما خبزا وكسر وناولهما ظنا أنه المسيح ، ويختفى الرجل ، وله العـذر أن يفعل ، فقد أشيع أن المسيح صلب ، ولو أشيـع أنه هو نفسه المسيح فهل ينتظر غـير الصلب ، فيختفى ، ويقولون بعد هذا أنه المسيح ، فأى عقل يصدق هذا ، ثم لم يستبعد البشيران متى ويوحنا هذه الرواية ، ألا يوحى ذلك بأنه حتى هما لم يطمئنا اليها . (١)

---

(١) يعلق السيد / يسى منصور على ذلك فى الجزء الاول مـن رده ص ١٦٧ و ١٦٨ قائلا : (والجواب ان ظهور المسيح لتلميذى عمواس سجله كل من مرقس ولوقا . وقال مرقس « ظهر بهيئة اخرى لاثنين منهـم » مر ١٦ : ١٢ و١٣ وقال لوقا «ولكن امسكت اعينهما عن معرفته» لو ٢٤ : ١٦ ، والسبب هو تأكدهما انه مات وعدم توقعهما قيامته فكان المسيح فى هذه الحالة غريبا على اذهانهما . وكما رأى اخوة يوسف الحاكم يوسف فى مصر ولم يعرفوه تك ٤٢ : ٨ وكما رأى اصحاب ايوب ايوب ولم يعرفـوه أى ٢ : ١٢ وكما رأى الرسل انفسهم المسيح فى العلية فجزعوا وظنوا انهم نظروا روحا لو ٢٤ : ٣٧ ذلك لان غرابة الموضوع غطت على المعرفـة

وأما عن ظهور المسيح عليه السلام للتلاميذ ، فاننا نجد أن أول إنجيل كتب بعد المسيح عليه السلام وهو إنجيـــل متى يذكر أن المسيح ظهر لتلاميذه مرة واحدة ولم يقل غير أربع جمل ، ولم يذكر لنا أين ذهب بعد ذلك ، ولم يشر الى أى مقابلات أخرى له مع تلاميذه أو أى أقوال أخرى قالها لهم غـــير هذه ، أما الانجيل الذى كتب بعد إنجيل متى وهو إنجيل مرقس ، فيشير الى ظهور المسيح مرة واحدة أيضا لتلاميذه ولكنه يقول كلاما غير هذا الذى ورد على لسانه فى إنجيل متى ويزيد عليه ، ويشير الى أن المسيح إرتفع الى السماء بعد ذلك ، ثم يأتى إنجيل لوقا الذى كتب بعد الانجيلين السابقين ، فيزيد فى رواية اللقاء الأخير الذى ظهر فيه المسيح لتلاميذه ، ونراه يقول فيـــه كلاما غير الذى ورد فى الانجيلين السابقين ، ويتحدث عن وقائع

= لاول وهلة . هكذا كان مع تلميذى عمواس . ولكنهما عرفاه عند كسر الخبز لو ٢٤ : ٣١) .

والواقع اننى فى الطبعة الاولى من هذا الكتاب لم اشأ الربط بـــين رواية مرقس عن المنطلقين ورواية لوقا عنهما، لان الاول قـال بظهور المسيح لهما بهيئة اخرى ، بينما لا يفهم من ثانيهما ذلك ، فخشيت ان ربطت بينهما ان يتصدى لى من يقول بأن كل واقعة منهما مستقلة عن الاخرى ، ولكن ، وهاقد اغنانى السيد / يسى منصور عن التردد فى ذلك فربط هو بنفسه بينهما ، ومن قـوله ارد عليه ، فما هى الهيئة الاخرى التى ظهر بها الا انها شكل آخر غير شكل المسيح عليه السلام ، ورغم هذا فيدعيان انه المسيح ، لمجرد انه اخذ منهما الخبز وبارك وكسر وناولهما ، ابدا ، ليس لعقل ان يقول ان هذا ذا الهيئة الاخرى والذى اختفى لمجرد معرفتهما انه المسيح هو المسيح ، ومن العجيب كل هذا الدفاع الذى تقرأه للسيد / يسى منصور فى هذا المجال ، مع رفضه المطلق لاحتمال ان يكون يهوذا هو الذى حوكم وصلب بدلا من المسيح ادعاء بأن شكل المسيح كان معروفا ومع كل الظروف التى شرحناها ولابست عملية القبض والمحاكمة والصلب .

جديدة، فيقول أن التلاميذ ظنوه روحا فيطلب منهم أن يجسوه وأراهم يديه ورجليه، ويشير إلى أنه بعد ذلك إنفرد عنهم إلى السماء ، أما إنجيل يوحنا ، والذى كتب بعد هذه الاناجيل الثلاثة بسنين عديدة ، فيذكر لنا أن المسيح ظهر لتلاميذه ثلاث مرات وليس مرة واحدة ، ويزيد فى تفصيلات هذه اللقاءات عما ورد عن لقاء المسيح مع تلاميذه فى الاناجيل الأخرى ، بل انه يورد على لسان المسيح ما يفيد أنه هو الذى صلب ويرى أثر الصلب والطعن لتوما ويقول بعد ذلك أنه طوبى للذين آمنوا ولم يروا ، وهو يؤكد أنه ظهر فى وسطهم فى أول مرة وقد كانوا مجتمعين وقد أغلقوا الأبواب ولم يكن بينهم توما ، ولا نعرف أين ذهب المسيح فى المرة الأخيرة .

هذا هو ما ذكرته الأناجيل عن ظهور المسيح لتلاميذه ، ولعلنا لاحظنا أنه كلما مر زمن ، كلما برزت وقائع جديدة لم يشر اليها من قبل ، ولعلنا لا نجد تعليلا مقبولا لذلك سوى أن الشائعات لا يمكن الا أن تكون كذلك ، فهى تبدأ صغيرة ، ثم تمضى تكبر فتكبر ، يضيف اليها هذا ويزيد عليها ذاك ، وذلك بعكس الحقائق ، فالحقيقة اذا عرفت فور وقوعها ، فان تفاصيلها تعرف فورا ، ثم تغيب عن الذهن شيئا فشيئا ، وعلى هذا ، فما ذلك التناقض فى الاناجيل ، وذلك التوسع فى الاشارة الى ظهور المسيح بعد ما قيل عن صلبه كلما مر زمن ، الا دليل على أن شيئا من ذلك لم يكن فى أصله صحيحا ، لأنه لو كان كذلك ، للزم أن يضيق بتباعد الزمن وليس أن يتسع .

وهكذا نستطيع أن نقول ، أن كل ما قيل عن ظهور المسيح فى الاناجيل بعد ما قيل عن صلبه ودفنه ، لا يعدو ان يكون بعض أقوال متناقضة ، هى فى حدذاتها ، لفرط تناقضها ، دليل عدم صحة بعضها البعض ، وهى فى مجموعها ، لا تعدو أن تكون اشاعات لا يمكن فى تقديرها وتقويمها اعتبارها دليلا مقبولا على ظهور

المسيح حقا ، حيث أنه فى معظم الأحيان كان يظهر كما يقال لأناس لا يعرفون أنه المسيح الا بعد فترة ، بل وكان يظهر كما رأينا مرة فى انجيل مرقس ، فى هيئة أخرى ، وكان حقيقا لو كان هو المسيح حقا أن يظهر بهيئته هو ، وأن يعرفه من يراه خاصة من تلاميذه وخاصة للوهلة الأولى ، وبصفة خاصة هؤلاء التلاميذ الذين يقال أنه ظهر لهم على بحر طبرية والذين خافوا أن يسألوا من رأوه من هو ، كما أن فى اتساع الرواية كما قدمنا بمرور الزمن ، دليل فى حد ذاته على عدم صحتها ، وأنها لا تعدو فى الأصل أن تكون اشاعة ، يتناقلها الناس فيضيف بعضهم جديدا اليها ، ولذا تتسع كلما مر بها الزمن .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن كل ذلك يدخل فى نطاق البحث فى امكان أن يذكر شىء غير صحيح فى الأناجيل ، وهو ما سنفرد له المبحث السادس من هذا الفصل كما قلنا من قبل .

المبحث الثالث

كيف يستدل المسيحيون من العهد القديم على أن الذى صلب هو المسيح نفسه لا يهوذا الاسخريوطى

رأينا فيما سبق ، أن المسيحيين يربطون بين ما جاء فى العهد القديم من نبوءات ، وبين ما يحدث فى العهد الجديد ، مؤكدين أن ما يحدث فى العهد الجديد هو نفس ما سبق التنبؤ به فى العهد القديم ، ووجدنا أن هذه الطريقة للدراسة والبحث يكاد أن يكون لها أهم اعتبار بين دراساتهم وأبحاثهم ، وبطبيعة الحال فان من أهم الأحداث فى العهد الجديد بل لعله أهمها جميعا عند المسيحيين ، هو صلب المسيح كما يعتقدون ، ولا شك أنهم لابد وقد قالوا بأن العهد القديم قد تنبأ به ، ولكننا وجدنا بحق ، أن المزامير انما تنبأت بتخليص الله للمسيح ورفعه اليه وبأن الذى سيصلب انما هو يهوذا الاسخريوطى ، ولذا فمن الطبيعى أن يثور التساؤل ، كيف

اذن يستدل المسيحيون من العهد القديم على أن الذى سيصلب هو المسيح عليه السلام.

وأول ما يحضرنا فى هذا الصدد هو ما أشارت اليه الأناجيل نفسها عن نبوءة وردت فى العهد القديم فقالت أن نفس ما كان مع الذى صلب هو الذى أشارت اليه هذه النبوءه ، ومن ذلك « ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها . لكى يتم ما قيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . » (متى ص ٢٧ : ٣٥) ، ومنه أيضا « فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون . ليتم الكتاب القائل أقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة. هذا فعله العسكر . » (يوحنا ص ١٩ : ٢٤) ولقد وجدنا أن العبارة المقصودة هنا هى تلك التى وردت فى المزمور الثانى والعشرين والتى تقول « يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون . » وقد وجدنا من قبل أن هذا المزمور يصف بكل دقة عملية الصلب ، وما كان أثناءها حتى ليعد بحق نبوءة عن الصلب ، ولكن الخلاف لم يكن حول واقعة الصلب نفسها ، اذ هى أمر متفق عليه ، وانما الخلاف هو حول حقيقة شخصية المصلوب ، وقد وجدناه فى المزمور يعرفنا بنفسه فيقول « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر ... » ووجدنا بحق أن هذا الوصف لا يمكن أن يكون مقصودا به المسيح عليه السلام الذى لم يكن ليكون الا فخرا للبشر ومجدا لهم ، ولا يكون المصلوب هنا عارا عند البشر الا أن يكون هو يهوذا الاسخريوطى كما يجرى اعتقاد المسلمين وليس المسيح عليه السلام كما يعتقد المسيحيون ، فيهوذا هو الذي لحق به العار الى يومنا هذا لخيانته المسيح سيده.

هذا هو الفهم الصحيح والمقبول لعباره عار عند البشر والمقصود منها فى ذلك المزمور ، وطبيعي أن يشعر المسيحيون بما تتضمنه من معنى ، ولكنهم لا يملكون الا تأييد ما ورد فى الأناجيل والقول بأن المسيح نفسه هو المقصود منها ، ولذا كان لزاما أن أن يجدوا لها تفسيرا آخر بحيث تنطبق على المسيح ، فكيف فسروها ، وهنا نجد كتابا فى تفسير المزامير للقديس أغسطينوس (ترجمة القس مرقس داود)

يقول فى صفحة ٤٢ منه :

(« أما أنا فدودة لا إنسان » .

« أما أنا » والآن يتكلم لا فى شخص آدم ، بل أنا ذاتى ، يسوع المسيح ، ولدت بدون تناسل بشرى فى الجسد لكى أكون فوق البشر كإنسان لكى بهذا على الأقل يتنازل الكبرياء البشرى فيقتدى بتواضعى .

« عار عند البشر ومحتقر الشعب » .

فى اتضاعى صرت عاراً عنـد البشر ، حتى يقال كعلامة تهزىء وشتيمة « أنت تلميذ ذاك » ، ويحتقرنى الشعب .)

كما نقرأ فى كتاب رب المجد الذى سلفت الإشارة إليه فى صفحة ٨٨ منه :

(ولو شئنا التوسع لأثبتنا أن كل كلمة وكل حرف من كل ما ذكر فى هـذا المزمور تدل على آلام رب المجد وأسبابها ونتائجها . ولكنا نكتفى باليسير عن الكثير عالمين أن داود مات موتاً طبيعيا ، وأما الذى ثقبت يداه ورجلاه فهو المسيح وعالمين أن داود مات على فراشـه وبين ذويه وبنيه بعد أن أجلس ابنه على سرير الملك ، وأما الذى اقتسمت ثيابه حين صلبه وألقيت القرعة على قميصه المنسوج بغير خياطة فهو المسيح ، وعالمين أن داود نشأ قائداً وصـار ملـكا فى فلسطين وكانت الملوك تصاهره وتخطب وده ، وأما المسيح فكان عاراً عند البشر ومحتقر الشعب لأنه أخلى نفسه من مركزه المجيد الأزلى آخذاً صورة عبـد فقير ومات على الصليب لفدائنا . فتأملوا .)

وإن الأمر لحقيق فعلا بأن نتأمل ، فهل إذا كان المسيح هو الله فعلا كما يعتقد المسيحيون ، وقد أخلى نفسه من مركزه الأزلى آخذاً صورة عبد فقير ومات على الصليب لفدائهم كما يقولون ، هل لهذا يصير عاراً عند البشر ، وإن كان كذلك فعلا فلم إذن يقول شاول الذى عرف ببولس الرسول فى رسـالته الأولى إلى أهل

كورنثوس « لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا » (ص ٢ : ٢) وفيم يقول أيضا فى صلب رسالته إلى أهل غلاطية « وأما من جهتى فحاشا أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم . » (ص ٦ : ١٤) ، ففيم إذن هذا الكلام الذى يؤمن به المسيحيون جميعا عن الفخر بالمسيح مصلوبا إذا كان بصلبه قد أصبح عارا عند البشر .

حقا إن الأمر لحقيق فعلا بأن نتأمل ، فهل يضير المسيح أن يصاب لفداء البشر كما يقولون حتى ليصير بذلك عارا عند البشر ، إن كلمة عار إنما هى تلصق بالشخص نفسه ، وهو فى المزمور لم يقل لنا بأنه صار عارا لصلبه ، وإنما هو من الأصل عار عند البشر ، وبغض النظر عن الصلب ، وليس ذلك سوى لخيانته المسيح سيده ، أى أن الذى يقول ذلك لا يمكن أن يكون إلا يهوذا الأسخريوطى ، ولعل الحقيق بالتأمل أيضاً ، القول بأنه إذ يقول عن نفسه دودة لا إنسان ، إنما لكى نعرف أنه فوق البشر ، وما عهدنا الدودة فوق الإنسان ، بل إننا لم نعهد ما هو أحط منها ، وها نحن نقرأ فى كتيب تأملات فى سفر المزامير الصادر عن كنيسة مارجرجس باسبورتنج — بالاسكندرية — وهو منسوب لآباء الكنيسة القديسين ، تعليقا على هذه الآية :

(« أما أنا فدودة لا إنسان » ، وبالمثل يقول أشعياء النبى « لا تخف يا دودة يعقوب ويا شرذمة إسرائيل . أنا أعينك يقول الرب ... » أش ٤١ : ١٤ ، فالدودة هى أحقر المخلوقات ، وتولد أحيانا من الطين بلا تزاوج ، وتفنى الأشياء التى تمسها ويحس أمامها الإنسان أنه قوى جداً وقادر على سحقها . أولا كان ربنا على الصليب محتقر من الشعب كاحتقار الدودة . وكل الذين رأوه كانوا يستهزئون به لأنه لم يقدر أن ينجى نفسه . ثانيا : كما أن الدودة أحيانا تولد من الطين بلا تزاوج كذلك فربنا يسوع أخذ جسداً من جسم العذراء ابنة آدم الذى خلق من الطين ، وأيضا

لم يولد المسيح من زرع بشر . ثالثا : كما أن الدودة تفنى الأشياء التى تمسها كذلك فربنا يسوع أفنى كل القوات المضادة للانسان التى كانت سببا فى هلاكه . رابعا : أن الآب سر أن يسحقه بالحزن على الصليب ، لذلك أحس الجند ورؤساء اليهود (أى أحس الإنسان) أن لهم سلطانا على تعذيب المسيح وسحقه كسلطانهم على الدودة الحقيرة . ربى يســوع : من أجلى تصير أنت دودة لا إنسان ، أما أنا الانسان الترابى فأتعالى أما تواضعك العجيب . إن اتضاعك يا ربى وصــل إلى درجة اتضاع الدودة مع أنك القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل . اتضعت لتخلصنى من كبريائى الذى طالما وقف فى طريق خلاصى . ربى يسوع : اكشف لى أعماق اتضاعك الذى اجتزته كدودة لا إنسان لأجل خلاصى لكيما أكتشف أعماق حبك لى . ربى يسوع : علمنى أنا الشقى المتكبر أن أتعلم منك الاتضاع فأقول أمام الآخرين « أنا دودة لا إنسان » .)

ولا أحسبنى بحاجة لأن أفسر للقارىء هنا خطأ القول بأن وصف الدودة يدل على عدم التناسل البشرى ، أو أن الدودة تولد أحيانا من الطين بلا تزاوج ، ولكنى أتفق مع القول بأن الدودة هى أحقر المخلوقات ، وهو وصف حقيق بأن يطلق على يهوذا لخيانته للمسيح ، وأنه لحقيق بأن يرى فى نفســه لذلك دودة لا إنسان ، أما المسيح ، فحاشى أن يرى بنفسه ذلك ، ولسنا هنا بحاجة إلى غير قراءة المزمور نفسه ، لنفهم أن قصد قائله هو تحقير نفسه بقوله أنه دودة لا إنسان ، وليس أن يرفعها فوق البشر كإنسان كما قرأنا ، وليس أدل على ذلك من أن المزامير كانت تصف دائما هذا المصلوب بالعار والخزى وبالشرير ، وتربط بين هذه المعانى فى وحدة كاملة نفهم منها أن المقصود بها جميعا واحد ، وأيا ما كان ما يحاول به المسيحيون تبرير انطباق كلمة العار على المسيح ، فلا أخال أن أحداً منهم بقادر على أن ينسب له كلمة الشرير وهى التى ارتبطت دائما بهذا الذى قال عن نفسه فى المزامير أنه عار .

ومن كل ذلك نستطيع أن نقول أن هذا التفسير غير المقبول على الاطلاق والذى يقول به المسيحيون لما جاء فى الزمور الثانى والعشرين من قوله « أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر » ... والذى يحاولون به إثبات أن المسيح نفسه هو المقصود بهذه الكلمات ، إنما قد دفعهم إليه أنهم لا يستطيعون أن يقولوا أن غيره هو المقصود بها ، لأن المزمور إنما تنبأ عن الصلب ، ولأن الأناجيل نفسها ربطت بينه وبين ما ذكرته عن صلب المسيح ، ولذا فالقول بأن آخر هو المقصود به إنما يكون بمثابة اعتراف منهم بأن الذى صلب هو غير المسيح ، وهذا ما لا يريدون أن يفعلوه ، ولذا لم يكن من سبيل أمامهم إلا أن يقولوا بأن المسيح نفسه هو المقصود بها ، مهما بعد تفسيرهم لذلك عن العقل والمنطق ، لا لشىء إلا لأن المسيح هو الذى يجب أن ينتهوا إلى أنه المقصود منها .

ومما ذكرته الأناجيل أيضا من نبوءات العهد القديم «فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمة » ، ونرى المسيحيين يجمعون على أن هذا الإصحاح إنما انطوى على نبوءة كاملة عن محاكمة المسيح وصلبه بل والحكمة منه ، ولذا فإن من اللازم بحث ما فى هذا الإصحاح من نبوءات لنرى مدى اتفاقها مع أى من الفرضين ، ويلاحظ أن النسخة العربية من الكتاب المقدس قد اقتطعت جزءا من الاصحاح ٥٢ من نفس السفر وأضافته إلى أول الاصحاح ٥٣ على النحو التالى :

« ص ٥٢ من ع ١٣ و ص ٥٣ »

« هوذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا . كما اندهش منك كثيرون . كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم . هكذا ينضح أمما كثيرين . من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه .

ص ٥٣ من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب . نبت قدامه كفرخ وكعرق

من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به .

ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا . وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل أثامنا تأديب سلامنا عليه وبجبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أخذ . وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي. وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته . على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش .

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . إن جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرون وآثامهم هو يحملها . لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين »

واذ نقرأ هنا فى نهاية الاصحاح ٥٢ « من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه . » ، نجد أن النص الأنجليزى للكتاب المقدس يسرد نفس الآية بصيغة المستقبل بما ترجمته أن الملوك سيقفلون أفواههم عليه لأن ما لم يخبروا به سيرونه وما لم يسمعوا به سيعتبروه ، وبذلك فالفارق بين النصين العربى والانجليزى أن الأول يتحدث بصيغة الحاضر بينما يتحدث الثانى بصيغة المستقبل ، وأن كلمة فهموه فى النص العربى وردت فى النص الانجليزى بما معناه اعتبروه ، ولا يكاد يكون هناك ثمة فارق بين النصين ما دمنا نعتبرهما فى الحالتين يتنبآن عن المستقبل وان كان النص الانجليزى أوضح فى بيان قصد التنبؤ عن المستقبل

لورود بصيغة المستقبل بخلاف النص العربى الذى يتحدث بصيغة الحاضر ، الا أن الفارق بين النصين يظهر واضحا بين كلمتى فهموه واعتبروه ، ذلك أن فهم الأمر لغة يعنى علمه أو عرفه أو أدركه ، أما اعتبر الشىء لغة فيعنى اختبره أو عده ، والفارق بينهما كما هو واضح أن الفهم يعنى ادراك حقيقة الأمر ، أما الاعتبار فلا يزيد عن التقرير عما هو ظاهر دون الوصول الى الحقيقة بشأن ما هو ظاهر ، والاعتبار هنا وبهذا المعنى هو الأقرب الى سياق الكلام نفسه والذى يتفق معه ، فما لم يخبروا به سيبصرونه ، وكذلك ما لم يسمعوا به سيعتبرونه ، ولعل فى تطبيق ذلك على ما قيل عن صلب المسيح ما يوضح المعنى المقصود من النبوءة والفارق بين فهموه واعتبروه فى النصين .

فلقد وجدنا من قبل أن المزامير ، وهى قد سبقت سفر أشعياء بنحو ثلاثمائة عام ، قد تنبأت بتخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه وهذا ما تقول عنه الآية أنهم أخبروا به وسمعوا به من قبل ، أو بمعنى أصح هذا ما يفهم من الآية أنهم أخبروا به وسمعوا به من قبل ، ولكنهم وقت الصلب يسمعون ويرون ويحسبون أن الذى يصلب بالفعل هو المسيح عليه السلام ، ولكن هذا هو ما لم يخبروا به لأنهم انما أخبروا بعكسه كما بينا ، فهم بذلك انما يبصرون ما لم يخبروا به ، ثم هم بعد ذلك لا يعتبرون الا أن المسيح هو الذى صلب ، فكأنما هم بذلك قد اعتبروا ما لم يسمعوا به من قبل ، وهكذا تتضح النبوءة التى تقصدها الآية ، فهى انما تتنبأ بحق بأنهم سيعتبرون أن المسيح هو الذى صلب رغم أنهم أخبروا فى النبوءات بعكس ذلك ، ولا يبدو أن هناك ثمة فهم آخر يمكن أن يكون لهذه النبوءة غير هذا الذى أوردناه ، خاصة مع الدقة البالغة فيما جاء به مع ما انتهينا اليه من حقائق .

وإثر ذلك يبدأ الإصحاح ٥٣ بالتساؤل « من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع

الرب .» ، وفى صيغة السؤال ما يفهم منه أن الخبر المقصود لم يصدقه أحـد ، وهل الخبر المقصود الا ما تنبأت به المزامير من تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه له اليه والذى لم يصدقه أحد ، وما المقصود هنا بذراع الرب التى يتساءل الاصحاح عمن استعلنت له ، أليست قدرة الرب ومعجزته التى رفع بها المسيح اليه وهو نفس الخبر الذى لم يصدقه أحد ، ولكن الاصحاح يمضى فنعرف أن ثمة شخصا قد صدق الخبر واستعلنت له بالفعل ذراع الرب ، ويصفه الاصحاح بقـوله أنه محتقر ومخـذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن محتقر فلم يعتد به ، فمن يكون هذا الشخص ومن تنطبق عليه هذه الأوصاف جميعا غير المخذول المحتقر لخيـانته واثمه وعـاره ، الذى غدر بالمسيح سيده وخانه ، يهوذا الاسخريوطى ، الذى صدق الخبر وحـده لأنه رآه بعينيه ، والذى استعلنت له وحده ذراع الرب فرأى المسيح يرتفـع اليه ، أليس هذا كله ، وبكل دقة ووضوح هو ما انتهينا بحق الى أنه الحقيقة عينها .

ولـكى نتفهم ما سيلى فى الاصحاح ، نعود قليلا الى ما سبق محاولة القبض على المسيح عليه السلام ، فقد تآمر رؤساء الـكهنة والـكتبة ليمسكوا بالمسيح ويقتـلوه وحضر اليهم يهوذا عارضا عليهم أن يسلمهم المسيح ، ولما واتته الفرصة لذلك ذهب مع الجند وجمع كبير ليقبضوا عليه ، فهنا المؤامرة هى مؤامرة اليهود ، والذنب فيها ذنب شعب اليهود ومعهم يهوذا ، واليهود أنفسهم هم شعب أشعيـاء النبى ، وبصلب يهوذا يكون قد حمل وحده فى الدنيا وزر الذنب الذى ارتكبه شعب اليهـود ، ولذا يصف الاصحاح صلبه وأسبابه فيقول بأن أحزانهم حملها وأوجاعهم تحملهـا وهو مجروح لأجل معاصيهم ومسحوق لأجل آثامهم فكلهم كغنم ضلوا والرب وضع عليه اثمهم جميعا[1] ، ولعل فى اختيار يهوذا بالذات لأن يصلب حـكمة ، لأن إثمه هو

---

(١) يقول السيد / يسى منصور تعليقا على ذلك ص ٢٣ من الجـزء الاول من رده : (ولكن مما لا يستسيغه عقل على الاطلاق مما قاله السيد

أكبر الآثام لأنه انما كان من تلاميذ المسيح ثم خانه وكان أول المتآمرين عليه ، ثم يشير الإصحاح بعد ذلك الى ما كان من سكوت يهوذا أثناء محاكمته فيقول بأنه لم يفتح فاه .

ويتساءل الأصحاح بعد ذلك قائلا « وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبى . » ونجد نفس النص فى النسخة الانجليزية يتساءل بصورة أخرى ، ومن سيعلن لجيله ، وهنا نجد كلمة يظن فى النص العربى قد وردت بمعنى سيعلن فى النص الانجليزى ، ومفهوم النصين على أى حال أنه فى الجيل الذى سيتم فيه الصلب سيخفى أمر معين خاص بهذا الذى سيقطع من أرض الأحياء ويضرب من أجل ذنب الشعب ، أى خاص بهذا الذى سيصلب ، ولم تشر الآية الى غير هذه الكلمات ، فما هو هذا الذى سيخفى بشأنه ، هل القطع من أرض الاحياء ، أو الضرب ، وهو ما يرمز به الى الصلب ، بالطبع لا فقد كان الصلب هو ما عرفه كل جيله ، اذن فما الذى يمكن أن يكون مجهولا بشأنه ، وهنا لانجد غير شخصيته ذاتها هى التى يمكن أن تكون محلا للتجهيل، وهذا ما وجدناه تماما ، فان أهل جيل الصلب قد ظنوا أنه المسيح عليه السلام من صلب ، فمن منهم كان يظن أو سيعلن أنه يهوذا الإسخريوطى لا المسيح ، أليس هذا هو بالضبط ما يطابق التساؤل الذى ورد فى الاصحاح ، ومنه يفهم أيضا أن شخصيته لن تعرف

= منصور حسين ان يهوذا هو الذى حمل ذنب اليهود وهذا قوله بالحرف الواحد « ويصلب يهوذا يكون قد حمل وحده فى الدنيا وزر الذنب الذى ارتكبه شعب اليهود . كلهم كغنم ضلوا والرب وضع عليه اثمهم جميعا» فهل اذا اشترك اثنان فى جريمة وعاقبنا واحدا فقط يتبرر الآخر من العقاب هل هذا منطق يا وكيل النيابة ؟ ومتى نال اليهود السلام والشفاء بموت يهوذا ولا زالت جميع الاجيال تسخط عليهم ؟) ، وطبعا هذا قولى لا انكره ولكن ايضا هو قد اغفل التفصيل الذى وصلت منه الى هذا القول ، وفى هذا التفصيل وما تلاه ما يكفى ردا عليه ، ويكفى قولى انه حمل وزر ذنوبهم فى الدنيا ليفهم انى لم اقصد ان احدا آخر تبرر وانما جزاؤه كغيره من الاشرار فى الآخرة ، وليس فى كلامى ما يفيد ان اليهود نالوا اى شفاء ولا ارى ذلك .

فى جيله وإنما فى جيل آخر ، وهذا ما كان بالقرآن الذى نفى صلب المسيح وقال بأن آخر غيره هو الذى صلب ، وتفسير المسلمين الذين أعلنوا أن الذى صلب هو يهوذا الاسخريوطى .

ولا خلاف بعد ذلك بالنسبة لما ورد فى الاصحاح من أنه جعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته ، اذ لا يختلف الأمر هنا باختلاف شخصية المصلوب ، إلا اننا نجد الاصحاح يمضى فيقول « على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش . » مما قد يقال معه أن هذا الوصف لا ينطبق على يهوذا ، الا أننا اذا أمعنا النظر فى الاصحاح نراه يتحدث بالذات عن وقت المحاكمة والصلب ، وقد وجدنا أن يهوذا لم يقل أنه المسيح عندما سئل فى المحاكمة عما اذا كان هو المسيح ، وذلك وفق ما طالعناه فى انجيل متى ، بل كان رده على من سألوه أنتم تقولون ، كما وجدناه فى المحاكمة يشير الى صعود المسيح عليه السلام بقوله أنه « من الآن » ، أى منذ اللحظة التى كان هو واقفا يتحدث فيها ، فانهم يرون ابن الانسان الذى هو المسيح جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء ، وبذا فهو لم يكن فى فمه غش ، اما كونه لم يعمل ظلما فهذا هو بالضبط ما كان سيعتبره محاكموه لو عرفوا أنه يهوذا وليس المسيح ، فهم لم يعاقبوه على ظلم أتاه ، وانما على ظلم نسبوه لغيره وظنوه هذا الغير فأوقعوا عقابهم عليه لهذا الظن .

ويقطع الاصحاح بعد ذلك بأن المقصود به هو يهوذا الاسخريوطى لا المسيح اذ يقول « أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . » ، ولا يتصور أن الرب يسر بأن يسحق المسيح بالحزن ، وانما هو يسر فعلا بأن يسحق يهوذا بالحزن جزاءا وفاقا لخيانته المسيح سيده ، ويمضى الاصحاح مؤكدا ذلك المعنى بقوله « من تعب نفسه يرى » ، وهو ما يقارب فى المعنى ما قرأناه فى المزامير من « كــراجبا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع . » ، « يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط

ظلمه . » ، وقد سبق أن رأينا معانى هذه الآيات وانتهينا الى أنها انما تشـير الى صلب يهوذا الاسخريوطى بدلا من المسيح عليه السلام .

وبذا ننتهى بحق ، الى أن هذا الاصحاح انما يتنبأ عن صلب يهـوذا الاسخريوطى بدلاً من المسيح عليه السلام (١) ، مؤكدا أن ما جاء فى المزامير

---

(١) وكعادة السيد / يسى منصور يتغافل عن كل ما استندت اليـه واستخلصت منه هذه النتيجة فيشير الى السطرين الاخيرين فقط فى ص ١٢ من الجزء الاول من رده قائلا : (ومع ان التوراة ملآنة بالنبوات عن آلام المسيح وامجاده ومع ذلك فادعى الاستاذ منصور حسين ان التوراة لتس بها شىء من ذلك. وعلى سبيل المثال ادعى أن اشعياء وخاصة فى الاصحاح ٥٣ لم يتنبأ عن صلب المسيح ولكن يتنبأ عن صلب يهـوذا . فقال بالحرف الواحد « ان هذا الاصحاح انما يتنبأ عن صـلب يهـوذا الاسخريوطى بدلا من المسيح عليه السلام »). ويقول فى صفحة ١٧ : «من اجله يسد ملوك افواهم «ـ أى ان ملوك الارض وحكامها لا يجدون أية معارضة ضد المسيح فيسلمون له ويسجدون لشخصه المبارك ... وان اشعياء يبين سبب قبول الشعوب للمسيحية فيقول « لانـهم قـد ابصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه » ـ فقد خلت الامم عدا اسرائيل اجيالا عن معرفة الله ولم يكن لهم كتاب مقدس ، ولم يسمعوا عن المسيح حتى جاء نور اعلان للامم لو ٢ : ٣٢ وقدم انجيـل الخلاص ليس لليهود فقط بل لكل الشعوب فقبلوا المسيحية على عطش ، وقد علموا بحقائقها وتلذذوا بها بعد ان كانوا يجهلونها . وقد علق بولس الرسول على فتح باب الخلاص للامم هذا بقوله « بل كما هو مكتوب الذين لـم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون «رو ١٥ : ٢١ فهـل نصدق اشعياء النبى وبولس الرسول ام تصدق السيد منصور حسـين واوهامه ؟ ، وقال اشعياء النبى « من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب» ا ش ٥٣ : ١ هذه نبوءة صريحة عن عدم ايمان اليهود بالمسيح.. ان ذراع الرب خلقت الكون وخلصت بنى اسرائيل من مصر ولكنها الآن تخلص الجنس البشرى من الخطية لا بالرعود والبروق ولكن بالمحبة بالفداء بالصليب ، والصليب هو اعلان ذراع الرب وقوته للخلاص .....) الى آخر ماكتبه السيد / يسى منصور حتى ص ٣٣ من كتابه ، وهو اذ لـم يشر الى ما كتبت ، يجد المجال فسيحا ليقول ما يشاء ، والرد على كـل ما كتبه بسيط ، فاذا كان هذا الاصحاح لاشعياء النبى يحدثنا عن الصلب فلا مكان فيه لغير هذه الواقعة ، وهو ما وجدته فيه بالفعـل ، وبينت مدى اتفاقه مع ما انتهيت اليه ، اما السيد / يسى منصور فلا يستطيع أن يرى فيه واقعة الصلب وحدها ، والا لانتهى لما انتهيت اليه ، ولذا يمرح هنا وهناك ، ولكن بغير ما سند يساده .

عن تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلامنه سيتحقق، ولكن أبناء الجيل الذى يقع فيه الصلب سيرون خطأ ما لم يسبق التنبؤ به ، وسيعتبرون بغير أصل من الواقع ما لم يسمعوا به من قبل ، فسيرون ويعتبرون أن هذا الذى يصلب هو المسيح عليه السلام لا يهوذا الاسخريوطى كما سبق أن أخبروا وسمعوا ، ولن تعلن شخصية هذا المصلوب الحقيقية الا فى جيل آخر ، أما هذا الذى يصلب حقيقة فسيسحقه الله بالحزن ويسر لأن يفعل به ذلك ، لانه انما يتحمل وزر خيانته وتآمره وشعب اليهود على المسيح عليه السلام ، بأن يصلب بدلا منه ، وكل هذا ما يتفق تماما والتفسير السليم والمقبول لكل ما جاء فى الاصحاح كما رأينا بالتفصيل ، وهذا هو نفس ما يصل اليه من يبحث الاصحاح بروح هدفها البحث عن الحقيقة ، وحدها ، ولكنهم يتغاضون عن كل ما ورد فى الاصحاح ، ويكتفون منه بأنه يشير الى المصلوب ، ويصرون على أنه المسيح عليه السلام ، لا لشىء سوى ظنهم بأن الذى صلب هو المسيح نفسه ، بل ويستخرجون معنى جديداً لما ورد فيه من قوله « وضع عليه اثم جميعنا » ، فيرون أنه المسيح إلها وهو الله وقد تجسد ونزل الى الأرض ليصلب ويحمل عن الناس جميعا وزر خطيئة آدم ، ولذا قالت عنه الآيه تلك العبارة ، مع أن الواضح أن الاثم المقصود فى الاصحاح هو اثم خاص بشعب اليهود وحده ، اذ يقول الاصحاح بعد ذلك « ضرب من أجل ذنب شعبى . » ، كما أن كلمة جميعنا هذه التى يستندون اليها يقصد بها جميع هذا الشعب وليس جميع الناس ، وليس ذنبهم حقا الا تآمرهم على المسيح ومحاولتهم القبض عليه ليقتلوه .

ثم يحضرنا بعد ذلك ما قرأناه فى سفر أعمال الرسل من أن يهوذا كتب عنه داود فى سفر المزامير « وليأخذ وظيفته آخر . » ، فقد وجدنا أن هذه الآية التى وردت فى الاصحاح الأول من سفر أعمال الرسل انما تشير الى الآية التى وردت

المزمور ١٠٩ والتى تقول « ووظيفته ليأخذها آخر . » ، ولو أن بطرس قائل هذا الكلام فى سفر الأعمال تلى ما سبقه فى الزمور لوجده يقول « فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه إذا . حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر . » ، وما دام أنه يقول عن يهوذا أنه المقصود بقول الزمور « ووظيفته ليأخذها آخر . » ، فانه لزام عليه أن يقر بأن الذى قال عنه المزمور قبل ذلك « اذا حوكم فليخرج مذنبا » هو أيضا يهوذا الاسخريوطى ، لأن المزمور يقول كلا القولين عن شخص واحد ، وما دام أحدهما عن يهوذا ، فلا بد وأن يكون الآخر عنه ، وبهذا فقد كان واجبا على بطرس أن يقول أيضا أن هذا الذى حوكم وخرج مذنبا وصلب بعد ذلك هو يهوذا الاسخريوطى نفسه ، ولكن من أين له أن يتخيل أن الذى حوكم وأدين ثم صلب هو يهوذا ، وهو الذى كان يمكنه بالفعل أن يتحقق من ذلك فتبع المقبوض عليه من بعيد ولكنه خاف وأنكر صلته بالمسيح أو معرفته له وانصرف حتى لا ينكشف أمره ، فضاعت بذلك فرصته فى أن يتعرف على شخص المقبوض عليه الذى حوكم بعد ذلك وصلب ، ولذلك فرغم استدلاله استدلالا صحيحا بنبوءة صحيحة عن يهوذا ، ورغم اقترابه بذلك أدنى ما يمكن من الحقيقة ، فإنه يتغاضى رغم ذلك عنها ، اذ ما كان مستطيعا أن يقر بها .

على أن هناك ثمة مثال فى العهد القديم ، يرى فيه المسيحيون رمزا كاملا لصلب المسيح عليه السلام ، وللحق فان هذا الرمز الذى يشيرون اليه انما هو الحقيقة عينها ، وفيه التفسير الواضح والرمز الكامل لكل ما يتعلق بواقعة الصلب ، ومع ذلك فهم يتجاهلون هذه الحقيقة تجاهلا تاما دون أن يبرروا هذا التجاهل بأى سبب مقبول ، مع أن استنادهم الى هذا المثال يحتم عليهم الاقرار بها ، أما هذا المثال فهو ما ورد فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين عن امتحان الله لايمان

ابراهيم عليه السلام بأن طلب منه أن يذبح ابنه وحيده الذى يحبه ، فامتثل ابراهيم لارادة ربه حتى اذا ما هم بذبحه ناداه ملاك الرب ألا يمد يده الى الغلام وقدم له كبشا يذبحه عوضا عن ابنه وباركه الله تعالى لأنه لم يمسك عنه ابنه وحيده ، وفى ذلك يقول الاصحاح سالف الذكر :

« وحدث بعد هذه الأمور أن الله إمتحن ابراهيم . فقال له ابراهيم . فقال هانذا . فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب الى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال التى أقول لك . فبكر ابراهيم صباحا وشد على حماره واخذ اثنين من غلمانه معه واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذى قال له الله . وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد . فقال ابراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ههنا مع الحمار . وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما . فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ابنه وأخذ بيده النار والسكين . فذهبا كلاهما معا . وكلم اسحق ابراهيم أباه وقال يا أبى . فقال هانذا يا ابنى . فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة . فقال ابراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى . فذهبا كلاهما معا .

فلما أتيا الى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه . فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم . فقال هانذا . فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه . فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يراه . حتى أنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى . ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء . وقال بذاتى أقسمت يقول الرب .

أنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك . أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى .» (١ – ١٨)

وهذه هى القصة كما وردت فى العهد القديم ، وهى من الوضوح بما لا تحتاج معه الى شرح ، ويرى فيها المسيحيون رمزا لما يعتقدون عن صلب المسيح عليه السلام ، ومما يقولونه فى ذلك ما نقرأه فى كتاب للسيح فى جميع الكتب (الذى سلفت الاشارة اليه) فى الصفحات من ٣٢ – ٣٤ :

(اسحق : تقدمة اسحق هى أحد أكمل الرموز الكتابية المشيرة الى الذبيحة العظيمة التى قدمت فى الجلجثة . ولنتأمل ذلك بتورع ودقة ونسر خطوة بعد أخرى بخشوع لأننا نسير فى أرض مقدسة .

جبل المريا (تكوين ٢٢)	جبل الجلجثة
عدد ٢ خذ ابنك	الله ... كلمنا فى ابنه (عب ١ : ٢)
وحيدك	الله ... بذل ابنه الوحيد(يوحنا٣:١٦)
الذى تحبه	الابن الوحيد الذى فى حضن الآب (يوحنا ١ : ١٨)
واذهب الى أرض المريا	وشرع سليمان فى بناء بيت الرب ... فى جبل المريا (٢ أيام ٣ : ١)
على أحد الجبال الذى أقول لك	ولما مضوا به الى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك (لوقا ٢٣ : ٣٣)
وأصعده هناك محرقة	مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة

رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد
(عدد ٤)
فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على
اسحق ابنه
فذهب كلاهما معا (عدد ٦)

أين الخروف للمحرقة (عدد ٧)

الله يرى له الخروف (عدد ٨)

فذهبا كلاهما معا (عدد ٨)
بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب
وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح
فوق الحطب (عدد ٩)
ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح
ابنه (عدد ١٠)
فناداه ملاك الرب من السماء (عدد ١١)

واحدة (عب ١٠ : ١٠)
الله ... سبق وأنبأ بأفواه جميع أنبيائه
أن يتألم المسيح (أنظر أعمال ٣ : ١٨)
فخرج وهو حامل صليبه (يوحنا ١٩ : ١٧)

لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها
أيضا . ليس أحد يأخذها مني بل أضعها
أنا من ذاتي ... هذه الوصية قبلتها
من أبي (يوحنا ١٠ : ١٧ و ٨)
هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم
(يوحنا ١ : ٢٩)
الخروف الذي ذبح منذ تأسيس العالم
(رؤيا ١٣ : ٨)
ان افعل مشيئتك يا الهي سررت (مزمور
٤٠ : ٨) مسلما بمشورة الله المحتومة
وعلمه السابق (أعمال ٢ : ٢٣)
الرب وضع عليه اثم جميعنا (اشعياء ٥٣ : ٦)
أما الرب فسر بأن يسحقه (اشعياء ٥٣ : ١٠)
الهي الهي لماذا تركتني (مت ٢٧ : ٤٦)
(لا صوت من السماء)
مت ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ ، ٢٧ : ٤٢
خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها

فلم تمسك ابنك وحيدك عنى (عدد ١٢)	الحزن الشديد يعبر عنه بالنوح على مفقود وحيد (انظر ارميا ٦ : ٢٦)
فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه (عدد ١٣)	كشاة تساق الى الذبح ... وآ نامهم هو يحملها (اشعياء ٥٣ : ٧ و ١٠))

وأول مانلاحظه هنا ، أن الكاتب قد جعل الآيات الى اليمين تحت عنوان جبل المريا ، أى أنها ماحدث فى جبل المريا ، وجعل الآيات الى اليسار تحت عنوان الجلجثة ، أى أنها ماحدث فى الجلجثه ، ومفهوم ذلك أن يورد الى اليمين الآيات التى وردت فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين فحسب ، وهذا مافعله بالضبط ، وأن يورد الى اليسار الآيات التى وردت فى الأناجيل عما حدث فى الجلجثة ، ولكن هذا هو مالم يحدث ، اذ أورد الى اليسار آيات من أسفار الأيام الثانى وأشعياء وأرمياء وكلها من أسفار العهد القديم ، واذا كان له أن يعتقد أن ما ذكره من آيات هذه الأسفار هو نبوءات تحققت بالفعل فى العهد الجديد ، فان هذا لايجيز له بأى حال أن يعتبرها هى وما تحقق بالفعل سواء بسواء ، وكان حقيقا به مادام يعتبرها نبوءات تحققت بالفعل فى العهد الجديد ، أن يورد مكانها من العهد الجديد ، مايراه من آيات تدل على تحقيقها ، وأما ايراده لها على هذا النحو ، فلا يدل على غير عجزه عن ايراد آيات من العهد الجديد تفيد تحقيقها ، وهى على أى الأحوال يتعين اسقاطها من الاعتبار فى مجال المقارنة بين ماحدث فى جبل المريا وبين ماحدث فى الجلجثة .

ونحن نرى الكاتب يبدأ فيقول أن تقدمة اسحق هى أحد أكل الرموز الكتابية المشيرة الى المسيح والى ماحدث فى الجلجثة بالذات ، ويعتبر هذا الرأى كما نرى فى كتابات المسيحيين من الأمور المستقر عليها ويعتبرونه أمراً مسلما به ، وإن اختلفوا فى تفسير الرمز ، وسنشير الى هذا الخلاف فيما بعد .

ونحن هنا نرى الكاتب يبدأ بجعل اسحق ، الذى طلب الرب من ابراهيم عليه

السلام ، وهو والده ، أن يصعده محرقة على أحد الجبال ، رمزا للمسيح عليه السلام ، وعلى أن الواقعة انما ترمز بكل دقة الى تخليص الله للمسيح عليه السلام وصلب غيره بدلا منه ، فان الكاتب يتجاهل هذه الحقيقة تماما ، ذلك أننا نرى فى الاصحاح أن الله يطلب من ابراهيم أن يصعد ابنه وحيده الذى يحبه محرقة ، وليس من شك أن ذلك الأمر كان عزيزا على ابراهيم عليه السلام وقاسيا عليه الى أبعد حد ، الا أنه لايانه لايملك الا أن يمتثل لارادة الله فيرتضى أن يفعل بابنه ما أمره الله أن يفعله ، تماما كما إستسلم المسيح عليه السلام لارادة الله أن يصلب ، رغم أنه لم يكن يريد الصلب بأى حال ، وهذا هو نفس ماصرح به المسيح حين قال فى صلاته لله « إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت . » (متى ص ٢٦ : ٣٩) ، ثم هاهو ابراهيم عليه السلام يمد يده ويأخذ السكين ليذبح ابنه ، تماما كما أحاط يهوذا ومن معه بالمسيح عليه السلام ليقبضوا عليه ويقتلوه بعد ذلك ، وهنا نادى ملاك الرب ابراهيم من السماء ألا يمد يده الى الغلام وألا يفعل به شيئا ، فقد علم أنه خائف الله ولم يمسك ابنه وحيده عنه ، وهنا نرى الكاتب يقول أنه بالنسبة للمسيح فلم يسمع صوت من السماء ، ولاندرى ، لماذا يظن الكاتب أن الرمز هنا يتعطل ، وخاصة أن هذه اللحظة بالذات هى قلب الرمز وروحه ، بل هى المقصودة منه والمعنية به ، انها لأهم اللحظات فيه ، وان للمرء أن يتساءل هنا ، كيف يمكن أن يكمل الرمز بالنسبة للمسيح لو أن الله أراد أن يفعل به مثل مافعله مع ابراهيم وابنه بعد أن علم أنه خائف الله ، وهذا لم يمسك ابنه وحيده عن ربه ، وذاك لم يمسك نفسه عن ربه ، هل يكون ذلك بصوت من السماء كما كان مع ابراهيم وابنه ، هل بصوت من السماء يصيح فى الهاجمين ألا يقربوا المسيح ، بالطبع لا ، فاذا كان هذا الصوت منطقيا مع ابراهيم ، لأنه انما كان سيذبح ابنه رغما عنه وليس بمحض ارادته ، تسليما منه بمشيئة الله ، ولذا فبديهى أن أى صوت سيوقفه ، بل لعله

يرهف سمعه عسى أن يسمع مثل هذا الصوت فى اللحظة الأخيرة فينقذ ابنه وحيده الذى يحبه ، أما الذين حضروا ليقبضوا على المسيح فانهم أعداؤه ، وما أتوا الا ليقتلوه، وأى صوت هنا لن يوقفهم ، بل وقد يضيع بين زحامهم ، ولقد يقال هنا أن الصوت يكون للمسيح ليهرب ، ولكن كيف ، والى أين ، وقد وصل اليه يهوذا ومن معه ، وهرب جميع تلاميذه ، الصوت اذن لا محل له هنا ، وانما معجزة أخرى لله هى ما يخلص به مسيحه الكريم ، أن يرفعة اليه ، متمما بذلك النبوءات التى قالت فى المزامير « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه . . . » و «أرسل من العلى فأخذنى» و «يارافعى من أبواب الموت » و « يخبئنى فى مظلته يوم الشر» و « لم يحسبنى فى يد العدو » ، الى آخر ذلك مما وجدناه من نبوءات عن رفع الله للمسيح فى هذه اللحظة بالذات ، متمما بذلك رمز تقدمة اسحق ، حيث عرفنا أن الله لم يدع ابراهيم عليه السلام يذبحه ، وما الكبش بعد ذلك ، الا رمز ليهوذا الذى قبض عليه وحوكم وصلب بدلا من المسيح عليه السلام .

ولكن على وضوح الاصحاح وما يرمز اليه على هذا النحو ، فان الكاتب تمسكا منه بأن المسيح هو من يجب أن ينتهى الى أنه قد صلب ، ينتقل بعد أن كان يرى فى اسحق رمزا للمسيح ، فيرى أن الكبش أصبح رمزا له بدلا من اسحق ، جامعا بذلك بين ضدين فى واحد ، فاسحق — كما يعتقد المسيحيون — خلصه الله من الذبح ، أما الكبش فهو الذى ذبح عوضا عن اسحق ، فكيف يرمز للمسيح باسحق الذى يخلصه الله ، وفى نفس الوقت بالكبش الذى يذبحه ابراهيم بدلا من اسحق ، ان هذا هو ما لم يفسره لنا الكاتب على الاطلاق ، وهو فى الواقع ليس الا مغالطة لا مزيد عليها ، وارتجاج فى البحث وأصوله لا حدود له ، وما أوجبه على الكاتب الا تقيده . بالنتيجة التى يريد حتما أن يصل اليها ، وهى أن المسيح يجب أن يكون هو من يرمز الى صلبه .

وقبل أن أستطرد فى هذا الموضوع أحب أن أوضح أمرا ، فقد سبق من قبل أن رفضت الأخذ بطريقة دراسة الكتاب المقدس بطريق الرمز ، وكان ذلك كما سبق الكيفية التى أبهظ بها استعمال تلك الطريقة بحيث لايمكن أن تكون أساسا يصلح لاستخلاص الحقيقة من طريقها،ومع أنى أرى الرمز فى تقدمة اسحق لايدخل فى نطاق ذلك الابهاظ الذى أشرت اليه ، الا أن الواقع أنى إذ أعتبر هذه التقدمة رمزا لما كان مع المسيح عليه السلام من تخليصه ورفعه وصلب يهوذا بدلا منه، الا أن الرمز هنا والذى أقصده أنا بالذات ، ليس هو هذه الطريقه التى رأيناها فى دراسة الكتاب المقدس بطريق الرمز ، وانما أنا أنظر للأمر من وجهة أخرى، ذلك أنه اذا كانت وحدة الاله يمكن أن نستدل عليها من وحدة صنائعه ، فإننا أيضا نستطيع أن نستدل عليها من وحدة أفعاله ، كما أنه من وحدة الاله ، يجب أن نستدل على وحدة أفعاله ، وتفسير ذلك ، أننا نستطيع أن نستدل على وحدة الاله مثلا من وحدة الكون ، من الوحدة المتمثلة فى دوران الأرض حول نفسها ، ودوان النجوم والكواكب هنا وهناك فى كل مكان فى هذا الكون الفسيح ، وكذلك أيضا نستدل على وحدة الاله من وحدة أفعاله ، فالله الذى امتحن ايمان ابراهيم وابنه الوحيد حتى لم يحجب ابراهيم ابنه عن الله ولم يحجب الابن نفسه عنه ، واذ وثق من ايمانها خلص الابن وفداه بالكبش ، فان وحدة الالهتحتم ،واذ امتحن الله المسيح فلم يحجب هذا نفسه عنه ، تحتم أن يخلصه الله أيضا ويفديه ، أما أن يخلص هذا ولايخلص ذلك ، فهذا تناقض لايقع فيه الاله الواحد ، فانه لابد مكررا أعماله ، وأبدا لايناقضها ، وعلى هذا ، ووفق هذا المعنى الذى أفهمهوأقصده يجب أن يفهم ، ما قلته من أن اسحق رمز للمسيح فى هذه التقدمة .

واذا كان مؤلف كتاب المسيح فى جميع الكتب ، يرى رغم هذا التناقض ، أن الرمز قد كمل ، فان غيره لا يرى ذلك ، وهذا هو الخلاف الذى قلنا أننا سنشير اليه فيما بعد ، ومن ذلك ما نقرأه فى كتاب خليل الله فى اليهودية والمسيحية .

والاسلام للسيد / حبيب اسماعيل (وهو صادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة) فى صفحتى ٩٣و٩٤ منه بعد أن ذكر تقدمه اسحق هذه من قوله :

(على أن للقصة وجها آخر ، اذ هى تومىء من بعيد الى ذبيحه اعظم فى الأجيال اللاحقه . ومرة واحدة جاء فى الكتاب المقدس أن الله أقسم بنفسه ، هى فى هذا المقام ، ما يدل على أهمية هذه الحادثة العظمى . وكلم الله ابراهيم مرتين من السماء بواسطة ملاكه ، أولا ليوقفه عن ذبح الغلام ، وثانيا ليجدد له الوعود بالبركة الأبدية لذريته ، وقد كان اسحق والكبش رمزا الى هذه البركة الموعود بها . الا أن هذا القسم لم يتم الا عند صلب يسوع المسيح .

كان اسحق الذبيح « ابن الموعد » ، اذ ولد بطريقة خارقة للطبيعة ، وكان يسوع أيضا النسل الموعود به ، وكاسحق أعطى اسما قبل أن يحبل به فى بطن العذراء . وهو الذى عينه الله « الذبيحة العظمى » عن البشرية قاطبة . . حمل اسحق الحطب الذى وضع عليه ، واستسلم عندما ربط ، ولم يفتح فاه ، واثقا أن أباه يعرف ما هو خير . وكذلك حمل المسيح صليبه الذى علق عليه ورضى تقديم نفسه عن اختيار « قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة » .

على أن الرمز لم يتم من وجه واحد ، هو أن اسحق عوض عنه بكبش ممسك فى الغابة بقرنيه . أما المسيح فلم يكن له من عوض ، لأنه حمل خطايانا فى جسده على الخشبة . وان يكن اسحق من نسل ابراهيم ، فان الوقت لم يكن قد حان بعد للتكفير عن خطايا العالم أجمع ، وشاء الله فى الفترة الطويلة التى أعقبت حادثه اسحق أن يعلم نسل ابراهيم — بالتقدمات المختلفه التى نظمها — مغزى الكفارة وقصد الفداء .)

ومن ذلك أيضا ما نقرأه فى كتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته فى الصفحات من ١٢٦ — ١٣٠ :

(حادثة تقديم إبراهيم اسحق ابنه ذبيحة محرقة (نحو ٢٠٢٠ ق.م):

ورد فى سفر التكوين عن واقعة تقديم ابراهيم ابنه اسحق كما أمره الرب . وفداء الرب لاسحق بخروف. وهذه الحادثة ما هى الا صورة رمزية تشير الى تقديم الله الآب ابنه يسوع المسيح ذبيحة فداء عن خطايا العالم .

أوجه دلالة الرمز :

أولا : محبة الآب للابن الوحيد : ...

ثانيا : طاعة الابن للآب : ...

ويتضح من هذا أن اسحق الابن أطاع أباه حتى الموت ليرمز الى طاعة يسوع المسيح له المجد الذى أطاع حتى موت الصليب ...

كذلك لم يعترض اسحق الابن على حكم الموت ، وذلك بأن أطاع أباه أثناء ربطه على الحطب ولم يتكلم عند ما مد ابراهيم أباه يده على السكين ليذبحه ، وفى هذا رمز لطاعة يسوع المسيح له المجد وصمته أثناء المحاكمة والصلب . إذ يقول الكتاب المقدس فى ذلك (مت ٢٧ : ١٣ – ١٤) «فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا» .

بذلك تحققت الحادثة الرمزية التى صورت طاعة اسحق الابن لأبيه ابراهيم حتى الموت ، حاملا حطب المحرقة على كتفة ومتقدما للذبح كشاة صامتة لم يعترض لتكون صورة مسبقة فى الأذهان عن تقديم الاب ابنه ذبيحة محرقة وطاعة الابن لارادة أبيه ، لتتحقق هذه الصورة الرمزية فى الموعد الالهى ، بمجىء المخلص يسوع المسيح الابن مقدما جسده ذبيحة فداء مكررا نفس الأحداث أى حاملا صليبه على كتفيه مطيعا حتى موت الصليب ، ولم يجب على ظالميه مطيعا لارادة الله أبيه...

ثالثا : تقديم الابن ذبيحة :

أمر الله ابراهيم بتقديم ابنه اسحق ذبيحه محرقة ، ليرمز بذلك الى تقديم الله

الآب ابنه يسوع المسيح ذبيحة فداء لخلاص العالم ، حتى تكون هذه الواقعة صورة مسبقة ، تتكرر فى عهد الخلاص الجديد ، فى نفس الشكل مع اختلاف المضمون .

وقد ورد فى سفر التكوين ، أنه عندما مد ابراهيم يده على السكين ليذبح اسحق ، أن ناداه ملاك الرب ومنعه من ذلك ...

وبذلك نجد أن واقعة تقديم ابراهيم ابنه اسحق ذبيحة والتى كانت رمزا لتقديم الله الآب ابنه يسوع المسيح ذبيحة فداء ، لم تكتمل اذ لم يمت اسحق على الذبح ، وذلك لأن الله فداه . بخروف . وكان ضروريا أن لا تكتمل هذه الواقعة بذبح اسحق ، اذ لا ضرورة لهلاك اسحق الابن ، لأن الواقعة فى مجموعها هى حدث رمزى فقط ، وفى طاعة اسحق الابن حتى لحظة الذبح ، فى هذه الطاعة الكاملة ، اكتملت الصورة الرمزية الشكلية لتقديم الأب ابنه ذبيحة . لذلك فدى الرب الاله ، اسحق بخروف ، ليقدمه ابراهيم ذبيحة محرقة بدلا من ابنه اسحق . أما فى عهد الخلاص ، العهد الجديد ، فقد قدم الله الآب ابنه الوحيد يسوع المسيح بالجسد ذبيحة فداء لمغفرة خطايا العالم على الصليب .....

رابعا : خروف الفداء :

لقد فدى الله اسحق بخروف ، ليقدمه ابراهيم ذبيحة محرقة عوضا عن ابنه اسحق (تك ٢٢ : ١٣) . وهذا الخروف يرمز الى يسوع المسيح حمل الله ذبيحة الفداء ...)

ولا أحسب أن أحدا يستطيع أن يقبل ، بعد أن يكون اسحق هو الرمز للمسيح ، ينقلب الحال الى عكسه ، فيصبح الخروف بعد ذلك هو الرمز للمسيح ، فيجمعون الضدين فى واحد ، واذا كانت تقدمة اسحق هى رمز لما كان مع المسيح ، فأين فى الرمز ما يدل على هذا الذى ذهب اليه السيد/حبيب سعيد على أنه لن يتم من وجه واحد ، وأى وجه هذا ، انه أهم وجوه الرمز جميعا ، انه قبول الله لايمان ابراهيم ومكافأته

عليه ، فمن أين لسيادته أن يعطل الرمز فى أهم مايرمز اليه،ثم السيد الدكتور هانى رزق ، انه يعكس الوضع ، فلايقول بأن الرمز لم يتم فى وجه منه مع المسيح ، بل انه يقول أن الرمز لم يكتمل نفسه ، لأن اسحاقا لم يمت ، كأن الرمز هو الناقص ، وفقط لم يكتمل لأنه لاحاجة لا كماله ، وأعجب كيف يجترىء على الرمز الى هذا الحد ، وتخليص الله للذبيح وفداؤه له بالحروف ، أليس هذا اكمالا ، وفى أى منطق بعد أن نرى المسيح فى اسحق الذى خلصه الله ، نعود فنراه فى الحروف وقد ذبح ، أبدا ، ذاك يأباه كل عقل ، ولايقبله الا من يريد أن يعتسف صورة معينة ، مهما خالفت المنطق والعقل ، ليقول بأن المسيح قد صلب ، وما صلب ، بل رفعه الله اليه ، وهذا ما يرمز اليه ، بحق ، وتماما ، وبالجلاء كله ، ما كان مع ابراهيم وابنه عليهما السلام على جبل المريا ، وبذا فقط يستقيم الرمز ويتكامل مع ما كان ، وبغيره تعوج الأمور كلها وترتج بما لايقبلة عقل ولامنطق .

ويصرخ السيد / يسى منصور فى الجزء الأول من كتابه بيان الحق (وهو من أربعة أجزاء فى الرد على هذا الكتاب فى طبعته الأولى) فى الصفحات من ٦١الى ٧٤ بأن قصة تقديم ابراهيم لاسحق ابنه على الذبح وافتدائه اياه بكبش مشهورة فى العالم كله سجلها موسى فى التوارة وأشار اليها الرسل بطرس وبولس ويعقوب كما وردت فى القرآن ، وهى قصة جامعة أخاذة يثير الاعجاب فيها ايمان ابراهيم بقدرة الله وطاعة اسحق طاعة تامة ورجوع اسحق حيا من على الذبح مثالا لطاعة المسيح حتى الموت وقيامته من الأموات ، فهذا ما أشار اليه بولس الرسول وتقول به الكنيسة القبطية فى القداس فى صلاة القسمة التى تقال فى أحد الشعانين ، ويضيف قائلا (ولكن بعد عشرين قرنا من قيام المسيحية يتجاهل الأستاذ منصور حسين صلب المسيح فلا يرى فى قصة اسحق ما رآه الرسل أنفسهم . . .) ويتساءل سيادته عن السر فى هذه الارادة الفولاذيه التى جعلت ابراهيم يذهب بابنه ليذبحه ويجيب قائلا (الايمان . « نسجد

ثم نرجع اليكما » كيف يرجع ثانية من ستذبحه ؟ يقول ابراهيم « الله قادر على الاقامة من الأموات » عب ١١:١٩ لقد قال الله لى « باسحق يدعى لك نسل » تك ٢١ : ١٢ « وليس الله انسانا فيكذب ولا ابن آدم فيندم » عد ٢٣:١٩ فلا بد أن يقوم اسحق وتتحقق المواعيد.ولو ذبح اسحق وصار رمادا«هل يستحيل على الرب شيء » ؟ تك ١٨:١٤) الى أن يصل بنا سيادته الى تخليص اسحق فيقول (وقد علق بولس الرسول على ذلك بقوله « بالايمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب . قدم الذى قبل المواعيد وحيده . الذى قيل له انه باسحق يدعى لك نسل .اذ حسب أن الله قادر على الاقامة من الأموات الذين منهم اخذه أيضا فى مثال » عب ١١ : ١٧ – ١٩) ، ثم يوضح فى تسع نقاط كيف أن إسحق مثال المسيح فيقول فى المثالين الثامن والتاسع (ثامنا – وكما مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ، كذلك الآب لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين» رو ٨:٣٢ تاسعا– كما نادى ملاك الرب من السماء وقال لاتمد يدك الى الغلام ، وأخذ ابراهيم ابنه اسحق من على الذبح حيا . هكذا المسيح أقامه الله من الأموات حيا . ولاسبيل للاعتراض على ذلك بحجة عدم موت اسحق على الذبح ، لأن المسيح نفسه جعل يونان النبي بخروجه من بطن الحوت (مع أنه لم يمت فى بطن الحوت) – وهذه العبارة لسيادته – مثالا لقيامته المجيدة فقال « كما كان يونان النبي فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » مت ١٢:٤٠؛ فليس من الضرورى أن يكون المثال كالحقيقة فى كل شيء والا فلا يكون المثال مثالا .) ويستطرد بعد ذلك قائلا (فاذا لايلزمنا أن نخرج بمثال اسحق للمسيح عن حدوده لأن مثل هذا هذ الخروج لا يتفق مع المنطق فى شيء وينافى الكتاب المقدس .) ويستطرد مباشرة تحت عنوان الكبش مثال الفداء قائلا (وليس فى مجمل القصة أن إسحق فقط رمز للمسيح بل الكبش أيضا . فقد سمى كبش الفداء ولهذا نعته القرآن بالعظمة قائلا « وفديناه

بذبح عظيم » سوره الصافات : ١٠٧) ثم أخذ سيادته فى بيان أوجه الرمز بين الخروف والمسيح .

وإنها لجرأة على الحق بالنة ، وعلى العقول أكبر ، فسيادته يقول أنه لا يلزمنا أن نخرج بمثال اسحق للمسيح عن حدوده لأن مثل هذا الخروج لا يتفق مع المنطق فى شىء ، ثم هو فى السطر التالى مباشرة يخرج عن هذه الحدود ، اذ بعد أن كان يرى اسحاقا رمزا للمسيح جعل من الخروف رمزا له ، وكلنا نعرف أن الكبش ذبح عوضا عن ابن ابراهيم بعد أن اطمأن الله لايمانه ففدا ابنه به ، وهما ضدان هنا لا يجتمعان فى واحد بأى حال ، كما أننا نعلم تماما أن ابن ابراهيم لم يذبح ، وانه لمحال فى العقل قبول القول بأن تخليص ابن ابراهيم على هذا النحو رمز لصلب المسيح ثم قيامته من بين الأموات كما يرون ، أما أنه ليس من الضرورى أن يكون المثال كالحقيقة فى كل شىء ، فهذا طبيعى ، ولكن الغير المقبول أن يكون المثال عكس ما أريد التمثيل له ، والا فكيف يكون مثالا اذن ، فقصة ابراهيم وإبنه ، تختلف تفاصيلها كما رأينا عن قصة تخليص المسيح ، ولكنها تتفق معها فى خطوطها العامة ، فهنا امتحان للايمان ، وهناك امتحان للايمان ، وهنا نجاح فى ذلك الامتحان ، وهناك أيضا نجاح فيه ، وهنا خلص الله ابن ابراهيم ، وهناك خلص الله المسيح ، وهنا ذبح خروف عوضا عن ابن ابراهيم ، وهناك صلب يهوذا عوضا عن المسيح ، وعدم التطابق فى واحدة من هذه المعانى لا يكون معها الرمز رمزا ولا المثال مثالا ، وأن يخلص الله ابن ابراهيم بينما يصلب المسيح يعكس الرمز والمثال ، ولكنه لم يعكس ، بل هو صحيح وكامل ، وقد تم من جميع وجوهه واكتمل ، وما عدا ذلك فقول واضح البهتان .

هذا عن السيد / يسى منصور فى رده ، أما القمص باسيليوس اسحق فى كتابه الذى سماه الحق فيأتينا فى الصفحات من ١٢٧ — ١٢٩ من كتابه هذا من القول

بأعجبه ، اذ يبدأ باعطائنا درسا يوضح به لنا معنى الرمز فى الكتاب المقدس ، فهو يتساءل أولا قائلا . (هل كان اسحق رمزا المسيح كما قال بعضهم !) وللاجابة على هذا السؤال يقول لنا تحت عنوان توضيح الرمز فى الكتاب القدس : (يجب ألا يعتبر رمزا الا ما ذكر عنه الكتاب أنه رمز ، وان كان بعض المفسرين يحلو لهم ذكر بعض من ذكروا فى الكتاب القدس أنهم رمز للمسيح ولكن مادام الكتاب لم يؤيد هذا فلا يجب اعتباره رمزا ، مثال ذلك أنه صرح بأن ملكى صادق والحية النحاسية واللن كانوا رمزا الى المسيح (ب ٧ ، يو ٣) واذن فلا يسوغ لنا أن نعتبر اسحق رمزا الى المسيح كما ظن بعض المفسرين هذا خطأ منهم . واذن ما قاله بعضهم عن اسحق أنه كان رمزا الى المسيح ، واستنتج من تخليص اسحق ، وتقديم الكبش عوضا عنه ، تخليص الله المسيح من الصلب انما هو خطأ بحت لأن الكاتب اعتمد على نظرية خاطئة . ان الكتاب المقدس لم يذكر عن ابراهيم الا أنه كان من أبطال الايمان ... .) ثم سرد سيادته ما كان مع ابراهيم عليه السلام وابنه وانتهى الى القول :(وان دل هذا على شيء انما يدل على ايمان ابراهيم العظيم بأن الله قادر أن يقيم اسحق الذى قيل فيه المواعيد : «بالايمان قدم ابراهيم . . . وحيده الذى قيل له باسحق يدعى لك نسل اذ حسب أن الله قادر على الاقامة من الأموات أيضا» عب ١١)

بالله ، يتفق المسيحيون جميعا على أن ابن ابراهيم فى هذا المثال رمز ، بل أحد أكمل الرموز الكتابية للمسيح عليه السلام ، واذ أوضح ما فى هذا الرمز من دلالة ، وكيف أنه كرمز لا يعنى الا أن الرب خلص مسيحه ، بأن يستجيبه ويرفعه ، فيسقط فى يد السيد القمص باسيليوس ، فلا شك أنه رأى معى أنه لحق أننا لو اعتبرنا أن ابن ابراهيم هنا يرمز للمسيح ، لوجب القول بأنه انما يرمز الى تخليص الله له ورفعه اليه وليس صلبه كما قال غيره ، ولذا لا يجد

سبيلا للخروج من هذا المأزق ، الا بأن يتنكر لكل ما أجمع عليه المسيحيون من أن ابن ابراهيم هنا يرمز للمسيح مقررا أننى قد اعتمدت فى ذلك على نظرية خاطئة ، ولقد زدت نظريتى فى هذه الطبعة تفصيلا ، فأوضحت أننى لا آخذ بالرمز كما يقولون ، وانما أرى أن الله لكونه واحدا ، فان أعماله أيضا لا بد وأن تكون واحدة ، فتتفق ولاتتناقض ، وكما خلص الله ابن ابراهيم ، فانه لزام أن يخلص المسيح ، وأعتقد أن فى هذا الرد كفاية ، ولكن العجيب ، أن سيادته لم يسكت عند هذا الحد ، ولو سكت ، لكان واجبا أن نقول أن هذا رأيه الذى يعتقد به على أى حال ، وهو وشأنه فيه ، فهو لا يقبل أن يعتبر أمر ما رمزا ، الا بدليل كتابى يقول بأنه رمز ، وهذا مفهوم ، وهو حر فى رأيه ، ولكن غير المفهوم على الاطلاق ، أن يقول لنا بأن هذا هو رأيه ، ومع هذا فلا يطبقه بل يطبق عكسه آنيا الا أن يناقض نفسه وأن يهدم رأيه بنفسه ، اذ هو بعد العبارة السابقة له مباشرة استطرد قائلا :

(وهنا يستقيم الكلام اذا اعتبرنا أن اسحق يمثل الجنس البشرى ، لأن الله أمر بأن يقدم اسحق محرقة ، وما دام قد صدر الأمر الالهى بذلك فيتعين موته ، كما صدر أمر بموت آدم وزوجته ، وتداركتهما مراحم الله الغنية فذبح الله كباشا فدية عنهما كى لا يموتا . وهكذا كان الحال فى اسحق فان الأمر الالهى صدر بذبحه ، وكفر عن ذبحه بالكبش ، فلايكون الكبش هنا الا رمزا للمسيح ...)

فاذا كان سيادته يرفض ما استقر عليه المسيحيون من إن إبن ابراهيم هنا يرمز للمسيح قولا منه بأنه ليس هناك من دليل كتابى يقول ذلك ، فكيف استباح لنفسه رغم ذلك أن يجعل من اسحق رمزا للجنس البشرى والخروف رمزا للمسيح كما يدعى ، وأين هو الدليل الكتابى الذى يؤيده فى ذلك ، وان هذا التناقض

لا يعنى الا أمرا واحدا ، وهو أن السيد القمص وان كان فى الاصل يرفض أى رمز لا سند له من الكتاب المقدس يعتبره رمزا ، الا أنه لا مانع لديه من قبول أى رمز خلافا لذلك ، بشرط واحد ، هو أن يدلل على صلب المسيح وليس تخليصه .

وهكذا ، وعلى نحو ما تقدم ، فاننا نجد أن كل ما يعتبره المسيحيون نبوءات عن صلب المسيح عليه السلام فى العهد القديم ، ليس فيه بحق ، الا نبوءات عن تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، الا أنهم رغم وضوحها وصراحتها يتحايلون عليها بشتى الطرق ، ليصلوا منها الى أن الذى تنبأ العهد القديم بصلبه هو نفسه المسيح عليه السلام ، ولما كان الواقع هو العكس ، فانهم لا يجدون سبيلا الى ذلك الا بأن يخالفوا كل منطق وكل صواب كما رأينا فى النبوءات التى يقولون بها والتى بحثناها فيما سبق ، ولكن ، على كل هذا ، فان النبوءات باقية أبدا ، وستظل كما هى ، صريحة قاطعة واضحة لا مجال لأى لبس بشأنها .

المبحث الرابع

كيف لا يستدل المسيحيون من نبوءات العهد القديم على تخليص الله للمسيح وصلب يهوذا بدلا منه

والسؤال هنا يبدو بديهيا حقا ، فاذا كنا بنفس منهج المسيحيين فى البحث ، وبنفس طريقتهم فى دراسة الكتاب المقدس وما جاء فى العهد القديم من نبوءات ، قد انتهينا بحق الى أن الله خلص مسيحه ورافعه اليه وأن الذى يقبض عليه ويحاكم ويصلب انما هو يهوذا الاسخريوطى لا المسيح عليه السلام ، وقد انتهينا الى كل ذلك بسهولة ويسر ووضوح ، فكيف اذن لا يصل المسيحيون الى كل ذلك ، وخاصة أن هذا هو نفس منهجهم وهذه هى طريقتهم فى البحث نفسها ، ألا يبدو وكأن فى الأمر ثمة خدعة ، بل اننا قد انتهينا أيضا ، الى أن فى العهد الجديد نفسه ما يؤيد

ذلك كله ، فهل هذا معقول ، وأين اذن هذه الملايين التى لا حصر لها من المسيحيين طوال هذه السنين ، كيف يعمون عن كل ذلك، إنه لحقا أمر يبدو بعيدا عن التصديق.

ولعلنا نجد فى كيفية استدلال المسيحيين على تنبؤ العهد القديم بصلب المسيح كما بينا فى البحث السابق ما يغنينا عن الاجابة على هذا التساؤل ، ولكننا واذ نقدر أهمية السؤال عنوان هذا البحث ، نرى لزاما علينا أن نبحث عن الحقيقة بشأنه ، ليكون فيها بالاضافة الى كل ما سبق ، الجواب الذى لا يرد .

ونحن نذكر بطبيعة الحال ما قلناه فى الفصل الثانى من هذا الباب عن طريقة درس الكتاب المقدس عن طريق الرموز ، والتى فصلها كتاب كيف تدرس الكتاب المقدس الذى سلفت الاشارة اليه ، ونعرف أن المؤلف قد وضع قواعد أو شروطاً لكيفية دراسة الكتاب المقدس بهذه الطريقة ، الا أننا لم نذكر عندئذ أمراً آخر ورد فى نفس الكتاب ، وقد آن الاوان لأن نذكره فى هذا البحث هنا ، فالكتاب المشار اليه اذ بين طرق دراسة الكتاب المقدس وفصل الشروط والقواعد التى يجب اتباعها بالنسبة لكل طريقة منها ، عاد فى الجزء الثانى من الكتاب ليحدد الشروط الأساسية التى يجب اتباعها بالنسبة لكل الطرق التى أشار اليها ، وفى هذا نقرأ أبتداء من صفحة ٨٧ من الكتاب :

(سبق أن أنعمنا النظر فى سبع طرق مفيدة لدراسة الكتاب المقدس ، لكن بقى هنالك ما هو أهم بكثير من أفضل هذه الطرق جميعا ، وأعنى بذلك الشروط الأساسية للدراسة المفيدة . فمن يستوف هذه الشروط يكن الفائز من دراسة الكتاب المقدس — ولو كانت طريقته اردأ الطرق — بنفع أجزل وفائدة أكثر من الفائدة التى تعود على الذى يتبع أفضل الطرق دون أن يستوفى تلك الشروط

١ — وأول الشروط الأساسيه التى لابد منها لدراسة الكتاب المقدس دراسة تعود بأجزل الفائدة : أنه يجب على الدارس ، أى « الطالب » أن يكون مولوداً

ولادة ثانية .

فالكتاب المقدس كتاب روحى اذ هو يقارن الروحيات بالروحيات ...
والرجل الروحى هو وحده الذى يستطيع أن يفهم من تعاليم الكتاب أكثرها عمقاً ... ولا يمكن الحصول على التميز الروحى الا بطريقة واحدة أى بالولادة الجديدة ... ومن الحقائق البديهية التى لاتحتاج الى تبيان : أن كثيرين من السذج البسطاء ... على قدر كبير وقسط وافر من الدراية بالمحتويات الحقيقية وبالتعاليم العملية التى يضمها الكتاب المقدس بين دفتيه ... بحيث أن هذه الدراية أو المعرفة تفوق ما لدى كبار الأساتذة الأعلام فى الكليات والمعاهد اللاهوتية ... فيجب أن يكون مفهوما فهما جيدا أنه حين توجد فى الكتاب المقدس تعاليم يستطيع الانسان الطبيعى ، أن يفهمها ، وجمال يستطيع أن يراه ، فان أكثر التعاليم التى يمتاز بها الكتاب والتى يختص بها ، هى أبعد من أن تكون فى متناول هذا الانسان الطبيعى ...

٢ — وثانى الشروط ... أنه يجب على الدارس « أى الطالب » ، أن يحب الكتاب المقدس .

٣ — ثالث الشروط ... الاستعداد للجد والكد ، فى هذه الدراسة .

٤ — رابع الشروط ... ارادة مسلمة تسليما كاملا .

قال يسوع : « ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم » (يوحنا ٧ : ١٧) فالمشيئة المستسلمة المذعنة إذعانا تاما هى سر الرؤيا الواضحة الصافية الجلية ، التى لابد منها لتفهم كتاب الله . اذ أن الكثير من صعوبات الكتاب وغوامضه تنجم أولا وأخيرا عن أن مشيئة دارس الكلمة ليست مذعنة إذعانا كاملا ولا مسلمة تسليما شاملا الى مشيئة مؤلف الكتاب . وما أكثر الآيات التى يكتنفها الغموض المعقد والصعوبات المتناهية من كل جانب — تلك الآيات التى سببت لنا ، فى وقت من الأوقات الحيرة والارتباك . لكن ... ما أبهى الجمال الذى يكسو هذه الآيات

وما أصفى وضوحها وما ابسطها لنا ، عندما تأتى المكان الذى تخاطب فيه الله بالقول « انى أسلم مشيئتى لك بلا قيد ولا شرط » . « لكن لا ارادتى ، بل ارادتك . علمنى مشيئتك . » . فالمشيئة المستسلمه وحدها تصنع عجبا فى جعل الكتاب المقدس « كتابا مفتوحا » تقصر دونه الدراسات الجامعية. ومن الجلى الواضح أن حصولك على أجزل فائدة من دراسة الكتاب أمر مستحيل الى أن تسلم ارادتك لله ، فهذا أمر ينبغى أن تكون متأكدا منه تمام التأكد قبل كل شىء . . .

٥ ـ أما خامس الشروط . . . : . . . دارس الكتاب المقدس . . . يجب أن يطيع تعاليم الكتاب بمجرد اتضاحها له .

٦ ـ سادس الشروط . . . : أن تفحص الأمر بذهن الأطفال ، فان الله يعلن لهم عمق حقه .

. . . فلا تتقدم الى الكتاب المقدس وأنت ممتلىء من آرائك وأفكارك أنت ، ولا تتقدم الى الكتاب المقدس باحثا عما قد يؤيد هذه الآراء والأفكار، بل الأحرى بك أن تتقدم الى الكتاب لتكشف آراء الله كما يعلنها هو فى كتابه . نعم، لاتتقدم الى الكتاب لعلك تعثر هنا أو هناك ، على ما قد يؤيد رأيك ، بل تعال لتعرف مسرة مشيئة الله . فاذا تقدم انسان الى الكتاب المقدس ليجد فيه آراءه وأفكاره ، فسيجدها ، لكنه اذا اتى كالطفل الذى يدرك جهالته ، فمما لاشك فيه أنه واجد شيئا ما أفضل بما لا يقاس من أفكاره وآرائه ، اذ أنه لابد واجد فكر الله نفسه، من هذا يتضح لنا السبب الذى من أجله لا يرى الكثيرون حقائق الكتاب المقدس رغم وضوحها فيه بجلاء . انما السبب هو أن العقيدة التى امتلأوا بها قد ملكت عليهم كل تفكيرهم ، بحيث لم تترك سبيلا الى حقيقة أخرى ينص عليها الكتاب فعلا . ولنا على هذا مثال فى الرسل أنفسهم ، فى احدى مراحل تدريبهم . ففى مرقس ٩ : ٣١ نقرأ . . . « لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم أن ابن الانسان يسلم

الى أيدى الناس فيقتلونه ، وبعد أن يقتل يقوم فى اليوم الثالث» . ان هذه الكلمات تحدد المعنى المراد ، وتجعله ظاهرا جليا بحيث لا يمكن أن تجد فى اللغة كلمات أكثر توضيحا وتحديدا . ولكن ذلك كان مخالفا تماما لما جال فى أذهان الرسل من أفكار عن الأحداث التى تزمع أن تقع للمسيح . لذلك نقرأ فى العدد التالى مباشرة « وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه » ، أليس هذا أمرا عجبا ؟ لكن أليس الأكثر عجبا أن نعجز عن ادراك التعاليم الصريحة الواضحة الواردة فى الكتاب المقدس بأبسط عبارة ، خالية من كل تعقيد — وذلك اذا جاءت على النقيض مما سبق أن فكرناه وأرتأيناه ؟ . . .

٧ — سابع الشروط . . . : أن ندرسه « الكتاب المقدس» باعتباره كلمة الله.

. . . ونحن . . . نحسن صنعا عندما نشكر الله على الحالة التى فيها يكون قبولنا لكلمة الله « ككلمة الله » . وهذا لا يعنى أن نثبط همة الشخص الذى لا يؤمن أن الكتاب المقدس هو كلمة الله ، وذلك بأن نحول دون دراسته . فالحقيقة التى لا مراء فيها هى أن درس الكتاب هو أفضل ما يمكن أن يعمله انسان لايؤمن أن الكتاب المقدس هو كلمة الله .

ودراسة الكتاب المقدس تتضمن أربعة أمور :

(١) الأمر الأول : أنها تتضمن قبول تعاليمه قبولا تاما عندمايؤكدها الوحى تأكيدا قاطعا نهائيا ، حتى لو بدت غير منطقية أو مستحيلة التحقيق . فالمنطق الحقيقى هو الذى يتطلب منا أن نخضع حكمنا وتعليلاتنا لما تقرره الحكمة اللانهائية فاذا اقتنعنا بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله لا تعود تعاليمه موضوعا للجذب والشادة . . .

(٢) الأمر الثانى : أن دراسة الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله تتضمن الاعتماد المطلق على جميع مواعيده فى كل ما تحمله هذه المواعيد من معنى ومبنى . فالذى يدرس الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله لن يمس — من قرب أو من بعد —

ولو واحدا من هذه المواعيد ، بل يقول « ان الله لا يستطيع أن يكذبه ، فقد وعد ... » ، ولن يحاول دارس الكتاب أن يجعل الله كاذبا بأن يتخذ من أحد هذه المواعيد معنى أقل مما يحتمله النص . بل ان دارس الكتاب المقدس يكون متحفزا دائما ، وبالمرصاد دائما ، بحثا وتنقيبا عن المواعيد . وبمجرد عثوره على وعد منها يحاول جهده أن يؤكد صحة المعنى الذى يعنيه . . .

(٣) الأمر الثالث : أن دراسة الكتاب المقدس . . . تتضمن الطاعة فى كل ما يفرضه ويأمر به ...

(٤) الأمر الرابع : دراسته ... كما فى حضرة الله ...

٨ ـ ثامن الشروط ... : أن يكون ذلك فى روح الصلاة .

..........)

وهذه الشروط لدراسة الكتاب المقدس ، كما يبين منها ومن غيرها مما نقرأه فى كتب أو مقالات فى نفس الموضوع ، هى مما يأتمر به المسيحيون عموما فى أبحاثهم ، ولا نرى داعيا لتكرار ما كتب فى هذا الخصوص ، اكتفاء بالشروط المفصلة التى سلف بيانها ، ونعود الآن الى التساؤل ، لماذا لا يصل المسيحيون الى الحقيقة رغم وضوحها فى الكتاب المقدس ، ورغم أن الوصول اليها هو بنفس الطريق الذى يتخذون منه منهجا لدراستهم وأبحاثهم .

والتساؤل هنا خاص بالمسيحيين أنفسهم ، وهم يعتبرون أنفسهم مولودين ولادة ثانية ، وهم بالطبع يحبون الكتاب المقدس ، ومن يبحث منهم فيه قد يكون مستعدا للجد والكد فى دراسته ، ولان يطيع تعاليمه بمجرد اتضاحها له ، وأن يدرسه فى روح الصلاة ، ولذا فلا محل هنا لبحث الشروط ١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٨ ، وتبقى الشروط ٤ و ٦ و ٧ ، ولذا سنبحث فى هذه الشروط وما تنتهى بهم اليه فى دراستهم للكتاب المقدس ، ومدى كونها حقيقة بأن تتبع من عدمه .

ورغم أن الكاتب هنا لم يوضح الارتباط بين الشرطين الرابع والسابع ، الا أن الواقع أن الارتباط بينهما وثيق للغاية ، فالشرط الرابع يستلزم من دراس الكتاب المقدس أن يسلم تسليما كاملا لمشيئة مؤلف الكتاب ، ولا شك أن السبب فى هذا التسليم هوالاعتقاد بأن الله هو مؤلف هذا الكتاب أو الوحى به ، وهذا نفسه هو مضمون الشرط السابع ، وعلى أى حال فالمهم هنا هو ما يؤدى اليه التمسك بهذين الشرطين فى دراسة الكتاب المقدس .

وطبيعى أن هذه الشروط وهى موجهة للمسيحين ليلتزموها فى دراستهم للكتاب المقدس بصفة عامة ، فانها تنصرف بداهة للعهد الجديد باعتباره جزءا من الكتاب المقدس ، وذلك ان لم تنصرف الى العهد الجديد بصفة خاصة، والشرطان المذكوران اذ يتطلبان من الدارس التسليم لمشيئة مؤلف الكتاب المقدس ، وأن يدرسه باعتباره كلمة الله ، فانهما يتطلبان بداهة أيضا ، وبالتالى ، التسليم لمشيئة مؤلفى العهد الجديد باعتباره كلمة الله ، بما يؤدى اليه ذلك من ضرورة تقبل تعاليمه قبولا تاما حتى لو بدت كأنها غير منطقية او مستحيلة التحقيق، ومن ضرورة الاعتماد المطلق على مواعيد الكتاب فى كل ما تحتمله من معنى ومبنى ، وعلى دارس الكتاب ألا يمس من قريب أو بعيد ولو واحدا من هذه المواعيد ، بل يجب على دارس الكتاب أن يكون متحفزا وبالمرصاد دائما بحثا وتنقيبا عن هذه المواعيد ، حتى اذا عثر على وعد منها يحاول جهده أن يؤكد صحة المعنى الذى يعنيه .

ولنطبق هذه الشروط على أى من النبوءات التى بحثناها ، ولنأخذ على سبيل المثال المزمور ٢٢ ، فهذا المزمور يتنبأ بحق عن الصلب وكل ما يجرى فيه ويحدد أيضا شخصية المصلوب ، والدارس فى الكتاب المقدس يجد فى هذا المزمور نبوءة صريحة واضحة عن الصلب ، ولكنه يجد المصلوب محدد شخصيته فيه بقوله « أما أنا فدودة لا انسان.عار عند البشر »، وطبيعى أن يجد الباحث أنه من غير المنطقى ، بل

ومن المستحيل أن يكون المسيح هو المقصود بهذا الكلام ، بل انه واضح الانطباق على يهوذا الاسخريوطى طبقا لما سبق أن شرحناه ، فهل يسلم الباحث ازاء ذلك بأن المزمور انما تنبأ عن صلب يهوذا الاسخريوطى ، هنا يبرز أثر الشرطين فى توجيه الدارس ، فالعهد الجديد يجمع على أن الذى صلب هو المسيح عليه السلام ، وعلى الدارس أن يسلم بمشيئة مؤلفى العهد الجديد فى ذلك ، ومن ثم فعليه أن يقول بأن المسيح هو الذى صلب ، وذلك أيضا ما يحتمه عليه اعتباره للعهد الجديد ككلام الله ، وما دام العهد القديم هو كلام الله أيضا ، فانه بدوره لا يجوز أن يكون قد تنبأ الا بصلب المسيح أيضا ، وعلى هذا فيجب القول بأن الزمور ٢٢ إنما يتنبأ عن صلب المسيح وليس يهوذا الاسخريوطى ، وصحيح أنه من غير المنطقى ، بل من المستحيل أن يقال عن المسيح أنه دودة لا انسان وعار عند البشر ، الا أن ذلك كله لا يهم ، وانما يجب فحسب التسليم به ، بل ويجب أيضا على الدارس أن يحاول تأكيد صحة انطباق هذا الكلام على المسيح ، ولذا كان ما وجدناه من تفسيرات وتبريرات للقول عن المسيح بأنه دودة لا انسان وعار عند البشر ، لا يمكن قبولها كتفسيرات أو تبريرات معقولة أو حقيقة بأى اعتبار .

ولنأخذ مثلا آخر ، المزمور ٢٠ ، فهو أصرح وأوضح نبوءات العهد القديم كلها ، وهو يتنبأ بكل جلاء وقطع ، ويتضمن معنى التنبؤ كاملا قاطعا ، يتنبأ كما سبق أن رأينا بان « ... الرب مخلص مسيحه .. » ، كما أن المزمور يقطع بأن ذلك التخليص سيكون لحظة محاولة القبض على المسيح بوصفه الأعداء بأنهم قادمون بمركبات وبخيول ، ومع هذا نجد أن كاتبا مسيحيا هو السيد فخرى عطية ، وهو يرى — وكما سلف القول فى التعليق على ذلك المزمور — أن هذا المزمور قصد به ما كان مع المسيح تماما ، ولكن العهد الجديد لا يشير الى تخليص المسيح ،

وانها الى صلبه ودفنه ثم قيامته من الأموات ، وهو ، ومع تسليمه بانطباق المزمور على المسيح ، لا يستطيع أن يقر بتخليصه ، اذن يجب أن يأتى بتفسير يتفق مع المزمور ، وهنا يرى ضالته فيما قيل عن قيامة المسيح من الأموات ، ولكن هيهات أن يكون صلب المسيح ودفنه ثم ما قيل عن قيامته من الأموات هو تخليصه ، خاصة والتخليص الذى يشير اليه المزمور هو عن لحظة فيها مركبات وخيول ، وليس فى القبر ذلك بحال ، هذا عن السيد / فخرى عطية ، ولكن كاتبا آخر هو القمص باسيليوس اسحق ، شعورا منه بقوة النبوءة فى هذا المزمور ، وبأنه لو سلم بأنها عن المسيح لوجب عليه أن يسلم بتخليصه من الصلب ، لا يرى سبيلا ليرد به على الا بالإدعاء بأن المسيح المشار اليه فى هذا المزمور ليس هو يسوع المسيح الذى صلب ، ثم يحاول أن يشرح لى معنى كلمة مسيح بما يخرج منه نفس السيد / فخرى عطية بأن المقصود بها يسوع المسيح نفسه ، وفوق هذا يرميني السيد القمص بالجهل بكتب النصارى أو محاولة التضليل ان كنت على علم بها ، ويقينا فإن سيادته لا يعترض على ما انتهى اليه السيد / فخرى عطية من تطبيق المزمور على المسيح ما دام لا ينتهى الى تخليصه من الصلب ، وفقط يعترض على لأننى أستخلص بحق أن هذا المزمور إنما يتنبأ بتخليص المسيح بنفيه أصلا انطباق هذا المزمور على المسيح .

ومثل ثالث ، تقدمة اسحق الواردة فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين ، فقد وجدنا بحق أنها ترمز الى تخليص الله للمسيح عليه السلام وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه ، فنرى الكتاب المسيحين يرون فى اسحق فى هذا الاصحاح رمزا للمسيح عليه السلام ، حتى اذا ما وصلوا الى أهم ما فى هذا الرمز ، وهو تخليص الله لاسحق حين هم والده بذبحه ، فافتداه بذبح آخر ، يتجاهلون هذه الحقيقة ، فمنهم من يغض النظر عنها ، وبعد أن كان يرى فى اسحق رمزا

للمسيح يعود فيرى فى الكبش رمزا له ، ومنهم من يرى نفس الرأى ولكن لا يغض النظر عنها فيرى أن الرمز نفسه لم يكتمل لعدم ذبح اسحق ، أو أن الرمز لم يتم من وجه واحد هو هذا الوجه ، أو أنه تم من هذا الوجه ولكن تخليص المسيح كان بقيامته من الأموات ، ومنهم من ينفى ما أجمع عليه المسيحيون من أن اسحق يرمز للمسيح تماما كما نفى أن الآية « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .. » فى المزمور ٢٢ قصد بها المسيح ، وهو القمص باسيليوس اسحق ، وهكذا وجدنا فى شأن هذه التقدمة كل التناقضات ، ولا يجمعها إلا أمر واحد ، وهو أنها على أى الأحوال لا يجوز أن تنتهى الا لما يؤيد ما ورد فى العهد الجديد من صلب المسيح ودفنه وقيامه من الأموات ، ولا يهم على أى صورة يصلون الى ذلك ، مهما تناقضت واختلفت كل الصور والسبل ، ولكن الذى لا شك فيه أنها كلها خاطئة ، وكلها تحمل الرمز عكس ما يحتمله ، والصحيح الذى نصل اليه بكل يسر وسهولة فى هذا الشأن ، هو أن رمز هذه التقدمة ، انما يرمز بحق الى تخليص الله للمسيح وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه .

وبذلك يتضح لنا بجلاء ، السبب فى أن المسيحيين لا يصلون الى حقيقة ما تنبأ به العهد القديم من تخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، وهو ما انتهينا اليه بحق ، وهو أنهم انما يتقيدون فى أبحاثهم ودراساتهم بالنتيجة التى يتحتم عليهم أن يصلوا اليها مقدما ، بينما لو أن أحدا لم يتقيد فى بحثه بضرورة الوصول الى نتيجة معينة ابتداء ، أى لم يتقيد بغير استهداف الوصول الى الحقيقة نفسها أيا كانت ، فهو لابد واصل اليها حتما ، فهى ساطعة فى العهد القديم ، وفى المزامير بالذات كما بينا ، سطوع النور ذاته ، وما على من يستهدف الحقيقة إلا أن يطالع الآيات وحدها ، ليجد نفسه ينطق بالحقيقة التى ينكرونها ، سيرى بحق أن الرب مخلص مسيحه فيرسل من العلا ويأخذه ويرفعه فوق القائمين عليه ولا يحبسه

في يد العدو واليه لا يقرب ، كما سيرى بكل جلاء أن يهوذا الاسخريوطى هو الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب فيسقط بذلك فى الحفرة نفسها التى حفرها للمسيح سيده ويعلق على الصليب بعمل يديه ويرجع بذلك تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه ... الخ .

وإن المتأمل للشرطين الرابع والسابع المشار اليهما فيما سبق ، ليكاد أن يقطع بأن واضعهما يعرف بيقين ، أنه لو أطلقت للباحث حرية البحث عن الحقيقة وحدها فانه سينتهى من العهد القديم الى ما يخالف ما جاء به العهد الجديد ، فيصل الى أن الله مخلص مسيحه ورافعه اليه وأن الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب هو يهوذا الاسخريوطى لا المسيح ، ولكن هذه النتيجة لا يقبلونها ، لأنها على هذا النحو تهدم المسيحية كما يتصورونها ، ولذا يقيدون الباحثين منهم بالنتيجة التى يتحتم عليهم أن يصلوا اليها قبل أن يبدأوا أى بحث ، ولو أنهم قبل أن يضعوا مثل هذه الشروط كانوا موقنين بأن العهد القديم يتفق تماما مع العهد الجديد ، لما كان هناك لزوم لمثل هذين الشرطين ، ولكان كافيا أن يطلبوا من الباحث أن يبحث عن الحقيقة بنفسه، بغير قيد ولا شرط ، فيجدها .

ونعود الى الشرط الذى لم نتناوله بعد ، وهو الشرط السادس ، وهو فى الواقع ما نسأل كل مسيحى وكل انسان يريد أن يبحث فى الكتاب المقدس — بل وفى أى موضوع آخر — أن يتقيد به ، فهو يقول بأن الدارس يجب ألا يتقدم إلى الكتاب المقدس وهو ممتلىء من آرائه وأفكاره ، وألا يتقدم اليه باحثا عما قد يؤيد هذه الآراء والأفكار ، بل الاحرى به أن يتقدم الى الكتاب ليكشف آراء الله كما يعلنها هو فى كتابه ، ولكن الغريب أن الكاتب على استلزامه هذا الشرط ، يحتم على الدارس بالشرطين الرابع والسابع أن يتقيد قبل البحث بآراء وأفكار معينة ، بنتيجة معينة لا يجوز له أن يتجاوزها بأى حال ، ولكننا نسأل كل دارس أن يبحث

بنفسه بغير أن يتقيد مقدما بأى نتيجة ، وإنا لواثقون أنه واصل بذلك الى الحقيقة عينها ، فهى تنطق بنفسها فى غير حاجة الى جهد أو تعب .

هذا كله بالنسبة المسيحيين فى قراءتهم ودراستهم للكتاب المقدس ، ووفقا للشروط التى طالعناها ، فما هو الحال ياترى بالنسبة لغيرهم ، ممن لايعتبرون طبقا لهذه الشروط مولودين ولادة ثانية ، فهل يقف شرط الولادة الثانية الذى وضعه الكاتب فى شروطه لدراسة الكتاب المقدس ، حائلا بين غير المسيحيين وبين الكتاب المقدس فينغلق عليهم فهمه ، ولسنا هنا نريد أن نخوض فى أمر ما يسمى بالولادة الثانية ، فهى تخرج عن نطاق هذا الكتاب ، وانما الذى يعنينا هنا الآن هو ما اذا كان اشتراطها على هذا النحو لدراسة الكتاب المقدس أمر يتفق مع المسيحية نفسها أو يقره المسيح عليه السلام أم لا .

وهنا نقرأ ما ورد على لسان المسيح عليه السلام فى انجيل متى فى الآيات التى تقول « وبينما هو متكىء فى البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه . فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة . فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى . فاذهبوا وتعلموا ما هو . انى أريد رحمة لاذبيحة . لأنى لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة الى التوبة . » (ص٩ : ١٠ — ١٣) ، فها هو المسيح عليه السلام يرد على هؤلاء الذين عابوا عليه أن يجلس مع عشارين وخطاة ، موضحا الهدف من رسالته وغايتها ، مؤكدا أنه ما جاء يدعو أبرارا ، بل خطاة الى التوبة ، ومهما قال المسيحيون فى غير المولودين ولادة ثانية فلن يستطيعوا أن يزيدوا عن وصفهم بالخطاة أو عن تشبيههم بهؤلاء الخطاة الذين جاء المسيح يدعوهم ، ومع ذلك ، فالخطاة هم عماد رسالة المسيح وروحها ، ومنه عليه السلام نعرف أنه جاء ليدعو الخطاة ، والخطاة أولا وقبل غيرهم ، فاذا كان المسيح يتوجه بخطابه ودعوته أصلا الى الخطاة ، ألا يعنى ذلك

أنهم لا بد وعلى الأقل قادرون أن يفهموا ما يقوله لهم ، وأن يعرفوا تماما ما يقصده ، والا فانه ليكون عبثا أن يوجه الخطاب اليهم ، ومثل ما صدر عن المسيح أيضا وبطبيعة الحال كل ما ورد فى العهد القديم ، فقيم اذن اشتراط أن يكون الانسان مولودا ولادة ثانية كما يقولون حتى يستطيع دراسة الكتاب المقدس وأن يفهمه .

والحق ، فان هذه الشروط الموضوعة لدراسة الكتاب المقدس كلها ، لا أساس ولا سند لها من الدين على الاطلاق ، وهى انما وضعت ، وكما تبينا فيما تقدم ، لأن الباحث لو لم يتقيد بها لوصل بحق الى النتيجة التى انتهينا اليها من قبل ، وهى أن العهد القديم انما تنبأ بتخليص الله للمسيح ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، ولكن هذه النتيجة لا تتفق مع ما جاء فى العهد الجديد ، ولذا كان لا بد من وضع شروط تقيد الباحث بألا يصل فى بحثه الى أية نتيجة لا تتفق وما جاء فى العهد الجديد ، وطبيعى أن يبدو فى ذلك تناقض واستحالة ، ولذا كان شرطا ألا يهتم الباحث بما قد يعترضه من تناقض أو استحالة ، تسليما منه بنتيجة محددة ابتداء ، ويرتضى المسيحيون هذه الشروط ، اذ لا يريدون الا ما يثبت معتقداتهم ويؤيدها ، ولكن غير المسيحيين من المستحيل تقيدهم بهذه الشروط ، وهم اذ لا يتقيدون بها سيصلون الى عكس ما ينتهى اليه المسيحيون فى أبحاثهم ، لا لشىء ، الا لأن هو العكس هو ما يطابق الحقيقة ، ولا بد اذن من وجود تبرير لهذا ، فلا يجد المسيحيون سوى شرطا جديدا يضيفونه الى شروط دراسة الكتاب المقدس ، وهو أن يكون الدارس مولودا ولادة ثانية، أى مسيحيا، ليستطيع أن يفهمه ، ويرون فى ذلك تبريرا لوصول غير المسيحيين لعكس النتائج التى يصل المسيحيون اليها ، وهو أنهم غير مولودين ولادة ثانية ، ولذا تعذر عليهم فهمه فوصلوا الى عكس ما وصل المسيحيون اليه ، ولكن أين هو السند لكل هذه

الشروط ، لا شيء ، لا سند على الاطلاق ، سوى الهدف الوحيد الذى يبغونه ، وهو ضرورة الوصول الى تطابق العهد القديم مع كتب العهد الجديد المتداولة ، ولكن هيهات ، فلا الشروط بالصحيحة ، ولا الحقيقة بالتى يمكن أن تغيرها مثل هذه الشروط ، وهى ستبقى أبدا ، ساطعة جلية ، تنطق بها أسفار العهد القديم ، وينطقها حتى هؤلاء الذين ينكرونها ، وليظلوا على انكارهم ما شاءوا ، فأبدا ذاك لن يغير منها .

ويلاحظ هنا أننا قد اصطدمنا ثانية بالعهد الجديد ، فرفضنا التسليم ابتداء لمشيئة مؤلفيه ، وفى كل ما انتهينا اليه بحق ، وصلنا الى ما يناقض ما جاء فى العهد الجديد عن صلب المسيح ، وكل هذا يلقى كثيرا من الأهمية ، على البحث فى امكان ورود وقائع غير صحيحة فى العهد الجديد ، وهو ما سنفرد له المبحث السادس من هذا الفصل كما قلنا من قبل .

المبحث الخامس

تفسير تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه وبحث عقيدة المسيحيين فى الصلب

سبق أن قلنا أن العقيدة يجب أن تكون شاملة مانعة ، لهذا فانه لا يكفينا أن نثبت أن الله قد خلص المسيح عليه السلام ورفعه اليه ، وأن الذى قبض عليه وحوكم وصلب هو يهوذا الاسخريوطى ، وانما يجب أيضا أن نفهم هذا كله ، وأن نعرف لماذا كان ، ولسنا هنا نريد أن نوجد تبريرا أو تعليلا يوافق الحقيقة التى انتهينا اليها ، وانما نريد أن نتلمس حقيقة الأمر فنعرفه كما هو فى الواقع ، ولذا فلسنا فى حل أن نأتى بتفسير من عندنا ، وانما يجب أن يكون التفسير من الواقعة نفسها ، ومن حكمة الله فيها ، ومن الكتاب المقدس نفسه الذى أوردها .

على أنه ينبغى هنا ألا نغفل ، أن عقيدة الصلب قد استقرت لدى المسيحيين ، وفى استقرارها هذا استقرت معه تفسيرات ومفهومات معينة ، لا يجوز التغاضى عنها ، بل يتعين علينا أن نبحثها أيضا لنرى مدى مطابقتها للحقيقة والواقع واتفاقها معها ، بل إنه استكمالا لكمال العقيدة ، فانه ينبغى أن نتناول ما عسى أن يكون قد بقى من اعتراضات على القول بتخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه مما لم يرد فى المباحث السابقة ، خاصة ما يثيره المسيحيون أنفسهم ، وعلى هذا نبحث فيما يلى على التوالى : عقيدة الصلب عند المسيحيين ، ثم تفسير تخليص الله للمسيح ورفعه اليه ، ثم ما بقى من اعتراضات على ما انتهينا اليه مضافا اليها مايثيره المسيحيون أنفسهم من اعتراضات فى هذا الخصوص .

أولا : عقيدة المسيحيين فى الصلب :

يحيط المسيحيون اعتقادهم بصلب المسيح عليه السلام بأكبر جانب من الأهمية والاعتبار ، حتى أصبح الايمان بصلب المسيح هو قوام الايمان بالمسيحية ، وحتى أصبح من لا يؤمن بصلب المسيح محال أن يعد مسيحيا ، وأقاموا حول واقعة الصلب نظرية فى الغفران أدمجوها فيما سموه بقانون الايمان ، وفيه موجز لهذه النظرية يقول : (... هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء . وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى . وتألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب .)

فالمسيح فى الاعتقاد المسيحى اذن ، وهو الله نفسه ، قد نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء ، من أجل البشر ومن أجل خلاصهم ، وتأنس وصلب عنهم (أى عن المسيحيين كما يفهم من سياق القانون) ، فى عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر ... الى آخر ذلك .

أما هذا الخلاص الذى يشير اليه القانون ، فيربط المسيحيون بينه وبين خطيئة

آدم التى أشار اليها سفر التكوين ، فلنتعرف اذن على هذه الخطيئة لنفهـــم فـكرة الغفران هذه عند المسيحيين ، وفى ذلك نقرأ فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين:

« وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتا تموت.» (١٦و١٧)

ويضيف الاصحاح الثالث من نفس السفر :

« وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله . فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة . فقالت المرأة للحية من ثمر شـجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا . فقالت الحيــة للمرأة لن تموتا . بل الله عالم أنه يـوم تأكـلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل . فانفتحت أعينهما وعلما انهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر .

وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت . فقال من اعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت . فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذى فعلت . فقالت المرأة الحية غرتنى فأكلت . فقال الرب الاله للحية لأنك فعلت هذا ملعـونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك . وأضع عداوة بينك وبين المرأه وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه . وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك . بالوجـع

تلدين أولادا . وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك . وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الارض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . وشوكا وحسكا تنبت الك وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الارض التى أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود .

ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى . وصنع الرب لآدم وامرأته اقمصة من جلد وألبسهما .

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها . فطرد الانسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . »

هذه هى خطيئة آدم وحواء امرأته كما وردت فى الكتاب المقدس ، وكان هذا هو جزاء الله لهما وللحية من قبلها ، ويعتقد المسيحيون أنه بما أن آدم الذى ولد منه البشر قد فقد بهذه الخطيئة حياة الاستقامة التى خلق بها وأصبح خاطئا قبل أن ينجب نسلا ، وبذلك يكون طبيعيا أن يولد منه البشر جميعا خطاة نظيره ، وهكذا فان كل انسان انما يولد والخطيئة فيه ، ولكن الله كامل ، ولا يمكن أن يساكنه الا الكامل نظيره ، وعلى هذا الأساس فلا يمكن أن يدخل ملكوته أى من الناس لأنهم جميعا يحملون الخطيئة ومن ثم فهم غير كاملين ، ولكن الله يريد أن يتصالح مع الناس على خطيئتهم ، أو بمعنى أصح ، على خطيئة آدم ، ويرى المسيحيون أن هذا التصالح لا يمكن أن يكون الا بالفداء ، بل وبالدم أيضا ، ثم يسردون بعد ذلك الشروط الواجب توافرها فى الفادى حتى ينتهوا الى أنه يجب أن يكون انسانا وألا يكون خاطئا وألا يولد من الخطيئة ويجب أن يكون مساويا لقيمة الناس جميعا

ويجب أى يكون شخصا غير مخلوق وأن يكون ذا قدرة غير محدودة حتى يستطيع احتمال كل شناعة الخطيئة وآلامها عوضا عن البشر ، وينتهون بعد غير ذلك من الشروط الى انها لايمكن أن تتوافر فى غير الله الذى يتجسد من الروح القدس ومريم العذراء ، فيكون الله الابن ، أو المسيح الذى بعد أن تأنس صلب من أجل البشر ومن أجل خلاصهم من خطيئة آدم السالف ذكرها .

ومن هنا كانت فكرة الغفران فى المسيحية ، فآدم عليه السلام قد عصى ربه وأكل من الشجرة التى حرم عليه أن يأكل منها ، وبذا وقع فى الخطيئة ، ولهذا ولد الناس كلهم بالخطيئة ، واقتضت عدالة الله تخليص البشر من هذه الخطيئة ، ولم يكن ذلك ممكنا الا بأن يتجسد هو نفسه من الروح القدس ومريم العذراء ليكون المسيح الذى صلب من أجل البشر ومن أجل خلاصهم من خطيئة آدم ، وهكذا تكون رسالة المسيح ، أنه وهو الله ، نزل ليتأنس ويصلب وليخلص البشر بذلك من خطيئة آدم ، ونحسن اذا لم نكن هنا قد أحطنا بفكرة الغفران بكل تفاصيلها ودقائقها عند المسيحين ، فلأن البحث فيها يطول بما يخرج عن النطاق الذى حددناه لهذا الكتاب ، وانما على أى حال فقد أشرنا هنا الى موجز لهذه الفكرة فيه الكفاية للتعبير عنها وتلمس جوانبها ، ثم اننا بعد ذلك لن نناقشها الا فى حدود الاطار العام لها والحقائق المسلم بها بشأنها .

وأول الحقائق المسلم بها أن هذه الفكرة وبهذه التفاصيل لم يكن لها وجود قبل المسيح عليه السلام ولاحتى فى حياته على الأرض ، بل إن أحدا من تلاميذ المسيح أو أتباعه ، وهم يعلمون يقين أنه المسيح الذى تنبأ به العهد القديم ، لم يخطر ببالهم قط أن المسيح سيصلب فى يوم من الأيام ، ومن باب أولى ، لم يخطر ببالهم مايقال اليوم من أنه وهو الله قد تجسد ونزل ليصلب ويخلص البشر من خطيئة آدم ، بل اننا نقرأ فى انجيل مرقس « ... واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد . لأنه كان

يعلم تلاميذه ويقول لهم أن ابن الانسان يسلم الى ايدى الناس فيقتلونه . وبعد ان يقتل يقوم فى اليوم الثالث . وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه . » (مر ٩ : ٣٠ — ٣٢) ، فهنا نجد أنه حتى عندما بدأ المسيح يخبر تلاميذه كما يقول مرقس البشير فى انجيله بانه سيسلم الى أيدى الناس فيقتلونه ، فانهم لم يفهموا هذا القول منه وخافوا أن يسألوه ، ثم كان بعد ذلك ما كان من القبض على يهوذا بعد تخليص الله للمسيح عليه السلام ، ومحاكمة يهوذا وصلبه على أنه المسيح نفسه وفق ما انتهينا اليه ، وقد ظن المسيحيون أنه المسيح الذى حوكم وصلب ، وبعد هذا لاقبله ، ظهرت فكرة الغفران فى المسيحية وأخذت تنتشر بين أتباع المسيح حتى استقرت تقريبا على النحو الذى ذكرناه .

ومن هنا فلا محل للربط بين فكرة الغفران هذه وبين العهد القديم ، فلا يقال مثلا أن العهد القديم قد تنبأ بان الله سينزل ويتجسد من مريم العذراء ومن الروح القدس فيكون المسيح الذى يصلب لتخليص البشر من خطيئة آدم ، لأنه لو كان هذا صحيحا للزم أن يعرف عن المسيح قبل مجيئه ، وللزم أن يعرفه أتباع المسيح أنفسهم ، وللزم أن يكون صلب دعوة المسيح ورسالته ، ولكن هذا هو مالم يكن بأى حال .

وتترتب على ذلك حقيقة أخرى ، فما دام أن فكرة الغفران هذه لم تعرف عن المسيح قبل قدومه ولا أثناء حياته ، وانما قيل بها بعد رفعه ، فهى فى حقيقتها لم تكن تقريرا لواقع ، وانما تبريرا لما ظن أنه الواقع ، فأتباع المسيح اذ ظنوا أنه هو الذى صلب ، واختلط عليهم الأمر عندما أخذوا يفكرون فى ميلاده من عذراء وفى معجزاته ونحو ذلك ، حتى أصبحوا يرون فيه الله وان لم يعرفوا عنه ذلك من قبل ، وأخذوا يربطون بين ذلك وبين بعض الآيات فى العهد القديم وبين بعض ماقيل منسوبا للمسيح ، حتى خرجوا بفكرة الغفران هذه ، وتأكيدا لها أخذوا يضعون شروطا لمن يجب أن يكون الفادى وفق هذه الفكرة بحيث لايمكن أن تنطبق الاعلى

المسيح وحده وعليه كاله تجسد ليصلب ويخلص البشر ، تماما كما وجدنا من قبل أن هناك من يضع شروطا لدراسة الكتاب المقدس لا سند لها من الواقع وانما كل هدفها هو الوصول الى نتائج محددة هى التى يؤمنون بها ، فهنا أيضا لا هدف من كل هذه الشروط والافتراضات سوى الوصول الى نتيجة محددة تؤكد فكرة الغفران دون أن يكون لهذه الشروط والافتراضات أى سند من الواقع .

ويقينا إن من يقرأ هذه الشروط ، ويعرف الحكمة والغاية من صلب المسيح كما يعتقدون ، وبمعنى أصح من تجسد الله وصلبه كما يعتقدون ، فلن يجد لها أى معنى أو سند ، ولن يكون من العقل أو المنطق ما يمكن أن يبررها على الاطلاق ، فليس معقولا أن الله اذ يريد أن يغفر خطيئة لا يجد سبيلا الى ذلك الا بأن يتجسد ويتأنس ويصلب ، والا فكيف هو غفور كما يسمى ، وهل يقتضيه غفران كل اثم يريد أن يغفره أن يتجسد ويتأنس ويصلب ، ثم اذا كان الناس يولدون وقد ورثوا خطيئة آدم ، ألا يعنى ذلك أن الخطيئة تتوارث ، وهنا لنا أن نتساءل ، أى آثام وأى خطايا يحملها الناس جميعا اليوم اذا كانت الخطيئة تتوارث ، انها آثام مستحيلة أن تغفر على هذا القياس ، واذا لم يكن ذلك صحيحا ، أى اذا لم تكن الخطيئة تتوارث ، فلماذ يتوارث الناس خطيئة آدم بالذات ، ثم اذا كان لزاما أن يتجسد الله ويتأنس ويصلب ليخلص البشر من خطيئة آدم ، فما ذنب هؤلاء الذين ولدوا وماتوا قبل صعوده ، ألا يشملهم هم أيضا الغفران الذى تحقق بصلب المسيح كما يعتقدون وهم لم يخطر ببالهم فى يوم من الأيام أنه قد يصلب ، ما ذنبهم أن يموتوا بالخطيئة ثم اذا كان الله قد تجسد وتأنس ليصلب ويخلص البشر من خطيئة آدم ، ألا يعنى هذا أن الناس بعد ذلك يولدون دون هذه الخطيئة ، فما لزوم اشتراط الايمان بصلب المسيح حتى يتخلصوا منها ، هل كان تخليص الناس من خطيئة آدم بصلب المسيح معلقا على هذا الشرط .

أسئلة عديدة ، وانتقادات لا حصر لها لا تملك العقل الا أن يوجهها لفكرة موت المسيح الكفارى التى يقول بها المسيحيون ، أسئلة يستحيل الرد عليها ، وانتقادات محال تبريرها ، وما مرجع ذلك كله الا لمناقضة الفكرة ذاتها للحقيقة والواقع ولو كانت مطابقة له لاتفقت مع العقل والمنطق والمعقول ، اذ هذا هو حال الحقيقة دائما ، ولكن الواقع أن هذه الفكرة التى وضعها المسيحيون باعتبارها رسالة المسيح حتى تلاشت الى جوارها رسالة المسيح الحقيقية ، كرسول جاء يدعو الناس الى عبادة الله ، والى سلوك سبيل الخير والصلاح ، وتجنب سبل الغواية والفساد ، الى غير ذلك مما جاء الأنبياء جميعا يدعون اليه ، والواقع أن هذه الفكرة ما كانت من المسيحيين الا محاولة لتبرير واقع « شبه لهم » ، وهو أن الذى صلب هو المسيح عليه السلام ، ولكن الواقع الحقيقى كما انتهينا من قبل هو غير هذا الذى شبه لهم ، ولذا فلم يعد ثمة محل للقول بهذه الفكرة التى تحاول أن تبرر شيئا لم يكن ، وانما الواجب الآن أن يفهموا وأن يعرفوا حقيقة هذا الذى كان .(١)

---

(١) يتناول السيد/يسى منصور هذا الموضوع بالتعليق فى الجزء الاول من كتابه فى الصفحات من ٧٥ — ٩٥ ، وهو يرى أن آدم قد أخطأ وأعطاه الله وعد الخلاص هو وذريته كما جاء فى التوراة والانجيل والقرآن ، والقرآن براء من هذا الذى يدعيه ، ولا ادرى ، اذا كان الله قد أعطى آدم وعد الخلاص كما يرى ، فماله ينتظر حتى يتزايد المولودون بالخطيئة بعد عدد من آلاف السنين ، ولماذا لا ينفذ وعده من فوره ، ثم هو يرى أن نبوءات العهد القديم تنحصر فى أن المسيح يأتى ويخلص العالم ، ويستند فى ذلك الى اقوال لبطرس الرسول ، وهو ليس من العهد القديم ، والى الاصحاح ٥٣ من سفر أشعياء ، وقد سبق لنا التعليق عليه ، والى آيات ليس فيها شىء من هذا الذى يستنتجه ، وآية فى سفر اشعياء النبى تقول « ويأتى الفادى الى صهيون والى التائبين عن المعصية فى يعقوب . . . » ، ولا أفهم ماذا فى كلمة الفادى هذه يمكن أن يخرج منه بالمعانى التى يقصدها ، ثم هو يرى أن الصلب هو جوهر دعوة المسيح وصلب رسالته ، ولقد قلت انهم جعلوه كذلك ، ثم يقول ان الفداء كان معلوما لرسل المسيح وهو موضوع رسائلهم الرئيسى ، وقد وجدنا ان ذلك لم يكن والمسيح بينهم وانما بعد رفعه ، ثم يرى ان صفات الله تقتضى وجود الكفارة ، وذلك ما لم يسمع به احد عن المسيح قبل مجيئه ، ثم هو اخيرا يقول ان الخطيئة تتوارث ويجب الخلاص منها ، ويجيب على تساؤلى عن سبب توارث

ثانيا : تفسير تخليص الله للمسيح ورفعه اليه :

وجدنا من قبل أن المسيحيين بقولهم بفكرة الغفران انما كان ذلك محاولة منهم لتفسير الواقع الذى شبه لهم ، وقد انتهينا بحق الى أن الواقع هو خلاف ما شبه لهم فقد خلص الله المسيح عليه السلام ورفعه اليه وقبض على يهوذا الاسخريوطى وحوكم وصلب بدلا منه ، بينما ظنوا هم أن الذى قبض عليه وحوكم وصلب هو المسيح نفسه ، ونحن هنا لا نريد أن نفعل نفس ما فعله المسيحيون ، بأن نحاول أن نورد فكرة جديدة نستطيع أن نقابل بها فكرة الغفران فى المسيحية وأن نفسر بها تخليص الله المسيح .... الى آخر ذلك ، والا لكنا حقيقين بالانتقاد كما انتقدنا المسيحيين تماما ، ولذا فان ما سنحاوله هو أن نفهم حقيقة الأمر والحكمة منه والغاية الحقيقية التى قصد منها ، ولسنا هنا يحق لنا أن نأتى بجديد من عندنا ، وانما يجب أن يكون سندنا فيما ننتهى اليه الواقعة نفسها، والكتاب

= الناس خطيئة آدم بالذات بأن الجواب معروف بالبداهة ، فقانون الوراثة قانون طبيعى وبحسبه لا يمكن للكائن الحى أن يلد كائنا مغايرا له ؛ وبما أن آدم الذى ولد منه الجنس البشرى فقد بعصيانه حياة الاستقامة التى خلق بها واصبح خاطئا قبل أن ينجب نسلا، فكان الامر طبيعيا أن يولد منه البشر جميعا خطاة نظيره ، ويرى أن الكتاب المقدس يقر هذه الحقيقة والتى اطلق عليها « العلمية » ويرى أنه بما أن الخطيئة تتوارث فالله يؤخذ الابناء بأفعال آبائهم المطبوعة فى دم اولئك الابناء ، وكما ورثنا الخطيئة والموت من آدم الاول لسبب معصيته ، كذلك ورثنا البر والحياة من المسيح آدم الثانى لسبب طاعته وموته الكفارى ، اذن فالخطيئة عند السيد/ يسى منصور تتوارث ، فلنتساءل اذن عن مقدار الخطايا التى يرثها الناس اليوم، وأول اجدادهم السابقين بعد آدم عليه السلام ، قاتل ، وهو قايين الذى قال عنه الاصحاح الرابع من سفر التكوين انه قتل أخاه، وما أكثر القتلة والسفاحين والخاطئين منذ هذا الاب الثانى للبشرية، الذى تلا آدم ، الى يومنا هذا ، فاى حمل من الخطايا يرثها الناس اليوم،ان الأرض كلها لتنوء بحملها، واذا كان تخليص البشر من خطيئة آدم المتمثلة فى عصيانه لربه بأكله من الشجرة التى حرم الله عليه أن يأكل منها ، اقتضى من الاله ان يتجسد ويتأنس ويصلب ، فكم الها ياترى يحتاج البشر لتخليصهم من كل هذه الخطايا الاخرى ، ان صلب ملايين الملايين من الآلهة اليوم ربما لا يكفى ، ولكن ما العمل ؟ وليس من إله الا واحد ، أفينتظر سيادته اذن أن يعود ليتجسد ويتأنس ويصلب هذه الملايين من ملايين المرات ، ابدا ، ابدا،ابدا،ابدا ،هذا ما لا يقبله اى عقل .

المقدس نفسه ، وخطة الله نفسها فى الأمر .

وهنا نعود الى الكتاب المقدس ، الى العهد القديم فيه . الى سفر التكوين . وبالذات إلى الاصحاح الثاني والعشرين منه ، الى روايــة ابراهيم وابنه عليهمــا السلام ، وقد رأينا من قبل أن المسيحيين — عدا واحد — يرون فى هذه الواقعة رمزا للمسيح وبالذات بالنسبة لواقعة صلبه ، ولقد قلنا نحن أيضا أنه للحق فان هذا الرمز الذى يشيرون اليه هو الحقيقة عينها ، وفيه تفسير لكل شىء ، ولذا فلنعد قليلا الى هذه الرواية لنرى التفسير الحقيقى الذى تعطيه لنا ، وخاصة أن المسيحيين أنفسهم كما قلنا يعتبرون أن هــذه الرواية ترمز للمسيــح عليــه الســلام ولواقعة صلبه بالذات .

فها نحن نرى أن الله سبحانه وتعالى ، وهو العليم بمدى ايمان ابراهيم عليه السلام ، يمتحن ايمانه رغم ذلك ، فيوحى اليه أنه يريده أن يأخذ ابنه وحيده الذى يحبه الى أحد الجبال حيث يصعده محرقة ويذبحه ، ولا نرى فى الاصحاح ما يفصــل لنا مدى وقع هذا الطلب على ابراهيم عليه السلام ، وانما ليس بالعسير على أى انسان أن يتصور مدى الألم الذى ألم به حينئذ ، ومدى تمنيه على الله أن يعفيــه من هذا الأمر ، وكيف لا وقد طلب اليه أن يذبح ابنه وحيده الذى يحبه ، ولكنها ارادة الله الصريحة الواضحة ، وبها كان الله يمتحن ايمان ابراهيم ، وكان على ابراهيم أن يجتاز هذا الامتحان مختارا بين ايمانه بربه ، وبين حبه لابنه وتعلقه به واشفاقه عليه من الذبح ، وانها لتجربة مريرة ، وانه لامتحان عظيم ، وانه لأهون على أب هو نبى أن يذبح نفسه دون أن يذبح ابنه ، ولكن ابراهيم المؤمن عميق الايمان لا يختار غير الايمان بالله والرضى بما أوحى به اليه ، على ما فيه من قسوة على نفسه لا تفوقها قسوة أخرى ، فيأخذ ابنه وحيده الذى يحبه ، ويذهب الى حيث أمره الله أن يذهب ، وهناك يرتب الحطب ويربط ابنه ويضعه على الذبح ،

ثم يمد يده بالسكين ويهم بأن يذبح ابنه .

وقبل أن نمضى فى سرد ما كان بعد ذلك ، فلنقف قليلا لنحاول أن نعرف ما كان من موقف الابن فى هذه اللحظة ، وهنا نجد أن الاصحاح لم يشر الى ما كان منه ، ولكن من الطريقة التى سرد بها الاصحاح تقييده ووضعه فوق المذبح ، يمكن أن نقول أنه لم يقاوم أو يعترض ، بل وبأن أباه أخبره بما سيفعله به فرضى ، والا لما تم تقييده ووضعه فوق المذبح بسهولة وهو عارف أن ما يوضع فوق المذبح انما ليذبح ، ولو أنه قاوم أباه لكان مفروضا أن يشير الاصحاح الى ذلك لأن هذه المقاومة انما كانت تضاعف من عذاب الأب وتجعل الامتحان أكثر صعوبة ومشقة ، ونحن نرى القرآن يفصل ما كان من موقف الابن فيقول « فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . » (سورة الصافات : ١٠٢) ، وهذا الذى جاء فى القرآن عن موقف الابن لا يتعارض على الاطلاق مع ما جاء فى الاصحاح المشار اليه ، بل إن مفهوم الاصحاح ومضمونه يؤيده ، وهو ما نراه فى السهولة التى كان عليها تقييد الابن ووضعه فوق المذبح دون الاشارة الى أية مقاومة تبدر منه ، وليس بكثير على الابن هنا أن يكون على قدر ايمان أبيه ، فكلاهما نبى ، وكلاهما رسول الله .

وهنا ، فى هذه اللحظة التى وقفنا عندها ، وقد نجح ابراهيم وابنه فى هذا الامتحان القاسى لايمانهما ، أوقف الله ابراهيم وأمره بأن يكف يده عن إبنه فلا يذبحه ، وأنزل اليه كبشا ذبحه بدلا منه ، ويكمل الاصحاح بعد ذلك أنه منه أجل هذا فقد بارك الله ابراهيم مباركة عظيمة ووعده بأن يكثر من نسله وأن يتبارك أيضا فى هذا النسل .

هذه هى قصة ابراهيم وابنه عليهما السلام ، وهى التى يرى فيها المسيحيون

رمزا للمسيح ولواقعة الصلب بالذات ، والتى نرى نحن أيضـا فيها كل ذلك ، على التفصيل السالف شرحة ، ونجـد فيها كل التفسير الحقيقى والصحيح لـكل شىء مما انتهينا اليه ، ولنتابع القصـة من بدايتها ، فنبدأ بالتساؤل عن دورها فى حياة ابراهيم وابنه ورسالتهما ، وهنا نجد أن القصة لم يكن لها أى دور فى دعوتهما أو فى رسالتهما اللهم الا تأكيد ايمانهما ونبوتهما ، كانت بذلك حادثا عرضيا مر بهما ، وكانت على هذا النحـو خاصة بهما بالذات وبصفة خاصـة باعتبارها امتحانا لهما ، وانما تعلقت فحسب بغـيرهما باعتبارها مثالا عظيما لما يجب أن يـكون عليه الايمـان بالله والتسليم لمشيئته ، ثم مثالا أعظم لتأكيد أن الله ابدا يـكافىء عباده المؤمنين ، وهكذا أيضا كانت واقعة الصلب فى حياة المسيح ، فهو قد ظل قبلها يبشر بدعوته ورسالته ، دون أن يقول أن رسالته أو دعوته أن يصلب ، وأبدا لم يقل أنه ما جاء الا ليصلب كما ذهب المسيحيون بشأنه ، وما كانت واقعة الصلب الا حادثا عرضيا يتعلق بشخصه ، ولـكننا هنا نلاحـظ أن ثمـة فارقا بين ابراهيم والمسيح عليهما السلام ، فاذ نرى ابراهيم يخفى الأمر عن الجميع ولا يقول لأحد أن الله طلب اليه أن يذبح ابنه ، فاننا نرى المسيح يخبر تلاميذه بأنه سيسلم الى أيدى أناس فيقتلونه ، وحقا قرأنا فى انجيل مرقس أنهم لم يفهموا ذلك وخافوا أن يسألوه ، ولـكنه على أى حال قد أخبرهم ، فلماذا اذن لم يخبر ابراهيم أحدا ، بينما أخبر المسيح تلاميذه ، وهنا نجد أن سبب هذا الاختـلاف انمـا ينشأ عن اختلاف كيفية القتل فى الحالتين ، ففى الأولى كان ابراهيم نفسه هو الذى سيـذبح ابنه ، وإنه لجرم كبير ما سيراه فى ذلك أى واحد يخبره بما انتواه ، وأى واحـد يسمع به لا بد وأن يحاول أن يثنيه عن عزمه ، وقد يؤثر فيه هذا بالفعل ، بعكس الحال بالنسبة للمسيح ، فلم يكن فعل القتل سيقع منه وإنما عليه ، ومن ثم فان محاولة تلاميذه إثناءه لن تجدى ، بل انهم خافوا فقط عندما سمعوا ذلك منه حتى أنهـم لم

يستطيعوا أن يسألوه ، والذى كان متوقعا منهم مثلا أن يحاولوا حمايته ، ولعله كان يعرف أن ذلك لن يحدث ، فقد هربوا جميعا وقت وصول الجمع اليه ، أو فى القليل كان يعرف أن مقاومتهم لن تجدى ، ولذا فليس غريبا أن يكتم ابراهيم اعتزامه ذبح ابنه ، وأن يذيع المسيح بين تلاميذه أنه سيسلم ليقتل ، بل هـذا هو الطبيعى نظرا لاختلاف كيفية القتل فى الحالتين كما بينا .

ثم ها هـو ابراهيم ، وعلى أنه لم يكن بأى حال من الأحوال يتصور أو يريد أن يذبح ابنه ، الا أنه لعظيم ايمانه ، يستسلم لمشيـــئة الله ، ويرتضى ارادته الــتى أعلنها له ، أى يرتضى أن يذبح ابنه وحيده الذى يحبه ، وها هو أيضا المسيح عليه السلام ، فعلى أنه لم يكن يريد بأى حال أن يصلب ، ولا ليرضى بالصلب ، الا أنه لايمانه العظيم هو الآخر ، يستسلم لمشيئة الله ، ويرتضى ارادته التى أعلنها له ، وعلى أن هذه لم تكن ارادته أبدا ، فانه ارتضاها لأنها كانت ارادة الله ، وهــذا المعنى هو ما توضحه الأناجيل بكل دقة حين تقول على لسان المسيح موجها كلامه الى الله بعـد أن دعاه أن يجيز عنه هذه الـكأس ، أى أن يجيز عنه الصلب « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الـكأس . ولـكن ليس كما أريد أنا بـل كما تريد أنت . » (مـــتى ص ٢٦ : ٢٩) و « ... يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الـكأس الا أن أشربها فلتـكن مشيئتك . » (متى أيضا ص ٢٦ : ٤٢) .

وبعد ذلك ، فـكما رفع ابراهيم يده بالسكين ليذبح ابنه ، واستسلم له ابنـــه أيضا ، فـكذلك أحاط الأعداء بالمسيح يهمون بالقبض عليه ليقتلوه بعد ذلــك ، بينما المسيـح يستسلم لهم تسليما بمشيئة الله ، وهنا ، وكما بارك الله ابراهيم وابنـه عليهما السلام فأمر ابراهيم بألا يذبح ابنه معلنا اياه أنه قد نجح فى الامتحان الذى امتحنه الله اياه ، وباركه لهذا هو ونسله من بعده ، فهكذا تماما أعلن الله مسيحه أنه قد نجح فى الامتحان الذى امتحنه الله اياه ، فخلصه من بين من تآمروا عليه،

ورفعه اليه ، مباركا اياه بذلك مباركة لم يباركها لأحد فى الأولين ، وقد وجدنا من قبل – وبحق – استحالة تكامل الرمز بالنسبة للمسيح الا على هذا النحو .

وهكذا نرى الرمز يتكامل ، ونرى الله يكرر أفعاله ولا يناقضها ، وهو كان سيكون مناقضا لها لو أنه أسلم المسيح فعلا للصلب ، اذ ليس مقبولا أن يمتحن الله ابراهيم وابنه بأن يطلب من أولهما أن يذبح الثانى ابنه وحيده الذى يحبه ، حتى إذا ما وثق من ايمانهما خلص الابن وفداه بذبح عظيم ، ثم اذ يمتحن ايمان المسيح فيطلب منه أن يسلم نفسه ليصلب ، واذ يستسلم المسيح لمن جاءوا يقبضون عليه لايخلصه وانما يتركه ليصلب بالفعل ، ولكن الله لم يناقض نفسه ولم يناقض أفعاله ، هو قد كرر فعله ، وبذا تكامل الرمز بحق ، بل وتكامل الله تعالى ودل على وحدانيته ، وزاد الرمز تكاملا أن كان هناك أيضا من صلب بدلا من المسيح ، كما ذبح الكبش بدلا من ابن ابراهيم ، وبذلك أحق الله كلمته التى انطلق بها الأنبياء من قبل والمزامير بصفة خاصة ، يتنبأون بها عبر السنين ، وكان الواقع بحق ، وكما ذكر المزمور الحادى عشر لايعدو أن يكون أن « الرب يمتحن الصديق . » (٥) ، فالمسيح بحق ، تماما كابراهيم وابنه ، هو الصديق ، وما كانت مسألة الصلب الا امتحانا عظيما لايمانه ، ولقد كان عظيما حقا فى اجتيازه له .

واذا كان الكبش هو الذى ذبح فى روايه ابراهيم وابنه ، بينما صلب يهوذا بدلا عن المسيح ، فان اختلاف الذبيحة فى الحالتين اقتضاها اختلاف ظروف الحال فى كل منهما ، فابراهيم هو الذى كان مزمعا أن يذبح ابنه ، وهو لم يكن يريد ذلك كما سبق أن بينا ، وليس ثمة محل لأن يكون الذي يفدى به الابن عندئذ انسانا ، وما دام أن المقصود هو تقديم الابن قربانا لله على الذبح ، فلا شك أن ابراهيم سيبادر الى الامتناع عن ذبح ابنه عند أول اشارة له من الله بذلك ، وهو لاشك قابل وبفرح عظيم أن يذبح الخروف قربانا لله عوضا عن ابنه ، وذلك بعكس الحال بالنسبة

المسيح ، فلم يقصد أعداؤه أن يقدموه قربانا لله وانما قصدوا أن يقتلوه ، وما كانوا بذابحى كبش بدلا منه لو أن الله أنزل لهم كبشا مكانه ، ولذا فما كانوا ليرضون بغير قتل من يعتقدون أنه المسيح ، ولذا كان المصلوب بدلا من المسيح رجلا ، ولكنه لم يكن أى رجل ، بل كان هذا الذى كرا المسيح جبا ، حفره ، فسقط فى الهوة التى صنع ، وذلك كما تنبأت المزامير بحق، ولم يكن هذا غير يهوذا الاسخريوطى الذى كان من تلاميذ المسيح ثم خانه وتآمر عليه ، فأخذه الله بمؤامرته .

وهكذا نرى أن الرمز بقصة ابراهيم وابنه ، الى تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب يهوذا الاسخريوطى بدلا منه،هو الرمز الصحيح وهو التطبيق الصحيح للرمز، التطبيق المتفق مع العقل ومع المنطق ومع طبيعة الأمور ، ولسنا فى حاجة لنقول به الى ما رأيناه من مغالطة فى البدء بالقول بأن اسحق يرمز الى المسيح ثم الانتهاء رغم ذلك الى أن الكبش يرمز اليه ، أو بأن الرمز لم يكتمل ، أو لم يتحقق من وجه واحد ، أو ننفى رمز ابن ابراهيم للمسيح ـ كما ذهب وحيد بين المسيحين ـ ، فنجافى بذلك كل عقل وكل منطق ، بينما الحقيقة جلية واضحة ، بين أيدى الجميع ، تكاد أن تصرخ فيهم ، ومع هذا يصرون على تجاهلها .

ورب من يعن له هنا أن يتساءل ، لماذا يمتحن الله المسيح عليه السلام ، أليس واثقا من ايمانه ، وهنا ، وسواء أكان السائل مسيحيا أو مسلما ، فهو يؤمن بما ذكرناه عن امتحان الله لابراهيم وابنه من قبل ، وما دام يؤمن بذلك ، فليس له أن يعترض على أن يمتحن الله مسيحه عليه السلام ، فالحكمة والغاية فى الحالين واحدة ولا محل للاعتراض على رواية مع الايمان بالأخرى فى نفس الوقت . (١)

---

(١) يتساءل السيد / يسى منصور فى ص ٧٧ من الجزء الاول من رده معلقا عن ما قلته من تفسير قائلا :فكيف لم يكن الصلب من جوهر دعوة المسيح ؟ مع ان المسيح له المجد كان يعتبر نفسه انه قد جاء من

ثالثا : الاعتراضات الأخرى على تخليص الله للمسيح عليه السلام :

خصصنا الفصل الرابع الذى منه هذا البحث ، لما قد يثور من اعتراضات على حقيقة تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، وخصصنا فيما سبق مبحثا مستقلا لكل من الاعتراضات الرئيسية التى أثرناها ، الا أن هناك ثمة اعتراضات أخرى ، منها ما قد أثير بالفعل ، ومنها ما اعتقد أنه يلح على القارىء حتى ليكاد أن يستشعر أننا نحاول تجاهله ، والواقع عكس ذلك تماما ، ويقتضى كمال البحث التعرض لكل هذه الاعتراضات ، وأما ما أعتقد أنه يلح على القارىء فهو يتمثل فى اعتراضين : الأول أن هناك تفسيرا لمسلمين للآية التى تقول « ولكن شبه لهم » يرى أن معناها أنه قد ألقى شبه المسيح على آخر ، وهذا التفسير يتعارض مع الصورة التى انتهينا اليها ، واذ جعلت عنوانا لبحث هذا الاعتراض فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب (هل تتفق الصورة التى انتهينا اليها مع الاسلام) فإننى لابد وأن الحق تحت هذا العنوان اعتراضان آخران أشار اليهما القس الامريكى الأب كنيث نوان (بمستشفى الارسالية الأمريكية بأسيوط وذلك فى تعليق له على الكتاب نشره فى مجلة العالم الاسلامى التى تصدر باللغة الانجليزية عن مؤسسة هارتفورد فى عددها رقم ٢ لسنة ١٩٦٥) فقد اعترض سيادته على الصورة الاسلامية التى قلت بها وحصر اعتراضه فى هذا الخصوص فى أمرين ، الأول ما رآه من أنه من غير المنطقى أن أدخل على الصورة الاسلامية القول بأن يهوذا الاسخريوطى هو الذى صلب عوضا عن المسيح خاصة وأن الآيات لم

= السماء خصيصا ليخلص الخطاة بسفك دمه الكريم ./ والرد على تساؤله بسيط ، فكم هو الوقت الذى اخذ يبشر فيه ويكرز بالانجيل ؛ وكم هى الايام التى استغرقتها واقعة الصلب ، لا نسبة بطبيعة الحال ولا تناسب بين هذه وتلك ، والاولى رسالته الحقيقية ؛ والثانية امتحان له من الله ، وان قال انه سيصلب ، فتأكيد لان الله يمتحنه ، ولكنه لم يقل ابدا انه ما جاء الا ليصلب على النحو الذى انتهى المسيحيون اليه بشأنه .

تذكر اسم يهوذا ، وان كان سيادته يقر بأنى لم استند الى الآيات فى ذلك ، كما يرى أن فكرة استبدال المسيح غير واضحة فى الآيات القرآنية وأنه لا يوجد مسلم مثقف يقتنع بهذه الفكرة هذه الأيام ، وأما اعتراضه الثانى فى هذا الخصوص فهو أن القرآن قد استعمل فى الآيات فعل توفى وهو يدل — حسب رأيه — على موت يسوع بارادة الرب ، وخيرا فعل سيادة الأب كنيث نولن ، فقد فتح لى بابين كنت فى شوق لطرقها ، وأما الاعتراض الثانى الذى أحسبه يلح القارىء فهو أننا نعلم من الانجيل والقرآن أن المسيح عليه السلام تعلم أول ما تعلم العهد القديم ، ومع ذلك لم نر أنه عرف منه أن الله مخلصه ورافعه اليه أو فى القليل لم يقل لتلاميذه شيئا من ذلك وانما كان يحدثهم عن صلبه باعتباره أنه سيصلب فعلا ، فكيف كان ذلك.

وأما غير ذلك من اعتراضات فيحضرنا منها ما طالعناه للسيد القمص سرجيوس اسحق فى نهاية كتابه الذى أعطاه عنوانا (رد القمص سرجيوس على المتنصر المهدى حول حقيقة صلب المسيح وموته) ، ولعله من الأوفق أن نشير الى هذه الاعتراضات عند التعليق عليها فيما سيلى ونتناول الآن الاعتراضات السابقة على التوالى .

١ — هل تتفق الصورة التى انتهينا اليها مع الاسلام :

وأبدأ هنا باعتراض السيد الأب كنيث نولن بأن الصورة الاسلامية لا تقول بأن يهوذا الاسخريوطى هو الذى صلب بدلا من المسيح عليه السلام ؟ وهنا أقرر ، اننى حين بدأت فى هذا الوضوع وجدت وبحق، أن الآيات القرآنية لم تحدد شخص المصلوب عوضا عن المسيح بل كان كل ما وجدته فى هذا الخصوص أن الكتب الاسلامية التى تعرضت لهذا الموضوع وتناولت بالتحديد شخصية هذا الذى صلب بدلا من المسيح ، حددته بأنه يهوذا الاسخريوطى ، ولكن وأمانة للبحث ، وأمانة للكلمة نفسها، وكمسلم، بل وكدارس للشريعة الاسلامية الى حد ما فى دراستى الجامعية بكلية الحقوق، لا أستطيع أن أقرر أن فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المتمثلة فى

أقوال النبي — وهما مصدر الشريعة الاسلامية الأساسيان — ميقرون بأن الذى صلب عوضا عن المسيح هو يهوذا الاسخريوطى بالذات .

وترتيبا على ذلك فان أصول البحث كانت تقتضينى عند اشارتى الى الفرض الاسلامى ألا أحدد شخصية المصلوب ، ولكن ما هى النتيجة التى كنا سنصل اليها من ذلك ، كان البحث سيسير تماما وفق نفس التفاصيل التى سرنا عليها مع فارق واحد وهو أن نضع مكان اسم يهوذا فى الصورة الاسلامية علامة استفهام نتساءل بها دائما عن شخصية المصلوب ، واذ قبلنا نبوءات العهد القديم كمعيار سليم ومقبول للبحث عن الحقيقة بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون وتخليص الله له ورفعه اليه كما يعتقد المسلمون، فاننا ـ وكما وجدنا بحق ـ كنا سنجد أن العهد القديم وخاصة سفر المزامير لا يشير فحسب الى دعاء المسيح عليه السلام لله أن يخلصه من الصلب واستجابة الله لهذا الدعاء ورفعه له اليه عند محاولة القبض عليه ، بل وفى المقابل من ذلك يكمل لنا تفاصيل الصورة ليس فحسب بما يحدد لنا أن آخر غير المسيح عليه السلام هو الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا منه ، بل ويحدد لنا شخص هذا المصلوب بأوصاف لا تنطبق على غير شخص واحد فقط هو يهوذا الاسخريوطى ، فهو الذى بالقبض عليه ومحاكمته وصلبه عوضا عن المسيح يكون قد كرا للمسيح جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع ، وحفر له حفرة فسقط فى وسطها ، وعلق بعمل يديه، وفى الشبكة التى أخفاها انتشبت رجله، الى آخر ذلك مما رأيناه فى دراستنا المفصلة، ولعله يغيب عن ذهن السيد الأب كنيث نولن أن الأصل فى الاسلام وفى الشريعة الاسلامية النظر الى الكتب السماوية المقدسة السابقة على القرآن نفس النظرة التى ينظر بها المسلم الى القرآن نفسه واعتبارها ملزمة له نفس الاعتبار الذى يعطيه القرآن نفسه ولعل لسيادته عذره فى هذا بما يراه من رفض المسلمين بصفة عامة للكتاب المقدس المتداول طنا منهم بتزويره ، ولكنى لا أرى ، وبحق كمسلم ، أن ما ثار عند المسلمين من مظنة وشبهات حول الكتاب المقدس يقتضيهم رفضه جملة ، فهو ، وعلى أى الأحوال، السند الأول ،

والرئيسى لديهم عما ورد فى هذه الكتب من تفاصيل ، وليس لهم أن يرفضوا منه على الأقل ما لا يخالف الاسلام ، وليس مما يخالف الاسلام فى شىء أن يكون الذى صلب عوضا عن المسيح هو يهوذا الاسخريوطى بالذات ، ولهذا ، والتزاما بما أوجبه الاسلام نفسه من الايمان بالكتب السماوية السابقة ، واذ لم يكن فيما تنبأ به العهد القديم من أن يهوذا الاسخريوطى بالذات ، هو الشخص الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب عوضا عن المسيح عليه السلام ، ما يخالف الاسلام ، فقد كان لزاما ، ووفق أصول البحث ، ووفقا لما يوجبه الاسلام نفسه ، كان لزاما ازاء كل ذلك ، أن أنتهى من البحث ، بأن أضع بدلا من علامة الاستفهام هذه التى وضعتها فى أول البحث مكان شخص المصلوب فى الصورة الاسلامية ، اسم يهوذا الاسخريوطى ، باعتباره وبحق ، الشخص الذى يجب أن يجرى ايمان المسلمين بأنه هو الذى صلب عوضا عن المسيح .

وهكذا ، فان نتيجة البحث كانت ستكون فى الحالين واحدة ، بل لعله كان سيكون من الأكمل للبحث ، لو بدأت بوضع علامة الاستفهام مكان شخص الذى صلب فى الصورة الاسلامية ، وانتهى من البحث الى وضع اسم يهوذا الاسخريوطى مكان هذه العلامة ، ولكنى ، وكمسلم ، وكباحث لأول مرة فى هذه الأمور ، وتقديرا للمشقة التى لقيتها بنفسى فى البحث فى المسيحية والكتاب المقدس ، قدرت أننى لو أوردت الصورة الاسلامية على هذا النحو الذى توجبه أصول البحث ، لكان فى ذلك مشقة القارىء فى غنى عنها ، خاصة وأننى لم أكتب للمتخصصين فحسب ، بل وكتبت وبصفة خاصة للقارىء العادى ، ورأيت أنه يكون من الايسر على هذا القارىء ، أن أورد الصورة الاسلامية ، محددا فيها شخص المصلوب بأنه يهوذا الاسخريوطى ومقدرا أنه يبيح لى ذلك ، أولا وقبل كل شىء ، أنه على أى الحالين فإن صورة البحث وأسسه وترتيبه ونتائجه لن تختلف على الاطلاق ، وأنه من ناحيه

أخرى ، فان كتبا اسلامية جرت فى تحديدها لشخص المصلوب عوضا عن المسيح بأنه يهوذا الاسخريوطى بالذات ، وأننى فى تحديدى لشخص هذا المصلوب عوضا عن المسيح فى الصورة الاسلامية ، لم أقل بأن ذلك التحديد من القرآن أو من أحاديث رسول الاسلام ، وانما قلت أنه ما جرى به اعتقاد المسلمين أو قالت به بعض التفسيرات الاسلامية ، بل إننى كنت قد اعتزمت فى طبعة الكتاب الثانية هذه ، أن أعيد صياغته ، على أســـاس وضع علامة الاستفهام مكان شخص المصلوب فى الصورة الاسلامية أيضا ، ثم انتهى الى تحديده فى الصورة الاسلامية بأنه يهوذا الاسخريوطى على نحو ما تقدم ، ولكن بالرغم من ذلك ، فقد رأيت اعادة طبع الكتاب فى طبعته الثانية هذه بنفس الصورة التى كان عليها فى طبعتـــه الاولى ، تقديرا لمشقة القارئين من المسلمين بالذات ، فى متابعة مثل هذا البحث ، كما أشار الى البعض فعلا بعد نشر الطبعة الأولى ، مكتفيا بهذا الايضاح هنا ، وأعتقد أن فيه الكفاية .

ولا يفوتنى هنا أن أشير ، الى أنه رغم وضوح هذا الكلام فاننى أتوقع ، وكما حدث بالنسبة للطبعة الأولى فى مواضع أخرى من البحث ، أن من قد يحاولون الرد على ، سيتناولون ما قلته فى صدر الكتاب من تحديد شخص المصلوب فى الصورة الاسلامية بأنه يهوذا الاسخريوطى ، وما قلته فى هذا الموضع من أن أمانة البحث تقتضينى أن أقول بأن هذا التحديد ليس له سند من القرآن أو السنة ، ودون أن يشيروا الى ايضاحى فى هذا الشأن ، متشدقين بالتناقض البين بين أقوالى ، وآمل أن يكون فى هذه السطور الأخيرة ، ما يردعهم عن هذه المغالطة ، والا ففى طبعة ثالثة باذن الله ، ان مد الله فى عمرى ، سأكشفهم فى هذه النقطة بالذات .

على أنه يبدو لى ، أن السيد الأب كنيث نولن فى رده يحاول الاعتراض على أخذى بالتفاصيل التى وردت فى الاناجيل ، باعتبارها من تفاصيل الصورة الاسلامية ،

والواقع أنه ليس فى الاسلام ثمة ما يمنعنى من ذلك ، فالاسلام نفى فقط صلب المسيح ، ولكنه لم ينف صلاته ودعاءه لله أن يخلصه من الصلب ، ولا أن هناك من صلب بالفعل وباعتباره المسيح عليه السلام ، فما فعلته من ذلك لا يتعارض مع الاسلام ، واذا كان القرآن لم يحدد لنا تفاصيل تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب غيره بدلا منه ، فانه بذلك يكون قد حتم علينا اذا أردنا التعرف على هذه التفاصيل أن نلجأ الى مصادر أخرى ، والاناجيل المتداولة هى فى القليل مصادر تاريخية هامة لتلك التفاصيل ، وهى فى تقديرى الشخصى أفضل المصادر التاريخية الموجودة حاليا فى هذا الشأن .

ويأتى الاعتراض الثانى للسيد الأب كنيث نولن ، والمتمثل فى استعمال الفعل يتوفى عن المسيح قبل رفعه ، فقد قرأنا فى سورة آل عمران « اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ... » ، والواقع أن استعمال الفعل متوفيك فى هذه الآية ، أو توفيتنى فى آية أخرى على لسان المسيح عليه السلام ، هذا الاستعمال جعل الكثيرين من الكتاب المسيحين يقولون بان القرآن لا يقول بموت المسيح فحسب ، بل ويدعون أن القرآن يقر بصلبه ، ما دام لم يبين أين ومتى كانت هذه الوفاة ، وطبيعى أن الادعاء الأخير بعيد عن الصواب فالقرآن قد نفى بما لا يحتمل أدنى لبس صلب المسيح ، أما استعمال الفعل يتوفى بمعنى الموت ، فذلك أمر لا يمكن لمن هو على معرفة بأبسط قواعد اللغة العربية أن ينفيه ، فكلمة يتوفى يقصد بها الموت عادة ، وقد جرى القرآن على استعمالها فى هذا المعنى كذلك ، الا أنه مما قد يغيب عن غير الدارس للقرآن أو الدارس غير المدقق فيه ان القرآن نفسه قد استعمل الفعل يتوفى بمعنى آخر ، فنحن نقرأ فى سورة الانعام « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . » (٦٠) فهنا استعمل الفعل يتوفى بمعنى النوم ، بل واستعمل الفعل يبعث وهو الذى يشير عادة

الى البحث فى الحياة الأخرى ، بمعنى الايقاظ من النوم ، وعلى هذا فان الفعل يتوفى فى الآية التى تشير الى المسيح وان كان يمكن أن يقصد به الوفاة بمعنى الموت ، فانه يمكن أن يكون قد قصد به معنى النوم .

وطبيعى فان هذه ليست هى الاجابة المطلوبة ، ولكن لعلها نصف الاجابة ، وقبل أن ننتقل الى النصف الآخر ، فلنتدبر اعجازا قرآنيا ورد فى آية أخرى من سورة الأنعام تصف من يصعد الى السماء بأن صدره يكون ضيقا حرجا فتقول « ... يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ... » ، ففى التعليق على هذه الآية نقرأ فى كتاب عنوانه (من الآيات الكونية للقرآن) وهو العدد الأول من سلسلة دراسات فى الاسلام للأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى — وهو أستاذ للطبيعة الجوية بكلية العلوم بجامعة القاهرة وحاصل على درجة الدكتوراه فى الأرصاد من انجلترا — نقرأ فى هذا الكتاب فى صفحتى ٢٧ و ٢٨ منه تعليقا على هذه الآية :

(وهنا يجدر بنا أن نقف قليلا لنتساءل من الذى أخبر الرسول عن تلك الظاهرة الطبيعية التى لم يكشف البشر سرها الا بعد مضى أكثر من ألف سنة من تاريخ نزول تلك الآية ، عندما صعد العلماء الى أعالى الجو فى البالونات والمناطيد والطائرات ونحوها ودرسوا طبيعة الهواء بآلات الجو المختلفة ثم صنفوا له القوانين والنظريات ؟

فالصعود فى السماء (أى الى أعلى) معناه حتما نقص الضغط الجوى وبالتالى نقص غاز الأكسجين الذى نستنشقه بحيث لاتكفى مقاديره لمستلزمات الحياة من حيث الكمية والضغط ، ولهذا يشعر الفرد بضيق الصدر فى مراحل الصعود الأولى ، ثم يتعرض للموت المحقق بعد ذلك . وعلى علو ١٩ كيلو مترا مثلا ينبثق دم الانسان من مسام الجسم كأنما هو يغلى ، ويصاب المرء بالاغماء فى برهة لاتزيد على ١٥ — ٣٠ ثانية اذا ما تعرض بصفة مباشرة للجو الخارجى .)

وهنا يتضح لنا نصف الاجابة الباقى فالله هو العالم بما يصيب الانسان لو صعد بحالته العادية الى السماء ، فيصفه لنا بأن صدره يصبح ضيقا حرجا ، ونعرف من أهل العلم معنى هذه الآية والاعجاز العلمى الذى تنطق به ، ونعرف مقدار العذاب الذى يتعرض له الانسان لو صعد بحالته الطبيعية الى السماء ، ففى مراحل الصعود الأولى يشعر بضيق ، وعلى علو نحو ١٩ كيلومترا مثلا ، ينبثق الدم من مسامه كأنما هو يغلى ، كما يصاب بالاغماء فى برهة لا تزيد على ١٥ — ٣٠ ثانية ، فبالله أين عذاب الصلب من هذا العذاب ، وهل الله يخلص مسيحه من الصلب ليوقعه فى عذاب وآلام أشد وأقسى ، أبدا ، ولذا لزم أن يتوفاه الله قبل رفعه ، وذلك من الله لايحتاج وقتا نفكر فيه أو نقيسه ، ثم هو هنا بأى معنى هو متوفيه ، أبمعنى الموت ، ذلك تحتمله الآية ، أبمعنى النوم ، أى فقدان الحس والشعور ، ذلك أيضا تحتمله الآية كما قدمنا ، ولست هنا فى مجال القطع برأى فى أى المعنيين أرجح ، انما كلاهما معا ، سواء استعملت الكلمة وقصد بها النوم أو قصد بها الموت ، فكلاهما معا دليل اعجاز للقرآن نعرف منه أن الله اذ رفع مسيحه اليه ، فانه لم يرفعه بحالته الحية العادية وانما بحالة أخرى ، قد تكون موتا ، وقد تكون نوما ، لأنه بهذا ، يجنبه عذابا آخر يتعرض له لو رفعه بحالته الحية العادية ، عذاب يهون الى جواره عذاب الصلب نفسه ، وما لهذا رفعه الله ، وانما مكافأة من الله لمسيحه بعد أن مر بالتجربة الشاقة والامتحان القاسى ، حين رأى أن الله يريد له الصلب فاستسلم لمشيئة الله ، قال له لتكن لا ارادتى بل إرادتك ، فلزم وقد خلصه من الصلب ، أن يجنبه من باب أولى عذاب الصعود بجسده الى السماء ، فيتوفاه قبل رفعه ، ولحظة بدء رفعه بالذات ، فجده بذلك بتخليصه من الصلب ورفعه اليه ، وجنبه بتوفيه اياه أقسى العذاب الذى يتعرض له الجسد الانسانى الحى لو صعد بحالته الحية العادية الى السماء .

ويبقى فى اتفاق الصورة التى انتهينا اليها من تخليص الله للمسيح عليه السلام

ورفعه اليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، ما يعطيه البعض من تفسير لقول الآية « ولكن شبه لهم » من أن الله ألقى شبه المسيح على آخر فقبض عليه وحوكم وصلب بدلا منه لهذا السبب ، وحتى تبين وجه الحق فى هذه النقطة ، نعود فنذكر بايجاز الصورة الاسلامية كما انتهينا اليها ، وطبقا لهذه الصورة فان المسيح عليه السلام وقد علم أنه سيصلب ، وقد دعا الله مصليا بكل حرارة وعمق أن يخلصه من الصلب ، ثم استسلم لمشيئة الله ، واذ قدم يهوذا على رأس الأعداء ليقبضوا عليه وقد أعطاهم علامة أن من يقبله هو المسيح وتقدم منه ، بينما هرب تلاميذ المسيح ، وفى هذه اللحظة رجع الاعداء الى الوراء وسقطوا على الأرض ، وقد رأينا أن سبب هذا الرجوع الى الوراء والسقوط على الأرض هو رفع المسيح فى هذه اللحظة نفسها ، بعد أن توفاه الله فيها أيضا ، ورأينا يهوذا يقف ذاهلا من هول جلال الله وقدرته بينما الأعداء فى هرجهم ومرجهم نتيجة ما كان من رجوعهم الى الوراء وسقوطهم على الارض ، وكان الوقت ليلا كما عرفنا ، فيندفع الجميع الى الوسط ، ويهوذا واقف هناك ذاهلا ، ويقبضون عليه على أنه المسيح ، فيستسلم لهم تاركا إياهم على هذا الظن ، وحتى عند محاكمته ، لا ينفى كونه المسيح وان لم يؤيد أيضا كونه المسيح ، فجعل الامر بذلك يلتبس على أعداء المسيح ويحسبونه المسيح فعلا ويصلبونه على هذا الاساس .

وهنا نجد أن واقع ما انتهينا اليه ، أن الأمر بشأن المصلوب لُبِّس على من قبضوا عليه ومن حاكموه ومن صلبوه ، والذى جعل الأمر يلتبس عليهم أن الله قد خلص المسيح عليه السلام ورفعه اليه فى خفاء عمن حضروا القبض عليه ، اذ كان ذلك ليلا وقد رجع الى الوراء من جاءوا للقبض على المسيح وسقطوا على الأرض عندما رفع الله المسيح اليه — بعد أن توفاه — مما جعل واقعة رفعه تخفى عليهم ، ومن ناحية أخرى فان يهوذا الأسخريوطى للاسباب السالف شرحها لم يكشف عن حقيقة

شخصيته عندما قبض عليه وحوكم وصلب ، وبهذا يكون الواقع أن الامر قد لبّس عليهم أو جعل يلتبس أو يختلط عليهم أو نحو ذلك .

ولكننا نجد من المسلمين من يفسر القول « ولكن شبه لهم » بقوله أن شبه المسيح ألقى على آخر ، ومن ذلك ما نقرؤه فى المصحف المفسر للاستاذ محمد فريد وجدى تفسيرا للآية « ولكن شبه لهم » (أى وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول الذى صلبوه) ثم يمضى سيادته مفسرا المعنى المقصود بالآية فيقول : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن ألقى شبهه على أحد القتلة المحكوم عليهم بالقتل) ، الا أن هذا التفسير ليس هو المستقر عليه تماما ، اذ نجد تفسيرا آخر فى تيسير التفسير للشيخ عبد الجليل عيسى يقول فيه : (« شبة لهم » أى وقعت الشبهة لهم وظنوا أنهم قتلوه مع أنهم قتلوا غيره ظانين أنه هو) ثم يضيف مفسرا المعنى : (وكذبهم سبحانه بقوله « وما قتلوه وما صلبوه » بعد قتله كما يزعمون ، ولكن وقعت لهم شبهة فقتلوا غيره) .

ونحن اذا طالعنا هذين التفسيرين لوجدنا أن الثانى يكاد أن يطابق ما انتهينا اليه ، أما الأول فهو محاول أن يزيد فى التفصيل فيأتى بما لا تحتمله الآية نفسها ، ذلك أننا اذا رجعنا الى المعنى اللغوى للكلمة « شبّه » لوجدنا أن القول « شبه عليه الأمر» يعنى لغة « لبّس عليه الامر » وعلى هذا فان «شبه لهم » التى وردت فى الآية معناها لغة ، «لبس لهم » وهو ما يطابق تمام المطابقة التفصيل الذى انتهينا الى أنه يطابق الحقيقة نفسها ، وبذلك فان تفسير الآية بأن معناها أن شبه المسيح ألقى على آخر تفسير غير صحيح لا تحتمله الآية نفسها ولا المعنى اللغوى لما ورد فيها من كلمات ، وانما الذى يطابق الآية ولا يتعارض معها بأى حال من الأحوال ، هو الصورة التى انتهينا اليها ، وما كانت لتكون الا كذلك ، لأننا انما استخلصناها مما ورد فى القرآن نفسه ، ومما ورد فى الاناجيل المتداولة نفسها ، ومما ورد فى

العهد القديم نفسه ، وقد أوجب القرآن الايمان بالانجيل المنزل على المسيح عليه السلام وبالكتب السماوية السابقة عليه، هذا فضلا عن أننا لم نستهدف فى استخلاص هذه الصورة غير الحقيقة وحدها كما بينا من قبل .

٢ — كيف لم يعرف المسيح نفسه من العهد القديم ان الله مخلصه :

والسؤال هنا منطقى وبديهى ، فالمسيح عليه السلام ، وكما نعلم من الأناجيل وكما يعلم المسلمون من القرآن ، انما قد تعلم أول ماتعلم العهد القديم ، وإنه لحق أنه ليس فى الناس من يحق له أن يدعى علما وفهما بالعهد القديم فوق علم المسيح به وفهمه له ، ومع ذلك ، فان المسيح نفسه قد قال أنه سيصلب ، فكيف يعتقد ذلك وقد بان لنا بحق أنه من السهولة بمكان أن نعرف من سفر المزامير أن الله مخلص مسيحه ورافعه اليه وأن الذى قبض عليه وحوكم وصلب لن يكون المسيح وانما يهوذا الاسخريوطى .

وهنا نعود الى ما ذكرناه عن حقيقة الأمر ، وهو أن الله وقد أراد أن يمتحن ايمان مسيحه أوحى اليه بأنه يريد له أن يصلب ، فاذا كان الأمر كذلك ، فليس طبيعيا أن يعرف المسيح عليه السلام مقدما أن الله مخلصه من الصلب ورافعه اليه عندما يحاول الأعداء القبض عليه ، والا لفقد الامتحان قيمته كامتحان ، ولذلك فاذا كان المسيح عليه السلام قد خفى عليه ما تنبأت به المزامير من أن الله مخلصه ورافعه اليه ، وأن الذى سيقبض عليه ويحاكم ويصلب بدلا منه هو يهوذا الاسخريوطى ، فليس ذلك بحال قصورا فى فهم المسيح أوادراكه ، وانما لأن هذه هى ارادة الله لكى يكون للامتحان قيمته ومعناه ، فأى معنى يكون لامتحانه اذن لو عرف مقدما ذلك ، تماما كما لو عرف ابراهيم عليه السلام مقدما أن الله لن يدعه يذبح ابنه وحيده الذى يحبه ، فأى معنى كان سيكون لامتحانه بعد ذلك .

ولكن هل يمكن القطع بأن المسيح عليه السلام لم يعرف المعنى الصحيح الذى

تؤدى اليه النبوءات ، أوفهم بالقطع أنه سيصلب ، حقا ان المسيح عليه السلام قال أنه سيسلم ليصلب ، ولكن قوله هذا لم يكن استنادا الى ماجاء فى العهد القديم بأى حال ، ذلك أنه مهما قيل فى نبوءات العهد القديم ، فان أحدا لا يستطيع الادعاء بأنها قد حددت اليوم والساعة التى سيسعى فيها أعداء المسيح للقبض عليه ، وبذلك فلم يعرف المسيح هذا اليوم ولاتلك الساعة الا عندما أوحى الله له بذلك ، وهنا نرى المسيح عليه السلام عند اقتراب هذه الساعة ، وعلى تسليمه لمشيئة الله فى أن يصلب ، يضرع اليه أن يخلصه من هذه الكأس ، واحساسا منه بمدى هذه الآلام التى سيتحملها برضائه بمشيئة الله هذه ، نراه يصلى لله أعمق الصلاة ليخلصه من الصلب ، الا أن الله لا يعلن له الا اصراره على أن يصلب ، استمرارا لامتحانه له ، فيرتضى ذلك بعد أن يعلن أن هذه ليست مشيئته هو ، ولكن لتكن ما دامت هى مشيئة الله ، ضاربا بذلك أروع المثل فى الايمان .

فاذا كان المسيح يعلم من أسفار العهد القديم أنها تنبأت حقا بصلبه ، فان صلاته هذه ما كانت لتكون ذات معنى ، وانما هى تكون ذات معنى واضح ومفهوم لو لم تكن أسفار العهد القديم تؤيد صلبه ، بل هى تكون ذات أكبر معنى حينما تكون أسفار العهد القديم تؤيد أن تخليص الله للمسيح سيكون استجابة لدعائه له بذلك، وفى القليل فان صلاة المسيح هذه وتضرعه الى الله أن يخلصه ، لا تعنى الا ان احتمال قبولها أمر قائم ، وهنا نتساءل ، أى الناس أحق بأن يستجاب له دعاء أكثر من المسيح عليه السلام ، واذا كان ما يقول به الاسلام لا يزيد عن أن الله قد استجاب هذا الدعاء ، أفلا يكون ذلك هو المتفق مع كل منطق وكل عقل .(١)

---

(١) ابتداء من صفحة ١١٦ من الجزء الاول من رده يحدثنا السيد / يسى منصور عن صلاة المسيح عليه السلام فى جشيمانى ، وهو يحاول ، وبمجهود شاق ، ان يصور لنا مدى الآلام التى كان يشعر بها المسيح عليه السلام فى هذه اللحظات ، ويطوف بنا سيادته هنا وهناك ليعبر لنا

= عن مدى هذه الآلام حتى ليكاد المرء يحار فى شأن كل هذا الجهد ؛ واذا به ينتهى بنا منه الى اغرب ما لا يتوقع ؛ فانه فى صفحة ١٢٣ ينتهى الى القول (فماذا كان يطلب لا شك انه كان يطلب النجاة من الموت فى البستان فقد كان يخشى ان يموت من فرط الحزن فى جثسيمانى قبل ان يموت على الصليب . . . فقد صلى للقادر ان يخلصه من الموت الذى كان يهدد جسمه النحيف المنهوك لسبب آلامه النفسية المروعة غير المدركة التى تركزت فى جسده الهزيل حتى جعلت عرقه كقطرات دم نازلة على الارض . فكادت تقضى عليه قبل ان يصل الى الصليب . فسمع له وعبرت عنه الكأس ولم يمت فى البستان ، بل ظل حيا حتى مات على الصليب ؛ ودفع ثمن خلاصنا بدمه الكريم . وتوجت نصرته بالقيامة من الاموات .) وكأنما هذا الرأى الجديد الذى يقول به هو أحد رأيين يترجح التفسير بينهما فيستطرد سيادته قائلا : (ولا يسعنا هنا ان نغفل الراى الذى ذهب اليه الكثيرون من أئمة المفسرين الذين يعلقون أهمية خاصة على ناسوت المسيح . فقالوا: ان المسيح لم يكن خائفا من الصليب لكن جسده الطبيعى الطاهر الذى لم يعرف خطية اقشعر من الموت الذى هو قصاص الخطية ، كما يقشعر الجسد الطبيعى من الظلام الدامس — وأى ظلام اشد من ظلام الخطية . ولان المسيح رأى هذا الموت مظهرا لغضب الله عليه . . . ولذا وجب على الجسد الذى يتجرع كأسه أن يقشعر . . . وعليه فطلب المسيح ان تعبر عنه هذه الكأس امر خاص به كانسان حقيقى . وكانسان لا يمكن الا ان يكره الالم والوجع . وهذا هو أول وابسط عمل لارادة الانسان ان يجفل من الاحزان المحسوسة ويطلب منعها وابعادها . . .) وكما يبدو من رده ، فانه يحاول اقناع القارىء بأن الراى الذى يقول به : هو احد رأيين ثار الخلاف بينهما ، وهذا غير صحيح ، واحيل القارىء اولا الى ما اوردته من نصوص الاناجيل عن هذه الصلاة ليعرف يقينا ان الدعاء فيها كان لتخليصه من الصلب وليس لشىء سواه ؛ وأقرر أن هذا التفسير الذى اقوله، هو ما جرى عليه أجماع كل الكنائس والطوائف والملل المسيحية نفسها، وان هذا الراى ، غير المقبول اطلاقا من المسيحيين انفسهم ؛ هو راى وحيد لسيادته لا تقره عليه اية كنيسة من الكنائس ، وانه ليكفينى اختلاقه لهذا التفسير غير المقبول ، لاعرف قدر الحرج الذى وقع فيه ، وهو يرى المسيح عليه السلام يصلى كل هذه الصلاة ، ويدعو كل هذا الدعاء ، ورغم كونه احق الناس بأن يستجاب له مثل هذه الدعاء ، وبالرغم من ذلك لا يستجاب ، فأراد التدليل على انه قد استجيب حقا ، وكما تنبأت المزامير بحق ، ولكن ابدا ، ليس فى هذا الذى تصوره أى استجابة ؛ وما كان

= هذا ابدا القصد من الدعاء ، ولا احسب قارئا واحدا غير سيادته ، قد يختلف معى فى هذا .

وكعادة السيد/ يسى منصور فانه يلتقط لى سطورا متفرقة من أول الكتاب الى هذا البحث فى صفحتى ٩٦ و ٩٧ من الجزء الاول من ردهمنها ما قلته فى البداية من أن المسلمين يتفقون مع المسيحيين على ان المسيح عليه السلام كان عالما بأنه سيصلب وبهذا اخبر تلاميذه ؛ ومنها ما استنتجته هنا من انه قد يكون قد خفى عليه ما تنبأت به المزامير من ان الله مخلصه ورافعه اليه وان الله اخفى عليه ذلك مقررا أننى ادعيت ان الله لم يكن جادا فى وحيه بل كان يختبر المسيح ، وكعادته لم يشأ ان يشير الى حرف مما استندت اليه ، ورأى المجال فسيحا امامه بذلك ليقول ما يشاء فالمسيح عنده هو الله وما دام قد قال انه سيصلب فلابد وان يكون قد صلب ؛ كما ان القول بخفاء ما تنبأت به المزامير عنه لا يتفق مع كرامة المسيح العالم بكل شىء — باعتباره الله طبعا — ، وما كان لله ان يخفى الحق عن المسيح فيدفعه ليدلى بتصريحات خاطئة ، ويعلم الله انى احرص على كرامة المسيح عليه السلام ومجده من السيد يسى منصور ، وما هذا الكتاب الا لازالة كل شائبة علقت بكرامته ومجده ، واما الاستناد فى الرد على ما قلته ان المسيح وهو الله ما كان ليخفى عليه شىء ، فذلك رده الباب الثالث من هذا البحث ، واما عن خفاء ما تنبأ به العهد القديم ومنه المزامير فى عهد المسيح عليه السلام ، والذى يمكن ان ينصرف بالغموض الذى احاط به ، والى حد ما الى المسيح الكريم نفسه ، فيدل عليه ان المسيحيين انفسهم يقرون بخفاء معنى النبوات الى رفع المسيح عليه السلام ، وفى ذلك نقرأ فى كتاب يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته فى صفحتى ١١ و ١٢ منه (وعند مجىء المسيح والاحداث التى مر بها من تعليم الشعب الى معجزات الشفاء واقامة الموتى ثم صلبه وقيامته وظهوره للتلاميذ وارسال الروح القدس اليهم للتبشير باسمه ، كل هذه الاحداث سبق فأعلن عنها الانبياء وتنبأوا بها فى كتاباتهم للشعب ولكن الصورة الواضحة المجمعة لهذه التنبؤات لم تظهر وتأخذ شكلها المحدد لحين مجىء يسوع المسيح واتمام المكتوب عنه ، وكل ما هناك ان اليهود كانوا ينتظرون مجىء المسيح المخلص حيث اعلنت لهم التنبؤات الظاهرة عن مجىء المسيح المخلص ولكن التنبؤات الخاصة بأحداث مجيئه الى العالم وموته وقيامته والخلاص به وغفران الخطايا بالايمان باسمه ، لم تكن واضحة ولا مفهومة حتى ان اليهود كانوا يعتقدون ان المسيح المخلص سيجىء الى العالم ليرد الملك لهم أى يخلصهم من حكم الرومان لذلك أعلن يسوع المسيح له المجد عن هذه التنبؤات وعن كيفية تحققها وذلك بعد

٣ — الاعتراضات الاخرى :

وهى تلك التى قلنا أنه يحضرنا منها ما طالعناه للسيد القمص سرجيوس اسحق فى نهاية كتابه السالف الاشارة اليه ، فقد أنهى كتابه هذا موجها اعتراضاته فى صورة أسئلة قال فيها .

(س : من المسئول عن خداع الناس وغشهم عندما شبه لهم أن المسيح صلب وقتل وهو لم يصلب واذا كانت عقيدة الصلب كفرا فمن الذى كفرهم وأليسوا معذورين فى كفرهم لأن الله أراد لهم هذا الكفر حينما خدعهم بالقاء شبه عيسى على انسان آخر فصلبوه عوضا عنه .

س : وماذا يقصد الله بهذه المعجزة « الفطيس » التى بها رفع عيسى حيا الى السماء وألقى شبهه على غيره ؟

س : وما ذنب الناس الذين ظلوا ستة قرون يعتقدون أن المسيح مات حتى جاء محمد بعد ستة قرون يقول وما قتلوه يقينا .

س : وأين كان الله تعالى طوال هذه السنين حتى أنه تعالى بعد ٦٠٠ سنة ينبه الناس الى خطأ الاعتقاد بموت المسيح ؟)

واذ توجهت بالرد على هذه الاسئلة فى الطبعة الاولى من هذا الكتاب الى السيد القمص سرجيوس باعتباره هو الذى وجهها ، الا أنه ، رحمه الله ، وقد توفى

= قيامته من بين الاموات وظهوره للتلاميذ ؛ لتكون هى أساس اليقين العقلى فى الايمان بيسوع المسيح له المجد) ومعنى ذلك ان هذه التفسيرات التى استقرت عن النبوءات ونسبت للمسيح عليه السلام انما نسبت اليه بعد ما قيل عن صلبه ودفنه وقيامته من الاموات ، وقد سبق ان وجدنا مدى تناقض الروايات فى هذا الخصوص الى الحد الذى يهدرها جميعا كدليل على ظهور المسيح لاى احد بعد موته ، وبالتالى فلا محل للاستناد الى ما نسب اليه فى هذه الفترة .

بعد ظهور الطبعة الأولى بنحو عام ونصف ، فانه لم يعد ثمة محل لتوجيه الرد اليه في هذه الطبعة .

وأول ما يلاحظ على هذه الاعتراضات أنها تقوم على أساس أن الفكرة الاسلامية عن تخليص الله للمسيح هي أنه قد ألقى شبه المسيح على آخر ، وقد انتهينا الى أن هذا التفسير لا يتفق مع القرآن نفسه ، وأن الواقع انما كان بخلاف ذلك ، اذ أن يهوذا استسلم لمن قبضوا عليه على أنه المسيح عليه السلام ، ولم يكشف عن حقيقة شخصيته حتى صلب وبذلك لبس الأمر لهم ، ونعود الآن الى الاعتراضات .

ونبدأ بالرد على السؤال الثاني ، ولعل من يسأل مثل هذا السؤال واجد الجواب عليه في شرحنا لحقيقة الصلب ، ومقارنتنا له بامتحان ابراهيم وابنه ، فاذا ظل من قد يسأل هذا السؤال رغم ذلك على تساؤله ، فليجب هو أولا لماذا كان امتحان الله لابراهيم وابنه حتى أن ابراهيم هم بذبح ابنه استجابة لارادة ربه فمنعه الله وخلص ابنه بذلك من الذبح ، فاذا اجاب عن ذلك ، فانه يكون أيضا وتماما قد أجاب عما يتساءل عنه من قصد الله بمعجزة تخليص المسيح ورفعه اليه .

أما السؤال الأول فيه مغالطة لا تخفى ، وعلى أساس من هذه المغالطة بني السؤالان الثالث والرابع ، فلم يعب الاسلام على المسيحيين أنهم إعتقدوا بأن الذى صلب هو المسيح ، بل إن في القرآن نفسه ما يبرر اعتقادهم بذلك ، فالقول «ولكن شبه لهم » ، معناه أن الذى صلب انما صلب على أنه المسيح عليه السلام ، ومن ثم فلا ذنب على من اعتقد حينئذ أن المسيح عليه السلام هو الذى صلب ، ولا يمكن أن يعد هذا الاعتقاد كفرا ، والقول بأن الاسلام يجعل من الاعتقاد بصلب المسيح كفرا ، هو قول مدسوس على الاسلام ، وليس من الاسلام في شيء ، بل إن عدم صلب المسيح ليس من قبيل العقيدة التي يؤمن بها المسلم ، وانما هو فقط من مضمون ايمانه بالقرآن ككلام الله الموحى به الى محمد عليه السلام ، ولو سئل أي مسلم عما

يؤمن به لما خرجت اجابته عن أنه يؤمن بالله الذى لا اله إلا هو وبأن محمداً عبده ورسوله وبالقرآن كتابا منزلا من الله ، وبملائكته وكتبه ورسله أجمعين ، ولا يخطر ببال مسلم عندئذ أن يقول بأنه يؤمن بأن المسيح لم يصلب وانما رفعه اليه مخلصا اياه من الصلب ، وصحيح أن المسلم يؤمن بأن هذه هى الحقيقة ، ولكن هذه الحقيقة ليست أساس الايمان عنده ، بل والواقع أن المسلمين لا يكادون أن يعيروا هذه المسألة أى اهتمام ، اكتفاء منهم بالتسليم بما جاء فى القرآن عن تخليص الله للمسيح ورفعه له اليه .

ولعل أن الامر قد اختلط على السيد السائل ، لأنه اذا كان الاعتقاد بصلب المسيح عند المسيحيين لا يعد فى نظر الاسلام كفرا ، فان الكفر فى حكم الاسلام هو ما رتبه المسيحيون واستخلصوه من الاعتقاد بصلب المسيح ، ألا وهو قولهم أن المسيح هو الله ، فقالوا بأن الله تجسد من مريم العذراء ومن الروح القدس بعد أن نزل ليصلب تخليصا للبشر من خطيئة آدم ، فتأليه المسيح الذى استخلصه المسيحيون من اعتقادهم بصلب المسيح ، هو ما يعده الاسلام كفرا ، وليس الاعتقاد بصلب المسيح فى حد ذاته يعد فى الاسلام كفرا .

فاذا ما وصلنا بعد ذلك الى السؤال الثالث ، فلعلنا قد أجبنا عليه فيما تقدم ، فلا ذنب على أحد أن إعتقد أن المسيح صلب حتى جاء محمد بالقرآن يقول أنه ما قتل يقينا ، فلا ذنب لأحد فى أن يعتقد بذلك حتى مجيء محمد ، ولكن الذنب هو فيما رتب على هذا الاعتقادامن تأليه المسيح ، ذلك أنه لو كان حتى قد صلب فعلا وفقا لهذا الاعتقاد ، فان ذلك ما كان ليجيز لأحد أن يعتبره الها ، وأما السؤال الأخير ، فجوابه أن الله كان موجودا بطبيعة الحال ، ونعود فنكرر أن الخطأ لم يكن هو الاعتقاد بأن الذى صلب هو المسيح ، انما فيما رتب على هذا الإعتقاد من اعتباره الله نفسه ، ولكن المسيح لم يصلب ، واذ أراد الله بعد ما كان أن يتم دينه ،

بعث بمحمد وأوحى اليه بالقرآن وفيه عرف الناس بالحقيقة التى كانت خافية عنهم ، فلم ينكروها بعد ذلك ، وفيها كما وجدنا بحق ، ما يصحح كل شىء مما اختلط على المسيحيين ، ويؤكد تمام النبوءات التى وردت فى العهد القديم .

المبحث السادس

هل يمكن أن يذكر العهد الجديد وقائع غير صحيحة

انتهينا من كل ماسبق الى أن الله قد خلص المسيح عليه السلام ورفعه اليه ، والى أن الذى قبض عليه فى الحقيقة والواقع وحوكم وصلب ، هو يهوذا الاسخريوطى لا المسيح عليه السلام ، وليس معنى هذا الا أن ما أورده العهد الجديد من تحديد لشخص المقبوض عليه والذى حوكم وصلب غير صحيح ، وأن الصحيح هو أن هذا الذى أشار اليه العهد الجديد على أنه حوكم وصلب هو يهوذا الاسخريوطى ، وطبيعى أن هذا ينفى افتراض الصحة فى الأناجيل على الأقل بالنسبة لهذه الواقعة بالذات ، ويؤكد لنا امكان ذكر العهد الجديد لوقائع غير صحيحة ، فهل هذا ممكن حقا .

ومبعث التساؤل هنا هو أن الاعتقاد السائد عند المسيحيين هو أن العهد الجديد انما كتب بارشاد الروح القدس أو وحيه ، والروح القدس عندهم هو الله أيضا ، وطبيعى أن الله لايخطىء ، فكأن نفى صحة واقعة معينة وردت فى الأناجيل أو غيرها من أسفار العهد الجديد ، هو نفى لكون هذه الأناجيل أو غيرها من أسفار العهد الجديد موحى بها من الله أو مكتوبة بارشاد منه ، وذلك يقتضينا أيضا أن نبحث فى حقيقة الوحى القائل به فى كتابة أسفار العهد الجديد ، ولهذا نقسم البحث فى هذا المبحث الى قسمين ، أولهما نبحث فيه ما اذا كانت هناك وقائع غير صحيحة ذكرت فى العهد الجديد ، وثانيهما نبحث فيه حقيقة الوحى للقائل به فى كتابة العهد الجديد .

اولا : هل هناك وقائع غير صحيحة ذكرت فى العهد الجديد :

ولا نقصد هنا التعرض لكل ما ورد فى العهد الجديد من وقائع فنبحث ما اذا كانت صحيحه أم غير صحيحة ، أو نبحث فى مدى مطابقتها للتاريخ أو نحو ذلك ، وانما نقصد هنا الوقائع التى لا يمكن الاختلاف على القول بعدم صحتها ، لا لشىء الا لأن العهد الجديد نفسه الذى وردت فيه هو الشاهد بعدم صحتها .

وليس هنا محل لذكر كل الوقائع التى ذكرت فى أجزاء من العهد الجديد تنفيها أجزاء أخرى ، لأن الباحث انما يجد ما لا حصر له من ذلك ، ولذلك نكتفى هنا بذكر البعض منها على سبيل المثال ، خاصة ما مر بنا منها من قبل .

ومن ذلك ما سبق أن طالعناه فى انجيل متى عن يهوذا الاسخريوطى من قوله « ثم مضى وخنق نفسه » (ص ٢٧ : ٥) ، وهو مانفهم منه بوضوح أن يهوذا مات بأن خنق نفسه ، ولكننا طالعنا كذلك على لسان بطرس فى الاصحاح الأول من سفر اعمال الرسل قوله عن يهوذا « ... واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها . وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم ... » (١٨ و ١٩) ، وهنا نعرف عن موت يهوذا أن كأنما حلت عليه لعنة من الله جزاء لخيانته فسقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، بل وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم ، وهذه الرواية فى حد ذاتها تنفى ماقيل فى انجيل متى من أنه خنق نفسه ، كما أن هذا الذى قيل فى انجيل متى ينفى رواية بطرس ، وهو ماننتهى منه الى استحالة أن تكون كل من الروايتين صحيحة ، بل إننا قد انتهينا فى كل ما سبق الى اثبات عدم صحة أى منهما .

ومن ذلك أيضا ماطالعناه فى انجيل مرقس عن النساء اللاتى لم يجدن جسد من ظنوه المسيح فى القبر ، حيث جاء فى ذلك الانجيل أن شابا رأينه أخبرهن بأن المسيح قد قام وطلب منهن أن يخبرن تلاميذه أنه يسبقهم الى الجليل ، فهنا يستطرد

انجيل مرقس قائلا «فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات . » (ص ١٦ : ٨) ، أما انجيل لوقا ، فاذ يشير الى نفس الواقعة ، وعلى أنه لم يذكر أن من تحدث الى النساء ، وهو هنا رجلان لا شاب كما ورد فى انجيل مرقس ، لم يذكر أنهما طلبا الى النساء أن يخبرن التلاميذ بما قيل لهن ، فانه يستطرد قائلا « فتذكرن كلامه . ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله» . (ص ٢٤ : ٨ و ٩) ، وليس للعقل أن يقبل أن من رأته النسوة كان رجلا ورجلين فى نفس الوقت ، وليس للعقل أيضا أن يقبل أن النسوة لم يخبرن أحدا وفى نفس الوقت أخبرن التلاميذ والجميع ، وما كل هذا التناقض الا دليل قاطع على الأقل على عدم صحة واحدة من الروايتين ، أما أن تكون كل منهما صحيحة فهذا هو المستحيل ، فما الحال ونحن لا نجد فى هذا الصدد روايتين فحسب ، بل نجد فى كل من الأناجيل الأربعة رواية مختلفة عما ورد فى الأناجيل الثلاثة الأخرى . (١)

---

(١) فى التعليق على ذلك يقول القمص باسيليوس اسحق فى كتابه الحق ص٦١ : (يقول مرقس انهن رأين شابا فى القبر (ملاكا) واما لوقا فقال انهن رأين رجلين بثياب براقة (ملاكين) ومضى يقول احد الكتاب ان هذا التناقض دليل عدم صحة الروايتين ... ان النساء اللواتى ذهبن الى القبر كن جماعتين ، فاللواتى ذكرهن لوقا هن اللواتى اشترين الحنوط يوم الجمعة بدليل قوله انه كان معهن اناس (لوقا ٢٤) اما الجماعة الاخرى فهن اللواتى اشترين الحنوط يوم السبت (واللواتى ورد ذكرهن فى مرقس) وأتين لاستكمال فريضة الدفن والتى لم يستطعنها يوم الجمعة . . . ولا يلزم أن نفرض ان الفرقتين وصلتا معا ، كما لا يلزم أن يكون الملاك الذى ظهر للفرقة الاولى التى وصلت اولا هو هو وليس معه آخر ظهر للفرقة الاخرى ، ولابد أن يكون ملائكة كثيرين معه كما حدث فى يوم الميلاد لم يرينهم النسوة ... احدى الفرق رأت ملاكا ، واما الثانية التى وصلت بعد الاولى رأت ملاكين . ، فاى تناقض فى هذا اذن ؟) ، والتناقض هنا أن هذا قولك وحدك بأن هناك اكثر من فرقة وليس فرقة واحدة ، فمرقس البشير قال عن النسوة انهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة

ومن هذا أيضا ما قرأناه فى الأناجيل من قبل عن محاكمة المسيح وخاصة ماقيل عن مثوله أمام الوالى حيث نقرأ فى انجيل متى عن ذلك :

« فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود . فقال له يسوع أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء . فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك . فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا . » (مت ٢٧ : ١١ — ١٤) .

وفى انجيل مرقس نقرأ عن نفس الواقعة :

« فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود . فأجاب وقال أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا . فسأله بيلاطس أيضا قائلا أما تجيب بشيء . أنظر كم يشهدون عليك فلم يجب يسوع أيضـــا بشيء حتى تعجب بيلاطس . » (مر ١٥ : ٢ — ٥) .

أما انجيل يوحنا فيشير الى نفس الواقعة بقوله :

« ثم دخل بيلاطس أيضا الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له انت ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى . أجابه بيلاطس ألعلى أنا يهودى . أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى . ماذا فعلت . أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هنا . فقال بيلاطس أفأنت اذا ملك . أجاب يسوع أنت تقول انى ملك . لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى

= (مر ١٦ : ١) ولوقا البشير يقول « وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم ام يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل . » (لو ٢٤ : ١٠) ووجود مريم المجدلية ومريم ام يعقوب فى الحالتين يعرفنا بأن الفرقـــة واحـــدة وليست اكثـــر .

العالم لأشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتى . قال له بيلاطس ماهو الحق . . . . » (ص ١٨ : ٣٣ – ٣٨) .

والمرء اذ يطالع كل ذلك فى الأناجيل الثلاثة يأخذه العجب ، فهاهما ذا انجيلان يؤكدان أن كل ماقاله هذا الذى يحاكم على أنه المسيح لبيلاطس « أنت تقول » ، ويحاول بيلاطس بعد ذلك أن يتحدث معه فلا يجيبه ولا عن كلمة واحدة ، ويؤكد الانجيلان سكوته على هذا النحو بأن يضيفا أن الوالى تعجب لذلك جدا ، ولكن الانجيل الأخير لا يقول بذلك ، بل يقول أنه أخذ يرد على بيلاطس ويناقشه فى كل مايقول، ويدور بينهما حديث لاينتهى الا بأن يخرج بيلاطس بعد ذلك لليهود تاركا للمسيح ، فهل يمكن أن يكون كل ذلك صحيحا ، هل يمكن أن يكون هذا الذى يحاكم ويحسبونه المسيح قد سكت ولم يجب الوالى عن كلمة واحدة حتى أثار ذلك السكوت منه عجب الوالى جدا ، وأن يكون فى نفس الوقت لم يسكت على الاطلاق بل أخذ يناقش الوالى فى كل مايقوله ، ان هذا هو المستحيل عينه للعقل ، وان هذا ليقطع أن فى القليل فان احدى الروايتين غير صحيحة على الاطلاق .

ثم إننا نقرأ عن الذى حوكم وسلم للصلب فى انجيل متى « وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا إسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه . » (ص ٢٧ : ٣٢) . وخارجون هنا قصد بها من دار الولاية ، ومن باقى رواية ذلك الانجيل نعرف أن سمعان هذا حمل الصليب الى مكان الصلب ، ونقرأ عن نفس الواقعة فى انجيل مرقس « ثم خرجوا ليصلبوه . فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه . وجاءوا به الى موضع جلجثة . . . . » (ص ١٥ : ٢٠ – ٢٢) ، وهو ما يعطينا نفس المعنى السابق ، ونقرأ كذلك عن الواقعة نفسها فى انجيل لوقا « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع . » (ص ٢٣ : ٢٦) .

وهو يعطينا نفس المعنى أيضا ويزيد الامر ايضاحا بأن المصلوب هنا يحمله سمعان ويسير به خلف من يحسبونه المسيح عليه السلام ، أما انجيل يوحنا فيقول عن هذه الواقعة نفسها « فأخذوا يسوع ومضوا به . فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة . حيث صلبوه . . . » (ص ١٩ : ١٦ — ١٨) ، وهذه الرواية هي عكس ما اتفق عليه البشيرون الثلاثة حيث نفهم من روايتهم أن من ظنوا أنه المسيح منذ أن خرج من دار الولاية الى الى حيث صلب ، لم يحمل صليبه بل سخر لحمله رجل قيرواني يدعى سمعان حمل الصليب وسار به خلفه حتى مكان صلبه ، أما يوحنا البشير فيذكر لنا أن من ظنوا أنه المسيح هو الذى حمل الصليب منذ خروجه وحتى مكان صلبه ، ومحال أن تكون كلا الروايتين صحيحة ، وفى القليل فان إحداهما على الأقل ليست صحيحة .

ومن ذلك أيضا ما نقرأه عن اللصين اللذين صلبا مع من ظنوه المسيح عليه السلام ، ففى انجيل متى نقرأ عنهما « وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه » (ص ٢٧ : ٤٤) ، كما نقرأ فى انجيل مرقس « واللذان صلبا معه كانا يعيرانه . » (ص ١٥ : ٣٢) ، كما نقرأ فى انجيل لوقا « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وايانا . فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا أنت تخاف الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه . أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله . ثم قال ليسوع أذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك . فقال له يسوع الحق أقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس . » (ص ٢٣ : ٣٩ — ٤٣) ، فهاهنا انجيلان يتفقان على أن من صلبا مع من ظنوه المسيح كانا يعيرانه ، هما معا ، الاثنان ، كانا يعيرانه ، وأما الانجيل الثالث فينفى نفيا قاطعا أن ثانيهما قد عيره ، ويؤكد أن واحدا فقط قد عيره ، وأما الثانى فقد انتهر هذا الذى عيره ، والمستحيل أن يكون هذا الثانى قد

عيره ، وفى نفس الوقت لم يعيره وانما انتهر هذا الذى عيره ، والمقطــوع به أن فى القليل احدى الروايتين غير صحيحة بالنسبة لهذا الثانى فاما أنه هو الآخر عــيره ، وإما أنه لم يعيره وانتهر هذا الذى عيره ، أما أن تكون كـلا الروايتين صحيحة ، فهذا محال .

ومن مثل ذلك أيضا ما نطالعه فى سفر أعمال الرسل ، فقد أشير فى هذا السفر مرتين الى واقعة واحدة قيل فيها أن المسيح عليه السلام ظهر لشاول الذى لقب بعد ذلك ببولس الرسول ، وفى المرتين أشير أيضا الى من كانوا مع شاول هذا من حيث شعورهم بهذه الواقعة ، وفى ذلك نقرأ فى الاصحاح التاسع من ذلك السفــر « وأما الرجال المسافرين معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا » .(٧) ، كما نقرأ بعد ذلك فى نفس السفر عن نفس الواقعة على لسان شاول نفسه « والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولـكنهم لم يسمعوا صـــوت الذى كلمنى . » (ص ٢٢ : ٩) ، وهنا نرى التناقض بينا ، فبينما الرواية الاولى تقول عن الذين كانوا مع شاول سمعوا الصوت ، تقول الثانية أنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمـــه ، وبينما تقول الأولى أنهم لم ينظروا أحدا تقول الثانية أنهم نظروا النور ، فمـا هى الحقيقة من كل ذلك أن كانت أى الروايتين حقيقية ، ومهما قيل فلن يمكن القول الا بأن احداهما على الأقل غير صحيحة .(١)

---

(١) ولكن القمص باسيليوس اسحق يرى أن كلا الروايتين صحيحة ، فيقول شرحا لذلك فى ص٥٨ من كتابه (الحق) : (فى الاولى ان الرجال المسافرين معه كانوا يسمعون الصوت — وفى الثانية لم يسمعوا صوت الذى كلمنى . ظن احد الكتاب ان هناك خلافا فى النصين ، ولا خلاف بينهما قط . ان المسيح تكلم مع شاول وحذره من عاقبة اعماله ، وجرى حديث بينهما واجاب بولس السيد المسيح ... فالرجال المسافرون معه سمعوا صوت بولس وهو يتحدث مع السيد المسيح ولكنهم لم يسمعوا صوت المسيح . وفى الثانية الكلام واضح : ان المسافرين لم يسمعــوا صوت الذى كان يكلم شاول ...) وكعادته يأتينا هنا السيد القمص بالجديد الغريب الذى لم يقل به مسيحى قبله ، فليس فى المسيحيين من

والأمثلة من هذا القبيل عديدة حتى أنها لا تقع تحت حصر ، وليس هنا على أى حال مكان حصرها ، حتى لا نخرج بالكتاب عن نطاقه ، انما الذى يعنينا من هذه الأمثلة ، أن أسفار العهد الجديد نفسها ، هى الشاهدة على عدم صحة الكثير مما جاء فيها ، لذكر واقعة فى أحدها ، وايرادها على صورة أخرى مناقضة تماما فى سفر أو أسفار أخرى ، ولعل ذلك وحده يكفينا دليلا على عدم صحة ما يقال بالوحى أو الارشاد من الروح القدس التى يقصدون بها الله فى كتابة هذه الاسفار، لأنه لا يمكن أن يكون من الله هذا التناقض ، الا اننا اذ نستهدف الحقيقة وحدها بهذا البحث ، نجد لزاما علينا أن نعرف حقيقة هذا الوحى المقال به ، وأن نعرف

= يفسر القول «يسمعون الصوت» ، بأن المقصود به صوت بولس وهو يتحدث مع المسيح ، وهو معنى لا يحتمله الكلام نفسه ، والذى لا يكون له معنى لو قصد به ان الرجال المسافرين سمعوا صوت بولس ولم يروا احدا ، لانه لو صح هذا لكان معناه انهم لم يروا بولس نفسه ، وهذا غير صحيح ، وليدللنا على تفسير يقول بما قال ان كان ما يدعيه سيادته صحيحا . اما السيد/ يسى منصور فيقول ردا على ذلك فى صفحة ٦٣ من الجزء الثالث من رده : (وبقليل من التأمل نرى أن الروايتين متفقتان على ان الرجال الذين مع شاول نظروا النور وارتعبوا ووقفوا صامتين ولم يروا شخص المسيح . وانهم سمعوا الصوت كدوى لكنهم لم يسمعوا الصوت بوضوح ولم يسمعوا شيئا من كلماته ، فلا تناقض.) وطبيعى هذا قوله ، ولكن الواضح ان عبارة « يسمعون الصوت » قصد بها تماما من سياق الكلام الذى وردت فيه أن الصوت الذى سمع كان واضحا ومفهوما ، وهذا تماما ما اضطر السيد القمص الى القول بأن المقصود هو صوت بولس وليس الصوت الآخر ، فمفهوم رده أن الصوت كان واضحا ومفهوما لانه صوت بولس، اننا اذ نقرا فى الاصحاح ٢٢ نراه يقول على لسان شاول « فحدث لى وانا ذاهب ومتقرب الى دمشق انه نحو نصف النهار بغتة ابرق حولى من السماء نور عظيم .» (اص٢٢:٦) فنفهم من ذلك ان كل ما تراءى وظهر له هو ذلك النور العظيم ، وهو ما رآه أيضا من كانوا معه حسب قوله ، وهو نفس ما نقرآه فى الاصحاح السابع تقريبا ولكن أشير لمن معه الى انهم لم ينظروا احدا،ولا يعنى هذا الا انهم لم يروا هذا النور لان شاول نفسه لم ير غيره ، ويقطع بهذا المعنى ما ورد فى الاصحاح نفسه بعد ذلك من ان شاول لم يعد يبصر بعدها رغم انه مفتوح العينين .

على حقيقة الكيفية التى كتبت بها أسفار العهد الجديد ، لتكون العقيدة بحق جامعة مانعة كما قدمنا .

ثانيا : حقيقة الوحى او الارشاد من الروح القدس — أى الله — المقال به فى كتابه أسفار العهد الجديد :

ولعل الوصول الى حقيقة الوحى أو الارشاد من الروح القدس المقال به فى كتابة أسفار العهد الجديد عند المسيحيين يقتضينا ابتداء أن نتعرف على أسفار العهد الجديد المقال بالوحى فى كتابتها ، ثم على كيفية كتابة هذه الأسفار ، ثم على هذا الوحى المقال به لننتهى من كل ذلك الى الحقيقة بشأن هذا الوحى .

١ — اسفار العهد الجديد :

كتاب العهد الجديد هو القسم الثانى من الكتاب المقدس الذى يتضمن فى القسم الاول منه العهد القديم والذى يشمل بدوره جميع رسالات الانبياء قبل المسيح عليه السلام ، أما العهد الجديد فهو ما بدأ بالمسيح عليه السلام وانتهى بعده ، ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً ، الأربعة الاول منها هى المعروفة بالاناجيل وهى على التوالى انجيل متى ثم انجيل مرقس ثم انجيل لوقا ثم انجيل يوحنا ، وواضح من أسمائها انها سميت بأسماء كاتبيها ، ويلى الاناجيل سفر يسمى سفر أعمال الرسل ، ونعرف منه ان كاتبه هو لوقا كاتب انجيل لوقا ، ويليه ثلاثة عشر سفرا ، كلها رسائل من الملقب بيولس الرسول والذى كان اسمه شاول ، الاولى هى رسالته الى اهل رومية ، والثانية هى رسالته الاولى الى اهل كورنثوس ، والثالثة هى رسالته الثانية الى اهل كورنثوس ، والرابعة هى رسالته الى اهل غلاطية ، والخامسة هى رسالته الى اهل افسس ، والسادسة هى رسالته الى أهل فيلبى ، والسابعة هى رسالته الى اهل كولوسى ، والثامنة هى رسالته الى اهل تسالونيكى ، والتاسعة هى رسالته الثانية الى اهل تسالونيكى ، والعاشرة هى رسالته الأولى الى تيموثاوس ،

والحادية عشرة هى رسالته الثانية إلى تيموثاوس ، والثانية عشرة هى رسالته إلى تيطس ، والثالثة عشرة هى رسالته إلى فليمون ، ويلى هذه الرسائل رسائل أخرى تمثل كل منها سفرا آخر من أسفار العهد الجديد ، وهى الرسالة إلى العبرانيين ، ورسالة يعقوب ، ورسالتان لبطرس الرسول ، وثلاث رسائل ليوحنا الرسول ، ورسالة ليهوذا ، وأخيرا سفر يسمى برؤيا يوحنا اللاهوتى .

٢ — كيفية كتابة أسفار العهد الجديد :

ويدخل تحت هذا العنوان بطبيعة الحال بيان الأشخاص الذين قاموا بكتابة أسفار العهد الجديد ، وهـذا الموضوع عموما يحتاج إلى بحث مستفيض قائم بذاته لدراسة دراسة شاملة ، ذلك أنه ليس من المحقق تماما لدى المسيحيين معرفة أشخاص جميع كاتبى أسفار العهد الجديد ، أو تاريخ كتابة كل سفر من أسفاره ، أو اللغة الأصلية التى كتب بها كل سفر منها ، كما لاتوجد نسخة أصلية لأى سفر منها إلا ماندر ، إلى آخر ذلك مما يتطلع اليه الباحث فى هـذا الموضوع ، وهو مايقصر نطاق هذا الكتاب عن بحثه بحثا شاملا ، ولذلك فلن نحاول هنا غير الاحاطه بصفة عامة ، ووفقا لأغلب ماهو مستقر لدى المسيحيين أنفسهم ، ومستعرضين بقـدر الامكان مايمكن بحثة فى هذا الموضوع .

وفى ذلك نقرأ عن الأناجيل الأربعة فى كتاب أقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الإنجيل (للأستاذ الألمانى يواكيم أرميا والذى نقله إلى العربية الدكتور عزت زكى وصادر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع المجمع المسيحى للشرق الأدنى) من ص ١٠ — ١٢ منه قوله :

(... ينبغى أن نضع نصب أعيننا حقيقتين أساسيتين ، عن بشائر الانجيل ، وكتابتها . أنه لمـدة طويلة ، كانت كل التقاليد المعروفة عن المسيح — أقواله ، ومعجزاته ، والقصص الثابتة عن موته ، وقيامته — كلها أقوال شفاهية ، متناقلة .

ففي الوقت عينه الذى كانت فيه المسيحيه تنتشر فى سورية ، وآسيا الصغرى ، واليونان ، كانت قصص البشائر ، على قدر مانستطيع أن نعرف ، كلها شفاهية واستمرت على هذه الصورة مايقرب من خمسة وثلاثين عاما ، ولم يتغير الوضع إلا فى عهد اضطهاد نيرون للمسيحين ، حينما اجتمع شيوخ الكنيسة ، وكبارها ، فى خريف عام ٦٤ م ، ووجدوا أن الكثيرين من أعمدة الكنيسة قد فقدوا ، واستشهدوا . ومنهم بطرس الرسول ، الذى صلب فى حدائق الفاتيكان ، وابتدأوا يتذاكرون فيما بينهم ، الذكريات التى كان يقصها بطرس الرسول ، عن حياته مع المسيح وعن أحاديث المسيح معه ، وعن معجزات السيد التى رآها ، وعن انكاره للسيد فى ليلة الخميس الذى حوكم فيه أمام مجلس أحبار اليهود . ولم يجد المجتمعون أمامهم إلا يوحنا القلب مرقص ، زميل الرسول بطرس فى الخدمة ، والذى كان قد هرب من الاضطهاد ، ليسجل كل مايستطيع أن يتذكره من أحاديث المسيح ، وتعاليمه . وكتب مرقص بشارته[1] المختصرة التى تحمل اسمه . وهى اقدم قصة كتبت عن حياة المسيح .

والحقيقة الثانية ، أن قصة مرقص عن المسيح ، وأقواله ، قد دفعت غيره ، ليحذوا حذوه ، وينسجوا على منواله ؛ وليس غريبا أن تفحص البشارة ؛ ويشاهد أنها لم تستوف القصة بأكملها ؛ فيبدأ آخرون فى تتبع كل شىء بالتدقيق ؛ وتنشأ بشائر أخرى ؛ يحذو بعضها حذو بشارة مرقص ؛ مثل انجيلى متى ولوقا ؛ ويختلف غيرها عنه ، وفى وقت قصير أصبح لكل منطقة من مناطق المسيحية ، انجيلها الذى تستخدمه فى كنائسها حتى أنه لم يهل منتصف القرن الثانى للميلاد ، حتى كان هناك عدد لا يستهان

---

(١) ويشير الكاتب فى هامش الصفحة تعليقا على ذلك قوله : (الدليل على صحة هذا الرأى ما ورد عن تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ، فى حديثه عن بابياس ، وفيه يشير الى أن هذا البشارة قد كتبت بعد موت بطرس . فهو يقول « أن مرقص تلميذ بطرس قد كتب كل ما استطاع ان يتذكره » .)

به من البشائر ، مما سبب الارتباك والبلبلة وزاد الطين بلة ، ظهور مذهب الغنوسيين أو المستنيرين ، كما كانوا يلقبون أنفسهم ، الذي حاول أن يدمج المسيحية في الديانات المحيطة بها ، وأنتج لنفسه سلسلة كاملة من الأناجيل . ومن هذه السلسلة، انجيل بطرس ، وانجيل المصريين ، وانجيل بازيليدس ، وانجيل توما ، وانجيل فيلبس ، وانجيل جواء ، ولما رأت الكنيسة أن الأمر جد خطير ، بدأت في تقصى أسس هذه البشائر ، ونبذت مالم يكن له سند تاريخي ، واقتصرت على البشائر الأربع المعروفة . واعتبر ما سواها بشائر أبو كريفية ، طوردت ،وجمعت، وأحرقت حتى اختفت ، ولم يصل منها الينا الا النذر اليسير .)

ونحن نجد عادة في مقدمات تفسيرات الأناجيل،نبذة عامة عن الأناجيل عموما ، وعن الانجيل موضوع التفسير بصفة خاصة ، ومن مثل ذلك مانقرؤه في مقدمه تفسير انجيل متى للقس مرقس داود(وهو من تأليف متى هنرى وتعريب القس المذكور) من قول المؤلف :

(... وأمامنا « الاناجيل الأربعة » . معنى « الانجيل » أو « البشارة » الأخبار الطيبة أو السارة ...

هذه الأناجيل الأربعة قبلتها وأقرتها الكنيسة الأولى وكانت تقرأ في اجتماعات المسيحيين كما يتضح من كتابات الشهيد يوستينوس وايريناوس اللذين عاشا فى القرن الثانى للميلاد ، واللذين صرحا بأن الكنيسة لم تقبل أكثر ولا أقل من هذه الأناجيل الأربعة . وحوالى ذلك الوقت الذى عاش فيه هذان البطلان قام تاتيان بوضع ملخص لهذه الأناجيل وسماه « دياطسرون » (انجيل الأناجيل الأربعة) . وفى الجيلين الثالث والرابع زورت أناجيل متعددة واحد باسم بطرس وآخر باسم توما وثالث باسم فيلبس الخ . . . ولكن الكنيسة لم تقبلها ولم تصادق عليها .

. . وأمامنا «انجيل متى» . كان « متى » بحسب المولد يهوديا وبحسب العمل

« عشارا » حتى دعاه المسيح لاتباعه . وعندئذ « ترك مكان الجباية » وتبعه وصار واحدا من أتباعه الذين رافقوه « كل الزمان الذى فيه دخل الرب يسوع وخرج ، منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذى ارتفع فيه » اع ١ : ٢١ و ٢٢ . اذا فقد كان شاهدا جديرا بأن تقبل شهادته عن كل ما دونه هنا . ويقال أنه كتب انجيله بعد صعود المسيح بثمان سنوات . ويقرر الكثيرون أنه كتبه باللغة العبرانية أو السريانية ولكن الأرجح أنه كتب باللغة اليونانية كسائر أسفار العهد الجديد . لأنه لم يشأ كتابته بتلك اللغة التى كانت محصورة فى اليهـــود الذين كانت كل من كنيستهـــم ومملكتهم على وشك الزوال ، بل بتلك التى كانت منتشرة فى كل أرجاء العالم والتى كانت أكثر لياقة لانتشار معرفة المسيح فى كـل أمم الأرض . ولكن لعله وجدت نسخ باللغة العبرانية التى كتبها متى نفسه فى ذات الوقت الذى كتب فيه النسخة اليونانية لكى يرسل العبرانية الى اليهود واليونانية الى الأمم عندما ترك اليهودية للكرازة بين الأمم . وعلى أى حال فنحن نشكر الله لأن هذا الانجيل قد وصل الينا باللغة التى نفهمها .)

ونقرأ فى كتاب رب المجد الذى سلفت الاشارة اليـــه عن انجيـــل متى فى الصفحتين ٢٠١ و ٢٠٣ :

(ان كاتب هذه البشارة هو متى العشار ابن حلفا الملقب لاوى أيضا ، وهو يهودى الجنس . كان قبل دعوته الى الرسولية جابيا لخراج الدولة الرومانية فى كفر ناحوم وضواحيها (مت ٩ : ٩ ومر ٢ : ١٤ ولو ٥ : ٢٧) . الاعتقاد الشائع أنه كتب بشارته بعد صعود المسيح بسنوات قليلة (أى قبل خراب أورشليم) ، وقصد بها افادة المؤمنين من اليهود خصوصا عن حياة المخلص وتعاليمه لأجل تثبيتهم فى الدين الحقيقى وليبرهن لليهود عامة أن يسوع الناصرى الذى رفضه ائمة اليهود وصلبوه هو ذات المسيح الملك المنتظر .

بمـا أن غاية البشير متى بهذه الصورة فهـو لذلك برهن فى بشارته أن يسوع الناصرى هو المسيح الذى ينتظره الشعب المختار . ولذلك تجدون بشارته ممتازة فى أسلوبها عن مرقس ولوقا اللذين كتبا للمتنصرين من الأمم . وكذلك تجـدون بشارته مشحونة بذكر عوائد اليهود ومدنهـم وأماكنهم المشهورة ومشحونة بنصوص من الأنبياء و كثرة الاشارات الى أقوالهم التى تمت بها لأن ذلك كان من أقطع البراهين عند اليهود .)

ونقرأ فى نفس الـكتاب عن انجيل مرقس فى الصفحات من ٢١٠ الى ٢١٢ قوله:

(ان مرقس كاتب هذه البشارة هو المذكور فى سفر الأعمال ١٢:١٢ « يوحنا الملقب مرقس » ، وهو ابن امرأة تقية من أورشليم اسمها مريم أخت برنابا ... وقيل ان مرقس هذا آمن بواسطة بطرس الرسول لأنه كان يدعوه ابنا له (١ بط ٥ : ٣) ؛ وكان مرافقا لبولس وبرنابا خاله فى سفرهما الأول للتبشير ...

أما بشارته فقيل أنه كتبها فى أثناء سنة ٦١ تحت مناظرة بطرس رفيقه الخاص ومما يؤيد هذا الرأى كونه يترك أخبارا كثيرة عن هذا الرسول تؤول الى كرامته مما يذكره غيره من الانجيليين ...

ان مرقس كتب بشارته لنفع المؤمنين من الأمم الذين كان أصـل رجوعهم للمسيح بواسطة خدمته . ولذلك تراه يتجنب بقدر ما يمكن ذكر العادات اليهودية والاقتباس من أسفار العهد القديم لعدم خبرة الأمم بها ...

أما الحوادث التى يذكرها مرقس فهى أقل من التى يذكرها متى و لوقا ، الا أنه بالاجمال يدقق فيها أكثر منهما ، كما فى ذكر احد المرات التى عبر فيهـا المسيح بحر الجليل (ص ٤) .

... وهذا يبرهن لنا ان مرقس اما انه شاهد هذه الأمور عيانا أو حصل على معرفتها من الذين شاهدوها بأعينهم ....

وتحسب هذه البشارة أنها أخصر وأوضح وأعجب وأقنع تاريخ في العالم من أجل بساطة كلامها وما تحويه من من الحوادث السامية ...)

ونقرأ في نفس الكتاب أيضا عن انجيـــل لوقا من الصفحات من ٢١٦ الى ٢١٨ قوله :

(قيل أن لوقا البشير كان يهوديا دخيلا من انطاكية (أي أنه تهود من الأمم) وقال بعضهم أنه كان أحد التلميذين الذاهبين الى عمواس وذلك غير محقق لنا .فقط نعلم أنه كان رفيقا أمينا لبولس الرسول في أسفاره الكثيرة وأتعابه وآلامه كما يتضح من سفر أعمال الرسل (ص ١٦ : ١١ و ٢٠ : ٥ و ٦ و ٢ تي ٤ : ١١) . وكانت مهنته الطب كو ٤ :١٤ . كتب بشارته نحو سنة ٦٣ م وسفر الاعمال نحو سنة ٦٤ م وكان عنوان هذين الكتابين الى رجل مسيحي شهير يقال له « ثاوفيلس » . وقيل ان لوقا استشهد في حكم نيرون الملك الروماني ، وذلك لايبعد عن الصواب لأنه كان غالبا مصاحبا لبولس الذي قضى نحبه حينئذ .

نعلم من سفر أعمـــال الرسل أن لوقا الطبيب الحبيب كان رفيقا لبولس في أسفاره . والمرجح أن سفر الأعمال كتب في آخر المدة التي يعطينا تاريخها . ولا ريب في أن بولس الرسول كان حينئذ حيا ، وبالنتيجة ان بشارة لوقا هذه التي كتبت قبل الأعمال — كما يرى من مقابلة لو ١ : ٣ مع ا ع ١ : ١ — قد كتبت في حياة بولس وغيره من الرسل . ولا يوجد سبب للريب في أنها تألفت اما بمناظرة بولس شخصيا واما باطلاعه واستحسانه ، وبان هذه البشارة صارت مقبولة عنـــد عموم الكنائس المسيحية منذ كتابتها كتاريخ صحيح عن حياة مخلصنا وتعاليمه موحى به من الروح القدس .

أن لوقا لم يكن من الرسل الاثنى عشر ؛ وهو لايدعي بأنه شاهد بعينه الأمور التي كتبها ؛ بل يصرح بأنه جمعها باجتهاد وتدقيق من الذين كانوا معاينين وخداما

للكلمة (ص ١ : ١ — ٤) . وهذا لا ينقض كونه أوحى بها فيه بروح قدس ولذا وجب اعتبارها كل الاعتبار...

ومع أن لوقا عنون بشارته باسم هذا الشخص الشهير فلا ريب أنه قصد بها افادة الكنائس عموما . وإن صح القول أن ثاوفيلس كان من الأمم البعيدين عن فلسطين يمكننا الاعتقاد بان لوقا كان يفتكر بنوع خصوصى فى احتياجات المسيحيين فى الأمم نظير رفيقه بولس ، وهذا يوافق روح بشارته ...

أما انجيل يوحنا فنقرأ عنه فى كتاب شهادة انجيل يوحنا (تأليف جورج أيلتون ونقله للعربية الأستاذ ابراهيم مطر وصادر عن مكتبة المشعل الانجيلية ببيروت) فى الصفحات من ١ إلى ٥ منه قوله : (من كتب الانجيل الرابع ؟

لشد ما يبرز هذا السؤال ، من هو كاتب الانجيل الرابع ، وقد كان الجواب العام على هذا السؤال كما شاع فى تاريخ الكنيسة وعلى مدى الأجيال أن الكاتب هو يوحنا بن زبدى — أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر . ولكن علينا أن نذكر أن اسم كاتب الانجيل لم يرد فى أ ى مكان ......

نجد بعض العلماء لا يميلون إلى الاعتقاد بأن كاتب الانجيل الرابع هو يوحنا الرسول مع أن فريقا آخر منهم ما برح يتمسك بالفكرة القائلة بأن كاتبه هو يوحنا الرسول هذا ... وتفرض النظرية احتمالات ثلاثة :

أولا : أن يكون هـذا الانجيل قد كتبه تلميذ يوحنا الرسول فكتب عما سمعه وتعلمه عن الرسول .

ثانياً : أن يكون يوحنا الشيخ هو الذى كتب هـذا الانجيل . وكان هـذ تلميذا للمسيح فى فلسطين وليس أحد الرسل .

ثالثا : أن يكون معلم كبير من كنيسة أفسس مجهول الهوية هو الذى كتب

هذا الأنجيل . وكانت رغبته أن يفسر انجيل المسيح للذين يتكلمون اللغة اليونانية حوله .

ويكاد يوجد اجماع عام بأن الانجيل انما كتب فى آسيا الصغرى فى مدينة افسس وحوالى نهاية القرن الثانى . وكانت الغاية من كتابته مساعدة الناس الذين كانت لهم معرفة قليلة فى الايمان المسيحى والذين كانوا بحاجة لأن يقادوا للتعلق فى جواب الله النهائى لكل مشكلات الانسان المتعلقة بالله وبالعالم وبالابدية .

ومهما كانت النظريات حول كاتب هذا الأنجيل فان ما يتضح لنا جليا بأن كاتبه كان لديه فكرة الرسول ، فاذا كتبه أحد تلاميذه فانه بلا مراء كان مشبعا بروحه. ولذلك فى وسعنا أن نقول بأن الشهادة التى نقرأها فى هـذا الأنجيل هى صادرة عن الرسول يوحنـا ؛ وأن الصوت الذى نسمعه هو صوت التلميذ الحبيب الذى عرف المسيح معرفة صادقة وحميمة ، وفهم فكره فهما روحيا كاملا ودقيقا) .

ويتحدث نفس الكتاب عن المقارنة بين هذا الأنجيل والأناجيل الثلاثة الأخرى فنقرأ بين مايقوله فى ذلك فى الصفحتين ١٢ و ١٣ منه :

(وإنا لنجد اختلافا فى اليوم الذى جرى فيه الصلب . فالأناجيل الثلاثة تشير إلى أن يسوع مارس الفصح مع تلاميذه فى الليل . وأنه صلب فى اليوم الثانى الذى مابرح من أيام الفصح ، لأن اليهود يعتبرون أيامهم من شروق الشمس إلى مغربها . أما يوحنا فيشير بأن يسوع صلب فى مساء الفصح ؛ فى الوقت الذى كانت فيه الخراف فى الهيكل استعدادا للعيد . (يوحنا ١٩ : ١٤ و ٣١) وإذا كان هذاهو الواقع فلابد أن يكون اليوم الذى تلا صلب المسيح هو السبت الذى كان يوم الفصح .

ورب فارق أوضح بين الأناجيل الثلاثة وهذا الانجيل يظهر حـول عودة المسيح بالمجد . وفيما كانت الأناجيل الثلاثة الأولى تتوقع عودته بمجد وبتاريخ مبكر وغير معلوم ، فى حين أننا لا نجد فى الانجيل الرابع شيئا يشبه ما ورد فى مرقس

١٣ أو متى ٢٤ أو لوقا ٢١ ، وتدون الاناجيل الثلاثة كلمات المسيح وتفسيرها التى أعطته أياها الكنيسة الأولى . ولكن عندما مرت السنون ولم يجىء المسيح، نشط يوحنا الى تفحص كلمات المسيح مرة ثانية محاولا أن يعطيها تفسيرا خاصا من عنده وقد إتضح له بأن الفترة التى سوف تمر حتى النهاية هى فترة طويلة وأطول بكثير مما ظنه التلاميذ الأوائل . والمسيح حاضر مع تلاميذه بحسب وعده لهم . وهذا الحضور حقيقى بالروح القدس الذى ينتهى باعلان مجيئه النهائى بالمحبة والدينونة . وكان فى نظر يوحنا أن آلام المسيح هى ساعة مجـده ، وان موته هو سفرته الى أبيه السماوى وقيامته بعد فترة وجيزة هى عودته (يوحنا ١٦ : ١٦) ولكن هناك المجىء النهائى فى المجد والدينونة (يوحنا ٢ . ٢٨ و ٣ : ٢) وحتى ذلك الوقت فعلى التلاميذ أن يمكثوا معه حتى يأتى (يوحنا ٢١ : ١٢ – ٢٣)

وكتب يوحنا انجيله عند نهاية القرن الأول وربما حول ٢٥ سنة بعد سقوط أورشليم عام ٧٠ ب . م .)

وعن سفر أعمال الرسل نقرأ من صفحة ٢٢٥ الى صفحة ٢٢٧ من كتاب رب المجد المشار اليه فيما سبق قوله :

(يليق بنا أن نضع سفر أعمال الرسل فى بحثنا الآن بعد بشارة لوقا لأن كاتبها واحد وهو لوقا الانجيلى ، والشخص المكتوب اليه فى كليهما هو واحد أى ثاوفيلس . ويظهر من فاتحة هذا السفر أن المكتوب فيه هو تتمة لما كتب فى بشارة لوقا (راجع ص ١ : ١) .

وبما أن بشارة لوقا تنتهى بقيامة المسيح وظهوره بعض المرات لتلاميذه وصعوده وذلك كله بهيئة مختصرة ، قد ابتدأ هذا السفر بذكر المدة التى صرفها المسيح بعد قيامته على هذه الارض. وبما أنه ذكر فى بشارته وعده لهم بأن يلبسوا قوة من الأعالى فابتدأ فى هذا السفر أن يفسر معنى تلك القوة وأخذ فى ان يرى تفصيلا

كيفية اتمام الوعد بارسال الروح القدس .

وهذا السفر يتضمن تاريخا عن خدمة الرسل وأعمالهم وما احتملوه ...

وهذا السفر يبتدىء بذكر صعود المسيح ، ويمتد فى أخباره الى نهاية السنة الثانية من سجن بولس فى رومية (اع ٢٨ : ٣٠) وذلك محيط بنحو ثلاثين سنة. والسبب الأكثر احتمالا لانقطاع الكلام هناك هو أنه قد كتب ونشر فى تلك السنة عينها .

أن لوقا يخبرنا فيه عن أول غرس الديانة المسيحية فى العالم ، وتأليف كنائس المسيحيين بين اليهود والامم ، وانتشار الانجيل فى جهات عديدة من العالم ، وصبر بعض الرسل وجرأتهم فى البلايا التى اصابتهم بسبب الانجيل ، ونجاحهم الغريب ونحو ذلك من الأمور التى هى برهان على صحة الديانة المسيحية وصدورها من الله .

ومع ان هذا السفر معنون باسم اعمال الرسل فهو لا يتضمن تاريخا تاما عن أتعاب واحد منهم ، فكم بالحرى عن جميعهم ؟ وكما أن البشائر الاربع لا تتضمن تاريخا كاملا عن أعمال ربنا المجيد وتعاليمه بل ذكر شخصه ووظيفته وتأسيس النظام المسيحى الذى هو موضوعه الاعظم على اسلوب مختصر ...

وفى الغاية المقصودة من هذا السفر أربعة أمور مهمة :

الأمر الأول : اصلاح الفكر اليهودى عن المسيح المنتظر :

انهم جميعا كانوا يفتكرون أن المسيح هو لليهود فقط ، ولا يأتى الا لليهود ، وليس لاحد من غير اليهود نصيب فى المسيح ، وحتى رسله الذين عاش معهم المسيح أكثر من ثلاث سنين وسمعوا كل تعاليمه وارشاداته نهارا وليلا — لم يفهموا الى ما بعد صعوده بل الى ما بعد حلول الروح القدس بسنين — لم يفهم الرسل أن المسيح لكل العالم على السواء . .)

وكما رأينا من قبل ، فان سفر أعمال الرسل يليه ثلاثة عشر سفرا ، كلها من

شاول الذى لقب بيولس الرسول ، واذا علمنا أن كاتب هذه الرسائل كلها واحد وأنها فى مجموعها تزيدعلى مجموع مادون فى انجيلين كاملين بما تتضمنه من أصحاحات، وأن الأناجيل تضمنت بصفة أساسية ترجمة حياة المسيح الى جانب تعاليمه التى كان ينادى بها بحيث وردت هذه التعاليم كجزء من هذه الترجمة لحياته ، بينما تضمنت هذه الرسائل التعاليم بصفة أساسية حتى لتبدو تعاليم المسيح المدونة فى البشائر قليلة للغاية بالنسبة للتعاليم التى تضمنتها هذه الرسائل ، اذا علمنا كل ذلك ، علمنا بالتالى مدى أهمية هذه الرسائل ، وخاصة أن المسيحيين يأتمرون بها تماما كما يأتمرون بما ورد فى الاناجيل منسوبا للمسيح نفسه ، ومن هنا فان من اللازم أن نولى هذه الرسائل وكاتبها قسطا كبيرا من الاهمية ، فنتتبع شخصيته وظروف كتابته لها، ولعل خير ما يعيننا فى ذلك كتاب سيرة رسول الجهاد (بقلم حبيب سعيد ـ الطبعة الثانية ـ وهو صادر عن دار « الشرق والغرب ») والذى قصد بعنوانه هذا شاول الذى لقب بيولس الرسول ، على أننا لا نغفل فى هذا الصدد أن أهم ما ورد عن هذا الرسول هو ما ذكر عنه فى سفر أعمال الرسل .

وأول اشارة فى سفر أعمال الرسل الى شاول الذى لقب بيولس الرسول كانت عند سرد السفر تفاصيل رجم استفانوس المسيحى ، حيث قال بعد ذلك :

« فصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة . واخرجوه خارج المدينة ورجموه . والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاول . فكانوا يرجمون استفانوس ... » (ص ٧ : ٥٧ ـ ٥٩)

ويكمل الاصحاح الثامن فيقول :

« وكان شاول راضيا بقتله . وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم فى الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل . وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة . وأما شاول فكان يسطو على

الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم الى السجن .» (١-٣)

ويبدأ الاصحاح التاسع بالاشارة الى شاول أيضا فيقول :

« أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب . فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى الجماعات حتى اذا وجد اناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين الى أورشليم . » (١ و ٢) .

وهكذا نرى شاول فى أول الاشارة اليه ، فنعرف أنه الى ما بعد رفع المسيح كان من غلاة اليهود الذين يضطهدون المسيحيين ، حتى أنه يحضر رجمهم راضيا به ، وحتى أنه يسافر طالبا المسيحيين ليضطهدهم ، بل ويسير معه الاصحاح فى رحلة الى دمشق قام بها لتتاح له أكبر الفرص لاضطهاد جماعات المسيحيين ، ولكن الاصحاح يستطرد بعد ذلك فيقول بأن هذه الرحله كان لها أثر عكس الذى قصد منها ، اذ يكمل الاصحاح قائلا :

« وفى ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدنى . فقال من أنت ياسيد . فقال الرب انا يسوع الذى أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل . فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولاينظرون أحدا . فنهض شاول عن الأرض وكان مفتوح العينين لايبصر أحدا . فاقتادوه بيده وأدخلوه الى دمشق . وكان ثلاثة أيام لايبصر فلم يأكل ولم يشرب . » (٣ - ٩) .

ولسنا هنا فى مجال بحث الحقيقة بالنسبة لهذه الرؤيا ، وانما نحن بصدد بيان مايعرفه المسيحيون عن شاول الذى لقب بولس الرسول ، نظرا لما كان له من أكبر الأثر فى المسيحية ، ونرى الاصحاح يكمل بعد ذلك فيقول بأن الرب ظهر فى رؤيا

لتلميذ اسمه حنانيـــا ، وقد طلب منه أن يذهب لشاول فيضع يده على عينه لـكي يبصر ، ونعرف أن شاول نفسه قد رأى رؤيا مماثلة . ويذهب حنانيا اليه فيضع يده على شاول الذى يبصر عندئذ ، وبقى شاول فى دمشق أياما يكرز بالمسيح ، ثم جاء الى التلاميذ فى أورشليم ، ولـكنهم خافوا منه غير مصدقين ، لـكن برنابا روى لهم ما عرفه عنه فقبلوه .

وأخذ شاول بعد ذلك يدعو للمسيحية ، وأثناء دعوته كتب عدة رسائل، منها الثلاثة عشر رسالة التى أشرنا اليها فى العهد الجديد ، ولنتتبـع فى كتاب سيرة رسول الجهاد ظروف كتابه هذه الرسائل الثلاثة عشر وغيرها من الرسائل التى لم ترد فى العهد الجديد ، وأول رسالة يشير اليها هذا الـكتاب هى تلك التى كتبت إلى أهل غلاطية ، ويقول الـكتاب عنها فى صفحة ٧٤ منه .

(والظاهر أن أنباء ترامت الى بولس أثناء مقامه فى أنطاكية سورية بأن نفراً من اليهود المتعنتين راحوا يدخلون الريبة فى قـلوب التلاميذ المسيحيين فى أنطاكية بسيدية وأيقونية ولسترة ودربة . وتقع هذه المدائن كلها فى القسم الجنوبى من ولاية غلاطية الرومانية فى آسيا الصغرى . والظاهر أن رسل السوء من اليهود المنتشرين الذين حاولوا من قبل فى أنطاكية سورية ، قبل انعقاد المؤتمر فى أورشليم ؛ تحويل قلوب الأمم عن الايمـان الجديد ، رحلوا شمالا الى المدن الأخرى وأخذوا يدسون بين الوثنيين فـكرة التهود أولا قبل اعتناق النصرانية ، ولم يـكن مستطاعا لبولس أن يسارع الى غلاطية ، فاستحضر رقوقا من ورق البردى ، وأمـلى رسالة الى كنائسها وحشر فيها ألفاظا عريضة كتبها بخط يده .

كان ذلك حـوالى سنة ٥٠ ب . م . وقد اختلف الشراح والعلمـاء فى تاريخ كتابة الرسالة . . . . ولـكل فريق من هؤلاء أدلة تاريخيـة يستندون اليهـا وشواهد مستقاة من نصوص الرسالة ذاتها . . .)

يستطرد الكتاب بعد ذلك فى صفحة ٧٥ فيقول :

(ومن ثم نرى أن أولى أسفار العهد الجديد هى رسائل بولس ، وأن أولى تلك الرسائل هى غلاطية كتبها الرسول لمقتضيات الساعة . وكنا نتوقع طبعا أن يبدأ الانجيل الكريم بأسفار خشوعية ، رسمية ، منطقية ، يراعى فيها صياغة اللفظ ويراعى الأسلوب ، وحسن الديباجة . ولكن طرق الله غير طرق البشر . ونحن نؤمن أن الروح القدس أهدى بولس لأن يكتب تلك الرسائل الطبيعية البسيطة الخالية من التكلف المصطنع والتزويق اللفظى . . .)

وعندما نصل الى صفحة ١١٢ يشير الكتاب الى الرسالة الأولى الى اهل تسالونيكى فيقول :

(قلنا فى الفصل السابق ان تيموثاوس وسيلا قدما الى كورنثوس لمرافقة بولس ، الأول من تسالونيكى والثانى من بيرية على أرجح الأقوال. وقد حمل اليه تيموثاوس الأنباء عن الجماعة المسيحية فى تسالونيكى ومراحل التقدم التى بلغوها فى حياتهم المسيحية ، والعقبات التى تعثروا بها فى طريقهم . ولم يكن فى طوق بولس الرحيل لرؤيتهم ، انما كان فى وسعه أن يكتب اليهم . ولذلك أتصوره يتوقف قليلا عن عمله فى صناعة الخيام ويستحضر رقوقا من ورق البردى ليملى مايختلج فى نفسه من وحى والهام الى أصدقائه فى تلك المدينة على ضوء البيانات التى تلقاها من زميله تيموثاوس .

ولم تك رسائل بولس بحوثا أو عظات ، بل رسائل بكل معنى الكلمة ، كتبت على نسق الرسالة اليونانيه المألوف فى ذلك العصر ، فى ديباجتها ووضعها وختامها . ولم يدر بخلده عند كتابتها — أو على الأصح املائها — أنه يسطر ألفاظا ستبقى ذخرا ثمينا تعتز به الأجيال القادمة ، وتتخذه مستقى عميقا تستخرج منه أسمى ما عرف البشر من أخلاق وعظات وبينات . وقد كتب رسائله بموحيات

الساعة الناشئة عن حاجات عاجلة حاتّة .

يشرع الرسول فى إملاء رسالته . . .

ثم يأخذ فى تفنيد أقوال ذوى النميمة الذين اتهموه ضما بأنه يسعى الى مغانم مادية من وراء دعايته . . .)

أما فى صفحة ١٢٧ فنرى الكاتب يشير الى رسالة لم يبق عليها التاريخ فيقول :

(وأثناء مقامه فى أفسس انتهت اليه انباء مقلقه عن أتباع المسيحية فى كورنثوس فبادر الى كتابة رسالة الى زعمائهم (١ كور ٥ : ٩ — ١٢) ، لكن التاريخ لم يبق على هذه الرسالة بين المخلفات التى تسلمناها من السلف ، وعبثت بها أيدى الحدثان ، فلم يعثر لها على أثر .)

والرسالة المقصودة كما أوضح الكاتب فى الهامش هى المشار اليها فى (١ كور ٥ : ٩ — ١٢) ، ونرى الآيات المذكورة تبدأ بالاشارة الى هذه الرسالة فتقول « كتبت اليكم فى الرسالة أن ... »

ويعود الكاتب فيحدثنا عن الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس دون أن تفوته الإشارة الى الرسالة الضائعة التى سبقتها فيقول فى صفحة ١٢٩ من الكتاب :

(عرف بولس أن فى المدينة أخطار ثلاثة شنيعة : التحزب والفساد والفوضى . ولم يكن بولس ممن يستقون الأنباء عن طريق الإشاعة والتقول . أتصوره يتلقى الخبر ، ثم يعمد الى دراسته والتأمل فيه فى هدوء وصلاة . ويبحث الأمر مع زملائه أمثال اكيلا وبريسكلا وسوستانيس ، وأخيرا يستقر رأيهم على ان يكتب اليهم رسالة أخرى . وهذه ، وان تكن الثانية ، الا أنها أولى الرسالتين المدخرتين لنا فى السفر المقدس ، لأن تلك قد فقدت ، ولم نقف لها على أثر كما أسلفنا القول .)

ويوضح الكتاب فى صفحة ١٤٢ منه أسباب كتابة الرساله الثانيـة الى أهل كورنثوس فيتصور الكاتب تيطس يلتقى بولس الذى يسأله عن أهل كورنثوس فيجيبه قائلا:

(« ان الأكثر باقون على ولائهم للمسيح ومبادئه ، وقد أخذوا بنصحك وأفرزوا الاباحى المستهتر من وسطهم ، ولم يتوانوا فى جمع الاعانات لاغاثة فقراء أورشليم ..... ولكن ما تزال بينهم أقلية يضلها اليهود المتعصبون المتعنتون ، وقد أطلقوا لأنفسهم عنان التقول عليك والنيل من شخصك ، فقالوا لهم انك متلون فى الرأى لأنك عدلت عن زيارتهم ، وينكرون عليك الرسالة لأنك لم تتلق الدعوة من المسيح (٢ كور ٣ : ١ و ٥ : ٢٠) ، وأنك مختال فخور بنفسك (كور ١١ : ١٠ — ٣٠) . بل قد أمعنوا فى التجنى والوقيعة فقالوا أنك أسأت التصرف فى الأموال التى جمعتها لفقراء أورشليم . وانه ليخجلنى أن أقرر لك كل هذه الوقائع، ولكنه خير لك أن تقف على بواطن الأمور ...

وحين يسمع هذه الأنباء من تيطس ...

يبدأ فى املاء رسالته ، فيفكر قبل كل شىء فى الأمناء الموالين ، ولايبدى شعور الرجل المساء اليه الا بعدئذ ، ومن الفصل العاشر يندفع فى العتب واللوم ، وانما بأسلوب الرجل النبيل ، وفى كرامة هادئة ، ودعة رزينة ، شأن المسيحى الصادق .)

ويشير الكتاب فى صفحة ١٥٠ منه الى الرسالة الى أهل رومية فيقول :

(ولم يكن بولس فى رسائله مؤلفا ، يجلس الى مكتبه ليتفنن فى صياغة الألفاظ وابداع التراكيب يؤلف بها روائع الصور الشعرية ، بل كانت رسائل طبيعية فى استهلالها وختامها ، يرسلها على سجيتها ، فيمليها على أصدقاء له ، ويعالج فيها مسائل خاصة بهم وبه . وكان يتحدث فيها باسلوب بين ، بألفاظ يونانية مألوفة مفهومة فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانيه .

وأما رسالته الى رومية فتكاد تكون كتابا أكثر منها رسالة . وذلك لأنه لم يعرف الا القليل من التلاميذ فى رومية ، فلم يستطيع أن يحدثهم بذلك الأسلوب الشخصى ، كما فعل فى كورنثوس مثلا .

ومع ذلك فهى فى وضعها وصياغتها رسالة ، وليست بحثا لاهوتيا ، ولا سفرا توخى فيه كاتبه المحسنات البديعية أو اللفظيــة ... رسالة تستفيض بأفكار بولس وخلجات نفسه العميقة عن مشيئة الله ، والخلاص الذى جاء به المسيح للبشرية...).

أما الرسالة الى فليمون فيفهم من الكتاب انها عن عبد فر من خدمة مولاه ، فنصحه بولس بالعودة اليه ثم كتب له الرسالة الى مولاه سائلا اياه أن يعفو عنه .

ويشير الكتاب بعد ذلك الى رسالة أخرى فقدت فيقول فى صفحة ٢٣٠ منه :

(ويقول بعض الشراح ان تيخيكس حمل معه أربع رسائل ـ فليمون ، وكولوسى وافسس ، وأخرى الى لاودكية (أنظر كولوسى ٤ : ١٦) ، وان هــذه الرسالة الأخيرة قد فقدت ولم يحتفظ أحد بنسخة منها .)

ويمكننا القول ، على ضوء ما تقدم ، وما جاء فى باقى الرسائل ، أن ظـروف كتابتها هى الأخرى ، لا تخرج عن ظروف كتابة مثلها من الرسائل السالــف الاشارة اليها ، بل اننا نستطيع أن نقول نفس الكلام عن باقى الرسائل الأخرى التى وردت فى العهد الجديد خلاف تلك التى كتبها شاول الذى لقب ببولس الرسول.

ولا يبقى بعد ذلك من العهد الجديد غير رؤيا يوحنا اللاهوتى ، ولعل خير ما يفيد فى التعرف الى ظروف كتابتها ، ما قاله فيها كاتبها نفسه ، حيث نراه يقول فيها:

« أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح . كنت فى الروح فى يوم الرب وسمعت ورائى صوتا عظيما كصوت بوق . قائلا أنا هو الألف والياء . الأول والآخر . والذى تراه أكتب فى كتاب وأرسل الى السبع كنائس التى فى آسيا الى أفسس والى سميرنا والى برغامس والى ثياتيرا والى ساردس والى فيلادلفيا والى لاودكية .» (ص ١ : ٩ — ١١).

ومفهوم ذلك أن يوحنا اللاهوتى يقول بأنه كان فى الروح فى يوم الرب وسمع

وراءه صوتا عظيما كصوت بوق قائلا أنه هو الألف والياء ، الأول والآخر ، ويطلب منه أن يكتب ما يراه فى كتاب يرسل به الى الكنائس السبع ، ومفهوم بالطبع أن يوحنا كاتب هذا السفر يقول بأن الذى يكتبه بعد ذلك هو ما رآه بالفعل فى هذه الرؤيا .

وبعد ... فهذه هى كيفية كتابة أسفار العهد الجديد، ووفقا لما يقول به المسيحيون أنفسهم ، وفى حدود ما قدمنا ، نستخلص ما يسلم به المسيحيون فى هذا الشأن .

فمن المسلم به أن الأناجيل لم تكن دائما هى الأربعة المتداولة اليوم وحدها ، وانما كانت هناك أناجيل متعددة غيرها ، ولا شك أن الآراء والتعاليم والقصص قد تضاربت فيما بينها ، حتى أن الأمر استدعى تدخل الكنيسة التى اختارت من بين العديد من الاناجيل ، الاربعة المتداولة الى اليوم والمعروفة بأناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، أما ما عداها من الاناجيل والتى لم تعتمدها الكنيسة ، فقد طاردته وأحرقته .

ومن كتبة الاناجيل من هو محقق معرفته مثل متى ومرقس ولوقا ، ومنهم من هو غير محقق معرفته مثل كاتب انجيل يوحنا .

ولا يكاد يقطع بأى لغة كتبت هذه الأناجيل الاربعة المتداولة اليوم فى الاصل ، كما لا توجد اليوم نسخة أصلية لأى منها .

كما أن أمورا معينة قد أملت على كاتبى هذه الأناجيل أن يكتبوها ، وأهدافا معينة قصدت منها ، ولابد وأن ذلك أيضا ينطبق على غيرها من الاناجيل التى طوردت وأحرقت ، بل اننا نجد منها ، وتقصد انجيل لوقا ، ما هو عبارة عن خطاب بعث به كاتبه الى شخص يعرفه هو العزيز ثاوفيلس ، ونراه يوضح فى بداية انجيله ما دعاه الى كتابته فيقول بأن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عنده ، وقد رأى هو أيضا اذ قد تتبع كل شىء من الأول بتدقيق أن يكتب

له على التوالى ، ليعرف صحة الكلام الذى علم به ، ومن هذا نعرف أنه كان هناك نماذج من القصص مثل هذه التى كتبها لوقا فى خطابه ، ولكن لعل كل ماتمتاز به عنها كما ذكر أنه قد تتبع كل شىء من الأول بتدقيق ، وهـذا الكلام عينه ، ينطبق على سفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا نفسه كخطاب إلى العزيز ثاوفيلس أيضا ، تماما كما فعل بالنسبة لبشارته ، واستكمالا لما جاء فيها .

والذى يبدو عجيبا حقـا هو ذلك المدعو شاول الذى لقب بولس الرسول ، والذى هو بحق مؤسس المسيحية كما نعرفها اليوم ، فقد كان هـذا الرجل من علاة مضطهدى المسيحين ، ومن أكبر أعداء المسيحية ، وكان مسافرا لينكل بهم ، فاذا به يعود وهو من أكبر دعاة المسيحية ، بل أكبر دعاتها على الاطلاق ، حتى أنه أرسى بنفسه فى رسائله من القواعد ، ماجعله بحق ، مؤسس المسيحية كما نعرفها اليوم كما قلنا ، ولانريد أن نتعرض هنا لشخص هـذا الرجل ، ولا لايمانه ، ولا لحقيقـة الرؤيا التى قال بها ، رغم أن من المسيحين أنفسهم من لايعتد بقوله بشأنها ، وانما نكتفى هنا بذكر الحقائق الثابتة بشأنه ، وهى أنه لم يشاهد المسيح قط قبل رفعه ، ولم يكن من حوارييه أو تلاميذه ، وعندما أعلن عن ايمانه ، قوبل بالشك والريبة ، بل إن من المسيحين من نعته بأمور شائنة كثيرة حتى بعد اعلان ايمانه بفترة طويلة ، حتى أنه إضطر فى احدى رسائله إلى أن يدافع عن نفسه بنفى ماقيل عنه ، وبالطبع لا نقصد هنا أن نؤكد شيئا مما نسب اليه ، وإنما نقول بذلك باعتبار أن هذه الأمور حقائق ثابتة على نحو ما رأيناه تفصيلا فيما سبق .

ولا يفوتنا بالنسبة اليه أن نشـير إلى أن أول رسالة كتبها فى الواقع إلى أهل كورنثوس لم يبق التاريخ عليها ، كما وجدنا أن هناك رسالة أخرى غيرها لم يبق لها اليوم أى أثر .

وقد أملت على بولس كما رأينا من قبل ، ظروف معينة ، كتابة هذه الرسائل ،

والتي لم يدر بخلده وقت املائها كما رأينا ، أنه يسطر الفاظا ستبقى عند المسيحيين ذخرا ثمينا تعتز به الأجيال القادمة ، وتتخذه مستقى عميقا تستخرج منه أسمى ماعرف البشر من أخلاق ... على نحو ما قرأنا ، ولاشك أن هذا الكلام نفسه ، ينطبق على باقى الرسائل والتى كانت لغير بولس .

وتبقى رؤيا يوحنا اللاهوتى ، وهى كما نعرف من اسمها ، ومن مضمونها ، لاتخرج بأى حال عن كونها رؤيا قيل بها .

٣ — الوحى المقال به فى كتابة أسفار العهد الجديد :

رأينا فيما سبق ، كيفية كتابة أسفار العهد الجديد، وفى كل مارأينا ، لم نجد مانستطيع أن نتبين منه أن ثمة وحيا ألهم أو أوحى إلى كتبة هذه الأسفار ما يكتبون ، بل على العكس ، فكما كتب كاتبو الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم أناجيلهم ، فكذلك كتب آخرون العديد من الأناجيل الأخرى ، كما كتبت الرسائل لظروف معينة ولم يدر بخلد من كتبوها أنها ستكون فى يوم من الأيام أسفارا مقدسة ، وهكذا فان المسيحيين فى تعرضهم لكيفية كتابة أسفار العهد الجديد ، لايشيرون إلى ما للوحى الذى يقولون به من دور فى كتابتها ، أو حتى يحاولون التدليل على وجود مثل هذا الوحى ، حتى أننا رأينا أن كتاب رب المجد حين حاول أن يشرح كيفية كتابة انجيل لوقا ، لم يجد سبيلا غير أن يشير إلى ماجاء فى أول هذا الانجيل ، من أن كاتبه جمع الأمور التى يكتبها باجتهاد وتدقيق من الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة ، وكأنما شعر الكاتب بأن هذا وحده ينفى الوحى عن كاتب الانجيل المذكور ، الذى لم يشر بنفسه إلى أن ثمة وحيا كان فى كتابته له ، ولذا عاد الكتاب فاستدرك قائلا بأن هذا لاينقض كونه قد أوحى به اليه من الروح القدس ، أما كيف كان ذلك ، فهو مالم يحاول الكاتب أن يدلل عليه بشىء ما .

وإذ لم نجد فيما تقدم مايدلنا على فكرة هذا الوحى المقال به فى كتابة أسفار

العهد الجديد عند المسيحيين ، فانه من اللازم البحث عمـا يحدد لنا هذه الفكرة بالذات ويحاول التدليل على صحتها ، وفى هذا نجد كتاب المسيحية فى الاسلام الذى سلفت الاشارة اليه ، بعد أن يتحدث عن فـكرة الاسلام فى الوحى كما فهمها أنه تنزيل الآيات بألفاظها وكلماتها من عند الله ، يستطرد فيقول ابتداء من صفحة ٤٠ منـه :

(وبناء على هذه المعتقدات نرى عامة المسلمين يسلمون ـ بسهولة فائقـة ـ بأن هذه الوساطة البشرية لم تترك أثرا بالمرة لشخصيات الرسل الموحى اليهم . بل نراهم يقولون ان كل كلمة ، وكل حرف ، انما أوحى اليهم من السماء ، وبلغ بوساطتهم الى العالم بطريقة آلية « ميكانيكية » .

فالنظر الى الوحى الالهى من الناحية الاسلامية العامة ، يخالف النظر اليه من الناحية المسيحية . فنحن معشر المسيحيين نؤمن ، كما يؤمن معنا أعلام فلاسفة المسلمين وحكمائهم كابن سينا وابن رشد والفارابى وغيرهم ، أن ليس عند الله لغات ولا حروف ، فليس عنده اذا انزال « آلى » . فالاعتقاد المسيحى عن الوحى هو ماقاله الرسول بطرس فى رسالته الثانيـة (٢ بط ١ : ٢١) « تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » .

فمعـنى الوحى عندنا هو اظهار حقائق غير ممكنة معرفتها بقـوانا الطبيعية : كسر الثالوث الأقدس والتجسد . وأما ما يمكن للعقل أن يصل اليه ، ولـكن تحت خطر الضلال فيسمى الهاما . والوحى والالهام أمر واحد بالنسبة لله تعالى ، وأمران بالنسبة للعقل البشرى . وهما لايعنيان أن الله لقن الـكتبة الذين كتبوا الأسفار المقدسة ماسطروه حرفا حرفا ، من تعاليم وتواريخ ، بل انه حركهم للـكتابة ، وأنار عقولهم بالمعرفة ، وحفظهم من الزلل ، وليس فى هذه الدرجات الثلاث مايستحيل على الله تعالى ، أو ينافى شيئا من صفاته ، كما أنه ليس فيها ماينزع عن الانسان حريته ونبوغه الذاتى .

فاذا ما قلنا ان الأسفار المقدسة — فى العهدين : العتيق والجديد — هى كلام الله ، أو أسفار الهية موحى بها من الله ، أو منزلة من عند الله ؛ لا نريد بذلك ان الله تعالى أنزلها آية آية ، وكلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، فرقمها الكاتب كما سمعها من فم الله أو ملائكته ، وقيدها بحروفها الأصلية ، لكننا نريد أن الله عز وجل — اذا ما قصد بسمو لطفه وحكمته أن يبلغ البشر شيئا من أسراره — حرك باطنا كاتبا يختاره ، فيبعثه على كتابة السفر المقصود ، ثم يمده بأيده الخاص ونعمته الممتازة ، ويلهمه اختيار الحوادث والظروف والأعمال والأقوال التى شاء سبحانه وتعالى رقمها لفائدة عباده ، وكان له رقيبا ومرشدا ، وعصمه من الخطأ فى نقلها وتسطيرها ، إفرادا واجمالا ، بحيث أنه لا ينقل الا ما ألهمه الله اياه ، فيكون الرسول اذ ذاك ككاتب مطيع ، فى حوزة الكاتب الأسمى ، وطوع ارادته .

وربما كانت بعض الحوادث والظروف مجهولة من الكاتب ، فلا يصل اليها الا اذا أوحاها الله اليه مباشرة ، أو تكون معلومة لديه ، أو مما لا يستطيع معرفته : باستطلاع الأخبار ، واستفتاء الشهود ، والتنقيب والاستقراء ، فلا حاجة عندئذ لتنزيلها عليه لعدم الفائدة ، وانما يلهمه الله كتابتها ويصونه فى ايرادها عن الضلال ، وهذا كاف لأن يعزى الكتاب الى الله ، فيقال : كتاب الله والكتاب الموحى به من الله ، لأن الله هو المؤلف السامى له باختياره مواضيعه ومعانيه ، والهام ناقليها ، وتحريكهم على كتابتها بالنوع الذى أراده ، وعصمته اياهم عن الخطأ فى غضون تسطيرها من أولها الى ختامها .

وعمل الله هذا لا يبطل صفات الكاتب الطبيعية : من ذكاء ، وأهلية ، ومعارف لغوية . وفصاحة بديهية ، ولايخلقها فيه اذا كان ممن لم يحظ بها ، لأن الله يختار من يشاء ، وليس هو بحاجة الى النحاة البلغاء ليلقى اليهم وحيه ومن ثم لا يستلزم وحى الكتب المقدسة تنزيل الألفاظ ، وتنسيق التراكيب ، لكن يقتصر

فيه عادة على الحكم والمعانى ، فينقلها هذا فى قالب فصيح ، وعبارة صحيحة سيالة وذلك فى تركيب لايقصد به الا ايصال المعانى تامة الى الأذهان ...

ولا عجب فى ذلك . فان الله تعالى اذا ما أوحى لنا كلامه انما أراد جوهر الدين ولب الآداب ، وقصد خلاص النفوس ، لاقشور الحقائق وأعراضها .

فنظرة عامة المسلمين الى الوحى الالهى تدفعهم الى أن يظنوا بالكتاب المقدس الظنون ، وتجعلهم يعتقدون فى تنزيله اعتقادهم فى تنزيل القرآن ، من أنه رسالة أوحيت من السماء الى السيد المسيح . ولهذا فهم يقولون أنه لا موجب لوجود أربعة أناجيل تنسب إلى المسيح ...

فليس الانجيل — كما يعتقد المسلمون — كتابا أوحى الى المسيح من السماء وانما هو رسالة أعدها المسيح للعالم ووعظ بها بنفسه ظاهر ، فالمسيح لم يأخذ هذه الرسالة مكتوبة ، كما أنه لم يكتبها ، وانما علمها شفويا لتلاميذ مختارين ، ثم أرسلهم الى جهات مختلفة ليبشروا بها هم ايضا ، وليعلموا آخرين غيرهم ،ولذلك عدوا رسلا . وقد وعدهم المسيح ، قبل أن يبرحهم ، أنه لن يتركهم أيضا ، كاليتامى ، وانما سيرسل لهم الروح القدس ليعلمهم كل شىء ، ويذكرهم بما قاله لهم ، وقد تم هذا الوعد بحلول الروح القدس عليهم يوم الخمسين ، فأخذوا منذ ذلك اليوم يبشرون الجميع بالانجيل .

وكان من الضرورى على التلاميذ الحواريين فى تبشيرهم أن يعلموا عن المسيح حسبما يلائم عادات ولغات العالم ، ومن ثم كانت الرسالة فى مادتها — من حيث أنها بشارة المسيح ، بشارة الخلاص — واحدة ، وإن تنوعت مظاهرها . ومن ثم كتب البشيرون الأربعة البشائر الأربع فى أزمان قريبة ، وقد نحا كل منهم فى كتابته منحى خاصا . فليس إذا وجود أربع بشائر يعنى وجود أربعة أناجيل ، كما ظن المسلمون بل هو انجيل واحد ذو مناظر أربعة ، كتبه البشيرون متى ومرقس ولوقا ويوحنا

يوحى الروح القدس لتكون الشهادة قوية متينة ......

فجميع ما كتبه البشيرون الأربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، رسالة واحدة هى الانجيل الذى قدمه المسيح وبشر به ، وأعاده الروح القدس الى اذهان هؤلاء البشيرين . وكل كاتب منهم يمثل — بوحى الله — تعليم الانجيل المعطى شفويا من المسيح تمثيلا صادقا ، وكل بشارة منها تؤدى رسالة خاصة مكملة للأخرى .) .

٤ ـ حقيقة الوحى المقال به فى كتابة أسفار العهد الجديد :

رأينا أن السيد مؤلف كتاب المسيحية فى الاسلام ، يقول بأن المسلمين يسلمون بسهولة فائقة بأن الوساطة البشرية لم تترك أثرا بالمرة لشخصيات الرسل الموحى اليهم ، ونحب بادىء بدء ان نوضح أن هذا القول ليس صحيحا على اطلاقه ، فهو صحيح فقط بالنسبة للقرآن ، الذى يؤمن المسلمون بأنه كلام الله سبحانه وتعالى ، وأنه قد أوحى به الى محمد عليه السلام بمعناه ولفظه ، دون أن يكون له بالفعل أثر فيه ، ولكن هذا الكلام غير صحيح بالنسبة لما يصدر عن الرسول من أحاديث غير القرآن ، فهى وحى الله ، ولكنها لفظ الرسول عليه السلام ، الذى فيه يقول القرآن فى سورة النجم « وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحى يوحى . » (٣ و ٤) ، ومن هنا ففى الاسلام الوحى فى القرآن وحده ، هو الذى لا يترك للرسول الموحى اليه ، أثر للتدخل فيه ، أما الأحاديث ، فهى وان كانت وحى الله ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى ، كما تقول الآية ، الا أن هذا الوحى الأخير هو بالمعنى فقط ، وأما اللفظ فللرسول الموحى اليه ، ولا نفهم سر تعجب المؤلف أن يسلم المسلمون بأن الوساطة البشرية لم يكن لها أثر بالمرة فما أوحى به ، فهل كان ـ رحمه الله ـ يعتقد أن هذه الوساطة ستزيد الكلام جلالا وتبجيلا أم أن الجلال والتبجيل الكاملين لا يكونان بأن يكون الكلام وحى الله لفظا ومعنى معا ، إنه للحق الذى لا يقبل الجدل ان الكلام الموحى به من الله ليكون أكثر جلالا

وتبجيلا حين يكون المعنى واللفظ موحى بها من الله .

هذا هو الوحى فى الاسلام ، وهو اذ يسلم بأن القرآن موحى به من الله معنى ولفظا ، فانه لا ينفى أثر الرسول فيما أوحى به اليه من أحاديث ، ونفس ما يعتقده المسلمون بالنسبة لكتابهم ورسولهم ، هو نفس ما يعتقدونه بالنسبة للكتب السماوية الأخرى والرسل الاخرين، فمن القرآن والانجيل والتوراة نقرأ فى سورة آل عمران « الله لا اله الا هو الحى القيوم - نزل عليك الكتاب بالحق مصـــدق لما بين يديه وأنزل التوراة والأنجيل . » (٢ و ٣) ، وواضح من الآية أنه قصد بهـا أن الله قد نزل القرآن كما نزل التوراة والانجيل من قبل ، وتوضح آيـة أخرى فى سورة المائدة أن الذى نزل عليه الانجيل هو المسيح عليه السلام فتقول : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة واتيناه الانجيل فيه هدى ونـــور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . » (٤٦) ، وعلى هذا فإيمان المسلمين عن الانجيل أنه وحى الله المنزل على المسيح عليه السلام لفظا ومعنى ، وقد يبدو هذا غريبا للمسيحيين ، اذ ليس بين أيديهم ذلك الأنجيل الذى هو وحى الله لفظا ومعنى للمسيح عليه السلام ، ولكن هذا هو إيمان المسلمين على أى حال وهذا الايمان لا ينفى الوحى عن كلام المسيح الذى لا يكون من الانجيـــل فى اعتبار المسلمين ، ويكون مثل هذا الكلام وحى الله للمسيح ولكن ينقله لنـــا المسيح بلفظه هو ويكون المعنى وحده من عند الله ، تماما كما هو الحال بالنسبـــة لايمان المسلمين بمحمد عليه السلام .

ولكن ، هل هو غريب حقا عن المسيحية هذا الانجيل الذى يؤمن به المسلمون . هل من الخطأ أن يقال أنه كان هناك انجيل للمسيح عليه السلام موحى به لفـــظا ومعنى من الله ، وهل يقوم عدم وجود هذا الانجيل متداولا بين المسيحيين اليـــوم دليلاً على أنه لم يكن موجودا فى يوم من الأيام .

للحق لست أرى هذا الانجيل غريبا عن المسيحية على الاطلاق ، بل إن الغريب حقا هو القول بعكس ذلك ، فها نحن نقرأ فى انجيل مرقس على لسان المسيح عليه السلام حين بدأ يعلن دعوته « ... جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل . » (ص ١ : ١٤ و ١٥) ، كما نطالع فى انجيل متى قوله على لسان المسيح أيضا . « الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها » . (ص ٢٦ : ١٣) ونقرأ نفس الكلام فى انجيل مرقس (ص ١٤ : ٩) ، فأى انجيل هذا الذى بدأ المسيح دعوته طالبا الايمان به ، وأى انجيل هذا الذى أشار اليه المسيح بقوله « ... بهذا الانجيل ... » ، ألا يفهم من ذلك بالضرورة أنه كان يقصد انجيلا معينا يعرفه الجميع ويشير هو اليه ، وهل يعقل أنه كان يقصد بهذا الكلام هذه الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم ، سواء جميعها معا أو أى واحد منها على حدة أو كل منها على حدة ، بالقطع لا ، للسبب البديهى البسيط الواضح ، أنها كلها لم تكن موجودة أو معروفة حين قال هذا الكلام ، فهو اذن انما قصد انجيلا آخر ، فما هو ، ليدلونا عليه ان استطاعوا .

وليست هذه هى كل الاشارة للانجيل فى العهد الجديد ، فها نحن نقرأ على لسان بطرس فى سفر أعمال الرسل اشارة أخرى الى الإنجيل ، حيث جاء فى السفر المذكور « فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر . فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بها بطرس وقال أيها الرجال الاخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمى يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون » . (ص ١٥ : ٦ و ٧) ، فأى انجيل هذا الذى أشار اليه بطرس ، وعلى ما نستطيع أن نقطع به ، لم تكن على الأقل كل الأناجيل المتداولة اليوم قد كتبت عندما قال بطرس هذا الكلام ، ثم ما معنى أن الله قد اختار أنه بفم بطرس — وبطرس بالذات — يسمع الامم كلمة

الانجيل ، ويؤمنون ، ثم لا نجد بين الأناجيل المتداولة اليوم انجيلا منسوبا لبطرس رغم أنه بفمه كما قال ، اختار الله أن يسمع الأمم كلمة الانجيل ، أليس هذا وحده بكاف على الأقل لينفى عن الأناجيل المتداولة اليوم شرعيتها ، ويؤكد أن هناك انجيلا آخر اختار الله أن تسمعه الأمم بفم بطرس غير هذه الأناجيل الأربعة المعروفة ، وهل هى محض مصادفة أن يقول بطرس هذا الكلام ومع هذا فاننا نقرأ اسمه فى أول سلسلة الأناجيل التى طاردتها الكنيسة وأحرقتها والتى سلفت الاشارة اليهـا حيث قرأنا أن مذهب الغنوسيين أنتج أنفسه سلسلة كاملة من الأناجيل منها انجيل بطرس وقد طوردت وجمعت وأحرقت حتى اختفت ولم يصل منها الينا الا النذر اليسير ، فمن ذا الذى أحرقه يا ترى ، ومن أعطاه حق حرق ذلك الانجيل الذى قال لنا بطرس عنه أنه بفمه قد اختار الله بينهم أن يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون .

ثم كلام كثير آخر عن الانجيل منه ما يلى .

« بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لانجيل الله . » (رو ١ : ١)

« فان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم » (رو ١ : ٩)

« فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب انجيلى بيسوع المسيح . » (رو ٢ : ١٦)

« وأنا أعلم أنى اذا جئت اليكم سأجىء فى ملء بركة انجيـل المسيح . » (رو ١٥ : ٢٩)

« لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالانجيل . » (١ كو ٤ : ١٥)

« لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شىء لئلا نجعل عائقا لانجيل المسيح . » (١ كو ٩ : ١٢)

« وأعرفكم أيها الإخوة بالانجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه . »

(١ كو ١٥ : ١)

« ولكن لما جئت الى ترواس لأجل انجيل المسيح وانفتح لى باب فى الرب. »

(٢ كو ٢ : ١٢)

« ولكن ان كان انجيلنا مكتوما فهو مكتوم فى الهالكين . الذين فيهم اله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضىء لهم انارة انجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله . » (٢ كو ٤ : ٣ و ٤)

« انى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا بنعمة المسيح الى انجيل آخر . ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح . »

(غلا ١ : ٦ و ٧)

«وأعرفكم أيها الاخوة الانجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب انسان . لأنى لم أقبله من عند انسان ولا علمته . بل باعلان يسوع المسيح . » (غلا ١ : ١١ و ١٢)

« وانما صعدت بموجب اعلان وعرضت عليهم الانجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا . »

(غلا ٢ : ٢)

فما هذا الكلام وغيره عن الانجيل ، وأى انجيل هذا الذى تشير اليه هذه الرسائل ، أهو انجيل متى ، أم انجيل مرقس ، أم انجيل لوقا ، أم انجيل يوحنا ، أم هذه الأناجيل جميعا ، إن المقطوع به أن هذه الأناجيل الأربعة لم تكن قد كتبت كلها عند تحرير هذه الرسائل ، ثم ان كاتب هذه الرسائل لم يشر الى أى من كتاب هذه الأناجيل ، وأخيرا ، فالمسلم به أنه كانت هناك فى ذلك الوقت أناجيل عديدة أخرى غير هذه الأناجيل الأربعة ، فهل قصد بالانجيل فى هذه الرسائل أى من هذه الاناجيل الأخرى ، بل إنه يشير الى انجيل معين بشر به وقبل ، ويشير أيضا الى انجيل آخر تحولوا اليه وان لم يره انجيلا آخر ، ثم يقول عن الانجيل الذى بشر

به أنه ليس بحسب انسان لأنه لم يقبله من عند انسان ولا علمه ، فنفهم من ذلك أنه بالقطع ليس أحد الاناجيل الأربعة المتداولة لأن كلا منها بحسب انسان ، ثم هو يشير لنا الى انجيل المسيح ، أليس في كل ذلك ما يؤيد ما يعتقده المسلمون بشأن الانجيل ، والا فأين هذا الانجيل الذى كرز به المسيح ، وكرز به بولس مقسررا أنه انجيل المسيح وأنه ليس بحسب انسان ولم يقبله أو يعلمه من انسان وبشر به وقبل .(١)

---

(١) يرد القمص باسيليوس اسحق على ذلك فى ص ٥٢ و ٥٣ من كتابه قائلا : (أيها الاخ ارجو أن تعرف ولا شك انك تعرف أن كلمة انجيل يونانية عربت هكذا وتعنى « اخبار سارة » وهذه الاخبار السارة تسمى انجيل سواء اكان المسيح هو الذى بشر بها او تلاميذه ، والمسيحيون يطلقون على العهد الجديد كله كلمة «انجيل» فكل ما جاء به اخبار سارة وسعيدة . فرسائل بولس وبطرس يطلق عليها انجيل . ولما قال بطرس الرسول لاهل كورنثوس : لانى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالانجيل (كور ٤) قصد بذلك انهم اولاده فى المسيح عن طريق البشارة بالمسيح يسوع .... ومصداقا لهذا فان بولس كتب الى فليمون ليرسل له انسيمس لكى يعاونه فى خدمة الانجيل ابان وجود بولس مقيدا فى السجن «لكى يخدمنى عوضا عنك فى قيود الانجيل ....» وذلك لان كل رسائل بولس وكرازاته تعتبر انجيلا (فل) ثم يضيف سيادته تحت عنوان هل وجدت اناجيل طاردتها الكنيسة (لا شك انه وجد كتاب فى كل عصر من العصور يكتبون عن حوادث عصرهم وتاريخ شعوبهم . وبديهى انه وجد كتاب يكتبون فى عصور الانبياء والرسل . فهل يسوغ لنا أن نعتبر كتب هؤلاء المؤرخين كتبا سماوية لانها تاريخ حياة المسيح واعماله ، وهل يجوز لنا ان نحصى بعض منظومات الشعراء الوثنيين ضمن الكتاب المقدس لان بولس الرسول اشار اليها فى « أعمال الرسل ») .

والحق ان ما قرره سيادته تحت عنوان هل وجدت اناجيل طاردتها الكنيسة لهو عين الحق، ولكن ليس فحسب بالنسبة لهذه الاناجيل التى طاردتها الكنيسة، وهو لم ينف وجودها ، ولكن وايضا بالنسبة للاناجيل المتداولة نفسها ، فما الفارق بينها وبين تلك التى طاردتها الكنيسة ، وما الدليل على وحى هذه دون تلك ، وبالطبع لست اقصد من هذا انها كلها موحى بها كما قد يفهم سيادته ، انما ما اقصده انها كلها غير موحى بها ولا ادل على ذلك من أنه ليس هناك على الاطلاق ما يميز تلك التى قبلت عن تلك التى طوردت واحرقت سوى قبول تلك ومطاردة تلك واحراقها

= وقبل ان استطرد فى التعليق على باقى رده ، اوضح ما قاله السيد يسى منصور فى رده فى هذه النقطة ابتداء من صفحة ٨ من الجزء الثالث من رده فقد قال هو الآخر موضحا معنى الانجيل قائلا (الانجيل كلمة مأخوذة عن اليونانية ومعناها البشارة او الخبر الطيب ، وهو الخبر الطيب المختص بيسوع المسيح له المجد ... والخص هذا الخبر الطيب هو البشارة بالفداء الذى صنعه لنا المسيح بموته وقيامته ، وتسمى هذه البشارة بعدة اسماء : فهى تسمى ١ — انجيلا ... ٢ — بشارة الملكوت ... ٣ — انجيل يسوع المسيح ... ٤ — انجيل السلام ... ٥ — انجيل الخلاص ... ٦ — انجيل الله .... ٧ — بشارة نعمة الله ... ٨ — انجيل مجد الله ... ٩ — انجيل المسيح ... ١٠ — انجيل ابن الله ... فهذه الكلمات التى وصف بها الانجيل — فى الآيات التى أوردها قرين كل اسم — لا تعنى عدة اناجيل كما ظن المعترضون ، بل هى أسماء وأوصاف للانجيل الواحد بعينه ... وفات سيادة المعترض ان الانجيل هو الخبر الطيب وهو هو الذى سر الله أن يعلنه للبشر فسمى انجيل الله ، وهو هو الذى كرز به المسيح فسمى «انجيل المسيح» ، وهو الذى كرز به الرسل فسماه الرسل « انجيلنا » ٢ كو ٤ : ٣و٤ — وهو الذى قبله المؤمنون فسمى «انجيل خلاصكم» — وعليه فنفس انجيل الرسل هو انجيل المسيح وهو هو واحد وليس غيره . ولذلك قال بولس الرسول مشددا «يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح ، ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن اناثيما» غل١: ٧و٧ . فهذا الانجيل بعد أن نادى به المسيح شفاها ؛ وبعد أن كرز به الرسل شفاها ، دونوه كتابة ، حسبما سمعوه من المسيح وشاهدوا وقائعه ، وحسبما أعلن الروح القدس لهم ، وهو نفس الانجيل الذى بين أيدينا اليوم .)

والسيد/ يسى منصور بعد أن طاف معنا بكل الاسماء التى أعطيت للانجيل انتهى الى أن الانجيل فيها كلها واحد ، ونعم ما قال ، وأنا أيضا لا ارى الانجيل اكثر من واحد او يجوز أن يكون كذلك ، وان تكون كلمة الانجيل فى الاصل معناها الخبر الطيب كما قرر أو الاخبار السارة كما عرفنا القمص باسيليوس اسحق ، فليس ذلك بالذى يغير من الامر شيئا ، الانجيل ، أو الخبر الطيب ، أو الاخبار السارة ، سيان كلها وان يكون هذا الخبر الطيب هو هى الذى سر الله أن يعلنه للبشر فسمى انجيل المسيح وهو هو الذى كرز به الرسل فسمى انجلينا — أى انجيل الرسل — وهو هو الذى قبله المؤمنون ، ونفس انجيل الرسل هذا هو انجيل المسيح وهو واحد وليس غيره ، كل هذا اقبله ؛ اما أن ينتهى من كل هذا الى أن هذا الانجيل بعد أن نادى

= بــه المسيح شفاهة وكرز بــه الرسل شفاهة ثــم دونوه كتابة وهو: الانجيل الذى بين ايدينــا اليــوم ، فهنــا المغالطة ، فبــين ايدينــا يا سيدأربعــة اناجيل وليس واحد ، وهــى بالقطع ليست هذا الذى كرز به المسيح ولا حتى الرسل ، واما القمص بسيليوس اســحق ، فقــد البس كلمــة انجيل لكل سفر من اسفار العهد الجديد ، وحتــى لو صح هذا ، فأيــن هــى هذه الاخبــار السارة بالذات التى كــرز بها المسيح واعتبرها انجيلا ، انها بالقطع غير كل تلك الاخبار السارة التى وردت فى العهــد الجديد . ومن الغريب أن يقول القمص باسيليوس اسحق فى صفحتى ٤٥و٤٦ من رده وكأنــه يلقى بالحجة الدامغة التــى ما بعدها حجة : (ومن العجيب أن مدعى التحريف لم يستطيعوا اقامة الحجة ومن ادعــى لزمته الحجة قانونا ، فدلونا على المتن الصحيح وأين هو فى أية بقعة من بقاع العالم والا بطلت ادعاءاتكم ... ومتى حــدث التحريف ياترى ؟ فاذا قلتم قبــل القرآن قلنا وكيف يستشهد القــرآن بما هو زور وبهتان ، وان قلتم بعــد الاسلام اى بعد القرن السابع قلنا أن هــذا مستحيل لان الكتاب كان قد انتشر فى العالم كله شرقا وغربــا ، وكل النسخ فى كل الارض متشابهة لفظا ومعنى ... ولم توجــد نسخة واحدة مغايرة لغيرها من النسخ.) وصحيح فى القانون أن البينة هــى على من ادعى ، ولكن فات سيادته ان الادعاء الاول هو القول بصحة الاناجيل المتداولة وهــذا ما تلزم البينة على من ادعــاه اولا ، علــى انى لست أهرب من البينة ، وأصحح أولا فهما فى تساؤله عن التحريف ، فالادعاء بالتحريف يفترض أن ما هو موجود هو الاصل نفسه ، ثم جرى عليه تحريف ، ولكن ما أقوله ان الاناجيل المتداولة ليست هى الاصــل وقد حدث فيها تحريف ، وانــما هى ليست أصلا على الاطلاق وانــما هى مجرد وثائق تاريخية كتبها اصحابها بقدر ما وسع لهم أن يعرفوا أو يفهموا ، ويبقــى التساؤل عن الانجيل الاصلى أو الانجيل الصحيح ، وهنا أقول لــه ، انه منذ فجر المسيحية ، وبعد رفع المسيح ، وقبل الاسلام ، كان هناك من الاناجيل العديد ، قبل المسيحيون اربعا منها فقط ، هــى المتداولة اليوم ، والباقى كما وجدنا طوردت واحرقت ؛ والذين طاردوها هم المسيحيون انفسهم واحرقوها وليس المسلمون ، وليدلنا سيادتــه عليها وحينئذ ادله من بينها على الانجيــل الصحيح ، اما أن يحرقهــا المسيحيون ، ثم يطالبون المسلمين رغــم هذا بالانجيل الصحيح ويتساءل سيادته فى براءة عنــه ، فهذا غير مقبول ، ائتونا بما احرقتموه ، آتيكم منها بما هــو صحيح.

هذا هو اعتقاد المسلمين فى الوحى وفى الانجيل ، وهم على أى حال لاينفون الوحى عن أى قول يصدر عن المسيح ، سواء اعتبر وحيا باللفظ والمعنى معا ، أم وحيا بالمعنى وحده واللفظ من عند المسيح عليه السلام ، والمسلمون قبل كل ذلك لا يشترطون لغة معينة لهذا الوحى ، وانما يؤمنون بالوحى بأى لغة كان بها ، فهل يا ترى عرفنا الآن حقيقة الخلاف ، أعتقد أن الأمر قد أصبح الآن واضحا ، فليس ثمة ما يخالف فيه المسلمون المسيحيين بالنسبة لكيفية الوحى ، فهم يؤمنون بالوحى على أية صورة كان ، سواء باللفظ والمعنى معا ، أو بالمعنى وحده على أن يكون اللفظ للموحى اليه ، وانما حقيقة الخلاف هو حول الاشخاص الموحى اليهم ، فالمسلمون يسلمون كل التسليم بالوحى بالنسبة لكل ما قاله المسيح عليه السلام ، ولكنهم من جهة أخرى ، ينفون كل النفى أنه كان هناك ثمة وحى بالنسبة لما كتبه أى من أتباع المسيح ، سواء أكان هذا الوحى المقال به وحيا باللفظ والمعنى معا ، أو وحيا بالمعنى وحده ؛ أى أن حقيقة الخلاف ليست على كيفية الوحى لكتبه أسفار العهد الجديد ، وانما حقيقة الخلاف هى حول ثبوت هذا الوحى لهم بالفعل .

وثبوت هذا الوحى لكتبة أسفار العهد الجديد ، هو ما تجاهل مؤلف المسيحية فى الاسلام اقامة الدليل عليه ؛ الا فى اشارته الى قول بطرس الرسول فى رسالته الثانية « تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » ، وهذه الآية التى يشير اليها المؤلف تقول كلها « لأنه لم تأت نبوءة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس . » (ص ١ : ٢١) ، وبغض النظر عن الحقيقة بشأن هذا الكلام ، فليس فى الآية ما يبين منه أنها قصد بها أن أسفار العهد الجديد بالذات مكتوبة بوحى الروح القدس ، كما لا تحتمل على الاطلاق أن يكون مقصودا بها أن الرسالة التى وردت فيها قد كتبت بهذا الوحى ، وكان حقيقا بالكاتب أن يشير الى ذلك لو كان فعلا .

المهم إذن هو هل أوحيت أسفار العهد الجديد التى كتبتها حقا كما يعتقد المسيحيون أم لا ، وهنا نقول أنه من المتفق عليه أن الوحى أياكانت صورته أو كيفيته لا يجوز على الاطلاق أن يكون فيه خطأ ، لأنه ينسب الى الله على أى الاحوال ، والله محال أن يخطىء ، وهذا هو نفسه ما يسلم به مؤلف المسيحية فى الاسلام حين يقول أن الله حفظ كتبة العهد الجديد من الزلل وعصمهم من الخطأ ، وهو بذلك انما يريد أن يؤكد ثبوت شرط عدم الخطأ كشرط من شروط اعتبار الكلام موحى به من الله بالنسبة لأسفار العهد الجديد نفسها ، ولكن الواقع أن القول بذلك هو محض إفتراض يكذبه ما جاء فى أسفار العهد الجديد نفسها ، وما سبق أن أشرنا الى بعض منه ، من أن ما جاء فى بعض الاسفار يناقض ما جاء فى البعض الآخر الى حد أنه ينفيه ، والى حد أنه يستحيل القول بصحة ما جاء فى كل الأسفار معا فالعصمة من الزلل أو الخطأ ليست قائمة بالنسبة لكتبة أسفار العهد الجديد على الاطلاق .

ثم انه من غير المفهوم أبدا ، القول بأن الأناجيل المتداولة هى التى أوحى بها وحدها ، دون غيرها من الأناجيل ، والتى عرفنا أن الكنيسة طاردتها وأحرقتها لأنه لو كان ذلك صحيحا ، لوجب أن يكون هناك معيار محدد يفرق بين الأناجيل الموحى بها والأناجيل غير الموحى بها ، أما مجرد إختيار أربعة أناجيل من بين العديد من الأناجيل ، ثم القول بأنها دون غيرها موحى بها ، فهذا غير مفهوم على الاطلاق ولا يمكن قبوله بأى حال .

ثم ها هو لوقا البشير ، واذ يبدأ الرجل انجيله ، فقد كان أمينا حين قال أن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عنده ، وقد رأى هو الآخر أيضا اذ قد تتبع كل شىء من الأول بتدقيق ، أن يكتب ، فهو هنا لم يعط اعتبارا لما سيكتبه سوى أنه قد تتبع كل شىء من الأول بتدقيق ، ولم يقل الرجل بأنه كان يوحى اليه بما يكتب ، ومن العجيب أن نرى كتاب رب المجد يحاول أن يضفى على هذا الانجيل الذى كتبه لوقا مزيدا من الاعتبار فيقول بأنه لا يوجد سبب للريب فى

أنه قد كتب أما بمناظرة بولس شخصيا وإما باطلاعه واستحسانه ، وكلنا نعرف أن الأناجيل جميعا انما تروى قصة المسيح عليه السلام ، وأن شاول هذا الذى لقب بيولس الرسول لم يشاهد المسيح يوما فى حياته ، فأى جدوى وأى اعتبار إذن فى أن يكتب انجيل بمناظرته أو باطلاعه أو باستحسانه ، وهو لم يشاهد شيئا مما ورد فى الانجيل (١).

---

(١) يقول السيد / يسى منصور ردا على ما ذكرته عن لوقا البشير فى موضع سابق — وما اعتقد أن مكانه الصحيح هنا — ابتداء من ص ٢٤ من الجزء الثالث من رده : (وللرد نقول أن لوقا هو الطبيب الحبيب ... كاتب انجيل لوقا وسفر أعمال الرسل ... وهو رفيق بولس فى السفر ، وبدأ معه منذ قصدوا تبشير أوربا ... وأشار بولس الى ذات انجيل لوقا الذى قبلته جميع الكنائس ... فانجيل لوقا كان منتشرا فى جميع الكنائس وهم يذكرون كاتبه بالمديح فى تلاوتهم لهذا الانجيل . وقد وصف بولس الرسول زميله لوقا الانجيلى مع رسول آخر بأمجد الصفات ... لوقا الملقب «مجد المسيح» كما جاء فى الانجيل والذى مدحه فى جميع الكنائس فى العصر الرسولى ، يتنكر له بعد عشرين قرنا سيادة المعترض دون أن يتوخى الحقيقة . فادعى ان انجيله مؤلف بغير وحى كغيره من المؤلفات البشرية . ذلك لا لشىء الا لان لوقا البشير اشار فى مقدمة انجيله الى بعض الذين كتبوا شيئا من قصة المسيح بدون الوحى فأراد لوقا بانجيله الموحى به أن يبين الصحيح من الفاسد ، وأشار اليها بذاله من استقصاء الحقائق من واقع الرسل الملهمين الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة . فعاب المعترض على لوقا البشير كيف يتقصى الحقائق ويقول انه تتبع كل شىء بتدقيق ، وظن أن هذا يتعارض مع الوحى والالهام ، وفاته ان الروح القدس ليس ضد الاجتهاد ولكنه يعمل مع العاملين وينزههم عن الخطأ . فلوقا البشير لما رأى مؤلفات المؤرخين عن قصة المسيح وما فيها من اقتضاب وعدم تدقيق وانها بطبيعتها مؤلفات بشرية لا تصلح كمرجع الهى لمعرفة الصحيح من الفاسد رأى بالروح القدس أن يكتب الانجيل لصديقه ثاوفيلس ليعرف صحة الامور التى علم بها . فقبلت الكنيسة هذا الانجيل سفرا قانونيا . وشهد له بولس الرسول فى الرسائل . وقد أجمع ائمة المسيحيين القدماء والحديثيين على قانونية هذا السفر الجليل .)

ولست انهم هنا للقانونية — وأنا رجل قانون أولا — أى معنى ، ثم أن كل هذه الصفات التى نعت بها سيادته الكاتبات الاخرى هى نعوت من عنده وحده ولم يقل بها لوقا البشير نفسه الذى بدأ انجيله قائلا «اذ كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا . كما سلمها الينا

ثم يوحنا كاتب إنجيل يوحنا ، من هو ، أنه أحد ثلاثة كما يقولون ، فهل هؤلاء الثلاثة المشار اليهم ثابت الوحى ثلاثتهم أم لأحدهم فحسب ، وإذا كان لأحدهم فقط أليس هناك احتمال أن يكون أحد الآخرين هو كاتب هذا الانجيل ، وإذا كان الوحى ثابتا لثلاثتهم ، فما الذى أوحى إلى الآخرين .

على أنه لايفوتنا هنا أمر خطير ، أشار اليه كتاب شهادة انجيل يوحنا باعتباره يوضح فارقا بين هذا الانجيل والأناجيل الثلاثة الاخرى ، وهى قوله بوجود فارق واضح يظهر حول عودة المسيح بالمجد ، إذ بينما كانت الأناجيل الثلاثة الأولى تتوقع عودته بمجد وبتاريخ مبكر وغير معلوم ، فان السنين قد مرت ولم يجىء المسيح فنشط يوحنا إلى تفحص كلمات المسيح مرة ثانية محاولا أن يعطيها تفسيرا خاصا من عنده . . . الخ ، ويعنينا هنا أن نوضح هذا الفارق بالتفصيل ، لنخلص منه إلى الحقيقة بشأن كيف أنه كان .

ويشير الكتاب إلى ماجاء فى الاصحاح الرابع والعشرين بانجيل متى ، ونقرأ فى هذا الاصحاح :

« وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما علامة مجيئك وانقضاء الدهر . » (٣)

= الذين كانوا منذ البدء معاينين خداما للكلمة . » ، وهو بذلك انما يسلم بأن ما كتب من غيره فى الامور المتيقنة عنده ، انما كتب كما سلمت من الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة ، فهى اذن ليست فى رأيه فاسدة ، بل صحيحة ، وعبارة معاينين وخداما للكلمة هذه راجعة الى غيره وليس اليه كما يقول السيد /يسى منصور ، والسؤال الهام ، أين هو الوحى للوقا وهو لم يقل به ، وكل ما قاله عنه فى رده انما هو من عنده وليس من عند لوقا البشير ، وهو بالقطع ما لا يستطيع ان يقيم دليلا عليه ، أو على الاقل يخص به لوقا دون غيره من هؤلاء الكثيرين الذين أشار اليهم فى مقدمة انجيله ، ومهما قيل عن قبول الكنائس لهذا الانجيل وقبول المسيحيين له كسفر قانونى ، فلن يصلح ذلك أبدا دليلا على الوحى به .

وواضح أن التلاميذ يسألونه عن وقت انقضاء الدهر أى الأيام ، وبعد أن يشير المسيح فى اجابته إلى أمور كثيرة يستطرد فيقول :

« وللوقت بعـــد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . » (٢٩ — ٣٠)

ثم يقول بعد ذلك :

« الحق اقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . » (٣٤)

وواضح أن المسيح يقول بكل جلاء ووضوح أن كل هذا الذى أشار اليه خاصا بانقضاء الدهر ومجيئه على سحاب السماء سيكون قبل أن ينتهى الجيل الذى يتحدث فيه .

ويشير الكتاب أيضا الى ما جاء فى الاصحاح الثالث عشر بانجيل مرقس ، ونجد هذا الاصحاح يبدأ بسؤال مماثل للسؤال الذى بدأ به الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى ، ونرى فيه المسيح أيضا يشير إلى أمور كثيرة ستحدث ومنها اظلام الشمس وعدم إعطاء القمر ضوءا وسقوط النجوم وقدومه آتيا على سحـــاب السماء ، ثم يقول أيضا :

« الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . » (٣٠)

وهو ما يطابق المعنى الوارد فى الاصحاح الرابع والعشرين بانجيل متى .

ويشير الكتاب أيضا إلى الاصحاح الحادى والعشرين من انجيـــل لوقا ، وهو مشابه للاصحاحين السالف ذكرهما فى انجيلى متى ومرقس ، وفيه أيضا يقول المسيح:

« الحق أقول لكم أنه لا يمضى هذا الجيل حتى يكون الكل . » (٣٢)

والذى يعلمه كل انسان ، أن هذا الذى ذكر على لسان المسيح فى هذه الأناجيل الثلاثة ، لم يكن ، لا فى جيل المسيح ، ولا بعده بمئات السنين التى قاربت الألفين ،

ونحن هنا بين أحد أمرين ، فاما أن يكون المسيح قد قال هذا الكلام فعلا ، ثم ثبت للناس جميعا عدم صحته ، إذ لم يتحقق بالفعل إلى اليوم ، وقد كان مفروضا حسب قوله أن يتحقق هذا فى الجيل الذى كان يعيش فيه . وهذا القول سيطعن المسيح نفسه ويصمه بالزيف وما هو كذلك ، ولذا فليس من سبيل إلا بالاقرار بأن المسيح لم يقل هذا الكلام ، ثم إنه لايمكن القول بأن هذا الكلام موحى به إلى كاتبيه ، لأن الأصل فى الوحى أنه يعصمهم من الخطأ ، وهذا الكلام خاطىء . ولذا فلا يمكن أن نعده إلا محض تأليف من قائليه ، على الأقل بالنسبة لقولهم على لسان المسيح أنه قال أنه لا ينقضى هذا الجيل حتى يكون هذا الذى قاله كله . وهو على هذا النحو ليس سوى افتراء وتزوير على المسيح عليه السلام ، ولا يخفف من ذلك مافسر به الكاتب هذا الكلام فى الأناجيل الثلاثة بأنها كانت تتوقع عودة المسيح بمجد وتاريخ مبكر ، بل إنه ليزيد من فداحة التزوير ويتضمن اعترافا به ، لأن هذا القول منه لا يعنى إلا أن كاتبى هذه الأناجيل الثلاثة ، إذ كانوا يتوقعون عودة المسيح بمجد وتاريخ مبكر ، استباحوا لهذا السبب لأنفسهم أن ينسبوا زورا للمسيح أنه قال ذلك ، وهذا بالطبع يشكك فى كل ماقالوا به غير ذلك فى أناجيلهم ، مادام أنهم قد أباحوا لأنفسهم أن ينسبوا للمسيح ما لم يقله لمجرد أنهم اعتقدوا اعتقادا ما فى شأن هذا الذى نسبوه اليه . (١)

---

(١) وطبيعى أن يقف السيد / يسى منصور عاجزا عن الرد ازاء هذا التناقض الصارخ بين ما ورد فى هذه الاناجيل الثلاثة وما هو واقع ومن الطريق انه على الرغم من اشارته الى هذا الذى انتهيت اليه هنا ، اكتفى باستعداء القارىء على قائلا فى ص ٩ من الجزء الثالث من رده (وفى المساقه تهمة الافتراء والتزوير فى الانجيل قال : ...) واخذ يردد هذا الذى انتهيت اليه هنا ، ولا افهم اذا كان يعتقد بعدم صحة ما اقمته سندا لهذه التهمة ، فلم لا يرد عليه ، ولم يهرب منه الى غيره ، أماالقمص باسيليوس اسحق فيرد فى صفحتى ٥٦و٥٧ من كتابه قائلا : (أما السؤال الثانى الخاص بانقضاء

ثم شاول هذا الذى لقب بولس الرسول ، أين هو من الوحى ، ولماذا يتجاوز الوحى جميع أتباع المسيح وتلاميذه ليختار من كان أعدى أعداء المسيحية ، الذى لم يشاهد المسيح يوما واحدا فى حياته (١) ، وكيف يسمح لشخص لم ير المسيح فى حياته ولم يكن من حوارييه ولم يتتلمذ يوما على يديه ، كيف يسمح له أن يقيم

= الدهر ، ومجىء المسيح الثانى فقد شرح لـه المجد حالة العالم وما يكون عليه فى ذلك الزمان ، او بالتالى حالة ذلك الجيل،ويقصد بالجيل الناس الذين سيكون فى ايامهم انقضاء العالم ومجىء المسيح الثانى وليس المقصود بـه زمنا معينا كما توهم بعضهم . ويصف داود معنى الجيل فى مز ٧٨ : « جيلا زائغا وماردا،جيلا لم يثبت قلبه،ولم تكن روحه امينة لله .» والمقصود اذن بالجيل الشعب الذى يعيش فى ذلك الزمان . وهذا ما قصده السيد بقوله : الحق اقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله »ص٢٤، واليك بعض العلامات التى يدل وقوعها على قرب انتهاء العالم ، وأن الناس الذين ستقع تلك الحوادث فى أيامهم هم الذين ستحدث القيامة فى عهدهم والعلامات هى : تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه، قوات السموات تتزعزع ، ومن ذلك الجيل .يتكلم بولس فى رسائله: « لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الاخير . ١ كو ١٥» ، «ثم نحن الاحياء الباقين ستخطف جميعا معهم فى السحب للاقاة الرب فى الهواء ١ تس ٤» ومسلم به أن هذا الذى ذكره الرسول لم يتم فى أيامه مع انه ذكره وكأنه يتم فى عهده .... ولكنه قصد بكلامه هذا الاحياء الذين سيكونون ابان مجيئه الثانى وما سيكون من أمرهم ، ولم يقصد الاحياء الذين عاشوا فى عصره ، وهذا هو المقصود بكلمة جيل.) وطبيعى فانى لم أختلف على تفسير معنى كلمة جيل،وانما أوضحت أنه واذ يتحدث الى آخرين يقول «هذا الجيل»، ويوضح أن كل ما قاله عن انقضاء الدهر سيكون فى هذا الجيل ؛ فان المفهوم الواضح لذلك أنه يقصد الجيل الذى يتحدث فيه، وهذا هو نفس ما يفهم من كتاب شهادة انجيل يوحنا ، فحتى التفسير ليس من عندى وفقط اقررته .

(١) يقول القمص باسيليوس اسحق فى ص ٦٧ من كتابه ردا على ذلك (اظن انه ليس عندى ما أقوله لك فى نسبة الخطأ الى الله .. حاشا له ذلك ولكنى أقول لك انه لحكمة اختاره لانه كان الد اعداء الكنيسة وشهاداته تكون اكثر وقعا فى النفوس وهذا ما جاهر به بولس أمام الولاة وفى مجاميع اليهود وأن تحوله كان بسبب ظهور الرب يسوع

للسيحية كلها ، إن السيحية كما نعرفها اليـــوم إنما قامت على أكتاف هذا الرجل وتعاليمه التى اعتبرت صادرة عن الوحى وهى بذلك كأنها من الله مباشرة ، ثم ، لماذا نذهب بعيدا عنه وهاقد قرأنا عنه أنه لم يدر بخلده أن كتاباته هذه ستكون ضمن الكتاب المقدس ، بل وأكثر من هذا ، إن المسيحين لا يفرقون فى العهد الجديد بين أى جزء وآخر ، ولا بين آيه وأخرى ، بحيث أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء ، وماينطبق على الجزء ينطبق أيضا على الكل ، فاذا كانت هناك فى العهد الجديد أجزاء ينفى كاتبها بالنسبة لها أى وحى على الاطلاق ، فبأى حق يعتبرونها رغم ذلك موحى بها ، واذا انتفى الوحى عنها ، أفلا ينفى ذلك بالتبعيه الوحى عن العهد الجديد جميعه كما قدمنا .

وهنا فاننا نقرأ فى الاصحاح السابع من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس قوله :

= له بدعوته للرسالة .) وعن نسبة الخطأ الى الله فـ هذا ما ننفيه بنفى الوحى عن شاول هذا لان الله حين يختار فانما : نتوقع أن يختار من نقبل شهادته؛ فنتوقع أن يختار من عاش مع المسيح ولازمه وقاسى معه، حتى تكون شهادته حقيقة بالاطمئنان ، وأما أن يأتى شخص هو من الد الاعداء ، ولم يلق المسيح يوما ، ثم يدعى برواية مشوشة ان المسيح قد ظهر له فيما يشبه الرؤيا ودعاه للرسالة؛ فنقبل هذا منه ونتركه يقيم الدين كله بالصورة التى تعن له : فهذا هو غير المعقول ، ثم قد علمنا أن التلاميذ رفضوه ابتداء ، كما أنه قيلت بشأنه تقولات مفادها انه غنم من هذه الدعوة حتى أنه يضطر الى الدفاع عن نفسه فى رسائله فنفهم انه قوبل بالريبة ، ثم لنقرأ ما يقوله فى رسالته الى فليمون التى يتوسط فيها لدى فليمون بشأن عبد لدى الاخير ، انه لا يفوته ان يطلب منه أن يعد له ا أى لشاول الذى لقب ببولس) منزلا فيقول « اذ أنا واثق بإطاعتك كتبت اليك عالما أنك تفعل ايضا أكثر مما أقول . ومع هذا أعدد لى أيضا منزلا لانى أرجو أننى بصلواتك سأوهب لكم. » (٢١ر٢٢) ؛ ومع هذا نعتبر مثل هذا الكلام سفرا مقدسا وانه قد كتب بوحى من الله ؛ لمجرد الادعاء برؤيا يعلم الله حقيقة امرها ، لا ، هذا ليس مما يقبله العقل او الدين ابدا ، فليس على رؤى يقام دين.

« وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه .» (١٢ و ١٣) ، الى آخر ذلك مما يكمله الاصحاح الذى يعود فيكرر نفس المعنى بالنسبة لكلام آخر فيقول « وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا . فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للانسان أن يكون هكذا . أنت مرتبط بامرأة ...» (٢٥ — ٢٧) .

فأى عقل وأى منطق يمكن أن يقبل بعد ذلك القول بان هذا الكلام موحى به من الله ، اذا كان قائله نفسه ينفى عنه هذا الوحى ، فهو فى الآيات الأولى يقول أنه هو الذى يقول ما سيقوله لا الرب ، وفى الثانيه يقطع بأنه لا يعرف حكم الرب فى الأمر ولكنه يجتهد ويقول ما يظنه ، فهل يصح القول بعد ذلك بان هذه الآيات موحى بها ، ان المستحيل أن يكون الجواب بالايجاب ، واذا كان الروح القدس يرشده فى هذا الذى يكتبه ، فلم اذن لا يقول لنا ذلك وفيم نفيه أن يكون هذا ما يراه الرب فيما تحدث فيه [1] .

---

(١) يقول القمص باسيليوس اسحق ردا على ذلك من ص ٦٢—٦٥ من كتابه ، بعد ان يوضح أن الوحى عند المسيحيين ليس انزالا آليا على الانبياء والرسل وفقا لرأيه فيقول (وهل هذا يعنى أنه فيما عدا اوقات الوحى يبقى النبى صامتا لا يتحدث الى من يحدثه من الناس ؛ وان تكلم مع الناس يعتبر كلامه كله كانه كلام الله ويتعين تدوينه ، انه ما لم يأمره الله بكتابته لا يعتبر موحى به كأمره تعالى لموسى بكتابة تاريخ الحرب مع عماليق فى سفر خر ١٧ : ١٤ فكتب ما امر به كما أوحى اليه الرب، ولكن هل هو كل ما تكلم به موسى مدى الاربعين سنة التى قضاها منذ أن اختير نبيا الى وفاته .. هو ما ورد فى اسفاره الخمسه ، وما خلا ذلك بقى صامتا .. طبعا لا ، وهذا ما كان من أمر جميع الانبياء والرسل ، ومن هذا ندرك أن بولس لما كتب فى رسالته ١ كو ٧ « واما المتزوجين فاوصيهم لا انا بل الرب الا تفارق المرأة رجلها وان

= فارقته فلتلبث غير متزوجة او لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته
وأما الباقون فأقول لهم انا لا الرب ان كان اخ له امرأة غير مؤمنةوهي ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرضى أن يسكن معها فلا تتركه ...واما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنني اعطى رأيا .. ..
والامر واضح جلى : ففى الاول حرم الطلاق بين المؤمنين بأمر الله . واما فى الثانى فأعطى رأيا ، ولم يكن بوحى من الله أنتبقى المرأة التى آمنت بالمسيح مع الرجل الذى لا يزال وثنيا والعكس يبقى الرجل المؤمن مع المرأة الوثنية اشفاقا على البنين — كما هو مبين بذات الاصحاح — ولاستقرار الاسرة .... وقال صريحا أنه لم يؤمر من الرب أن يكتب هذا... وانما هذا رأيه الخاص . واما بخصوص العذارى فانه لسبب الضيق والتظلم والاضطهاد الواقع على المسيحيين فى عهد نيرون يستحسن بقائهن عذارى ولكنهن لا يخطئن أن تزوجن ... ويتحملن ضيق الجسد بسبب الاضطهاد... وهذا ما قاله السيد بخصوص الضيق الذى سيعانيه الناس فى حصار أورشليم سنة ٧٠ م. الحبالى والمرضعات فى تلك الأيام مت ٢٤ . فاذن عندما أبدى بولس رأيه فى هذا الامر لم يكن مسوقا من الروح القدس .. ولكنه كان ينصح المؤمنين لشدة الاهوال التى تشابه حصار أورشليم . ولهذا كان يتعين أن يوضح أن هذا كلامه هو وليس كلام الله . وهل نصيحته هذه تنفى رسالته ، وان رسالته لم تكن موحاة بها من الله ...) .

وطبيعى فليست هذه النصيحةهى ما ينفى رسالته وان رسالتهلم تكن موحاة بها من الله ، وانما ينفيها أنه ليس هناك ما يثبتها له اصلا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فسيادته يتفق معى فى نفى بولس نفسه الوحىعن هذا الذى قال عنه أنه يقوله هو لا الرب أو أنه ليس عنده أمر من الرب فيه ولكنه يعطى رأيا وانه لم يكن مسوقا فيما كتبه من ذلك من الروح القدس ولكن فات سيادته أن هذا الذى يقوله بولس ليس كلاما فى حياته العادية يتحدث به بولس الى الناس ، وانما هو جزء من رسالة له وردت فى العهد الجديد الذى يقول المسيحيون أنه كتب بوحى من الله او بارشاد من الروح القدس ، وها هو سيادته بنفسه

= ينفى عن آيات وردت فى العهد الجديد كتابتها بوحى من الله أو بارشاد من الروح القدس ، وفى هذا اتفق معه وفيما قلته بعد ذلك فى المتن ما يؤيد ما قلته من نفى الوحى عن كل ما كتبه بولس هذا ، خاصة انه من غير المقبول القول بأن رسالة واحدة ، كتبت كلها بوحى من الله او ارشاد من الروح القدس فيما عدا عدة اسطر منها ، فلماذا يكون الوحى فى جلها ؟ ولماذا ينعدم فى بعضها ، ابدا ، أن الادعاء هنا بوحى سواء فى الجزء او الكل لا يقوم على سند ولا يؤيده حتى الكاتب للرسالة نفسه وان افتى فى بعض الرسالة بما يعتقده حكم الرب ؟ فليس بالوحى يدعى أنه يقول هذا ، وانما ما يعتقد أنه حكمه فعلا من تعاليمه واقواله .

أما السيد/يسى منصور ، فقد كان اكثر حذرا من زميله ؟ فهو يعرف انه لو سلم بعدم الوحى فى شىء من العهد الجديد لنفى بذلك الوحى عن العهد الجديد كله ، لذلك نراه فى رده فى هذا الشأن يقول ابتداء من ص ٤٣ من الجزء الثالث من رده بعد أن اورد ما قلته فى هذا الخصوص (واننا بعد أن نوضح لسيادته — يقصدنى — ما استغلق عليه فهمه من الآيات التى أوردها ، سنبين له أن بولس صاحب رسالة موحى بها من الله ، وذلك بشهادة الانجيل وشهادة القرآن . ان بولس الرسول لا يقصد بالآيات السالفة أن ينفى الوحى عن اقواله ، ولكنه يتكلم عما نقلته من أقوال المسيح فى بعض الاحكام وعما لم يحكم فيه المسيح وقت وجوده بالجسد فهو يميز بين الاقوال التى يستشهد بها من أقوال المسيح وبين أقواله هو الآن التى يقولها بروح الله . ففى موضوع الانفصال بين الرجل وامرأته قال « وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها » ١ كو٧:١٠ وقصد بذلك أن الرب يسوع سبق وحكم فى هذه المسألة حكما صريحا كما جاء فى مت ٥:٣٢و١٩ : ٢-٩ ومر ١٠:٢-١٢ ولو ١٦:١٨ ، ولم يكن قصد الرسول أن يفرق أو يميز بين ما علمه المسيح وهو على الارض و بين ما الهمه به الروح القدس ، بل مراده ان المسيح سبق فحكم فى هذه المسألة ، ويقتضى امر المسيح أنه لا يجوز للرجل أن يترك امرأته ولا للمرأة أن تترك رجلها فرباط الزيجة لا ينفك الا بزنى أحد الطرفين . فهذه الآية الكريمة لا تفيد كما ادعى المعترض أن بولس الرسول كان لا يرى نفسه ملهما بالوحى ، لان بولس الرسول صرح مرارا انه ينطق بالوحى . ولما قال « وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب أن كان أخ له

= امراة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها» ١كو١٢:٧ كان يعنى بذلك أن المسيح لم يتكلم فى مسألة معاشرة المراة غير المؤمنة للمؤمن ولم يدون شىء بخصوصها فى الكتب الانجيلية قبل الآن . أما فى مسألة الطلاق التى تقدم ذكرها فحكم فيها المسيح له المجد ودونت أحكامه فى الاناجيل ، أما مسألة اذا كان احد الزوجين غير مؤمن فتكلم فيها بولس الرسول بصفته انه من الرسل الذين لا يتكلمون الا بالهام الروح القدس . والدليل على انه كان لا ينطق فى هذه المسألة وغيرها الا بالهام الروح القدس قوله أن كلامه صادر عن روح الله ١ كو٤٠:٧ فلا يعقل ان يعارض نفسه بنفسه بأن يقول بأن كلامه وحى وغير وحى فى آن واحد . وقس على ذلك قوله « واما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكننى اعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون امينا . ١ كو٢٥:٧ ، فقوله «ليس عندى أمر من الرب» يعنى لم يرد أمر صريح من المسيح له المجد فى الاناجيل بخصوص هذه المسألة . وقوله «ولكننى اعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون امينا » يعنى انه هو شخصيا قال فيها كلام رجل امين اقتداه المسيح برحمته . وقوله « اظن انى أنا ايضا عندى روح الله» ١ كو ٤٠:٧ فاللفظة اليونانية المترجمة بالظن تفيد اليقين ، اذ لا يجوز ان يكون مرتابا فى ان روح الله هو الذى كان ينطق على لسانه ، لانه لو كان مرتابا لفات الغرض المقصود وهو سن قوانين يسير بموجبها المؤمنون .)

وسبحان الله ، انه لا يقول مثلا انه لا يجوز ان يكون بولس مرتابا فى المسيح ، حتى نقبل قوله ، ولكنه يقول أن بولس لا يجوز أن يكون مرتابا فى نفسه ، وفى أن روح الله كان ينطق على لسانه كأنما هو — أى السيد/ يسى منصور — أدرى ببولس من نفسه ، فان ارتاب الاخير فى نفسه ، لم يجز له السيد/ يسى منصور ذلك ، واما العبارة التى اشار اليها فهى وردت فى سياق كلام الرسالة الذى يقول «المراة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن أن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط . ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيى . واظن انى انا ايضا عندى روح الله .» (تس٣٩:٧و٤٠) ، وواضح أن هذا الكلام الاخير لم يقصد منه بولس ان يسبغ على ما كتبه الوحى من الله ، كما انى وان لم ادعى علمى باللغة اليونانية او بحثى فى كتاب مقدس يونانى ، الا ان لدى كتابان منه باللغتين الانجليزية والفرنسية وقد وردت العبارة فى كل منهما بمعنى اظن فهى بالانجليزية I think ، وبالفرنسية Je crois ،

على أنه يراعى هنا أن هذا لا يعنى أن القائل يقصد أن باقى ما كان يقوله موحى به اليه من الله ، ذلك انه انما كان يفتى فى أمور فقال فيها ما كان يعتقد أنه حكم الله ، ولو سئل أى قس فى أى امر لأجاب بما يعتقد انه حكم الله ، دون أن يعنى ذلك بأى حال ان ما يجيب به موحى به اليه من الله .

ومما نقرؤه للمسيحيين فى تأكيد الوحى بالنسبة للاناجيل المتداولة ، وفى انها هى المقصودة بانجيل المسيح ، ان المسيح قد قال كما جاء فى انجيل متى « فانى الحق أقول لكم الى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . » (ص ٥ : ١٨) ، وبالتالى فالانجيل عندهم لا يمكن ان يزول ، وعلى هذا فان ما يعتقده المسلمون من زوال انجيل المسيح الذى يؤمنون به ، ومن أن هذه الأناجيل المتداولة ليست انجيل المسيح الذى يؤمنون به ، كل ذلك ، وعملا بهذه الآية ، لا يمكن ان يكون صحيحا ، وهنا فقد وجدناهم يقولون بزوال رسالتين من رسائل شاول الذى لقبوه ببولس الرسول ، فاذا كانت رسائل شاول من العهد الجديد ، فهل تختلف فى ذلك عن الاناجيل ، بالطبع لا كما

= ومن الغريب أن كلا من السيدين يسى منصور والقمص باسيليوس اسحق يضع يده على نصف الحقيقة ويرفض التسليم بالنصف الاخر ، فالسيد / يسى منصور يقول أن ما نسبه بولس للرب انما هو ورد على لسان المسيح وفى تعاليمه قبل ذلك ، ولذا نسبه بولس للرب ، وهذا ينفى الوحى عن هذا الكلام لانه ليس سوى اقرار بما هو واقع ولا حاجة لاى وحى بشأنه ، وهذا عكس ما ادعاه القمص باسيليوس اسحق من أنه قصد برأى الرب القول الموحى له به من الرب ، ويسلم القمص باسيليوس اسحق بأن ما نسبه بولس لنفسه لا للرب هو رأى شخصى غير موحى به ، أما السيد / يسى منصور فيأبى التسليم بذلك لا لشىء الا خوفا من فوات الغرض المقصود وهو سن قوانين يلتزمون بها . والصحيح هو ما قاله السيد / يسى منصور من أن ما نسبه بولس للرب هو ما يعتقد حكم الرب من تعاليم المسيح واقواله المعروفة سابقا عنه ، وما قاله القمص باسيليوس اسحق من أن ما قاله بولس باعتباره رأيا من عنده وليس من عند الرب هو رأى شخصى غير موحى به اليه ، وفى الحالتين فان الوحى منتف عن كلا القولين .

يعتقدون فكيف اذن زالت رسالتان ام ان هاتين الرسالتين لو بقيت لما اعتبرتا من العهد الجديد ، وهذا غير صحيح بالطبع (١).

---

(١) ويعترض السيد/ يسى منصور في الجزء الثالث من رده من ص ٢١ —٣٤ على القول بزوال رسالتين من رسائل بولس الرسول الذى كان في الاصل يدعى شاول ، وهو يشير الى انى نقلت ما قاله عن احد الكتاب ولكنه لا يبين اسم هذا الكاتب الذى نقلت عنه حتى لا يعطى الكلام قيمة باعتباره منقولا عن كاتب مسيحي وعسى به بذلك أن يترك انطباعا لدى القارىء أن ذلك الكاتب مسلم ولذا يقول ما قاله من زوال هاتين الرسالتين وعلى أن الحقيق بأن يرد عليه فى هذا الصدد هو السيد / حبيب سعيد قائل هذا الكلام الا أننا لا نرى مانعا من بحث رده فهو يقول بالنسبة للرسالةالاولى المشار اليها فى ٦ كو ٥:٩ : وترد نقول ان الرسالة المشار اليها فى كو ٥ : ٩ ويظنها المعترض — والمفروض أنه السيد/حبيب سعيد — أنه لا وجود لها في ذات رسالة كورنثوس الاولى التى وردت بها الاشارة . وهى المتداولة ضمن العهد الجديد الى اليوم وليست رسالة اخرى . ففيهذه الرسالة كتب بولس الرسول بخصوص الذى زنى بأمراة ابيه أن لا يخالطوه وان ينقوا الكنيسة منه فقال «أفأنتم منتفخون وبالحرى لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذى فعل هذا الفعل» ١ كو ٥:٢ «نقوا منكم الخميرة العتيقة »١ كو ٥:٧ ثم استطرد الحديث واشار الى هذه الاقوال السابقة قائلا « كتبت اليكم فى الرسالة — التى اكتبها الان — أن لا تخالطوا الزناة » ١ كو ٥: ...) وقبل التعليق اوضح أن العبارة (— التى اكتبها الان —) هى بالطبع من اضافة السيد/ يسى منصور والا لما كان هناك محل للخلاف ، وهذا التفسير الذى يعطيه سيادته لها هو محض تلفيق ولا تحتمله كلمات الرسالة على الاطلاق ، فالاصحاح يبدأ بالاشارة الى أنه يسمع أن بين المخاطبين بها زنى وزنى هكذا لا يسمى بين الامم حتى أن تكون للانسان امراة أبيه، ويعجب فيقول لهم افأنتم منتفخون وبالحرى لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذى فعل هذا الفعل،واذ يقول بعد ذلك « كتبت اليكم فى الرسالة ان لا تخالطوا الزناة.» فانه بالقطع يقصد رسالة اخرى ، لان الكلام السابق فيها لا يقول لهم فيه أن لا يخالطوا الزناة،وانما مفهوم الرسالةأنه

= وقد طلب منهم في رسالة سابقة الا يخالطوا الزناة فانه يعجب لانهم لم ينوحوا حتى يرفع من وسطهم الذى فعل هذا الزنى اعمالا لما طلبه منهم فى رسالة سابقة الا يخالطوا الزناة .

واما الرسالة الاخرى فيقول سيادته بشأنها (والرد نقول : أن الرسالة المذكورة فى كو٤: ١٦ ويظن سيادة المعترض — والمفروض ايضا انه السيد /حبيب سعيد — أن لا وجود لها فى الرسائل ، هى الرسالة الى افسس، وهى المتداولة ضمن العهد الجديد الى اليوم ، وقد كانت مرسلة الى لاودكية لقراءتها ، وهكذا ترسل منها الى كنيسة اخرى لقراءتها ايضا ، يدل ذلك ان الرسول لا يصفها بالقول أنها التى الى لاودكية بل «التى من لاودكية» . وقد اجمع المفسرون على أن الرسالة عامة الى كل الكنائس المجاورة لافسس لا الى كنيسة أفسس وحدها، وان تيخيكس حمل نسخة منها الى لاودكية وهو مار بها فى طريقه الى كولوسى . ولاودكية على بعد قليل من كولوسى وكلاهما فى دائرة كنيسة افسس ، ولان الرسالة الى أفسس موجهة لجميع القطاع ، فلم يذكر بولس الرسول أصدقاءه بالسلام كعادته ، مع أنه صرف بينهم عدة سنين ويعرف الكثيرين منهم .) .

وهذا الذى يقوله سيادته ادعاء لا سند له ، فالرسالة الى أهل افسس تقول فى اولها « ..... الى القديسين الذين فى أفسس.....» (ص١: ١) وكتب فى نهايتها «كتبت الى أهل افسس من رومية على يد تيخيكس» وليس فيها ادنى اشارة الى طلب تلاوتها فى غير أفسس ، وأما الرسالة الى أهل كولوسى فانها وان عنونت وانتهت بأنها الى أهل كولوسى فقد جاء فيها « ومتى قرئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ ايضا فى كنيسة اللاودكيين والتى من لاودكية تقرأونها انتم ايضا . » (ص٤: ١٦) ، ولو كانت التى من لاودكية هذه هى الرسالة الى افسس لقال عنها ذلك اذ لا حكمة من الاشارة الى لاودكية حينئذ . أما القمص باسيليوس اسحق فيقول فى صفحة ٦٥ من كتابه : (وليس فى الامر شىء لان الرسول كتب الى بعض الكنائس ما كتبه الى الاخرى والرسالة التى كتبها الى أفسس هى بذاتها التى كتبها الى لاودكية فمنعا من تكرار الكلام رؤى الاكتفاء بواحدة منها.) ونفس التعليق السابق ينطبق على هذا الرد ايضا ، مع ملاحظة الفارق بين الردين فالاول يفترض وجود رسالة واحدة تنتقل بذاتها من كنيسة الى اخرى والثانى يفترض وجود أكثر من نسخة لنفس الرسالة ، ولو صح اى منهما لا تخفى الاخر .

ومن أطرف ما قرأته تدليلا على صحة الكتاب المقدس وسلامته من التعديل أو النقص مايقوله القمص باسيليوس اسحق فى كتابه الذى سماه الحق فى صفحة ٤٣ منه قوله أنه يورد هنا احصاء لكلمات وحروف الكتاب المقدس للتدليل على مبلغ قدسيتها عند اليهود والنصارى ، وهو يقول تأكيدا لذلك ، أن الكتاب المقدس يحتوى على ٩٣٨ر٧٧٣ كلمة وعدد حروفه ٤٨٠ر٥٦٨ر٣ حرفا ، وهذا الذى يقوله وإن بدا فيه التحدى والتعجيز ، فإنا بأن اثبات عدم صحته يقتضى عد كلمات الكتاب المقدس وحروفه ، وأيا كانت النتيجة فهو يستطيع الادعاء بأن الحاسب قد أخطأ وهو موقن أن فى القليل فان القارىء لن يحاول التحقق من صحة الأرقام بنفسه ، ولكن ومع ذلك ، فما أسهل القطع بكذب هذه الأرقام .

وتفصيل ذلك أننا قرأنا من قبل فى المزمور ١٦ الآية التى تقول « لأنك لن تترك نفسى فى الهاويه . لن تدع تقيك يرى فساداً » (١٠) ، وقد طالعنا نص الآية فى التعليق فى كتاب يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته كما يلى « لأنك لن تترك نفسى فى الجحيم . لاتدع قدوسك يرى فسادا . » ، ونفهم من ذلك أن هناك ترجمة أخرى بالعربيه للكتاب المقدس غير تلك التى تحت يدى ، كما أن العبارة « عار عند البشر » فى المزمور ٢٢ تقرأ فى كتاب تأملات فى الزامير «عار عند الشعوب» ، وهو ما يؤكد وجود ترجمة أخرى ، فأى الترجمتين يقصدها سيادته بهذه الأرقام ، ثم إنه نفسه يقول فى الصفحات من ٤٦ — ٤٨ من كتابه أن الكتاب المقدس انتشر فى العالم كله شرقا وغربا وكل النسخ فى كل الأرض متشابهه لفظا ومعنى وترجم إلى كل اللغات وقد اجتزأ منها التراجم السريانية والقلجانية والقبطية والأثيوبية والعربية والأنجلوساكسونية ، وأشير إلى أن لدى أكثر من ترجمة بالانجليزية ، فيا ترى إلى أى التراجم المذكورة يشير سيادته بأرقامه هذه ، بالقطع ليس اليها كلها ، وأضيف أيضا ، وبالقطع ليس إلى أى واحد منها .

وصفوة القول فى كل ماتقدم ، أن الثابت أن انجيلا معينا كان معروفا فى عهد المسيح عليه السلام ، وأشار اليه المسيح نفسه ، وكان معروفا أيضا إلى مابعد رفع المسيح واليه اشار تلاميذه وغيرهم ، ورأى البعض تسطيره ، أو كتابة ما شاهدوه أو سمعوا به ، فكان نتيجة لذلك العديد من الكتب أو المؤلفات سماها كاتبوها بالأناجيل ، ولعل الاختلاف الوحيد بين كل منها لايقوم إلا بالنسبة لأمانة كاتبها واجتهاده ليحصل على المعلومات التى أوردها ، فمنهم من كان يدقق فى كل الأمور ، ومنهم من كان يدقق فى البعض منها ، ومنهم من لم يدقق فى شىء منها على الاطلاق ، ولذا كان طبيعيا أن تتضارب وأن تتناقض ، وكان حريا بالكنيسة أن تجمع المؤتلف منها فتقره ، بعد بحث وتمحيص ، ويكون منها جميعا انجيل واحد ، يمكن أن يلتزم به الكل ، ولكن الواقع كان غير ذلك ، فبدلا من أن تجمع من كل منها ماتطمئن إلى صحته ، اختارت أربعة منها هى هذه الأناجيل الأربعة المتداولة ، وقبلتها جملة على الرغم مما فيها من متناقضات لايستقيم معها القول بصحتها جميعا ، وقبلتها وأقرتها والزمت المسيحيين بها ، ولكنها لم تكتف بذلك ، بل طاردت الباقى وأحرقتها ، مع أنها لاتختلف فى قيمتها عن هذه الأربعة المتداولة ، وكان حريا بالكنيسة أن تبقى عليها كلها للتراث الانسانى ، إذ قد تكون الحقيقة فيها دون هذه الأناجيل التى أقرتها ، ولكنها أبت إلا أن تحرم الانسانية منها ، ولكن ، ومهما قيل من أسباب لاختيار الأناجيل المتداولة بالذات ، ومهما قيل فى شرعيتها أو قانونيتها أو غير ذلك من العبارات التى نطالعها ، فان ذلك أبداً لن يعطى هذه الأناجيل المختارة ، أى ميزة تمتاز بها على غيرها مما طورد وأحرق ، غير اختيار الكنيسة لها ، وكذلك الحال بالنسبة لباقى أسفار العهد الجديد ، ولكن الكنيسة ، ولأسباب غير مفهومة على الاطلاق ، افترضت فى هذه الأناجيل وغيرها من أسفار العهد الجديد ، أنها كتبت بوحى وارشاد من الروح القدس ، أى من الله كما يعتقدون فى الروح القدس ، أما كيف

كان هذا الوحى ، وكيف استدلت الكنيسة على أن هذه الأناجيل بالذات وحدها دون غيرها هى التى كتبت بهذا الوحى وذاك الارشاد ، وكيف كان ذلك بالنسبة لباقى أسفار العهد الجديد ، فهذا ما يستحيل على الكنيسة أن تعطينا عنه أى جواب مقبول أو معقول ، وبطبيعة الحال فلست هنا أقصد كما يبدو لى أن البعض قد فهم ، أن ثبوت الوحى لهذه الأناجيل وتلك الأسفار يعنى ثبوته لغيرها مما طورد وأحرق ، ولكن ما أقصده بحق هو أن نفى الوحى عن هذه التى طوردت وأحرقت ، هو نفى فى نفس الوقت للوحى عن تلك الأناجيل والأسفار التى قبلت واعتمدت .

ويحاول المسيحيون أن يربطوا بين الوحى فى كتابة أسفار العهد الجديد والوحى فى كتابة أسفار العهد القديم ، فيعتبرونه وحيا واحدا فى الحالين ، ولكن الواقع ينفى ذلك كل النفى ، فاذا كنا نرى انجيل المسيح فى العهد الجديد فى أربع نسخ مختلفة كل منها منسوبة لشخص معين ، فاننا لا نرى فى العهد القديم سفرا منسوبا لغير رسوله ونبيه ، ولا سفرا كتبه العديدون فى صور مختلفة اختير البعض منها دون البعض ، ولا رسائل لأتباع هؤلاء الرسل ، ولذا ، فمحاولة الربط هذه لا تقوم على أساس من الصحة وبالتالى فلا يمكن قبولها .

على أن افتراض الوحى على هذا النحو فى كتابة أسفار العهد الجديد أمر يمكن على أى حال فهم علته والغرض منه ، فالذى لاشك فيه هو أن الاعتقاد بهذا الوحى هو ما يربط المسيحيين بمعتقداتهم المستقرة لديهم تقريبا الى اليوم ، ولو لم يفترض هذا الوحى لتزعزعت العقيدة واختلفت وتضاربت تضاربا بينا لدى الجميع ، ولكان فيما يجده المسيحيون من تناقض فى أسفار العهد الجديد ، حافزا لهم على ألا يولوا هذه الأسفار ذلك القدر من الاهتمام الذى يولونه لها اليوم ، ولم يكن من سبيل لربط المسيحيين بها الا بافتراض الوحى فى كتابتها ، بل إنه رغم هذا الافتراض ، فقد تباين المسيحيون الى أبعد حدود التباين فى أمر العقيدة نفسها ، وافترقوا الى

مذاهب متعددة يحاولون الى اليـــوم جهدهم للتوحيد بينها دون جدوى ، ويعترف المسيحيون أنفسهم بهذا الانقسام وبخطورته على الدين نفسه ، وفى هذا نرى مجلس الكنائس المسكونى يشدد على هذا الأمر فى اجتماعه سنة ١٩٥٤ ويقـــول فى أحد تقاريره عن الانقسام :

(ان هذا الانقسام يعتبر خطيئه لأنه يحجب عن الناس كفاية المسيح للخلاص كما أن الناس يحـرمون من انجيل الصالحة لأنهم لا يرون فى حيـــاة الذين ينادون بالانجيل ما يحقق أمانيهم ويعطيهم صورة طيبة عن تصرفاتهم .) (عن كتاب ربّ واحد وكنيسة واحدة لروبرت نلسون — ترجمة ابراهيم مطر — وصادر عن مكتبة الشعل الانجيلية ببيروت ص ٤١ و٤٢)

ولـكن ، اذا كنا قد انتهينا الى اثبات أنه لم يكن هناك ثمـة وحى فى كتابة أسفار العهد الجديد ، فهل معنى ذلك أن هذه الأسفار تفقد كل قيمة لها بالتالى ، بالطبع لا ، ولعل خير مايعبر عن قيمة هذه الأسفار ما نقرأه فى كتاب العقل والايمان أو لماذا نؤمن بعقائدنا المسيحية (بقـــلم الاستاذ نورمن أندرسن — الطبعة الثانية المترجمة الى العربية والصادرة عن مطبعة النيل المسيحية) فى صفحه ٢٢ منه قوله :

(ما الثقة التى توجهها أساليب النقـد والبحث الحديث إلى هذه الوثائق ؟ فمع أن الـكثيرين — ومن ضمنهم مؤلف هذا الـكتيب — يؤمنون كل الايمان بوحى هذه الأسفار — الا أننا لا نفترض بالضرورة وجود هذا الايمان فى قرائنا الـكرام بل على عكس ذلك نفترض جدلا بأن نعتبر هذه الاسفار كأنها مخطوطات بشرية لها نفس الثقة التى لغيرها من المخطوطات القديمة — لا أكثر ولا أقل . على أنه لمن المستغرب أن قوما من الذين يدعون لأنفسهم قـــوة الادراك وفضيلة الانصاف ، يتوهمون أن الافتراض جدلا بعدم وحى هذه الأسفار ، يجردها حتما من قيمتها التاريخية كوثائق قديمة ، ويتركها بلا قيمة الا فى دائرة الروح والأخلاق .)

فاذا كنا لكل ما سبق أن بيناه ، نعتقد بيقين أن أسفار العهد الجديد لم يكن هناك ثمة أى وحى فى كتابتها ، مخالفين فى ذلك ما يعتقده السيد الكاتب المذكور ، فاننا نتفق مع ذلك معه تمام الاتفاق فى أن نفى الوحى بالنسبة لها على هذا النحو ، لا يجردها حتما من قيمتها التاريخية كوثائق قديمة ، وانما تعتبر بحق مخطوطات بشرية لها نفس الثقة التى لغيرها من المخطوطات القديمة .

واذ ننتهى الآن الى ذلك ، فان كل الأمور تتضح وتستقيم ، ويمكننا على أساس من هذا الذى انتهينا اليه وأثبتناه أن نفسر كل شىء ، وأول ما نفسره هو سبب اجماع الأناجيل وغيرها من أسفار العهد الجديد على القول بصلب المسيح عليه السلام مخالفين فى ذلك الواقع الذى نعرف منه أن الذى صلب بالفعل هو يهوذا الاسخريوطى لا المسيح عليه السلام ، ذلك أنه فى الصورة التى انتهينا اليها من تفصيل كيفية تخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه له اليه ، والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته بدلا منه على أنه المسيح نفسه ، رأينا أنه لحظة رفع الله لمسيحه رجع أعداؤه الى الوراء وسقطوا على الارض ، وكان ذلك ليلا ، فاختلط الامر على أعدائه حين اندفعوا الى حيث كان للمسيح إثر هذه الواقعة ، ولم يجدوا بينهم غير يهوذا الاسخريوطى ، وكان وحده شاهد معجزة رفع المسيح ، لأنه كان أقربهم اليه ، وهو الذى كان يعرفه ، وقد دنا منه فى هذه اللحظة ليقبله لتكون هذه علامة لمن معه ليقبضوا عليه ، واستسلم يهوذا لمن قبضوا عليه ظنا منهم أنه المسيح ، وتركهم يحاكمونه ويصلبونه معتقدين أنه المسيح ، وبذلك لبّس الأمر لهم ، ولم يعرف أى من الناس أن هذا الذى حوكم وصلب هو يهوذا الاسخريوطى ، وانما اعتقدوا جميعا أنه المسيح بالفعل ، ولذا لم يكن لكاتب بشر الا أن يكتب أن الذى صلب هو المسيح ، وذلك بعكس ما لو كان الكاتب موحى اليه من الله بما يكتب ، فانه كان لابد حينئذ أن يكتب أن المسيح قد رفع ولم يصلب ، وأن آخر غيره هو الذى صلب .

وكذلك لم يكن للتاريخ وما سجله الا بشر غير موحى لهم ، الا أن يسجل أيضا أن الذى صلب هو المسيح عليه السلام .

ثم جاء القرآن ، معلنا للناس جميعا ، أن الذى صلب لم يكن هو المسيح عليه السلام ولـكن آخر ، فنقرأ فيه :

« وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولـكن شبه لهم ... »

وقد وجدنا من قبل ، أن الصورة التى انتهينا اليهـا ، من كـيفية تخليص الله للمسيح ورفعه له اليه ، ثم القبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه مستسلما لمن قبضوا عليه ظنا منهم أنه المسيح ، ودون أن ينفى عند محاكمته كونه المسيح نفسه ، هى ما تطابق تمام التطابق ما ورد فى هذه الآية ، ثم هى بدورها تؤكد لنا أن الذى صلب انما صلب ظنا أنه المسيح ، وبالتالى فما كان لبشر يسردون هذه الواقعة أو يسجلونها للتاريخ الا أن يقولوا أنه المسيح من صلب ولـكننا نجد الآية تشير الى شىء من الشك كان بالنسبة لهذا الذى صلب فتقول :

« ... وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حـكيما . »

ولقد وجدنا هذا الشك بالفعل ، يساور نفس من كانوا يحاكمون من ظنوه المسيح ، فيسألونه عما اذا كان هو المسيح حقا ، أو ملك اليهود حقا ، وغير ذلك من الاسئلة التى لم تـكن لتدل الا على شكهم فى شخصية هذا الماثل أمامهم ، وقد وجدناه فى بعض الأناجيل ساكتا فلا يتكلم ليزيل من أنفسهم هذا الشك ، ولا يحق لنا أن نتغافل هنا عما ذكرته أناجيل من أنه أجاب بأنه هو ، ولـكننا لا يجب أن نتغافل هنا أيضا عن أن هذه الروايات كانت سماعية محضة ، وأن أيا من أتباع المسيح لم يحضرها ، وانما حضرها أعداؤه وحدهم ، ومن ثم فهى روايات سماعية من

الأعداء ، ولذا فليس يبعد أن بعضهم لم يشأ أن يثير الشك حول حقيقة شخصية المصلوب بالاشارة الى ما كان من سكوته ، فأضاف من عنده هذا الكلام ، وخاصة أننا نجد أن الغالب فى الأناجيل على هذا المقبوض عليه أثناء محاكمته ، أنه كان يلزم السكوت حتى كان يثير بذلك عجبا كبيرا .

وبذا استقامت الأمور جميعا فيما يختص بموضوع الصلب ، فالعهد القديم قد تنبأ بكل جلاء ووضوح بتخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه إليه والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، ولم يكن الواقع ليكون غير هذا الذى تنبأ به العهد القديم ، وهو ما كان بالفعل ، ولكن الأمر لُبِّس على من قبضوا على يهوذا وحاكموه وصلبوه ، فظنوا أنه المسيح ، ولم يعرف بتخليص الله للمسيح من دون الله غير يهوذا الذى قبض عليه وحوكم وصلب بدلا منه ، ولم يعرف الناس غير أن الذى صلب هو المسيح بالفعل ، ولم يكن لهم وهم بشر أن يعرفوا غير ذلك ، ولذا ذكروا ذلك فى كل ما خطوه من أناجيل وغيرها ، والتى لم يكن هناك ثمة أى وحى من الله فى كتابتها ، ثم جاء القرآن ، وحى الله المنزل على محمد عليه السلام كما يعتقد المسلمون ، فذكر الحقيقة التى يعلمها الله ، وسبحانه وتعالى ما كان له أن يخطىء ، فأكد بذلك تحقق نبوءات العهد القديم ، ولم يكن فى ذلك مايهدم كل قيمة لأسفار العهد الجديد ، وانما كان ذلك فحسب ، تأكيدا لكون كتبة الأسفار المتداولة ، ليسوا سوى بشر ، كتبوا ما كتبوه ، بغير أى وحى من الله ، ومن ثم كان طبيعيا أن يقعوا فى نفس الخطأ الذى وقع فيه غيرهم من الناس ، فيظنون أن الذى صلب هو المسيح نفسه ، رغم مخالفة ذلك للواقع ، ولكن لم يكن فى مقدورهم كبشر ، أن يعرفوا حقيقة هذا الواقع .

الفصل الخامس

تأملات ختامية فى هذا الباب

ترى ؛ ما الذى كان فى هذا الباب ، لقد استهدفنا فيه أن نصل الى الحقيقة بين صلب المسيح كما يعتقد المسيحيون ، وعدم صلبه ورفع الله له اليه وصلب غيره بدلا منه كما يعتقد المسلمون ، واقتضانا استهدافنا للحقيقة أن نبدأ بالتعرف على تفاصيل صلب المسيح وما سبقه كما يعتقد المسيحيون ، ووجدنا كل هذه التفاصيل ثابتة فى الأناجيل ، والتعرف على تفاصيل تخليص الله للمسيح ورفعه اليه وصلب آخر بدلا منه كما يعتقد المسلمون ، ولم نجد هذه التفاصيل فى القرآن ، ووجدنا أن ايمان المسلمين بالكتب السماوية يقتضيهم افتراض أن الأصل فى المتداول منها هو الصحة ، وبالتالى لم يكن من سبيل للوقوف على الصورة التفصيلية لما يعتقده المسلمون الا بان نلتمس هذه التفاصيل فى الأناجيل نفسها ، واستطعنا أن نستخلص منها هذه الصورة التفصيلية بالفعل ، ولم نعن فى هذا الصدد بأن نستخلصها مما يقوله البعض تفسيرا للآيات القرآنية من أن شبه المسيح ألقى على آخر ، اذ لم نجد لهذه التفاسير قوة فى الاعتبار مثل ما يجب أن يكون للتفاصيل التى وردت فى الأناجيل نفسها ، بل اننا وجدنا أيضا وبحق أن هذا التفسير لا يتفق مع ما ورد فى القرآن وأن الصورة التفصيلية التى استخلصناها من الأناجيل هى ما يطابق النص القرآنى فى معناه ، ثم اقتضانا استهدافنا للحقيقة بعد ذلك أن نبحث عن المعيار الذى يمكن أن نحتكم اليه بشأنها ، واذا بنا لا نجد معيارا مقبولا لذلك سوى ذلك المعيار الذى يعتد به المسيحيون أنفسهم دون المسلمين فى أبحاثهم ودراساتهم ، ألا وهو ما جاء فى العهد القديم من نبوءات ، وكان واضحا بذلك أننا انما كنا كمن يجعل من المسيحيين أنفسهم هم الحكم فى الأمر ، ولكنا وجدنا أيضا أن استهدافنا للحقيقة وحدها يحتم علينا قبول

نبوءات العهد القديم كمعيار صحيح لنكشف عن الحقيقة .

ولكن ، هل كان الأمر على هذا النحو مجرد استهداف الحقيقة . لا أظن منصفا يجيب بالايجاب ، فقد كان الأمر فى حقيقته أكثر من ذلك بكثير بالنسبة لما جاء فى القرآن نفيا لصلب المسيح من قوله « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما . » ، لقد كان الأمر فى حقيقته بمثابة الامتحان ، لا ، بل التحدى لهذه الآية ، التحدى لها باعتبارها وحيا من الله ، فوضعناها فى جانب . ووضعنا مئات الملايين من المسيحيين الذين ينفونها باصرار ، ان لم يسخروا منها ، ووضعنا العهد الجديد المتداول مع كل هذا ، ثم جعلنا الحكم فى الأمر ، هو ما يحتكم اليه هؤلاء جميعا أنفسهم ، مسلمين بأن هذا هو ما يجب أن يقبله من يستهدف الحقيقة وحدها .

وبدا واضحا منذ الوهلة الأولى أن الآية لن تصمد ، وأن ما يقول به المسلمون سينهار ، وكيف لا ، وقد سلمنا الآية وما يقول به المسلمون لهذه المئات من الملايين الذين ينكرونها ، لنحتكم بشأنها الى ما يحتكمون هم أنفسهم اليه ، وينتهون منه الى عكسها فأى تحد كان يمكن أن يفوق هذا التحدى .

واذا بالنتيجة مذهلة ، اذا بها معجزة ، ان ما احتكمنا اليه لا ينطق الا بصدق هذه الآية ، بل اذا بالامور جميعا لا تستقيم الا بها ، فوجدنا النبوءات فى العهد القديم لا تقول بغيرها ، وجدنا النبوءات تتحدث بنفسها ، فتنطلق عالية مدوية بكل صراحة وبأجلى وضوح تقول لنا ، أن الرب خلص مسيحه ، يرسل من العلا فيأخذه ، يرفعه من أبواب الموت ، اليه لا يقرب ، وفى يد العدو لا يحبس ، وأن الشرير يعلق بعمل يديه ، كرا جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع ، حفر أمام المسيح حفرة فوقع فى وسطها ، فى الشبكة التى أخفاها انتشبت رجله ، وهو الخائن ، الذى صار

بغدره وخيانته عارا عند البشر ، واذا بمن قالوا بعكس تلك الآية ، لم ينتهوا الى ما انتهوا اليه ، الا بالتحايل على النبوءات ، فحملوها ما لا تحتمل ، وجعلوا المصلوب فيها هو المسيح على قطعها بأنه غيره ، بل جعلوا من المسيح دودة لا انسان وعارا عند البشر ، لا لشيء الا ليكون هو المصلوب ، فبهذا وصفت لنا المزامير من صلب ، وما كان للمسيح أبدا أن يكون شريرا أو يعد عارا عند البشر ، بل ما كان لهـذا الا أن يكون غيره ، وهكذا اذا بالمتحدين جميعا يتوارون أمام جلال تلك الآية وقوة الحق الذى جاءت به ، واذا بالحقيقة تصرخ أن ليست الحقيقة الا ما جاء بها .

ترى أى جلال حملته هذه الـكلمات على قلتها ، ومن هو الذى كلمته هى الحق وحده وفى أى امتحان أو تحد لاتكون الاها الغالبة ، هل غير كلماته سبحانه وتعالى الذى يعلم الجهر وما يخفى ، والذى يعلم الحقيقة وان عن العالم كله خفيت ، فهل كل ذلك الا دليل أن من الله أوحيت .

بل ما الذى وجدناه ، ألم نجد أن غير الله لم يكن ليعرف الا ان المسيح هو من من صلب ، ولذا فلم يكن لـكتاب غير موحى به من الله الا أن يقول بصلبه ، وما كان لـكتاب أن يقول بالنفى الا أن يكون من الله وحيه ، أفليس نفى القرآن صلب المسيح ، أليس هذا النفى فى حد ذاته دليل وحى ذلك القرآن .

ثم ترى أى حكمة هذه التى قصد الله فى ألا يترك لنا من سبيـل للـكشف عن تفاصيل ما أورده فى كلمات قليلة فى كتابه الا بأن نلجأ الى ما فى الاناجيل المتداولة نفسها ، ثم ألا نجد معيارا للـكشف عن الحقيقة بين كلامـه وبـين ما جاء فى هذه الاناجيل الا المعيار الذى يأخذ به المسيحيون أنفسهم ، أليست هى حـكمة بالغة ألا يكون الدليل على صدق كلامه سبحانه وتعالى بالنسبة لمن ينفون صحته إلا فيمايقولونه هم أنفسهم وفيما يؤمنون به من الـكتاب المقدس وفيمـا يرتضونه حـكما فى الأمر ، أليست هى حـكمة بالغه اذ بهذا وحده لا عذر لهم بعد ألا يؤمنوا ، وبهذا وحده

لا يملكون الا أن يؤمنوا ، ولو كان الدليل غير هذا لما قبلوا أن يؤمنوا .

لعمرى ، ان هذا وحده لكاف عندى لأومن بأن القرآن هو وحى الله وكلامه نزله على رسوله الأمين ، ولكنى لم أتصورنى يوما أملى رأيى أو أفرضه على غيرى ، وانما أسأل من ينكرون أن القرآن كتاب الله ، أن يتأملوا بأنفسهم فى كل ما سبق ، ثم ليحكموا بأنفسهم وفق ما يمليه عليهم ضميرهم وايمانهم فحسب .

ولعلى أستطيع أن أزيد الأمر شيئا من الوضوح ، فأتساءل ، اذا كان القرآن ليس كتابا من عند الله وليس موحى به كما يعتقدون ، واذا كان مؤلفه هو محمد كما يحسبون ، فان الأمر ليكون حينئذ حقيقا بشىء كثير من التأمل ، فما الذى كان يفعله محمد لو كان هو مؤلف القرآن حيال ما يعتقده المسيحيون ، إنه يحتم الايمان بالمسيح وبرسالته ، ولكنه يأتى بالنسبة للواقعة التى لا يختلف فيها المسيحيون والتى يؤيدهم فيها التاريخ نفسه ، ألا وهى الاعتقاد بصلب المسيح ، فينفيها نفيا قاطعا وصريحا ، وفى مقابل ذلك ، نجده بالنسبة لأكثر الأمور خفاء وسرا ، والتى يستحيل على المسيحيين اقامة دليل مقبول عليها ، ألا وهى الاعتقاد بميلاد المسيح من عذراء ، فلا يؤيدها فحسب ، بل يضعها والكفر فى مرتبة واحدة ، وذلك ما نقرأه فى سورة النساء من قوله تعالى « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . » (١٥٦) أفاذا كان محمد هو مؤلف القرآن كان يفعل ذلك حقا .

وان الأمر ليزيد غرابة ، حين نجد أن هذا الذى يضعه القرآن فى مرتبة واحدة الى جوار الكفر ، من المسيحيين أنفسهم من يحاول أن ينفيه ويستبعد الاعتقاد به ، وهذا ما يشير اليه كتاب حياة يسوع (وهو من تأليف الدكتور بترسن سميث ونقله الى العربية السيد/ حبيب سعيد ـ الطبعة الثانية ـ وهى صادرة عن « دار الشرق والغرب ») حيث نقرأ فى صفحة ٢٤ منه :

(رأيت من اللائق أن أفرد فصلا خاصا لميلاد المسيح العذراوى ، اذ قد طرح

الموضوع فى مناقشات علنية ، ونجم عنه شىء من الريبة فى بعض العقول . ولا يجىء هذا التساؤل من جانب غير المؤمنين فقط . بل هناك نفر من المسيحيين أنفسهم يزعمون أن التساؤل فى عقيدة ميلاد المسيح من عذراء لا يؤثر شيئا فى الاعتقاد بألوهية المسيح . ورغبة فى ازالة الشكوك والشبهات يطالبون بحذف العبارة القائلة :

«حبل به بالروح القدس وولدمن مريم العذراء» من قانون الايمان المسيحى.)

ويضيف الكاتب فى صفحة ٢٩ قوله :

(والتساؤل حول الميلاد العذراوى ليس حادثا جديدا ، بل هو قديم نشأ مع الكنيسة . ويرجع تاريخه الى الزنديق « كيرنثوس » خصم القديس يوحنا . وثار أيضا فى أوقات مختلفة ، كما ثار أيضا فى هذا العصر ، ولكن مع هذا الفارق : أن التحدى فى العصور الأولى جاء من الخوارج من قوم جحدوا ألوهية المسيح . والفكرتان — أى ألوهية المسيح وميلاده من عذراء — قد تمشتا معا جنبا الى جنب وجرى الناس اما على قبولهما معا أو رفضها معا . أما فى هذا العصر فالميل يتجه الى الفصل بينهما . ويرغب بعضهم ممن يؤمنون بألوهية المسيح أن يترك باب موضوع الميلاد العذراوى مفتوحا على مصراعيه .

وانها لمحاولة تستحق الاشفاق من جانب المرتاب الذى يميل الى جعل العقيدة المسيحية سهلة التصديق . . . .)

فما مصلحة محمد فى أن ينفى صلب المسيح ، وهو عالم أن هذا وحده كاف لأن يشكك المسيحين فى دعوته ، وخاصة اذا علمنا أن مسألة عدم صلب المسيح هذه هى مسألة ثانوية عند المسلمين ، ولا تثير فى أذهانهم أى شىء بصدد ايمانهم بمحمد ورسالته ، ثم ما مصلحته فى أن يؤكد الميلاد العذراوى للمسيح حتى ليضع فى مرتبة واحدة عدم الايمان به مع الكفر ، وهو لو نفاه لوجد من المسيحيين من يؤيده ويسانده ، أفليس الصحيح أنه لو كان محمد عليه السلام هو مؤلف القرآن وكان

مفروضا فى تعرضه للمسيحية كما يعتقدون ، فقد كان الأولى به أن يؤيد صلب المسيح وينفى الميلاد العذراوى له وليس أن يفعل العكس .

ولكن القرآن ارتاد الصعب وتجنب السهل ، وما كان هذا منه الا مجرد تقرير الحقيقة وحدها ممن يعلمها وحده ، وهو الله والذى شاء سبحانه وتعالى أن يعلنها للناس كافة ، إذ مهما بدا فيها من عدم توافقها ومصلحة الرسالة، فان الحقيقة وحدها هى التى يجب أن تعلن ، يقينا بأنها هى أيضا ما لا بد وأن ينتهى اليه كل مستهدف لها.

وأعود فأكرر أنه اذا كان يكفينى هذا لأؤمن بأن القرآن هو كتاب الله الموحى به الى رسوله محمد عليه السلام فاننى لا افرض هذا الرأى على أحد وانما فقط أسأل كل منكر لذلك ، أن يراجع ضميره وايمانه وحده ، وأن يخلص بنفسه الى الحقيقة التى يتعين عليه أن يؤمن بها .

و بعد بقيت كلمة لا أملك الا أن أوجهها الى كل من ينكر تخليص الله للمسيح عليه السلام من الصلب والقبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه بدلا منه ، كيف تقرأ بل تترنم وتنشد وأنت تتطلع الى الصليب أمامك وعليه تمثال المصلوب وتقول:

« الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » و « وجمع القبائل محيط بك فعد فوقها الى العلى . » و « أرسل من العلى فأخذنى . » و « لم تحبسنى فى يد العدو بل أقمت فى الرحب رجلى . » و « يرسل من السماء ويخلصنى . » و « يسقط عن جانبك الف وربوات عن يمينك . اليك لا يقرب . » .... الخ

كما تقول أيضا :

« كرا جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع . يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه . » و « أهلكت الشرير . » و « فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم. » و « معروف هو الرب قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه . » و « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر » و « حفروا قدامى حفرة . سقطوا فى وسطها . » و

« اذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر . » ... الخ

كيف يا أخى تقرأ وتترنم بكل ذلك وأنت تتطلع الى الصليب أمامك وعليه تمثال المصلوب ، ثم تصر بالرغم من ذلك على أن هذا المعلق على الصليب أمامك هو المسيح عليه السلام الذى هو مجد للبشرية وشرف تفخر به، ولا ترى فيه الخائن يهوذا الاسخريوطى الذى هو محق وحتى اليوم عار عند البشر، ثم ما عذرك يا أخى أن تنكر الحق والله يجملك به تنطق على هذا النحو ، بل تنشد وتترنم .

الفصل السادس

اليهود ... ودم المسيح

قلنا فى تقديمنا للباب الثانى «فى الحقيقة بين صلب المسيح أو عدم صلبه» ، والذى منه هذا الفصل ، أن هذا الموضوع لايطرق ويبحث على هـذا المدى الواسع ، دون أن يطرق معـه موضوع آخر لصيق به ومتفرع عنـه ، أثير فى الأعوام الأخيرة ، وعرف بموضوع تبرئة اليهود من دم المسيح ، نخصص له فصلا سادسا وأخيرا بعنوان اليهود ودم المسيح .

والواقـع أنى لست أول من يطرق هـذا الموضوع فى جمهورية مصر العربية ، ولعل أول من طرقه فيها وتناوله فى العديد من مقالاته هو الكاتب الصحفى الأستاذ أنيس منصور ، إلا أنه ، وفى حدود ما أذكره ـ حيث لا أستطيع الاحتفاظ بالصحف كما أفعل بالنسبة للكتب ـ تناول الموضوع من جانبه السياسى ، أوباعتباره موضوعا سياسيا ، كما سبق إلى الكتابة فى الموضوع ، بل وتحت نفس العنوان الذى اخترته عنوانا لهذا الفصل ، الأستاذ فتحى عثمان فى الطبعة الثانية من كتابه «مع المسيح فى الأناجيل الأربعة» ، ولما كنت أكتب هنا فى نفس الموضوع ، ولست أجد عنوانا أكثر انطباقا عليه من هذا العنوان ، لذلك لا أرى مانعا من أن استعير نفس العنوان الذى اختاره سيادته ، وللحق فقد تناول سيادته الموضوع من زاوية سليمة ، وعرضه عرضا شيقا ، وأتفق معه فيما قاله فى هذا العرض ، ولا أجد محلا لتكراره هنا ، إلا أنه قد انتهى إلى القول بأنه وإن كان قد يعتقد بأن وثيقة تبرئة اليهود من الوجهة (الفنية) قد لاتخفى خطأ ما ، ولكن لابد لصاحب الدعوى أن يقدر (ظروف الواقع) التى يبشر فيها بتعاليمه وأن يحذر أن يصطاده المغرضون (بكلمة) ... ، ولست أتفق مـع سيادته فى هذا الذى انتهى اليه من الاعتقاد بأن تلك الوثيقة قد لاتخفى من الوجهة الفنية خطأ ما ،

وقبل أن انتقل إلى تفاصيل رأيى فى هذا الشأن أشير هنا إلى أن سيادته قد أغنانى بما أورده فى عرضه لهــذا الموضوع ابتداء من صفحة ٢٦٦ من كتابه مشقة البحث عن تلك الوثيقة وما تم بشأنها ، وفى اشـــارتى إلى تلك الوثيقة سأنقل عن سيادته ما أورده بشأنهـــا .

وموضوع صلب المسيح عند المسيحيين لا يبـدأ بواقعة صلبه ، وإنما هو عندهم يبـــدأ قبل ذلك بـكثير ، فهم — وكما سبق أن رأينا — يعتقدون بأن آدم عليه السلام إذ أخطأ ، بأن أكل من الشجرة التى حرم الله عليه أن يأكل منها ، فقد فقد بذلك حياة الاستقامة التى خلقه الله بها وأصبـح خاطئا وذلك قبل أن ينجب نسلا ، ولذا فانه يـكون طبيعيا — أن يولد منه البشر جميعـا خطاة بطبيعتهم نظيره ، وعلى هـــذا الأساس فانه لايمـكن أن يدخل فى ملـكوت الله أى من الناس لأنهم جميعا يحملون الخطيئة ومن ثم فهم غير كاملين ، ولـكن الله — وكما يعتقدون أيضا — يريد أن يتصالح مع الناس على خطيئتهم ، أو بمعنى أصح على خطيئـــة آدم ، ويرى المسيحيون أن ذلك لا يمـكن أنْ يـكون إلا بالفداء ، وبالدم أيضا ، وهم يسردون الشروط التى يرون لزوم توافرها فى هذا الفادى والتى ينتهون منها إلى أنها لا يمـكن أن تتوافر فى غير الله نفسه الذى يتجســـد من الروح القدس ومريم العذراء فيـكون الله الابن أو المسيح الذى بعد أن تأنس صلب من أجل البشر ومن أجل خلاصهم من خطيئة آدم ، لذلك يقولون فيما يسمى عندهم بقانون الايمان والذى يتفق المسيحيون على الايمان به :

(... نؤمن برب واحد ، يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، الذى به كان كل شىء ، هذا هو الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاص نفوسنا ، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء ، وتأنس ، وصلب عنا على عهد

بيلاطس البنطى ، وتألم ، وقـــبر ، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب ...)

هـذا هو اعتقـاد المسيحيين وايمانهم بالنسبة للمسيح وواقعة صلبه ، أما كيف صلب كما يعتقدون ، فنحن نقرأ فى انجيل متى « حينئذ اجتمع رؤساء الـكهنة والـكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الـكهنة الذى يدعى قيافا . وتشاوروا لـكى يمسكوا يسوع بمـكر ويقتلوه . » (ص ٢٦ : ٣و٤) ، كما نقرأ فى انجيل مرقس « وكان رؤساء الـكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه . » ، وفى انجيل لوقا نقرأ ... « وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه » (ص ١٩ : ٤٧) ؛ وفى أنجيل يوحنا نقرأ « فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا ماذا نصنع ... فقال لهم واحد منهم . وهو قيافا . كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة . أنتم لستم تعرفون شيئا . ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ولاتهلك الأمة كلها ..... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه . » (ص ١١ : ٤٧ — ٥٣) .

فنعلم من ذلك أن اليهود تآمروا على المسيح بمكر ليقتلوه ، ورأس المؤامرة هنا هو قيافا رئيس كهنتهم ، وطبقا لما ورد فى الأناجيل ، فإن يهوذا الاسخريوطى ذهب إلى رؤساء الكهنه وسألهم ماذا يعطوه وهو يسلمه إليهم ، فجعلوا له ثلاثين من الفضة ، فأخـــذ يتحين الفرصة ليسلمه ، حتى إذا ماظن أنها قد حانت ، جاء ليلا ومعه جمع كثير من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، ويعتقد المسيحيون طبقا لما ورد فى الأناجيل أنهم قبضوا على المسيح ومضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة ، حيث اجتمع قيافا مع الكتبة والشيوخ ، وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله يطلبون شهادة زور عليه ليقتلوه ، وفى الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على المسيح حتى يقتلوه ، ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطى الوالى ؛ ويتردد هـــذا الوالى

بالنسبة للمسيح وكان يريد أن يطلقه ، وإذ اعتاد فى كل عيـــد أن يطلق للجمع أسيرا ، فيسألهم من يريدون ، وفى نفس الوقت ترسل اليه زوجته تحذره أن أياه وذلك البار لأنها تألمت كثيرا فى نفس اليوم فى حلم من أجله ، ولـكن رؤساء الـكهنة والشيوخ حرضوا الجميـع أن يطلبوا آخر ويهلـكوا يسوع ، ولـكن الوالى يبقى مترددا ، فيسألهم عما يفعله بيسوع الذى يدعى المسيح ، فقال له الجميع ليصلب ، ويعود ليسألهم عن أى شر عمل ، ولـكنهم يزدادون صراخا قائلين ليصلب ، ويضيف انجيل متى قائلا « فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا إنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا . » (ص ٢٧ : ٢٤ — ٢٦) . فأطلق لهم بيلاطس من أرادوه وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب حيث صلب بالفعل كما يعتقد المسيحيون .

اليهود إذن تآمروا على المسيح ليمسكوه بمكر ويقتلوه ، وأرسلوا له ليلا جمعا ليقبضوا عليه حتى يقتلوه ، وطبقا لما يعتقده المسيحيون واليهود معا ، فانهم قد قبضوا بالفعل على المسيح ، ثم اقتادوه إلى قيافا رئيس الكهنة ؛ وهناك كان رؤساء الكهنة والشيوخ والجميع يطلبون شهادة زور عليه ليقتلوه ، وفى الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب عليه ليقتلوه ، ويمضون به إلى الوالى الذى يرغب فى اطلاق سراحه ولـكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجميع أن يطلبوا آخر ويهلكوا يسوع ، ويسألهم الوالى عما يفعله بالمسيح فيطلبون صلبه ، ولما يتردد يزداد صراخهم طالبين صلبه ، حتى إذا ماغسل الوالى يديه متبرئا من دم هذا البار تاركا لهم أن يروا مايرونه بشأنه ، لايكتفون بتقرير صلبه بل ويقولون أن دمه عليهم وعلى أولادهم ، وبعد ذلك سلمه ليصلب حيث صلب بالفعل كما يعتقدون .

جريمة قتل كاملة ، تلك هى التى ارتكبها اليهود ، مع سبق الاصرار الـــكامل

عليها ، فمن تآمر للقتل ، الى قبض للقتل ، الى جلب شهود زور للقتل ، الى ضغط من الوالى للقتل ، الى اصرار على القتل حين يتردد الوالى ، الى قبول كامل لمسئولية هذه الجريمة ووزرها ليس عليهم وحدهم وانما أيضا على ذريتهم من بعدهم فقالوا ان دمه عليهم وعلى أولادهم .

ولكن المسلمين يعتقدون بأن المسيح عليه السلام لم يصلب ، فهم لا يمكن أن يكون اعتراضهم على تبرئة اليهود من دم المسيح ماداموا يعتقدون أنه لم يكن هناك دم أريق للمسيح على الاطلاق ، وهنا يحتاج الأمر الى قليل من الايضاح ، فالمسلمون وان إعتقدوا بعدم صلب المسيح ، فانهم لاينفون أن اليهود قد تآمروا عليه ليمسكوه بعسكر ويقتلوه ، انهم يعتقدون بذلك ، ويعتقدون أن اليهود سعوا فعلا للقبض على المسيح ليقتلوه ، بل وبأنهم صلبوا من صلبوه ظنا منهم أنه المسيح نفسه وليس غيره كما هو واقع فى اعتقاد المسلمين الذين يعتقدون أن هذا الذى صلب هو آخــــر غير المسيح الذى خلصه الله ورفعه اليه ، ومن هنا فالجريمة فى حد ذاتها قائمة وأركانها متوافرة ، تماما كما لو كانوا قد صلبوا المسيح فعلا ، وكل ماهنالك أنه قد حدث خطأ فى شخص المجنى عليه ، فبينما قصد اليهود الى قتل المسيح بالذات ، وظنوا أن المسيح فعلا هو من قتلوه ، فان المسلمين يعتقدون أن الله قد خلص المسيح وأن آخـــر هو الذى صلب عوضا عنه ، وفى جميع القوانين ، فى كل أنحـاء العالم ، وفى الاسلام نفسه ، فان الخطأ فى شخص المجنى عليه لاينفى الجريمة نفسها ، وانما تبقى قائمة كما هى ، واذا كان لشخص المجنى عليه بالذات اعتبار فى نوع العقوبة أو مقدارها ، كما هو الحال بالنسبة لشخص المسيح بالذات مثلا ، فلا يكاد الحال يختلف مادام أن القاتل وأهل القتيل يتفقـــون على أن قتيلهم بالذات — وهو هنا المسيح — الذى قتل وليس غيره .

هذا عن الجريمة ، أما عن العقوبة ، فموضوع المناقشة هنا ليس حكم الاسلام فيها ،

وانما حكم المسيحية نفسها فيها ، فالمسيحيون هم الذين كانـــوا يدينون اليهود ، وهم الذين اليوم يبرئون اليهود ، وفى الحالتين طبقا لـــا يعتقدونه متفقا مع ديانتهم وعقيدتهم ، ولذا فحكم المسيحية والعقوبة التى توقع وعلى من توقع هو مايتعين بحثه وليس أى حكم اخر .

وهنا ، والأمر يتعلق بصلب المسيح ، الذى يعتقد المسيحيون أنه الله ، لابد لاستنباط الحـكم أن نقارنه بخطيئة أخرى فى حق الله نعرف حكمها عند المسيحين ، فالحيةأغوت حواء ،وحواء أعطت رجلها آدم،فأ كل هوالآخر من الشجرة التى حرم الله عليه أن يأ كل منها ، هذههى كل خطيئة آدم ، التى يعتقد المسيحيون أنه بها فقد آدم حياة الاستقامة وأصبح خاطئا قبل أن ينجب نسلاولذلك ولد البشر جميعا منه خطاة بطبيعتهم نظيره ، وآدم هنا وقع تحت الاغواء ، ويقينا لم يدر بخلده حين ارتكب هذه الخطيئة أنها ستورث للبشر جميعا من بعده وأن الله لن يجد سبيلا لتخليص البشر منها الا بأن يتجسد ويتأنس ويصلب على نحو ما يعتقد المسيحيون ورأيناه من قبـــل .

أما اليهود فقد تآمروا على المسيح الذى يعتقد المسيحيون أنه الله نفسه،ويعتقدون أيضا أن كتاب اليهود يدلهم عليه وعلى ألوهيته كذلك، هم اذن فى اعتقاد المسيحين تآمروا على الله نفسه وليقتلوه ، تآمروا على الله متجسدا فى المسيح ليصلبوه، وقتلوه فعلا صلبا كما يعتقد المسيحيون ، ولم يكفهم هذا وانما قبلوا فى تحد أن يـكون دمه عليهم وعلى أولادهم من بعدهم .

والواضح البين أنه لاتناسب على الاطلاق ، بين خطيئة آدم وبين اثم اليهود وجرمهم ، فالأولى ، معصية لله ليس فى ذلك شك ، أما الثانية ، فمعصية المعاصى ، بل هى أ كبر اثما ومعصية من كل ماقد يتخيله البشر من معاص ، فهل فوق صلب الا له كما يعتقدون معصية ، وآدم لم يقبل على نفسه ومن باب أولى على ذريته تحمل

وزر معصيته ، وان كان حقيقا بمجرد ارتكابها أن يتحمله ، أما اليهود ، فقد قبلوا وفى تحد كما رأينا أن يكون عليهم وعلى أولادهم دم المسيح ، وهو الله كما يعتقد المسيحيون .

والذى لايمكن الجدل فيه ، أنه اذا كانت خطيئة آدم تورث ، فمن باب أولى خطيئة اليهود هذه يجب أن تورث ، بل ان للمكن أن نتصور الثانية تورث دون الأولى ، أما العكس ، فلا وألف لا ، فليس لعقل أن يقبل أن خطيئة آدم بأكله من الشجرة التى حرم الله عليه ان يأكل منها بعد أن أغوته حواء فأكل منها ، تورث ، وأما صلب الاله وقتله وسفك دمه كما يعتقد المسيحيون وبعد أن قبل قتله فى تحد أن يكون دمه عليهم وعلى أولادهم لا تورث ، لا وألف لا هنا يقولها كل عقل وكل منطق .

والآن ، لننتقل الى الوثيقة ـ وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ـ لنرى ما كان من أمرها ، فنى الثامن من نوفمبر سنة ١٩٦٣ وزع المكتب الصحفى فى الفاتيكان بيانا على أعضاء المجلس المسكونى المقدس للكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى دورته الثانية ، وتضمن البيان مشروع وثيقة تقدم بها الكاردينال الألمانى أغسطين بيا الذى يقال أنه صاحب الاشارة بتعديل ماورد فى صلاة الأحد من أن اليهود هم الشعب العاصى ، وقد خرج الكاردينال بيا على العالم بمشروع وثيقة تنزع الى تبرئة اليهود من دم المسيح وتحمل البشرية جمعاء هذه المسئولية ، ويشير المشروع الى اعتقاد المسيحيين بأن جذور الكنيسة تمتد الى العهد الذى أقامه الله مع ابراهيم ونسله . وأنه بمجىء السيد المسيح وهو من نسل ابراهيم حسب الجسد امتدت مراحم الله التى كانت للشعب المختار للعالم بأسره ، وتناول المشروع نقطة أخرى . هى أن مسئولية موت المسيح تقع على النوع الإنسانى الواقع تحت الخطيئة ، وهذا هو التعليم الواضح الثابت فى العهد الجديد ، والذى ردده جميع آباء الكنيسة وعلمائها الكبار ، ويقوم على أن المسيح قد مات ليكفر عن خطايا كل انسان ،

فالمسئولية التى دمغت قادة اليهود ، لايبرأ من تبعتها النوع الانسانى كله ، كما أن جريمة هؤلاء القادة جريمة شخصية لايؤخذ بجريرتها الشعب اليهودى كله فى ذلك الزمان أو فى أى زمان لاحق . وقال الكاردينال أغسطين بيا فى كلمة ألقاها فى الدورة الثانية لاجتماع المجمع المسكونى الثانى قدم فيها مشروعه ، قال «أن المشروع وضع على أساس أنه مشكلة دينية بحتة لا علاقة لها بأى مسألة قومية أو سياسية ، وبخاصة موضوع اعتراف الكرسى البابوى باسرائيل ، وانما يتناول المشروع النواحى المشتركة بين الكنيسة الكاثوليكية والشعب اليهودى ، اذ الكنيسة استطراد لشعب اسرائيل المختار ، كذلك لا يتعلق الأمر باثارة الشك فيما ذكرته الكتب المقدسة عن الحكم الظالم على المسيح البرىء وانما يتعلق بأنه لا ينبغى أن ينسب الى جميع الشعب اليهودى ما ارتكبه بعض أفراده ، ويشير الكاردينال الى ما دعا الى وجوب بحث هذه المسألة وهو سيطرة العداء لليهودية منذ عشرات السنين فى بعض المناطق واتخاذه صورة اجرامية كما حدث فى المانيا فى ابان حكم النازى ، ويصل الى أن على المسيحيين أن يتخذوا ازاء اليهود نفس الموقف الذى اتخذه المسيح وتلاميذه» وقد انتهى الأمر الى اقرار المشروع فى قراءة أولى بعد أن كان قد فشل فى الحصول على الأصوات الكافية لتقرير مبدأ مناقشته فى الدورة الثانية للمجمع المسكونى وأوقف بحثه فى جدول الأعمال حرصا على تدعيم الوحدة المسيحية ؛ وعاد للظهور بعد تعديل يسير فى الصياغة عند انعقاد الدورة الثالثة للمجمع .

هذا هو البيان وما انتهى اليه الأمر من اقراره ، وأعجب ما يلاحظ عليه أنه بعد أن نزع الى تبرئة اليهود من دم المسيح ، لم يستطع أن يخالف ما تقوم عليه المسيحية من وجوب الجزاء على المعصية ، ولذا فانه بعد أن نزع الى تبرئة اليهود من هذا الدم ، حمله للبشرية جميعا ، وما أثقل هذا الذى حمله للبشرية إنه ، دم الله كما يعتقدون ، الله الذى لم يجد سبيلا ليخلص البشر من خطيئة آدم الذى عصاه إذ أكل من الشجرة

التى حرم عليه أن يأكل منها الا بأن يتجسد ويتأنس ويصلب، فكيف هو غافر لهم وزر صلبه وسفك دمه ، واذا كانت خطيئة آدم قد اقتضت من الله ليغفرها للبشر أن يتجسد ويتأنس ويصلب ، فهل يكفى صلبه ثانية لتخليص البشر من وزر صلبه الذى يريد السيد الكاردينال تحميله لبشرية جمعاء ، بل هل يكفى صلب أقانيم الله الثلاثة معا كما يعتقدون فى الله لتخليص البشر من هذه الخطيئة ، وهل الله ليخلص البشر من تلك المعصية التى ارتكبها آدم بأكله من الشجرة التى حرم الله عليه أن يأكل منها ، لا يجد سبيلا الى ذلك الا بأن يوقعهم فى شر المعاصى كلها، وبأن يحملهم إثم الآثام جميعها ، الا وهو صلبه ، أبدا ، أبدا ، ليس هذا بالذى يقبله عقل ، أو ترتضيه المسيحية نفسها كما يعتقدون بشأنها .

ثم من ناحية أخرى ، لقد وجدنا بحق ، أنه اذا كان لخطيئة أن تورث ، فان أحق الخطايا بذلك هى خطيئة اليهود ، الذين يعتقد المسيحيون ويؤمنون ، بأنهم تآمروا على المسيح الاله ليقتلوه ، وقبضوا عليه ليقتلوه، وطلبوا شهود زور عليه ليقتلوه ، وصمموا على قتله حين رأى الوالى اطلاق سراحه ، بل وفى تحد قبلوا أن يكون دمه عليهم وعلى أولادهم من بعدهم ، واليهود عندما ارتكبوا هذه الخطيئة انما ارتكبوها باعتبارهم اليهود ، باعتبارهم يمثلون اليهود ، فرأس المؤامرة هو قيافا رئيس كهنتهم، والمخططون والمدبرون هم رؤساء كهنتهم والمنفذون هم كل هؤلاء مع شعب اليهود ، واذا كان هناك من يسأل عنها اذن فهم شعب اليهود فى ذلك الزمان، واذا كانت هذه الخطيئة تورث، فانما لنسل اليهود من بعدهم، ولهذا لم يكن عبثا أبدا أن يشار لليهود على مر الزمان فى صلاة الأحد على أنهم الشعب العاصى ، فذلك من صلب عقيدة المسيحيين وإيمانهم ، وبغيره لا تستقيم أبدا تلك العقيدة عندهم ، لأنه اذا كانت جريمة صلب المسيح الذى هو الله فى اعتقادهم ، لا تقع على غير من قاموا بها أنفسهم ، ولا تورث لشعب اليهود من بعدهم ، فانه من باب أولى ، فان خطيئة آدم اذ عصى ربه وأكل من الشجرة

التى حرم الله عليه أن يأكل منها ، هذه الخطيئــة من باب أولى لا تورث ، ولا يستقيم بحال ، القول بتوارث هذه دون الأخرى ، وانما الذى يمكن أن يستقيم فى العقل هو العكس كما بينا ، ولذا ، فان البشر جميعا ، من غير المسيحيين لا يمكن بحال أن يقبلوا من أصحاب هذه الوثيقة وممن أقروها القول بأن خطيئة شعب اليهود المتمثلة فى صلبهم المسيح الاله كما يعتقدون ، لا تورث لشعب اليهود من بعدهم ، بينما خطيئة آدم هذه تورث ويولد البشر من بعده خطاة بها ، بل يجب أن يرفعوا من باب أولى عن باقى البشر خطيئة آدم أيضا ، فان فعلوا ، فقد التقوا مع الاسلام، وانتهت عقيدة الصلب عندهم ، لزوال سببها والغرض منها ، وما هم أبدا بفاعلين ، ولذا فليس أمامهم من سبيل ، لتلافى هذا التناقض البين فى أساس عقيدتهم وديانتهم ، الا بأن يعودوا الى ما كانوا عليه ، من تحميل لشعب اليهود فى عهد المسيح وذريتهم من بعدهم ، وزر واثم صلب المسيح الاله كما يعتقدون ، فهل يفعلون ، هنا أعتقد أنه يطل الجانب الذى ادعى صاحب الوثيقة عدم وجوده بقوله أن المشروع وضع على أساس أنه مشكلة دينية بحتة لا علاقة لها بأية مسألة قومية أو سياسية ، ذلك أنهم إن لم يفعلوا ، فلن يكون ذلك بحال لسبب دينى أو عقائدى كما يدعى ، وانما ويقين ، لأسباب قومية أو سياسية محضة ، وإنما على أى حال ، فاننا هنا ، مسلمين كنا أو مسيحيين ، لا يجوز أن نقبل هذه الوثيقة ، وبهذه الحجج وحدها فى تقديرى ، يجب أن نجابهها ونجابه القائلين بها .

وأخيرا ، وبعد كل هذا الطواف فى موضوع صلب المسيح أو عدم صلبه ؛ لا أجد ما أختم به هذا الباب خيرا من قول المسيح عليه السلام فى انجيل متى :

« فاذهبوا وتعلموا ما هو . انى أريد رحمة لا ذبيحة . »

(ص ٩ : ١٣)

الباب الثالث

في

الحقيقة

بين ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته

وجدنا فى الباب الأول أنه يتعين علينا أن نبحث عن الحقيقة وحـــدها ، وأنه للوصول الى الحقيقة لا يجوز افتراضها على نحو معين ابتداء ، وانما يتعين أن نبحث عنها بين الفروض محل البحث ، ونحن فى هذا الباب نبحث عن الحقيقة بين فرضين محددين ، الأول وهو الذى يعتقده المسيحيون ، هو ألوهية المسيح ، و ثانى ، وهو الذى يعتقده المسلمون ، هو عدم ألوهية المسيح ، وأنه ليس سوى انسان نبى بشر ، وهذان الفرضان هما اللذان نبحث عن الحقيقة بينهما فى هذا الباب ، وفى بحثنـا كما قدمنا ، لن نتقيد بصحة أى فرض منها ابتداء ، وانما سنبحث عن الحقيقة وحدها بينهما ، ولن نتقيد فى بحثنا الا بالحقيقة وبكل ما يوصلنا اليها .

وكما فعلنا فى الباب السابق ، فان الطبيعى أن نبدأ بحثنا بشرح مفصل لألوهيـة المسيح كما يعتقد بها المسيحيون،ولعدم ألوهيته كما يؤمن المسلمون ، وذلك فى فصل أول، لتوضيح الفرضين اللذين نبحث عن الحقيقة بينهما ، ثم نتبـع ذلك بفصل ثان لبيـــان المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين هذين الفرضين ، وهو المعيار الذى يتعين أن يكون مقبولا لدى المسيحيين والمسلمين على السواء ، ثم نتلو ذلك بفصـل ثالث نطبق فيه المعيار الذى ننتهى إليه فى الفصل الثانى ، ولـكمال البحث أيضا ، ينبغى أن نبحث فى فصل رابع ما قد يوجه إلى الحقيقة التى ننتهى اليها من اعتراضات ، ثم انه لا يفوتنا فى هذا الصدد ما للعلم من أثر فى المجتمعات الحديثة ، وأن الـكثيرين قد وجدوا بحق أن العلم يدعو للايمان بالله ، وأقاموا الدليل العلمى على وجوده سبحانه وتعالى، وليس من شك فى أن مثل هذا قد يعيننا فى التعرف على الله والذى يقول المسيحيون أنه المسيح عليه السلام نفسه ، ولذا لزم أن نتعرف فى فصل خامس على الله فى ضوء العلم ، ولعل ذلك يكون مفيدا أيضا فى الـكشف عن الحقيقة وتأكيدها ، ولا يقال

هنا أننا أغفلنا دور العلم فى الباب السابق ، ذلك أن الفرع الوحيد من فروع العلم الذى كان ممكنا أن يساعدنا فى ذلك الباب ، هو التاريخ ، والمتفق عليه فى المسيحية والاسلام أن التاريخ انما قال بأن الذى صلب هو المسيح عليه السلام ، وقد أشرنا الى ذلك بالفعل فى الباب السابق ، وأخيرا فانه قد تعن لنا فى النهاية بعض التأملات فيما ننتهى اليه ، نخصص لها الباب السادس والأخير من هذا الباب ان كانت .

الفصل الأول

الوهيه المسيح كما يعتقد بها المسيحيون
وعدم الوهيته كما يعتقد المسلمون

قلنا أنه من الطبيعى أن نبدأ بحثنا بشرح مفصل لألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون ، وعدم ألوهيته كما يؤمن المسلمون ، وهذا طبيعى كما قلنا لأنه مما لا شك فيه أن الوقوف على تفاصيل كل من الفرضين ، لابد وأن يعين الى حد كبير فى الكشف عن الحقيقة بينهما ، وواضح من ذلك أن البحث فى هذا الفصل ينقسم الى مبحثين :

المبحث الأول : فى ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون .

المبحث الثانى : فى عدم ألوهية المسيح كما يعتقد المسلمون .

المبحث الأول

الوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون

وجدنا فى الباب السابق ، أن السند الأول فى اعتقاد المسيحيين بصلب المسيح عليه السلام ، هو ماورد فى الأناجيل الأربعة من تفاصيل عن القبض عليه ومحاكمته وصلبه ، وأمكننا بذلك أن نستخلص من الأناجيل الأربعة ، الصورة التى يعتقد بها المسيحيون لصلب المسيح ، ونجد هنا أيضا أن المسيحيين يقولون بأن السند الأول لإعتقادهم بألوهية المسيح ، هو ماورد عن ذلك أيضا فى الأناجيل الأربعة ، ولقد يقال لذلك بأن علينا أن نستخلص ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون من الأناجيل الأربعة أيضا ، تماما كما فعلنا بالنسبة لاعتقادهم بصلب المسيح .

ولكننا نقف هنا لنعلن عجزنا عن ذلك ، لأسباب عدة ، ولكنها بسيطة وواضحة ، فاذا كانت التفاصيل التى وردت فى الأناجيل الأربعة عن القبض على المسيح

وعاكمته وصلبه ، قد وردت فى وضوح وجلاء حتى أنها لاتثير أى خلاف حول حقيقة المعانى المقصودة منها ، فان الآيات التى وردت فى الأناجيل عن طبيعة المسيح عليه السلام ، ليست بهذا الوضوح الذى لايثير الخلاف ، والسبب الثانى ، وهو مترتب على هذا السبب الأول مباشرة ، وهو أن طبيعة المسيح عليه السلام قد ثار حولها الكثير من الخلاف بين المسيحيين أنفسهم ، حتى أن هذه الخلافات أدت إلى انقسام المسيحيين الى مذاهب متعددة ، وهم فى ذلك يستندون الى ماجاء فى الأناجيل نفسها ، ثم إنه إذا كانت أقوال المسيح والتى نسبت اليه فى الأناجيل هى التى تحدد على أساس منها طبيعته، فان المسلم به لدى المسيحيين أنفسهم أن المسيح لم يقل عن نفسه فى بادىء الأمر أنه الله، وإنما عرفه الناس جميعا رسولا نبيا ، وانسانا بشرا ، ثم ، وكما يقولون أخذ يعلن شيئا فشيئا للمقربين منه فحسب ، عن ذاته الالهية ، وعلى هذا فانه يكون من المتيقن أن محاولتنا استخلاص ألوهيته كما يعتقد بها المسيحيون من مثل هذه الأقوال سيكون أمرا جد عسير ، ولا نحسب أننا يمكن أن ننتهى من ذلك على الاطلاق الى صورة يقبلونها أو الى الصورة التى يعتقدون بها .

وإزاء ذلك ، فليس أمامنا لكى نتعرف على ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون، أو بمعنى أدق ، على طبيعة المسيح عليه السلام كما يعتقد بها المسيحيون ، الا بأن نلجأ الى تعريف المسيحيين أنفسهم لهذه الطبيعة وشرحهم لها ، محاولين أن نتعرف على هذه الطبيعة فى مختلف مذاهبهم ، على أن ذلك قد يؤدى الى الخوض فى تفاصيل عديدة عن المذاهب نفسها ، ولذا فانه قد يكون من المقبول أن نكتفى باختيار مذهب واحد من المذاهب المسيحية الكبيرة المعروفة ، مع الاشارة الى مايمكن الاشارة اليه من الاختلاف بين طبيعة المسيح فيه وطبيعته فى المذاهب الأخرى بمقدار مايسمح به مجال البحث .

وطبيعى أن تكون الصورة الرئيسية التى نختارها فى هذا الخصوص ، هى أقرب

الصور إلى أيدينا ، وأكثرها احتكاكا بنا ، وهى الصورة التى تقسون بها كنيسة الاسكندرية عن طبيعة المسيح عليه السلام ، ومن حسن الحظ أننا نجد كتيبا صغيرا من منشورات كلية البابا كيرلس السادس اللاهوتية للكرازة المرقسية ، نشرته اللجنة العليا لمدارس التربية الكنسية الأرثوذكسية بالقاهرة : فى تعليم كنيسة الاسكندرية وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ، ومما يزيد من أهمية هذا الكتيب وإعتباره ؛ أنه فى حقيقته ليس مجرد تعليم كنيسة الاسكندرية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة فى هذا الصدد ، بل إنه كان أيضا الكلمة التى ألقاها الأرشيدياكون الدكتور وهيب عطا الله جرجس — وهو دكتور فى الآداب والدراسات المصرية والقبطية وحاصل على بكالوريوس فى اللاهوت وليسانسيه فى الفلسفة — ممثلا لوجهه نظر كنيسة الاسكندرية فى المؤتمر العالمى الذى انعقد فى مدينة القدس القديمة فى المدة من ١٢ – ١٥ أبريل سنة ١٩٥٩ ؛ ولذا فهو بغير شك يعتبر خلاصة وقمة تعاليم الكنيسة فى هذا الصدد، ولذا أيضا ، والتزاما للأمانة الكاملة ، فاننا ننقل تلك الكلمه كاملة فيما يلى :

(ثمة مسألتان جديرتان بالنظر ، فيما يختص بكنيستنا القبطية الارثوذكسية المرقسيه الاسكندرية .

الأولى : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة شديدة المحافظة والاستمساك بالتعليم المسيحى القديم والتقليد الرسولى الأول .

يمكن أن يقال بصفة عامة أن شعبنا القبطى من أعرق الشعوب تدينـا ، ان لم يكن أعرقها بالفعل ، على مايقول المؤرخ اليونانى هيرودوت . هذه الخاصية لازمتنا لا منذ اليوم الذى اعتنقنا فيه دين المسيح فقط ، بل قبل ذلك بقرون طويلة ، أعنى منذ بدأت الحضارة الأولى وقبل أن يبدأ التاريخ . فالشعور الدينى موروث فى شعبنا وحبه يجرى فى عروقنا ودمائنا . ونحن لا نجرؤ على أن نغير فى عقائدنا الدينية كما

سلمتها الينا كنيستنا . ولقد نشأنا وتربينا على مبدأ المحافظة على تعليمنا المسيحى ، وعلى أن نسلمه الى أولادنا والآتين من بعدنا بدون أى تحوير أو تغيير ؛ وعلى أن نتركه وديعة فى ايديهم فى صورته الأولى القديمة ، طاهرا من كل زيادة او نقص ، طبقا لأمر ربنا فى سفر الرؤيا « ولكن تمسكوا بما هو عندكم الى أن أجيء » .

الثانية : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة روحانية عميقة ، أو هى كنيسة صوفية باطنية جوانية .

لقد جابه قادتها الروحانيون الفلسفة والفلاسفة ؛ ومع ذلك عرفوا أن لايخلطوا الدين بالفلسفة . هذا الخلط هو أصل الهرطقة . وان اكثر الهراطقة بدأوا رجالا أتقياء ولكنهم خلطوا الدين بفلسفتهم الخاصة فضلوا وهرطقوا . على أن الفلسفة فى ذاتها نافعة ، وهى هامة وضرورية لرجال الدين واللاهوتيين. يجب على رجل الدين أن يدرس الفلسفة ويتعمق فى دراستها ليصبح على علم بأساليب الفلاسفة وطرق تفكيرهم ، ومن ثم يكون أقدر على أن ينفذ الى عقولهم فيقنعهم بحقائق الديانة المسيحية . ولكن هناك فارق ضخم بين أن يقرأ رجل الدين الفلسفة ويناقش نظرياتها ، وبين ان يتحول الدين عنده الى فلسفة . ولعل من أكبر الأخطاء التى يقع فيها المفكرون أحيانا أن يظنوا أن المصطلحات والتعبيرات الفلسفية قادرة على أن تنقل نقلا أمينا ودقيقا المعانى اللاهوتية. ان المصطلحات الفلسفية لاتصلح دائما أن تعبر تعبيرا صادقا عما يريد الفلاسفة أنفسهم أن يبينوه ولهذا يضطرون أحيانا لضيق اللغة ، أن ينحتوا ألفاظا جديدة للتعبير عن المعانى الجديدة التى يقصدونها . وهناك فلاسفة آخرون يكتفون باستعمال الألفاظ المألوفة ولكن بمعانى أخرى جديدة مختلفة بعض الاختلاف ، أو بعيدة كل البعد عن المعانى المعروفة . واذا كان ذلك كذلك فيما يتصل بدائرة الفلسفة ، أفلا يكون الأمر نفسه فيما يتصل بدائرة الدين والالهيات؟ بل ألا يكون حريا بالأكثر فى شئون ديانتنا أن لانعتمد فى فهم حقائقها

واستيعاب معانيها على مصطلحات فلسفية وتعبيرات انسانية لاسيما اذا كانت هذه الحقائق تتعلق بالجوهر الالهى أو الطبيعة الالهية ؟

انى أجرؤ على أن أقرر أن الخلاف ، كل الخلاف بين الكاثوليك ومن يقولون بقولهم من أصحاب الطبيعتين كالبروتستانت وبعض الأرثوذكس الذين يعترفون بمجمع خلقيدونية من جانب ، وبين القائلين بالطبيعة الواحدة فى السيد المسيح ومن لايؤمنون بقانونية مجمع خلقيدونية من جانب آخر ـ أقول ان الخلاف بين هؤلاء وأولئك خلاف فلسفى صرف يقوم على أساس التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يعبر به عن الاتحاد الكائن بين لاهوت السيد المسيح وناسوته .

أما نحن فى الشرق ، فاننا نتخوف كل التخوف من استخدام مصطلحات فلسفية فى تعريف أو تحديد معنى أو حقيقة من الحقائق اللاهوتية . فالكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى كنيسة الاسكندرية والكنيستان السوريانية والأرمنية) تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن أيضا بناسوته . ولكن المسيح عندهم طبيعة واحدة مع ذلك . وقد يبدو فى هذا نوع من التناقض . ولكن على الرغم مما يبدو فى هذا من تناقض منطقى عقلى ، الا أن كنيستنا لاترى فيه شيئا من التناقض لأنها تنظر الى طبيعة السيد المسيح نظرة صوفية روحانية ينحل فيها كل مايبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقض أو محال . هذه التجربة الصوفية أو الروحانية تعلو على كل تناقض عقلى أو فلسفى . فيها لايسأل المسيحى لم ؟ أو كيف ؟ ان فى ديانتنا أسرارا نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وايمان لا لشىء الا لأنها قد أعلنت لنا من الله . ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادى ، لا لشىء الا لأننا أيقنا أنها من الله . وكما نؤمن بوجود الله وأنه قادر على كل شىء ، كذلك نؤمن بأسرار ديانتنا من دون أن نكون فى حاجة الى أن نسأل . لم ؟ أو كيف ؟ ولاشك ان العقل الفلسفى لايستطيع ان يقبل هذا الايمان الصوفى . ولكن العقل الفلسفى ليس

فى الواقع عقلا روحيا على الحقيقة . انه عقل لا يؤمن الا بقدراته ومقاييسه وحدها. والديانة بالنسبة الى العقل الفلسفى هى علم يمكن ان يوضع على قدم المساواة مع أى فرع آخر من فروع المعرفة الانسانية . والعقل الفلسفى يحاول أن يخضع الديانة لذات المنهج العلمى الذى تخضع له كل فروع المعرفة المادية . ومن هنا فقد يدخل الى الدين مناهج التحليل والتصنيف والاستنباط والاستقراء ، وما اليها من أجل أن يجعله أكثر اساغة وقبولا للعقل الفلسفى .

وياللأسف ، إننا لانستطيع بهذا المنهج فى معالجة المسائل الدينية والحقائق اللاهوتية ، أن نفهم روح الديانة . فعندما يتدخل العقل ، تقف التجربة الروحية الصوفية ، بل تختفى . ان لنا أن نستخدم عقولنا الى حد معين ، وحينئذ يجب أن يقف العقل ويسلم قياده للتجربة الروحية الصوفية .

الايمان الارثوذكسى فى طبيعة السيد المسيح

ان الايمان الأرثوذكسى كما نعترف به فى كنيستنا هو أن ربنا يسوع المسيح كامل فى لاهوته ، وكامل فى ناسوته . ومع ذلك لانجرؤ على القول انه اله وانسان معا . لأن هذا التعبير ينطوى على معنى الانفصال بين اللاهوت والناسوت . وانما نقول بالحرى أنه « الاله المتجسد » . فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحادا تاما فى الجوهر ، وفى الأقنوم ، وفى الطبيعة . ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت فى ربنا يسوع المسيح . بل إنه منذ اللحظة التى حل كلمة الله فى رحم السيدة العذراء ، أخذ الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس ، من دمها، أى من دم العذراء ، جسدا بشريا ذا نفس انسانية ناطقة عاقلة ، واتحد بالناسوت الذى أخذه من القديسة مريم العذراء . فالمولود من القديسة مريم ، اذن ، هو الاله المتجسد ، جوهر واحد . شخص واحد . أقنوم واحد . طبيعة واحدة . أو قل هو

طبيعة واحدة من طبيعتين . وبعبارة أخرى يمكن ان نتكلم عن طبيعتين من قبل ان يتم الاتحاد . اما بعد الاتحاد فهناك طبيعــة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين .

وعلى ذلك فالاتحاد الذى تقول به الكنائس الأرثوذكسية التى لاتعترف بمجمع خلقيدونية يختلف اختلافا جوهريا وأساسيا عن نــوع الاتحاد الذى يقول به يوطيخيا .

يقول يوطيخيا أن ربنا يسوع المسيح طبيعة واحـــدة ، ولـكن على أساس أن ناسوت المسيح قد تلاشى تماما فى لاهوته ، اختلط به وانعدم فيه ، مثل نقطة الخل عندما تختلط بالمحيط . فيوطيخيا ينكر فى الحقيقة ناسوت السيد المسيح انكارا تاما .

وتقول الكنائس الأرثوذكسية التى لاتعترف بمجمع خلقيدونية بأن السيد المسيح طبيعة واحـدة تجتمع فيها جميـع الصفات والخصائص الانسانية أو الناسوتية وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية ، بدون اختلاط ، وبدون امتزاج ، وبدون تغير . وهـــذا هو الايمان الذى يجهر به الكاهن فى القداس القبطى عندما يتلو الاعتراف الأخير ، وهو يحمل الصينية المقدسة على يديه ، قائلا :

« آمين ، آمين و آمين . أؤمن ، أؤمن ، وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحي الذى أخـــذه ابنك الوحيد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، (أخذه) من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الاله القديسة مريم ، وجعله واحــــدا مع لاهوته بغير اختلاط ، ولا امتزاج ، ولاتغيير ... بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين » .

وعلى ذلك فصفات اللاهوت باقية ، وصفات الناسوت باقيـــة ، ولـكن فى طبيعة واحـدة .

« المسيح إذن من طبيعتين ، ولـكن ليس هو طبيعتين بعد الاتحاد » كما يقول

البابا ديوسقورس . فلا اللاهوت امتزج بالناسوت ولا اختلط به ، ولا استحال أحدهما إلى الآخر . أنما اللاهوت والناسوت قد اتحدا . واتحادهما ليس من قبيل الاجتماع أو المصاحبة ، ولكنه اتحاد حقيقي بالمعنى الحقيقي لكلمة اتحاد ، فقد صارا واحدا ، ولامجال للقول بعد ذلك أن هناك طبيعتين ، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحا أو حقيقيا .

ولكن كيف صار هذا الاتحاد ، أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة صفات اللاهوت وصفات الناسوت معا بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير ؟ أو كيف يكون للسيد المسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان ؟ هذا مالا نعرف . إنه سر من الأسرار الالهية ، لايمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه فيعقولنا. من هذا سمى فى الاصطلاح الكنسى بسر التجسد الالهى . فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشرى وكل تصور .

قد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقل الفلسفى أو للعقل المادى ، وقد يكون فيها تناقض ، وقد يكون فيها ما يتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ، كل هذا قد يكون صحيحا ، ولكننا هنا فى الشرق لانسأل كيف ؟ ولماذا ؟ ، ولكننا نصدق ونؤمن بتجربة باطنية روحية صوفية عالية على كل منطق وعقل أن هذا أمر ممكن ، ذلك لأن الله أراده ، وإذا أراد الله شيئا فهو ممكن ، وحتى لوكان هذا غير معقول للعقل المادى ، فإنه معقول للعقل الروحانى الذىلايعرف لقدرة اللهحدودا . وهذا هو «الايمان الذى بلا فحص» الذى يصرخ من أجله الكاهن القبطى فى خدمة القداس الالهى .

قدنتكلم احياناعن الطبيعة اللاهوتية والطبيعةالناسوتية ، لكن هذهالتفرقة ذهنيةبحتة لاوجود لها فىالواقع بالنسبة للسيدالمسيح ، الاله المتأنس . ذلك أنه لم يحدث بتاتا أن الناسوت واللاهوت كانا منفصلين أومفترقين فى الخارج ثم اتحدا معا بعدذلك. إن ماحدث

هو هذا : أن الاقنوم الثاني من اللاهوت القدوس نزل وحل في أحشاء البتول .. وأخذ من لحمها ودمها جسدا ذا نفس انسانية ناطقة عاقلة .

ولهذا أشار القديس يوحنا الانجيلي بصريح العبارة « والكلمة صار جسدا » ، وليست هناك لفظة أقوى دلالة على الاتحاد الحقيقي الكامل من كلمة صار . أليست هذه الآية وحدها تدل دلالة قاطعة على أن المولود من مريم طبيعة واحدة ، هي طبيعة الاله المتجسد ؟ ولوكان هناك معنى آخر ، لما استعمل الوحي الالهي كلمة «صار» . فليست هناك إذن ثنائية في طبيعة السيد المسيح ، بل طبيعة واحدة . وهذا برهان واضح على صحة التعبير الذي تتمسك به الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية : أن هناك طبيعة واحدة للكلمة متجسدة .

والاتحاد بين اللاهوت والناسوت في السيد المسيح يمكن تشبيهه بالاتحاد القائم بين النفس والبدن . فعلى الرغم من أن النفس طبيعة مغايرة في صفاتها ومميزاتها لطبيعة الجسم ، لكننا نرى أن الانسان طبيعة واحدة هي التي نسميها « الطبيعة البشرية » التي تجمع بين صفات روحانية وصفات مادية معا .

ومع ذلك فهذا التشبيه ناقص لأن النفس تنفصل عن البدن بالموت . أما الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت فغير قابل للانفصال أو المفارقة لحظة واحدة أو طرفة عين .

وقد يشبه الاتحاد بين اللاهوت والناسوت بالاتحاد القائم بين الفحم والنار ، في جمرة الفحم . ففي الجمرة صفات الاضاءة والاحراق ، وفيها صفات المادية من كتلة ووزن وحجم ... الخ .

ومع ذلك فهذه التشابهات جميعها ناقصة ومعيبة ، ولا يمكن مقارنتها بالاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت . إنه سر لايعبر عنه ، يفوق العقول والأفهام البشرية .

ومرة أخرى نكرر القول إننا نؤمن بطبيعة واحدة . هـذه الطبيعة ليست

هي اللاهوت وحده ، وليست هي الناسوت وحده . انها طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين معا ، بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير .

أما بعد ، فيبدو أن الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية والكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية ، مجرد خلاف في التعبير ، ذلك لأن كل فريق يقر بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت .

واني أرى أن هذا صحيح إلى حد بعيد ، وأن الخلاف بين إلى الفريقين هو خلاف في الحقيقـــة على التعبير الصحيح الذي ينبغي أن يعبر به المسيحيون عن ايمانهم بحقيقة الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت .

ومع ذلك فلكنيستنا للرقسية الأثوذكسية وللكنائس الأثوذكسية الأخرى التي لاتقر بقانونية مجمع خلقيدونية أسباب تحدوها الى أن تتمسك بالتعبير « طبيعة واحدة للكلمة المتجسد » أو « طبيعة واحدة من طبيعتين » ، أو « طبيعـة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيـــير » . وهي الأسباب عينها التي ترفض من أجلها الاقرار بتعبير الغربيين « طبيعتان متحدتان » .

هذه الأسباب يمكن تلخيصها في النقاط الآتية :ـ

١ ـ ليس هناك نص انجيلي واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد .

على العكس تماما فان هذه النصوص المقدسه تساند التعبير « طبيعة واحدة لهـــا صفات وخواص الطبيعتين » . ونحن هنا نكتفي بايراد بعض هذه النصوص على سبيل المثال فقط .

قال يوحنا الانجيلي « والكلمة صـار جسدا » ، وهو تعبير كما رأينـا يدل على الوحدة ولا يدل على الاثنينية في طبيعة السيد المسيح .

جاء في سفر الرؤيا قول السيد المسيح عن نفسه «أنا هو الأول والآخر ، والحي

والحى وقـــد كنت ميتا ، وها أنا حى إلى دهر الدهور ، ولى مفاتيح الموت والجحيم » .

وهنا نلاحظ أن الضمير « أنا » فى هذه الفقرة لا يدل أبدا على اثنينية ، وإنما يدل بالحرى على الاتحـاد الحقيقى ، والطبيعة الواحدة ، فالسيد المسيح هو بعينه الأول والآخر ، وهو بعينه الحى الذى كان ميتا .

وهذا المعنى عينه يتضح أيضا من قول السيد المسيح نفسه فى انجيل يوحنا « ولم يصعد أحد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن البشر الذى هو فى السماء » .

فهو إذن بعينه فى السماء ، وهو بعينه على الأرض ، وهو ابن الله ، وهو ابن الانسان ، هنا إذن هوية ووحدانية ، وليست هنا رائحة الاثنينية . وإنما هو جوهر واحد ، وأقنوم واحد ، وطبيعة واحدة .

ويقول القديس بولس فى حديثه إلى الكهنة الذين اجتمعوا إليه فى مدينة أفسس « احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » .

فكيف أمكن للقديس بولس الرسول أن يقول عن الدم الذى اقتديت به الكنيسة أنه دم الله نفسه إذا كانت هناك أية ثنائيـة فى طبيعة المسيح بأى معنى من المعانى ؟ .

والرسول بولس نفسه يقرر أيضا فى رسالته الأولى إلى كنيسة الله فى كورنثوس قائلا « لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » .

وعلى ذلك فالمخلص المصلوب هو رب المجد نفسه . مرة أخرى ليس هنا ثنائية فى الطبيعتين . وليست هنا طبيعتان ، وإنما طبيعة واحدة هى طبيعة الله المتجسد .

وهذه الحقيقة عينها تتضح من نصوص أخرى كثيرة ، منها ما ورد فى رسالة القديس بولس الأولى إلى تلميذه الأسقف تيموثيئوس « عظيم هو سر التقوى الله

ظهر فى الجسد » « المسيح يسوع ... الذى اذ هو فى صورة الله لم يعتد مساواته لله إختلاسا . لكنه أخلى ذاته آخذا صورة عبد صائرا فى شبه البشر . واذ وجد فى الهيئة كبشر . وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » .

وهناك فقرات أخرى كثيرة تؤيد القول بالطبيعة الواحدة منها (مى ٣ : ١٧) ، .....

ثانيا : ان التعبير القائل بطبيعتين متحدتين للسيد المسيح — وهو التعبير الذى تقول به الكنائس الخلقيدونية — تعبير خطر لأنه يشتمل على معانى ، أو على الأقل على احتمالات بمعانى ، تتعارض مع حقائق ديانتنا المسيحية .

١ — انه يتضمن الثنائية فى السيد المسيح . والثنائية نوع من الافتراق والانفصال بين لاهوت السيد المسيح وناسوته . والا فلماذا تصر الكنائس الخلقيدونية على القول بطبيعتين متحدتين ، ولا يقولون بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد ؟

٢ — ان تعبير الكنائس الخلقيدونية القائل « بطبيعتين متحدتين » يحمل التصريح بأن هناك طبيعتين للسيد المسيح ، كانتا مفترقتين ثم اجتمعتا معا . وهذا يفتح السبيل للمذهب النسطورى بعينه ، وهو المذهب الذى ترفضه الكنائس الخلقيدونية نفسها رفضا باتا ، وتعتبره هرطقة فاسدة .

٣ — ان تعبير « الطبيعتين المتحدتين » تعبير هادم لقضية الفداء والخلاص الذى قام به السيد المسيح من أجل الجنس البشرى .

لأنه اذا كان للسيد المسيح طبيعتان بعد الاتحاد ، فمن المنطقى أن عمل الفداء قام به جسم السيد المسيح ، لأنه هو الذى وقع عليه فعل الصلب . وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أى قوة على خلاص الجنس البشرى ، اذ يكون الذى مات من أجل العالم هو إنسان فقط ، مع أن الفداء يأخذ كل قيمته فى أن الذى صلب عنا هو

بعينه الكلمة المتجسد . حقا إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التى وقعت على ناسوت المسيح ، ولكن اللاهوت هو الذى أعطى فعل الصلب قيمته اللانهائية لفداء جميع أفراد النوع الانسانى .

ان التعبير « طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين » تعبير سليم ينقــذ قضــية الفــداء مــن الانهيار ، بينما أن القول بطبيعتين متحدتين يقبل الاحتمال بأن الصلب كان صلبا لجسد يسوع فقط ، ولم يكن صلبا للمسيح باعتباره الاله المتجسد ، وهذا يفقد الخلاص كل قيمته التى يتعلق عليها فداء الجنس البشرى بأسره وهو معنى تعارضه كل نصوص الكتاب المقدس التى تتــكلم عن الفداء . ولسنا . فى حاجة الى أن نكرر مرة أخرى ماقاله الرسول القديس بولس من أن الدم الذى سفك لافتداء البشرية هو دم الله عينه « كنيسة الله التى اقتداها بدمه »

٤ — ان تعبير الطبيعتين المتحدتــين لايستطيع أن يفسر اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية ، فى أن القديسة مريم هى والدة الاله .

لست أدرى كيف يستطيع الكاثوليك والأرثوذكس الخلقيـدونيون ، أن ينقــذوا أو يــبرروا اعتقادهم فى أن السيدة العذراء هى والدة الإله ، اذا كانوا يصرون على القول بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين ؟

أما التعبير القائل بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد ، فهو وحده الذى يمكن أن يفسر الاعتقاد فى أن العذراء والدة الاله ، من حيث أن الذى ولدته مريم هو الاله المتجسد . ولو كان فى المسيح طبيعتان لكانت العذراء والدة الانسان يسوع فقط ، ولايصح تلقيبها بوالدة الاله ، لأنها ليست أصلا للاهوت . فالقول بطبيعتين فى السيد المسيح يسلم الى الاعتقاد النسطورى الذى يؤيده البروتستانت بكافة نحلهم ومذاهبهم ، وهو أن العذراء ليست والدة الاله ، وانما هى والدة الانسان يسوع .

وبالاجمال فان هـذه هى أهم الأسباب التي من أجلهـا تتمسك الـكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى الـكنيسة المرقسية الاسكنـدرية فى مصر وأثيوبيا وكل افريقيا وفى الأردن وفلسطين ، والـكنيسة السريانية الأرثوذكسية والـكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية) بالتعبير التقليدى « طبيعة واحدة للـكلمة المتجسد» الذى قال به آباء الـكنيسة من أمثال أثناسيوس الرسولى ، والبابا كيرلس الأول الملقب بعمود الدين ، وترفض القول بطبيعتين متحدتين . وهى الأسباب عينها التى تحدو هذه الـكنائس غير الخلقيدونية الى رفض الاعـتراف برسالة أوطوموس ليون أسقف روما ، وبتحديدات مجمع خلقيدونية ، لأن كلا من تلك الرسالة وهـذه التحديدات تشتمل على القول صريحا بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين . وهو التعبير الذى ينطوى على احتمالات خطيرة من الوجهة اللاهوتيه كما أسلفنـا .

هذا هو الوضع اليوم . الوضع الصحيح للمشكلة القائمـة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين . وهى مشكلة التعبير الصحيح الذى يجب أن يعبر به المسيحيون عن اعتقادهم فى لاهوت السيد المسيح وناسوته فى نفس الوقت .

ولاشك أن الـكنائس الـكاثوليكية والـكنائس الأرثـوذكسية التى تقر بمجمع خلقيدونية ليست نسطورية على الاطلاق . كما أن الـكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى لاتقر بمجمع خلقيدونية ليست بأوطاخية على الاطلاق .

لذلك فاننا لم نفقد الأمل فى أنه سيأتى ان شاء الله اليوم السعيد الذى يوفق فيه المسيحيون الى التعبير الواحد الذى يترجم عن عقيدتهم فى طبيعة السيد المسيح .

ولاشك فى أننا فى حاجة ماسة الى مجمـع مسكونى عام يضع صيغة هذا التعبير الموحد . ولـكن الى أن تتحقق هذه الأمنية السعيدة يجب أن نرحب بالمؤتمرات . فانها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين فى الوقت الحاضر لتقريب وجوه النظر . وتصحيح

الأفكار الخاطئة التي يحملها الغرب على الخصوص عن عقيدة الكنيسة المرقسية الاسكندرية والكنائس الأرثوذكسية شرقية عتيقة ، وتتهمها بالأوطاخية ذلك الاتهام الظالم الذي ليس له على الاطلاق سند من واقع .

فلنصل الى الله من أعماق قلوبنا من أجل وحدة كنيسة المسيح ، حتى يمكنها أن تحمل مشعل الحق الالهي، وتكرز بانجيل المسيح بغير عثرة ؛ وتهدم صروح الشر ، وتقاوم الالحاد والمادية .

إن وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية ليست فقط تطابق ارادة الله المقدسة ولكنها الشرط الذي اشترطه السيد المسيح من أجل نشر رسالته بين غير المسيحيين لأنه يقول « ولست أسأل من أجل هؤلاء (التلاميذ) فقط ، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم ، ليكونوا بأجمعهم واحدا كما انك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتنى »)

هذه هي الكلمة التي جاءت في ذلك الكتيب ، وقد أوردناها كما هي ، وقد وضعنا نقطا مكان فقرة تشير الى أرقام آيات دون أن تبين الآيات نفسها ، وكما وجدنا ، فان هذه الكلمة تلقي بعض الضوء على الخلاف بين كنيسة الاسكندرية وغيرها من الكنائس التابعة للمذاهب الأخرى حول طبيعة المسيح عليه السلام ، ولكنها لاتلقى ضوءا على الخلاف كله والواقع أن القاء الضوء على الخلاف كله سيجرنا الى ما ليس مجاله هذا البحث ، ولذا سنكتفى بما سبق ؛ ولعله قد وضح منه تماما لماذا كان عجزنا ابتداء عن أن نستخلص بأنفسنا من الأناجيل الأربعة المتداولة ، ألوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون ، فقد وضح بجلاء أن المسيحيين أنفسهم لم يستطيعوا أن يستخلصوا من هذه الأناجيل ولاغيرها من أسفار العهد الجديد تعبيرا واحدا عن هذه الطبيعة يتفقون عليه جميعا ، حتى أنهم ليصلون من أجل الوصول الى مثل هذا التعبير من أجل وحدة الكنيسة نفسها .

المبحث الثانى

عدم الوهية المسيح كما يعتقد المسلمون

وهنا نجد أن القرآن قد أفاض فى هذه المسألة بالذات بنصوص صريحة لاتحتمل اللبس أو الشك وبحيث أن المسلم يخرج من القرآن بفكرة محددة واضحة لاخلاف عليها بين المسلمين جميعا بالنسبة لطبيعة المسيح عليه السلام كما يجب أن يؤمن بها، ولذا فانا سنبدأ هنا ببيان بعض من هذه الايات، لتتبين منها اعتقاد المسلمين فى هذا الشأن.

« إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . » (آل عمران ٤٥ – ٥١)

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . » (آل عمران ٥٩)

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم

تدرسون . » (آل عمران ٧٩)

«يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا» (النساء ١٧١و١٧٢).

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .» (المائدة ٧٢ — ٧٧).

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد .» (المائدة ١١٦ و ١١٧)

« وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم

بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون . » (التوبة ٣٠ و ٣١)

«واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا. فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا . فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون .» (مريم ١٦ — ٣٥)

« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا اذا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا .»
(مريم ٨٨ — ٩٣)

هذا كله وغيره ورد فى القرآن عن المسيح عليه السلام ، هو رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم ، وقول القرآن فيه ذلك ، جعل من المسيحيين من حاول ان يربط بين الكلمة ﴿ كلمته ﴾ هذه ، وبين ما بدأ به يوحنا البشير انجيله من قوله « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (ص ١ : ١)، وقوله بعد ذلك « والكلمة صار جسدا ... » (ص ١ : ١٤) ، فيرون من ذلك أن القرآن يستعمل نفس التعبير الذى استعمله انجيل يوحنا عن المسيح وهو الكلمة ، ويحاولون الوصول من ذلك الى القول بأن القرآن يعترف بألوهية المسيح، وذلك منهم ليس مجرد تفسير خاطىء ، بل هو تلفيق تأباه الآيات نفسها ، وقد طالعنا فيها مرتان ، الأولى فى سورة آل عمران عندما بشرت الملائكة مريم بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وتساءلت أنى يكون لها ولد ولم يمسسها بشر ﴿ قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون .﴾ ، كما قرأنا مثل ذلك فى سورة مريم حيث قرأنا﴿ما كـان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ فكلمة الله المقصودة هنا هى كلمة ﴿ كن ﴾ التى يلقيها الى العذراء مريم ﴿ فيكون ﴾ المسيح عليه السلام (١)

---

(١) يقول القمص باسيليوس اسحق تعليقا على ذلك فى ص ١١٢ من كتابه : (قال بعضهم ان المسيح هو كلمة الله أعنى انه خلق بأمر الله .... وهنا نسأل : كل الكائنات خلقت بأمر الله ؛ ولم يدع أحد من تلك الكائنات الحية وغير الحية انه كلمة الله الا المسيح وحده دون ســواه، لا فى الاناجيل ولا فى القرآن . فهل تقصدون ان المسيح قد خلق بأمر الله وحده ، اما بقية البشر قــد خلقوا بغير أمره ... واذن فبأمر من خلق العالم؟اذا كان المسيح وحده الذى خلق بأمر الله وان الله لم يخلق غيره.) ولا اعرف كيف يستخلص سيادته هذا الفهم، فالقرآن يقولها صريحة ردا على مريم الصديقة عليها السلام حين تساءلت أنى يكون لها ولـد ولم يمسسها بشر « قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون.» ولم يفرق النص القرآنى كما هو واضح بين المسيح وبين اى شىء آخر او اى احد غيره فى خلقه بأمر الله .

من القرآن اذن ، أن المسيح عليه السلام خلق بكلمة من الله سبحانه وتعالى قال كن، ألقاها الى البتول مريم العذراء، فكان ما أراد ، كان المسيح عيسى ابن مريم، تكلم عليه السلام فى المهد صبيا ، وكان رسولا الى بنى اسرائيل ، جاءهم بآية من ربهم أنه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، ويبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى باذن الله ، وينبئهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم آية لهم ان كانوا مؤمنين ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لهم بعض الذى حرم عليهم ، ودعا الى عبادة الله ربه وربهم ، ومثل عيسى الذى ولد من غير أب ، كمثل آدم الذى خلق من غير أب أو أم ، خلقه الله من تراب فقال له كن فكان ، وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يدعو الناس لعبادته هو من دون الله ، فالمسيح لا يمكن أن يكون قد قال شيئا من ذلك ، ويؤكد القرآن بما لا ريب فيه ولا شك ولا لبس ولا أدنى غموض ، أن القول بأن المسيح هو الله كفر ، القول به كذلك على أية صورة تصوره الها هو فى حكم الاسلام كفر .

وهكذا يتضح لنا بجلاء ، أن المسيح عليه السلام فى الإسلام هو رسول نبى بشر ، ولم يكن هو الله ، ولم يكن الها فى يوم من الايام ، بل ولم يدعى هذه الألوهية أبدا ، فلم يدع الناس أبدا الى أن يعبدوه من دون الله ، بل إنه لـكفر القول بأنه هو الله ، ورمى من يقولون بأن المسيح هو الله بالـكفر مفهوم ، ذلك أنه اذا كانت الحقيقة أن المسيح عليه السلام ليس الا رسولا نبيا انسانا بشرا وليس هو الله ، فان القول بالرغم من ذلك بأنه هو الله يكون من غير شك بمثابة الـكفر بالله نفسه .

الفصل الثانى

المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين الوهية المسيح وعدم الوهيته

وجدنا فى الباب السابق ، أن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين صلب المسيح عليه السلام أو عدم صلبه ، كان فى البحث عما ورد فى العهد القديم وبالذات فى سفر المزامير من نبوءات عن ذلك ؛ ووجدنا أن اعتماد نبوءات العهد القديم كنبوءات صحيحة يتعين أن تتحق وقد تحققت بالفعل ؛ هى من الأسس التى تقوم عليها دراسات المسيحيين وأبحاثهم دون المسلمين ، إلا أننا وجدنا فيها مع ذلك معيارا صحيحا تقضى الأصول السليمة لبحث عن الحقيقة بأن يقبله المسلمون أيضا .

ونحن نجد هنا أيضا ان المسيحيين يقولون بأن نبوءات العهد القديم تشير إلى أن المسيح سيكون هو الله أيضًا ، ولقد يقال لذلك أننا يجب أن نتخذ من نبوءات العهد القديم معيارا للكشف عن الحقيقة بشأن طبيعة المسيح عليه السلام فى هذا الباب أيضا ، مادمنا قد وجدنا فيها من قبل المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين صلب للسيح أو عدم صلبه ، ولكن هذا القول مردود فى هذا الباب بالذات ؛ ذلك أن مفهوم النبوءة التنبؤ بعمل أو بحادث أو بأمر يقع فى المستقبل ، أما التنبؤ بطبيعة فهذا غير مفهوم ، ولذا كان طبيعيا أن نبحث عن نبوءة تقول بأن المسيح سيصلب أو سيخلصه الله ويرفعه اليه ؛ أما أن نبحث عن نبوءة تقول أن المسيح سيكون الها ؛ أو لن يكون الها ؛ فهذا غير مقبول ؛ بل تعليق الكون على المستقبل ينفى الألوهية نفسها والتى تستلزم الدوام والاستمرار ؛ وصحيح هنا أنه يمكن البحث عن نبوءة تقول بأن الله سيتجسد من مريم العذراء ومن الروح

القدس بعد أن ينزل فيكون المسيح كما يقولون ، ولكن لا توجد مثل هذه النبوءة على الاطلاق ولا يوجد من قال بمثلها(١) ؟ ثم إن التنبؤ عن المسيح دون الاشارة

(١) يعلق السيد/ يسى منصور على ذلك فى الجزء الثانى من رده من ص٨—١٢ فيقول : (فاذا كان الاستاذ منصور حسين جادا فى البحث عن نبوءة تقول بأن الله سيتجسد من مريم العذراء فذلك سهل ميسور وواضح فى التوراة وضوح الشمس : — فقد قال اشعياء النبى « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل» أ ش ٧ : ١٤ ، وقد تمت هذه النبوءة بميلاد المسيح فقال متى البشير «وهذا كله كان ليتم ما قيل من قبل الرب بالنبى القائل . هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» مت ١ : ٢٢و٢٣ ، وقد تنبأ اشعياء بصراحة تامة أن الله القدير سيصير وليدا بين البشر فقال « لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » أ ش ٩ : ٦ ، واوضح اشعياء بغير التباس ان الموجود الازلى سيرسل للناس متجسدا فقال « منذ وجوده أنا هناك والان السيد الرب ارسلنى وروحه » أ ش ٤٨ : ١٦ ....) ، واستطرد مدللا ببعض الايات الاخرى ، واما ان المسيح يولد من عذراء ، فهذا مسلم به ، ولكننا نعلم انه لم يسمى عمانوئيل وانما يسوع ، والقول بأن عمانوئيل تفسيرها « الله معنا » قول لمتى البشير وليس لاشعياء النبى ، كما أن نفس الاية تستطرد قائلة « ... زبدا وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير . لانه قبل ان يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الارض التى انت خاش من ملكيها . » (أ ش ص ٧ : ١٤ — ١٦) ولوكان الولد المقصود هو الله فهل كان يحتاج الى وقت ليعرف ان يرفض الشر ويختار الخير ، أن هذه الاية فى حد ذاتها تنفى الالوهية القائل بها نفيا قاطعا» أما الاية التى تقول يولد لنا ولد ... فتكملتها « لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الان الى الابد . » (أ ش ٩ : ٧) وواضح من كلمة « من الآن » انها لا تشير الى زمن مستقبل وبالتالى انها لا تتنبأ ثم أن المسلم به أن أحدا سواء من أم المسيح او تلاميذه او اتباعه لم يرى فيه الله نفسه رغم انهم رأوا فيه المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم وذلك حال حياته ، ولو كان صحيحا أن معنى الايات السابقة أن المسيح هو الله ، للزم أن يكون ذلك معروفا قبل مجيئه وان يعامله الناس باعتباره الله نفسه وأن يروا فيه ذلك ، ولكن هذا ما لم يكن ولم يقل احد أنه كان .

إلى طبيعته مفروض معه أنه انما سيكون انسانا وإن ولد من عذراء مادامت النبوءة لم تشر إلى أنه الله قد تجسد ؛ ولذا فإن نبوءات العهد القديم لن تكون ذات جدوى على هــــذا النحو فى الكشف عن الحقيقة بين ألوهية المسيح عليه السلام أو عدم ألوهيته .

ترى ؛ هل يعز علينا الوصول إلى المعيار الصحيح إذن ، إن الأمر ليبـدو على هذا النحو غاية فى الصعوبة والدقـة ، ولـكن ، لا أظننا بعاجزين عن الوصول إلى هذا المعيار ، ولعل عودا بنا إلى الماضى ، إلى ميلاد المسيح ونشأته وحياته بين الناس بشرا مثلهم ، ثم رسولا نبيا ينشر الدعوة بينهم ، ثم كيف تطور الأمر بعـد ذلك حتى اعتبره البعض الها ، ورأوا فيه الله سبحانه وتعالى ، كل ذلك بالاضافـة إلى ايمان المسيحيين والمسلمين على السواء بكل ما يصدر عن المسيح عليه السلام ، لعل كل ذلك يـكشف لنا عن المعيار الصحيح للوصول إلى الحقيقة بين الفرضين موضوع البحث ، المعيار الذى يفترض قبول الجميع له ، ولا يقبل من أى أن يرفضه .

ولعلنا نجد مايساعدنا فى الوصول إلى مانريد فى كتاب حياة يسوع وهو كتاب «سيرة المسيح الشعبية» تأليف الدكتور بترسن سميث (وقد نقله إلى العربية السيد/حبيب سعيد ـ الطبعة الثانية ـ الصادرة عن « دار الشرق والغرب ») ، ويبدو أن هـذا الـكتاب من الأهمية بمكان حتى أنه ـ وكما أشار مترجمه ـ قد أعيد طبعه احدى وثلاثين مرة باللغة الانجليزية خـلال ثمانى سنوات ؛ ونقرأ فى الصفحتين ٢٤ و ٢٥ من الـكتاب قوله :

(خلال حياة السيد المسيح لم يفـكر أحد قط من التلاميذ ـ فى هذا الموضوع ـ الميلاد العذراوى للمسيح ـ فان التفـكير فيه قبل إدراك ألوهية المسيح كان يحسب من الأمور السخيفة السابقة لأوانها ، والتى لا يمـكن تصديقها . وإن تـكتم الأم

العذراء « التى حفظت جميع هـــذه الأمور فى قلبها » يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأن روايتها لم تفش إلا لنفر قليل من الأخصاء ، وكيف لا يكون ذلك والأمر دقيق يتطلب بطبيعته التمنع والإحجام عن اذاعته فى وقت كان ينظر فيه إلى المسيح كمجرد انسان . ونحن مع توقيرنا لسر التجسد يصعب علينا جدا أن ندرك حقيقة الموقف يومئذ . ولكن التاريخ يفضح كل شيء ويروى لنا كل الفريات المستقبحة التى أذاعها أعداء المسيحية فيما بعد . وهل تستطيع الأم المباركة نفسها أن تنسى ذلك اليوم المشئوم القاسى ، يوم ارتاب خطيبها فى طهارتها وعفتها وأراد أن يخليها سرا ؟ وكيف كان يمكنها أن تذيع فى عالم مشبع بالشكوك والإفتراءات ذلك الإختبار الفريد الفذ فى ذاته قبل أن تدرك فى نفسها ألوهية المسيح ومعنى الميلاد العذراوى ؟

ولا يغرب عن البال أن التلاميذ قبلوا المسيح فى بادىء الأمر كانسان . وقد كان هـــذا هو القصد الالهى الذى أراده المسيح . فانه كانسان اكتسب عطفهم واعجابهم واحترامهم . وتدريجيا أخـــذت أحاسيسهم تتعمق وتزداد فى الدهشة والرهبة ، فى الحيرة والتردد وقـد حاروا فى أمرهم ، ولم يرد هو أن يجاوز ما غمض عليهم ولكنه احتفظ بالسر الالهى ، وحتى عندما لمحوا وميضا منه منعهم من أن يتكلموا . وحتى بعد التجلى أمرهم أن يصمتوا إلى أن «يقوم ابن الانسان من الأموات » . ولم يبدأ باعلان ذاته إلا قبيل نهاية حياته . فقال لهم « أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » ـ « أنا والآب واحـــد » ـ « يوما ما سآتى لأدين الأحياء والأموات » .

ولم يشرق عليهم فجر هذا الاعلان الهائل الا بعد القيامة ، والأربعين يوما التى قضاها مترددا عليهم ، والصعود إلى السماء ، ونزول الروح القدس عليهم ـ وبعد هذا كله أدركوا فى رهبة وخشوع من كان ذلك الشخص العجيب الذى قضى معهم ثلاث سنوات فى فلسطين . فكتب أحدهم : « الكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده ، مجدا كما لوحيد من الآب » .)

وهكذا بين لنا الكاتب فى ايجاز أن ألوهية المسيح لم تخطر على بال أحد منذ ميلاد المسيح ، وانما يقبله الجميع أولا كانسان فحسب ، ثم بدأت فكرة ألوهيته كما يقول الكاتب تنمو فى الأذهان شيئا فشيئا ولكنها لم تتضح تماما الا بعد رفع المسيح عليه السلام ومضى نحو أربعين يوما .

ويعود الكاتب ابتداء من صفحة ٣١ الى التفصيل فى بعض ما أوجزه فيقول :-

(ولا يسع الباحث الا أن يفكر فى موقف العذراء الأم ازاء ولدها يسوع . هل حسبته « الها » ابن الآب الأزلى ؟

ان رواية الانجيل تجعل هذه الفكرة محالة . كما أن العقل لايسلم بها . والا كيف أمكن تربيته كصبى بشرى عادى خاضعا لوالديه « يتقدم فى الحكمة والقامة عند الله والناس » ؟ والا كيف استطاعت ان تؤنبه على توانيه فى الهيكل مع أحبار وعلماء اليهود ؟ وكيف عالجت شئونه كلها كطفلها الخاضع لها ؟ ان فكرة « ألوهيته » لو كانت عرفت فى بادىء الأمر لهالت كل انسان وتعذر معاملته كصبى بشرى ، ولكانت الحياة العائلية غير محتمله وغير ممكنة ، ولذهب هباء قصد التجسد الذي انطوى على أن يكون المسيح انسانا كاملا ينمو تدريجيا فى الحياة الشخصية والادراك البشرى .

كلا . ان العذراء لم تفكر فى ولدها كاله . قد عرفت أنه المسيا المنتظر الموعود به ولكن اليهود كانوا يعتنقون أفكارا مبهمة غامضة عن المسيا . عرفت أن ميلاده المعجزى جعله فريدا عديم المثال ، ولكنها لم تدرك سر « ألوهيته » الهائل الذى لم تفطن اليه ولم تعرفه الا مؤخرا .

وحتى التلاميذ أنفسهم لم يدركوا هذا السر الهائل الا قبيل نهاية حياته . لأن سر ألوهيته ظل مكتوما أكثر سنى حياته على الأرض حتى يتسع له المجال لينمو انسانا

كاملا يتذوق اختبارات البشر ، وليعرفه الناس كصديق بشرى ، وليجرأ بطرس على توجيه الأسئلة اليه ، وليضع يوحنا يده على صدره بلمسة الحب والعطف ، وليجد الأطفال الصغار حنانا بين ذراعيه . وليقبل اليه العشارون والخطاة فى جسارة لاتكلف فيها . وكيف كان يمكن أن يحدث كل هذا لو عرفوا من بادىء الأمر أنه « الله » ؟

ولكننا نراه يزيح اللثام تدريجيا عن هذا السر كلما اقتربت نهاية الحياة . ونرى فى الرسل شعور الدهشة والحيرة يتزايد . ونراهم يذهلون أحيانا ويصمتون أمام تلميحات عارضة عن هذا السر الهائل . ولكنهم لم يفطنوا اليه ويدركوه تماما الا بعد موته وقيامته وصعوده بمجد وارساله الروح القدس . عندئذ أخذوا يرجعون بذكرياتهم الى الوراء خلال ثلاث سنوات تقضت فى صحبته ويتعجبون كيف أمسكت عيونهم عن معرفة ما عرفوه الآن من أن « الكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا »

وهل لنا أن نتقدم بوقار خطوة الى الأمام ؟ ونحن الآن على أرض مقدسة نواجه أسرارا خالدة . ولكن لايسعنا الا التفكير فيها . ونرغب جد الرغبة أن نفهمها بقدر ماتصل اليه أفهامنا . وترى ماذا كان شعور الطفل الالهى عن نفسه ؟

ولزام علينا قبل كل شىء أن نؤمن بناسوته كما نؤمن بلاهوته . فقد صار « انسانا تاما » مثلنا فى كل شىء ماعدا حماقتنا وعصياننا وخطيتنا وكان الصبى يسوع غلاما بشريا . ونحن نتعجب ونتساءل قائلين . ترى متى بدأ هو أن يدرك « نفسه » ويعرف الأعماق التى لاغور لها داخل « نفسه » ؟ ألم يحدث أن ساوره أحيانا خلال صلواته فى عهد الصبوة شعور الرهبة . وأحس — ولو احساسا ضئيلا — بعظمة منسية وبعالم من النور والجمال يفوق كل شىء مما رأى على الأرض ؟ ألم يفطن الصبى الى حقيقة نفسه ويفهم دعوته وسبب مجيئه الى هنا ؟

نحن نعلم أن قبوله البشرية وحدودها الضيقة معناه الانتقاص من ادراكه الكامل لحقيقة عظمته فى العالم الأزلى . ولولا ذلك لما استطاع أن يكون انسانا كاملا . ولكن نجرأ على شىء آخر ، ويخامرنا فكر بأن سر يسوع نفسه كان مستكنا فى « عقله الباطن » بشكل ما ، بينما كان يشعر بادراكه العادى المستيقظ أنه غلام بشرى طبيعى ...

ولسنا نحسبه عدم احترام من جانبنا أن تجول مثل هذه الأفكار بخيلاتنا . ولكن يليق بنا ألا نذهب إلى أبعد من هذا .)

فالمسيح عليه السلام ، وعند المسيحيين أنفسهم ، قد ولد انسانا ، وعرفته أمه انسانا ، وعرفه الناس جميعا انسانا ، ثم قبلوه انسانا نبيا ورسولا بشرا ، ولم يدر بخلد أحد منهم أنه اله أو أنه الله نفسه ، إلا فى الأيام الأخيرة كما يقول الكاتب ، حين بدأ كما يقول يلمح إلى ألوهيته فى خفاء ، ودون أن يقبل نشرها بين الناس أو أو اعلانها لهم ، حتى أن هذه الألوهية لم تعرف تماما إلا بعد رفعه ومرور فترة من الوقت بعد ذلك .

ولكن يلاحظ أنه وحتى بعد كل ذلك ، فان ما قيل عن ألوهية المسيح عليه السلام ؛ لم يكن الأمر المقبول أو المسلم به بين المسيحيين جميعا ، بل ظل هناك من ينفون عن المسيح هذه الألوهيه القال بها ، حتى أن يوحنا كتب انجيله للرد على هؤلاء ، وفى هذا نقرأ فى كتاب رب المجد الذى سلفت الاشارة اليه فى صفحة ٢٤١ منه :

(وقال إيريناوس أيضا — وذلك فى القرن الثانى كما فى الكتاب — أن يوحنا الانجيلى قصد ببشارته الرد على الضلال الذى قرره كيرنثوس المرطوقى فى عقول الناس والذى جاء أولا من جماعة النيقولاويين ولكى يقنعهم بأنه لا يوجد إلا اله واحد قد خلق جميع الأشياء بكلمته .

وايرونيموس يثبت شهادة ايريناوس هـذه إذ يقول : «ولما كان يوحنا فى آسيا قامت هرطقات أبيون وكيرنثوس وغيرهم ممن أنكروا لاهوت المسيح وهم الذين يدعوهم فى رسالته اضداد المسيح والذين كثيرا مايذمهم بولس فى رسالته فالتزم يوحنا بسبب طلب جميع أساقفة آسيا ورسل كنائس أخرى كثيره أن يكتب بالتصريح عن لاهوت مخلصنا ويتقـدم فى خطاب سام كثير الشجاعة والمناسبة عن الكلمة » .)

ونقرأ أيضا فى صفحتى ٢٤٢ و ٢٤٣ من نفس الكتاب :

(وقال أيضا هـذا الأب المعلم فى كتابه العنون بمشاهير الأنام — أن يوحنا كتب بطلب أساقفة آسيا ضد كيرنثوس وغيره من الهراطقة خصوصا ضـد تعليم الأبيونيين الذين قاموا فى ذلك الزمان وكانوا يقولون أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم فلذلك التزم أن يعلن طبيعته الإلهية .)

هـذا هو المسيح عليه السلام ، وعند المسيحيين أنفسهم ، وهذا هو ميلاده ونشأته وحياته ودعوته ، ولد من العذراء الطاهرة ، مريم الصـديقة عليها السلام ، التى اصطفاها الله سبحانه وتعالى على نساء العالمين لتكون أم المسيح ووالدته ، فولد عليه السلام من عذراء ، وفى هـذا يلتقى المسيحيون والمسلمون على السواء ، ونشأ عليه السلام طفلا تربى فى أحضان والدته التى لم تعرف فيه غير طفل ولدته من غير أن يمسسها بشر ، وعاملته على هذا الأساس ، وعامله الناس جميعا على هذا الأساس ، وفى هذا مازال اللقاء قائما بين المسيحيين والمسلمين ، وكبر الفتى وأصبح شابا ثم رجلا ، ولم ير فيه الناس ، وكذلك أمه ، غير انسان بشر مثلهم ، وإلى هنا مازال المسلمون والمسيحيون على لقاء ، ثم بدأ عليه السلام يبشر بدعوته ورسالته ويكرز بالانجيل ، فعرفه الناس رسولا نبيا فوق كونه انسانا بشرا مثلهم ، وإلى هنا فما زال اللقاء قائما بين المسيحيين والمسلمين ، بل ولقد مضى بعد ذلك مستمرا فى نشر دعوته ورسالته

مكرزا بالانجيل ، سنة ، واثنتين وربما ثلاث ، وربما أيضا أكثر قليلا ، وإلى هنا ، فإنه لم يخطر بعد ببال أحد من أتباعه أو من أخص خاصته المقربين اليه ، أن يكون هذا الرسول الذى يعيشون معه ويرون معجزاته جميعها ويعلمون بميلاده العذراوى، بل ويعلمون أيضا بأنه المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم ، لم يخطر على بال أحد منهم أن يكون المسيح أكثر من انسان بشر مثلهم ، أو رسول نبي أرسل اليهم ، أو أنه المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم ، وإلى هنا فما زال المسيحيون والمسلمون على لقاء .

ولكن ، إلى هنا أيضا يقف اللقاء ، فبعد ذلك يقول المسيحيون أن ألوهية المسيح بدأت تتجلى لأتباعه شيئا فشيئا ، حتى أعلنها لتلاميذه بنفسه، وإن طلب منهم إخفاءها إلى حين ، ولم تتجلى هذه الألوهية كاملة إلا بعد ما قالوا به من صلب المسيح وقيامته بعد دفنه وبقائه معهم أربعين يوما وحلول الروح القدس عليهم ، وبتجلى اعلان ألوهية المسيح على هـذا النحو ، آمن أتباعه بها إلا البعض الذين يرى المسيحيون أنهم هرطقوا ونفوا عنه هذه الألوهية .

ولعل المعيار قد بدأ الآن يتضح ؛ فهناك فترة طويلة ، بل أطول فترة فى حياة المسيح ، ظل الجميع خلالها على السواء لا يرون فيه غير انسان بشر مثله مثل سائر الناس ، إلا أنه ولد من عذراء لم يمسسها بشر ، وفى هذا ، وحتى آخر هـذه الفترة يتفق إيمان المسيحيين تماما مع اعتقاد المسلمين بشأن طبيعة المسيح عليه السلام ، والمعيار الذى يكشف لنا عن الحقيقة بشأن تلك الطبيعة يكون إذن فى بيان ما إذا كان ما تلا هذه الفترة يؤدى بالفعل إلى القول بألوهيه المسيح أم لا .

على أن المعيار لازال على جانب من الغموض والابهام ، فما هى الأشيـاء التى ستتخذ أساسا للبحث فى هذا المعيار ، والتى يتعين أن تكون مقبولة لدى المسيحيين والمسلمين عى السواء ، وهنا لا نجد أمورا يصح أن تكون مقبولة عند البحث فى

هذا المعيار غير أقوال المسيح نفسه عليه السلام ، فهي على اختلاف النظر الى طبيعة المسيح بين المسيحيين والمسلمين ، فهم يتفقون معا على تقدير هذه الاقوال ؛ فهي عند المسيحيين أقوال الله نفسها ومن ثم يتعين الالتزام بها مباشرة ، وهي عند المسلمين أقوال موحى بها الى المسيح عليه السلام من الله ومن ثم يتعين الالتزام بها مباشرة أيضا ، وعلى هذا فالمعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة هو في أقوال المسيح نفسه عليه السلام ، والتي يثبت لنا صدورها منه ، وان من المفيد بلا شك ، لمحاولة القاء الضوء على الحقيقة كاملة ، ألا نتتبع أقوال المسيح عليه السلام عن نفسه في فترة زمنية معينة ، وانما نتتبع هذه الأقوال منذ البداية .

وليس أمامنا من وثائق يمكن أن نتتبع فيها هذه الأقوال غير الأناجيل المتداولة الأربعة نفسها(١) ، ولعل فيما سبق أن بحثناه في الباب السابق عن كيفية كتابة أسفار العهد الجديد وحقيقة الوحي المقال به في كتابتها ، وفي خطورة الموضوع الذي نحن بصدد البحث عن الحقيقة بشأنه ، ما يحتم علينا أن نتقيد بأمور معينة في البحث.

وأول هذه الأمور أن ما نحن بصدد بحثه هو من أخطر الأمور الدينية ، بل هو أخطرها جميعا ، فها نحن ذي نقف مع تلاميذ المسيح عليه السلام ، مع أتباعه وحوارييه ، الذين آمنوا به رسولا نبيا ، وانسانا بشرا مثلهم ، ولم يظهر بعد هذا الاعتقاد الذي يقول بأن المسيح هو الله ، والخطوة التالية هي تحديد طبيعة المسيح الحقيقية ، والأصل هنا أنه عرف وآمن به الناس كانسان بشر ، فاذا كانت هذه هي حقيقته الوحيدة بالفعل ، فان القول بألوهيته رغم ذلك يكون كفرا بالله نفسه ،

---

(١) يشير السيد / يسى منصور الى ما قلته من ذلك بقوله في ص ٢٠ من الجزء الثاني من رده : (اراد الاستاذ منصور حسين ان يتخذ أقوال المسيح الواردة في الاناجيل الاربعة معيارا للبحث عن لاهوت المسيح ، ظنا منه أنه قد يجد فيها ما ينافي عقيدة اللاهوت ...) وأخذ يعدد الايات التي يراها دالة على الوهيته ، وأوضح أنني قلت الاقوال التي يثبت لنا صدورها من المسيح وليس الأقوال الواردة في الأناجيل ، وفي باقي الباب الرد الكافي عليه.

وهذه الصورة لتأنيس الاله، لم ترد بعد فيذهن أى من تلاميذه وحوارييه وأتباعه ، وليس من المعقول على الاطلاق أن يتقبل الانسان بيسر القول بأن انسانا آخر عرفه الناس ولم يعرفوا فيه غير كونه انسانا ، أنه الله نفسه ، ولذا فلابد من الاحتراس ، ومن الحذر ، كثيرا جدا والى أبعد حد ، فيالبحث فى هذه الألوهية التى قيل بها ، لأن القول بها خطأ كما قدمنا ، لن يكون الا كفرا بالله نفسه ، وهذا ما لم يقصد اليه أحد ممن يؤمنون بالله .

أما الأمر الثانى ، فهو أنه قد ثبت لنا بحق ، فى الباب السابق ، عدم صحة ما قيل من أن أسفار العهد الجديد موحى بها من الله على أية صورة كان هذا الوحى ، وبالطبع ، فليس ثمة محل لتكرار ذلك الذى رددناه فى هذا الصدد فى الباب السابق، وانما يكون البحث فى هذا الباب على أساس من أن أسفار العهد الجديد غيرموحى بها ، ولا يقال هنا أننا خرجنا على ما التزمنا به فى الباب الأول من افتراض صحة الأناجيل المتداولة ، وألا نقيم دليلا يجعلنا نرفضها برمتها ، لأننا انما نتقيد بافتراض صحتها فيما لا نقيم الدليل علىعدمصحته ، وهذا ما لم نخرج عليه بالقول بثبوت عدم صحة ما قيل من أنها موحى بها ، لأن هـذا القول لا يعفينا بأى حال من ضرورة اقامة الدليل على عدم صحة ما نقول بعدم صحته ، كما أن هذا لا يعد دليلا نقيمه لرفض الأناجيل التداولة برمتها ، لأننا انما نقيم البحث على أساس منها وحدها.

أما الأمر الثالث الذى يجب أن نتقيد به ونراعيه ، فهو أننا قد لاحظنا من قبل أن كتبة الأناجيل الثلاثة الأولى ، متى ومرقس ولوقا ، واذكانوا يتوقعون عودة المسيح بمجد وبتاريخ مبكر ، فقد أوردوا لهذا السبب على لسانه فى هذه الأناجيل أن مجيئه وانقضاء الدهر سيكون قبل أن يمضى هذا الجيل الذى كان يتحدث اليه ، وهذا ما وجدنا بحق أنه لم يحدث فى الواقع ، ولهذا فانه ينبغى ألا يفوتنا أن كتبة هذه الأناجيل أنفسهم كانوا ممن آمنوا بألوهية المسيح ، ولذا ينبغى التدقيق الىاقصى

حد فيما يثبتونه على لسان المسيح ويدل على ألوهيته ، وذلك باستعراض الوقائع التي يرد فيها هذا الكلام ، ومقارنتها بما ورد مماثلا لها فى الأناجيل الأخرى، حتى نخرج بحقيقة ماقاله المسيح نفسه ، خشية أن يكون ايمانهم بألوهية المسيح قد حدا بهم إلى أن يثبتوا على لسانه ما لم يقله قصداً منهم إلى إثبات هذه الألوهية له ، كما دفعهم من قبل توقعهم عودة المسيح بمجد وتاريخ مبكر ، الى أن يثبتوا على لسانه أن مجيئه وانقضاء الدهر سيكون فى جيلهم ، وهو ما انتهينا الى أنه لم يقله .

أما الأمر الرابع ، فهو التشديد بالذات بالنسبة لما ورد فى انجيل يوحنا ؛ والاهتمام الى أقصى حد بمطابقته على ما ورد فى الأناجيل الثلاثة الأخرى ، لما بان لنا من قبل من أن هذا الانجيل ، انما كتب أصلا للرد على من نفوا ألوهية المسيح ، وكاتب هذا الانجيل لا يخفى هذا القصد ، اذ نراه يقول فى الاصحاح قبل الأخير من انجيله وفى نهاية ذلك الاصحاح « وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو ابن الله ولكى تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه . » (ص ٢٠ : ٣٠ و ٣١) ، وثبوت قصد الكاتب على هذا النحو من كتابته لهذا الانجيل ، مع وجود أناجيل أخرى عديدة وقت كتابته علمنا من قبل أنها طوردت وأحرقت ولم يبق منها غير الأناجيل الثلاثة الأخرى ، كل ذلك يوجب الحذر ، بل وربما التشكك ، فى كل ما يثبته هذا الكاتب على لسان المسيح مقررا ألوهيته ، خاصة اذا لم يتطابق مع ما ورد فى الأناجيل الأخرى .

وأما الأمر الخامس ، فهو أننا أيضا قد أثبتنا بحق فى الباب السابق ، عدم صحة ما قيل عن ظهور المسيح بعد رفعه ، ولذا فلا داعى لتكرار ما قلناه فى ذلك ، ويكفى هنا عدم بحث ما قد يكون قد أثبت على لسان المسيح فى الأناجيل فى تلك الفترة .

أما الأمر السادس ، فخاص بسفر الرؤيا ، فهذا السفر ، وهو كغيره من أسفار العهد الجديد غير موحى به ، وكاتبه بالتالى لا تثبت له أى رسالة ، فإنه لا محل على الاطلاق لبحث ما قد يكون قد ورد فيه منسوبا الى المسيح عليه السلام ، خاصة وأن

هذا السفر لم يكن هو الأساس الذى قيل به للاعتقاد بألوهية أو لاهوت المسيح وانما قيل بأن الأساس فى ذلك كان فى أقوال المسيح نفسها والتى سمعها منه تلاميذه ، كماأن الاقوال المنسوبة للمسيح فى هذا السفر ، وهو لا يزيد عن كونه رؤيا قيل بهـا ، لا يمكن بحال ، مع انتفاء الوحى عن كاتب ذلك السفر ؛ اعتبارها أقـوالا ثابتة للمسيح .

وأخيرا ، فانه وان كان البحث عن الحقيقة بين ألوهية المسيح أوعدم ألوهيته ، فاننا نجد أن هذه الالوهية قد ارتبطت دائما عند المسيحين بالقول بأن المسيح ابن الله ، ويقابل ذلك عند المسلمين أن القرآن قد نفى نفيا قاطعا هذه البنوة المقال بها ، ولذا فانة يكون من الأوفق ، قبل أن نعمل المعيار الذى انتهينا اليه ، فى الكشف عن الحقيقة بين ألوهية المسيح أوعدم ألوهيته ، أن نبدأ ببحث القول بأن المسيح ابن الله ، لما قد يكون لذلك من أثر على الحقيقة المراد البحث عنها نفسها .

الفصل الثالث

الاحتكام الى الأقوال الثابتة للمسيح للكشف عن الحقيقة بين ألوهيته وعدم ألوهيته

كما بينا فيما سبق ، فان أول مايجب أن نتناوله بالبحث فى هذا الفصل ، هو القول بأن المسيح ابن الله ، لما قد يكون لذلك من أثر على الحقيقة نفسها المراد البحث عنها ، ولذا فاننا سنخصص المبحث الأول لبحث هذه البنوة القال بها ، أما المبحث الثانى ، وهو الرئيسى فى هذا الفصل ، فطبيعى أن يكون فى إعمال المعيار الذى انتهينا اليه ، ألا وهو أقوال المسيح الثابتة له ، للكشف عن الحقيقة بين ألوهيته أوعدم ألوهيته ، وأخيرا ، نتناول فى مبحث ثالث ، بيان الحقيقة التى ننتهى اليها من إعمال هذا المعيار فى المبحث الثانى .

المبحث الاول

القول بأن المسيح ابن الله

قلنا أن القول بألوهية المسيح عليه السلام ، يرتبط دائما عند المسيحيين بالقول بأن المسيح ابن الله ، وهذا الذى قلناه يتضح جليا فى قانون الايمان المسيحى ، والذى يتحدث عن الايمان بالمسيح فيقول (... نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر الذى به كان كل شىء ...)، ولعل فى تتبع ماقيل عن هذه البنوة لله فى الأناجيل ، ما يعيننا على بيان ما يكون لها من أثر فى بحثنا ، ومما جاء فى الأناجيل عن ذلك :(١)

---

(١) يقول السيد / يسى منصور تعليقا على ذلك فى ص ١٠٢ من الجزء الثانى من رده : (ومن العبث أن يحاول الاستاذ منصور حسين أن

« طوبى لصانعى السلام • لأنهم أبناء الله يدعون . » (متى ص ٥ : ٩)

« فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل . » (متى ص ٥ : ٤٨)

« احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم . وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات . » (متى ص ٦ : ١)

« فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذى فى السماوات ... » (متى ص ٦ : ٩) .

« فانه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم . » (متى ص ٦ : ١٤ و ١٥)

«أنظروا إلى طيور السماء . أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن • وأبوكم السماوى يقوتها . » (متى ص ٦ : ٢٦)

« لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها . » (متى ص ٦ : ٣٢)

« فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السماوات يهب خيرات للذين يسألونه . » (متى ص ٧ : ١١)

« بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السماوات . » (متى ص ٧ : ٢١)

= ينفى أن المسيح ابن الله لينفى العقيدة بلاهوت المسيح ... فقد فات سيادته أنه كما جاء فى الانجيل أن المسيح ابن الانسان للدلالة على ناسوته ، كذلك جاء فى الانجيل أنه ابن الله للدلالة على لاهوته ، لانه هو الاله المتأنس ... وإن كان الانجيل يدعو المسيح «ابن الله» ففى الوقت ذاته يدعوه «الله» لان للاب والابن لاهوت واحد ...) ، وكما هو واضح فى هذا المبحث ، فأننى لم احاول نفى البنوة لانفى العقيدة بلاهوت المسيح ، وانما كل ما حاولته هو محاولة فهم هذ البنوة المقال بها ، وانتهيت الى انها لا تفيد شيئا فى الواقع ما داموا يقولون بأن المسيح هو الله مباشرة وان هذه البنوة تعبير رمزى فحسب .

« فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السماوات . ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السماوات. » (متى ص١٠ : ٣٢ و ٣٣)

« لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السماوات هو أخى وأختى وأمى . » (متى ص ١٢ : ٥٠)

« والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله . » (متى ص ٤ : ٣٣)

« قال لهم وأنتم من تقولون انى أنا . فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى . فأجاب يسوع وقال طوبى لك ياسمعان بن يونا . إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السماوات . » (متى ١٦ : ١٥–١٧)

« أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار . لأنى أقول لكم أن ملائكتهم فى السماوات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السماوات . » (متى ص ١٨ : ١٠)

«وأقول لكم أيضا إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السماوات . » (متى ص ١٨ : ١٩)

«فقال لهما أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى . » (متى ص ٢٠ : ٢٣)

«ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شىء لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السماوات زلاتكم . وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذى فى السماوات أيضا زلاتكم . » (مرقس ص ١١ : ٢٥ و ٢٦)

« فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السماوات .. » (لوقا ص ١١ : ٢)

« فان هـذه كلها تطلبها أمم العالم . وأما أنتم فأبوكم يعلم أنـكم تحتاجون إلى هذه . » (لوقا ص ١٢ : ٣٠)

« لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيـكم الملكوت . » (لوقا ص ١٢ : ٣٢)

ونـكتفى بهذا القدر من الأمثلة من الأناجيل الثلاثة الأولى ، ولعل أهم ما هو جدير بالملاحظة فى الأمر ، أن بنوة الله التى وردت على لسان المسيح عليه السلام فى هذه الأناجيل ، لم يـكن مقصودا بها المسيح وحده ، وإنما قصد بها هو تماما كما قصد بها كل الناس عداه ، فهو يرد على لسانه قوله «أبى الذى فى السماوات» ، كذلك يرد على لسانه قوله «أبوكم الذى فى السماوات» ، وكما يقال عنه « ابن الله » ، يقال عن صانعى السلام أنهم « أبناء الله » ، بل إنه حين يطلب من الناس أن يصلوا يطلب منهم أن يقولوا « أبانا الذى فى السماوات . » ، وعلى هـــذا فان هذه البنوة التى وردت فى هـذه الأناجيل الثلاثة على لسان المسيح — وحتى بفرض صحتها — لاتعنى تميزاً خاصا للمسيح عن الناس(١).

والواقع أن هـذه البنوة بين المسيح عليه السلام والله التى يقول بها المسيحيون لا معنى لها على الاطلاق ، وذلك أن العقيدة يجب أن تـكون جامعة شاملة مانعة ، فاذا قالوا بأن المسيح هو الله ، فلا يصح بأى حال أن يقبل منهم القول بأنه ابن الله ،

---

(١) يقول السيد/ يسى منصور تعليقا على ذلك من ص ١٠٧ الى ١١١ من الجزء الثانى من رده : (... فنحن البشر يدعونا الكتاب المقدس أبناء الله ولكن ليس بالمعنى الذى يدعى به المسيح ابن الله الوحـيد . فنحن البشر دعينا أبناء الله ... للدلالة على أنه مصدر وجودنا ... وصاحب العناية بنا ... وعلى ما علينـا من واجب الخوف والطاعة ... وعلى ما حصلنا عليه من المحبة والتقرب اليه تعالى بواسطة الفداء ... فنحن أبناء الله بالتبنى بنوة عامة أما المسيح فهو ابن الله الوحيد بنوة خاصة . فبينما يدعى البشر ابناء الله لانهم من صنع يديه، نجـد المسـيح يدعى ابن الله باعتبار معادلته ومسـاواته للاب . وبينـما

فهو اما أن يكون هو الله فى اعتقادهم وأما أن يكون هو ابن الله فى اعتقادهم ، أما الجمع بين ألوهيته وبين بنوته لله — أى لنفسه — فانه أمر لا يمكن فهمه ولا قبوله على الاطلاق .

والحق فانهم يفسرون ذلك فيقولون بأن هذه البنوة ليست بنوة بالمعنى المفهوم، وبالذات ميلاد المسيح من الله ليس هو الميلاد الذى نفهمه ، وإنما هو فى اعتبارهم ميلاد معنوى أو نحو ذلك ، وكذلك البنوة ، فالكاتب مثلا يقول عما يؤلفه أنه بنات أفكاره ، ويقبل هذا القول منه دون أن يتصور أحد أن البنوة التى يقصدها هى البنوة المعروفة ، ولا أن الميلاد الذى يقصده لهذه البنات لأفكاره هو الميلاد المعروف ، وهذا مفهوم حقا بالنسبة للكاتب ، ولكنه لا يمكن القول به بالنسبة للبنوة التى يقال بها بين المسيح والله ، ذلك أن للبنوة معنى محددا ومفهوما ، وللولادة كذلك معنى محددا ومفهوما ، والكاتب لا يقول يوما أنه يلد بنات أفكاره. ولكنهم يقولون عن المسيح أنه مولود من الآب قبل كل الدهور ، وفى القليل ، إذا كانوا يقصدون بهذه البنوة معانى أخرى غير التى تعرف للميلاد والبنوة ، فلا يحق لهم أن يتمسكوا بالقول بأن المسيح هو ابن الله وأنه مولود منه قبل كل الدهور

= نجد البشر يدعون ابناء الله .. بواسطة الفداء ، نجد ان المسيح هو الذى صنع الفداء وهو الذى اعطانا سلطانا أن نصير أولاد الله ...) وأعجب من هذه البنوة بالتبنى التى يقول بها سيادته ، ولمن ، لله ، فلم يكفه أن يجعل من المسيح ابنا لله ، فجعل الله يتبنى أيضا ، وهو يفرق بين بنوة المسيح لله وبنوة غير المسيح لله ، ولكن بغير سند ، فالايات التى ذكرتها لم تفرق بين البنوتين ، بل انه يجعل بنوة الناس لله بالفداء — ، ولا ادرى أين فى اقوال المسيح التى ذكرتها أو غيرها ما يفيد ذلك ، ثم اذا كان المسيح هو الله نفسه كما يقولون، فكيف هو ابن الله ايضا ، واذا كانت بنوة رمزية كما يقولون ، فما معنى التمسك بها كبنوة ، أسئلة لا أخاله بمستطيع الرد عليها ، وهى تنفى تلك البنوة الخاصة التى يقول بها نفيا تاما.

كما يقولون ، إذ أن كل ذلك لن يوصلنا إلى أي معنى محـــدد أو مفهوم ، كما أنه لا حاجة اليه ماداموا يقولون مباشرة بأن المسيح هو الله ، وكل ما يمكن أن يعتبروه لهذه البنوة أنها مجرد رمز يستطيعون أن يرمزوا به لما يقولون عنه الاقنوم الثانى من أقانيم الله الثلاثة ، دون أن يكون لهذه البنوة المقال بها اى أثر يعتد به فى تحديد طبيعة المسيح عليه السلام ، والا لجاز القول بأن الناس جميعا آلهة .(١)

---

(١) يقول السيد / يسى منصور تعليقا على ذلك من ص ١١٣ الى ص ١١٧ من الجزء الثانى من رده : (معـــلوم أن بنوة المسيح لا تعنى الولادة الجسدية لان «الله روح» يو ٤:٢٤ والعقيدة القائلة باتخــاذ الله صاحبه وولدا عقيــدة وثنيــة وليست من المسيحية فى شــىء . انــما بنوية المسيح تعنــى المعادلة بين الله والمسيح اى أن كليهما ذو لاهوت واحد . فكلمة ابن معناها اللغوى المحدد المفهوم تعنى الوحدة والمساواة بين الاب وابنــه فى الجنس والطبيعة . ولهذا دعى المســيح ابن الانسان للدلالة على انه انسان له طبيعته الناسوتية . ودعى ابن الله للدلالة على أنه الـــه لـــه الطبيعة اللاهوتية . ... وقــد استعملت أيضا للتعبير عن العلاقة السرية والمحبة الفائقة الكائنة بينهما بالروح ... .وما أحســـن ما قاله القس جردنر بهذا الصدد « ان الابــوة والبنوة فى اللاهوت عبارة عن اعتبارات أدبية وعلاقات روحيــة ومن تلك العلاقات المحبة والاكرام والمناجاة المتبادلة والتبادل الكامــل المبــارك ووحـــدة الطبيعة والصفات والارادة والاتفاق فى العمل وتناسب الوظائف» ... وهذه البنوية القدســـية ليست بزمنية على الاطلاق ولكنها أزليـــة قبل كل الدهور . لان المعـــادل لـــه أزلى كاللـــه ... فهـــذه البنـــوية فريدة وحيدة منقطعة النظير لانها تحمل معنى الالوهية ... — وعدد أمثلة كلهـــا من انجيل يوحـــنا عدا مثال واحـــد هو قول انجيل متى « الابن الحبيب» —) وحسن ما فعـــله باستناده الى انجـــيل يوحنـــا وحـــده ، ويستطيع القـــارىء أن يتابع فى المتن وجه اعتراضنا عـــلى هذا الانجيل بالذات ، ولا ادرى كيف يجترىء بأن يدعـــى أن لكلمة ابن هـــذا المعنى اللغوى الذى قال أنه محدد ومفهـــوم ، فقال انها تعنـــى الوحـــدة والمساواة بين الاب وابنـــه ، فكلمة الابن لغة لا تعنى غـــير الولد الذكر ، ولعـــله يريد أن يقول أن البنـــوة طبقا لقانون الوراثة هى هذا الذى قاله ، وانى لابحث عن البنوة فى كل ما قاله فلا اجدها ، فكأنه كما يقول المثل ، قد فسر المـــاء بعـــد الجهـــد بالماء ، فهى عنده تعنى المعادلة بين الله والمسيح ، أى أن كليهما ذو لاهوت واحد ، وهذا

والواقع أيضا أن هذه البنوة غير مفهوم القول أو التمسك بها ، فهم قد حددوا في قانون ايمانهم أن المسيح هو ابن الله الوحيد ، وأنه مولود من الآب أى من الله قبل كل الدهور ، ومع ذلك فان مانجده في الكتاب المقدس يؤكد لنا عكس ذلك ، فها نحن نطالع في الاصحاح الرابع من سفر الخروج قوله :

« وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر أنظر جميع العجائب التى جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون . ولكنى أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب . فتقول لفرعون هكذا يقول الرب . اسرائيل ابنى البكر . فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه . ها أنا أقتل ابنك البكر . » (ص ٤ : ٢١ — ٢٣).

فها هو العهد القديم الذى يؤمن به المسيحيون ، يتحدث قبل المسيح بأكثر من ألف سنة عن ابن للرب ، هو اسرائيل ، بل ويزيد في تأكيد هذه البنوة التى لايشاركه فيها أحد ، فيقول أنه إبن الرب البكر ، فهل معنى هذا أن اسرائيل ابن الله حقا ، وإذا كان هذا صحيحا ، فهل هو ابن الله البكر ، ومن يكون المسيح إذن ، هل يمكن القول بأنه ابن الله الوحيد أو حتى البكر ، للحق إن التمادى في مثل هذا الكلام لن يؤدى بنا إلا الى ما نحب أن يرد على لساننا عن الله سبحانه وتعالى (١) .

= يعنى الوحدة ، والبنوة تفترض التعدد ، ثم انهما عنده قد قصد بهما التعبير عن العلاقة السرية والمحبة الفائقة بينهما بالروح ، وهذه ليست بنوة ، وهى عند من يستشهد به عبارة عن اعتبارات أدبية وعلاقات روحية منها المحبة ... الخ ، وهذه كلها ليست بنوة ، وهو معادل لله كما يقول ، والمعادل لغيره في القليل ليس ذات هذا الغير ، وهى عنده بنوة فريدة منقطعة النظير لانها تحمل معنى الالوهية ، وأقول بل لأنها لا تحمل معنى البنوة على الاطلاق .

(١) يقول السيد/ يسى منصور تعليقا على ذلك من ص ١١٨—١٢١ من الجزء الثانى من رده : (معلوم أن كلمة بكر في الكتاب المقدس لا تدل دائما على معنى الاسبقية في الولادة أو على الترتيب الزمنى

ثم هذا الميلاد الذى يقولون به ، متى كان ، هل قبل كل الدهور حقا ، فكيف إذن فسره شاول الذى لقب بيولس الرسول بأنه اليوم الذى أقام الله فيه المسيح من الأموات كما يعتقدون ، إذ نقرأ على لسان بولس فى الاصحاح الثالث عشر من سفر أعمال الرسل قوله :

« ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا . أن الله قد أكمل لنا هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضا فى المزمور الثانى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . أنه أقامه من الأموات ...» (٣٢ — ٣٤) .

وواضح من ذلك أن يوم الميلاد المقصود للمسيح من الله هو يوم أن أقامه من الأموات كما يعتقدون ، ولم يكن هذا اليوم أبدا قبل كل الدهور ، بل كان بعد كل الدهور ان كان فعلا ، وفى هذا تناقض يهدم فكرة الألوهية كلها ، لأنها لاتستقيم فى مفهوم المسيحيين أنفسهم مع القول بالميلاد والبنوة ، إلا أن يكون هذا الميلاد منذ الأزل ، ولذا كان النص فى قانون ايمانهم على أنها قبل كل الدهور[1] ، ولكنها

= ولكنها تدل كثيرا على التفوق والتقدم والرفعة ... والمهم أن البكر بين الاخوة او الجماعة هو المتسامى بينهم ...وهذا ما عناه الله فى صيغة معنوية أعتبارية «اسرائيل ابنى البكر» أى الشعب الذى كان متقدما فى معرفة الله على كل الشعوب ... وفى الوقت الذى يشير العهد القديم الى فضل الله على شعب اسرائيل بالتبنى يعلن أن هناك ابنا وحيدا لله من طبيعته الالهية سيظهر بين الناس . فقال أشعياءالنبى «لانه يولد لنا ولد ...» ...) وقد سبق لنا التعليق على الآية الاخيرة ، ولا أفهم لماذا حين تكون البنوة عن غير المسيح تكون بأى معنى آخر غير البنوة عينها ، ومع هذا فقد وجدنا أنه ينتهى الى أنها بنوة رمزية تعبر عن العلاقة السرية واعتبارات أدبية وعلاقات روحية ،وهذه كما وجدنا ليست بنوة على الاطلاق .

(١) يعلق السيد/ يسى منصور على ذلك فى الجزء الثانى من رده من ص ١٢٢ — ١٢٥ بقوله : (أن اقتران بنوة المسيح بقيامته من الاموات لا تتعارض مع كونه ابنا منذ الازل ، بل تعتبر قيامته من الاموات ختما لبنوته واعلانا رسميا عنها . اذا صار بعد تأنسه وبعد موته

هنا تخالف نصا صريحا يؤمنون به ، إلا أننا مع هذا لن نحاول أن نتخذ من ذلك سبيلا لهدم هـذه الألوهية ، وانما سنكتفى فحسب باستبعاد فـكرة البنوة من بحثنا عن الحقيقة بين ألوهية المسيح أو عدم ألوهيته ، لما بان من كل ماتقدم من أن هذه البنوة القال بها لا سند لها ولاتجدى فى اثبات هـذه الألوهية ، وإن كانت تجدى فى نفيها .

خلاصة القول فى هذا المبحث إذن ، أن بنوة المسيح لله بفرض قوله بها ، فانها كان يقابلها تماما بنوة الناس جميعا لله ، بحيث لافرق فيها بين المسيح وسائر الناس ، وهى بنوة لامعنى لها على الاطلاق فى نسبة الألوهية أو نفيها عن المسيح ، لأنهم حين يتحدثون عن ربطها بالألوهية انما يحاولون أن يصوروها بصور أخرى تفقد البنوة معناها المعروف لها ، ثم قد سبق أن أشير فى العهد القديم إلى بنوة ابن بـكر لله ، مما لا يستقيم معه القول بأن المسيح هو ابن الله الوحيد ، وأخيرا فان تفسيرهم للميلاد عن هـذه البنوة بأنه كان قبل كل الدهور ، يناقض صريح نص يؤمنون به ، الأمر الذى إن كان يمكن الربط بينه وبين ألوهية المسيح ، فلن يكون من نتيجته إلا أن ينفيها ولذا نكتفى فى بحثنا عن الحقيقة بين الوهية المسيح أو عدم الوهيته ، بأن نحتكم إلى الأقـــوال الثابتة للمسيح عليه السلام ، بغض النظر عما قـــد يشار اليه من بنوته لله .

= بالجسد بكر وأول قيامة الاموات وذلك باستحقاق قداسته بعد أن اطاع وأكمل الفداء ... كذلك أعلن بنويته أيضا بقيامته من الاموات ... فالله بعد موت المسيح كنائب عن الخطاة وله . بالقيامة كنائب عن جـــميع المفديين ... وجاءت ولادته بالقيامة ختما لبنويته الازلية ....) وسيادته هنا يريد أن يقنعنـــا بأن الله قـــد ولد المسيح مرتان ، فلم تكفه واحدة، وهو يردد عبارات انشائية مضخمة ، ولكن حين نبحث فى مضمونها ، لا نجـــد شيئا على الاطلاق ، ولست بواجد ردا عليها الا بأن أتــــرك للقارىء وحدة تقديـــرها ..

المبحث الثانى

أقوال المسيح الثابتة عن طبيعته عليه السلام

وجدنا من قبل ، أن المسيحيين يتفقون مع المسلمين فى أن المسيح عليه السلام قد عده الناس انسانا بشرا مثلهم ؛ ونبيا رسولا من عند الله ، فترة من الزمن فى حياة المسيح هى معظم سنى حياته على الأرض ، ووجدنا أن بحثنا عن الحقيقة بين ألوهيته أوعدم ألوهيته ينبغى أن يكون من عند هذا اللقاء ، لنرى هل كان من المسيح بعده ما يجعل الناس يرون فيه الله نفسه أم لا .

لقد أوضحنا بحق أن الأمر غاية فى الخطورة والأهمية ، حتى لينبغى الحذر فيه الى أقصى حد ، وإنه للواقع ، أنه لا يتصور القول على انسان عرفه النـــاس انسانا بشرا مثلهم ، أنه الله نفسه ، الا اذا كان هـذا هو ما يقطع به المرء دون أدنى شك أو أقل ريبة ؛ لأن القول بذلك خطأ ليس سوى الكفر بعينه .

وزيادة فى ايضاح الأمر ، فإننا هنا فى الفترة من حياة المسيح التى عده النـاس جميعا فيها انسانا بشرا مثلهم ، فوق كونه رسولا نبيا ، ولم يدر بخلد أى منهم أن هذا الذى يعرفونه ويعيش بينهم هو الله أو يمكن أن يكون الله ، وعلى هـــذا فالأصل الذى نبدأ منه هنا هو أن المسيح مجرد انسان بشر ، ولا يحتاج القول بهذا الفرض الى اثبات ، بعكس القول بألوهية المسيح ، فهى التى يجب أن يقوم دليل على ثبوتها ، فان لم يقم هذا الدليل ، كان القول بألوهيته غير صحيح متعينا اهداره .

وبحثنا عن أقوال المسيح فى هذا الصدد ، هو بحث عنها كما قدمنا فى الأناجيل المتداولة نفسها ، وكلنا يعرف أن هذه الأناجيل تروى قصة حياة المسيح عليه السلام ولذا فالأصل فيها هو أن تتطابق ، وان اختلفت ، ففى بعض التفاصيل ، ولهذا فانه يكون طبيعيا ألا نتناول أقوال المسيح عليه السلام فى كل انجيل على حدة ، بل نتناول

أقوال المسيح الواحدة أو المرتبطة أو المتطابقة ، فى الأناجيل المختلفة ، مع بعضهــا البعض ، منعا من الوقوع فى تكرار لا جدوى منه .

وفيما يلى على التوالى أقوال للمسيح تكشف عن حقيقته فى مختلف الاناجيل:

« ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس . فبعد ما صـام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا . فتقدم اليه المجرب وقال إن كنت ابن الله فقل أن تصير تلك الحجارة خبزا . فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيـا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك . ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد . » (متى ص ٤ : ١ — ١٠)

« أما يسوع فرجع من الاردن ممتلئا من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية . أربعين يوما يجرب من ابليس . ولم يأكل شيئا فى تلك الأيام ولما تمت جاع أخيرا . وقال له ابليس ان كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا. فأجابه يسوع قائلا مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله . ثم أصعده ابليس الى جبل وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان . وقال له ابليس لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه الى قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد . فان سجدت أمامى يكون لك الجميع . فأجابه يسوع وقال اذهب يا شيطان أنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد . ثم جاء به الى أورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى أسفل . لأنه

مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك . وأنهم على أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك . فأجاب يسوع وقال له انه قيل لا تجرب الرب الهك . ولما أكمل ابليس كل تجربة فارقه إلى حين . » (لوقا ص ٤ : ١ — ١٣)

وفى هذه الآيات نرى الشيطان يجرب المسيح ، إنه ابليس يريد أن يوقعه فى الاثم فيغريه ، ولا يستهوى المسيح ما أغرى به ، بل يرد على الشيطان بآيات وردت فى العهد القديم ، فيقول بأنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة من الله ، ترى ، هل كان الله حقا هو الذى يرد على الشيطان فيقول له ذلك ، هل كان المسيح هنا يقصد نفسه أو حتى شيئا فى نفسه يقولون عنه أنه اللاهوت الذى حل فى الناسوت ، ان النفى هو الاجابة القاطعة على هذا السؤال ، ثم يقول أيضا أنه مكتوب أن لا تجرب الرب الهك ، فهل كان يقصد ألا يجرب نفسه ، أو اللاهوت الذى فيه ، والذى أصبح معه واحدا كما يقولون ، أم أنه قصد أنه مكتوب ألا يجرب الرب الذى ليس هو المسيح نفسه ، بالطبع كان يقصد الله الذى ليس هو المسيح بأى حال ، ثم هو يقول أيضا أنه مكتوب أن للرب الهك تسجدوا اياه وحده تعبد ، فهل كان يشير بذلك الى نفسه أو الى اللاهوت الذى فيه كما يقولون ، هذا هو ما لا يمكن أن يحتمله الكلام ، ولهذا فالنفى بلا شك هو الاجابة على هذا السؤال .

ثم إن اختبار ابليس للمسيح عليه السلام ، لا يجوز رغم ذلك أن يمر بنا على هذا النحو فحسب ، ذلك أن التعمق فى هذا الاختبار يكشف لنا أمورا هامة ، أولها أنه من غير المتصور أن ابليسا يختبر الله ، إنه للغو حقا مثل هذا القول ، فليس الله بالذى يمكن أن يجربه ابليس أو أن يتعرض لإغراء ابليس ، ثم ، وهذا هو الأمر الثانى ، اذا كان الناس يعجزون بإدراكهم عن أن يعرفوا فى المسيح أنه الله اذا كان هو الله حقا فلا يتصور أن ابليسا نفسه لا يعرف الله فيقدم هكذا بسهولة على محاولة اغرائه ، وأخيرا فانه اذا

كان المسيح هو الله حقا ، فلا معنى أبدا لأن يجربه ابليس ، لأنه اختبار وتجربة لا معنى لهما بالنسبة لله ، فهل يغريه بكل المالك ، وهى كلها لله ، أم يغريه بالناس ، وكلهم عباده ، انه للحق ، هذه التجربة من ابليس فى حد ذاتها ، كافية لنفى أية ألوهية يقال بها عن المسيح عليه السلام ، ولكننا لانقول بذلك بالطبع هربا من استكمال البحث ، وانما هى نقطة عنت لنا على الطريق . (١)

« ليس كل من يقـول لى يارب يارب يدخـــل ملكوت السماوات . بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السماوات . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس .... » (متى ص ٧ : ٢١ و ٢٢) وهذه الآية قد وردت كما هو واضح فى الاصحاح السابع من انجيل متى ، والذى يشير الى الفترة الأولى من دعـوة المسيح عليه السلام ، وهى الفترة التى يسلم المسيحيون بأن المسيح لم يشر فيها الى ما قالوا به

(١) يقول السيد / يسى منصور تعليقا على ذلك فى صفحتى ٢٩ و ٣٠ من الجزء الثانى من ردة : (وانى اقول لسيادته أن الاقنوم هــو شخصية متميزة غير منفصلة فى اللاهوت . وكل اقنــوم هو الله . لان للثلاثة اقانيم لاهوت واحد فاقنوم الابن يتكلم عن أقنوم الاب ، لانــه شخصية متميــزة عن الاب غير منفصلة عنه . ولان اقنوم الابن أخذ طبيعتنا الناسوتية ، فتقدم الشيطان ليجرب الابن فى انسانيته ... ومعرفــة ابليس الواســعة بالله تعالى لا تعيق سفاهته ... فالــذى كان سفيها على الله لا يبعــد عليه أن يجرب المسيح فى انسانيته والمسيح كقائد ظافر انتصر عليه نصرا مبينا ...) وسيادته يقصد أن اقنوم الابن هو الذى يتحدث على لسان المسيح ، وكل اقنوم كما يقول هو الله ، ولم اقل أنهم يقولون غير هذا ، ولم استند فى نفى الالوهية الى اكثــر من عدم اتساق تلك التجربة مع الالوهية ، ولإزالـة هذا التناقض قال ان الشيطان تقــدم ليجرب الابن فى طبيعتــه الناسوتية أو فى انسانيته ، وفاته أن كنسيته تقول بأن للابن طبيعة واحدة لها خصائص وصفات الطبيعتين وليس له طبيعتين منفصلتين كما هو مفهوم استناده ، وحتى لو كــانت لــه طبيعتــان فهــل سيفصلهما ابليس ويختبر احداهما دون الاخرى وبالغــة ما بلغت ســفاهة ابليس فهل الله ينساق لســفاهته ويدعــه يجــربه ، أم أن الصحيح أن المسيح النبى الكريم والذى ليس الها هو الذى يجرب من ابليس ، اعتقد أن الامر واضح .

من ألوهيته ، ولهذا فان ورود الآية على هذا النحو غـــير متصور على الاطلاق ، والا لكان المسيح مدعيا لنفسه الألوهية منـذ بداية دعوته وهذا ما لم يقولوا به ، ولهذا فان هذه الآية لو كانت قد صدرت عن المسيح حقا فى هذه الفترة ، فلا بد أنه قالها مشيرا الى الله لا الى نفسه ، ولما كان كاتب الانجيل يرى فى المسيح الله نفسه، فانه لم يجد حرجا من أن يورد على لسانه هذا القول الذى يعتقد هـــو بصحة مضمونه ، دون أن يكون قد صدر بالفعل من المسيح ، ولعل هذا يقتضينا المزيد من الحذر بعد ذلك . (١)

« فى ذلك الوقت أجاب يسوع وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض . . »

(متى ص ١١ : ٢٥) .

« وفى تلك الأيام خرج الى الجبل ليصلى وقضى الليل كلـــه فى الصلاة لله »

(لوقا ص ٦ : ١٢) .

---

(١) يقول السيد/ يسى منصور تعليقا على ذلك من ص ٥٢ــ٥٤ من الجزء الثانى من رده : (ولكى نسد على المعترض كل سـبيل الى نكـران لاهوت المســـيح نقول لسيادته انـــه يجب الا يبنى أفكاره من أوهام هى أوهى من خيـــوط العنكبوت ، وليعلم يقينا أن التصريح بلاهوت المسيح لم يكن وليـــد فترة معينة من دعوة المسيح بل أعلن مرارا فى كل الازمنة.) وأشار الى ستة امثلة وردت فى انجيل يوحنـــا وحده والى مثال واحد من انجيل متى وقـــال : (والمسيح فى كل فترات دعوته كان يعرف سامعية بشخصه الالهى . . وأما الاعتراض بان متى البشير كان يؤمن بأن المسيح هو الله فنسب ما قاله المسيح عن الله للمسيح، فايمان متى البشير بلاهـــوت المسيح هذا صحيح ، ولكن القـــول بتحريفه لكلام المسيـــح ليس علية دليل وظاهر البطـــلان ، لان صريح الآية قالها المسيح ، ومتى رسول المسيح أرفع من أن يكذب ويحرف كلام المسيح . . .) وواضح أن سيادته أحس بقـــوة سندى فلم يجـــد سبيلا لتلافيه الا بالقول بخلاف ما يتفـق عليه المسيحيون من أن المسيح لم يكشف عن الوهيته المقال بها الا فى أواخر أيامه ثم بعد رفعه ، كما أنه لم يجد آيات يستند اليها الا فى انجيل يوحنا وهذا ستلى الاشارة اليه فى المتن .

« وبعد ماودعهم مضى الى الجبل ليصلى . » (مرقس ص ٦ : ٤٦) .

« وفى تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال أحمـــدك أيها الآب رب السماء والأرض . . . » (لوقا ص ١٠ : ٢١) .

وفى هذه الآيات نرى المسيح يصلى ، يصلى لله ، ويقضى الليل كله فى الصلاة لله، فهل كان يصلى لنفسه ؟ ان هذا هو غير المعقول ، بـل كان يصلى لله ، وما تعبده لله بالصلاة طول الليل الا تأكيد ما بعده تأكيد لـكونه مجرد انسان يصلى لله ، ثم هو يقول لله أو للآب أحمدك يارب السماء والأرض ، وقطعا لم يكن يقصـــد أن يحمد نفسه ، وإنما يحمد الله الذى لا اله الا هو . (١)

« ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى . » (متى ص ١٢ : ٣٢) .

« الحق أقول لـكم ان جميع الخطايا تغفر لبنى البشر والتجاديف التى يجدفونها. ولـكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الي الأبـد بل هو مستوجب دينونة أبدية . لأنهم قالوا ان معه روحا نجسا . » (مرقس ص ٣ : ٢٨ – ٣٠).

« و كل من قال كـلمة على ابن الانسان يغفر له . وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له . » (لوقا ص ١٢ : ١٠) .

ومفهوم هذه الآيات أن الروح القدس الذى هو الله أيضا عند المسيحين ، غير

---

(١) ويقول السيد / يسى منصور تعليقا على ذلك ص ٣٠و٣١ من الجزء الثانى من رده : (وردا على ذلك أقول : أن اقنوم الابن من ناحية طبيعته الناسوتية كان يصلى لاقنوم الاب ومع ذلك فهو من ناحيـــة طبيعته الالهية مساو للاب .) والواقع أنهم لا يرونهـــا مساواة كمـــا يقول ، فهم يعتقدون بأن المسيح والاب واحد ، وسيادته هنا يحاول أن يقنعنا بأن المســـيح كانسان كان يصلى لنفسه كاله ، وهذا ما لا يتقبله العقـــل .

المسيح الذى أشير اليه على أنه ابن الانسان ، لأنها ان كانا واحدا لوجب أن يكون الحكم واحدا بالنسبة لمن يجدف على أى منهما ، ولكن التجديف هنا يغفر اذا كان عن المسيح ، ولايغفر اذا كان على الروح القدس الذى هو الله أيضا فى اعتقادهم ، ومن ثم فلا يمكن أن يكون المسيح هو الله (١) .

« وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته . »
(متى ص ١٣ : ٥٧) .

« فقال لهم يسوع ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته . »
(مرقس ص ٦ : ٤)

« وقال الحق أقول لكم أنه ليس نبى مقبولا فى وطنه .. » (لوقا ٤ : ٢٤)

وهنا لانرى المسيح يصف نفسه فى هذه الآيات الا بالنبى ، ولم يزد على ذلك شيئا . (٢)

---

(١) ويقول السيد/ يسى منصور ردا على ذلك فى ص ٣٢و٣٣ من الجزء الثانى من رده : (ولذلك نقول : بما ان الاقنوم هو شخصية متميزة غير منفصلة فى اللاهوت فالابن والروح القدس متميزان وان كان لهما مع الاب لاهوت واحد . والتجديف على المسيح باعتبار ناسوته لعدم معرفة الوهيته لاحتجابه فى الجسد ، فهذا التجديف يغفر فى رحمة المسيح ... واما التجديف على الروح القدس فهو رفض انارته التى تدعو القبول كفارة المسيح ، فمن يرفض ارشاد القائد فى ارض الظلمات ليس امامه الا التيه والهلاك ...) وعبثا يحاول السيد / يسى منصور أن يقنعنا بالعقل بما قالت فى شأنه كنيسته كما وجدنا فى تعليمها فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ان لنا أن نستخدم عقولنا الى حد معين ، وأن فى دياناتهم اسرارا يقبلونها ويؤمنون بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادى ، فخير له أن يوفر جهده الذى يحاول به أن يقنعنا بالعقل بما يناقض العقل ، ويكفى قراءة ما يقوله للتبين مدى مناقضته العقل .

(٢) ويقول السيد/ يسى منصور تعليقا على ذلك فى ص ٣٥ من الجزء الثانى من رده أن : (الانبياء كانوا يتكلمون مع الناس بكلام الله

«ولما جاء يسوع الى نواحي قيصرية فيلبس سال تلاميذه قائلا من يقول الناس انى أنا ابن الانسان. فقالوا. قوم يوحنا المعمدان . وآخرون ايليا . وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء . قال لهم وأنتم من تقولون انى أنا . فاجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى . فاجاب يسوع وقال له طوبى لك ياسمعان بن يونا . إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السماوات . وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات . فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماوات. وكل ماتحله على الأرض يكون محلولا فى السماوات. حينئذ أوصى تلاميذه أن لايقولوا لأحد أنه يسوع المسيح.» (متى ص ١٦ : ١٣ — ٢٠)

«ثم خرج يسوع وتلاميذه الى قرى قيصرية فيلبس . وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس انى أنا . فأجابوا . يوحنا المعمدان. وآخرون ايليا . وآخرون واحد من الأنبياء . فقال لهم وأنتم من تقولون انى أنا . فاجاب بطرس وقال له أنت المسيح . فانتهرهم كى لايقولوا لأحد عنه .» (مرقس ص ٨ : ٢٧ — ٣٠)

«وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه . فسألهم قائلا من تقول الجموع انى أنا . فأجابوا وقالوا يوحنا المعمدان . وآخرون ايليا. وآخرون ان نبيا من القدماء قام . فقال لهم وأنتم من تقولون انى أنا. فاجاب بطرس وقال مسيح الله . فانتهرهم وأوصى أن لايقولوا ذلك لأحد.» (لوقا ص ٩ : ١٨ — ٢١)

= اما المسيح فكان نفسه كلمة الله المتجسد الذى أعلن الله للبشر فهو نبى بل رب الانبياء ... اذا فنبوة المسيح خاصة لا تضعه فى مرتبة الانبياء بل تضعه فى مرتبة الالوهية حسب اشارة التوراة والإنجيل) وواضح انه يقر بأن المسيح نبى ، واذ يعلم تماما أن هذه النبوة تتعارض مع الادعاء بألوهيته ، لا يرى سبيلا لازالة هذا التناقض الا بالمغالطة اللفظية فيقول انه نبى بل رب الانبياء ، وأن نبوته لا تضعه فى مرتبة الانبياء بل فى مرتبة الالوهية ، وهذا قوله ، ولا احسب أن لعقل أن يقبله .

والذى يفهم من تكرار هذه الآيات ان المسيح عليه السلام قصد أن يعرف تلاميذه أنه المسيح ، المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم ويتوقعه اليهود أنفسهم ، ولكن إجابة بطرس كما هو واضح تختلف فى كل انجيل عنها فى غيره ، فهو المسيح ابن الله الحى ، وهو مسيح الله ، وهو المسيح ، ولكن المهم على أى حال أن المعنى الذى يمكن استخلاصه منها كلها ، هو الذى قلناه دون غيره على الاطلاق (١) ، كما أن ايراد انجيل متى على لسان بطرس عبارة ابن الله الحى بعد كلمة المسيح ينفيها عدم ورود هذه العبارة فى الانجيلين الآخرين مع أهميتها لو صحت ، ولذا فلا يمكن قبول هذه العبارة على هذا النحو.

«فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يارب . لايكون لك هذا . فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى ياشيطان . أنت معثرة لى لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس .» (متى ص ١٦ : ٢٢ و ٢٣)

« فأخذه بطرس اليه وإبتدأ ينتهره . فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلا اذهب عنى ياشيطان . لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس . » (مرقس ص ٨ : ٣٢ و ٣٣)

وهنا نجد أن متى قد أورد على لسان بطرس أيضا أنه يدعو المسيح عليه السلام ربا ، ونعرف أنه حتى هذا الوقت لم يكن التلاميذ قد عرفوا فى المسيح كونه الله كما يقولون ، وبذلك فليس معنى هذا القول من انجيل متى سوى أنه تزيد منه أضافه على لسان بطرس لما يعتقده من أن المسيح هو الله فعلا ، خاصة وأنه على ايراد انجيل

---

(١) ويقول السيد / يسى منصور ردا على ذلك فى ص ٣٦ من الجزء الثانى من رده : (وانى أجيب سيادته أن هذه الايات لا وجه فيها لاعتراض . فان الاعتراف بأن يسوع هو المسيح المنتظر لا ينفى ألوهية المسيح فى شىء ..) ولم اقصد ذلك ، وانما قصدت أنه لو صحت هذه الالوهية لما اكتفى بالقول بأنه المسيح ولد لهم على أنه الله .

مرقس لنفس الواقعة ، فانه لم يورد هذه الكلمة ، كما أننا نلاحـظ هنا ، ومناسبة الـكلام كما نعرف من كلا الانجيلين أن المسيح قال أنه ينبغى أن يتألم كثيرا ويقتـل ويقوم ، نلاحظ هنا ، أن المسيح نفسه رأى فى بطرس الذى انتهره لقوله هذا الكلام معثرة له لأنه لا يهتم بما لله لـكن بما للناس ، فمن هو الله الذى قصده المسيح هنا ، هل قصد نفسه أو اللاهوت الحال فيه كما يقولون والذى يرون أنه والآب واحـد ، أبدا ، ان العقل والمنطق ليقطعان بأنه لم يقصد نفسه على الاطلاق ، وانمـا قصد الله الذى لااله الا هو ، ثم بطرس وهو ينتهره ، هل كان ينتهر الله ، وهل يتصور أنه كان يعتقد أن المسيح هو الله كما نقرأ فى انجيل متى ، ثم يجرؤ على أن ينتهـره ، بل حتى على أن يدنوا منه .

«واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتـكون لى الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله . ولـكن ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له أية الوصايا . فقال يسوع لاتقتل لاتزن .» (متى ص ١٩ : ١٦ – ١٨)

«وفيما هو خارج الى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد صالحا الا واحـد وهو الله . أنت تعرف الوصايا . لا تزن . لاتقتـل . » (مرقس ص ١٠ : ١٧ – ١٩)

« وسأله رئيس قائلا أيها المعلم الصالح ماذا أعمـل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد صالحا الا واحد وهـو الله . أنت تعرف الوصايا . لاتزن . لاتقتل .» (لوقا ص ١٨ : ١٨ – ٢٠) .

وهنا نرى أن واحدا سأل المسيح عليه السلام عما يفعله ليرث الحياة الأبدية وتكون له ، ولـكنه يبدأ سؤاله بأن يقول له موقرا «أيها المعلم الصالح» ، ولا يرى المسيح

عليه السلام أن ثمة من يصح أن يقال عنه صالح غير الله ، ولذا ، فقبل أن يجيب عن سؤال السائل ، ينهاه عن وصفه بالصالح فيقول له «لماذا تدعونى صالحا» ؛ ثم يوضح سبب اعتراضه ونهيه له عن ذلك فيقول «ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله .» فما الذى نعرفه من ذلك ، أليس أن المسيح يرفض أن تنسب اليه حتى صفة واحدة من الصفات التى يرى أن الله يختص بها وحده ، واذا كان الأمر كذلك ، فهل يمكن القول بعد ذلك بأنه هو الله نفسه ، ان هذا هو المحال ، والا فلماذا يرفض حتى أن تنسب له صفة من صفات الله ، حتى أنه لايجيب السائل الا بعد أن يزيل من ذهنه ماقد يكون قد التبس عليه من ذلك .(١)

«حينئذ تقدمت اليه أم ابنى زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئا . فقال لها ماذا تريدين قالت له قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك. فاجاب يسوع وقال لستما تعلمان ماتطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا . قالا له نستطيع . فقال لهما أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه الا للذين أعد لهم من أبى . »

(متى ص ٢٠ : — ٢٠ — ٢٣)

«وتقدم اليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل

---

(١) يقول القمص باسيليوس اسحق تعليقا على ذلك ص ١١١و١١٢ من كتابه : (جاء أحد الرؤساء الى المسيح وقال له : «أيها المعلم الصالح» ولما كان هذا الانسان يخاطب المسيح بوصفة انسانا أجابه بأنه ليس أحد صالحا الا الله ، وهذا لكى ينفى الصلاح عن البشر .. وكان قصد المسيح بهذا ان يوجه نظر اليهود والفريسيين الذين يظنون أنهم أبرار الى هذه الحقيقة وليس فى هذا ما ينفى ألوهيته) بل فى هذا ماينفيها تماما ، فهو لا يقبل أن يقال عنه أنه صالح لانه ليس صالحا الا واحد وهو الله ، ولايحتمل ذلك أدنى شك فى أنه ينفى ألوهيته والا لما نفى مالا يكون الا الله .

ما طلبنا . فقال لهما ماذا تريدان أن أفعل لكما . فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك . فقال لهما يسوع لستما تعلمان ماتطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا . فقالا له نستطيع . فقال لهما يسوع أما الكأس التى أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه الا للذين أعد لهم . » (مرقس ص ١٠ : ٣٥ — ٤٠)

وهنا نرى ابنى زبدى يسألان المسيح أن يجعل لكل منهما مكانا فى الملكوت ، أن يكون أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، ويبدأ المسيح فيقول لهما مدللا على أنهما لايستحقان ذلك بقوله لهما أنهما لايستطيعان أن يشربا الكأس التى سيشربها ، وأورد هذا القول منه فى صيغة سؤال يحمل فى طياته هذه الإجابة ، ولكنهما ردا بأنهما يستطيعان أن يشربا هذه الكأس ، وبذا إنعدمت الحجة التى يمنع بسببها عنهما المسيح أن يجلسا معه فى الملكوت على هذا النحو ، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يجيبهما الى طلبهما ، بل أجاب فى صراحة بأنه لايملك أن يجيبهما الى طلبهما ، لأنه لايستطيع أن يمنح ذلك الا لمن أعد لهم ذلك من أبيه ، وأبيه هنا يقصد بها الآب أو الله كما يعتقدون ، وهذا تفريق واضح قاطع يفرق به المسيح بين نفسه وبين الله ، لأنه لو كان هو الله نفسه لكان مستطيعا أن يمنحهما ماطلبا اذا شاء ، ولكنه يقطع بأنه غير مستطيع ذلك بقوله «فليس لى أن أعطيه الا ...» ، ومن هذا نعرف أنه ليس الله بأى حال . (١)

---

(١) يقول السيد/ يسى منصور تعليقا على ذلك فى ص ٤٣ و ٤٤ من الجزء الثانى من رده : (وهذا القول لايتنافى مع لاهوت المسيح بل يؤيده ، اذ يبين أن صاحب السلطان للعطى الراتب والكراسى هو المسيح بالاتفاق مع ارادة الاب «أعطيه لمن أعد لهم من أبى» .. فالمسيح هو معطى الحياة الابدية ، ولايعجز مطلقا عن اجابة اى طلب بشرط أن يكون الطلب بحسب مشيئة الله ... فاذا المسيح هو القادر على كل شىء ، والمساوى للاب وهو أقنوم متميز غير منفصل فى اللاهوت الواحد .) والغريب انه يسلم بأن ارادة المسيح غير ارادة الاب ، فهو يستلزم اتفاق المسيح مع ارادة الاب لعمل شىء ، كما أنه لايعجز عن أجابة أى طلب بشرط أن يكون بحسب مشيئة الله وقد دل بذلك على تعدد الارادة ، وهو مالايكون للواحد .

« أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا . وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجربه قائلا . "يامعلم أية وصية هى العظمى فى الناموس . فقال له يسوع تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها . تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء . » (متى ص ٢٢ : ٣٤ — ٤٠)

«فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول الكل. فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد . وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى . وثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . ليس وصية أخرى أعظم من هاتين . فقال له الكاتب جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه . ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح . فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت الله . » (مرقس ص ١٢ : ٢٨ — ٣٤)

« وإذا ناموسى قام يجربه قائلا يامعلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له ماهو مكتوب فى الناموس . كيف تقرأ . فأجاب وقال تحب الرب الهك من كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك . فقال له بالصواب أجبت . افعل هذا فتحيا . » (لوقا ص ١٠ : ٢٥ — ٢٨)

وهنا نرى المسيح يجعل أول الوصايا وأهمها أن نحب الرب الهنا ، ونراه فى انجيل مرقس يقول « الرب الهنا رب واحد » ، وهنا جمع نفسه مع من يتحدث اليهم فى نسبته للرب ، فالرب الهنا والههم كما هو مفهوم من الآية ، فهل كان يقصد بذلك أنه هو هذا الاله ، بالطبع إن الكلام لايحتمل ذلك على الاطلاق ، كما أن المقطوع به

أيضا أن من كان يتحدث اليهم لم يدر بخلدهم على الاطلاق أنه قد يكون هو نفسه هذا الرب الاله الذى يتحدث عنه ، ولذا نرى من سأله فى انجيل مرقس يرد فيقول « بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه » . ، ولم يقصد بذلك على الاطلاق أن الله هو نفسه المسيح الذى يتحدث اليه ، بل إن المسيح قد أقره على هذا الرد إذ نقرأ فى انجيل مرقس بعد ذلك « فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن عن ملكوت الله . » ، ومن كل هذا نعرف أن المسيح نفسه لم يقصد بأى حال أن يقول أنه الله .(١)

بل إننا نقرأ قبل الآيات السابقة مباشرة فى انجيلى متى ومرقس :

« وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل . أنا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب. ليس الله اله أموات بل اله أحياء »(ص٢٢: ٣١و٣٢)

« وأما جهة الأموات انهم يقومون أفما قرأتم فى كتاب موسى فى أمر العليقة كيف كلمه الله قائلا أنا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب . ليس هو اله أموات بل اله أحياء . » (مرقس ص ١٢ : ٢٦ و ٢٧)

فمن هذا الذى يقول عنه المسيح « هو » ، هل كان يقصد نفسه بقوله « ليس هو

---

(١) يقول السيد/يسى منصور ردا على ذلك فى ص ٤٥ من الجزء الثانى من رده : (وانى لاجيء له بالحجة الواضحة ، فان الوصية الاولى والعظمى التى أشار اليها المسيح قد اقتبسها من أقوال موسى النبى وهذا نصها باللغة العبرية «يسمع يسرائيل يهوه اليهينو يهو أحد» وكلمة «يهوه» اسم «الرب» بصيغة المفرد وكلمة «اليهينو» اسم «الاله» بصيغة الجمع و«أحد» بمعنى «واحد» ففى الاية التى دعاها المسيح بالوصية العظمى لاشيء يتنافى مع لاهوت المسيح بل بالعكس فيها دلالة واضحة عن تعدد الاقانيم فى وحدة اللاهوت والجوهر .) وواضح أنه يذهب بعيدا عما أقوله ، ولا أحسب أن الدين يمكن أن يقام وخاصة فى أخطر شأن فيه على تلاعب بالالفاظ على هذا النحو .

اله أموات » ، ومن هو الذى قال عنه أنه الله ، هل يمكن بأى حال من الأحوال القول بأنه كان يقصد نفسه باشارته الى الله وبقوله هو ، إن المستحيل أن يكون قد قصد ذلك ، وإن المستحيل أيضا القول بأن هذا يعنى أنه هو نفسه الله[1] ، ويقينا أنه يقصد أن الله هو غيره .

وفى نفس الأصحاحين أيضا وفى الاصحاح العشرين من انجيل لوقا نقرأ :

« وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع . قائلا ماذا تظنون فى المسيح . ابن من هو . قالوا له ابن داود. قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا . قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة .» (متى ص ٢٢ : ٤١ – ٤٦)

« ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم فى الهيكل كيف يقول الكتبة أن المسيح ابن داود. لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فداود نفسه يدعوه ربا . فمن أين هو ابنه . » (مرقس ص ١٢ : ٣٥ – ٣٧)

« وقال لهم كيف يقولون ان المسيح ابن داود . وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير قال الرب لربى اجلس عن يمينى . حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فاذا

---

(١) ويقول السيد/ يسى منصور ردا على ذلك فى ص ٤٦ و٤٧ من الجزء الثانى من رده : (ولرفع اللثام عما استغلق على المعترض فهمه نقول: أن المسيح اقتبس هذه الاية من اقوال الله مع موسى . وقد عرفنا موسى النبى أن الذى يتكلم معه هو ملاك الرب وهو المدعو فى مواضع أخرى ملاك الله وملاك حضرته ... وهذه الاسماء كلها واضح أنها عن المسيح.) وهكذا يستخرج سيادته مايعن له من المعانى بغير قيد ولا حدود ، فقط يكفى أن ينتهى الى نتيجة محددة كما وجدنا فى شروط درس الكتاب المقدس ، ولكن العقل لايقبل هذا الذى يدعيه .

كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه . » (لوقا ص ٢٠ : ٤١ – ٤٤)

والذى نعرفه أنه رغم هذه الآيات فان انجيل متى يبدأ بقوله « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود . » (ص ١ : ١) كما نقرأ فى الاصحاح الثالث من انجيل لوقا « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ... بن داود . » (٢٣ – ٣١) ، فلم ينف أى من هذين الانجيلين رغم ورود الآيات السابقة فيهما أن المسيح هو ابن داود ، وبذلك فلا يمكن أن يفهم قول المسيح لهذه الآيات أنه ينفى بنوته لداود ، والا لما أشار الانجيلان الى هذه البنوة ، وانما كان هذا القول من باب تعجيز الفريسيين الذين كانوا يسألونه فى تحد عن الأجابة ، دون أن يقصد على الاطلاق أن ينسب لنفسه صفة الرب الاله ، ويبين لنا قصد المسيح هذا مما أورده انجيل متى من أن أحـــدا بعد ذلك لم يجسر بتة أن يسأله ، وليت أحدا سأله ، اذن لأجاب بما يفهم منه الجميع أن ما قاله لم يقصد منه على الاطلاق أن يقول عنه البعض أنه الرب الاله .

وليس هذا الأسلوب فى الافحام بغريب على المسيح ، فنحن نقرأ فى انجيل متى مثلا .

« ولما جاء الى الهيكل تقدم اليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم قائلين بأى سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان . فأجاب يسوع وقال لهـم وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة فان قلتم لى عنها أقول لـكم أنا أيضا بأى ســـلطان أفعل هذا . معمودية يوحنا من أين كانت . من السماء أم من الناس . ففكروا فى أنفسهم قائلين إن قلنا من السماء يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به . وإن قلنا من الناس نخاف من الشعب لأن يوحنا عند الجميع مثل نبى . فأجابوا يسوع وقالوا لانعلم . فقال لهم هو أيضا ولا أنا أقول لـكم بأى سلطان أفعل هـــذا . »

(ص ٢١ : ٢٣ — ٢٧)

فهنا لم يقصد المسيح بكلامه ان يجيبوه فعـــلا ، وانما قصدافحامهم وتعجيزهم عن الاجابة ، دون أن يقصد أن يجيب على نحو معين ، تماما كما قصـد فى الآيات السابقة أن يفحم مستمعيه دون يقصد أن يقول بأنه هو الرب الاله .

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحدولا ملائكة السماوات الا أبى وحده . » (متى ص ٢٤ : ٣٦) .

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن الا الآب . » (مرقس ص ١٣ : ٣٢)

فاذا كان الآب يعرف شيئا لايعرفه الابن نفسه ، فمن هو الآب ومن هو الابن، هل هما واحد ، هل لعقل أن يتصور مع ذلك أنهما واحد ، إن المستحيل للواحد أن يعرف أمراً ولا يعرفه فى نفس الوقت ، وانما الممكن ان الواحد يعرف أمرا ولا يعرفه غيره، والذى يمكن القطع به لذلك ، أن الابن الذى هو المسيح كما يعتقـدون ليس الله ، فلا يمكن أن يكون هو نفسه الآب الذى هو الله كما يعتقدون ، وهـذا ما نعرفه من هذا الكلام للمسيح نفسه عليه السلام ، والغريب أن هذا الذى يعلم ولا يعلم كما يظنون ، ليس فردا عاديا ، بل إنهم يعتقدون أنه الله نفسه ، وهو المستحيل، بل إن عدم علم الابن هنـا بذلك اليوم وتلك الساعة ، لينفى يقينا عن هـذا الابن الألوهية المدعى بها ، والتى لا يستقيم معها عدم العلم بأى أمر . (١)

(١) يقول السيد/ يسى منصور تعليقا على ذلك فى الجزء الثانى مـن ردة ص ٤٨ : (وللاجابة عليه تذكره بمـــا أوضحناه سابقا ، ان الله ثلاثة أقانيم متميزة غير منفصلة ، فكل أقنوم غير الاخر مـع أن للاقانيم الثلاثة لاهوت واحد . وعدم معرفة الابن لميعاد اليوم والساعة ذلـك بالنسبة لاتضاعه وتجسده ومن حدود أختصاص طبيعته الناسوتية .)
وهكذا ، فى كل ماتعيه الحيلة بشأنه ، يلجأ الى الطبيعة الناسوتية ، فأين فى أقوال المسيح نفسه مايفصل بين طبيعتين له ، وهو يقصد أن طبيعته اللاهوتية تعرف هذا اليوم وتلك الساعة ، فهل تنفصل هذه المعـــرفة فى ذات الابن بين ذات وذات ، وكيف ينفصل هذا العلم خصوصا وهـو يتبع المذهب القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح .

« . ومن قبلني فليس يقبلني أنا بل الذى أرسلني . » (مرقس ص ٩ : ٣٧).

« ومن قبلني يقبل الذى أرسلني . » (لوقا ص ٩ : ٤٨).

فمن الذى أرسل المسيح عليه السلام، أليس الله من أرسله، أم هو الذى أرسل نفسه، ان الكلام لا يستقيم الا بأن غيره قد أرسله ، فمن هو غير الله ، وهل بعد ذلك يكون المسيح هو الله ، بالطبع هذا ما لم يقصده المسيح بأى حال [1] .

« فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم ايمان بالله . » (مرقس ص ١١ : ٢٢).

فمن هو الله الذى أشار اليه المسيح طالبا أن يكون لهم ايمان به ، هل كان يشير بذلك الى نفسه ، أم الى الله الذى لا اله إلا هو ، بالطبع كان يشير إلى الله ، ولم يقصد بأى حال أنه هو الله نفسه [2].

---

(١) يقول السيد/ يسى منصور فى ص ٤٩ من الجزء الثانى من رده تعليقا على ذلك : (وللوصول الى الحقيقة التى لايتمارى فيها اثنان نقول كما أن الشمس ترسل أشعتها لاحياء الارض وانارتها والشمس المرسلة والاشعة المرسلة هما شمس واحدة ، هكذا الاب ارسل ابنه كلمته بهاء مجده ورسم جوهره متأنسا لخلاص البشر ، وان كان الاب غير الابن فى الاقنومية لكنهما ذات واحدة فى اللاهوت .) ونعرف جميعا أن أشعة الشمس هى بخلاف الشمس نفسها ولا يقول احد بأن أشعة الشمس التى تصلنا هى ذات الشمس ، ولكنهم يقولون أن الابن والاب واحد ، وعلى هذا فالتشبيه نفسه لايستقيم ، فقد أرسله الله وارسل رسلا غيره من قبل ولايجيز هذا أن نقول أن المسيح أو غيره من الرسل آلهه .)

(٢) ويقول السيد/ يسى منصور تعليقا على ذلك فى ص ٥٠ من الجزء الثانى من رده : (إن المسيح طلب الى تلاميذه أن يكون لهم إيمان بالله كما أنه طلب تماما أن يؤمنوا به ... فالايمان بالله يقود حتما الى الايمان بالمسيح وأن الايمان بالمسيح يدعم الايمان بالله وهذه حجة عن لاهوت المسيح ووحدانيته مع الله ، والا كان الايمان به شركا بالله ... فالايمان الواحد الكامل المطلوب لايكفى الا بالله والمسيح لان الله وكلمته لاهوت واحد .) وليس له الا أن يقول أن هذا ظنه أو ايمانه أما، أن هذا هو الحقيقة والواقع، فذلك أمر بعيد عن أن يثبته هذا الذى يقوله ، فالايمان بالله هو الايمان به وبوجوده وبقدرته ، والايمان بالمسيح ليس يعنى أبدا الايمان بأنه الله ، وانما فحسب بأنه مسيح الله .

ثم ها هى ذى آخر فترة نعرفها عن المسيح عليه السلام قبل رفعه ، إنها لحظة صلاته فى جثسيمانى ودعائه لله بأن يخلصه من الصلب ، وسنتتبعها هنا فى الأناجيل لنتبين فيها آخر ما قاله المسيح عليه السلام ، عسى أن يكون فى ذلك التحديد القاطع لطبيعته:

« حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضى وأصلى هناك . ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا معى . ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت . ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما . فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة . اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك. ثم جاء فوجدهم أيضا نياما . إذ كانت أعينهم ثقيلة . فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا هذا الكلام بعينه .. » (متى ص ٢٦ : ٣٦ — ٤٤)

«وجاءوا الى ضيعة اسمها جثسيمانى فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلى . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت . أمكثوا ههنا واسهروا. ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت . ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس ياسمعان أنت نائم. أما قدرت ان تسهر ساعة واحدة . اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه . ثم رجع ووجدهم أيضا نياما اذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا

يجيبونه . ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا .» (مرقس ص ١٤ : ٣٢-٤١)

« وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون . وتبعه أيضا تلاميذه . ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكى لا تدخلوا فى تجربة . وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى . قائلا يا أبتاه أن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض . ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن . فقال لهم لماذا انتم نيام . قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . » (لوقا ص ٢٢ : ٣٩ - ٤٦)

فهنا ، آخر لحظات المسيح على الأرض ، نراه يحزن يكتئب ، ويصلى ، ولكن أى صلاة ، إنها أعمق الصلاة ، إنه يخر على الأرض ، يخر على وجهه ، يجثو على ركبتيه ويصلى ، ويصلى بأشد لجاجة ، حتى ليصير عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ، فلمن كانت كل هذه الصلاة ، هل لنفسه ، بالطبع لا ، فليس لعقل أن يقبل ذلك أو يتصوره ، ثم ها هو يدعو فى صلاته ، فلمن يوجه الدعاء ، انه يقول يا أبا الآب ، إنه يقول اذن يا الله ، إنه يدعو الله أن يعبر عنه هذه الكأس ، إنه يدعوه أن يجيز عنه هذه الكأس ، فهل لعاقل أن يتصوره داعيا نفسه بهذا الدعاء ، بالقطع لا ، ثم اذ تستبين له ارادة الله ألا يجيز عنه هذه الكأس ، يسلم بمشيئة الله وارادته ، فيقول «ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت .» ، « ولكن ليكن لاما أريد أنا بل ما تريد أنت » ، « ولكن لا لتكن ارادتى بل ارادتك . » ، فنعرف من كل ذلك أن هناك ارادتان متعارضتان ، ارادتان مختلفتان ، ارادة المسيح ألا يصلب ، فيسأل الله أن يجيز عنه هذه الكأس ، وارادة الله فى أن يصلب المسيح ، والارادتان متضادتان كما هو واضح ، ولا تتفق أى منهما مع الأخرى ، فهل بعد يكونان لواحد أم لاثنين هما المسيح والله ، ان القطع انها اما لاثنين ولا يمكن أبدا أن يكونا لواحد .

هذا هو المسيح عليه السلام ، وهـذه هى أقواله فى أناجيل متى ومرقس ولوقا ، ليس فيها إلا ما يؤكد اعتباره مجرد انسان نبى ، ورسول بشر ، وليس فيها على الاطلاق ، هذا الذى يمكن أن نفهم منه أنه هو الله ، أو أنه قصد ان يعلن للناس أنه الله ، وهذا كله فى الأناجيل المتداولة التى آمن كاتبوها بأن المسيح هو الله ، ولا يمكن بأى حال القول بأنه قد ثبت على لسان المسيح عليه السلام ما يجيز لأحد اعتباره الها أو الله نفسه ، ففى البدء يجرب من الشيطان ، وليس الله بالذى يجرب من الشيطان ، وهو يصلى لله ، وليس الله بالذى يصلى لنفسـه ، وهو يصف نفسه بالنبى ويقبله الناس نبيا ، ثم هو يعرف الناس بأنه المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم ، ولا يزيد شيئا ، ثم هو يرفض حتى أن تنسب اليـه صفة من صفـات الله ، فيسأل من وصفه بالمعلم الصالح لماذا يقول له ذلك فليس صالح إلا واحـــد وهو الله ، فيرفض بذلك ، ويقينا ، الأدعاء بألوهيته ، ثم يسأله إبنا زبدى — أو أمها — أن يجعل لهما مـكانا عن يمينه وعن يساره فى ملـكوت الله ، فيقول بأنه ليس له أن يمنح مكانا لأحد إلا أن يـكون قد أعد له من قبل الله ، ثم هو يؤكد أن أول الوصايا أن تحب الرب الهنا ، ولم يقل أحد بأنه كان يقصـد نفسه بقوله الرب الاله ، بل كان واضحـا بجـلاء أنه انما يقصد الله الذى لا اله إلا هو ، ثم هاهو يتحدث عن ساعة انقضاء الدهر فيقول بأن أحدا غير الله وحتى هو نفسه لا يعلمها ، فيقطع بذلك لمن يعى أنه ليس الله ، وإلا لـكان على علم بتلك الساعة ، ثم هو يتحدث عمن أرسله ، فنعلم أن الله من أرسله وأنه هو نفسه بالتالى ليس الله ، وأخـيرا فها هو ذا فى آخر لحظات له على الأرض ، يصلى لله أعمق الصلاة ويدعوه ، ثم يسلم أخيرا بمشيئته ؛ فمن أين يمـكن القول رغم ذلك بأنه الله ، إنه لافتراء على المسيح نفسه أن يقال عنه ذلك أو أن ينسب اليه أنه قال عن نفسه ذلك . .

ولقـد قلنا من قبل أن بحثنا عن أقوال المسيح عليـه السلام ، هو بحث عنها فى

الأناجيل المتداولة نفسها ، ولاشك أنه قد لوحظ أن كل ما أوردناه من آيات قد ورد فى الأناجيل الثلاثة الأولى وحدها ، ولم يرد ذكر لأية آية مما ورد فى انجيل يوحنا، فهل كان ذلك رجوعا منا عما قلناه فى البدء ، أم هربا من انجيل يوحنا وما جاء فيه ، هنا نقول أن الواقع ليس هذا ولا ذاك ؛ فقد قلنا أيضا أننا سنتناول أقوال المسيح الواحدة أو المرتبطة أو المتطابقة فى مختلف الأناجيل ، مع بعضها البعض منعا من التكرار الذى لا جدوى منه ، ووجدنا فى إعمالنا لذلك أن هذه الوحدة وتلك المطابقة وذاك الارتباط ، لا يمكن القول بأى منها بالنسبة لأقوال المسيح الواردة فى هذا الصدد ، الا بالنسبة للأناجيل الثلاثة الأولى وحدها ، دون انجيل يوحنا ، ولذا لم يكن بد من أن نبحث ماورد فى انجيل يوحنا من آيات على حدة ، مع بيان الفارق بين هذا الانجيل والأناجيل الثلاثة الأخرى .

وأول ما نلاحظه بالنسبة لانجيل يوحنا أن أول ما بدأ به انجيله هو أنه قطع برأى من عنده يعرف به الله والمسيح عليه السلام فيقول :

« فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة لله . هذا كان فى البدء عند الله ... كان النور الحقيقى الذى ينير كل انسان آتيا إلى العالم . كان فى العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم ...

والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا . » (ص ١ : ١ — ١٤) .

فهنا نرى يوحنا يقطع برأيه فى شأن طبيعة المسيح عليه السلام ، ويقول بأنه هو الله نفسه ، حيث يقول أنه فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، ثم يقول أن الكلمة صار جسدا ؛ ومجموع ذلك كله أن المسيح هو الله ، وبالطبع ليوحنا أن يقرر مايشاء عن طبيعة المسيح عليه السلام ، أنما ما يقرره فى ذلك بطبيعة الحال لا يقيد أي أحد ، لأنه أنما هو رأى شخصى يقول به كما انتهينا من قبل .

ولقد رأينا أن انجيلى متى ولوقا قد أشارا إلى ما كان من تجربة للمسيح من ابليس قبل أن يبدأ المسيح دعوته ، وإلى هذا أيضا أشار انجيل مرقس وإن كان فى إيجاز حيث قال :

« وللوقت أخرجه الروح إلى البريه . وكان هناك فى البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان . » (ص ١ : ١٢ و١٣)

أما انجيل يوحنا ، فانه لايشير إلى هـذه التجربة للمسيح من إبليس على الأطلاق .

ثم ها هى الأناجيل الثلاثة تشير إلى صلاة المسيح ودعائه لله ، فنراه يخرج إلى الجبل ليصلى منفردا طول الليل ، ولكن انجيل يوحنا لا يشير إلى شىء من هـذه الصلاة ، وحتى تلك الصلاة العميقة ، التى سجلتها الأناجيل الثلاثة الأولى للمسيح عليه السلام ، وذلك الدعاء الحار منه لله أن يجيز عنه كأس الصلب ، قبل حضور أعدائه للقبض عليه ، يتجاهلها يوحنا فى انجيله كل التجاهل .

فما الذى يدعويوحنا إلى كل ذلك ، للحق أن هذه التجربة وتلك الصلاة وهذا الدعاء كلها من أقطع الأمور تأكيدا لنفى ما قيل عن ألوهية للمسيح ، ولذا فليس تجاهل يوحنا لها جميعا على اجماع الأناجيل الثلاثة الأخرى على ذكرها ، إلا محاولة منه لاستبعاد كل ما قد يشكك فى ألوهية للمسيح ، وهى الألوهية التى لم يكتب انجيله كما سبق أن علمنا إلا لاثباتها ؛ وهذا كله مما يؤكد لزوم توخينا الحذر ؛ أشد الحذر، بل كل الحذر ؛ فى تقبل أقوال يوحنا التى يوردها على لسان المسيح عليه السلام خاصة بطبيعته الالهية المقال بها .

ثم نحن إذ نتتبع بعد ذلك أقوال المسيح فى هذا الانجيل نحس وكأنما هو قد حرص منذ الوهلة الأولى على أن يقول للناس أنه هو الله ؛ ولنطالع فيما يلى بعضا مما ورد على لسان المسيح فى هذا الانجيل على التوالى :

«أجاب يسوع وقال له أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا . الحق الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بمـا رأينا ولستم تقبلون شهادتنا . إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات . وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء إبن الإنسان الذى هو فى السماء . » (ص ٣ : ١٠ – ١٣)

وهكذا ينسب يوحنا الى المسيح أنه فى أول دعوته كان يقول عن نفسه أن يتكلم بما يعلم ويشهد بما رأى ، ويفهم من كلامه انه رأى السماويات وأنه صعـد إلى السماء وأنه منها نزل ، وهذا مالا يتصور صدوره عن المسيح فى هـذه الفترة لأنهم على الأقل يقولون بأنه لم يعرف الناس بألوهيته للقائل بها إلا فى أواخر أيامـه ، كما أننا لانجد مقابلا لذلك فى الأناجيل الثلاثة الأخرى .

« لأنه هـكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية . لأنه لم يرسل الله إبنـه ليدين العالم بل ليخلص العالم . الذى يؤمن به لايدان والذى لا يؤمن به قد دين لأنه لم يؤمن باسم إبن الله الوحيد . » (ص ٣ : ١٦ – ١٨)

ونعجب إذ نقرأ هـذا الـكلام منسوبا للمسيح وفى الإصحاح الثالث ، تاليا لنفس الكلام السابق ، وفى نفس مناسبته ، إنه يقول أن الله بذل إبنه الوحيد الذى هو المسيح كما يعتقدون لكى لايهلك كل من يؤمن به ، وهذا القـول وذلك المعنى كما نعرف حتى من الأناجيل الأخرى ، لم يقل به أحد ولم يعرف به أحد إلا بعـد ما إعتقدوه من صلب المسيح عليـه السلام ، ولذا فمن العجيب أن يرد على لسان المسيح نفسه وفى أول فترة دعوته ، حتى أن المنطق الصحيح ليقضى بالقطـع بأن هذا الكلام ما كان ليقوله المسيح فى هذا الوقت ، وما قاله على الإطلاق ، ثم إننا لازلنا نذكر صلاة المسيح ودعاءه لله أن يخلصه من الصلب وذلك فى آخر لحظة قبل مجىء

الأعداء للقبض عليه ، ومن ثم فني القليل كان هناك حتى هذه اللحظة أمل لدى المسيح في أن يرفع عنه الله كأس الصلب ، فكيف رغم هذا يجـــزم في بداية دعوته بأن الله قد بذل فعلا إبنه الوحيد ، إن هذه العبارة لاتقال أبداً إلا بعد تمــام ذلك البذل إن كان ، ويقينا لذلك أنها من اختلاق يوحنا وقد نسبها رغم ذلك للمسيح .

« فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودى وأنا إمرأة سامرية . لأن اليهود لايعاملون السامريين . أجاب يسوع وقال لها لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا. قالت له المرأة ياسيد لا دلو لك والبئر عميقة . فمن أين لك الماء الحى . ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه . أجاب يسوع وقال لها . كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولــكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية . » (ص ٤ : ٩ – ١٤)

وهنا نرى المسيح ، الذى يحرص كما يقولون فى بدء دعوته على إخفاء ألوهيته، لمجرد طلبه جرعة ماء من إمرأة سامرية ، يحدثها عن الماء الحى الذى يعطيه ومن يشرب منه فلايعطش إلى الأبد وهو مايـكون من الله وحده ولايكون من غيره كما نفهم ، وكأن المسيح بذلك يدعو الناس إلى إعتباره الها منذ بدء دعوته ، وهو مالم يقل به أحد ، وإلا لعبده أتباعه منذ ذلك الحين .

« فقال لهم يسوع الحق الحق أقــول لـكم ليس موسى أعطا كم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له ياسيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلايجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا . ولـكنى قلت لـكم انـكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون . كل مايعطينى الآب فالى يقبل ومن يقبل

إلى لا أخرجه خارجا . لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى . » (ص ٦ : ٣٢ – ٣٨)

«الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية . أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولايموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم .» (ص ٦ : ٤٧ – ٥١)

«فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه . كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فانه يحيا إلى الأبد.» (ص ٦ : ٥٣ ٥٨)

« فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم أهذا يعثركم فان رأيتم إبن الإنسان صاعدا إلى حيث كان أولا .» (ص ٦ : ٦١ و ٦٢)

ولا شك أنه كلام غريب هذا الذى نقرؤه فى الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا ، وهو على أى حال يريد أن يوضح أن المسيح هو الله ، وعلى لسان المسيح نفسه ، ويكفى لعدم قبول هذا الكلام أنه من ناحية ، وعلى مايبدو من أهميته ، فلم يرد له ذكر فى أى من الأناجيل الثلاثة الأخرى ، وهو مالو كان لأشارت اليه هذه الأناجيل حتما لأهميته ، وهو من ناحية أخرى ينسب للمسيح فى الفترة المتفق على أنه أخفى فيها ألوهيته المقال بها ، وهذا الكلام إن كان لايخفيها وانما يكشفها ، وما لم يقل به أحد أنه كشف عن طبيعته فى هذه الفترة

«وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلا إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى.» (ص ٧ : ٣٧ و٣٨).

«ثم كلمهم يسوع قائلا أيضا أنا هو نور العالم. من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة.» (ص ٨ : ١٢)

« فقال لهم أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هـذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم » (ص ٨ : ٢٣).

« فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن . » (ص ٨ : ٥٨).

« ما دمت فى العالم فأنا نور العالم . » (ص ٩ : ٥)

« أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف .» (ص ١٠ : ١١).

« كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب . وأنا أضع نفسى عن الخراف . » (ص ١٠ : ١٥).

« أنا والآب واحد . » (ص ١٠ : ٣٠)

« ... لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فى وأنا فيه . » (ص ١٠ : ٣٨)

« قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة . من آمن بى ولو مات فسيحيا . وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت الى الأبد . » (ص ١١ : ٢٥ و ٢٦).

وهكذا رأينا يوحنا يذكر على لسان للسيح فى كل مناسبة ما يقطع للقارىء بأنه هو الله ، فمن يؤمن به تجرى من بطنه أنهار ماء حى ، وهو نور العالم ، وهو كائن قبل أن يكون ابراهيم ، وهو والآب واحد ، وهو فى الآب والآب فيه ، وهو القيامة والحياة من آمن به ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن به فلن

يموت الى الأبد .

وهذا الذى يورده يوحنا على لسان المسيح، لا نراه مع ذلك فى أى من الاناجيل الثلاثه الأخرى ، وكأنما المسيح انما بدأ منذ اليوم الأول الى آخر يوم فى دعوته وهو يصيح فى الناس بأنه الله ، بل الأغرب من ذلك أننا وجدنا المسيح فى رواية أجمعت عليها الأناجيل الثلاثة الأخرى يرفض أن تنسب اليه صفة من صفات الله فيقال عنه أنه «الصالح» ، ثم اذا بنا نجد أن يوحنا يورد فى انجيله هذه الصفة عن المسيح وعلى لسانه فيقول «أنا هو الراعى الصالح » وفى كل ذلك لا يتعارض انجيل يوحنا مع الأناجيل الأخرى فحسب ، بل هو يناقضها ، ويناقض ما يقول به المسيحيـــون جميعا من أن المسيح انما عرف فى البداية مجرد انسان بشر ، بل وحاول أيضا اخفاء ألوهيته التى قالوا بها حتى أيامه الأخيرة .

ثم تبقى آيات أخرى نسبت الى المسيح عليه السلام وقد وردت فى الاصحاحات من الرابع عشر حتى الثامن عشر ، ومن هذه الآيات ما قيل منسوبا الى المسيح عليه السلام مما يلى :

«قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتى الى الآب الا بى . لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا . ومن الآن تعرفونه وقد رأيتمـوه . قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا . قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس . الذى رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب . ألست تـؤمن أنى أنا فى الآب والآب فى . الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى لـكن الآب الحال فى هو يعمل الأعمال . صدقونى أنى فى الآب والآب فى . » (ص١٤ :٦–١١).

«ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم . ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى . وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا كما أننـا

نحن واحد . أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين الى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى . أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل انشاء العالم.» (ص١٧: ٢٠-٢٤)

وقـــد وردت هذه الآيات كما قلنا فى الاصحاحات من الرابـــع عشر الى أول الثامن عشر ، وهـــذه الاصحاحات الأربعة كلها كلام منسوب صدوره للمسيح عليه السلام وهى تبدأ بعد أن قال عليه السلام لبطرس الذى قال أنه سيتبعــه حتى ليضع نفسه عنـــه « الحق الحق أقـــول لك لايصيح الديك حتى تنـكرنى ثلاث مرات . » (ص ١٣ : ٣٨) ، وتنتهى فى اللحظـــة التى يذهب بعدها المسيـــح وتلاميـــذه الى عبر وادى قدرون حيث يأتى أعـــداؤه للقبض عليـــه اذ نقرأ بعد هذا الـكلام المنسوب للمسيح « قال يسوع هـــذا وخـــرج مع تلاميذه الى عبر وادى قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه .» (ص ١٨ : ١) ، ومـع ذلك فاننا نجد أن الاناجيل الثلاثة الاخري قد أجمعت على عدم الاشارة الى أى من هذا الـكلام الذى نسب للمسيح فى انجيل يوحنا فى هذه اللحظات ، فنحن نقـــرأ فى انجيل متى « قال له يسوع الحق أقول لك انك فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات . قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنـكرك . هكذا قال أيضا جميع التلاميذ. حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جثسيمانى» (ص ٢٦ : ٣٤ — ٣٦) ، ولا يشير الانجيل الى أن كلاما ما صدر عن المسيـــح فى اللحظات بين قوله لبطرس أنه قبل أن يصيح ديك ينكره ثلاث مرات ورد بطرس والتلاميذ عليه ، وبين ذهابه معهم الى جثسيمانى ، وهو نفس الحال أيضا فى انجيل مرقس والذى نقرأ فيه «فقال يسوع الحق أقول لك انك اليوم فى هذه الليـــلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات . فقال بأكثر تشديد ولو اضطـــررت أن أموت معك لا أنكرك. وهكذا قال ايضا الجميع. وجاءوا الى ضيعة اسمها جثسيمانى»

(ص ١٤ : ٣٠ – ٣٢) ، وهو نفس الحال أيضا فى انجيل لوقا والذى نقرأ فيه «فقال أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات انك تعرفنى ... وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون. وتبعه أيضا تلاميذه...»(ص٢٢: ٣٤–٣٩) على أن لوقا أضاف هنا فى هذه اللحظات أربع آيات من ٣٥ الى ٣٨ ولكنها بخلاف هذا الذى أورده يوحنا فى إصحاحاته الأربعة .

فما الذى يعنية كل ذلك ، وهل يمكن لأحد أن يصدق أن الأناجيل الثلاثة ، وهى الأقرب عهدا الى المسيح ، والتى عنيت بكل تفاصيل ماقيل من المسيح قبل ذهابه مع التلاميذ الى جثسيانى ، وما قيل منه هناك ، هل يمكن لأحد أن يصدق أنها تتغافل جميعا عن كلام يصدر من المسيح ويشغل أربع إصحاحات كاملة ويكون قد صدر منه فعلا ، بينما يذكر يوحنا بعد نحو سبعين سنة من رفع المسيح هذا الكلام فيورده فى انجيله ، ان العقل والمنطق ليقطعان بأن أيا من هذا الكلام الذى ورد فى هذه الاصحاحات الأربعة من انجيل يوحنا ، لا يمكن أن يكون قد صدر عن المسيح فى هذه اللحظات التى قال يوحنا بصدوره عنه فيها .

وأخيرا ، فما الذى نخلص اليه من كل ماسبق عن انجيل يوحنا ، الأناجيل الثلاثة الأولى تذكر تجربة المسيح من ابليس ، وهو لايذكرها ، وتتمشى الأناجيل الثلاثة مع القول بأن الناس انما عرفوا المسيح ابتداء كمجرد انسان بشر ، فلا تورد على لسان المسيح شيئا يثبت له أية ألوهية ، بينما من يقرأ انجيل يوحنا يرى المسيح يدعو الناس طوال الوقت الى أن يعتبروه الها ، ثم تذكر الأناجيل الأخرى أن المسيح كان يصلى لله ويتوجه اليه بالدعاء خاصة قبل قدوم أعدائه للقبض عليه ، يتغافل يوحنا عن أية اشارة الى شىء من ذلك ؛ ثم يورد على لسان المسيح فى اللحظه السابقة على توجهه مع تلاميذه الى جثسيانى كلاما يملأ أربعة اصحاحات كاملة ، مع أن الأناجيل الثلاثة الأخرى وهى الأقرب عهدا الى المسيح لا تشير الى أى شىء من ذلك الكلام.

ونعرف مما سبق أن ذكرناه أن يوحنا قصد ببشارته الرد على ما قيل أنه ضلال قرره كيرنثوس الذى قيل بأنه هرطوقى ، هـذا الضلال الذى قرره فى عقول الناس والذى جاء أولا من جماعة النيقولاويين لـكى يقنع الناس بأنه لايوجد إلا الله واحد خلق جميع الأشياء بـكلمته ، وهذا وحده كفيل بأن يفسر لنا لماذا أورد يوحنا كل هذه الآيات على لسان المسيح ، فهو انما أوردها ليقنع الناس بأن المسيح هو الله كما قصد ببشارته ، ولم يـكن من سبيل لأن يفعل ذلك إلا أن يورد آيات على لسان المسيح تؤكد ذلك ، ولـكنه إذ فعل ذلك انمـا ناقض الواقـع ، وناقض الأناجيل المعروفة ؛ وناقض الحق ؛ بأن أورد على لسان المسيح ؛ ما لم يصدر عنه ؛ ومايسهل لأى باحث أن يـكشف أن المسيح لم يقله .

ولايخفى الـكاتب هذا القصد فى نفسه ؛ بل يعلنه صراحة ،فيورد فى أول الإنجيل الصورة التى يرى عليها المسيح الاله ؛ ثم يقول صراحة فى الاصحاح قبل الأخير من انجيله « وأما هـذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تـكون لـكم إذا آمنتم حياة باسمه .» (ص ٢٠ : ٣١) .

وإن المرء ليعجب حقا ؛ كيف قبل المسيحيون بشارة هذا حالها ، حتى ليعتبرون أن كل كلمـة جاءت فيها ، موحى بها من الله وعليهم أن يلتزموا بها ، وحتى يصـــدقون ، بل ويؤمنون بـكل كلمة جاءت فيها ؛ ومن الغريب أن نقـرأ فى كتاب رب المجد الذى سلفت الاشارة اليه فى صفحة ٣٢٩ منه قوله :

(لايخفى أن أكثر الأقوال عن لاهوت السيد المسيح هى فى بشارة يوحنا . فبطبيعة الحال وجد منكرو لاهوت المسيح أن بشارة يوحنا هى عقبة كؤود وحجر عثرة فى سبيلهم . ففى الأجيال المسيحية الأولى رفض الهراطقة يوحنا ... أما فى الأجيال المتأخرة فقد رفض أعداء المسيحية قبول هذه البشارة منتحلين لأنفسهم عذرا فى عدم قبولها بأنها ليست صحيحة النسبة إلى يوحنا الرسول ، والحقيقة هى

أنهم رفضوها لأنها قذى فيعيونهم إذ أن موضوعها الوحيدبل غاية الوحي منها اثبات لا هوت المسيح ..)

ولا ندري على أي أساس ووفق أي معيار كان قبول هذه البشارة ، هل لأنها قامت على اثبات ما قيل عن لاهوت المسيح عليه السلام ، ان هــذا لأدعى للشك فيها لا لقبولها ، ولكنا على أي حال لا ننادي بقبولها هي أو غيرها ، لأننا قـد انتهينا من قبل الى ثبوت الوحي للمسيح عليه السلام وحده ، وان ما يصدر منه فقط هوما يتعين قبوله ، على أن يثبت صدوره منه ، ومجرد مطالعة هــذه البشارة ، ومجرد مقارنتها بالأناجيل الأخرى ، لامر يسهل معه على أي باحث أن يقطع بأن ما وردفيها على لسان المسيح تأكيدا لألوهيته ، أمر لم يكن اطــلاقا في الواقع ، وإذا كانت بشارة يوحنا تعتبر قذى حقيقة، فهي قذى للمسيحية الحقيقية التي لم يــكن من هذه البشارة الا أنها حاولت ــ وقد يكون ذلك بحسن نية ــ هدمها .

المبحث الثالث

الحقيقة في أقوال المسيح الثابتة له

بين ألوهيته وعدم ألوهيته

بدأنا البحث فيما سبق ، على أساس البدء من حيث يلتقي المسلمــون والمسيحيون جميعا ، من صورة واحــدة لطبيعة المسيح عليه السـلام ، وهي إعتبار الناس له ، فوق كونه نبيا ، مجرد انسانٍ بشر مثلهم ، وهي الفترة التي كانت فيها دعــوة المسيح عليه السلام ، بل هي أكبر فترة في حياة المسيح على الأرض ، إذ تبدأ منــذ ولادته وحتى قبل رفعه بقليل ، فقد عرف الناس جميعا ، المسيح عليه السلام ، في هذه الفترة الطولى من حياته ، تماما كما يعرفه المسلمون اليوم ، مجرد انسانٍ نبي ، رسول بشر ،

ولم يدر فى خلد أى منهم أن هذا الذى يعرفونه قد يكون الها ، أو أنه الله نفسه .

ووجدنا أن بحثنا عن الحقيقة بين ألوهية المسيح أوعدم ألوهيته ، انما يكون بالبحث فى أقوال المسيح نفسها الثابت صدورها منه ، وبحثنا عن هذه الأقوال فى الأناجيل نفسها ، بحثنا فى اناجيل متى ومرقس ولوقا ، فلم نجد فى أى منها قولاثبت صدوره عن المسيح ويبين للناس منه أن المسيح اله ، بل على العكس ، كانت كل الأقوال تقطع بأن هذا المسيح الذى يتحدث ليس أكثر من انسان على الاطلاق ، انما كانت هناك بعض أقوال أخرى ، لاتكشف عن طبيعة الهية فى المسيح عليه السلام ، فى غير أذهان كتبة الأناجيل أنفسهم ، وما ذلك منهم الا ترديد لاقتناعهم بعد رفع المسيح أنه الله ، دون أن يمكن نسبة آرائهم هذه الى المسيح نفسه بأى حال ، ولكننا وجدنا مع ذلك انجيل يوحنا ، والذى كتب بعد هذه الأناجيل بضع عشرات من السنين ، والذى كتب لإثبات ألوهية المسيح ، وجدنا هذا الانجيل على العكس من الأناجيل السابقة جميعا ، فهو يورد على لسان المسيح منذ بدء دعوته الى نهايتها أقوالا تقطع بأن هذا المتكلم يقصد أن يقول للناس أنه الله ، ونعرف أن ذلك مستحيل فى حد ذاته ، لأن المسلم به أن المسيح وعلى الأقل فى بدء دعوته ، لم يكن يشير الى أنه غير انسان مثله مثل سائر البشر ، ولكننا اذ نعرف قصد الكاتب من كتابته هذا الإنجيل ، نفهم لماذا أورد على لسان المسيح هذه الآيات التى يعرف الناس منها أن المتحدث يقصد أن يقول لهم أنه الله ، ووجدنا أن فى ثبوت هذا القصد للكاتب ، بالاضافة الى عدم ورود ما ذكره من ذلك فى غيره من الأناجيل السابقة ، والتى كان حريا بها أن توردهلأنها الأقرب عهدا الى المسيح ، فاننا ازاء كل ذلك لا نملك الا استبعاد كل ما أورده انجيل يوحنا على لسان المسيح فى هذا الخصوص ، لاستحالة الاطمئنان الى صدوره عنه على أية حال .

وبذا فاننا لا نجد فى أقوال المسيح الثابتة شيئا يشير من قريب أو بعيـــد الى هذه الألوهية المدعاة له ، ولذلك فليس على من يستهدف الحقيقة الا أن يقـر بها ، وهى أن المسيح عليه السلام ليس سوى رسول بشر ، انسان نبى ، وليس هو الله أو الها بأى حال من الأحوال .

وإن العقل والنطق ليحتمان أيضا هذه النتيجة ، فان أخطر شىء فى المسيحيـة هو قول المسيحيين اليوم أن المسيح هو الله ، وهم يجعلون من هذا الاعتقـاد صلب المسيحية وقوامها الذى لا تقوم الا به ، وان المرء يتساءل فى عجـب ، هل يمـــكن لأمر على هذا الجانب من الخطورة أن يبقى خافيا طوال الدعوة ولا يعرف الا بعد رفع المسيـح عليه السلام ، واذا كان الاعتقاد بألوهية المسيح هو صلب المسيحيـة ، فـكيف لا يعلنه المسيح للناس جميعا فى وضوح وجـلاء ، وكيف أنـــه على العكس انما يحاول اخفاء هذه الحقيقة كما يقولون ، وماذا كانت دعوة المسيـــح اذن اذا كان صلب دعوته لا يدعو الناس اليه .

بل إن الثابت أيضا أن القول بألوهية المسيح لم يكن أمراً مجمعا عليه بعد رفـع المسيح عليه السلام ، بل ظل كثيرون بعد ذلك على ايمـانهم عن طبيعـــة المسيح كما عرفوه من قبل ، فظلوا لا يرون فيه غير انسان نبى ، ورسول بشر ، ولم يروا فيـه الها على الاطلاق ، وهؤلاء انفسهم من قصد يوحنا الرد على بعضهم بانجيله ، وهؤلاء الذين بقوا على ايمانهم عن طبيعة المسيح كما عرفوه فى حياته ، سموا بالمراطقـة ، ونحن جميعا نعلم أن الـكنيسة بعد أن أقرت هذه الأناجيـل الأربعة المتـــداولة وطاردت غيرها من الأناجيل وأحرقتها ، ويقينا أنه كانت هناك أناجيل يؤمن بها هؤلاء الذين سموا بالمراطقة ، والذين منهم من رفضوا انجيل يوحنا كما علمنـــا ، ويقينا أيضا أن هذه الأناجيل كانت تنفى ما قيل عن ألوهية المسيح ، ولذا طوردت وأحرقت ، ولو بقيت الى اليوم ، لـكانت خير دليل فى يـــد المسيحيين أنفسهم على

عدم ألوهية المسيح، ولـكنه التعصب تشبث بفـكرة خاطئة اعتنقها البعض، وحارب من لا يؤمن بها وطارده وطارد أناجيله وأحرقها، ومن يدرى، لعل هذه الأناجيل كان من بينها ذلك الانجيل الذى دعا المسيح منذ فجر دعوته الى الايمـــان به، واليه أشار بعد ذلك فى حياته، وهو الانجيل الذى يؤمن به المسلمون كما سبـق أن بينا، ولـكن هـكذا شاء التعصب للقول بألوهية المسيح أن يحـارب من ينفى هذه الألوهية، حتى أنه كاد أن يطمس ما ينفى هذه الألوهية.

واذا كانت الحقيقة قد حوربت وطوردت على هذا النحـو، وقبـــل الاسلام وليس بعده، فإنه يبقى على كل مسيحى يؤمن بالله وبمسيحه وبرسله، أن يبحث بنفسه عن الحقيقة بشأن هذا النبى الرسول، المسيح عليه السلام، الذى عرفه الناس انسانا بشرا معظم بل طوال سنى حياته، وظل البعض لا يرى فيه غـير ذلك ممن آمنوا به واتبعوه حتى بعد رفعه، بينما قال البعض الآخر، وبعد رفعـه، وهم الذين كانت لـكلماتهم الغلبة، قالوا بعد رفعه أنه الله وان لم يعرفوه من قبل، أقول يبقى على كل مسيحى أن يسائل نفسه، هل كان حقا من ذلك الانسان العظيم ما يجعـل الناس يعتقدون أنه الله، ويحتم عليهم أن يؤمنوا بذلك، وليبحـث كل بضمـــيره وايمانه، وبما يؤمن أنه الحقيقة، ويقينا أن من يستهـــدف الحقيقـــة لابد وأنه واجدها، ولن تـكون غير أن المسيح عليه السلام لم يكن غير انسان بشر، ولم يكن منه على الاطلاق ما يجيز للناس أن يعتبروه الها أو يروا فيه الله.

وحينئذ لن يجد أحد نفسه ملزما، بما وجدناه فى تعليم كنيسة الاسكنـــدرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح، من أنه يجب أن نقف بعقولنا عند حد معـين كما يقول الدكتور وهيب عطا الله صاحب هذا التعليم، ولن يجد احد نفسه ملزما على الاطلاق بأن يؤمن بما يعتبر مشكلة كبيرة بالنسبه للعقل الفلسفى وللعقل المادى،

ولا بما فيه تناقض او تعارض مع قوانين العقل والنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية دون ان يسأل كيف ولا لماذا، وانما سيجد كل عقله مطلقا من غير قيد، محررا من غير خوف، يطوف به أرجاء الكون مع الله الخالق القادر المدبر المهيمن، الذى لا اله الا هو، والذى لم يتجسد ولم يتأنس ولم يكن انسانا فى يوم من الأيام، سبحانه وتعالى عما يشركون .

الفصل الرابع

ما قد يثور من اعتراضات على الحقيقة التي انتهينا اليها من عدم الوهية المسيح

وطبيعي أن تكون أول هذه الاعتراضات هي تفسير كيف أن النــاس اذن ؛ أو بعض الناس بمعنى أدق ، اعتبروا المسيح الها وهم من أقرب القريبين اليه وشهادتهم عنه هي أقرب الشهادات الى القبول ، أما الاعتراض الثاني ، فهو اذا كان التعرف على حقيقة طبيعة المسيح أمر من السهولة بمكان كما انتهينا ، فكيف أن للسيحيين أنفسهم لا يصلون الى هذه الحقيقة ، وهم اليوم يعتبرونها من أكبر ما يناقضه دينهم، أفلم يكن الأولى أن يصلوا هم الى الحقيقة بشأن طبيعة المسيح ، وخاصة أن المسيحيــة دينهم ، ونبحث كل اعتراض في مبحث على التوالي .

المبحث الأول

كيف يعتبر اتباع المسيح انه هو الله

وانها لحق لتبدو مشكلة كبيرة أن يعتبر أتباع المسيح ، والذين عــرفوه ، أن يعتبروا المسيح الها ، ويرون فيه الله نفسه ، ولــكن الواقع أنه أمر منطقي الى أبعد حد، وكما قلنا من قبل ، فاننا لنحكم على واقعه معينة ، يجــب أن ننسى العصر الذى نعيش فيه ، ونعود الى العصر الذى كانت فيه هذه الواقعة ، والواقع أن الحضارة التى نعيشها في هذا العصر قد فتحت الاذهان ووسعت الآفاق والمدارك ، عمــا كان عليه الحال منذ ما يقرب من العشرين قرنا أضعاف المرات ، وان ما كانت العقول تقبــله وترضاه وتدافع عنه في ذلك الزمن ، قد تأباه عقولنا اليوم وترفضه حتى لتحاربه ، فالحياة كانت بسيطة غير معقدة كما هي اليوم ، والناس ، غالبية الناس هم أقــرب ما يكونون الى من نصفهم اليوم بالسذج البسطاء ، واذا كان من السذج البسطاء اليــوم

من تستهويهم الخرافات حتى ليؤمنون بها ، فلابد أن الخرافة كانت تسلب عقول هؤلاء الأقدمين .

واذا وعينا كل ذلك، ووعينا أن أتباع المسيح وتلاميذه كانوا من البسطاء، البسطاء جدا ، كالصيادين مثلا ، لسهل علينا أن نعرف كيف اعتقدوا أن المسيح هو الله خطا ولعل لنا فى سفر أعمال الرسل صورة مصغرة لكيفية تكون هذا الاعتقاد عند أتباع المسيح ، اذ نقرأ فى ذلك السفر :

« وكان يجلس فى لسترة رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن أمه ولم يمش قط. هذا كان يسمع بولس يتكلم . فشخص اليه واذ رأى أن له ايمانا ليشفى. قال بصوت عظيم قم على رجلك منتصبا . فوثب وصار يمشى . فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا الينا . فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس اذ كان هو المتقدم فى الكلام . فأتى كاهن زفس الذى كان قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما واندفعا الى الجمع صارخين . وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا . نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الاباطيل الى الاله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم . مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيرا يعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا . وبقولهما هذا كفا الجموع بالجهد عن أن يذبحوا لهما » (ص ١٤ : ٨-١٨)

فهنا ، وعلى حد ما جاء فى السفر ، أناس ممن عاصروا عهد المسيح عليه السلام ورأوا معجزة بسيطة لا تكاد أن تقاس شيئا الى جانب معجزات المسيح، ولبساطتهم ولسذاجتهم فانهم من فورهم قالوا بأن الذين فعلوا ذلك انما هم آلهة تشبهوا بالبشر ونزلوا اليهم ، وأطلقوا عليهم اسماء غير أسمائهم كأنهم آلهة حقا ، ثم أتى الكاهن

بثيران وأكاليل مع الجموع يريد أن يذبح ، تأكيدا لما ظنوه من أن اللذين فعلا هذه المعجزة آلهة ، وكان بولس وبرنابا لم ينصرفا بعد ، ولذا بذلا جهدهما لكى يصرفا الناس عما ظنوه بشأنهما ، حتى انهما مزقا ثيابهما من فرط ضيقهما بهذه الضلالة التى قال بها الناس عنهما ، وبعد جهد منهما ، تمكنا من أن يصرفا الناس عن هذا الظن بشأنهما .

فترى ، اذا كان هذا هو حال الناس بالنسبة لمعجزة لا تقاس شيئا الى جانب معجزات المسيح ، الذى وصل الى حد أنه أحيا أمام الناس الموتى ـ باذن الله ـ ، فكيف يكون حال من عرفوا المسيح ، وعاصروه ، ورأوا معجزاته يوما بعد يوم ، تأخذهم الدهشة حينا ، وتأخذهم الرهبة حينا آخر ، يعجبون مرة ، ويذهلون مرات وما كانوا الا قوما بسطاء ، معظمهم من الصيادين ، وكان الأمر يصل بهم أحيانا كما عرفنا من الأناجيل الى حد أن يخافوا أن يسألوا المسيح عما غمض عليهم ، ولم يكن اذن لتوالى المعجزات الا أن تحفر فى نفوسهم آثارا عميقة تترسب يوما بعد يوم حتى كان ما كان من ظنهم أنه قد صلب ، ثم ما أشيع من أنه قام من بين الأموات بعد دفنه ، وحينئذ يجمعون ذلك على ما علموه من ميلاده من مريم عليها السلام وهى عذراء ، والى معجزاته التى شاهدوها ، فيجتمع فى أذهانهم من هذا الخليط كله صورة يخالونها الله نفسه ، اذ كان ذلك هو التعليل فى اذهانهم لمعجزاته وميلاده من عذراء ولما ظنوه من صلبه ودفنه وقيامته من بين الأموات ، تلك القيامة التى اقترنت رواياتها بقوله فيها ما يدل أيضا على ألوهيته ، فيجهر بعضهم للناس بذلك ، وما أسهل أن يتلقف الناس هذا الذى يجهرون به ، وما أسهل أن يؤمن الناس فى ذلك الحين به ، وهم على هذا الحال الذى عرفناهم عليه فى الرواية السابقة ، بل إن هذا لهو الأقرب الى أذهان الناس فى ذلك الوقت ، ولذا يتلقونه فى يسر ورضاء ، حتى ليدافعون عنه ويحاربون من ينكره .

ولكن الثابت أيضا ، أنه رغم كل هذا ، فقد بقى أناس على ايمانهم الذي كانوا عليه من قبل عن المسيح ، فلم يروا فيه الله على الاطلاق ، وانما ظلوا على اعتقادهم الصحيح ، عن طبيعة المسيح عليه السلام من أنه انسان بشر وليس الها بأى حال ، وإذا كان قد كان قد كتب لهذه الفئة أن تنهزم ولاتكون لها الغلبة ؛ فليس ذلك عيب الحقيقة ، وانما عيب من تغاضوا عن الحقيقة ، وحاربوها ، ظنا منهم أنهم إذ يؤلهون المسيح فانهم يزيدون من قدره ، ولكنهم والحق ، انما يحاربون رسالته نفسها ، وإن كانوا لايعلمون ؛ ويقينا أن المسيح لو لم يكن قد رفع عن الناس ؛ لفعل أكثر مما فعله بولس وبرنابا حين مزقا ثيابهما أمام الناس الذين رأوا فيهما آلهة ؛ ولكن المسيح كان قد رفع ؛ وبذا كتب للقول بألوهيته أن ينتشر ؛ على مافيه من مجانبة للحقيقة والواقع ؛ وليتهم قالوا بألوهيته قبل رفعه عليه السلام ؛ إذن لما كتب للقول بألوهيته أن ينتشر بأى حال .

المبحث الثانى

لماذا لايصل المسيحيون الى الحقيقة التى انتهينا اليها بشأن طبيعة المسيح

ولا أظن أن السبب الذى من أجله لا يصل المسيحيون إلى الحقيقة التى انتهينا اليها بشأن طبيعة المسيح لا زال خافيا حتى الآن ، وانما كل ما أراه أنه فى حاجة إلى مزيد من الشرح والايضاح ؛ فقد عرفنا أن الناس جميعا ؛ أم المسيح ؛ والدته ؛ وآله وأصحابه وأقرانه ومن عرفوه وعاشروه حتى بدء دعوته ؛ ومن عرفوه حين بدأ دعوته وبعد بدئها بفترة هى الطولى فى فترة دعوته ؛ عرفوا جميعا المسيح طوال هذا الوقت ؛ كمجرد انسان بشر مثلهم ؛ رغم أنهم عرفوا فيه المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم ؛ بل وعرفوا بميلاده العذراوى وبمعجزاته جميعا ؛ لم يروا فيه جميعا

غير انسان بشر مثلهم ؛ بل إن أيا منهم لم يدر بخلده على الاطلاق أن هـذا الانسان الذى عرفوه يمكن ان يكون هو الله .

وحتى إلى ما بعد رفع للسيح ؛ فقـد ظل أناس على اعتقادهم بشأن طبيعة المسيح عليه السلام ؛ فلم يروا فيه كل ما أشيع بعد رفعه عن الإعتقـاد بألوهيته ؛ لم يروا فيه رغم ذلك غير انسان بشر مثلهم ؛ إلا أن آخرين ؛ إبتدأوا بعد رفعـه يشيعون الاعتقاد بألوهيته ؛ وتلقف العامة هذا القول الذى كان لبساطتهم وسذاجتهم أقرب إلى عقولهم وقلوبهم ، فأخـذوه قضية مسلما بها واعتنقوه ؛ وانتصر هـــذا الاعتقاد وكثر من قالوا به حتى حاربوا من ظلوا على ايمانهم عن طبيعة المسيح من أنه مجرد انسان بشر ؛ وسمى من قالوا بألوهية المسيح من ظـلوا متمسكين باعتقادهم بأنه مجرد انسان بشر مثلهم ؛ سموهم بالهراطقة ، ولا زالوا يسمونهم كذلك إلى يومنا هـــذا .

وهنا أكبر مغالطة ؛ فاذا كانت كلمة الهرطقـة كلمة دخيلة على اللغة العربية ؛ فانها قد اصبحت تطلق اصطلاحا على الانحراف ، وإن أى انسان ينظر إلى هؤلاء الذين سموا بالهراطقة ، ليبين له أن الواقع أنهم لم يكونوا المنحرفين على الاطلاق ، ذلك أنهم وسائر الناس جميعـا ، الذين عرفوا المسيح عليه السلام ، عرفوه رغم كل ما عرفوه عنه ، أنه مجرد انسان بشر ؛ وظلوا على هذا الاعتقاد ولم ينحرفوا عنه ، حتى بعد رفـع المسيح عليه السلام ؛ وحتى بعد أن شاع القول بأنه الله ، فقـد ظلوا رغم ذلك على ايمانهم الذى عرفوه عن طبيعة المسيح من أنه انسان بشر مثلهم ؛ أما الذين انحرفوا حقا ؛ فهم الذين انحرفوا عن هذا الذى كان مستقرا بين الناس جميعـا ؛ وقالوا أن المسيح هو الله ؛ وبذا ؛ فالذين هرطقوا حقـا ؛ والذين هم حقيقون بأن يقال عنهم أنهم هراطقـة ؛ هم الذين انحرفوا عن القول بأن المسيح انسان بشر ؛ وهو ما كانوا يعتقدونه أولا ؛ وقالوا بأن المسيح هو الله .

وعلى أساس من هذه المغالطة ،من هذه الأكذوبة الكبرى ، يركز المسيحيون اليوم تعاليمهم ، فبدلا من أن يكون الأصل هو ماعرف عن المسيح من أنه مجرد انسان بشر كسائر الناس وعلى من يقول بغير ذلك اثبات ما يقوله ، أصبح الأصل عندهم أن المسيح هو الله وعلى من يقول بعكس ذلك اثبات مايقوله ، بل انهم لا يقبلون أبدا أن يعتقدوا بعكس ذلك مهما كان الدليل قاطعا وحاسما ، و يعتبرون أن القول بغير ما يعتقدونه من ألوهية المسيح انحرافا وهرطقة .

ولكن الواقع الذى يسلمون به هو عكس ما يقولون ، فانهم يسلمون بأن المسيح لم تعرفه أمه العذراء الطاهرة إلا انسانا ، رغم أنها أدرى الناس بأنها ولدته ولم يمسها بشر ، وعرفه الناس جميعا طفلا وشابا ورجلا ، مجرد انسان مثلهم ؛ ثم بدأ يبشر بدعوته ؛ فعرف فيه الناس فوق ذلك رسولا نبيا ؛ ولم يعرف فيه أحد أنه الله ولم يدر بخلد أحدأنه قد يكون كذلك ؛وظل الناس على هذا الاعتقاد بشأنه طوال فترة دعوته ؛ وحتى بعد رفعه ومرور أيام على ذلك ؛ فهنا نحن بصدد شخص لم يعرف إلا كانسان ؛ وليس أخطر فى الدين من أن يقال عن شخص عرف على هذا النحو وطوال حياته ؛ أنه الله ؛ فمن هنا ؛ ومن هذه النقطة بالذات يتعين أن يكون بحث كل مسيحى عن حقيقة المسيح عليه السلام ؛ فيرى هل هذا الانسان هو الله أو هو الله حقا ؛ ولو بدأ أحد من هنا كما بدأنا لما وجد فى المسيح غير انسان ؛ ولما وجد إلا أن القول بأنه الله ؛ هو فى الواقع كفر بالله ؛ ولكنهم يأبون أن يبدأوا من هذه النقطة ؛ ولا يبدأون إلا من القول بأن المسيح هو الله ؛ وعلى أن هذا القول هو الذى انحرف فى الواقع ؛ فانهم يجعلون ممن لا يقرونهم وكأنهم هم المنحرفون ؛ ويسمونهم بالهراطقة ؛ والحق كما قلنا من قبل أنهم هم الذين انحرفوا وهم الذين هرطقوا ؛ ولن يصلوا إلى الحقيقة يوما إلا بأن يبدأوا من حيث عرف المسيح كانسان، ويمضوا بعد ذلك، وحينئذ فلن يجدوا فيه غير انسان، ولكن ، هل يفعلون .

الفصل الخامس

الله فى ضوء العلم

قلنا أنه لا يفوتنا هنا فى هذا الباب ، ما للعلم من أثر فى المجتمعات الحديثة ، وأن الكثيرين قد وجدوا بحق أن العلم يدعو إلى الايمان بالله ، وأقاموا الدليل العلمى على وجوده سبحانه وتعالى ، وقلنا أيضا أنه ليس من شك أن مثل ذلك قد يعيننا فى التعرف على الله ،والذى يقول المسيحيون أنه المسيح عليه السلام، وهناك كتب كثيرة تؤكد وجود الله وتقيم الدليل على ذلك بأساليب علمية ، ولعل خير كتاب نستعين به فى هذا الصدد هو كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» (الذي ألفه نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض وقد ترجمه الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان) ، ذلك أن هذا الكتاب بخلاف الكتب الأخرى من هذا النوع ؛ انما قام بتأليفه عدد كبير من العلماء ؛ أثبت كل منهم وجود الله حسب الفرع من فروع العلم الذى تخصص فيه ؛ وبعد أن نستعرض ماجاء فى هذا الكتاب فى مبحث أول نتناول فى مبحث ثان بيان أى من الصورتين لله أيدها الكتاب؛ الله كما يؤمن به المسلمون ؛ أم الله الذى هو المسيح كما يؤمن المسيحيون .

المبحث الأول

الله يتجلى فى عصر العلم

قلنا أن هذا الكتاب قد ألفه عدد كبير من العلماء ؛ كل منهم أثبت وجود الله حسب الفرع من فروع العلم الذى تخصص فيه ؛ والذى يعنينا بطبيعة الحال هو الصورة التى ينتهى إليها المؤلفون لله ، وهذا ما نعنى بأن نتناوله من مقالة كل مؤلف بقدر الامكان فيما يلى :

«من مقالة الدكتور ادوارد لوثر كيل تقرأ فى صفحتى ٢٩ ، ٣٠ »

(واليوم لابد لمن يؤمنون بنتائج العلوم أن يؤمنوا بفكرة الخلق، وهى فكرة تستشرق على سنن الطبيعة ، لأن هـذه السنن انما هى ثمرة الخلق ؛ ولابد لهم أن يسلموا بفكرة الخالق الذى وضع قوانين هذا الكون ، لأن هذه القوانين ذاتها مخلوقة ، وليس من المعقول أن يكون هناك خلق دون خالق : هو الله . وما أن أوجد الله مادة هذا الكون والقوانين التى تخضع لها حتى سخرها جميعا لاستمرار عملية الخلق عن طريق التطور .)

«وتقرأ فى مقالة الدكتور وولتر أوسكار لندبرج من صفحة ٣٣»

(وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف فليس من السهل أن تتحرر من التعصب والأهواء . فى جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى اله هو على صورة الانسان ،بدلا من الاعتقاد بان الانسان قد خلق خليفـة لله على الأرض . وعندما تنمو العقول بعـد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فان تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أساليبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول .وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية . وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما ترتب عليها من نتائج نفسية ؛ لايحبون العودة الى التفكير فى هذه الموضوعات ، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله .)

« ويقول نفس الدكتور أيضا فى مقالته»

(ولا تنبع فكرة الايمان بوجود الله أصلا من قدرة الانسان على تقدير هـذا النظام أو التنبؤ بما يترتب عليه ، ولكنها ترجع الى أن الانسان نفسه قد خلق

خليفة لله . فاذا نبذ الانسان فكرة الايمان بالله على صورته ، وآمن بما تكشف عنه وتدل عليه الظواهر الطبيعية من أن الانسان هو الذى خلق على صورة الله أوخليفة له ، فانه يسير فى الطريق السليم نحو الايمان بجلال الله وقدسيته .)

«ومن مقالة الدكتور كليرانس ايرسولد نقرأ فى صفحة ٣٩»

(ولكن هل لله وجود ذاتى كما يعتقد الكثيرون؟ أما من وجهة نظر العلم فانى لا أستطيع أن أتصور الله تصورا ماديا بحيث تستطيع أن تدركه الأبصار، أو أن يحل فى مكان دون الآخر ، أو أن يجلس على كرسى أو عرش . إن الكتب المقدسة عندما تصف لنا الاله ، وتتحدث عن ذاته وكنهه تستخدم كثيرا من الألفاظ الدنيوية التى نألفها فى وصف حياة الانسان وتاريخه على الارض ، ولكن الله تعالى كائن روحانى لطيف ، بل هو فوق ذلك ان كان وراء الروحانية من وراء فى مرتبة الصعود . ونحن لانستطيع أن نصفه وصفا روحانيا صرفا ، فالانسان رغم أنه يتكون من جسد وروح لايستطيع أن يدرك هذه الصفات الروحانية أو يعبر عنها الا فى حدود خبرته ، ومع ذلك فاننا نستطيع أن نصل الى أن الله تعالى يتصف بالعقل والحكمة والارادة . وعلى ذلك فان لله وجودا ذاتيا ، وهو الذى تتجلى قدرته فى كل شىء . وبرغم أننا نعجز عن ادراكه ماديا أو وصفه وصفا ماديا ، فهنالك مالايحصى من الأدلة المادية على وجوده تعالى ، وتدل أياديه فى خلقه على أنه العليم الذى لانهاية لعلمه ، الحكيم الذى لا حدود لحكمته ، القوى الى أقصى حدود القوة .)

« ومن مقالة الدكتور جورج ايرل دافيز فى صفحة ٤١ »

(وقد تتعدد الأسباب التى تدفع بالانسان الى اعادة النظر فى أمور الدين ، ولكننا نؤمن أنها ترجع جميعا الى رغبة البشر رغبة صادقة فى الوصول الى الحقيقة .

وينبغى أن نفرق فى هذا المقام بين معارضة الدين أو الخروج عليه وبين الالحاد، وأن نعترف بأن من يخرج على بعض الأفكار التقليدية التى ينطوى عليها دين من

الأديان ، لكى يؤمن بوجود الله قوى كبير ، لا يجوز أن نعده بسبب ذلك وحده ملحدا . فمثل هذا الشخص قد يكون غير معتنق لدين من الأديان ، ولكنه يؤمن بالله ، وقد يكون ايمانه هذا بالله تعالى قائما على أساس متين .)

« ونقرأ من نفس المقالة فى صفحة ٤٢ »

(أما عن عقيدتى فى وجود الله ، فمن العبث أن أنكر أنها لم تتأثر بما تلقيته من تعاليم دينية فى سنوات حياتى الأولى ، اذا أنه لاسبيل الى التخلص من الآثار التى تتركها هذه السنوات المبكرة من حياتنا فى أنفسنا . ولكننى أستطيع أن أؤكد أنه بينما تتفق عقيدتى الدينية فى الوقت الحاضر مع ماتعلمته فى صباى عن وجود الله ، فان هذه العقيدة تقوم فى الوقت الحاضر على أساس قوى يختلف كل الاختلاف عن الأساس الذى يقوم عليه الايمان المستمد من سلطة الكنيسة ورجال الدين .)

« ونقرأ ما يقوله الدكتور ايرفنج وليام فى ختام مقالته فى صفحة ٥٦ »

(ولكننى أومن بوجود الله . إننى أعتقد فى وجوده سبحانه لأننى لا أستطيع ان أتصور ان المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الالكترونات والبروتونات الأولى أو الذرات الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأول أو البذرة الأولى أو العقل الاول . انى أعتقد فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطقى الوحيد لكل مايحيط بنا من ظواهر الكون التى نشاهدها .)

« وللدكتور لورنس كولتون ووكر نقرأ فى صفحتى ٦٨ ، ٦٩ : »

(إن تلك التفاعلات الدقيقة والحركة المنظمة والخضوع لقوانين ثابته مما تكشف عنه هذه التفاعلات وأمثالها التى لايحصيها عد ولاحصر ، ليست الا دليلا وشاهدا على أن الكون منظم غاية التنظيم مما أطلق عليه مجاز « نظرية كمال الكون » .. وكما قال الفيلسوف بول « ان قدرة الله تتجلى فى كل شىء . وكل شىء يقوم

بقدرته » وكما يقول فيليبس فى تعليقه على هذا الكلام : « لقد ظهر الحق ، فمنذ بدأ الله هذا الكون تتجلى آياته وقوته الخالدة فى كل مايقع علية الحس أو يحيط به العقل » .)

«ونقرأ للدكتور وولتر إدوارد لاميرتس فى صفحتى ٧٣ و ٧٤»

(إن المقام لا يتسع لضرب أمثلة عديدة أخرى لاثبات أن نظرية التطور المادى لاتستطيع أن تفسر لنا تلك الاختلافات العديدة التى نشاهدها فى عالم الأحياء . انها جميعا تشير الى وجود خالق حكيم هو الذى جعل هذه الكائنات الحية قادرة على أن تتحمل ظروفا غير الظروف التى نشأت فى ظلها ، وعلى أن تتلاءم مع هذه الظروف.

ومع ذلك فان دراسة الطبيعة لاتكشف لنا الا عن قدرة الخالق ونظامه المحكم رغم أنها لاتستطيع أن تكشف لنا عن حكمته ومقصده .)

«ونقرأ للأستاذ جورج هربرت بلونت فى صفحتى ٨٠ و ٨١ قوله »

(لقد درس كثير من الباحثين الأسباب التى تجعل الناس يؤمنون ايمانا أعمى يقوم على التسليم ، لا على أساس المنطق والإقتناع ، وما يؤدى اليه هذا النوع من الايمان من أفكار متناقضة حول صفات الله . وتدل الشواهد على أن هنالك نوعا من الاجماع بين الفلاسفة والمفكرين على أن لهذا الكون الها ، ولكنه لايوجد هنالك اتفاق على أن هذا الاله هو ذاته اله الكتب المقدسة .)

«ونقرأ أيضا من نفس المقالة فى صفحة ٨٤ »

(ومجرد الاقتناع بوجود الله لايجعل الانسان مؤمنا ، فبعض الناس يخشون من القيود التى يفرضها الاعتراف بوجود الله على حريتهم ، وليس هذا الخوف قائما على غير أساس ، فاننا نشاهد أن كثيرا من المذاهب المسيحية ، حتى تلك التى تعتبر مذاهب عظمى ، تفرض نوعا من الدكتاتورية على العقول . ولاشك أن هذه الدكتاتورية الفكرية انما هي من صنع الانسان وليست بالأمر اللازم فى الدين).

« نقرأ فى أول مقالة الدكتور دونالد روبرت كار فى صفحة ٨٦ »

(من المحال أن أدخل فى مناقشة حول وجود الله ، دون أن أكون متأثرا ببعض الاتجاهات . وقد يبدو ذلك متعارضا مع الروح العلمية ، ولكن دعنى أوضح ذلك أولا ثم أعقب ببعض الملاحظات العلمية .

عند ما يطلب الينا أن نبين الأسباب التى تدعونا الى الايمان بالله ، نستطيع أن نجد فى بحوثنا العلمية ما يدعونا بقوة الى الايمان به ، ولو أنه ليس من الضرورى أن يكون هو نفس الله الكتاب المقدس ، ثم نحاول بعد ذلك أن نثبت أن هذا الاله هو ذاته الله الكتاب المقدس . وهذا الأمر يعتمد كثيرا على الايمـــان الروحى ؛ ويتوقف على ما يبثه الله من ايمان فى قلوبنا .)

« ونقرأ للدكتور جون أدولف بوهلد فى صفحتى ١٠٤ و ١٠٥ »

(... والواجب أن نتلمس قدرة الله فى النظام الذى خلقه والقوانين التى أخضع لها جميع الظواهر والأشياء ، فقد يستطيع الانسان أن يفسر ما كان غامضـــا عليه باكتشاف القوانين التى تحكمها ، ولكن الانسان عاجز عن أن يسن تلك القوانين ، فهى من صنع الله وحده . ولا يفعل الانسان أكثر من أنه يكتشفها ثم يستخدمهـا فى محاولة ادراك أسرار هذا الكون . وكل قانون يكتشفه الانسان يزيده قربا من الله ، وقدرة على ادراكه ، فتلك هى الآيات التى يتجلى بها الله علينا ؛ وقد لاتكون هذه هى طريقته الوحيدة فى هذا التجلى ، فهو يتجلى أيضا فى كتبه المقدسة مثـــلا ، ومع ذلك فإن تجليه تعالى فى آياته التى نشاهدها فى هذا الكون تعتبر بالغة الأهمية بالنسبة لنا .)

« واخيرا نطالع ما ذكره الاستاذ أندرو كونواى ايفى فى صفحة ١٥٦ عن صفات الله من قوله » .

(لقد درست صفات الله دراسة مطولة على أساس التحليل المنطقى الذى قام به

الفلاسفة . وأمكن باستخدام المنطق الوصول الى أن لله صفات معينة ، وفيمـــا يلى مجموعة غير كاملة منها :

الله أبدى ـ خالد ـ لطيـف (ليس ماديا) ـ ليس حادثا ـ قدوس ـ طيب ـ يعلـم الشر ولـكنه ليس شريرا ولا يريد الشر ـ لا يكره الأشياء ـ حق ـ عليم ـ محب ـ مريد ـ منزه عن الشهوات والنزوات ـ أصل الفضائل جميعا .

وتتفق هذه الصفات الى حد كبير مع الصفات التى وردت عن الله فى الانجيل ، وخاصة فى العهد الحديث . ولـكن معظم صفات الله التى وردت فى الانجيل ، جاءت على انها بديهيات ولم تقدم على أساس منطقى .)

المبحث الثانى

اى الصورتين لله يؤيدها العلم
الصورة المسيحية ام الاسلامية

رأينا فى المبحث السابق ، الله ، كما يتصوره العلماء الذين يثبتون وجود الله علميا كل حسب الفرع من فروع العلم الذى تخصص فيـــه ، واذ نتساءل الآن عن أى الصورتين لله يؤيدها العلم ، الصورة المسيحية أم الصورة الاسلامية ، فاننا لا نكاد أن نعرف من كل ما سبق غير الصورة المسيحيـــة لله ، ألا وهى الآب والابن والروح القدس ؛ كما وجدنا ، والابن هو كما يقولون المسيح عليه السلام ، الذى هو نفسه الله وفقا للتفصيل الذى اشرنا اليه من قبل ، ولـكننا فى كل ما سبـــق لم نشر الى الله كما يؤمن به المسلمون .

ولعلنا لسنا هنا فى حاجة الى تفصيل لبيان فـكرة المسلمين عن الله وتصورهم له ، اذ يكفى فى هذا الصدد أن فـكرة المسيحيين والمسلمين عن الله هى فى الأصل فـكرة واحدة ، فالله هو الأزلى الخالق القادر المهيمن ، بديع السمـــاوات والأرض وما

بينها ، خالق كل شيء ، اليه كل شيء ، اليه المصير؛ الى آخر ذلك مما يقوله المسيحيون والمسلمون عن الله ، أما الفرق بين الله عند المسلمين وعند المسيحيين فانه لا يقوم الا فى تصور المسيحيين أن لله أقانيم ثلاثة ، وان المسيح عليه السلام هو الله نفسه وقد نزل وتجسد ، أو هو الله الابن ، ومن هنا فان وجه الخلاف أصلا يقوم فى تأليه المسيحيين للمسيح عليه السلام والذى لا يرى فيه المسلمون غير انسان بشر ؛ وعلى هذا فبيان مدى مطابقة العلم لصورة الله فى المسيحية أو الاسلام ، انما يكاد أن ينحصر فى بيان ما اذا كانت هذه الصورة المسيحية من تأليه للمسيح تتفق مع العلم أم لا .

وهنا نجد أن العلم انما أيد الفكرة عن الله التى تتفق فيها المسيحية والاسلام ، فالله فيما تقدم فى المبحث السابق ، هو الخالق الأزلى ، الذى ليس له بداية ، العليم المحيط بكل شيء ، القادر دون أن تكون لقدرته حدود ، خالق الكون ، وهو العقل اللانهائى ، خالق قوانين الكون ومسخرها ، الحكيم ولا حدود لحكمته ، تتجلى قدرته فى كل شيء ، الأبدى ، الخالد ، ... الى آخر ذلك من الصفات التى رآها العلماء بحق لله ، وهى كلها صفات يؤمن بها المسيحيون والمسلمون لله .

أما حيث تختلف المسيحية والاسلام ، حيث يرى المسيحيون فى المسيح الله نفسه بينما ينفى المسلمون فى المسيح هذه الألوهية المقال بها ، فهنا وجدنا العلماء بين أحد أمرين ، إما أن يتجاهلوا هذه النقطة تماما ، وقد فعل معظمهم ذلك ، وإما أن يتعرضوا لها ولا ينفلوها ، وقد فعل القليلون ذلك ، وهؤلاء الذين فعلوا ذلك انما نفوا ان يكون المسيح هو الله ؛ بل وصلوا الى أبعد من ذلك ، فقد قالوا أن هذا القول نفسه ، والذى لا ينسجم مع أساليب التفكير ولا أى منطق مقبول ؛ هو الذى يجعل المفكرين ينبذون فكرة الله كلية ؛ أى أنه هو نفسه الذى يؤدى الى الالحاد والكفر بالله بدلا من الايمان به .

وهذا هو ما وجدناه صراحة فى مقالة الدكتور وولتر أوسكار لندبرج ؛ والذى قال بأن جميع المنظمات المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم

فى الله هو على صورة الانسان ، مشيرا بذلك الى المسيح عليه السلام ؛ ويقول بعد ذلك أنه عندما تنمو العقول وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فان تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أساليبهم فى التفكير ولا مع أى منطق مقبول ؛ ويشير بعد ذلك الى أن هذا يؤدى بالمفكرين الى نبذ فكرة الله كلية .

ولسنا ندرى ما هو دين هذا الدكتور ؛ وأغلب الظن أنه يهودى ، لأن أيا من هؤلاء الكتاب الذين أشرنا اليهم ليس مسلما بطبيعة الحال ، ولأنه يشير الى المنظمات المسيحية بما يفهم منه أنه ليس مسيحيا ، ولقد يرى المسيحيون فى ذلك ما يجعل رأيه مشوبا بالتعصب لدينه ، ولكننا لا ننسى فى هذا الصدد أن المسيحيين قد جمعوا العهد القديم الذى يؤمن به اليهود الى ما سموه بالعهد الجديد وجعلوا من كل ذلك كتابا واحدا يؤمنون به فى مجموعه ، ولذا فالمفروض أن صورة الله لا تختلف فى المسيحية عنها فى الموسوية ، ثم ان الرجل انما يتحدث من وجهة النظر العلمية ، وهو انما يشير فى الحقيقة الى أمر واقع ، وهو انتشار الالحاد فى البلاد المسيحية بين المثقفين خاصة ؛ وهو يضع يده بحق على السبب المباشر لهذا الالحاد .

ثم إنه اذا أمكن القول بأن هذا الكاتب انما يتعصب لدينه ، فهذا لا يمكن أن يقال بالنسبة لآخر هو الدكتور جورج ايرل دافيز ، ذلك اننا نعرف من مقالته أنه مسيحى ، وهو فى مقالته يقترب الى حد كبير مما قاله الدكتور وولتر أوسكار لندبرج ، ذلك أنه يقول فى مقالته :

(وينبغى أن نفرق فى هذا المقام بين معارضة الدين أو الخروج عليه و بين الالحاد ، وأن نعترف بأن من يخرج على بعض الأفكار التقليدية التى ينطوى عليها دين من الأديان ، لكى يؤمن بوجود الله قوى كبير ، لايجوز أن نعده بسبب ذلك وحده ملحداً .)

فما هو الخروج على الدين هذا الذى لايرى فيه الكاتب الحادا ، أليس هو

القول بوجود الله قوى كبير ، مخالفا بذلك ما يقول به دينه ، وما يقــول دينه الا بأن المسيح هو الله ، وبذا فالـكاتب لم يقصد الا القول بأن الايمان بالله دون الاعتراف بأن المسيح هو الله لا يجوز أن يعد الحادا ، والـكاتب اذ يريد أن يقول ذلك ، فانه يخشى أن يعترف به صراحة ، لأنه انما لا يستطيع التخلص من عقيدته فى ألوهيــة المسيح والتى تلقى التعليم بها فى السنى الأولى من حياته كما يقول ، وما كان أجــدره بأن يكون أكثر شجاعة وصراحة فى ابدائه لرأيه .

ثم هــــا نحن نرى آخرين ، يتساءلون عما اذا كان الله الذى يثبته العلم هو الله الذى يشير اليه الـكتاب المقدس ، وطبيعة التساؤل هنا تحمل معنى الشك وعدم الاقتناع ، وعلى أى حال فاننا لم نجد كاتبا واحدا انتهى من أبحــاثه الى أن الله الذى يثبت العلم وجوده له أقانيم ثلاثة ، أو أنه انسان أو نحو ذلك على الاطلاق ، بل كل ما وجدناه فى هذ الصدد ينفى ذلك نفيا تاما ، ويجعل القول بذلك سبب الالحــاد بين المسيحيين بحق .

وهذا الذى انتهينا اليه ليس بعيدا عن الواقع بأى حال ، فهــذه الطبيعــة الالهية التى قيل بها للمسيح كانت هى وحدها السبب الأول لانشقاق المسيحيين ، والمعــول الأول فى هدم وحدتهم ، التى يقولون رغم ذلك بأن الدين لا يقوم أصلا الا بها .

وفى هذا الصدد نقرأ فى كتاب الحلقة الثانية من تاريخ الأمة القبطية عن خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر (تأليف الأستاذين كامل صالح نخله وفريد كامل عضو لجنة التاريخ القبطى) ، نقرأ ابتداء من صفحة ٦٨ وتحت عنوان تاريخ الانشقاق :

(كيرلس الـكبير الأول البــــابا الرابع والعشرون (٤١٢ — ٤٤٤م) فى أيامه ظهرت بدعة نسطور أسقف القسطنطينية . ومؤداها «أن لسيدنا يسوع المسيح أقنومين أحدهما انسانى والثانى الهى . وأن السيدة العذراء ليست والدة الاله بل والدة المسيح » فــكتب البابا كيرلس رسالة للرهبان والمتوحدين أدحض بها هــذه البــدعة وأثبت

الإيمان الأرثوذكسي الصحيح . وهو «أن لسيدنا يسوع المسيح أقنوما واحدا الهيا اتحد بالطبيعة الانسانية اتحادا بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، وان السيدة العذراء تدعى بحق والدة الاله » وكتب بعد ذلك الى نسطور نفسه يرشده الى الصواب كما كتب الى القيصر تاودوسيوس والى امرأته واخوته وكتب ايضا إلى أسقف رومه فلم يعبأ نسطور برسالة البابا كيرلس وأصر على رأيه . أما أسقف رومه فعقد مجمعا مكانيا حرم فيه نسطور وبدعته وحدد له عشرة أيام للتوبة . ولكن أسقف أنطاكية انتصر لنسطور وانشقت الكنيسة ....)

ويوضح كتاب رب واحد وكنيسة واحدة الذى سلفت الاشارة اليه ، أثر الانقسامات فى الكنيسة بقوله فى صفحتى ٢١ ، ٢٢ منه :

(وانه لمن الواضح أنه بموجب الكتاب المقدس فان الكنيسة تقوم على صعيدين : فهناك الكنيسة الجامعة غير المرئية والكائنة على الأرض وفى السماء . وهناك أيضا الطائفة المحلية التى تشكل نواة زماننا الحاضر ، ولا يكون عملنا مطابقا لتعاليم العهد الجديد إذا دعونا تلك المنظمات « الكنسية » أمثال اللوثرية أو الثودسيثية أو الكاثوليكية أو غيرها . وانفصال هذه المنظمات سواء أكان ذلك حاصلا فى المدن أو فى القرى ، بين الشعوب أو فى العالم هو مايجعل مشكلة الانقسام بارزة ولهذا يحق لنا ان نتساءل عن قيمة العهد الجديد ؟ .)

وهكذا كان الانقسام فى الكنيسة، والى هذا الحد وصل أثره، الى حد التساؤل عن قيمة العهد الجديد ، فالمسيحيون يؤمنون بأن الكنيسة لايجوز أن تكون غير واحدة، ولكن الواقع غير ذلك ، فهم أمام العديد من الكنائس ، كل تدعى لنفسها أنها الكنيسة الحقيقية وحدها دون غيرها ، وهم لايرون فيما يسمونه بالمصالحة مايمكن أن يكون والكنيسة على هذا النحو من الانقسام ، ثم هم لم يعرفوا الانقسام الا منذ قالوا بألوهية المسيح ، فقبلها عرفوا جميعا فى المسيح فوق كونه رسولا نبيا ، أنه

مجرد انسان بشر مثلهم ، ولو ظلوا على الذى عرفوه لما اختلفوا يوما ، ولكنهم ينسون ذلك كله ، ولا يفكرون فى العودة الى حيث لم يكونوا مختلفين ، وإنما يبدأون دائما من حيث بدأ الخلاف ، فيتمسكون بالقول بألوهية المسيح ، ولا يكون من نتيجة تمسكهم هذا الا استمرار لكل الخلاف والانشقاق والانقسام فى كنيستهم ، ولابد أن يستمروا على هذا الانقسام ، ما داموا متمسكين بالقول بألوهية المسيح ، لأن هذه الألوهية غير صحيحة على أية صورة من الصور ، ولذا يسهل دائما على كل فريق أن يهدم الصورة الأخرى ، ولو أننا جمعنا حججهم جميعا فى هذا الصدد ، لوجدنا أنها تهدم هذه الألوهية القال بها تماما .

ورغم ذلك ، فانهم اذ يمضون فى التمسك بهذه الألوهية القال بها ، لا يجدون من سند يناصرها الا أن يلغى المسيحى عقلة ، فيؤمن بها رغم ما فى قولهم بها فى تفصيلها من مناقضة للعقل والمنطق والحس والمادة وغيرذلك مما وجدناه ، وليس يحق للمسيحى فى هذا الصدد أن يسأل كيف ولا لماذا ، وكما وجدنا لم يجدوا تبريرا لذلك الا القول بأن للناس أن يستخدموا عقولهم الى حد معين ، وحينئذ يجب أن يقف العقل ، وهكذا فقط يستطيعون أن يؤمنوا بألوهية المسيح .

ولكن ليس كل الناس من يقبل أن يقف بعقله ، فالعقل هو أغلى ما وهبهم الله، ولذا فان كثيرا من الناس من يأبى ذلك ، وهم إذ يفكرون، يأبون أن يكون المسيح هو الله ، لأن العقل والمنطق وكل شيء مقبول فى هذه الدنيا يأبى على العقل أن يقبل ذلك ، وهم اذ يجدون أنفسهم على هذا النحو ، ويجدون أن الدين يحاول أن يقسرهم على قبول ذلك ، يدفعهم هذا وحده الى رفض فكرة الله كلية ، أى يؤدى بهم إلى الكفر بالله ، وقد وجدنا أيضا أن القول بألوهية المسيح هو سبب انشقاق الكنيسة وانقسامها ، قرونا طويلة لا يبدو أنها ستنتهى يوما الى عودة وحدتها ثانية ، وبذلك لم تعد الكنيسة اليوم، وفى اعتقاد المسيحين أنفسهم، صالحة لتكون أساسا تقوم عليه

المسيحية الحقيقية .

فما الذى يشير اليه ذلك كله ، ألا يقطع كل هذا بأن ثمة فسادا أساسيا فيما قامت عليه المسيحية ، وألا يشير كل ذلك الى أن هذا الفساد ليس سوى القـــول بألوهية المسيح عليه السلام ، وألا يشير ذلك كله أيضا الى أن التمسك بهذه الألوهية المقال بها لن ينتهى الا الى انتهاء المسيحية نفسها كدين يؤمن به الناس ان آجلا أو عاجلا ، اذ كما رأينا فان من يفكر سينتهى بسبب تمسك المسيحية بالقول بألوهية المسيح ، الى رفض فكرة الله كلية وبالتالى الى الكفر بالله والى الالحاد ، وكما رأينا بالنسبة للكنيسة فالقول بألوهية المسيح والاختلاف حول هذه الألوهية كان السبب فى انشقاق الكنيسة وانقسامها قرونا عديدة الى يومنا هذا ، أليس هذا كله لا ينتهى حقـــا الا الى انتهاء المسيحية نفسها كدين يؤمن به الناس ، وأليس معنى هذا كله ، أن المسيحية لتبقى ، عليها أن تعود الى عهدها الأول ، الى ما قبل الانقسام الأول ، الذى يحاول المسيحيون تغافله وهو الانقسام الذى خرج به بعض اتباع المسيح الذين صـــارت لهم الغلبة فيما بعد ، على ما كان معروفا ومتيقنا عن طبيعته ، من أنه ليس سوى انسان بشر ، وهو ما ظل الكثيرون على الايمان به حتى بعد رفع المسيح عليه السلام بسنين عديدة ولكن المنشقين حاربوهم حتى غلبوهم .

ترى الا يبين بحق أنه بذلك وحده يمكن أن تتوحد المسيحية ويمكن أن تتوحـــد الكنيسة ، ولكن ليس لمجرد وحـدة المسيحية ووحـــدة الكنيسة يجب أن يعود المسيحيون الى ذلك ، وانما لأن هـــذه هى الحقيقة فقط ، يجب أن يعودوا اليها ، وكيف لا يعودون وفى هذا أيضا فوق ذلك وحدتهم التى فقدوها قرونا ، وظلوا يحاولون اعادتها دون جدوى .

الفصل السادس

تأملات ختامية فى هذا الباب

كان هذا الباب فى البحث عن الحقيقة بين ألوهية المسيح وعدم ألوهيته، ووجدنا المسيح عليه السلام وقد عرف طوال سنى حياته رسولا نبيا وانسانا بشرا ، ووجدنا أن المسيحيين والمسلمين يلتقون جميعا فى ذلك ، وكان طبيعيا أن يبدأ البحث من نقطة اللقاء هذه ، بل من سنى اللقاء هذه ، لنتتبع أقوال المسيح والتى يؤمن المسيحيون والمسلمون معا بضرورة الالتزام بها ، ولنتبين ما اذا كان يلبس نفسه فى أقواله ثوب الألوهية التى قالوا بها أم لا ، وتتبعنا أقواله فى الأناجيل الثلاثة الأولى ، فاذا بها جميعا تقطع بنفى الألوهية عن نفسه ، ثم تناولنا رابع الأناجيل ، والذى كتب بعد الأناجيل الأخرى بعشرات السنين ، وبعد رفع المسيح عليه السلام بنحو سبعين عاما ، والذى كتب لإثبات ألوهية المسيح ، فاذا به وحده يورد على لسان المسيح ما يثبت هذه الألوهية لنفسه ، مناقضا برواياته الأناجيل الثلاثة الأخرى ، ولم يكن السبب فى ذلك سوى القصد الثابت لمؤلف هذا الانجيل من محاولته اثبات ألوهية المسيح ، وكان لزاما لمن يستهدف الحقيقة أن يستبعد ما جاء فى هذا الانجيل عن ذلك ، ولم يكن معنى هذا سوى القول بعدم ألوهية المسيح ، ولم يكن هذا القول بدعة جديدة كما وجدنا بحق ، فقد كان هذا هو اجماع كل من عرفوا المسيح فى حياته ، وكان هذا هو ما ظل يعتقده الكثير من المسيحيين حتى بعد رفع المسيح بسنين عدة ، حتى أن يوحنا كتب انجيله للرد على هؤلاء واثبات ألوهية المسيح ، ولم يكن هذا القول منا اذن بدعة ولا انحرافا ، وانما كان الانحراف حقا هو الخروج على ما هو مستقر لدى الناس عن طبيعة المسيح عليه السلام كمجرد انسان بشر ، والقول بألوهيته ، كان هذا هو الانحراف حقا وهو الهرطقة حقا ، ولكن

تغلب الانحراف وتغلبت المرطقة حتى استقر لها الأمر فغدت اليوم عدم الانحراف هو الإنحراف، وعدم الهرطقة هو الهرطقة .

وأول ما نعلمه عن القول بألوهية المسيح بعد رفعه، والجهر بذلك للناس، هو ما نقرؤه فى سفر أعمال الرسل فى الاصحاح الثانى من قول بطرس (فليعلم يقينا جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا.» (٣٦)، وإنه لما يشعرنا بالأسى أن يكون هذا القول من أحد الأشخاص الذين عرفوا المسيح عليه السلام حق المعرفة، ولكن ذلك لم يكن غريبا على ذلك العصر الذى عاش فيه بطرس كما وجدنا من قبل، ولم يكن غريبا على من عرف المسيح عليه السلام حق المعرفة، بل إن هذا هو الطبيعى فى مثل هذه الظروف، ووسط البلبلة التى صاحبت القول بصلب المسيح ودفنه وقيامته، ولكن كان حريا أن يكون هناك من يقف بشجاعة ليعلن الناس عدم صحة هذا الذى قيل لهم، بل الذى لاشك فيه أنه قد كان هناك كثيرون ينفون ذلك، حتى أن يوحنا بعد نحو سبعين سنة يكتب انجيله ليرد عليهم، ولكن للأسف، انتصر الناس لذلك الصوت الجديد المطالب لألوهية المسيح، انتصروا لأن طبيعة العصر كانت تجعل من ذلك الأمر مقبولا لدى الناس ولعلهم رأوا فيه تقديراً منهم للمسيح عليه السلام .

أقول لم يكن هذا الذى حدث غريبا بل كان طبيعيا، وأضيف أن مثله ربما كان سيحدث بين المسلمين عند وفاة محمد عليه السلام، فقد ذهب عمر وهو من أعرف الناس بمحمد عليه السلام، الى حيث كان جثمانه عندما بلغه نبأ وفاته وهو لا يصدق أنه مات، وكشف عن وجهه فألفاه بغير حراك، وبدلا من أن يقتنع بموته حسبه فى غيبوبة لابد أن يفيق منها، وعبثا حاول البعض اقناعه بموته، ولكنه خرج يصيح فى الناس فى المسجد ويقول (ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد أن

قيل قد مات ، ووالله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى ، فليقطعن ايدى رجـــال وأرجلهم زعموا أنه مات) ، وكـان الناس بطبيعة الحال أقـرب الى تصديق عمر ؛ فهذا حال الناس دائما مع رسلهم ، ومن يدرى أى فتنة كـانت تحدث بين المسلمين وأى انشقاق كان سيكون لو اعتقد الناس فى هذا الذى يقوله عمر ، إنه الباطل الذى كـان لابد وأن يجر وراءه باطلا إثر باطل ليقويه ويؤكـده ، ولعلهـــم كـانوا سينتهون أيضا الى تأليه محمد عليه السلام ، ولـكن كان هنالك الشجاع الذى تصدى لـكل ذلك ، تصدى لعمر وللناس الذين كاد أن يحدث قول عمر الفتنة فى قلوبهم ، كان أبو بكر الصديق ، أكبر صحابة محمد عليه السلام ، هاله هذا الذى يسمع بعد أن أيقن من وفاة محمد عليه السلام ، فصاح فى الناس يقول (... أيها الناس ، ان من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت.) ، هكذا فى جرأة وصراحة وشجاعة ، فى جزم ويقين ، ثم تلا على الناس آية من سورة آل عمران تقول ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتـل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين .﴾ (١٤٤) ، وبذا قتل الفتنة فى مهدها ، وآمن الناس جميعا بأن محمدا عليه السلام مات.

ثم اننا اذا مضينا مع منطق المسيحيين لـكان لزاما أيضا القول بأن موسى اله أو هو الله ، فاذا كـان المسيح عليه السلام قد أتى بمعجزات كـثيرة ، فقد أتى موسى بالمذهل من المعجزات ، لقد كانت معجزاته تشمل مصر كلها فى وقت واحد كما نعرف من العهد القديم ، وقد جاء فى العهد القديم أيضا أن الله قد جعل موسى الها وجعل له نبيا أيضا ، اذ نقرأ فى الاصحاح السابع من سفر الخروج «فقال الرب لموسى انظر. أنا جعلتك الها لفرعون . وهارون اخوك يكون نبيك .» (١) ، أفلا يقتضى منطق المسيحيين اذن أن يقولوا عن موسى أنه اله وأنه الله ، ولـكنهم لا يقولون ، لأن هذا غير حق ، ويجب أيضا ألا يقولوا هذا عن المسيح عليه السلام ، لأن هذا أيضا غير حق.

وان المرء ليعجب حقا ، فاذا كان لله ثلاثة أقانيم كما يقولون ، فلمـــاذا لم يقل الرسل قبل المسيح عليه السلام بذلك، هل كانوا يدعون الى عبادة اله آخر غير الله ، وهل كان الناس يعبدون الها آخر غيره ، ان هذا التثليث لو كان صحيحـا لـكانت الدعوة اليه هى رسالة الرسل جميعا قبل المسيـــح عليه السلام ، بل ولـكانت رسالة المسيح أيضا ، ولـكن أحدا من الرسل قبل المسيح لم يقل ذلك ، والمسيح نفسه أيضا لم يقل ذلك ، وانما قيل بهذا من بعده ، ونسب اليه أنه قال به بعد رفعه، أى بعد ما قيل عن صلبه ، ولـكن العقل يستحيل أن يقبل أن يـكون أساس الدين هـو هـذه الأوهام التى قيلت عن ظهور المسيح بعد رفعه أو بعد ما قيل عن صلبه .

وان العجب ليزيد حقا ، حين نجد أن هـؤلاء الذين قالوا بألوهية المسيح وظنوا أنهم بذلك عرفوا الله حقا ، لم يكن من شأن قولهم هذا الا أن يجهلوا الله فى الواقع ، فتخبطوا فى تصورهم لهذه الالوهية ، وانشقوا وانقسموا بهذا التخبـط ، وجعلوا لله قانونا وضعوه بأنفسهم ، وظنوا أن الله يمكن أن يتقيد بقانون يضعـونه ثم يفكرون فى تغييره يوما ، ونسوا أن الله واحد حق لا اله هو لا يتغير أبدا مهـما قالوا ، ولم يكن هذا هو ما أدى بهم اليه القول بألوهية المسيح ، بل أدى بهم هذا الى ما هو أخطر بكثير ، فبعد أن كانوا يعبدون الها واحداهوالله، أدى قولهم بألوهية المسيح واختلافهم حول تصورهم لهذه الألوهية ، الى أنهم أصبحوا يعبـدون أربابا عدة ، لـكل كنيسة ربها الذى يختلف عن رب الـكنيسة الأخرى، وان هذا الحـق، فالله الذى تتصوره الـكنيسة المرقسية الاسكندرية بقولها أن المسيح طبيعة واحدة لهـا صفات وخصائص الطبيعتين الالهية والانسانية معا، هو غير الله الذى تتصوره الـكنائس الأخرى التى تؤمن بطبيعتين متحدتين للمسيح عليه السلام، ويتضح لنا هـذا المعنى بجلاء فى كتاب رب واحد وكنيسة واحدة الذى سلفت الاشارة اليه ، ولا يعنينا هنا الاشارة الى تفاصيل هذا الـكتاب ، وانما عنوانه فقط ، فهو يريد للمسيحيـين ربا

واحدا وكنيسة واحدة ، ونعرف سر طلبه كنيسة واحدة مما هو واقع من أن الكنائس تعددت ، وهو اذن يريد أيضا ربا واحدا لأن الواقع أن الرب قد تعدد عند المسيحيين بتعدد كنائسهم .

ورغم كل هذا تمضى الكنيسة ، لا ، فأية كنيسة هذه التى يمكن الاشارة اليها، لقد تعددت، اذن فتمضى الكنائس قرونا عديدة فى طريق لالقاء فيه ، ويعلمون أن الأصل فى انشقاقهم وانقسامهم كان قولهم بأن المسيح هو الله ، ويقولون بأن هذا الانشقاق يكاد أن يبطل قيمة العهد الجديد كله والمسيحية كلها ، ولكنهم بدلا من أن يضعوا أيديهم على أصل هذا الانشقاق فيستأصلوه ، يدورون حول أنفسهم فى حلقات مفرغة لالقاء فيها أبدا .

بل ويشير العلم فى صراحة ووضوح ، الى سر انتشار الالحادفى الدول المسيحية المتقدمة علميا ، فلا يرى فيه غير تأليههم للمسيح ، ويرون المسيحية تكاد لذلك أن تنتهى ، ولكنهم يصرون على تجاهل الواقع ، ويدورون فى حلقاتهم المفرغة ، ويعجبون اذ يرون الناس يلحدون ، وينسون أنهم أن العقل هو أهم وأغلى انما يصورون لهم الدين بأن من يتبعه يجب أن يقف بعقله عند حد معين ، وينسون ما منحنا الله ، وأن الذى يرتضى أن يقف بعقله سيأتى يوم ولا يكون منه أحد فى الوجود .

ونقرا فى كتاب رب واحد وكنيسة واحدة فى صفحة ٤١ منه :

(وهذه هى الرسالة التى يشتهيها غير المسيحيين فى زماننا لأننا نؤمن بأن الله عن طريق المسيح يستطيع أن يتغلب على العداوات التى بين البشر ، ويضع حدا لها، وفى وسع الكنيسة أن تلعب هذا الدور الخطير عن طريق المصالحة فى المسيح . بيد أن غير المسيحيين يرون أن المسيحيين عن طريق انقساماتهم ومنازعاتهم، لا يدللون أو يبرهنون عمليا عن هذه المصالحة التى يشتهونها . ولذلك فاننا نجد غير المسيحى

يتردد فى موقفه تجاه قبول الرسالة المسيحية أو رفضها. فهواما أن يستاء من تصرفات المسيحيين أو يظل على الأقل محجما ومترددا فى أمره .)

ولا شك أن للسلمين من غير المسيحيين الذين يقصدهم الكتاب، والذى لا شك فيه أن الكاتب لم يعرف الاسلام حق معرفته ، فالاسلام لا يشتهى للمسيحيين انقساما أو انشقاقا ، ولكنه يريد منهم أن يضعوا أيديهم على سر هذا الانشقاق والانقسام فيزيلوه ويتحدوا ، وهو يشير بجلاء ومطابقا الحقيقة والواقع الى أن السر فى ذلك هو تأليههم للمسيح عليه السلام والذى منذ أن قالوا به انشقوا وانقسموا ، ولا يريد الاسلام لهم الا أن يعودوا الى الحقيقة التى بدأ بالانشقاق عنها انقسامهم ، وهى أن المسيح عليه السلام ان هو الا انسان نبى رسول بشر وليس الها بأى حال، وأن يعبدوا الله الذى لا اله الا هو ولا يشركوا به شيئا، وفى هذا يقول القرآن ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. ﴾(سورة آل عمران ٦٤) فالاسلام لا يريد للمسيحيين انشقاقا أو انقساما بأى حال بل لا يريد حتى انشقاقا أو انقساما بين المسيحيين والمسلمين، وانما يريد للناس جميعا مسيحيين ومسلمين، وحتى غير المسيحيين والمسلمين، أن يلتقوا عند كلمة واحدة أن يعبدوا الله جميعا ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ، ولكن اذا كان الاسلام لا يريد الانشقاق أو الانقسام بين المسيحيين كما قلنا، فان هذا الانشقاق وذلك الانقسام سيظل قائما دائما أبدا ما لم يلتقوا على ما دعاهم اليه الاسلام، وهو أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وبالتالى ألا يقولوا أن المسيح هو الله، فهل يرفضون هذه الدعوة المخلصة من أجل الله .

فهل يسمعون ويستجيبون فيلتقون ، ندعو الله أن يفعلوا فيلتقوا ويتحدوا .

الباب الرابع

الإسلام

قلنا فى الباب الأول أنه لمـــا كـنا نعرف أن صلب الخلاف بين المسيحية والاسلام انمـــا يقوم أساسا على الخلاف حول صلب المسيح عليه السلام أو عدم صلبه ، وحـــول ألوهية المسيح عليه السلام أو عدم ألوهيته ، فطبيعى أن نبدأ بالبحث عن الحقيقة بين صلب المسيح أو عـــدم صلبه ، ونتبع ذلك بباب آخر فى البحث عن الحقيقة بين ألوهية المسيح أو عـــدم ألوهيته ، وأضفنا أنه على أساس ما نصل اليه من حقيقة بشأن هذين الأمرين ، نقيم البحث فيما يليها .

ولقد وجدنا بحق ، أن الحقيقة فى هذين الأمرين هى ما جاء فى القرآن ، وما قال به الاسلام ، ووجدنا فـيما ذكرناه من آيات القرآن على ندرتها فى البابين السابقين ، نورا يشع بالحقيقة وحدها ، ويشع بها فى قوة وتحد لا سبيل الى النيل من قبس منها ، وجدنا فى الآيات القرآنية على ندرتها ، قوة لا تـكون الا للحقيقة ويقينا لا يكون الا بالحـــق ، وعلى ما تـكالب للنيل من هذه الآيات ، فقد كانت الغالبة وحدها ، بل كان كل شىء كأنما به عوج دونها ، وبها وحدها استقامت الأمور جميعا ، ولذا ، ولهذا كله ، كان لزاما أن يكون ما نبحثه بعـــد ذلك ، الأصل الذى حوى هذه الآيات ، والدين الذى حوى هذا الأصل ، فكان لزاما إذن أن يكون بحثنا بعد ذلك ... فى الاسلام .

وان هذا الذى انتهينا اليه فى البابين السابقين ، ليجعلنا ، وليجعل القارىء معنا ، حقيقين بأن نقف بالقرآن وبالاسلام على قمة نأبى النزول دونها ، وكيف لا وقد كان للآيات القرآنية ولما قال به الاسلام كل هذا الجلال الذى رأيناه لهما فى البابين السابقين ، ولـكن الواقع أننا لم نقصد بالبابين السابقين أن نجد سندا يؤيد الاسلام أو يؤكده ، وإنما استهدفنا أن نقف على الحقيقة وحدها فيما يختلف فيه الاسلام عما

هو مستقر لدى المسيحيين اليوم ، واذا كان استهدافنا للحقيقة فى ذلك ، قد انتهى بنا الى تأكيد كل ما قال به القرآن والاسلام ، وهو ما يؤكد الاسلام دينا حقا حقيقا بأن نؤمن وبأن نوقن به ، حيث انتهى بنا بالقرآن وبالاسلام عند قمة من اليقين والحق لا تدانيها قمة، فانه يبقى بعد ذلك أن نتناول الإسلام نفسه، فنتعرف على الكيفية التى يتطلب بها من الناس أن يدينوا به ، وذلك فى فصل أول ، وفى فصل ثان نتناول أركان الإسلام ، وفى فصل ثالث وأخير ننتهى إلى التعريف بالإسلام .

الفصل الأول

الكيفية التى يتطلب بها الاسلام من الناس ان يدينوا به

يطلب الإسلام من الناس الايمان بعقائد معينة ، وفى تطلب الاسلام من الناس أن يؤمنوا بهذه العقائد بين الكيفية التى يتطلب من الناس أن يؤمنوا بها ، ولا اختلاف بين المسلمين على هذه الكيفية ، وهى تدور بين النظر العقلى وبين ما يجد الانسان فى نفسه من الشعور الباطنى والاحساس الداخلى ، وليس أيسر لمن يطالع القرآن من أن يجد فيه بنفسه كل ذلك ، ولكننا سنكتفى فى هذا الصدد بان نورد ما أورده فضيلة الشيخ الأستاذ محمود شلتوت الذى كان شيخا للجامع الأزهر(1) والذى يعد منصبه قمة فى الاختصاص بشئون الاسلام حتى أنه يلقب بالأستاذ الأكبر ، ثم نتبع ذلك ببحث عن الاجتهاد الفردى ، قد أورده أيضا فضيله شيخ الجامع الأزهر فى كتابه المشار اليه ، وذلك لما نراه فى هذين البحثين ، وفى كتاب لشخص كان له هذا القدر فى الاسلام ، من إلقاء لأكبر قدر ممكن من الضوء ، على الجانب من الاسلام الذى نبحثه فى هذا الفصل .

المبحث الأول

النظر العقلى والشعور الباطنى واثرهما فى كيفية ثبوت العقيده فى الاسلام

بعد أن بين فضيلة الشيخ السابق للجامع الأزهر فى كتابه «الاسلام عقيدة وشريعة» المشار اليه ، العقائد الأساسية التى طلب الاسلام الايمان بها ؛ وكانت العنصر الأول من عناصره ، وذكر أنها أولا : وجود الله ووحدانيته ، وتفرده بالخلق

(1) كان فضيلته شيخا للجامع الازهر عند صدور الطبعة الاولى من هذا الكتاب .

والتدبير والتصرف ؛ وتنزهه عن المشاركة فى العزة والسلطان ، والمماثلة فى الذات والصفات ، وتفرده باستحقاق العبادة والتقديس ، والاتجاه اليه بالاستعانة والخضوع ؛ فلا خالق غيره ولا مدبر غيره ، ولا يماثله مما سواه شيء ، ولا يشاركه فى سلطانه وعزته شيء ، ولا تخضع القلوب ولا تتجه الى شيء سواه ؛ وثانيا : أن الله يصطفى من عباده من يشاء — عن طريق ملائكته ووحيه الى خلقه — ثم يبعثه اليهم رسولا يبلغهم ، ويدعوهم الى الايمان والعمل الصالح ، وثالثا : الايمان بالملائكة « سفراء الوحى بين الله ورسله » وبالكتب « رسالات الله الى خلقه » ، ورابعا : الايمان بما تضمنته هذه الرسالات من يوم البعث والجزاء « الدار الآخرة » ومن أصول الشرائع والنظم التى ارتضاها الله لعباده ، بعد أن بين الكتاب ذلك جاء فيه فى الصفحات من ٣٢ الى ٣٦ تحت عنوان **الطريق الى الاسلام** :

(والاسلام حينما يطلب من الناس أن يؤمنوا بتلك العقائد ، لا يحملهم عليها اكراها ، لأن طبيعة الايمان تأبى الاكراه ، ولا يتحقق ايمان باكراه ؛ وقد جاء فى القرآن « لا اكراه فى الدين » . وجاء فيه لنبيه محمد « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وكذلك لا يحملهم عليها عن طريق الخوارق الحسية ، التى يدهش بها عقولهم ويلقى بهم فى حظيرة الاعتقاد دون نظر واختيار « ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » . والمعنى أنا لا نشاء ذلك ، لأنا نريد منهم ايمانا عن تقبل واختيار .

لا يحملهم عليها بالاكراه ، ولا يحملهم عليها بالخوارق ؛ انما يحملهم عليها بالبرهان الذى يملأ القلب . وعلى هذا المبدأ عرض القرآن عقائد الاسلام عن طريق الحجة والبرهان .

وكانت حجته التى لفت الأنظار اليها فما يتعلق بعقيدة الإله « وجودا ووحدانية وكمالا » دائرة بين النظر العقلى ، وبين ما يجد الانسان فى نفسه من الشعور الباطنى والاحساس الداخلى .

النظر العقلى :

وفى سبيل الحجة العقليه طلب اليه النظر والتفكير فى هذا الكون .. فى أرضه وسمائه ، وما أودع فيه من أسرار ، وبنى عليه من نظام وإحكام ، وأفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات .. الأمر الذى يحيل فى نظر العقل صدور الكون عن نفسه ، أو عن قوى متضادة متعارضه ، ويوجب فى الوقت نفسه الاعتراف القلبى بأنه لا بد لهذا الكون البديع المتسق الترابط السائر بحكم نظام واحد لا يلحقه خلل ولا انتكاس ـ من مصدر خالق مدبر له ؛ مهيمن عليه ، متصرف فيه عن طريق العلم الشامل ، والقدرة النافذة ، والحكمة البالغة ، وأن هذا الكون سائر بتدبير هذا الخالق الى الغاية التى حددها بعلمه وحكمته . وعندئذ يفعل به ما يشاء مما أرشدت اليه كتبه ، ودل عليه وحيه لأنبيائه ورسله ، من ظواهر انحلاله وفنائه التى كثر الاخبار بها فى القرآن . وتجىء بعدها الدار الآخرة .....

وهذا الطريق هو أكثر ما أرشد القرآن اليه ولا نكاد نرى سورة من سوره الا وفيها كثير من الارشاد الى هذا الطريق ، والدعوة الى التفكير فيه والحث عليه ....

الوجدان الفطرى :

وفى سبيل الشعور الباطنى والوجدان النفسى يرشدنا القرآن ، ويسترعى أنظارنا الى حقيقه نفسية واقعية ، تعبر عن قبس الايمان بوجود الخالق ووحدانيته ، وعن فطرية الشعور الدينى فى نفس الانسان ، وتتمثل فى ذلك الاحساس الداخلى الذى يحسه الانسان من نفسه حينما يتحرر من سلطان الوهم والهوى ، وينفلت من

حكم المادة المظلمة ، أو عنـــدما يفاجأ بالسؤال عن مصدر هذا الـكون ، أو عندما تنزل به شدة تحيط به ، ولا يرى قبلا يقع عليه حسه طريقا للخلاص منها . . .)

ومن كل هذا نعرف أن الاسلام لا يتطلب من الناس أن يدينوا به بالاكراه ، الذى لا يكون معه أى ايمان ، ولا بالخوارق الحسية ، التى لا يكون للايمان اختيـار معها ، وانما يطلب الاسلام من الناس أن يدينوا به ويؤمنوا بعقـائده ، وسنده فى ذلك الحجة والبرهان ، ومنها النظر العقلى والشعور الفطرى ، ولعـل أهم ماعنى به الاسلام دليلا على صحة عقائده ، هو دعوته الى الايمان بها بالنظر العقلى .

المبحث الثانى

الاجتهاد الفردى فى الاسلام

وتحت عنوان الاجتهاد الفردى ، نقرأ فى كتاب فضيله الشيخ السابق للجـــامع الأزهر السالف الاشارة اليه من صفحة ٥٥٩ الى صفحة ٥٦٣ :

(والاجتهاد الفردى حق ثابت فى الاسلام ، لـكل من له أهلية النظر والبحث، يستوى فيه الرجل والمرأة ، والحـــاكم والمحـكوم ، وأرباب الوظائف الـكبرى ، وغيرهم ممن لا يشغلون وظيفة ، وكما يستوون فى ثبوت هذا الحق لهم ، يستوون فى حق احتمال الخطأ ، ولا يعرف الاسلام عصمة أحد من الخطأ ، الا الرسول فيما يبلغه عن ربه ، أما فيما يجتهد فيه فقد سبق أنه فيه عرضة للخطأ ...

واذا كان الرسول فيـــه عرضة للخطأ فان غيره من أمته ، مهما علا كعبـه ، وقربت نسبته اليه ، يكون ــ بالأولى ــ عرضة للخطأ .

لا اختصاص لأحد بحق التفسير والفهم :

ومن هنا يتضح أن الاسلام لا يخص أحدا بحق الاستئناء بتفسير النصوص ، ولا بحق الزام الناس برأيه ، بل يمنح هذا الحق لـكل مسلم حائز لأهلية البحث ، أما من ليست له أهلية البحث ، فان واجبه أن يسأل أرباب الأهلية ، عما يحتاج اليه ، ولا

يلزم باتباع شخص معين ، اذ لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يدين بمذهب فقيه معين ، فإيجابه تشريع شرع جديد.

ولم يزل الناس من الصدر الأول يسألون من يروى من الباحثين المعروفين من غير تقييد برأى معين منهم .

وقد ثبت عن جميع المجتهدين التحذير من تقليدهم فى اجتهادهم الا بعد معرفة دليلهم ، كما ثبت عنهم جميعا « اذا صح الحديث فهو مذهبى واضربوا بقولى عرض الحائط » .

ليس فى الاسلام من يجب الأخذ برأيه « الخليفة والامام والقاضى » :

ومن هنا نعرف أن الخليفة أو الامام ليس معصوما من الخطأ ، ولا هو مهبط الوحى، ولا أثرة له بالنظر والفهم ، وليس له سوى النصح والارشاد، واقامة الحدود والأحكام فى دائرة مارسم الله ، وهو نائب فى وظيفته عن الأمة ، توليه وتبقيه ، وتطيعه ما دام قائما بمهنته ، وقائما على حدود الله ؛ وتعزله اذا انحرف عن الحدود واقتحم حدود الله.

وكما أن هذا وضع الخليفة، فهو وضع القاضى والمفتى ، وشيخ الاسلام و « الملا » فوظيفة القاضى لا تعدو الفصل فى الخصومات بما اختير الحكم به فى القوانين .

الفتوى ليست ملزمة :

وظيفة المفتى لا تعدو بيان المسائل التى يسأل عنها ، فان كان مجتهدا أبدى حكما بنظاره واجتهاده ، وان لم يكن مجتهدا أفتى برأى غيره — أى غير مختار — ومع ذلك وعلى كل فليست فتواه ملزمة لمن يستفتيه ، وللمستفتى مطالبته بالدليل ، وله أن يستفتى غيره ممن يطمئن الى علمه .

أما شيخ الاسلام والملا ، فان المسلمين لا يعرفونهما الا لقبين علميين شاع فى بعض العصور والأقطار اطلاقهما على من عرفوا فى بيئاتهم بامتياز خاص فى علوم الدين

والشريعة ، ولايرتبط بها حق تحليل أو تحريم فى الشريعة ، وليس لها من حق فى العصمة من الخطأ ، بل لايعرفها الاسلام .

اجتهاد الأفراد :

وفى ظل النظر الفردى الذى قرره الاسلام ، اجتهد كل من آنس من نفسه أهلية النظر ، وكان لكل ناظر طريقته فى البحث والاستدلال ....

اسباب تعدد المذاهب :

وبالاختلاف فى طرق الاجتهاد هكذا تعددت المذاهب الفقهية فى الاسلام ودون منها بأصوله وأحكامه ماساعدت الظروف الزمنية على تدوينه ، واشتهر منها وشاع ما ساعدت الظروف على انتشاره .

والمكتبة الاسلامية المنتشرة فى أنحاء المعمورة مليئة بموسوعات كثيرة لكل من هذه المذاهب ....

ثمرة مشروعية الاجتهاد الفردى :

ولقد كان فى تقرير حق الاجتهاد الفردى والجماعى مافتح لأهل البحث والاستنباط من علماء الشريعة الاسلامية،أوسع الأبواب لتخير القانون الذى تنظم به شئون المجتمعات الاسلامية على اختلاف ظروفها ، غير مقيدين فيما يختارون الا بشىء واحد : وهو عدم المخالفة لأصل من أصول الشريعة القطعية ، مع تحرى وجوه المصلحة ،وسبيل العدل ، وكان ذلك أساسا لدوام الشريعة الاسلامية ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ...)،

وبعد ، فهذه هى الكيفية التى يتطلب بها الاسلام من الناس أن يدينوا به ، بالحجة ، بالعقل ، بالبرهان ، بالطبيعة والفطرة ، لا اكراه ، ولا اجبار ، وحتى الرأى ، ليس لمسلم أن يلزم آخر به ، لكل مسلم أهل للبحث ، أن يبحث لنفسه وأن يجتهد برأيه ، دون أن يصح لأحد أن يفرض عليه رأيا يأباه عقله أو منطقه ، أو تنقصه حجته ودليله .

وليس هذا الذى أقوله بصادر عن شخص يحاول أن يبدع فى الدين ، وإنما عن شخص وضعه المسلمون فى القمة فى البحث الدينى وفى الشريعة الاسلامية ، عن فضيلة شيخ سابق للأزهر ، وبالتالى فهو نفسه لا يرى أن له أن يلزم الناس برأيه ، وإنما لكل أن يبحث وأن يجتهد وأن يكون له رأيه الذى يؤمن به ويقتنع به ، ولقد يرد على ذهن البعض ، أن يقارن الاختلاف فى الرأى الذى نتج عن حق الأفراد فى الاجتهاد الفردى ، بما كان من اختلاف بين المسيحيين وانشقاق الكنائس المسيحية ، ولكن الواقع أنه ليس ثمة وجه للمقارنة على الاطلاق ، ذلك أن أصل الانشقاق فى الكنيسة كما بينا فيما سبق هو الاختلاف حول الله نفسه وحــول ماقيل عن ألوهية المسيح وعن تفاصيل هذه الألوهية ، أما الله فلا يختلف فيه اثنـــان من المسلمين ، وكذلك الرسول وغيره من الرسل عليهم السلام ، وإنما الاختلاف عند المسلمين يكون فى الأحكام الشرعية ، وهو مماثل تماما لاختلاف المحاكم فى تطبيقها لقانون واحد فى بعض الأحيان ، ولا يمتد هذا الاختلاف فى الإسلام الى الله أو رسله بأى حــال من الأحوال ، لأن النصوص القرآنية فى هذا الصدد من الوضوح والقطع بما لا يحتمل أى خلاف ، ولا خلاف على الإطلاق أيضا بالنسبة لأى من العقائد الأساسية فى الإسلام ، وإنما الخلاف هو فيما ينظم شئون المجتمعات الإسلامية ، وهى خلافات فى عمومها أقرب الى التلاقى منها إلى التناقض .

ولست الا مقرراً للواقع حين أقول ، أن هذا الكتاب الذى بين يــدى القارىء وما فيه من بحث التزمت فيه من البداية ، ألا أقر بغير الحقيقة وحدها ، إن هــو الا ثمرة من ثمار حرية كل مسلم فى الاجتهاد الفردى ، وفى ألا يقبــل الا مايقوم الدليل والبرهان على صحته وأن يرفض ماعدا ذلك .

الفصل الثاني

اركان الاسلام

ويقوم الاسلام على خمس :

أولاً : شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمـــدا عبده ورسوله .

ثانيا : اقامة الصلاة .

ثالثا : ايتاء الزكاة .

رابعا : صوم رمضان .

خامسا : حج البيت من استطاع اليه سبيلا.

وهذه الأركان الخمسة التي يقـــوم عليها الإسلام ، هي ماتتناوله في المباحث الخمسة التالية .

المبحث الاول

شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله

جعل الإسلام من الشهادة بأن لا اله الا الله وأن محمـــدا رسول الله عنوانا على الإيمان بالاسلام ، وبنطق هذه الشهادة كان الناس يدخلون في دين الاسلام ، ولاشك في أن الشهادة بأن لا اله الا الله هي صلب الايمان وأساس كل دين ، وبهذه الشهادة ينتفي عند المسلم أن يكون هناك أي اله غير الله ، وأما الشهادة بأن محمدا رسول الله ، فهي وان كانت في ظاهرها ، قاصرة على الشهادة بأن محمـــدا رسول الله ، فانها في حقيقتها تتضمن الشهادة بأن كل الأنبيـــاء الذين سبقوه حتى المسيح عليه

السلام هم أيضا رسل الله ، ذلك أن الشهادة بأن محمدا رسول الله يتعين معها الايمان برسالته وقبولها ، واعتبار القرآن وحي الله المنزل عليه والايمان بكل كلمة فيه ، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الأنبياء السابقين وحتم على المسلمين الايمان بهم كما يؤمنون بمحمد عليه السلام ، فيرونهم رسلا وأنبياء كما يرونه ، ولا يفرقون بينه وبينهم ، ولا بين الايمان برسالاتهم ورسالته ، وفي ذلك نقرأ في سورة البقرة:

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . » (١٣٦) .

فالايمان بمحمد والشهادة بأنه رسول الله ، هو في نفس الوقت ايمان برسالته التي تحتم الايمان بالأنبياء الرسل السابقين ، وهذه الشهادة تنطق أحيانا « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » ، وفيها يضاف لفظ العبودية لله الى محمد، وذلك تأكيدا لكونه رسولا بشرا ، وحتى لا يقع الناس فيما وقع فيه المسيحيون من تأليه للمسيح عليه السلام

المبحث الثانى

اقامة الصلاة

للصلاة أهمية كبيرة في الاسلام ، ويجب أن يكون من يؤديها طاهرا ، فان كان الشخص جنبا وجب أن يطهر جسده كله بغسله ، وان لم يكن كذلك يجب عليه الوضوء إن لم يكن متوضئا ، والوضوء هو غسل الوجه واليدين الى مفصل الذراعين والرجلين الى مفصل الكعبين ومسح الرأس .

واذ يكون الانسان طاهرا على هذا النحو ويريد الصلاة فيشرع فيها بتلاوة النداء المعروف بالأذان، ومن شعائر الاسلام الاعلان عن كل صلاة بهذا الأذان وفيه يقول

المؤذن « الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله . » ويتلى هذا الأذان عاليا فى الجوامع قبل كل صلاة، إعلانا للناس بحلول ميعاد الصلاة وليلتقوا فى الجوامع ويؤدوا الفريضة التى فرضها الله عليهم .

والمصلى اذ يبدأ صلاته يقف موليا وجهه شطر المسجد الحرام الذى بمكة، ويفتتح الصلاة بالتكبير قائلا «الله أكبر» ثم يتلوا فاتحة الكتاب أى القرآن وبعضا مما يحفظ من آياته، ثم ينحنى حتى يستوى ظهره ويمسك ركبته بيديه ويسمى ذلك بالركوع، وفى هذا الركوع يقول «سبحان ربى العظيم» ثم يقف من ركوعه قائلا « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد»، ثم يسجد ملامسا الأرض بجبهته ويقول فى هذا السجود «سبحان ربى الأعلى»، ويرفع رأسه جالسا ثم يعود الى السجود ويقول ما قاله فى المرة الأولى، ومع كل حركة من ركوع وسجود واعتدال يكبر الله بقوله «الله أكبر»، وهذا كله يسمى بالركعة .

والصلوات المفروضة خمس، الأولى صلاة الصبح وميعادها بين الفجر وشروق الشمس وبها يستقبل المسلم يومه، وهى ركعتان يجلس المصلى بعد ثانيتهما يحيى الله ويشهد بوحدانيته وبرسالة محمد نبيه وإذ تنتهى الصلاة يلتفت المصلى يمينا ويسارا ويقول فى المرتين «السلام عليكم ورحمة الله»، والثانية صلاة الظهر وميعادها بين الظهر ومنتصف المدة بينه وبين غروب الشمس، وهى أربع ركعات ويؤخر فيها التسليم الى نهاية الركعات الأربع، والثالثة صلاة العصر وهى من وقت انتهاء ميعاد صلاة الظهر وحتى غروب الشمس، وتؤدى فيها أربع ركعات مثل صلاة الظهر، والرابعة صلاة المغرب؛ وتؤدى من ثلاث ركعات وميعادها من غروب الشمس الى زوال شفقها من الأفق؛ والخامسة هى صلاة العشاء؛ ويمتد ميعادها من بعد ميعاد صلاة المغرب والى

قبل طلوع الفجر وتؤدى من أربع ركعات .

وهذه الصلوات تؤدى اما على انفراد وفى أى مكان ، واما جماعة وفيها يقف المصلون صفوفا منتظمة خلف بعضهم البعض ويؤدونها خلف واحد منهم يؤمهم فيها ، وهى تكون فى أى مكان أيضا ، وهى مفضلة دائما فى الاسلام لما فى اجتماع المصلين من فرصة للتآلف والتعارف والتعاون ، ولكن من الصلاة ما يجب أن يؤدى جماعة ، ومنها صلاة الجمعة وهى صلاة الظهر من يوم الجمعة ، حيث يفرض الاسلام على المسلمين أن يؤدوها جماعة ويسمعوا الواعظ قبلها ، ومنها كذلك صلاة العيدين ، حيث يفرض الإسلام على المسلمين أن يؤدوا صلاة الصبح فى العيدين الاسلاميين المعروفين جماعة أيضا ، وتختلف هذه الصلاة عن الصلوات السابقة بزيادة مرات التكبير فيها كما أن المصلين يكبرون الله قائلين :

(الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا اله الا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ...)

كما يصلى جماعة أيضا على الميت بعد تكفينه .

وهذه صورة موجزة للصلاة فى الإسلام ، وهى على هذا النحو حقيقة بالتأمل من وجهتين ، الأولى من حيث هى صلاة فردية يؤديها كل فرد سواء بمفرده أم مع غيره ، أى من وجهة نظر خاصة بالمصلى نفسه ، والثانية من وجهة نظر عامة نتأمل فيها صلاة المسلمين عامة .

أولا : الصلاة الاسلامية بالنسبة للمصلى نفسه :

رأينا أن المصلى يتطهر قبل أن يبدأ صلاته بالاستحمام أو بالوضوء ، ولا شك أن فى هذا التطهر معنى من معانى التقديس لما هو مقبل عليه ، اذ وهو يصلى انما يقف خاشعا بين يدى الله ، ثم نجد أن الصلوات المفروضة يعلن عنها فى مواعيدها بنداء

عرف بالأذان ، وفى هذا النداء يصيح المؤذن بصوت عال من أعلى مكان فى المسجد ليسمعه أكبر عدد من الناس أن الله أكبر الله أكبر ، ويتلو الشهادة التى عرفناها فى الاسلام ، ويدعو الناس الى الصلاة، وان نظرة واحدة الى هذا النداء الذى يدعى به الناس الى الصلاة ، الى كل صلاة ، لأمر لا يملك معه المؤمن الا أن يشعر بالاجلال والتوقير والتكبير لله.

ويفتتح المصلى صلاته بالتكبير لله ، وتكبير الله على هذا النحو هو تكبير له على كل ما يعظمه الناس ، ومعه ترفع اليدان الى الرأس علامة لهذا التكبير أيضا ، ويبدأ المصلى بعد ذلك دائما بتلاوة فاتحة الكتاب ، وهى تبدأ بحمد الله رب العالمين ، وتصفه بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين ؛ ويتوجه اليه المصلى قائلا «اياك نعبد واياك نستعين؛اهدنا الصراط المستقيم؛صراط الذين أنعمت عليهم؛غير المغضوب عليهم؛ولا الضالين .» ، ويختتمها المصلى داعيا أن آمين ، ثم يتلو المصلى بعد ذلك بعض آيات من القرآن؛ ثم يركع ويسجد مكبرا مسبحا لله الرب الأعلى العظيم .

والمتأمل لكل ذلك لابد واجد فيه العبادة فى أجلى صورها ومعانيها فهى — أى الصلاة — فيها تكبير وحمد وتسبيح وركوع وسجود لله رب العالمين ؛ولا يتصور أن تكون ثمة عبادة لله تفوق هذه الصورة أو خشوع له وخضوع يفوق الخشوع أو الخضوع اللذان يصاحبان صلاة هذه صورتها .

ويعيب البعض على الاسلام هذه الحركة فى الصلاة من ركوع وسجود ووقوف. حتى أن بعضهم يقول عنها أنها صلاة شكلية؛وإنه لعجيب حقا أن يقال هذا والناس جميعا يعرفون ان الانسان روح وجسد،ولا يعقل ان تعبد الروح وحدها الله؛ لأن الانسان ليس مجرد روح؛وانما يتعين أن يشارك الجسد الروح أيضا فى العبادة؛ وما عبادة الجسد لله الا بالركوع والسجود له؛بل ان فى هذا الركوع وذاك السجود أيضا عبادة بالروح؛ذلك أن بهما يحس المصلى بأنه يعبد الله حقا .

ونعلم أنه قد جاء فى الأناجيل أن المسيح عليه السلام طلب من الناس أنهم حين يصلون ، لا يكونون كالمرائين الذين يصلون أمام الناس ليقال عنهم أنهم ممن يصلون ، ولذلك طلب منهم أن يتداروا إذ يصلون ، ولكن المسلمين يرون فى كل حين وفى كل مكان ، يؤدون الصلاة ، ولذا يقول البعض من المسيحيين بأن المسلمين فى ذلك انما هم كالمرائين يؤدون الصلاة أمام الناس ليقال عنهم أنهم ممن يصلون .

ولكن لا يمكن القول بانطباق هذا الكلام على المسلمين فى صلواتهم ، فالمسيح عليه السلام لم يفرض على المسيحيين الصلاة فى أوقات معينة ، أما الاسلام فقد فرض خمس صلوات فى اليوم ، وفى مواعيد معينة ، من يتجاوزها عد آثما ، ولذا فان المسلم يؤدى صلاته كلما حل ميعادها حيثما كان ، وهو بطبيعة الحال لا يقف وسط جمع فيطلب منهم أن يفسحوا له ليؤدى صلاته ، وانما لما كانت طبيعة الصلاة وهى عبادة لله وابتهال له ، تقتضى شيئا من الهدوء لانصراف الذهن اليها ، فالمسلم عادة يتخير مكانا يتوفر فيه ذلك وهو مالا يكون فى الغالب الا بعيدا عن الناس ، وقد يكون فى مكان مقفل اذا كان فى بيت أو نحوه ، وقد يكون فى مكان مكشوف كأن يكون فى حقل أو نحوه ، ولكنه على أى حال لا يقصد أن يرى الناس صلاته وانما يقصد أن يؤدى الفرض الذى أوجبه الله عليه فى ميعاده ، أما أن يقصد مسلم بذلك أن يراه الناس مصليا فيعرفون فيه أنه يصلى ، فهذا مكروه بطبيعة الحال وليس من الاسلام فى شىء .

ثانيا : الصلاة الاسلامية من وجهة نظر عامة :

نعلم مما سبق أن الصلاة فى الاسلام فرضت فى مواعيد معينة ، خمس مرات فى اليوم ، فى الصبح ، وفى الظهر ، وفى العصر ، وفى المغرب ، وفى العشاء ، ونعرف جميعا أن الأرض كروية ، وعندما يكون هناك صبح فى مكان منها ، فهناك ظهر

فى مكان آخر ، وعصر فى مكان ثالث ، ومغرب فى مكان رابع ، وعشاء فى مكان خامس ، أى أن هذه الأوقات الخمسة للصلاة ، تكون موجودة دائما على الأرض ولكن فى بقاع مختلفة منها ، فالصبح لا بد وأن يكون دائما فى بقعة معينة على الأرض ، ولا يمكن أن يمر وقت على الأرض لا يكون فيه صبح فى جميع بقاعها ، فوقت الصبح ينتقل مع دوران الأرض الى بقاع مختلفة ، ولكن لا بد وأن يكون هناك صبح فى بقعة ما على الأرض ، وهكذا الحال أيضا بالنسبة للظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فلا بد أن يكون هناك دائما أبدا صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء على الأرض فى بقع مختلفة منها تختلف بدوران الأرض ، ونعلم فوق ذلك أن المسلمين لا يقيمون فى نقطة واحدة على الأرض ولا فى بلدة واحدة ولا فى بقعة واحدة ، بل فى كل بقاع العالم ، فما الذى يعنيه كل ذلك .

لو أن الصلاة كانت قد فرضت فى ميعاد واحد كالصبح مثلا ، فان معنى ذلك أن على المسلمين جميعا فى مختلف أنحاء الأرض أن يصلوا كل صباح ، فاذا عرفنا أن هناك على الأرض صباح فى كل لحظة من اللحظات ، ينتقل من مكان إلى مكان على نحو ما أوضحنا ، فان معنى هذا أنه لا بد وأن تكون هناك صلاة فى كل لحظة من اللحظات ، أى أن الصلاة لا تنقطع أبدا على الأرض ، ولكن الصلاة لم تفرض مرة واحدة فى اليوم ، وانما فرضت خمس مرات ، وكما نعرف ، فلم تحدد الصلاة فى كل مرة بلحظة معينة ، وانما بمدة معينة ، قد تكون ساعة واحدة أو تطول الى بضع ساعات ، وبذا فلا بد أن تتلاقى الصلوات على الأرض دائما وفى مختلف بقاعها بين صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء ، وكل هذا يزيد فى حتمية أن تكون هناك دائما أبدا وفى كل لحظة من اللحظات صلاة لله على الأرض .

ولما كنا نعرف مما تقدم أن الصلاة فى الاسلام فيها تكبير لله وحمد لله ، وتسبيح لعظمته وعلوه ، وركوع وسجود لجلاله ، لأمكننا من جماع صلوات المسلمين

في مختلف أنحاء الأرض ، ان نرى صوتا هادرا الى السماء أبدا ، أن الله أكبر ، لا اله الا الله ، أن سبحان ربنا العظيم ؛ سبحان ربنا الأعـــلى ، الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله رب العالمين ، ولرأينا الناس أبدا راكعين ساجدين لله الذى لا اله الا هو ، ولا يزيد مرور الوقت هذا الصوت الهادر الى السماء بعيد الله الا خلودا وعلوا ، ذلك أن الناس يتضاعفون ، والمسلمون أيضا بطبيعة الحال يتضاعفون ، وفى تضاعفهم مضاعفة لهـــذا الصوت الهـــادر الى السمـــاء ، وفى ذلك تأكيـــد لدوامـــه وخلوده أبدا .

ولما كنا نعرف جميعا أن الله محيط بكل شيء علما ، فهو لا شك محيط بكل صلاة لمسلم على الأرض ، واذا كانت الصلاة تصعد الى الله ، أو هو فى القليل محيط بها علما ، فان أى امرىء ، اذا تصور نفسه بعيدا عن الأرض ، وتصور أنه محيط بكل صلاة لمسلم فى الأرض ، لرأى أن الأرض تكبر الله أبدا ، وتسبح دائما بحمده وعظمته وعلوه ، ولرأى الأرض أبدا ، راكعة ساجدة لله العلى العظيم .

ولست أتصـــور أحـــدا ، يستطيع أن ينـكر على الصلاة فى الاسلام ، وهى على نحـــو مـــا فصلنـــاه فيما سبق ، كل هذا الأثر العظيم ، وكل هذه الوحدة الجامعة بين المسلمين جميعا ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وفى هدير لا ينقطع أبدا ، هدير خالد أبدا ، لا احتمال لانقطاعه ولو للحظة واحدة ، وانما الاحتمال دائما فى تزايده وزيادته علوا وعلوا ، هدير مكبر دائما لله ، مسبح دائما بحمده ، مسبح أبدا بعظمته وعلوه ، بل وتال فى كل لحظة ، آيات الله فى كتابه العزيز ، القرآن الـكريم ، فى سجود وركوع دائمين لله الخالق رب العالمين .

ولست أحسب أحدا يستطيع أن يصف عبادة أخرى ، فيرى فيها شيئا من هذا الـكمال والدوام أومن هذا الجمع الى الأبد ، للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإنه لطبيعى حقـا ، أن يكون اسم المسجد الذى تؤدى فيه الصـلاة ، الجامع ، فانه للحق لجامع على صورة تفوق كل خيال .

المبحث الثالث

ايتاء الزكاة

والزكاة وان كانت فرضا يصيب مال المسلم ، فهى فى الواقع من العبادة ؟ لأن الانسان اذا كان فى الصلاة يتعبد بروحه وجسده ، فهو بالزكاة انما يتعبد بماله، ذلك أن الزكاة انما فرضت على مال المسلمين لصالح الفقراء والمساكين ومن نحوهم ، وهى وان كانت فى طبيعتها صدقة لهؤلاء ، إلا أنها بفرضها على المسلمين رفع عنها معنى الصدقة وأصبحت حقا لمن يستحقونها ، وفى ذلك ما فيه من معنى التضامن والتكافل الاجتماعى وعدم جرح كرامة المرء أو مس شعوره ، وهى فوق هذا تعويد للناس على التصدق بالمال وصرفه فى سبيل الله ، ولا شك أنها لكل ذلك إنما هى أمر محمود للاسلام ، لا يمكن لمؤمن إلا أن يقره ويعمل به ، وبالطبع فى فرض الزكاة ومقدارها وكيفية جمعها وأوجه صرفها ونحو ذلك تفصيل كثير ، وليس مجال البحث هنا هذه التفاصيل ، وإنما مجال البحث هو استعراض عام لأركان الإسلام لتفهمها وبيان أثرها ، ولذا نكتفى بهذا الايجاز هنا عن الزكاة .

المبحث الرابع

صوم رمضان

وقد فرض القرآن على المسلمين أن يصوموا شهرا كاملا كل عام ، هو شهر رمضان ، وحكمة اختيار هذا الشهر بالذات هى أنه الشهر الذى بدأ فيه تنزيل القرآن من الله على رسوله ونبيه محمد عليه السلام ، ويقتضى الصيام الامساك عن الطعام والشراب من وقت شروق الشمس إلى غروبها ، ويحسب البعض أنه يكفى ليكون الانسان قد صام يومه ، أن يمسك عن الطعام والشراب بين شروق الشمس وغروبها ، ولكن الحقيقة أن الصوم أبعد من ذلك بكثير ، اذ لا يكفى فيه

الأمساك عن الطعـــام والشراب فحسب ، بـل يجب له الامساك عن كل ما يمس الفضيلة أو الشرف أو الصلاح أو التقوى .

فلا صـوم لشاهد زور ، ولا صـوم لحاقد أو حاسد ، ولا صـوم لمن يرتـكب الخطايا والمعاصى ، ولا صـوم لمن يفسد فى الأرض ، وبالطبـع ليس معنى هذا أن مثل هؤلاء لا يقبل منهم صوم ، وإنما لا يقبل الصوم منهم إذ ظلوا على حالهم وهم صائمون ، أما أن يتوبوا عمـا كانوا فيه ويبتغوا وجه الله ويصوموا ، فلا شك أن صومهم مقبول .

ولهذا كان لشهر رمضان من الأثر ما يستحيل أن ينـكره من يعيش بـين المسلمين فيه ، فالمسلمون جميعا يحسون لهذا الشهر من الاجلال والتوقير ما لا مزيد عليه لأى شهر آخر ، فالعاصى يستقبله بالاقـلاع عن المعاصى ، والمفسـد يستقبله بالاقـلاع عن المفاسد ، والحـاقد يستقبله بالاقـلاع عن حقده ، والحـاسد يستقبله بالأقلاع عن حسده ، فالـكل يريد أن يصوم هذا الشهر ، والـكل يعلم أن صيامه لا معنى له إن هو بقى على حاله من الشر ، ولذا فالـكل يقلع فيه عما قد يـكون عليه من شر .

ولـكل ذلك فإن فى هذا الشهر دائما ، تتجلى روعة الايمان وروحانية العبادة فى الاسلام ، ويبدو المسلمون جميعا فى شتى أنحاء الأرض فى حلة قشيبة من الورع والتقوى ، لا أخالها إلا الصورة المثالية للايمان ، حتى أن كل مؤمن يتمنى لو كانت كل الشهور رمضان .

ثم يمضى شهر رمضان ، وينتهى عن المسلمين فرض الصوم ، ويرتفع عمن كانوا أشرارا قبله ما جعلهم يقلعون عن الشر ، فهم لرغبتهم فى أن ينالوا ثواب الصوم صاموا أيضـا عن الشر ، ولـكنهم لن يصوموا بعـد ، ومن ثم فلن يفقدوا ثواب الصوم إذا هم عادوا إلى الشر ، ولا نستطيع أن ننـكر أن بعضا من ضعيفى الايمان

يعودون اليه ، ولـكن الذى لايستطيع أن ينـكره أحد ، أن الـكثيرين ، الـكثيرين جدا ، اذ يحسون روعة الايمان وجلاله فى هذا الشهر ، ويعرفون أكثر أثر الشر وعواقبه ، يمضون فى الطريق الذى بدأوه فى هذا الشهر ، فـلا يعودون إلى الشر ثانية ، وحتى هؤلاء الذين لم يصرفهم صوم الشهر فى عام عن الشر ، فهو سيصرفهم عنه حتما فى العـام التالى ، أو الذى يليه ، أو فى أى عام آخر بعده ، ولـكنه لابـد له يوما أن يجذبهم بعيدا ونهائيا عن الشر ، وفى كل هذا وذاك ، فائدة محققة للفرد وللمجموع وللدين .

وهـكذا يبين لنا أثر صوم شهر رمضان من حيث الواقع ، فهو تجربة روحية يمر بها المسلم كل عام ، ويعطى فرصة كل عام لمن انحرف إلى الشر أن يحيد عنه ، ويحيد عنه كثيرون فعـلا تأثرا بهذا الشهر ، وإنها لحـكمة بالغة ألا يكون الصوم فرضا طوال العام كله ، إن البعض قد يقول أنه مادام للصوم هذا الأثر ، فـلم لا يفرض العام كله ، ذلك أنه لو فرض على هذا النحو لـكان فيه اثقال على المؤمنين كافة ، ولما كان هناك ما يدعو الانسان الى التغيير لاستقباله مادام مفروضا كل الأيام ، ولـكن الصوم قد فرض من جهة أخرى ، طوال شهر كامل ، وفى هذا فرصة كافية للناس لأن تتشبع بحب الخير وتجنب الشر .

المبحث الخامس

حج البيت من استطاع اليه سبيلا

وحج البيت فرض على المسلم الذى يستطيع اليه سبيلا ، والبيت المقصود هنا هو الذى أشار اليه القرآن بقوله :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيـات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين . » (آل عمران ٩٦ ، ٩٧) .

والى هذا البيت أيضا تشير آيات أخرى فتقول :

« واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . » (البقرة ١٢٤ – ١٢٦) .

« وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . » (الحج ٢٦ – ٢٩) .

هذا هو البيت الذى فرض القرآن على القادرين من المسلمين أن يحجوا اليه ، واذا كانت أركان الاسلام الأربعه الأخرى ؛ من شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، ليست بعيدة على الاطلاق عن الأديان الأخرى التى سبقته ، حيث تفترض جميعا الايمان بالله ، وفيها أيضا واجب التصدق على الفقراء والمساكين الذى نظمه الاسلام بالزكاة ، وفيها كذلك التعبد لله سواء بالصلاة أم بالصوم ، فان الحج بالذات ، هو أكثر هذه الأركان وضوحا فى ارتباطها بما سبق من الأديان ، وفى بيان أصل الاسلام ؛ حيث نعود الى ابراهيم عليه السلام ؛ والد اسماعيل عليه السلام الذى كان من نسله محمد عليه السلام ؛ ووالد اسحق عليه السلام الذى كان من نسله المسيح عليه السلام ،

فابراهيم عليه السلام اذن هو أب المسيحيين والمسلمين جميعا ، وعلى السواء .

والبيت الذى يحج اليه القادرون من المسلمين كل عام ، هو بيت الله الذى بناه ابراهيم عليه السلام ، بمكة ، وطهره ودعا الناس للحج اليه ، وأسكن عنده من ذريته من كان من نسله محمد عليه السلام ، ومنذ أن بنى البيت ، والعرب يحجون اليه ويعبدون الله فيه ، وكانوا فى البدء يعبدون الله حق عبادته ، ولكن توالى الأيام والسنين ، بل والقرون ، كان له أثره على هذه العبادة ، حتى أن العرب انتهوا الى أن أشركوا بالله ؛ فعبدوا الأوثان والأصنام ، ووضعوها حول البيت ، وجعلوا منها شفعاء لله ، وزادوا فى ضلالهم ، حتى بعدوا بالحج عن حقيقته كعبادة لله الى عبادة للأصنام ، حتى جاء الحق ، حين جاء محمد ، فطهر البيت من الأصنام والأوثان ، ودعا الى عبادة الله الواحد الأحد ، رب العالمين ، الذى لا اله الا هو ، وفرض القرآن على المسلمين أن يحجوا الى أول بيت وضع للناس ، البيت الذى بناه ابراهيم عليه السلام ، ودعا الناس جميعا ليحجوا اليه ، الى الكعبة ، وهم الى اليوم يحجون اليها فى كل عام .

وليس الحج على هذا النحو فحسب ، هو ما يكشف عن الرباط الحقيقى بين الاسلام ، وابراهيم عليه السلام وابنه ، بل كان هناك تقليد آخر ، يكشف عن هذا الرباط الحقيقى ، ذلك أن العيد يعقب الحج مباشرة ، ويبدأ المسلم يومه بعد تأدية صلاة العيد بذبح الضحية ، كبش يذبحه رمزا لافتداء الله لإبن ابراهيم عليه السلام من الذبح ، بعد أن هم ابراهيم عليه السلام بذبحه امتثالا لأمر ربه ، فكان ذبح الضحية فى العيد بعد الحج مباشرة ؛ رمزا وكشفا عن حقيقة الرباط الذى يربط الاسلام بابراهيم عليه السلام .

والحج يجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، فى صعيد واحد ، فيكون لذلك عظيم الأثر بين المؤمنين ، وليس أطهر ولا أنقى قلبا ولا أصفى نفسا من الشخص الذى يحج بايمان وحسن قصد بعد أن يعود من حجه ، وإذا كان شهر رمضان بما يبعثه من روحانية فى المسلمين يجعل الكثيرين ممن اتخذوا الشر سبيلا

يحيدون خلاله وبعده عن كل ماعرفوا من الشر ، فان الغالب الأعم أن الحج لابد وأن يكون له هذا الأثر الا فيما ندر ، عند من يحجون ليقول الناس عنهم أنهم قد حجوا ، أما الباقون ، فما أروع ما يتركه فيهم الحج من أثر فى الواقع ، ومبعث ذلك من ناحية أن الحج انما قد فرض مرة واحدة ، والمسلم إذ يؤدى هذه الفريضة انما يكون قد نوى إذا حسنت نيته ألا يقرب الشر بعدها أبدا ، ومن ناحية أخرى فالحج لمن ينتويه يكون امتدادا للروحية التى بدأها بشهر الصيام ، يبقى عليها بعده إلى أن يحج ؛ فيكون بالحج قد بلغ قمة عالية من الحياة الروحية استمرت أكثر من ثلاثة شهور ، ومن يعيش مدة هذا طولها فى حياة روحية على هذا النحو ، صعب جدا أن يرجع يوما إلى الشر ، ما لم تكن نيته غير حسنة من البدء كما قلنا .

وكانت هذه أركان الاسلام الخمسة ، لم نعمد إلى تفصيلها ، وانما قصدنا أن نتلمس منها جوانب معينة ، توضح أثرها وعمقها ، وامتدادها عبر الأجيال السابقة ؛ إلى ابراهيم عليه السلام ، أبو المؤمنين ، ورسول الله ونبيه؛ وقد بان لنا فى كل ركن من هذه الأركان ، الخير العام ؛ للناس جميعا ، والرباط الخالد ، الذى يربط المسلمين جميعا ، فى مشارق الأرض ومغاربها بايمانهم وبصلاتهم وبكل ما يقيمونه من أركان دينهم ، مما لا أحسب أى مؤمن بالله ، إلا متطلعا اليه فى اعجاب وتقدير ، وفى دعاء وابتهال إلى الله أن يصل دينه إلى هذا الكمال ، ولا أحسب المسيحى بالذات إلا ضارعا إلى الله ، أن يحقق لكنيسته هذه الوحدة الكاملة الجامعة ، التى رآها فى الجامع حين يجمع المسلمين جميعا فى صلواتهم ، على النحو الذى أوضحناه ، فالحق إن هذه الوحدة لتفوق كل أحلام وأمانى المسيحيين التى يتمنوها لكنيستهم ، وبالطبع ليست هذه الأركان الخمسة ، هى كل الاسلام ، وانما هى فحسب ، دعائمه التى بنى عليها ، أما الاسلام نفسه ، كعقيدة ، وكشريعة ، فهو أكبر من كل ذلك بكثير .

الفصل الثالث

التعريف بالاسلام

يقتضى التعريف بالاسلام بيان أمرين . الأول هو بيان ماهو الاسلام ، والثانى هو بيان ما يدعو اليه الاسلام ، ولذلك فان بيان ما هو الاسلام وما يدعو اليه الاسلام ، هو مانبحثه فى مبحثين على التوالى فيما يلى :

المبحث الأول

ماهو الاسلام

لنعرف الاسلام ينبغى أن نعرف الدين عند الله ، فما هو الدين عند الله ، وهنا نعرف أنه منذ أن كان الانسان على الأرض ، كانت معه الخطيئة ، وأنه بتوالى نسل بنى آدم ، توالت الخطيئة والفساد على الأرض ، وكان الرسل والأنبياء ، يدعون إلى عبادة الله والبعد عن كل شر وفساد ، واتخاذ الخير والصلاح سبيلا ، كان نوح عليه السلام ، الذى أنقذه الله سبحانه وتعالى هو ومن معه من الغرق بالفلك الذى أوحى اليه أن يصنعه ، وكان نوح مؤمنا ، وكان من تبعه مؤمنين ، وكان كذلك ابراهيم عليه السلام ، أبو الأنبياء والمرسلين ، أبو المؤمنين ، الذى باركه الله هو ونسله فى الأرض ، وكان ابراهيم عليه السلام مؤمنا ، بل أبو المؤمنين ، وكان رسولا نبيا ، وأبو الأنبياء والمرسلين من بعده ، وكان من تبعه مؤمنين ، وكان أيضا اسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام ، كان الرسل إلى موسى عليه السلام ، وكانوا مؤمنين ، وكان موسى عليه السلام ، وكانت التوراة . وكان مؤمنا ، وكان من تبعه مؤمنين ، وكان الأنبياء من بعد موسى عليه السلام ، وكانوا ومن تبعهم مؤمنين ، ثم كان المسيح عليه السلام ، وكان الانجيل ، وكان

عليه السلام مؤمنا ، وكان من تبعه مؤمنين ، وكان أخيرا محمد عليه السلام ، وكان القرآن ، وعرف محمد عليه السلام مسلما ، وعرف من تبعه بالمسلمين .

واليوم يعرف من تبعوا موسى عليه السلام وآمنوا بالتوراة باليهود أو الموسويين نسبة إلى موسى عليه السلام ، ويعرف دينهم باليهودية أو الموسوية ، ويعرف من تبعوا المسيح عليه السلام وآمنوا بالانجيل بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام أو النصارى نسبة إلى الناصرة بلده عليه السلام ، ويعرف دينهم بالمسيحية أو النصرانية ، ويعرف من تبعوا محمداً عليه السلام وآمنوا بالقرآن بالمسلمين ، ويعرف دينهم بالاسلام ، وكل يؤمن أن دينه هو دين الله ، أو هو الدين عند الله ، وهنا نعود إلى حيث بدأنا فنتساءل ثانية ، ما هو الدين عند الله .

وهنا نجد أن أيا من المسلمين أو المسيحيين أو الموسويين لايستطيع أن ينفى أن نوحا وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء والمرسلين قبل موسى عليه السلام كانوا مؤمنين ، وقد آمنوا ومن تبعوهم بدين الله ، ونعرف أن الموسوية أو المسيحية لم تكن قد عرفت بعد فى عهد أى منهم ، فما هو هذا الدين الذى آمنوا به ، والذى هو دين الله أو الدين عند الله بلا خلاف فى الموسويه أو المسيحية أو الاسلام .

ولم يثبت الكتاب المقدس اسم الدين الذى آمن به واعتنقه هؤلاء الأنبياء ومن تبعوهم ؛ ولذا ليس من سبيل لأن نعرفه إلا بأن يكون اسم هذا الدين هو تعريفه الذى يعرف به ؛ فبم نستطيع أن نعرف هذا الدين ؛ ونعلم أن الله إذ بعث هؤلاء الأنبياء انما بعثهم برسالات يدعون الناس اليها ؛ يجمعها معا أنها تتضمن أوامر الله ونواهيه ، فمن قبلها وانقاد لله فيها بلا اعتراض فهو المؤمن ، الذى آمن بالله وبدينه ؛ وهو الذى يدين بدين الله ؛ وبذا فان الدين عند الله هو الانقياد لأوامر

الله ونواهيه بلا اعتراض (١) ، ولذلك فان الدين عنـــد الله هو الاسلام لله ؛ لأن الاسلام لغة معناه الانقياد لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض ، ومن ثم يـكون الاسلام لله معناه الانقياد لأوامر الله ونواهيه بلا اعتراض ، وهـذا هو ما وجدنا أنه الدين عند الله .

ولهذا يقول تعالى فى القرآن الـكريم :

« إن الدين عند الله الاسلام » . (آل عمران ١٩) .

والمقصود هو الاسلام لله حيث نقرأ فى آيات أخرى :

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فـــله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون » . (البقرة ١١٢) .

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » . (البقرة ١٢٨) .

« إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » . (البقرة ١٣١)

« قولوا آمنا بالله .. ونحن له مسلمون » . (البقرة ١٣٦) .

« فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله » . (آل عمران ٢٠) .

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » . (النساء ١٢٥) .

« قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين » (الأنعام ٧١)

---

(١) لقد قرأت ما أعتبره تعليقا ذلك يقول : (ان الدين ليس كما يظن الكثيرون هو مجرد أوامر ونواهى ، وليست هذه هى رسالة الدين ، بل رسالة الدين الحقيقية هى أن تحب الله من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك لكى يحبك الله ويثبت فيك وتثبت أنت أيضا فيه) جريدة وطنى القاهرية فى ٧٢/٧/١٦ ١ ص٢ عمود٤ السطر١٤ — ٢٠ — والواقع أن ما ورد فى هذا التعليق باعتباره رسالة الدين الحقيقية ورد فى أنجيل متى (ص ٢٢ : ٣٦ — ٣٨) على لسان المسيح ، وباعتباره رســولا موحى اليه بما يقول من الله فان هذه الأقوال تـكون بالتالى من أوامر الله التى يتعين على المؤمن الإنقياد لهـا بلا اعتراض ، ولـكن ليست هذه هى كل رسالة الدين ، لأنه تبقى باقى الأوامر ، كما تبقى أيضا النواهى التى يتعين الانقياد لها أيضا بـلا أعتراض مثل الوصايا لاتقتل ، لاتزن ، لاتسرق .... الخ وبذلك يتكامل الدين عند الله .

« فالهكم اله واحد فله اسلموا» . (الحج ٣٤) .

ولهذا فان الدين عند الله هو الاسلام لله ، وكان الاسلام لله لذلك هـو دين الرسل والأنبياء ومن تبعوهم قبل موسى عليـه السلام ، وما دام هو دين الله فيمكن اختصارا أن يسمى بالإسلام ، لأنه ما دام هو دين الله ، فاذا قيل الإسـلام فحسب ، لزم أن يعرف أنه يقصد به الاسلام لله ، ولذا يكفى أيضا أن يقـال عمن آمنوا بدين الله واتبعوه ، أنهم مسلمون ، وانما لابد وأن يكون مفهـوم ذلك أنهم مسلمون لله .

وبناء على ذلك فقد كان نوح عليه السلام مسلما ، وفى هـذا نقرأ فى القرآن الكريم :

« واتل عليهم نبـأ نوح اذ قال لقومه يا قوم إن كان كـبر عليكم مقـامى وتذكيرى بآيات الله فعـلى الله توكلت فجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولاتنظرون . فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » . (يونس ٧١ ، ٧٢) .

ولذلك أيضا كان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وبنوه مسلمين ، وفى هذا أيضا يقول تعالى فى قرآنه الكريم :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسـلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ... ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقـوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسـلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيـه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهـا

واحدا ونحن له مسلمون » (البقرة ١٢٧ — ١٣٣) .

وكان موسى عليه السلام ، نبيا مرسلا من الله ، وكانت التوراة كتابا منزلا من الله سبحانه وتعالى ، وكان مقتضى الاسلام لله اذن الايمان بموسى عليه السلام رسولا من الله ونبيا ، والايمان بالتوراة كتابا منزلا من الله العزيز الحكيم ، ومقتضى ذلك أيضا أن من تبعوا موسى عليه السلام وآمنوا بالتوراة كانوا أيضا مسلمين ، وفى هـذا نقرأ فى القرآن :

« وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » . (يونس ٨٤) .

ولذلك فالصحيح أن من اتبعوا موسى وآمنوا بالتوراة أنهم كانوا مسلمين لا موسويين ، لأن الدين لله لا للنبى الذى يبعثه الله رسولا الى الناس ، ولأنهم باتباعهم موسى وايمانهم بالتوراة انما يكونوا فعلا قد أسلموا لله فيما أرادهم أن يسلموا له فيه ، وبذا فهم مسلمون حقا وإن لم يسموا أنفسهم كذلك .

وتوالى الرسل والرسالات بعد موسى عليه السلام ، وكان مقتضى الاسلام لله ؛ الايمان بالرسل جميعا وبرسالاتهم ، وهكذا إلى أن بعث الله المسيح عليه السلام رسولا وآتاه الانجيل ، فكان مقتضى الاسلام لله ؛ الايمان بالمسيح عليه السلام رسولا من الله ونبيا ؛ وهكذا آمن به الناس فعلا ؛ والايمان بالانجيل كتابا منزلا من الله ؛ وبذا فان من تبعوا المسيح وآمنوا بالانجيل كانوا أيضا مسلمين ؛ وفى هـذا نقرأ فى القرآن :

« فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » (آل عمران ٥٢)

« واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون » . (المائدة ١١١) .

ثم كان محمد عليه السلام رسولا بعثه الله وأوحى اليه بالقرآن الكريم ، وكان مقتضى الاسلام لله أيضا الايمان بمحمد رسولا من الله ونبيا ، والايمان بالقرآن كتابا منزلا من عند الله ، ولذا فان من آمن بمحمد عليه السلام رسولا من الله ونبيا ، وبالقرآن كتابا منزلا من عند الله ، كان من المسلمين .

وعلى كل هذا ، فان مقتضى الاسلام لله اذن ليس الايمان بمحمد عليه السلام رسولا نبيا وبالقرآن كتابا منزلا من الله ، فحسب ، وانما مقتضى الاسلام لله ، الايمان بكل الرسل الذين سبقوا محمدا عليه السلام وبكل الرسالات التى سبقته والتى كانت جميعها من الله ، وهذا ما عنى القرآن بتوضيحه أكثر من مرة حيث نقرأ فيه :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . (البقرة ١٣٦) .

« قل آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » : (آل عمران ٨٤) .

وهكذا نعرف الاسلام ، فهو دين الله منذ أن كان الدين ، هو الدين عند الله ، هو أن نسلم الله فننقاد لأوامره ونواهيه فى كل زمان بلا اعتراض ، هو دين نوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ، وهو فى عهد موسى الايمان بالرسل السابقين ورسالاتهم بالاضافة الى الايمان بموسى رسولا من الله ونبيا وبالتوراة كتابا من الله منزلا ، وهو بعد عهد موسى الايمان بالإضافة الى ما تقدم بكل الأنبياء الذين تبعوه وبرسالاتهم ، وهو فى عهد المسيح الايمان بالاضافة الى ماتقدم بالمسيح رسولا من الله ونبيا وبالإنجيل كتابا منزلا من الله ، وهو قد ظل هكذا الى أن بعث الله محمدا عليه السلام رسولا من عنده ونبيا وأوحى إليه بالقرآن ، فأصبح الاسلام هو

الإيمان بالإضافة الى كل ما سبق، بمحمد عليه السلام رسولا من الله ونبيا وبالقرآن كتابا منزلا من الله .

وعلى هذا فالإسلام هو دين نوح وهو ملة ابراهيم ودين اسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام ، والإسلام أيضا فى عهد موسى عليه السلام وبعده الى عهد المسيح عليه السلام هو ما عرف باليهودية أو الموسوية ، والأسلام فى عهد المسيح عليه السلام وبعده الى عهد محمد عليه السلام هو ما عرف بالمسيحية ، وبمحمد والقرآن تكامل الآسلام وتكامل الدين عند الله الذى كان منذ أن كان الدين هو الأسلام لله .

ويعلم الله ان اليهود والنصارى سيطلبون من الناس أن يتبعوا دينهم حيث كل يحسب أن دينه وحده هو دين الله، ولذا فهو كما قلنا ، وبمعنى أصح فاننا قد قلنا فيما سبق ما أراد الله أن نقول حيث قال فى القرآن الكريم :

«وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين .» (البقرة ١٣٥)

فهو هنا سبحانه وتعالى يريدنا أن نقول لمن يريدوننا أن نكون يهودا أو نصارى أننا انما نتبع ملة ابراهيم عليه السلام حنيفا وما كان من المشركين، لأن أيا من اليهود أو النصارى لا يستطيع أن يقول عن ابراهيم بالطبع أنه كان مشركا وانما كان نبيا وكان نبيا مؤمنا حقا بل هو أبو الأنبياء والمؤمنين ، ثم يمضى سبحانه وتعالى فيطلب منا أن نسألهم فى تحد ويقين فنقول لهم :

« أم تقولون أن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى . » (البقرة ١٤٠)

والسؤال يتضمن معنى التحدى ، فهم لا يستطيعون فعلا أن يقولوا عنهم أنهم كانوا يهودا أو نصارى ، للسبب البديهى البسيط الذى توضحه آية أخرى تقول :

« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . » (آل عمران ٦٥)

فابراهيم اذن لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، لأن من سموا باليهود هم من آمنوا بالتوراة ، ولم تكن التوراة قد نزلت فى عهد ابراهيم عليه السلام ؛ وكذلك من سموا بالنصارى هم من آمنوا بالانجيل والذى لم يكن قد نزل أيضا فى عهده ، ولذا فلم يكن ابراهيم عليه السلام يهوديا ولا نصرانيا ، ومع ذلك فقد كان مؤمنا تبع دين الله وآمن به ، فما هو هذا الدين الذى آمن به وتبعه ، هذا ما توضحه آية تالية فتقول :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . » (آل عمران ٦٧)

بل يمضى القرآن فى تأكيد ذلك فيقول عن ابراهيم عليه السلام أنه هو الذى سمى المؤمنين بالمسلمين فيقول :

« وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . » (الحج ٧٨)

هذا هو الاسلام ، فى بساطته وفى عظمته ؛ فى يسره وفى عمقه ، هو الدين عند الله ، لأننا لو أردنا أن نعرف الدين عند الله لما استطعنا أن نقول أنه اليهودية على ايماننا بها ، ولا المسيحية على ايماننا بها ، لأننا بذلك انما نكون متغافلين عن الأنبياء المرسلين قبل موسى عليه السلام وعمن اتبعوهم وآمنوا بالله وانقادوا لأوامره ونواهيه بلا اعتراض منهم ، فهؤلاء كانوا ، وباقرار اليهود والمسيحيين أنفسهم ، مؤمنين ، وقد اتبعوا دين الله ، ولكنهم لم يكونوا يهودا أو نصارى ، فماذا كان دينهم ، ثم اذا كانت المسيحية هى الدين عند الله ، فماذا كان دين من آمنوا بموسى عليه السلام رسولا نبيا وبالتوراة كتابا منزلا من الله ، وماذا كان دين الأنبياء بعده ومن تبعوهم الى

المسيح عليه السلام وما كانوا نصارى أو مسيحيين بطبيعة الحال ، ولذا فليس من تعريف للدين عند الله غير الاسلام لله ، أو الاسلام فحسب لأنه لابد وأن يكون الاسلام لله ما دام منسوبا لله ، فالاسلام هو وحده التعريف للدين الذى يجمع الدين كله منذ كان الدين ، ويجمع الرسالات كلها منذ أن كانت الرسالات ، فالله لم يطلب من الناس أن يكونوا يهودا أو مسيحيين ، وانما طلب منهم دائما أن ينقادوا له فى أوامره ونواهيه بلا اعتراض ، فان فعلوا كانوا مسلمين لله ، أو مسلمين اختصارا للتسمية مع ضرورة بقاء مفهومها دائما أنهم مسلمون لله ، ولذا كان نوح عليه السلام ومن تبعه هم المسلمون ، وكان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام ومن تبعهم مسلمين ، وكان موسى عليه السلام ومن تبعه مسلمين، وكان الأنبياء بعد موسى ومن تبعهم مسلمين ، وكان المسيح عليه السلام ومن تبعه مسلمين ، ثم كان محمد عليه السلام وكان القرآن وبذلك تكامل الاسلام ، دين الله منذ أن كان الدين ، الى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه السلام ، والى القرآن آخر كتب الله المنزل على محمد عليه السلام .

فهل غير الاسلام دين ، وهو الدين عند الله :

« ان الدين عند الله الاسلام . » (آل عمران ١٩)

وهل غير الاسلام نبتغى :

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . » (آل عمران)

ويلاحظ هنا ، وفى نطاق ما تقدم ؛ أن الموسوية والمسيحية ليستا غير الاسلام فى مفهوم هذه الآية ؛ لأن الموسوية كما أوضحنا هى الاسلام من عهد موسى إلى عهد المسيح عليهما السلام ؛ والمسيحية هى الاسلام من عهد المسيح إلى عهد محمد عليهما السلام وبمحمد والقرآن الذى نزل عليه تكامل الدين عند الله ؛ ولهذا فليس اسلاما اليوم ما لا يتضمن الايمان بما عرف بالموسوية أو المسيحية ، مع ملاحظة أن المسيحية

المقصودة هنا ، هى المسيحية الحقيقية ، هى الايمان بالمسيح عليه السلام رسولا نبيا وبالانجيل كتابا منزلا من الله ، لأن هذه هى المسيحية الحقيقية ، وفقا لما انتهينا اليه فى البابين الثانى والثالث ، وليست المسيحية بمعتقداتها التى استقرت اليوم، وليس القصد من ذلك بطبيعة الحال محاولة التجنى على المسيحية أو محاربتها ، وانما القصد كله هو التمسك بالمسيحية الحقيقية وكما كانت فى الواقع ، وكما دعا اليها المسيح عليه السلام نفسه ، وهى على هذا النحو كانت الاسلام نفسه الى بعث محمد عليه السلام وتنزيل القرآن عليه ، وبذلك تكامل دين الله ، الذى هو منذ أن كان الدين ، الانقياد لله فى أوامره ونواهيه بلا إعتراض ، أى الاسلام لله ، أى الاسلام .

فهل لمؤمن بالله أن يستكبر فيأبى أن يسلم وجهه لله ، وهل غير الاسلام ، دين الله ، والدين عند الله ، يبنى مؤمن بالله ، وله سبحانه وتعالى أسلم من فى السماوات والأرض :

« أفغير دين الله يبتغون وله أسلم من فى السماوات والأرض . »(آل عمران ٨٣)

وهل أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم :

« ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا . »
(النساء ١٢٥)

واذا كان هذا هو الاسلام ، واذا كانت هذه هى حقيقته ، بكل صراحة وبكل وضوح كما وردت فى القرآن ، فالذى أنا واثق منه أن هذا المعنى الذى فصلته يغيب عن أذهان الكثيرين وفهمهم ، وللأسف حتى بين بعض المسلمين .

فبالنسبة لغير المسلمين ، والذين لا يعرفون العربية على وجه الخصوص ، يكاد أن يكون من المستحيل أن يعرفوا الاسلام على حقيقته هذه ، لسبب بسيط ، وهو أن هذا المعنى الذى انتهينا اليه ، انما هو ماتعرفه من معنى كلمة الاسلام لغة ، فقد

وجدنا أن الاسلام لغة هو الانقياد لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض ، ولذا فقد سمى الله سبحانه وتعالى دينه بالاسلام ، لأن الدين عند الله أن نتقاد لأوامره ونواهيه بلا اعتراض ، ولذا كان الدين عند الله هو الاسلام لله ، أو الاسلام ، وأوضح القرآن بشكل جلاء أن المقصود بالاسلام ، هو الاسلام لله على هذا المعنى. المعروف للاسلام لغة ، ولهذا لم يكن الاسلام اسما اختير للدين ، وانما هو التعريف الوحيد الذى يمكن أن يعرف به الدين عند الله ، لأنه التعريف الذى يستطيع الجمع بين الدين جميعه ، منذ أن كان الدين ، هو وحده الذى نستطيع أن نقول أنه كان دين نوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام ومن تبعهم ، وهو أيضا الدين الذى نستطيع أن نقول أنه كان دين موسى والأنبياء من بعده والمسيح أيضا عليهم السلام ومن تبعهم ، وهو أيضا دين محمد عليه السلام ومن تبعه ، ولذا فالاسلام معنى للدين قبل أن يكون اسما له ، بل هو معنى أولا وأخيراً ، ولكن حين يذكر يذكر الاسلام فى لغة أجنبية ، يذكر بالحروف الأجنبية ، ولكن بنطقه العربى ، ولذلك يصبح فى اللغات الأجنبية اسما لا معنى له الا مجرد كونه اسم لدين ، وهذا خطأ مابعدة من خطأ ، لأن المقصود بالاسلام المعنى أصلا دون الاسم ، والواجب أن تترجم كلمة الاسلام بمعناها فى العربية الى جمع اللغات ، بحيث اذا ذكر الاسلام فى لغة لا يذكر بنطقه العربى ، وانما بمعناه فى اللغة العربية ؛ لأنه بهذا وحده قد يمكن لمن لايعرفون العربية أن يعرفوا الاسلام بمعناه الحقيقى ، وبغير هذا لا يمكن لهم أن يعرفوه ، ولا يعدو الاسلام عندهم أن يكون اسما لامعنى له على الاطلاق .

أما غير المسلمين ممن يعرفون العربية ، فمنهم من يأخذ بظاهر بعض الآيات ، مثل ماوجدناه من قوله تعالى :

« إن الدين عند الله الاسلام . » (آل عمران ١٩) .

و « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . » (آل عمران ٨٥) .

فيحسبون أن الوسوية والمسيحية غير الاسلام فى حكم هاتين الآيتين ؛ وللأسف فان بعضا من المسلمين أيضا قد يرون هذا الرأى ، فيأبون أن يعتبروا الوسويين أو المسيحيين مسلمين ، مع أن المقطوع به من آيات القرآن الكريم ؛ أن من عرفوا بالموسويين فى عهد موسى والى عهد المسيح هم المسلمون فى هذه الفترة ، وأن من عرفوا بالمسيحيين فى عهد المسيح والى عهد محمد هم المسلمون أيضا فى هذه الفترة ، وهم إن كانوا قد سموا بالموسويين أو المسيحيين فان هذا لاينفى أبدا كونهم مسلمين، لأنهم انما قد أسلموا لله فآمنوا بالله وانقادوا له فيما أراد أن ينقادوا له فيه من أوامر ونواهى بلا اعتراض ، فكان الاسلام هو دينهم وان لم يسموا أنفسهم بالمسلمين ، ولكن بعد محمد لم يعد اسلامهم كاملا ، لأن الاسلام الكامل يقتضى أن يؤمنوا بمحمد رسولا من الله ونبيا ؛ وبالقرآن كتابا منزلا من الله ؛ ولكنهم لم يفعلوا ؛ وبذا لم يكمل اسلامهم ؛ ولذلك فنى الاسلام اليوم يعتبر الوسويون والمسيحيون مسلمين ؛ ولكن اسلاما قاصرا غير كامل ، لايكتمل الا بالايمان بمحمد عليه السلام رسولا نبيا وبالقرآن كتابا منزلا من الله كما بينا .

ويلاحظ أنه على العكس من ذلك ، فاذا كان من آمنوا بالرسل الى موسى عليه السلام ورسالاتهم ؛ أو الى المسيح عليه السلام والأنجيل ؛ يعتبرون فى حكم الاسلام مسلمين ، ولكن اسلاما قاصرا غير كامل ؛ لايكتمل اليوم الا بالإيمان بالرسل الى الى المسيح عليه السلام لمن لم يؤمنوا به وبالإنجيل ، وبالإيمان بمحمد رسولا من الله ونبيا وبالقرآن كتابا منزلا من الله ؛ على العكس من ذلك ؛ فان من يؤمن بمحمد عليه السلام رسولا من الله نبيا ، وبالقرآن كتابا منزلا من الله ؛ ولا يؤمن بأى من الرسل أو أى من الكتب قبل ذلك ، لايكون فى حكم الاسلام مسلما ، أى أن من لا يؤمن بالمسيح رسولا من الله ونبيا ، أو بالإنجيل كتابا منزلا من الله ، او بالتوراة كتابا منزلا من الله ، لايكون فى حكم الاسلام مسلما ، ومرجع

ذلك أن القرآن أوجب الايمان بالكتب والرسل قبل محمد عليه السلام ، ومن ثم فان عدم الايمان بأى منهم يناقض الايمان بالقرآن نفسه ومن ثم لايكون اسلاما.

فالاسلام اذن هو الدين عند الله ؛ لأن الدين عند الله هو أن ننقاد لأوامره ونواهيه فى كل زمان بلا اعتراض ، وهذا هو الاسلام ؛ ولهذا كان هو الدين كله ، وهو الرسالات كلها ، فلهذا لزم الايمان بالرسل جميعا ؛ وقد كان الاسلام دين نوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء إلى موسى عليه السلام ، ثم سمى أتباع موسى دينهم باليهودية أو الموسوية وسموا أنفسهم باليهود أو الموسويين ، ولكن كانوا هم الذين سموا دينهم وأنفسهم بذلك لا الله ، الذى لم ير فيهم غير مسلمين له ، وكان الأنبياء بعد موسى عليه السلام وظل أتباعهم يسمون أنفسهم باليهود أو الموسويين ودينهم باليهودية أو الموسوية ، ولكنهم كانوا عند الله أيضا مسلمين، وسمى أتباع المسيح عليه السلام أنفسهم بالمسيحيين أو النصارى ، وسموا دينهم بالمسيحية أو النصرانية ، ولكن لم يسمهم الله أو دينهم بذلك ، بل رآهم أيضا مسلمين ، وبمحمد عليه السلام والقرآن ، ختم الله الدين ، الذى هو الاسلام له ، وعنى فيه بأن يوضح أن الدين ليس اليهودية ولا المسيحية ، بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، بل كان حنيفا مسلما ، وهكذا كان كل من تبعوا الرسل وآمنوا بالله وكتبه من بعد ابراهيم ، وبذلك لايكون الله قد شرع للناس عدة أديان سماوية كما يحسب البعض ، بل دين واحد ، أن نسلم لله رب العالمين وإذا كان اليهود أو المسيحيون اليوم يأبون أن يسلموا ، فان الاسلام هو دينهم الحق وإن كانوا لا يعلمون .

المبحث الثانى

مايدعو اليه الاسلام

أول مايدعوا اليه الاسلام بطبيعة الحال هو ماعرفناه من سبب تسميته بالاسلام، فالاسلام هو أن أن ننقاد لله سبحانه وتعالى فى أوامره ونواهيه بلا إعتراض، فنؤمن بالله الذى لا اله الا هو ، رب نوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ، اله موسى وهارون، رب المسيح عيسى ابن مريم ومحمد، اله الناس جميعا، رب العالمين، خالق كل شيء ، منه كل شيء ، واليه المصير ، عالم الغيب والشهادة ، لايعلم الساعة الا هو له الملك ، وهو على كل شيء قدير.

ولقد أوضح القرآن فى كل جلاء ، أن الاسلام ليس دينا جديدا نزله الله سبحانه وتعالى بعد أديان أخرى ، بل هو الدين الذى نزله جميعه، على كل الأنبياء والمرسلين وهو وحده الذى يمكن أن نسمى به الدين جميعه منذ أن كان الدين ، إذ لا يمكن أن نسمى الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم ممن آمنوا قبل موسى عليه السلام بالموسويين، ولا قبل المسيح عليه السلام ومن تبعه بالمسيحيين، ولكن يمكن أن نسميهم جميعا مسلمين، لأنهم انما أسلموا بايمانهم لله رب العالمين ، ولما كان الاسلام هو الدين كله ، وهو الرسالات كلها ، فلذا لزم الايمان بالرسل جميعا ورسالاتهم وفى هذا نقرأ فى القرآن الكريم:

« شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعو اليه . » (١٣)

ولهذا كان الدين كله واحدا ،وكانت الدعوة كلها واحدة ، ولم يكن ممكنا بالتالى أن تتناقض المسيحية مع الاسلام أو أو أن تختلف معه ، لأن المسيحية كما رأينا ، هى الاسلام نفسه قبل محمد عليه السلام ، ولهذا فلم يختلف الاسلام منذ عهد محمد عليه السلام ، عن الاسلام قبله ، ولهذا أيضا فاننا نجد فى القرآن الكريم ، قمة مايلتقى به

المسيحية على لسان المسيح عليه السلام من كمال ، بل ومافوقهـا ، فاذا كانت قمـة الـكمال فى المسيحية هى قول المسيح عليه السلام :

« أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . . » (متى ص ٥ : ٤٤)

فان القرآن قد بلغ فوق هذه القمة حين قال سبحانه وتعالى فيه :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . » (فصلت ٣٤)

فأى كمال تحمله هذه الآية ، انها لاتدعو فحسب إلى أن نحب من بيننا وبينه عداوة كما دعا المسيح عليه السلام ، وانما تحثنا على أن ننزله من أنفسنا منزلة من هو ولى حميم ، وشتان بين أن نحب شخصا ، وبين أن ننزله من أنفسنا منزلة من هو ولى حميم . .

ولو مضينا مع آيات القرآن كلها ، لما وجدنا فيها الا ماوجدناه فى كل الـكتب السماوية قبله ، وفى كل مادعا اليه الرسل من قبل ، من دعوة الى كل خير وصلاح ، ونهى عن كل فاحشة وفساد ، ولما وجدنا فيه شيئا يختلف عن الدين قبله ، ولـكـن إذا كنا نرى المسيحية اليوم ، تخالف بعضا مماجاء فى القرآن وآمن به المسلمون ؛ من قولهم أن المسيح هو الله وأنه قد صلب ولم يخلصه الله ويرفعه اليه ، فقد وجدنا من قبـل وبكل جلاء ، أن الحقيقة هى ماقال به القرآن وآمن به المسلمون ، وأن هذا القـول عن ألوهية المسيح عليه السلام وصلبه انما قول يخالف الحقيقة والواقـع ويخالف دعوة المسيح نفسها ، وأن المسيحية الحقيقية ، هى فى الايمان بالله وكتبه ورسله ، وبالمسيح مجرد رسول نبى بشر ، وهذه المسيحية الحقيقية كما أوضحنا مرارا ، هى الاسلام نفسه ، الذى تكامل ببعث محمد عليه السلام رسولا نبيا وبانزال القرآن عليه وحيا من الله سبحانه وتعالى .

الباب الخامس
دعوة الحق

الذى نعرفه ، أن البحث فى هذا الكتاب لم يكن محاولة للتقريب بين المسيحية والإسلام ، وانما كان محاولة للكشف عن الحقيقة بينهما ، فاذا الحقيقة مذهلة ، بل اذا بها معجـــزة ، لأن الكشف عنها لم يكشف عن تقريب بين المسيحية والإسلام ، وانما كشف عن وحدة حقيقية كاملة بينهما ، وحدة كاملة لاخلاف ولا اختلاف فيها ، لأن الواحد لايختلف عن نفسه ، اذا بما عرف بالمسيحية ، هو الاسلام نفسه قبل بعث محمد عليه السلام رسولا نبيا ، وما كانت رسالة محمد الا تتمة لهذا الدين ، الذى هــو الاسلام وان عرف بالمسيحية فترة طويلة من الزمن امتدت قرابة الستة قرون ، وكشفت لنا الحقيقة عن أن ما يعرف اليوم عن اختلافات بين المسيحية والاســلام ، انما هى اختـلافات لا أساس لها من الواقع ، تنفيها الحقيقة نفسها ، ويتعــين بعد كشف الحقيقة بشأنها الرجوع عنها الى الحقيقة وحدها ، فتكون للدين كله وحدته وكماله .

ولاشك أننا من جماع كل ما سبق ، نستطيع أن نستخلص دعوة يجب أن نتوجه بها الى الإخـوة المسيحيين فى كل مـكان ، وهذا ما نخصص له الفصل الأول من هذا البـاب ، كما أن هناك ثمة دعوة أخرى نستطيع أن نستخلصها ويجب علينا أن نتـوجه بها الى المسلمين فى كل مـــكان ، وهذا ما نخصص له الفصل الثانى من هذا البـــاب .

وعلى أن ما نتوجه به من دعوة الى المسيحيين أو المسلمين ، انمـا هو من دعوة الحق التى انتهينا اليها ، الا أننا سنفرد فصلا أخيرا من هذا البـاب ، نخصه ببيـان للدعوة ، التى هى دعوة الحق ، ليكون تعريفا لها ، بينما يـــكون الفصلان الأول والثانى على هذا النحو بعضا من تفصيلها .

الفصل الأول

الدعوة الى الاخوة المسيحيين

من المفيد بلا شك ، أن نلقى ضوءا أولا ، على الكيفية التى تدعو بها المسيحية اليوم الناس الى اتباعها ، والكيفية التى يدعو بها الاسلام الناس الى اتباعه لما فى المقارنة بين الكيفيتين من توضيح وكشف لحقيقة الدعوة فى كل منها ، وهذا ما نتناوله فى مبحث أول ، وطبيعى أن دعوة الاسلام الى المسيحيين اليوم أن يختاروه دينا يتدينونه لأنفسهم ، والدعوة على هذا النحو ؛ ومع ما انتهينا اليه من أن المسيحية هى الاسلام نفسه قبل بعث محمد عليه السلام رسولا من الله ونبيا ؛ ليست دعوة الى اعتناق دين جديد ؛ وانما هى دعوة لأن يتموا اسلامهم لله ، لأن يتموا دينهم الذى هو بحق الاسلام وإن لم يعرفوه ، وهذا ما نتناوله فى مبحث ثان ، والذى لاشك فيه ، أن من المسيحيين من قد يأبى رغم كل ذلك أن يسلم لله فيبتغى الاسلام دينا ، والى هؤلاء يتوجه الاسلام ، أن فى القليل احفظوا دينكم كما دعاكم اليه المسيح عليه السلام ، وهذا ما نتناوله فى مبحث ثالث .

المبحث الأول

مقارنة بين كيفية دعوة المسيحية اليوم والاسلام للناس أن يتبعوهما

ولاشك أن خير سبيل للمقارنة هنا ، انما يكون بالمقارنة بين مايمكن اعتباره قمة فى المسيحية والاسلام على السواء ، ولقد تعرضنا فى بحثنا فيما سبق لهاتين القمتين كل على حدتها ، فالقمة فى المسيحيه هى بلاشك تعاليم الكنيسة ، فى الاسلام بلاشك هى فى فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، وتعاليم الكنيسة اذ تدعو المسيحيين الى الايمان بصورة معينة تتضمن تأليها للمسيح ، انما تحدد كيفية معينة يكون الايمان بهذه الألوهيه عن طريقها ، والشيخ السابق للجامع الأزهر اذ يشرح معتقدات الاسلام ، يوضح كيفية معينة يتطلب بها الاسلام الايمان بهذه المعتقدات ، فما هما هاتان الكيفيتان .

وهنا نعود الى ما ذكرناه من قبل مما جاء فى كتيب تعليم كنيسة الإسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ، ونقرأ فى صفحة ١٣ من هذا الكتيب بعد أن قرر الكاتب أن الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن أيضا بناسوته ولكن المسيح عندهم طبيعة واحدة مع ذلك، نقرأ فى صفحة ١٣ وما بعدها قول الكاتب بعد ذلك :

(وقد يبدو فى هذا نوع من التناقض ، ولكن على الرغم مما يبدو فى هذا من تناقض منطقى عقلى ، الا أن كنيستنا لا ترى فيه شيئا من التناقض لأنها تنظر الى طبيعة السيد المسيح نظرة صوفية روحانية ينحل فيها كل ما يبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقض أو محال ، هذه التجربة الصوفية أو الروحانية تعلو على كل تناقض عقلى أو فلسفى ، فيها لا يسأل المسيحى لم ؟ أو كيف؟ ان فى دياناتنا أسرارا نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان لا لشىء الا لأنها قد أعلنت لنا من الله ، ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادى ،لالشىء الا لأننا أيقنا أنها من الله ؛ وكما نؤمن بوجود الله وأنه قادر على كل شىء ، كذلك نؤمن بأسرار دياناتنا من دون أن نكون فى حاجة الى أن نسأل ، لم ؟ أو كيف ؟ ولا شك أن أن العقل الفلسفى لا يستطيع أن يقبل هذا الايمان الصوفى ،...) .

ويستطرد الكاتب فيقول :

(ان لنا أن نستخدم عقولنا الى حد معين ؛ وحينئذ يجب أن يقف العقل ويسلم قياده للتجربة الروحية الصوفية) .

وبعد أن يوضح الكاتب كيفية أن المسيح كما يعتقدون من طبيعتين ولكنه ليس هو طبيعتين بعد الإتحاد ، يقول فى صفحة ١٨ :

(قد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقل الفلسفى أو العقل المادى ، وقد

يكون فيها تناقض ، وقد يكون فيها ما يتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية . كل هذا قد يكون صحيحا ، ولكننا فى الشرق لا نسأل كيف؟ ولا لماذا ؟ ولكننا نصدق ونؤمن بتجربة باطنية روحية صوفية عالية على كل منطق وعقل أن هذا أمر ممكن ، ذلك لأن الله أراده ، وإذا أراد الله شيئا فهو ممكن ، وحتى لو كان هذا غير معقول للعقل المادى فانه معقول للعقل الروحانى الذى لا يعرف لقدرة الله حدودا . وهذا هو « الايمان الذى بلا فحص » الذى يصرخ من أجله الكاهن القبطى فى خدمة القداس الالهى .) .

هذا ما وجدناه فى المسيحية ، وهو تماما عكس ما وجدناه فى الاسلام ، مما قرأناه فى كتاب فضيلة شيخ الجامع الأزهر عن الاسلام عقيدة وشريعة ، حيث قرأنا فيه بعد أن بين كاتبه العقائد الأساسية التى طلب الاسلام الايمان بها ، قوله فى صفحتى ٣٢ و ٣٣ :

(والاسلام حينما يطلب من الناس أن يؤمنوا بتلك العقائد ، لا يحملهم عليها اكراها ، لأن طبيعة الإيمان تأبى الاكراه ، ولا يتحقق ايمان باكراه ، وقد جاء فى القرآن « لا اكراه فى الدين » . وجاء فيه خطابا لنبيه محمد « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وكذلك لا يحملهم عليها عن طريق الخوارق الحسية ، التى يدهش بها عقولهم ويلقى بهم فى حظيرة الاعتقاد دون نظر واختيار « ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » . والمعنى أنا لا نشاء ذلك ، لأننا نريد منهم ايمانا عن تقبل واختيار .

لا يحملهم عليها بالاكراه ، ولا يحملهم عليها بالخوارق ، وانما يحملهم عليها بالبرهان الذى يملأ القلب . وعلى هذا المبدأ عرض القرآن عقائد الاسلام عن طريق الحجة والبرهان .

وكانت حجته التى لفتت الأنظار اليها فيما يتعلق بعقيدة الاله «وجودا ووحدانية وكمالا» دائرة بين النظر العقلى ، وبين ما يجد الانسان فى نفسه من الشعور الباطنى، والاحساس الداخلى.)

ووجدنا أيضا فى الصفحات ٥٥٩ الى ٥٦٣ من نفس الكتاب بيانا لثبوت حق الاجتهاد الفردى فى الاسلام لكل من له أهلية النظر والبحث، ويستوى فى ذلك الجميع ، ووجدنا أنه لا اختصاص لأحد بحق التفسير والفهم ، ومن هنا فانه وان كان واجب من ليست له أهلية البحث أن يسأل أرباب الأهلية عما يحتاج اليه ، فانه لا يلزم باتباع شخص معين ، ووجدنا أيضا أنه ليس فى الاسلام من يجب الأخذ برأيه ، وأن الفتوى ليست ملزمة ، وبذلك أطلق الاسلام العنان للعقل ، وبغير ما حدود .

وهكذا وجدنا أن المسيحية اليوم اذ تتطلب من أتباعها الايمان بألوهية للمسيح انما تحتم قسر أتباعها على الايمان بهذه الألوهية ، دون أن تتيح لأحد أن يسأل كيف ولا لماذا ، وهذا ما يمكن تلخيصه فيما يصرخ به الكاهن القبطى فى خدمة القداس الالهى عن الايمان بلا فحص ؛ وذلك كله بعكس الاسلام، الذى حين يطلب من أتباعه أن يؤمنوا بالله وبقدرته وصفاته وأفعاله، فانما يجعل سنده فى ذلك الحجة والبرهان، والتى تدور بين النظر العقلى والوجدان الفطرى ، وهو ما يمكن تلخيصه بألا ايمان الا بفحص ، ثم اذا بالمسيحية تطلب من أتباعها أن يقفوا بعقولهم عند حد معين، يسلمون بعده قيادها لما يقال عنه بالتجربة الروحية الصوفية؛ بينما يأبى الاسلام أن يسلم أحد عقله لآخر ، ولا يرتضى بأى حال أن يحد العقل بأى حدود .

وبذلك نجد أنفسنا أمام قمتين ، قمة هى الإيمان بلا فحص والوقوف بالعقل عند حد معين يسلم قياده بعده لغيره ، وقمة هى ألا ايمان الا بفحص ، وألا حدود للعقل وألا سلطان لأحد على عقل غيره ، والتطلع الى هاتين القمتين وهما على هذا

النحو ، ليوقن على الفور ، أن الأولى انما هى قمة الترددوالشك، ولهذا تأبى الفحص وتأبى للعقل أن ينطلق ، لأنها تعرف أن هذا كفيل بهدمهـا ، وأما الثـانية ، فهى قمة الثقة واليقين ، لأنها ليست لا تأبى الفحص فحسب ، بل تريده وتحتمه ، ولأنها لا تحد العقل وانما تنطلق به ؛ وما يدل ذلك كله الا على ثقة ويقين لا مزيد عليهما.

فالى أى جانب يمكن للعقل أن تتجه ، بل الى أى جانب يمكن للقلب والفكر والإيمان أن يتجه ، الى دعوة تريد أن تقسره على إيمان بلا فحص، وتريد للعقل أن يقف عند حد معين يسلم قياده بعده لغيره ، أم الى الدعوة التى لا ترتضى منه إيمانا بها الا بفحص يطمئن اليه وتأبى للعقل الا أن ينطلق بغير ما حدود وبغير سلطان لأحـــد عليه إلى جانب هو قمة فى الشك والتردد ، أم إلى جانب هو قمة فى الثقة واليقين ،للحق إن العقل لا يتردد ، وإن القلب والفـكر والإيمان لا تتردد ، فلا بد وأن تتجه الى قمة الثقة واليقين ، الى الإيمان الذى لا يكون الا بفحص ، والى الإيمان الذى يحفظ العقل ولا يحده ، الى الاسلام .

بل إنه لمن العجيب ، أن تظل هناك دعوة فى القرن العشرين ، تدعو الناس الى أن يقفوا بعقولهم ، التى لم يكرمهم الله قدر ما كرمهم بمنحهم اياها ، ولـكن الذى ليس عجيبا على الإطلاق ، هو أن هذه الدعوة فى الدول المتقدمة ، يتناقص أتباعها نسبيا الى حد خطير ، حتى انتشر الإلحاد وكاد أن يشمل دولا بأكملها ، ورب قائل هنا ، فلماذا اذن لم يتجه الناس فى هذه الدول الى الإسلام، ذلك الجانب الذى لا يقبل الإيمان الا بفحص ، ولا يحد العقل عند أى حد ، وهنا نقرر للأسف ، بأن هـذا الجانب الذى كان مفروضا أن تتجه اليه العقول حين تأبى الإيمان بلا فحص ،وتأبى أصحابها أن يقفوا بها عند حد معين ، هذا الجانب وهو الإسلام لا يكاد أن يـكون معروفا بين هؤلاء الناس ، وان عرف فبصورة مشوهة تبعد بعن الحقيقة التى رأيناها له فى هذا البحث ؛ ولو أنه كان معروضا بينهم وبصورته الحقيقية لأتجه اليه هـــؤلاء جميعا ، ولحفظهم بذلك من الإلحاد .

على أنــه لا يفوتنا هنا أن نذكر ، أن هذا الجانب الذى يتطلب من العقول أن تقف عند حد معين ، وأن تسلم بألوهية المسيح بلا فحص ورغم تنـاقضها مع كل عقل ومنطق على نحو ما رأينا، انما هو ما يمثل المسيحية كما هى معروفة اليوم، وهى بخلاف المسيحية الحقيقية التى انتهينا اليها ، والتى تقوم على وحدانية الله وكماله وتنزيهه عن الحلول أو التجسد أو نحو ذلك ، وعلى الايمان بالمسيح عليه السلام رسولا نبيا وانسانا بشرا ، وبرسالته وبالانجيل كتاب الله المنزل عليه ، وهذه المسيحية الحقيقية التى انتهينا اليها ، انما تقف فى الجانب الذى يقف فيه الإسلام تماما ، فــلا ترتضى الإيمان الا بفحص ، ولاتقف بالعقول عند حد معين ، بل تطلقها بغير ماحد ، وهذا كله طبيعى ، لأن المسيحية الحقيقية كما وجدنا ، هى الاسلام نفسه قبل بعث محمــــد عليه السلام ، وذلك وفق ما انتهينا اليه بحق .

المبحث الثانى

اتموا اسلامكم

عرفنا فيما سبق ، أن محمــــدا عليه السلام من نسل اسماعيل ابن ابراهيم أبو الأنبياء والمؤمنين ، ونعلم من سفر التكوين فى العهد القديم ، أن هاجر عندما حبلت من ابراهيم فى ابنه اسماعيل ، أذلتها سارة زوجة ابراهيم فهربت من وجهها . ويضيف الإصحاح السادس عشر بعد ذلك :

« فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية . على العين التى فى طريق شور . وقال ياهاجــــر جارية ساراى . من أين أتيت وإلى أين تذهبين . فقالت انا هاربة من وجــه مولاتى ساراى . فقال لها مــلاك الرب ارجعى الى مولاتك واخضعى تحت يديها . وقال لها ملاك الرب أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا . وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك . » (٧ – ١١) .

ونقرأ في الإصحاح السابع عشر من السفر نفسه عن أسماعيل أيضا :

« أما اسماعيل فقد سمعت لك فيــه . ها أنا أباركه وأثمــره وأكثره كثيرا جدا . إثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة . » (٢٠) .

ونقرأ في الإصحاح الحادى والعشرين من نفس السفر :

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية وأبنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق . فقبح الـكلام جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لا براهيم لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . فى كل ما تقوله لك سارة اسمع لقــولها . لأنه باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك .

فبـكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا إياهمــا على كتفها والولد وصرفها . فمضت وتاهت فى برية بئر سبع . ولما فــرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الأشجار . ومضت وجلست مقابله نحو رمية قوس لأنها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر . لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . » (٩ — ٢٠) .

هذا هو إسماعيل ، جد محمد ، عليهما السلام ، وهذا هو وعد الله له فى العهــد القديم ؛ فملاك الرب يقول لهاجر « تــكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الـكثرة » ، ويقول الله لابراهيم عن اسماعيل « وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » ؛ ويقول ملاك الله ثانية لهاجر عن اسماعيل « قومى احملى الغلام وشدى يــدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . » ، وما هذه الأمة من نسل ابراهيم ، وما هذا التـكثير من نسل اسماعيل ، وما هذه الأمة العظيمة منه ، الا أمة المسلمين اليوم .

هذا هو محمد عليه السلام ، وعنه قال موسى عليه السلام :

« يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثـ لى . له تسمعون . »
(تثنية ص ١٨ : ١٥) .

ويستطرد موسى عليه السلام فيقول أيضا :

« قال لى الرب قد احسنوا فى ما تكلموا . اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون ان الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه . » (تثنية ص ١٨ : ١٧ — ١٩) .

وواضح أن الآيات تشير إلى أن النبى المقصود من وسط اخوتهم ، أى من فرع آخر غير فرعهم ، وهو لا يكون الا من اسماعيل عليه السلام ، وإذا كان الإخـــوة المسيحيون جريا على عادتهم من اسناد كل نبوءات العهد القديم الى المسيح عليه السلام قد قالوا أنه هو المقصود بهذه النبوءة ، فان هذا القول منهم لا يقبل ، لما هو واضح من أنها لا تنطبق إلا على محمد عليه السلام الذى هو من نسل اسماعيل أخو اسحاق عليهما السـلام ، وبذا كان بحق نبيا من وسط اخوتهم ، وهــو مالا ينطبق على المسيح عليه السلام .

هذا هو النبى محمد ، وهذه هى أمته ، وهذا بعض مما جاء عنهما فى العهد القديم ، وكما نعلم فقد حافظ المسلمون على عهد الله لابراهيم عليه السلام فى نسله أن يختتن منهم كل ذكر ، كما جعلوا من البيت الذى بناه ابراهيم ودعا الناس ليحجوا اليه ، بيتا يجب على كل مسلم أن يحج اليه متى استطاع إليه سبيلا .

وتماما كما أوجبت المسيحية على المسيحيين الايمان بكل الرسل وبجميع الكتب المنزلة من الله قبل المسيح عليه السلام ، فقد أوجب الاسلام على المسلمين الايمان بكل ذلك ، وكما يجب على المسيحى أن يؤمن بالمسيح رسولا نبيا وانسانا بشرا وبالانجيل كتابا منزلا من الله ، فانه يجب على المسلم الإيمان بذلك كله تماما ، بل إن هذا هو نفسه الاسلام قبل بعث محمد عليه السلام كما رأينا من قبل .

واذا كان هذا هو ما يدين به من دانوا بالمسيحية الحقيقية ، فان هذا هو نفسه فى حكم الاسلام هو اسلام من دانوا بالمسيحية الحقيقية ، ثم كان بعث محمد عليه السلام ، رسولا نبيا، وكان تنزيل القرآن عليه من الله سبحانه وتعالى ، ولم يعد الاسلام هو ما عرف قبل ذلك بالمسيحية فحسب ، وإنما لزم لتمام الإسلام الايمان بمحمد رسولا نبيا، والايمان بالقرآن كتابا منزلا من الله .

وهذا هو القرآن الكريم ، وهذه آياته ، وقد سبق لنا أن تحدينا فى هذا البحث بعضا من هذه الآيات ، فما كان بحثنا عن الحقيقة بين صلب المسيح أو عدم صلبه إلا تحديا لما جاء فى القرآن من نفى للصلب ، لأننا إنما سلمنا القرآن لمن ينكرونه ليحكموا بشأنه ، حيث احتكمنا لما يحمل منه المسيحيون أنفسهم ودون المسلمين ، أساسا لأبحاثهم ودراستهم ، ومع ذلك فلم تغلب هذه الآيات ولم تقهر ، وانما غلب وقهر كل ماعداها ، لم تنحن ، وانما انحنى اجلالا لها كل ما سواها .

واختبرنا هذه الآيات أيضا فى كل ما قالته عن نفى ما قيل من ألوهية المسيح ، فكانت هى الحقيقة دون غيرها .

صحة لا يعلوها صحة ، ودقة لا تبلغها دقة أخرى ، و كمال لا يفوقه كمال آخر ، هذا هو كل ما ورد فى القرآن ، وهو بين أيدى الجميع ، وليقرأه من يريد وبه نتحدى ، أى انسان بالغا ما بلغ من العلم أو العقل أو الحكمة ، أن يثبت عدم صحة أو دقة أو كمال حرف واحد مما فيه ، وهيهات أن يقدر أحد ، لأنه من الله ، وما من الله هو الكمال كله ، وهيهات أن يقدر أن ينال منه أحد ، فهل بعد الله لا يسلمون فيؤمنون برسوله وبقرآنه .

وهذا هو الله سبحانه وتعالى فى الاسلام ، الذى لا اله إلا هو ، خالق كل شىء ، منه كل شىء ، اليه كل شىء ، عالم الغيب ، وعالم الساعة ، سبحانه وتعالى القادر على كل شىء ، خالق السماوات والأرض ، خالق آدم ، رب نوح ، واله ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ، رب موسى وهارون ، اله المسيح عيسى ابن مريم ومحمد ، رب الناس جميعا ،

اله العالمين ، اليه المصير ، فهل من اله غيره ، وهل عن عبادته أو التسليم له يستنكف أى من المؤمنين .

وهذه هى أركان الاسلام ، شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهى تتضمن الشهادة برسالة الرسل قبل محمد عليه السلام على تفصيل ما قلناه من قبل ، وإيتاء الزكاة وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا وذلك كله على التفصيل الذى أشرنا اليه من قبل،وماوجدناه فيه من كمال ، ثم الصلاة ، وقدوجدنا فيهابحق ، وفى المسجد الذى تؤدى فيه ، ما يحقق للمؤمنين وحدة وجمعا بين المسلمين جميعا ، ومـا يحقق كمالا لاحدود له ولا مثيل له ولا مزيد عليه فى عبادة الله فى الاسلام ، فقد رأينا أنه بهذه الصلاة فى الاسـلام ، سيبقى خالدا أبدا ، ذلك الصوت الهادر كل لحظة وبغير انقطاع أبدا ، بل وبغير احتمال للانقطاع أبدا ولا لأصغر لحظـة ، ان الله اكبر ، لا إله إلا الله ، وأن سبحان ربنا العظيم سبحان ربنا الأعلى ، الحمد لله رب العالمين وستبقى أبدا على الأرض ، رؤوسا تركع وتسجد لله العظيم ، الذى لا اله إلا هو ، ولن يزيد مرورالزمن الا أن يزيد هذا الصوت الهادر أبدا إلى السماء ارتفاعاوعلوا ، وهذه الرؤوس الراكعة الساجدة الخاشعة لله الواحد الأحد أضعافا فوق أضعـاف ، ولن تكون أبدا على الأرض ، عبادة أخرى أو صلاة أخرى يتحقق لها شىء من هذا الـكمال أو قبس من ذلك الخلود .

فهلا ضم الإخوة المسيحيون أصواتهم الى هذا الصوت الهادر الى السماء مكبرا الله حامدا مسبحا راكعا ساجدا له أبدا ، فيعلو صوت الايمان والحق ، ويعلو فى السماء صوت خالد هادر أبدا من الأرض ، مكبرا مسبحا حامدا راكعا ساجدا أبدا لله ربهم ورب العالمين ، ويحققون بذلك الوحدة التى طالما نشدوها فى كنيستهم ، على صورة تفوق كل أمانيهم وأحلامهم بشأن الوحدة ، وهى أمامهم وبين أيديهم وهى تتمة دينهم ، فى المسجد ، الذى سمى بحق بالجامع ، فهلا يفعلون ، فان فعلوا

فقد فازوا واهتدوا وأتموا دينهم ، وان لم يفعلوا ، فلن يخفت أبدا ، ذلك الصوت الصادر الى السماء مكبرا مسبحا حامدا راكعا ساجدا أبدا لله ، وانما سيزيد أبدا علوا وخلودا ، كلما مضى به الوقت .

والذى آمله ألا يكون هناك على أى حال من المسيحيين من يستنكف عن أن يكبر الله أو يحمده أو يسبح بعلوه وعظمته أو يركع أو يسجد له ، لأنه لا يستنكف عن ذلك الا الكافرون .

هذا هو الاسلام ، فهل بعد من الإخوة المسيحيين من يستنكف عن الاسلام لله ، وهل يستنكفون وهم بإيمانهم بالمسيح عليه السلام رسولا نبيا وانسانا بشرا ، وبإيمانهم بالانجيل كتابا منزلا من الله ، وبإيمانهم بالرسل والكتب قبل المسيح انما قد أسلموا لله فيما أراد لهم أن يسلموا له فيه ، ولكن بعد محمد عليه السلام لا يكمل الاسلام الا بالايمان به رسولا نبيا وبالقرآن كتابا منزلا من الله ، فهل يؤمنون .

المبحث الثالث

فاحفظوا دينكم

كانت قضية الدين دائما ، هى الايمان بوجود الله ، الاله الذى لا اله الا هو ، خالق كل شىء ، رب كل شىء ، منه كل شىء ، اليه كل شىء ، واليه المصير ، وكانت الدعوة الى الايمان بالله وبوجوده على هذا النحو هى قضية الدين منذ أن كان الدين ، وكان الكفر بالله ، هو عدم الايمان بوجوده على هذا النحو ، وهكذا كان الأساس فى دعوة كل الأنبياء والمرسلين ، الدعوة الى الايمان بوجود الله وعبادته ؛ واستمرت هذه دعوة الرسل والأنبياء جميعا ، الى المسيح عليه السلام ، الذى انما دعا هو الآخر ، الى الايمان بالله ، الذى دعا الى الايمان به الأنبياء والمرسلون من قبله ، الى الايمان بوجوده وعبادته .

ولكن ، وبعد رفع المسيح عليه السلام ، ظهر بين المسيحيين من قال بأن المسيح نفسه هو هذا الاله أو هو الله ، وكان هذا جديدا فى المسيحية ، ولم يظهر إلا بعد رفع المسيح عليه السلام ، ولم يتقبله لذلك كل من تبعوا المسيح ، وإنما بقى الكثيرون على ايمانهم بالله على النحو الذى دعاهم اليه المسيح عليه السلام ، وعلى النحو الذى دعا اليه جميع الرسل والأنبياء من قبله ، وظلوا على ايمانهم هذا ، وظلوا على اعتقادهم فى المسيح مجرد انسان بشر ، وإن كان رسولا نبيا ، وان كان قد ولد أيضا من عذراء ، وان كان قد صنع ما صنع من المعجزات باذن الله ، ولكن الآخرين أخذتهم هذه الدعوة الجديدة ، ولعل مبالغتهم فى حبه عليه السلام دفعتهم إلى تقبل القول بتأليهه ، وبمضى الزمن دخلت الدعوة الى تأليه المسيح فى صلب المسيحية ، وزاد من اتبعوها وان بقى كثيرون أبوا أن ينحرفوا عن ايمانهم الأول الذى تلقوه من المسيح نفسه عليه السلام ، ولكن كانت الغلبة لمن اعتنقوا الايمان بألوهية المسيح ، حتى أصبح من ينفى هذه الألوهية اليوم عدوا للمسيحية حقيقا بأن يحارب ، وحتى حوربت أناجيل مختلفة وأحرقت ؛ ولا شك أن بعضا منها كان ينفى هذه الألوهية ، والا لما كان ثمة ما يدعو من آمنوا بهذه الألوهية الى احراقها ، وبقيت الغلبة الى اليوم ، للذين انحرفوا عن الايمان الأول ؛ وقالوا بخلاف ما كان معروفا ، بألوهية المسيح ، ولا يكاد يوجد بين المسيحيين اليوم من ينفى هذه الألوهية .

ولكن ، وبذلك ، انقلبت قضية الدين ، فبعد أن كانت هى الايمان بوجود الله ، والدعوة الى عبادته ، وبعد أن كانت قضية الدين كلها هى محاولة اثبات ذلك ، أصبحت قضية الدين فى المسيحية ، هى محاولة اثبات ألوهية المسيح ، ولم يكن لهذا من نتيجة الا أن يشتت كل الجهد الذى يبذل لقضية الإيمان ، فاذا كان من الممكن اثبات وجود الله بصورة منطقية ومقبولة ومتفقة مع كل منطق وكل عقل ، فان من المستحيل اثبات أية ألوهية للمسيح وبأية صورة من الصور المقبولة ، ولهذا

يكاد جهد المسيحيين اليوم أن ينصرف لا الى اثبات وجود الله والدعوة الى عبادته ، وانما الى محاولة قسر الناس على الايمان بألوهية المسيح ، على ما فى كل صور الألوهية التى قالوا بها له من مخالفة للعقل والنطق ولكل ما يمكن قبوله على نحو ما رأينا من قبل ، ولذلك لم يكن فى القول بهذه الألوهية للمسيح الا وبالا على الدين نفسه ، فيه انقسم المسيحيون أولا الى قسمين قسم بقى على ايمانه الأول ، الذى تلقاه عن المسيح عليه السلام ، وظل على ايمانه بالله الواحد الأحد الذى لا اله الا هو ، وبالمسيح رسولا نبيا انسانا بشرا ، وقسم آخر اعتنق الإيمان بألوهية المسيح ، ثم تغلب من اتبعوا القسم الثانى وانتشر بين المسيحيين الاعتقاد بألوهية المسيح ، ولكن لم يكن ذلك توحيدا لكلمة المسيحيين وايمانهم ، وانما كان بداية لانشقاقات وانقسامات أخرى فى الكنيسة وبين المسيحيين استمرت على مدى القرون العديدة التى عاشتها المسيحية على الأرض الى اليوم ، ولم يزدها الزمن الا انشقاقا وانقساما ، ومرجع ذلك كله ، الاختلاف حول تصور هذه الألوهية ، حتى انتهت المسيحية اليوم ، وكما يقول المسيحيون أنفسهم ، الى صورة يتساءل معها المرء ، عما اذا كان للعهد الجديد قيمة حقا .

بل والأخطر من ذلك بكثير ، فان انتشار الحضارة بين الدول المسيحيه ، وتفتح العقول والمدارك فيها على العلوم الحديثة ، يجعل هذه العقول وتلك المدارك تأبى هذه الصورة لله ، ولكن لأن المسيحية وهى الدين الذى يدعوهم الى عبادة الله ، تصور الله على هذه الصورة الانسانية التى عرف بها المسيح ، حتى أنهم يقولون عنه الاله المتأنس ، فانهم يأبون تقبل هذه الصورة ، وهو ما ينتهى بهم الى انكار وجود الله كلية كما رأينا من قبل ، أى إلى الالحاد ، وبذلك فان السبب الأساسى لإنتشار الالحاد فى الدول المسيحية المتقدمة علميا ، ليس هو أن العلم لا يتفق معه أن يكون هناك اله ، وانما هو أن هذه الصورة للاله التى تحاول المسيحية اليوم أن

تقسر العقول على تقبلها ، لاتتفق بحق مع العلم ، بل وكما رأيناولا مع العقل ولاالمنطق ولا أى شيء مقبول .

والواقع ؛ وكما وجدنا من قبل ؛ أن القول بألوهيةالمسيح عليه السلام على هذا النحو ، ما كان ليكون سببا للإنشقاق والانقسام فى المسيحية حتى ليهدر كل قيمة لها ، وما كان ليكون سببا الكفر بوجود الله والإلحاد ، الا أن تكون هذه الألوهية القائل بها لا أساس لها من الواقع ، وهـذا هو ماوجدناه بحق ، ولذا يتعين عليهـم أن يرجعوا الى دينهم ؛ كما دعاهم اليه المسيح عليه السلام ، وكما كان قبل أن ينشقوا عنه أولا ويقولوا بألوهية المسيح، فيحفظون بذلك دينهم ، ويحفظـون الله فيحفظهم ، ويصدون تيار الالحاد الذى يكاد أن يقضى تماما على دينهم،وهوفاعل ذلك بتقدم المدنية والحضارة ، وبمرور الزمن ، مالم يعودوا الى دينهم الحق ، ويعودوا الى القول بأن لا اله الا الله ، وبأن المسيح ابن مريم عليـه السلام ، ماهو الا رسـول نبى وانسان وبشر .

وهذا الذى تحتمه الحقيقة والواقع ، على المسيحيين أنفسهم ، هو نفس مايدعوهم اليه ، الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم ، حيث يقول تعالى :

«قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . » (آل عمران ٦٤) .

وبذلك أكد القرآن ، أنه ليس دعوة إلى دين جديد ، وليس محاربة للمسيحية أو مناهضة لها ، وإنما وكما عرفنا من الآيات الأخرى ، فان ما عرف بالمسيحية قبل بعث محمد عليه السلام هو فى الإسلام، الاسلام نفسه ، مع ملاحظة واحدة ، وهى أن هذا الإسلام قبل محمد إنما هو دعوة المسيح الحقيقية ، إلى عبادة الله الواحد الأحد الذى لا إله الا هو والإيمان بالإنجيل المنزل من الله سبحانه وتعالى على المسيح عليه السلام ، ولذلك أوضح القرآن بحق ، أن أهم ماياخذه على المسيحية كما عرفت بعد المسيح

عليه السلام ، هو تأليه المسيحيين للمسيح واتخاذهم له إلها من دون الله ، مناقضين بذلك قضية الدين عند الله ذاتها ، ولذلك كله ، وتأكيدا لأن الايمان بالله وحده ، بوجوده وعبادته دون الإشراك به ، هوقضية الدين كله ، وتأكيدا لأن الدين ليس مجرد اسم يتخذ وانما هو عبادة الله دون اشراك به ، وتأكيدا لأن الاسلام ليس دينا جديدا جاء يناقض المسيحية أو يحاربها ، وانما هو تتمة للدين كله عند الله ، الذى هو الإسلام لله ، وان عرف قبل محمد عليه السلام بالمسيحية ، تأكيدا لكل ذلك ، يدعو القرآن أهل الكتاب ، ومن بينهم المسيحيين ، إن لم يرتضوا الإسلام دينا ، حيث أن هذا هو الأصل ، أن يلتقوا مع المسلمين على كلمة سواء ألا يعبدوا إلا الله وألا يشركوا به شيئا ولا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله .

ولا أحسب تسامحا ولا علوا فى الدين يبلغ هذا العلو أو ذلك التسامح ، ولا أحسب مؤمنا واحدا بالله يرتضية ضميره أن يرد يدا تمتد إليه أن « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » فهل يرد الإخوة المسيحيون يد الإسلام وهى تمتد اليهم بذلك ، وهل يردونها وفى ذلك حفظ لدينهم كما دعاهم اليهم المسيح عليه السلام وكما انتهينا من قبل بحق ، وهل يردونها وفيها حفظ أيضا لدينهم من تيار الالحاد الذى يكاد أن يقضى عليه تماما بمرور الزمن وانتشار المدنية والحضارة ، لا أحسب مسيحيا واحدا يرفض يدا تمتد اليه بذلك الا أن يكون مدعيا الايمان بغير حق ؛ وعلى أى حال فهذه يد الاسلام تمتد اليكم أيها الاخوة المسيحيون ، فان قبلتم هذه اليد فقد حفظتم دينكم ، وحفظتم الله فيحفظكم ، وحفظتم قضية الدين ، واتبعتم المسيح رسول الله ونبيه ، ووحدتم كلمتكم على الحق ، ووقفتم ووقف المسلمون معكم صفا واحدا فى مواجهة تيار الالحاد الذى يكاد أن يقضى على دينكم إذ تخلصونه من كل ما يقدر المعترضون أن يعترضوا به عليه ، ويعود دينكم إلى حقيقته ، فلا ينحنى أمام العقل ويقولون أنه

ينقضه ، ولا أمام المنطق ويقولون أنه يخالفه ، إنما يقف تماما كما يقف الاسـلام اليوم ، فينحني له العقل اجلالا والمنطق تقديرا وتعظيما ، هذه يد الاسلام اليكم فان قبلتموها فقد فزتم ، وإن لم تفعلوا ، وتوليتم ف :

« اشهدوا بأنا مسلمون . » (آل عمران ٦٤) .

الفصل الثانى

الدعوة الى المسلمين

ولقد يقال هنا ، اذا كنا قد انتهينا من كل هذا البحث الى أن الدين عند الله هو الاسلام ؛ والى تأكيد كل مايقول به الاسلام ، فانه يكون الطبيعى أن تكون نتيجة هذا البحث دعوة توجه الى المسيحيين لاعتناق هذا الدين ، أو لعدم الاشراك بالله كما قال القرآن ، أما المسلمون ، فلا محل لتوجيه أية دعوة اليهم ، الا أن الواقع أنه من خلال البحث ، قد بان لنا أن ثمة بعض أمور تمثل واجبا على المسلمين عليهم أن يؤدوه ، منها مايمثل واجبا على المسلمين نحو أنفسهم ، ومنها مايمثل واجبا على المسلمين نحو غيرهم ، وهذا مانبحثه فى مبحثين على التوالى .

المبحث الاول

واجب المسلمين نحو انفسهم

وجدنا من قبل أنه على أن المسيحية والاسلام يجتمعان معا علي الايمـــان بجميع الرسل والكتب السماوية السابقة على المسيح عليه السلام ، فان المسيحيين وحدهم دون المسلمين هم الذين يعنون بالكتب السابقة حتى أنهم يجمعونها جميعا معا ويلحقون بها الأناجيل وما تلاها من أعمـــال ورسائل ويجعلون منها جميعا كتابا واحدا يؤمنون به جميعه ويسمونه بالكتاب المقدس ، ووجدنا أن المسيحيين اذ يقيمون ايمانهم على أساس من الايمان بالكتاب المقدس على هذا النحو فانهم لذلك لاتكاد كتاباتهم أن تخلو اطلاقا من الاشارة الى آيات فى الكتب السابقة على الأناجيل ، محاولين دائما الربط بين ماجاء فى الكتب السابقة ، وبين رسالة المسيح عليه السلام حتى ليخرجون من ذلك الى مايعتقدون أنه يكون وحدة كاملة يقوم عليها الدين كله وكل معتقداتهم بشأنه .

وقد قلنا من قبل أنه كان مفهوما أن يـكون هذا هـــو عين مايفعله المسلمون الذين يؤمنون ايمانا نابعا من دينهم بتنزيل الـكتب السابقة من الله ، وبأنها مما يجب أن يؤمنوا به ، بما فى ذلك أيضا رسالة المسيح عليه السلام ، الا أن المسلمين رغم ذلك ، يكادون أن يغفلوا هذه الـكتب اغفالا تاماحتى ليسقطوها تماما من اعتبارهم، وقلنا أن المسلمين يبررون ذلك بأنه مادام قد جاء فى القرآن أن المسيح عليه السلام لم يصلب ، وأنه ليس الها بأى حال من الأحوال ، وأنه قد بشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد،ولا يجدون فى الأناجيل شيئا من ذلك ، بل يجدونها على العكس ، تؤكد صلب المسيح وألوهيته ، ولاتشير الى الرسول الذى يأتى من بعده ، فلا بد اذن وأن تكون هذه الأناجيل مزورة ومن ثم يتعين اسقاطها من الاعتبار ، ونفس الأمر تقريبا يسرى على ماسبق الانجيل من كتب ، ولذا يسقطها المسلمون تقريبا من كل اعتبار .

وقلنا كـذلك أن المسلمين يجدون فى القرآن وأحاديث الرسول الـكفاية التى تغنيهم عن الـكتاب المقدس نفسه ، لما فيه من أخطاء وتزوير — كما يقولون — وهم لن يسلموا من الوقوع فى أخطائه اذا أخذوا به كما هو واعتبروه كتابا صحيحـــا .

وهذا الذى قلناه من قبل ، مـــا يفعله المسلمون ، من إعراضهم فى الغالب عن الـكتاب المقدس عموما ، واسقاطهم له من كل اعتبار ، هو ما نعتقد أن هذا البحث كله يناقضه ، وهو مانعترض عليه الآن .

وانه لصحيـح كل الصحة ، أن المسلم ليجد فى قرآنه ، وفى أحاديث رسوله الـكفاية كل الـكفاية ، لما يحتاجه فى أمور الدنيا والآخرة ، حتى ليغنيه ، عن كل كتاب غير القرآن ، والذى تعرض أيضا فيما تعرض له ، الى الـكتب والأنبياء المرسلين قبل محمـــد عليه السلام .

وانه لصحيح أيضا ، وكما انتهينا فى هذا البحث ، أن فى الأناجيل المتداولة وقائع غير صحيحة ، كما أنه مما لاشك فيه ، أن العهـد القديم لم يسلم من الأخطاء ، التى يتحتم وقوعها فى القليل ، نتيجـــة للترجمه والنقل العديد من المرات والى العديد من اللغـــات .

ولـكن هذا كله ، لا يجـيز بأى حال للمسلمين ، وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الـكريم ، أن يؤمنوا بكل كتبه ورسله ، بـكل أنبيـائه وبكل ما أنزله عليهم ، لايجـيز لهم هذا كله أن يتناضوا عن الـكتاب المقدس كلية كما هـم فاعلون اليوم ، وأن يسقطوه من اعتبارهم ، لأنهم بذلك أولا ، يكادون ألا يجعلوا ثمة معنى لايمانهم برسل الله وأنبيائه وما أنزل عليهم قبل محمد عليه السلام ، ولأنهم ثانيا ، انما يجعلون الاسلام يظهر لغير المسلمين ، وكأنه دين جديد غير هذا الدين الذى بعث به الله الرسل والأنبياء جميعا من قبل ، فيـكون ذلك من أول أسباب اعراضهم عن الاسلام .

والصحيح فى اعتقادى ، أنه يجب للـكتاب المقدس أن يأخذ مـكانه الصحيـح عند المسلمين ، واذا كان هناك فى الـكتاب المقدس ما لايستطيع المسلمون أن يقبلوه ، فهذا لايجيز لهم اهداره كما قدمت ، وانما لهم حدودهم فى الأخـــذ بمـا جاء فيه واعتباره ، وأول ذلك أن القرآن قد أورد الكثير مما ورد فى الـكتاب المقدس ، وهنا يتعين على المسـلم الاعتماد اولا على رواية القرآن فيما أورده مما ورد أيضا فى الـكتاب المقدس ؛ ولا أحسب أنه يوجـد ثمة تناقض إلا فيما وجـدناه حول صلب المسيح أو عدم صلبه ، وحول ألوهية المسيح أو عـدم ألوهيته ، وهو ما وجدناه بحق ، أن الصحيح هو ماجاء فى القرآن بشأن هـــذين الأمرين ، وثانى هذه الحدود ، هو ما وجدناه بحق ، من أن الإنجيـل المنزل من الله على المسيح ليس له اليوم وجود كامل ، وأن الأناجيل المتداولة لم تكتب بوحى من الله أو نحو ذلك ،

وانما هى قصص عن حياة المسيح وتعاليمه كتبها أفراد يحكمهم الاعتقاد بصلبه والايمان بألوهيته ، وهى لعدم ثبوت الوحى فى كتابتها لا الزام لها عند المسلمين وانما فى القليل، هى فيما لايتعارض مع القرآن أو الأحاديث ؛ أقرب ما تكون الى الحقيقة بالنسبة لحياة المسيح وتعاليمه ، وثالث هذه الحدود ، أن سفر أعمال الرسل وما تلاه من رسائل ، نظرا لعدم ثبوت الوحى لما كما إنتهينا من قبل ؛ فهى لا الزام لها عند المسلمين على الاطلاق ، أما رابع هذه الحدود ، فهى ما يتعلق بالعهد القديم عموما ، وهنا أقول أنه يجب أولا دراسة العهد القديم من حيث كيفية كتابته، وعلى أساس مما تنتهى اليه فى ذلك ، نستطيع أن نقرر الحدود التى يمكن على أساسها القول بالأخذ بما جاء فيه ، وانما أقول أيضا هنا ما أعتقده ، فالعهد القديم كما هو واضح لم يكتب بالكيفية التى كتب بها العهد الجديد ، ذلك أن كل سفر من أسفاره كما يبدو منسوب الى الرسول الموحى اليه به مباشرة ، بخلاف الأناجيل والتى نسبت كتابتها الى غير المسيح ، كما أنه لا توجد أسفار متكررة فى العهد القديم كما هو الحال فى الأناجيل المتداولة التى هى اليوم أربعة وكانت أضعاف ذلك فى بعض الأوقات، ولذلك أعتقد أن أسفار العهد القديم المعروفة اليوم هى نفسها الأسفار الصحيحة ، وان لم تسلم بطبيعة الحال من أخطاء نتيجة تكرار نقلها وترجمتها ، ولكن الحدود التى يقطع بها فى كيفية مدى الأخذ بالعهد القديم ، هى تلك التى لا تكون الا بعد دراسة كيفية كتابة العهد القديم ؛ دراسة مفصلة على نحو ما سبق أن فعلنا بالنسبة للعهد الجديد .

ولا أحسب خيرا من هذا البحث ، دليلا على لزوم أن يأخذ الكتاب المقدس مكانه الصحيح عند المسلمين ، على النحو السالف بيانه ، ذلك أنى اذا كنت قبل هذا البحث ، عزيزا بربى ودينى وقرآنى ونبيى ، فان هذا البحث ، والذى خضت فيه فى الكتاب المقدس ، لم يكن له من أثر الا أن ضاعف من ايمانى وعزتى بربى

وديني وقرآني ونبيي ، ولا أحسب أي مسلم ، يطالع الكتاب المقدس ، الا ويزيد يقينا وايمانا وعزة ، بربه وبدينه وبقرآنه وبنبيه ، فما هو الكتاب المقدس ، ليس فيه الا ما يؤكد كل ما قال به الاسلام وما يؤمن به المسلمون ، والا ما ينفي ما ينفيه الاسلام والمسلمون ، اذا توخينا في دراسته وبحثه ، أن نستهدف الحقيقة وحدها .

فليقرأ المسلمون إذن الكتاب المقدس بعد قرآن ربهم ، ولهم حدودهم التى أوضحناها بشأنه ، فيزيدون ايمانا بالله ربهم ورب العالمين ، ويقينا بالاسلام دينهم ودين الله ودين الناس أجمعين ، وبالقرآن كتابا من الله الذى لا اله الا هو له الملك واليه المصير ؛ وبمحمد عليه السلام رسولا من الله وخاتم النبيين ؛ فليقرأ المسلمون اذن الكتاب المقدس ، فيظهرون للناس جميعا ، حقيقة الاسلام ، أنه الدين عند الله منذ أن كان الدين ، لأن الدين عند الله هو الاسلام لله ، والاسلام وحده هو ما يجمع الدين كله منذ أن كان الدين ، والرسل جميعا منذ أن بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، فليقرأوا اذن الكتاب المقدس ، فيوضحوا للناس جميعا ، أن الاسلام هو دينهم ، الذى لا انفصال بينه وبين ما عرف من قبل من دين وان سمى مرة بالموسوية وأخرى بالمسيحية ؛ وانما هو دائما ، لم يكن إلا الاسلام لله دينهم وان كانوا لا يعلمون .

المبحث الثانى

واجب المسلمين نحو غيرهم

رأينا أن واجب المسلمين نحو أنفسهم ، أنهم يجب أن يجعلوا للكتاب المقدس مكانه الصحيح بينهم ، وعلى النحو الذى فصلناه ، ورأينا أيضا أن هذا الواجب انما يحتمه من بين ما يحتمه ، أن تغاضى المسلمين عن الكتاب المقدس كما هو الحال الى اليوم ، الى حد أنهم يكادون أن يسقطوه تماما من اعتبارهم ، يجعل الاسلام يظهر لغير المسلمين ، وكأنه دين جديد لا صلة له بالدين من قبله ، فيكون ذلك من أول

أسباب اعراضهم عن الاسلام

ومن هنا نعرف أن أهم واجب على المسلمين نحو غيرهم ، هو أن يكشفوا الناس حقيقة الاسلام بكل جلاء ووضوح، من أنه ليس دينا جديدا دعا إليه محمد عليه السلام ، وانما هو الدين كله عند الله ، هو الدين كله منذ أن كان دين الله على الأرض ، هو دين نوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام ودين من تبعوهم ، وهو دين موسى والمسيح عليهما السلام ومن تبعوهما ، وهو دين محمد عليه السلام وجميع الأنبياء والمرسلين من قبله ومن تبعوهم ، فنوح عليه السلام ومن تبعوه كانوا مسلمين لله ، وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام ومن تبعوهم كانوا مسلمين لله ، وموسى والمسيح عليهما السلام وجميع الأنبياء والمرسلين قبلهما وبينهما ومن تبعوهم كانوا مسلمين لله ، ومحمد عليه السلام ومن تبعه كانوا مسلمين لله ، وماعرف بالموسوية الى عهد المسيح عليه السلام كان هو الاسلام نفسه ، وماعرف بالمسيحية ولكن على صورتها الحقيقية التى انتهينا اليها قبل محمد عليه السلام هو الاسلام ، وبمحمد عليه السلام والقرآن تكامل الدين عند الله الذى هو الاسلام لله ، أو الاسلام ، وما ذلك كله الا لأن من تبع الرسل وآمن برسالاتهم فانما هو قد أسلم لله وهو مسلم لله وهو قد اختار الاسلام لله دينا ، لان الدين عند الله ماهو الا الاسلام له .

وهذه الوحدة التى تجمع الدين كله ، فى الاسلام لله ، فتجمع الرسل والأنبياء جميعا ، وتجمع الرسالات كلها ، هى وحدة حقيقية أصيلة فى الاسلام كما وجدنا بحق من قبل ، والإسلام على أساس من هذه الوحدة لايقوم على الايمان برسول دون آخر ، ولا بكتاب دون غيره ، وانما يقوم على الايمان بالرسل جميعا وبكتب الله كلها ، دون تفريق بين نبي أو آخر ، وهذه الوحدة لاتقوم لذلك فى الدين وحده ، وانما تقوم أيضا فى الأمة التى إتبعت هذا الدين ، منذ أن كان على الأرض ، فأمة

الأنبياء والرسل جميعا هى أمة واحدة ، وهى بلا شك أمة للسلمين لله ، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى فى سورة الأنبياء بعد أن يعدد بعض الأنبياء والمرسلين يقول جل جلاله :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون . » (٩٢) .

وهذه الوحدة الكاملة فى الدين ، التى يقوم عليها الاسلام اليوم ، قد قام عليها الإسلام من قبل ، ومنذ أن كان الدين على الأرض ، فلم يكن الرسل من قبل يدعو كل منهم الى الإيمان به وحده ولا برسالته هو وحده ، وانما كان كل رسول من الله ونبي ، يدعو الناس دائما الى الإيمان أيضا بالرسل والكتب من قبله ، حتى المسيح عليه السلام الذى قال « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمل . » ، ولقد كان المسيحيون موفقين حقا ، حين حققوا هذا القول من المسيح عليه السلام ، فضموا الى ماعرف عندهم بالعهد الجديد ، كل ماعرف من قبل من الكتب المنزلة من الله سبحانه وتعالى وسموها بالعهد القديم ، وجعلوا من كل ذلك كتابا واحدا يقوم دينهم على الإيمان به كله ، وسموه بالكتاب المقدس ، وبذلك لم يدعوا مجالا للشك، فى أن هذا الدين الذى آمنوا به، دين جديد ، وانما أكدوا أنه هو نفسه الدين كله من قبل ، والذى جاء المسيح عليه السلام ليكمله ، وإن نسوا أن المسيح انما قال أنه جاء ليكمل ولم يقل أنه جاء ليتمم ، وبذلك فقد ترك باب الدين مفتوحا ليتممه رسول من الله يأتى من بعده ، لم يكن غير محمد عليه السلام .

وعلى أن هذا هو مافعله المسيحيون تأكيدا لايمانهم بالرسل والكتب قبل المسيح عليه السلام ، وعلى أن الاسلام يحتم هو الآخر ، الايمان بالرسل والكتب جميعا قبل محمد عليه السلام ، فقد وجدنا أن المسلمين قد أعرضوا اعراضا يكاد أن يكون تاما عن الكتاب المقدس ، وكان ذلك بالذات كما وجدنا أيضا ، لما جاء فى

العهد الجديد عن تأليه المسيح وصلبه بعكس ما قال به القرآن ، ولكننا قد بينا أن هذا لا يجيز الاعراض كلية عن الكتاب المقدس على هذا النحو ، وانما يتعين على المسلمين قبول الكتاب المقدس فى الحدود التى تحتمها الأصول الصحيحة لدراسة الكتاب المقدس وبحثه وبيان كيفية كتابته على النحو الذى فصلناه من قبل .

ولا يكفى كل ذلك بطبيعة الحال للكشف عن حقيقة وحدة الدين كله ، الذى هو الاسلام لله ، وان عرف زمنا بالموسوية وآخر بالمسيحية ، وانما لابد للكشف عن هذه الحقيقة وزيادة تأكيدها ، من الربط تماما بين ما جاء فى الكتاب المقدس وما جاء فى القرآن ، وبالطبع لا يكون ذلك بالتحايل على آيات العهد القديم مثلا ولا بالافراط كما فعل المسيحيون حين قالوا بأن كل كلمة فى العهد القديم تتحدث عن المسيح عليه السلام ، الأمر الذى وصل بهم الى حدود غير معقولة ولا مقبولة على الاطلاق ، وانما يكون هذا الربط بكل ما يقنع العقل ويقبل فى المنطق وأصول البحث الصحيحة ، يقينا بأن الحقيقة انما تؤكد هذا الرباط المتين بكل وضوح وجلاء ، ولنا فى هذا البحث نفسه خير مثل على ذلك ، فان توخينا الحقيقة فيه ، وتركنا للآيات فى العهد القديم تتحدث بنفسها ، انما أكد أن الحقيقة هى ما ذكر فى القرآن وحده بالنسبة لصلب المسيح عليه السلام ، بل إن ذلك قد أكد أيضا ، أن المسيحيين بمحاولتهم الربط بين ما جاء فى العهد القديم وبين ما جاء فى العهد الجديد عن صلب المسيح لم يصلوا الى ذلك الا بمخالفة كل منطق وكل عقل وكل ما هو مقبول فى أصول البحث الصحيحة ، التى لا تكشف فى العهد القديم الا عن التنبؤ بتخليص الله للمسيح عليه السلام ورفعه له اليه والقبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا منه تماما كما قال القرآن والمسلمون ، بل اننا قد وجدنا أيضا أن الأمور كلها لم تستقم الا بما جاء فى القرآن وما قاله المسلمون فى هذا الصدد ، حيث أكد هذا التطابق بين القرآن والعهد القديم أن العهد الجديد غير موحى به ، وانه انما كتبه أفراد عاصروا

عهد المسيح ولم يكن لهم أن يعرفوا الا أنه قد صلب ، لأن الأمر شـــبه لهم ، أى لبس لهم ، وبذا استقامت الأمور جميعا فى الدين ·

وللمسلمين سند يحتم عليهـــم البحث على هذا الأساس ، فقـــد قال تعالى فى سورة الاعراف :

﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجـــدونه مكتوبا عنـــدهم فى التوراة والإنجيل . ﴾ (١٥٧)

كما جاء فى سورة الصف قوله تعالى :

﴿ واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل إنى رسول الله اليـكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد . ﴾ (٦)

فمن هاتين الآيتين نعرف أن التوراة والانجيل تنبآ عن محمد عليه السلام ورسالته ، وذلك يحتم على المسلمين ان يبحثوا فيها عن هذه التنبؤات ؛ وقد وجـدنا من قبل نبوءة عن محمد عليه السلام فى التوراة ، والذى يبدو انه لايوجد فى الأناجيل الأربعة المتداولة ما يتنبأ بوضوح عن محمد عليه السلام ، ولـكن هذا لا ينفى أنه عليه السلام قد يكون المسيح قد تنبأ عنه بالفعل صراحة، لأن المقطوع والمتســلم به أن الأناجيل الأربعة المتداولة لا تتضمن كل ما صدر عن المسيح عليه السلام ، وأن الـكثير من أقواله لم تدون فى هذه الأناجيل ؛ وأن هناك أناجيل متعددة غيرها قد طاردتهـــا الـكنيسة وأحرقتها ، ولذلك فانه قد يكون شاقا البحث عن هذا التنبؤ عن محمد عليه السلام على لسان المسيح عليه السلام ، ولـكن هذا لا يمنع من البحـث وخاصة فيما يعرف بالأجرافا أو أقوال المسيح غير المدونة ، ويقينا ، ان البحث على هذا النحو ، بالاضافة الى البحث فى العهد القديم ، عن النبوءات، ووفقا للأسس الصحيحة للبحث ، لابد وأن يكشف عن الـكثير والهام جدا فى هذا الصدد .

ويتعين بالاضافة الى كل ما تقدم ، توضيح فـكرة الاسلام عن الله ، بما يؤكـد

بحق ، أنها فكرة الدين كله عن الله منذ أن كان الدين ، وأن الله كما يعبده المسلمون هو الله الذى دعا الرسل جميعا بما فيهم المسيح نفسه عليه السلام الى عبادته، وهو نفسه الله الذى يؤكد العلم وتؤكد الحضارة والمدنية بل والفطرة نفسها وجوده، ويتعين فى ذلك تأكيد ما انتهينا اليه بحق من أن المسيح عليه السلام لم يدع أحدا الى تأليهه أو عبادته، وأن القول بذلك انما كان خروجا على الدين كما دعا اليه المسيح بحق .

والكشف عن حقيقة الوحدة فى الدين عند الله الذى هو الاسلام لله على نحو ما فصلت فيما سبق والربط، أو بمعنى أصح والكشف عن الرباط الحقيقى الكامل بين الاسلام والقرآن وبين الكتاب المقدس على نحو ما أسلفت، مع تأكيد فكرة الاسلام عن الله بما يطابق الحقيقة والواقع على النحو المتقدم، هى ما آمل أن يصبح فرعا له مكانه واعتباره الكاملين بين الفروع الرئيسية للبحث فى الاسلام بعد أن طال تجاهل هذا الفرع من فروع البحث بدافع الخشية والتردد أمام ما فى العهد الجديد من مناقضات لما جاء فى القرآن، لأنه فى ظنى أنه بغير هذا لا معنى على الاطلاق لأن يجهد المسلمون أنفسهم فى تفصيل أحكام الاسلام لغير المسلمين، لأنه يجب أن يكون لديهم أولا الأساس الذى يمكن معه أن يتقبلوا هذه الأحكام، وهذا الأساس لا يقوم الا بالكشف عن حقيقة وحدة الدين الذى هو منذ أن كان الدين، الاسلام لله، والفكرة الصحيحة فى الاسلام عن الله، والتطابق الكامل الحقيقى بين الكتاب المقدس والقرآن .

والذى آمله بالذات وبصفة خاصة ، الكتابة فى كل ذلك باللغات الأجنبية ، ونشر ما يكتب من ذلك فى الدول المسيحية التى ينتشر فيها الالحاد ، مع ضرورة أن يوضح بكل جلاء فيما يكتب من ذلك ، أن لكلمة الاسلام معنى فى اللغة العربية هو الانقياد لأمر الآمر ونهيه بلا إعتراض ، وأنها لهذا المعنى الذى تمثله ، اختيرت

اسما للدين ، لأن الدين عنـد الله هو الانقياد لأوامره ونواهيه بلا اعتراض ، أى الاسلام له ، ولذا سمى الدين كله بالاسـلام ، وعلى هذا فلا تنقل كلمة الاسلام أو أسلم أو مسلم أو مسلمون أو نحو ذلك الى أية لغة أجنبية بنطقها بالعربية ، وانمـا يجب أن تترجم بمعناها الى تلك اللغـة ، ويقينى أن ذلك كله انما يعصم أفراد هذه الدول ، من الوقـــوع فى شرك الالحـــاد ؛ باختيارهم الاسلام دينا حين تأبى أذهانهم قبـول الفـكرة التى تقول بها المسيحية اليوم عن تأنيس الاله أو الله أو تأليه المسيح ؛ وفى القليل ؛ فان هذا سيحفظ فى هذه الدول ؛ المسيحية الحقيقية وكما دعا اليها المسيح ؛ بأن يستجيب من يأبى عقله قبول فكرة تأنيس الاله أو تأليه المسيح ؛ ويأبى رغم ذلك أن يرتضى الاسلام دينا ؛ بأن يستجيب من يأبى ذلك ؛ الى دعوة الاسلام اليه أن « تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » ؛ وبذلك يحفظ المسلمون الدين ؛ الذى هو منذ أن كان الدين ؛ الإسلام لله ؛ وإن عرف زمنا بالمسيحية.

وما هذا البحث كله ؛ إلا مثال لما آمل أن أراه من كتب فى هذا الصدد ؛ وكنت أتمنى لو أكون متمكنا من اللغات الأجنبية لأترجمه اليها ؛ ولـكنى لا أفقد الأمل فى أن يتقدم من يحمل عنى هذا العبء ؛ وعلى أى حال ؛ فما هذا البحث الا شعلة أرفعها على الطريق ؛ آمل بعدها أن أرى مشاعل عديدة ؛ على الطريق نفسه ؛ وتضىء الطريق كله ، فهذا ما أؤمن بحق ؛ أنه أول واجب المسلمين نحو غيرهم ؛ بل وربما نحـو أنفسهم أيضا .

ولا يفوتنى فى هذا الصدد ؛ أن أشير الى ضرورة ترجمـــة القرآن والى كافة اللغات الأجنبية ؛ فالقرآن هـــو بحق ؛ أعز وأغلى وأعظم ما يعتز به المسلمون ويفاخرون به ؛ وإن فيـه من الإعجاز ؛ فى كل شىء ؛ مالا يضارعه فيـــه كتاب آخر ؛ والمسلمون باعتبار أن القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى نفسه ؛ يعتزون به

الى غير ما حد ؛ بكلماته التى نزل بها ؛ وبلغته التى أنزل عليها ؛ بل وبهجاء كلماته كما كتبت وقت تنزيلة رغم اختلاف الكتابة باللغة العربية اليوم من حيث الهجاء اختلافا قليلا عما كانت عليه وقت تنزيل القرآن .

واعتزاز المسلمين بالقرآن على هذا النحو طبيعى ومفهوم ؛ باعتباره كلام الله ؛ واحتفاظهم به الى اليوم ؛ بصورته التى كتب عليها وقت تنزيلة ؛ طبيعى أيضا ومفهوم، لأنهم يخشون إن هم فتحوا البـاب أمام أى تعديل فى هجاء كلماته ؛ أن يكون من ذلك سبيل للبعض ليدخل على القرآن ما ليس منه .

ولكن الاعتزاز بالقرآن على هذا النحو ؛ أدى الى شـل ترجمته الى اللغات الأجنبية شللا يكاد أن يكون كاملا ؛ بحيث لا يوجد أى قرآن مترجم من مسلمين عرب الى أية لغة أجنبية ؛ أو فى القليل فلم أسمع الى اليوم بقرآن مترجم على هذا النحو ؛ ولكن ؛ اذا كان اعتزاز المسلمين باللغة العربية التى نزل بهـا القرآن ؛ بالاضافة الى إستحالة نقل ما يحويه القرآن من اعجاز لغوى وغير لغوى نقلا كاملا وحقيقيا الى أية لغة أجنبية ، إذا كان ذلك يجعل المسلمين يحجمون عن ترجمة القرآن، فان عليهم أن يذكروا جيدا ؛ أن القرآن لم ينزل للعرب وحدهم دون غيرهم ؛ وانما هو دعوة للناس كافة ؛ واذا كانت حكمة الله عز وجل اقتضت أن تكون اللغة التى ينزل بها القرآن هى العربية ؛ فان معنى هذا لم يكن أبدا أن يحجب القرآن عن غير العرب ؛ وإنما مفهوم أن القرآن قد نزل للناس أجمعين ، أن الله سبحانه وتعالى باختياره اللغة العربية لتنزيل القرآن ، انما قد ألقى على أمة العرب ممن يسلمون لله ، أن ينقلوا هذا القرآن إلى غيرهم ممن لا يعرفون العربية .

وإنه لمستحيل حقا ، أن ينقل القرآن بكل ؛ أو حتى ببعض كثير من كماله وجلاله وعظمته ؛ إلى أية لغة أجنبيه ؛ وانما هذه الإستحالة ؛ لا تجيز للمسلمين من العرب أن يغضوا النظر كلية عن هذه الترجمة ؛ وإنما عليهم أن يطرقوا باب ترجمة القرآن بكل

شجاعة ؛ وبكل حيطة وحذر ؛ محاولين نقل ما يستطيعون نقله ؛ من جلال القرآن وكماله إلى كافة اللغات الأجنبية ؛ وخاصة أنه قد ظهرت هناك بالفعل ؛ ترجمات للقرآن فى لغات أجنبية ؛ طالعت منها واحدا باللغة الانجليزية ؛ وجدت فيه قصوراً كبيرا ؛ لا يعطى عن الاسلام الا صورة مشوهة ؛ ولست أرمى مترجمه لهذا بسوء القصد ؛ وإنما أعتقد أنه قد بذل جهده ليترجم القرآن ترجمة أمينة ؛ ولكن ترجمة قائمة على مجهود فردى ، ومن شخص غير عربى ومهما بلغت اجادته للعربية ، فسيبقى قاصرا عن تذوق كل ما فيه من جمال ومعان ، يتذوقها خيرا منه المسلم العربى ؛ ويكون أقدر على الوصول بالترجمة الى درجة أكبر من الكمال ؛ الا يقوم بها مجهود فردى ؛ وإنما تشكل لجان لاتمامها ؛ والمسلمون إذ يغضون النظر عن ترجمة القرآن على هذا النحو ؛ انما لايدعون من سبيل لغير العرب ؛ الا أن يلجأوا الى هذه الترجمات التى تشوه القرآن ولو من غير قصد؛ ولا تنقله النقل الصحيح ؛ أو فى القليل لن تبلغ الحد من الكمال الذى يبلغه قرآن يترجمه عرب وبمجهود جماعى لا فردى .

وبالطبع فان ترجمة القرآن على هذا النحو تحتاج الى دراسات وشروط عديدة لا مكان هنا لتفصيلها ، وانما أكتفى هنا بأن أقرر المبدأ الواجب وهو ترجمة القرآن الى كافة اللغات الأجنبية ، وضرورة أن تكون هذه الترجمة عن طريق مجهود جماعى لا مجهود فردى ، وأترك بعد ذلك لهذا المجهود الجماعى تلك الدراسات وهذه الشروط الواجب توافرها لهذه الترجمة والتى لا يجوز أن تتأخر بأى حال .

الفصل الثالث

دعوة الحق

يولد الإنسان عادة فيجد نفسه على دين معين؛ هو الدين الذي يجد عليه والديه والذي كان عليه أجداده من قبل ؛ واعتناق الدين على هذا النحو ؛ ليس بأي حال من الأحوال نتيجة لبحث واختيار ؛ وإنما هو بذلك أقرب الى تقليد يتوارث بلا اعتراض ؛ ولعل ذلك يرجع أولا الى أن الإنسان في صغره لا يكاد أن يحس أو يعي أن هناك غير هذا الدين الذي اعتنقه ؛ ولذا فهو اذ يكبر ؛ يحس بأن كل ما عداه غريب وكأنما لا يكون الدين الا ما اعتنقه ، مما وجد عليه آباءه وأجداده من قبل ؛ فيتمسك بهذا الدين الذي وجد نفسه عليه؛ ويمضي حياته ويموت على اعتناقه له؛ وأغلب الظن أن معظم الناس يعيشون ويموتون على هذا النحو ؛ دون أن يبحثوا ما اذا كان ما وجدوا عليه أنفسهم وآباءهم وأجدادهم من قبل هو الحق أم لا .

ولكن العقل لا يقبل أبدا ؛ أن يكون مجرد أن يتبع الإنسان ما وجد عليه آباءه وأجداده من قبل، انما يكون بذلك قد اتبع الحق؛ بل ان هذا لو كان صحيحا لما كان هناك الدين على الأرض ؛ ولما انتقل أناس من باطل الى حق ؛ ولا من عبادة أصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد ؛ ولبقي العالم الى اليوم ؛ من حيث العبادة على ما كان عليه الناس منذ آلاف السنين من خرافات وأباطيل .

ولذلك فان الدين لم يكن في يوم من الأيام إقرارا لوضع من الأوضاع القائمة ؛ ولا لتقليد من التقاليد المتوارثة ؛ وإنما كان دائما ، ثورة على كل باطل مما أورثته التقاليد وأقرته الأوضاع ، كان الدين دائما ، دعوة للناس أن يثوروا على ما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم من باطل ، ودعوة الى الإعتصام

بالحق والكمال الذى يدعوهم اليه ، فكان الناس بالدين يواجهون ما توارثوه عن آبائهم وأجدادهم ، ويكتشفون من مواجهته مدى ما فيه من زيف وبطلان ، فيعرضون عنه ، ويؤمنون بما جاء به الدين الذى دعاهم إلى نبذ هذا الزيف والبطلان من حق ، وبذلك كان الدين دائما ، دعوة إلى مواجهة المتوارث عن الآباء والأجداد وبحث الجديد الذى يدعو اليه ، وكان الايمان بعد ذلك ايمانا حقيقيا كاملا نتيجة لبحث دقيق ولاختيار حر كامل .

وبذلك لم يكن الدين يوما ، تقليدا متوارثا ولا تقليدا يتوارث ، وانما كان دائما دعوة إلى مواجهة كل ما هو متوارث ، والبحث عما فيه من حق أو باطل ؛ عما فيه من هدى أو ضلال ، واتباع ماهو حق وهدى ، ونبذ كل ماهو باطل وضلال، عن بحث وإيمان واقتناع .

والحقيقة أن الدين لم يتغير ، وأن اعتناق الدين لا يكون كتقليد يتوارث ، وإنما يجب أن يكون عن بحث واقتناع ويقين ، فليس يكفى لأن يعتنق الانسان دينا معينا أن يتوارثه عن والديه وأجداده ، وانما الإيمان الحق يحتم على الانسان أن يواجه عقائده ؛ وأن يبحثها ، وأن يبحث أيضا غيرها ؛ ولا يؤمن بعد ذلك إلا بما يهديه ضميره واقتناعه وعقله ويقينه أنه هو الحق ، وأن يعرض عما يهديه كل ذلك إلى أنه باطل ؛ فبذلك يكون اعانه ايمانا حقيقيا ، نابعا عن بحث وإيمان واقتناع ؛ وليس أعظم من إيمان يكون على هذا النحو .

وإذا كان ثمة ما أقوله بالنسبة لبحثى هـذا كله ، فهو أنه فى حقيقته وواقعه ، قصة تجربة حقيقية ، ومواجهة حقيقية للدين الذى توارثته ، أردت بها ألا أخرج منها إلا بالحقيقة وحدها ؛ أيا كانت ، ولو أدى بى الأمر إلى ما يخالف ما توارثته من دين ؛ وما أعظمها من تجربة بالنسبة لى ، وما أعظم ما خرجت به منها ، وإذا كنت أتصور أن واجب كل انسان نحو نفسه ، يحتم علية أن يواجه دينه وعقيدته

بمثل هــذه التجربة ، فانى لا اتصورنى بأى حال أفكر فى أن أقسر أحدا على الايمان بما كتبت تسليما بصحته،وانما كتبت ما كتبت لأنه تجربة حقيقية،أعتقدأنها قد تفيد الناس جميعا ، ولذا رأيت ألا احتفظ بها لنفسى ، وانما أعرضها على كل من يريد الحقيقة وحدها ، ليبحثها معى ، وليراجعها وليقل بعد ذلك ، ولنفسه ، عن حقيقة ما يخلص به منها ، وهل ماخلصت اليه أنا منها ، هو مايطابق الحقيقة فعلا ، أم لا ، وليحكم فى ذلك بضميره واقتناعة وايمانه بالله وبكل ماهو حق ، فان كان ما كتبت هو ما يرى معى أنه يطابق الحقيقة ، فليؤمن به ، وإن رآه لا يطابقها ، فان واجبه نحو نفسه ، يحتم عليه أن يرد لنفسه على ما كتبت ، ليكون ايمانه حقيقا بالإعتبار حقا ، وفى الحالين ينبغى على كل أن يعرف أنه لا يحكم لى أو على ، وانما يحكم لنفسه أو عليها ، ولذا فإن تطالبت العدل فى الحكم على ما كتبت ، فلست أطلب عدلا لى ، وانما أطلب العدل لمن يحكم نفسه ، لأنه هو الذى سيفيد من الحكم إن كان عدلا ، وسيضار به إن كان ظلما .

وبعد فهل ترانى قد أرضيت الجميع ، أم ترانى قد أغضبت الجميع ، أم لعلى أرضيت بعضا من هؤلاء دون البعض ، وبعضا من أولئك دون البعض ، بهذا البحث قد يكون أى شىء من ذلك ، ولكن الذى أنا موقن منه بعد هذا البحث ، أننى قد أرضيت ضميرى وايمانى وقلبى ، وأرضيت الحقيقة نفسها ، وأرضيت أولا ومن قبل ، الله ربى ورب العالمين ، وإذا كنت قد خلصت من هذا البحث بشىء ، فهو أنه قد أكد لى ايمانى وعقيدتى ، بل قد ضاعف لى من ايمانى ويقينى بعقيدتى ، وجعلنى أحس أكثر من أى وقت مضى ، بأن أعظم ما أنعم الله به علي ، هو أن جعلنى مسلما له ، واليوم وقد تضاعف شعورى بهـذه النعمة على منه سبحانه وتعالى فقد أصبح أول، وأضيف أيضا «وآخر»، ما يبتهل به لسانى داعيا اليه أبدا أن :

« اللهم أدم على نعمتك هذه ؛ فأحينى مسلما لك ، وتوفنى مسلما لك ، واحشرنى فى زمرة المسلمين لك يارب العالمين . »

باب ختامي
على هامش دعوة الحق

كانت هذه دعوة الحــق ، بكل اليقين ، وبكل الايمان ، أطلقتها ، فنشرت فى الخامس من أبريل سنة ١٩٦٣ ، ولقد لقيت هذه الدعوة قبولا لدى العديدين ، فاق عندى كل خيال ، واذ أسجل هنا شكرى واعزازى ، لكل من تلقى هذه الدعوة ، فوقعت من نفسه موقعا حسنا ، فكتب إلى بذلك ، فانى أكتفى هنا بتسجيل هذا ، مقدراً ، أن أى كلمات أخرى ، خلاف البحث نفسه ، لا يجــوز أن أجعل منها واسطة بينى وبين القارىء .

وبقدر ما قرأت ، وبقدر ما بحثت ، وبقدر ما وجدت ، فقد كنت أعرف تماما ماذا أنا قد كتبت ، كنت أعرف قدر ما كتبت ، وقيمته ، وقوة الحجة فيه ، لمن ينــكرون ما أنا اليه فى بحثى قد انتهيت ، وكان يقيــنى أننى ما استهدفت الا الحقيقة وحدها ، وكان يقينى أيضا أن الحقيقة نفسها هى ما أنا اليه قد وصلت ، ولذا ففى حيرة تساءلت ، هل على مثل هذا البحث ، يمكن لأحد أن يرد .

لذلك كنت فى شوق ، بل فى أكبر شوق ، لأقرأ على بحثى هذا ردا ، أى رد ، وانتظرت قليلا فلم أجد ، وقدرت بالطبع أن الرد لن يـكون سهلا ، وأنه الى وقت يحتاج ، ثم ترامى الى أن هناك كتابا قد صدر ، وعلى كتابى يرد ، وبقدر ما سررت ، بقدر ما آلمنى أنى إلى نسخة من ذلك الرد لم أوفق ، فقد سارعت الى حيث اعتدت أن أجد من الـكتب ما استعنت به فى بحثى ، ففوجئت برد يقول أن نسخ الرد قد نفذت ، وعبثا أوصيت إخوة من المسيحيين الذين أعرفهم ، ليأتونى بنسخة من ذلك الرد ، فلم يأتنى أيهم بواحدة منه .

ثم قيّض الله لى من استطاع ، من أجلى ، أن استيلاء استولى على نسخة ، والى بها دفع ، فاذا بعنوانها «الحق» ، وقد وضعت داخل قرص الشمس رسم بها محيط ،

وكان ذكاء من المؤلف القمص باسيليوس اسحق (كاهن كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بغربال بالاسكندرية) أن اختار من بين ما اختاره من آيات الكتاب المقدس على الغلاف ، آية تقول « اقتني الحق » ، وأسرع لأتصفح ذلك الرد ، وللوهلة الأولى ، بخيبة أمل أصبت ، وللوهلة الأولى أيقنت ، أن ليس على كتابي هـذا الرد .

فأول ما قاله الكاتب فى أول باب والذى جعل عنوانا له « الطعن فى صحة الكتاب المقدس » ما يلى :

(بدأ الكاتب كتابه بالطعن فى الكتاب المقدس بالتزوير وحجته فى ذلك أن القرآن بشر برسول يأتى بعد المسيح اسمه أحمد ولم يوجد فى الكتاب المقدس — العهد الجديد — شىء من ذلك ... ولذلك يجب اسقاطه من الاعتبار .

ثم عاد فى صفحة أخرى وقال أن بالكتاب المقدس أخطاء وتزوير ولا يمكن للمسلمين أن يعتبروه كتابا صحيحا .

ثم يتحدث بعد ذلك عن انجيل آخر اسمه انجيل برنابا ينفى عن المسيح ألوهيته وصلبه ، ويبشر برسول اسمه أحمد ...)

ويقينا فلم أبدأ بالطعن فى الكتاب المقدس بالتزوير ، ويقينا بالتالى فلم أستند فى ذلك الى تلك الحجة التى يتحدث عنها .

وصحيح أنى قد انتهيت الى حد ما فى بحثى الى أن بالعهد الجديد من الكتاب المقدس بعض الاخطاء ، وبعض مما يمكن عده تزويرا ، الا أن هذا وان صح ، لايجعل كتابى هو المقصود هنا ، ما دام أنه بيقين لم ينطو على هذا الذى أشار اليه المؤلف أولا ، بالاضافة الى أن ما قاله المؤلف من أن الكتاب الذى يرد عليه أشار الى انجيل آخر اسمه انجيل برنابا ينفى عن المسيح ألوهيته وصلبه ويبشر برسول

اسمه أحمد ، فهذا الذى قاله المؤلف يعطى انطباعا لدى القارىء بأن الكتاب الذى يرد عليه قد اعتمد على صحة انجيل برنابا ، بينما انا ليس فقط لم اعتمد عليه ، بل ورفضت أى بحث يقوم على أساس صحته .

ليس كتابى إذن ما يرد عليه المؤلف ، خاصة وأنه لم يذكر صراحة أنه قصد بمؤلفه هذا الرد على كتابى ، إلا أنى رغم ذلك ، أمضى فى قراءة الكتاب ، كالعديد غيره من الكتب التى إعتدت أن أقتنيها وأقرأها فى المسيحية ، فأعرف مما قاله فى فى بداية الباب الأول من كتابه من أنه : (بدأ الكاتب كتابه ...) ومما ورد فى باقى الكتاب، أن الكاتب انما قصد به الرد على كتاب معين .

ففى صفحة ٥١ يقول : (تحدث أحد الكتاب عن انجيل مفقود أنزل على المسيح ورد ذكره فى القرآن ولم يوجد له أثر الآن ...)

وفى صفحة ٥٤ يختار عنوانا يقول : (هل يمكن أن يذكر العهد الجديد وقائع غير صحيحة ؟) ثم استطرد قائلا : (تحت هذا العنوان ذكر أحدهم بعض الاعتراضات التى أغلق فهمها عليه ..)

وفى صفحة ٥٦ يوجه الخطاب فى كلامه الى الكاتب الذى يرد عليه مباشرة فيقول : (واليك بعض العلامات التى يدل وقوعها على ...)

وفى صفحة ٥٨ يشير إلى قصة ظهور المسيح لشاول الذى لقب بولس الرسول ويورد النصين اللذين وردا فى هذا الشأن ورأيت انهما يتناقضان ويقول : (ظن أحد الكتاب أن خلافا فى النصين ...)

وفى صفحة ٥٩ يقول تعليقا على المزمور ١٠٩ : (واستخلص أحد الكتاب من هذا أن الذى حوكم كان يهوذا ، وليس المسيح ، لأن الله أوقع شبهه عليه ... ودلل بذلك على صحة ما ورد فى القرآن من أن المسيح لم يصلب ...) وصحيح أننى لم أقل بأن الله أوقع شبه المسيح على يهوذا ، ولكن أنا من استدل من هذا

المزمور على أن الذى حوكم كان يهوذا .

وفى صفحة ٦٠ يقول بعد أن أشار الى ما ورد فى انجيل متى من أن يهوذا مضى وخنق نفسه وما ورد فى سفر أعمال الرسل خلافا لذلك قال: (وظن الكاتب — بأل التعريف — أن هناك تناقضا بين القولين ولكن لا تناقض البتة ...)

وفى صفحة ٦١ بعد أن أشار إلى تناقض آخر كتبت عنه فى كتابى قال: (ومضى يقول أحد الكتاب ان التناقض دليل على عدم صحة الروايتين ...)

وفى صفحتى ٦٥ و ٦٦ يقول : (ولكن ما قول الكاتب فيما .. وما قولك فى ... وما قولك فيما ... وما قولك فيما ... فهل تظن أنه ...)

وفى صفحة ٦٦ أيضا يقول : (اعترض أحدا الكتاب على اختيــــار الله لبولس رسولا لسبب ما جره على الكنيسة ...)

وفى صفحة ٧٠ يقول: (ولكن أحد الكتاب يقول أنه بعد ستة قرون جاء نبى الإسلام وقال أن المسيح لم يصلب وانما رفعه الله اليه ...

واستطرد يقول : وما دام القرآن قد نفى هذا وانه لم يصلب فانه أصدق نبأ من نبوءات التوراة ، وأصدق نبأ من سجلات التاريخ ، وأصدق نبأ من الأناجيــل ، ورسائل الرسل ، وذلك لأن الله قال ذلك فى القرآن والله لا يخطىء ابدا .

ولذا فمهما كان هناك من اجماع على المسيح قد صلب فانه لم يصلب ولكن رفعه الله اليه ما دام القرآن قال كذلك ...)

والسطران الأخيران بنصهما قد وردا فى الصفحة الخامسة من الطبعة الأولى من كتابى هذا ، مع فارق بسيط ، وهو أن الكاتب يوحى هنا للقارىء بأن ذلك كان سندى فى القول بعدم صلب المسيح وتخليص الله له ، بينما الواقع أننى قد أوردت هذين السطرين كسبب لاعتقاد المسلمين عامة بعدم صلب المسيح .

وفى نفس الصفحة والتالية لها يقول أيضا : (ثم يعود هذا الكاتب ، فيقــول أن

الذى شبه لهم أنه المسيح لم يكن إلا يهوذا ... ثم استطرد يقـــول . . . وافترض الكاتب فرضين : أولهما ان شخصية المسيح لم تكن معروفة ، كما أن يهوذا أيضا لم يكن معروفا لهم . ثانيهمـــا : أن المحاكمة كانت سريعة وأن يهوذا لم يفصح عن شخصيته للجنود ...)

وفى صفحة ٧٢ يوجه خطابه الى الكاتب الذى يرد عليه فيقول : (فحسبك أن تعلم أن ...)

وفى صفحة ٨٢ يقول : (فهل بعد كل هذا يقول قائل أن يسوع لم يصلب ... وأن الذى صلب آخر غيره ، وأن المحاكمة كانت سريعة ، وجرت ليلا وتحت جنح الظـــلام .)

وفى صفحة ٨٤ يقول: (إستند أحد الكتاب على الآية الواردة فى المزمور ٢٠ : الآن عرفت أن الرب خلص مسيحـــه . ظنا منه أن كلمة المسيح قصد بها المسيـــح بأل التعريف .)

وفى صفحة ٨٦ يوجـه خطابه أيضا الى الكاتب الذى يرد عليه فيقول: (أما عن الأوصاف التى ذكرتموها الواردة فى مز ٢٢ : ... كل هذا قصـــد به المسيح ولم يقصد به يهوذا .)

هذا كله ، وإلى آخر الكتاب، أعرف منه أن الكاتب قصد بكتابه الرد على كتاب معين ، ويوجه الخطاب فيه الى كاتب معين ، وكتاب واحد ، وكاتب وحيـد ، هو الذى قال كل هذا الذى يحاول مؤلف كتاب الحق الرد عليه ، وكاتب وحيد وكتاب واحد ، هو الذى تضمن كل ما أشار اليه ذلك المؤلف ، والكاتب هو أنا ، والكتاب هو دعوة الحق .

ولم يكن لهذا كله الا معنى واحدا :

أن زورا زور على الكاتب ما قاله من أنى بدأت كتابى بالطعـن فى الكتاب

المقدس بالتزوير.

وأن زورا زور على مـا قاله من أنني استندت فى ذلك إلى أن القرآن بشر برسول يأتى بعد المسيح اسمه أحمد ولم يوجد فى الكتاب المقدس — العهد الجديد — شيء من ذلك ولذلك يجب اسقاطه من الاعتبار .

وزورا زور على ما قاله من أنى تحدثت عن انجيل آخر اسمه انجيل برنابا ... بما يوحى للقارىء بأنى قد استندت الى هذا الانجيل أو اعتمدته ، بينما العكس هو الصحيح ؛ فقد رفضت أى بحث يقوم على أساس صحته .

وزورا زور على انى قلت : (فمهمـا كان هناك من اجماع على أن المسيح قد صلب فإنه لم يصلب ولكن رفعه الله اليه مادام القرآن قال كذلك...) لأنه أورد هذا الكلام باعتباره رأيى وسندى أنا؛ بينما أوردته باعتباره سبب ايمان المسلمين بعدم صلب المسيح .

وزورا زور على فى صفحة ٥٩ حين أشار إلى المزمور ١٠٩ وقال أنى إستخلصت منه أن هذا الذى حوكم كان يهوذا وليس المسيح ثم تساءل بعد ذلك قائلا : (ولكن من أين استدل الكاتب على أن هذا الكلام خاص بشخص معين ...) إذ معنى هذا بكل وضوح أننى لم آت بهذا السند الذى استدل به ، بينما أنا لم آت بسند فحسب بل وبما يعتبر عنده سنداً كتابيا لايملك الا التسليم به ، والتعليق على ذلك المزمور شاهد على ما أقول ، وزورا زور على إذن ما يفيده تساؤله من أنى لم آت بهذا الدليل.

الزور إذن ، ما بدأ به رده على .

والزور أيضا ما مضى يحاول به الرد على .

وحق ما لم يزوره على ، فانه فى الغالب لا يشير الى ما استندت اليه فيما وصلت اليه من نتائج ، ويجد لذلك المجال فسيحا أمامه ، ليقول كل ما يهواه .

ولكنى لذلك أفهم لماذا لم يجرؤ الكاتب أن يشير فى كتابه إلى أنه يرد على كاتب

معين أو على كتاب معين ، انها يقين ، الخشية ، من أن يحاول القارىء أن يقارن بين كتابه وبين كتابى ، فيكشف أولا زوره ، ويكشف ثانيا أنه فى حقيقته ليس فيه ما يمكن فى أصول البحث ، أن يعتبر معه ردا على كتابى ، وأنه فى واقعه ، اذا قورن بكتابى ، فلن يستطيع أن يقنع ، حتى أكثر المتعصبين فى ايمانهم بالمسيحية فى صورتها الحـــالية .

ولا أعرف، كيف ، ورغم مابذلته من جهد للوصول إلى نسخة من هذا الـكتاب الذى شاء مؤلفه أن يسميه الحق ، لا اعرف رغم ذلك ، كيف وصلت نسخة منه إلى كاتبين جليلين أولهما الاستاذ ابن الخطيب (صاحب الفرقان وأوضح التفاسير وغريب القرآن) الذى أصدر رداً عليه كتابا جعل عنوانا له (هذا هو الحق) ، وثانيهـــما الاستاذ مصطفى حسن البكرى (من العلماء) الذى أصدر ردا عليه أيضا كتابا جعـــل عنوانا له (الاسلام والمسيحية) ، وما كان أغناها ، وأغنى القمص باسيليوس اسحاق عن ذلك، لو تحلى بالشجاعة الأدبية الواجبة ، والتزم أمانة الكلمة ، فقال فى كـتابه هذا أنه أصدره ردا على كتابى ذاك .

وأسمع أيضا أن كتابا آخر قد صدر ردا على كتابى، وهذه المرة يعرضه على أخ مسيحى ، انه الجزء الأول من رد السيد/يسى منصور والذى اختار عنوانا له « بيان الحق » وقد ذكر بصدره وعلى الغلاف أنه رد على كتاب دعـــوة الحق للأستاذ منصور حسين ، وأتصفحه ، وعبثا أحاول اقناع ذلك الأخ بأن يعطينى تلك النسخة فيأبى، اذ صدرها المؤلف باهداء اليه، وأبحث عن نسخة منها حيث اعتدت أن أجد الـكتب التى تبحث فى المسيحيه ، فلا أجد ، وأجـد لدى عنوان المؤلف على مؤلفات أخرى له ، ولحسن الحظ أنه يقيم فى الاسكندرية ، فأبعث اليه طالبا شراء بعض النسخ، فيعتذر بنفاذها ، ويطلب لقائى، وأذهب اليـه ، ويسألنى عن رأيى فى رده ، وأقول له رأيى ، والذى لا زلت عليه الى اليوم ، أنى لا استطيع أن أعتبره ردا ؛

فإذ أقرأه أعرف تماما أنه لم يكتب إلا للمسيحيين، حيث يقوم على افتراض صحة المعتقدات المسيحية المستقرة اليوم ، وأيضا لمسيحيين لم يقرأوا كتابى ،لأنه نادرا ما يبين أسانيدى؛ وغالبا ما يقتصر على ايراد النتيجة التى أنتهى اليها ، ويحاول الرد عليها ، فيجـــد المجال فسيحا أمامه ليقول ما يشاء ، لأنه لم يبين سند رأيى المعارض ، ويكفى لمن يقرأ كتابى ، أن يقرأه فحسب ، ليعرف أن هذا الذى كتبه سيادته لا يعد فى أصول البحث ردا ، ويقول لى بأننى قد طلبت فى كتابى من كل قارىء أن يرد على ، فأجيبه بأننى لم أقصد بحال أن على كل قارىء أن يكتب كتابا ردا على ، وانما فقط اذا لم يقتنع ، فعليه أن يجد لنفسه ردا على ما قلت ، حتى يكون إيمانه حقيقا بالاحـــترام ، وان كنت بطبيعة الحال أرحب بأى رد ينشر ؛ وتأتينى اجابته ، أنه على أى حال ، فانه ان لم ينشر أى رد على كتابى ، ربمـا ظن البعض ذلك عجزا عن الرد ، ولذا كان يجب أن ينشر رد ، واتفق معه على أن هذا هو تقديرى الصحيح للأمر ، ان هذا الـذى نشره لم ينشره الا للقول بأن ردا قد نشر على كـــتابى ، للايحاء بأن ذلك الـكتاب قد رد عليه ، ولا يهم بعد ذلك ان كان ذلك الرد يعد فى حقيقته ردا أم لا.

وينتهى لقاؤنا ، بوعد منه أن يحاول العثور على نسخة لى خلال أسبوع، وبطلب من يلقى قبولا منه ، أن يحيطنى علما على الأقل عند صدور الأجزاء الثلاثة الأخرى من رده ؛ وأترك له عنوانى ورقم تليفونى ، ولقد تفضل مشكورا بعد أسبوع ، وأهـدانى نسخة من الجزء الأول من رده ، ونسخا من كتب أخرى له ، ولـكن ، وبعد ذلك،وعلى صدور الأجزاء الثلاثة الأخرى من رده، بل وعلى اعادة طبع ذلك الرد، لم أسمع منه كلمة واحدة ، وان كنت قد استطعت أن أتابع بنفسى صدور الأجزاء الثلاثة الأخرى وأن أقتنيها .

وان كنت وجدت زورا كثيرا فى كتاب « الحق » ، فقد وجـدت زورا أقل منه فى كتاب « بيان الحق » وان كان أكثر بغيا .

فزورا نسب الى فى صفحة ٧١ من الجزء الثالث من رده قوله : (ولقد أنكر الأستاذ منصور حسين الانجيل ونفى عنه صحة الوحى بحجة أن القرآن لا يعترف بما جاء فيه من اثبات لاهوت المسيح وصلبه.) أقول زورا هذا الذى نسبه الى لأننى لم أستند الى ذلك فى كتابى قط ، وان كنت قد أشرت الى شىء من ذلك فباعتباره سبب عدم قبول المسلمين للأناجيل المتداولة ، وليس كسند أو حجة لى كما يقول .

أما الزور الأكثر بغيا ، فهو الزور الذى تجرأ فيه على الكتاب المقدس نفسه لا لشىء ، الا ليقنع القارىء بصحة رأيه .

فزورا زور على أناجيل مرقس ولوقاويوحناحين قال فى صفحة ١٦٢ من الجزء الأول من رده : (وانى أقول أنه قد اتفق البشيرون الأربعة على أن الملاك دحرج الحجر ....) ويقصد بالحجر هنا الحجر الذى كان موضوعا على قبر من صلب بعد دفنه ، وهو يقول ذلك ردا على ما قلته من تناقض فى روايات الأناجيل فى هـذا الخصوص ، وهو هنا يقول أنه قد إتفق البشيرون الأربعة على أن الملاك قد دحرج الحجر ، وليس لأحد أن يفهم من ذلك الا أن البشيرين الأربعة قد ذكروا ذلك ، بينما الثابت أن بشيرا واحدا هو الذى ذكر ذلك وهو متى ، وأما الثلاثة الآخرون فلم يذكروا ذلك على الاطلاق ، وزورا إذن ما نسبه اليهم من ذلك ، ولا يقال هنا أنهم لم ينفوا ذلك ، لأن عدم النفى لا يعنى تقرير الواقعة والاتفاق عليها .

وزورا زور أيضا على سفر أعمال الرسل حين قال فى صفحة ١٦٨ من الجزء الأول من رده : (والجواب ــ أن قصة متى أن يهوذا خنق نفسه لم ينفها أحد من البشيرين الآخرين بل أيدها بطرس الرسول أمام جميع الرسل وقال « وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم » اع ١ : ١٩) ، أقول زورا زور حين قال ذلك لأن المعنى الواضح لهذا القول منه أن ما قال بطرس أمام جميع الرسل بأنه قد صار معلوما عند جميع سكان أورشليم هو أن يهوذا خنق نفسه ، بينمـا الآية فى ذلك

السفر تقول « فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها . وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم » (ص ١ : ١٨ و ١٩) ، وبذلك فان العبارة التى قالها بطرس من أن ذلك صار معلوما عند جميع سكان أورشليم انما ترجع الى قوله عن يهوذا أنه اذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، فاذا علمنا أننى انما استند الى التناقض بين قول متى البشير فى انجيله عن موت يهوذا أنه مضى وخنق نفسه ، وبين ما قاله بطرس عنه أنه اذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، وكان السيد/ يسى منصور انما يحاول القول بأنه ليس هناك تناقض ، فانه بذلك يبين بجلاء قصده الواضح من ذلك التزوير .

وللحق فلقد عجبت العجب كله ، فان أمانة الكلمة ، وشرف الموضوع الذى تصديت له ، كانا بالنسبة لى أمرا مهولا ، لا يقبل عندى الا أمانة الكلمة كاملة ، وشرف الرسالة كاملا ، بل الأمانة فى أجلى صورها ، والشرف فى أعلا مراتبه ، والتزاما بأمانة الكلمة وشرف الرسالة ؛ فقد التزمت بأن أنقل دائما وباستمرار كل ما أكتبه النقل الأمين الصادق ، وأن انقله للقارىء بالصورة التى لا تحتمل أدنى لبس أو اختلاف ، ولقد وصل بى الأمر ، الى الحد الذى اعتبره كثيرون تكرارا مملا ، لا لزوم له ، ومع ذلك فقد أصررت عليه فى هذه الطبعة الثانية ، لا لشىء ، الا تأكيدا لهذا الالتزام .

فمن ذلك مثلا ، أنى حين أردت أن أبين تفاصيل القبض على المسيح كما يعتقد المسيحيون ومحاكمته وصلبه كما يظنون ، وهى تفاصيل لا يكاد يقوم بشأنها خلاف ، وكنت مستطيعا ان أورد الصورة نفسها كما أستخلصها بأمانة من الأناجيل ، وما كان لأحد فى تقديرى أن يعترض على ، ولكن ، والتزاما بالأمانة كاملة ، أوردت أولا هذه التفاصيل بنصها فى الأناجيل الأربعة ، وبعد هذا ، وبعد هذا فقط ، أتبعتها

بالصورة التى استخلصتها من الأناجيل .

ثم حين عرضت لتصور المسيحيين لألوهية المسيح ، لم أشأ أن أورد أى تصور من أى كتاب أجده ، وإنما ، نقلت نقلا كاملا خطابا يمثل تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح .

بل اقتضتنى أمانة الكلمة ، وشرف الرسالة ، ويقينى الكامل بكل ما كتبت، ألا أكتفى بالبحث والنتيجة التى أخلص اليها ، وكان ذلك وحده ، وفى أصول البحث يكفينى ، ولكنى مع هذا أمضى فأثير بنفسى كل ما أتخيل أنه قد يثور من اعتراضات على النتيجه التى أنتهى اليها لأناقشها وأرد عليها ان كان ذلك ممكناً ، وقد أمكن بالفعل .

لهذا كله قد عجبت ، وعجبت أكثر لأنى أقدر أن التزوير لا يلجأ اليه الا من لا يعتقد بصحة سنده ومن لا يوقن بسلامة معتقده ، فلا يجد سبيلا للرد على غيره الا بأن يزور على هذا الغير ما قاله عله بذلك يستطيع أن يدعى أنه قد ردعليه، وأقول زاد عجبى لأنى على أى الأحوال ما كنت أحسب أن من سيحاول الرد يمكن أن يكون هو نفسه غير مقتنع بصحة ما يقول ، وهذا ما يدل عليه عندى أن يلجأ الى الزور يزور به على ما كتبت، ولكن على غير هذا لا يدلنى ما لجأ اليه من زور.

ولقد كان من حسن الحظ ، أن لم يظهر رد واحد ، بل ردان ، لأن الحقيقة واحدة ؛ وأما ما عدا الحقيقة فكثير ، لأن الحق واحد والباطل لا عدد له ؛ ولهذا كان لزاما لو لم تكن الحقيقة ما انتهيت اليه، ولو لم يكن الحق ما أقول أن يكون الرد على واحداً وإن تعدد أما أن يتعدد الرد ، ليس فقط يتعدد بل يتناقض فذاك، يقول الأمر والآخر يقول ضده ، فهذا وحده دليل أن ما انتهيت اليه هو الحقيقة وأن ما قلت به هو الحق .

* * * *

السيد/ يسى منصور فى صفحتى ٦٨ و ٦٩ من الجزء الأول من رده ، يعدد لى تسعة أمثـــلة يدلل بها على أن اسحق ابن ابراهيم الذى ورد فى العهد القديم أن ابراهيم كان سيذبحه ، يعدد هذه الأمثلة ليدلل بها على أن اسحق هنا مثال للمسيح ويؤكد ذلك بأنه لهذا تقول الكنيسة القبطية فى القداس فى صلاة القسمة فى أحد الشعانين : « وكما حمل اسحق حطب المحرقةحمل المسيح خشبة الصليب ... » . أما كاهن الكنيسة القمص باسيليوس اسحق ، فيعطينا فى صفحة ١٢٧ درسا فى معنى الرمز ويقول أن ماقاله بعضهم عن اسحق أنه كان رمزا إلى المسيح . . . انما هو خطأ بحت لأن الكاتب اعتمد على نظرية خاطئة ، وصحيح أنه عاد فى الطبعة الثانية من الكتاب،فأضاف جديدا،لاشك أنه نتيجةالهجوم عليهمن السيحيين أنفسهم، لرفضه ما لاخلاف عليه عندهم وتؤكده الصلاة التى أشار اليها السيد / يسى منصور، ولكنه رغم هذا يأبى العدول عما قرره أولا ، إذ يحاول أن يوضح فى الطبعة الثانية أن هناك فارقا بين المثال والرمز ويقول فى صفحة ١٤٩ : (واذن لم يكن اسحق رمزا للمسيح بل مثالا له .) ، ومع ذلك فانه يبقى فى نفس الطبعة ماسبق أن أورده فى الطبعة الأولى، فنقرأ فى صفحة ١٥٢ من الطبعة الثانية قوله (وهنا يستقيم الكلام اذا إعتبرنا أن اسحق يمثل الجنس البشرى ...)

. . . .

السيد / يسى منصور يحاول أن يفسر التناقض بين الروايتين الواردتين فى سفر أعمال الرسل عن ظهور المسيح لشاول الذى لقب ببولس الرسول حيث ورد فى احداهما أن الرجال المسافرين معه وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولاينظرون أحدا ، بينما قالت الأخرى أن الذين معه نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمه، فيقول سيادته فى صفحة ٦٣ من الجزء الثالث من رده : (وبقليل من التأمل نرى أن الروايتين متفقتان على أن الرجال الذين مع شاول نظروا النور

وارتعبوا ووقفوا صامتين ولم يروا شخص المسيح . وأنهم سمعوا الصـــوت كدوى. لـكنهم لم يسمعوا الصوت بوضوح ولم يسمعوا شيئا من كلماته ، فـلا تناقض .) ، أما السيد القمص فيقول لازالة هذا التناقض فى صفحة ٥٨ : (ظن أحـــد الـكتاب أن خلافا فى النصين، ولا خلاف بينهما قط ؛ إن المسيح تكلم مع شاول وحـــذره من عاقبة أعماله ، وجرى حديث بينهما وأجـــاب بولس السيد المسيح ... فالرجال المسافرون معه سمعوا صوت بولس وهو يتحدث مع المسيح ولـكنهم لم يسمعوا صوت المسيح . وفى الثانية : الـكلام واضح : ان المسافرين لم يسمعوا صوت الذى يكلمنى أى صوت المسيح الذى كان يكلم شاول ...) ، ولن أعلق .

. . . .

السيد/ يسى منصور يقول عن الأقوال التى ذكرها شاول الذى لقـــب بولس الرسول بقوله « وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب ... » و « وأما العـذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن . ولـكننى أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا ... » ، يقول سيادته فى صفحة ٤٤ من الجزء الثالث من رده : (أن بولس الرسول لا يقصد بالآيات السالفة أن ينفى الوحى عن أقواله ؛ ولـكنه يتكلم عمانقله من أقوال المسيح فى بعض الأحكام وعما لم يحكم فيه المسيح فى وقت وجوده بالجسد فهو يميز بين الأقوال التى يستشهد بها من أقوال المسيـــح وبين أقواله هنـا الآن التى يقولها بروح الله .) ، ثم يقول فى نفس الصفحة وصفحة ٤٥ : (فهذه الآية الـكريمة لا تفيد كما ادعى المعترض أن بولس الرسول كان لا يرى نفسه ملهـما بالوحى ، لأن بولس الرسول صرح مرارا أنه ينطق بالوحى ، ولما قال « وأما الباقون فأقـول لهم أنا لا الرب ... » كان يعنى بذلك أن المسيح لم يتكلم فى مسألة ... ولم يـدون شىء بخصوصها فى الـكتب الالهية قبل الآن ..) ، أما القمص باسيليـوس اسحق فيقول فى صفحة ٦٤ : (والأمر واضـح جلى ... ففى الأول حرم الطـــلاق بين

المؤمنين بأمر الله . وأما الثانى فأعطى رأيا ، ولم يكن بوحى من الله أن ... وقال صريحا أنه لم يؤمر من الرب أن يكتب هذا ... وانما هذا رأيه الخاص . وأما بخصوص المذارى فانه لسبب ... فاذن عندما أبدى الرسول رأيه فى هـذا الأمر لم يكن مسوقاً من الروح القدس ... ولـكنه كان ينصح المؤمنين لشدة الأهـوال التى تشابه حصار أورشليم . ولهذا كان يتعين أن يوضح أن هذا كلامه وليس كلام الله.) فهل أنا هنا بحاجة الى تعليق .

. . . .

وليس هنا مجال لبيان كل أوجه التناقض بين الردين ، وأكتفى هنا بهذا الذى ذكرته ، تاركا الباقى كل فى موضعة من الـكتاب ، على أنه لا يفوتنى هنـا أن أشير إلى أننى لم أتناول على الاطلاق ، ما استندا اليه من القرآن ببحث أو رد أو تعليق لأسباب أعتبرها بديهية ، ذلك أنى حين أحاول أن أقنع أحداً بما أقول، فان أصول البحث توجب أولا أن أكون أنا مقتنعا بهذا الذى أقوله ، وحين أدلل للقارىء على أمر بسند ما ، فيجب أن أكون أنا أولا قابلا لهذا السند ، ولهـذا ، ففى كل ما كتبته ، لم أقل شيئا لست مقتنعا به ، ولم أستند على أمر لا أقبله أنا سندا ، ولهذا فاننى حين قبلت الاستناد الى ما فى العهد القديم من نبوءات ؛ لم يكـن ذلك مجرد مسايرة المسيحيين فى هذا الإستناد ، وانما ايمانا منى نابعا من دينى بأن العهـد القديم كتاب الله الذى أقبله ، وحين أخذت فى الصورة الاسلامية بالتفاصيـل التى وردت فى الأناجيل عن محاولة القبض على المسيح عليه السلام ثم محاكمته وصلبه ، أوضحت أننى آخذ بها اعتمادا على ايمانى النابع من دينى بالانجيل، واقتناعا بفرض يجب أن أقيم عليه البحث ، وهو أن يكون الأصل فى الأناجيل المتداولة افـتراض صحتها فيما لا يقوم الدليل على عدم صحته مما ورد فيها، بل وحتى حـين انتهيت الى عدم صحة الـكثير مما ورد فيها ، لم أرفض هذه الأناجيل جملة، وانما رأيت الأخذ

بها كأسفار تاريخية غير موحى بها بعد أن أقمت الدليل على ذلك ؛ وفى كل هـــذا كتبت ما أنا معتقد بصحته والتزم به قبل أن أطلب من القارىء أن يقتنـــع به ، بل إننى فى ختام كتابى طلبت من المسلمين أن يأخذ الكتاب المقدس مكانه الصحيـــح بينهم ، اذ هو كتابهم ، تماما كما أن العهد القديم كتاب اليهود قد اعتبره المسيحيون كتابهم ، ولهذا ، وعلى هذا الأساس ، اعتبرت أن من حقى ، بل ومن واجبى أن أتناول الكتاب المقدس وأقرأه وأعلق عليه .

أما هؤلاء الكتاب ، فما هو القرآن عندهم ؛ إنه عندهم ، ليس بالكتـــاب المقدس ، وليس من عند الله ، وهو عندهم غير موحى به ، وهو عندهم من تأليف محمد عليه السلام وحده ؛ وهو عندهم ولكن هذا لا يصلح دليــلا على أى شىء ، فاذا كان هذا هو حال القرآن عندهم ؛ فأى سند يكون لهم اذن فيـــه ؛ واذا كان القرآن عندهم لا يصلح سندا فكيف يستندون اليه، وانها للحجة التى يقولونها أنه ما دمنا لا نقتنع بغير القرآن فسيأتوننا بالسند منه، وأما أنا فأقول لهم لا، يجب أن يكون السند أولا مقبولا منكم حتى يقبل منكم الاستناد اليه، كما أنه غير صحيح أننا لا نقبل غير القرآن سندا، بل نقبل كل ما يقره العقل وتقبله أصول البحث ، وكتابى هذا خير شاهد على ذلك، ثم ماذا تريدون من القرآن، أن تفسروه للمسلمـين،وهل هم ينقصهم أن تفسروه لهم، أم تريدون أن تحرفوا فيه الكلم عن مواضعه، وهذا ما أعتقده، لأنه ليس أعجب بعد كل ما استقر من خلاف بين المسيحية والاسلام وحول صلب المسيـح وعدم صلبه وبين القول بألوهيته وعـدم الوهيته وبعـــد أن قالت الآيات القرآنية بكل صراحة أن لقد كـفر الذين قالوا أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم، وبعد أن قال القرآن أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، ليس أعجب بعد كل هذا من أن يحاول من يرد علينا أن يقول لنا بأن القرآن يقر بألوهية المسيح وبصلبه، لا أبدا هذا استخفاف بالعقول فوق كل استخفاف، وهذا هراء أبدا لا أنزل الى حد مناقشته.

واذا ذكرت هنا ما لقيت من جهد فى سبيل الحصول على كتابى الحق وبيان الحق الذين حاولا الرد على كتابى ، فانى أذكر هنا أيضا بالفضل والتقدير والاحترام ، السيد الأب كنيث نولن ، فقد كتب الى سيادته ، وطلب أن يناقشنى ، وأن يلقانى ، وكان له ما طلب ، ثم أرسل الى سيادته بنسخة من تعليقه على كتابى قبـــل نشره يسألنى رأيى فيه ، ثم اذ نشر التعليق تفضل سيادته فأرسل لى خمس نسخ منه ، واذا كنت أعتقد بيقين ، أن هذا الذى فعله سيادته ، انما هو ما عليه على المرء ، أمانة الكلمة التى يكتبها ، وشرف الرسالة التى يتصدى لهـا ، فقـد عمق من احترامى وتقديرى واعترافى له بالفضل ، لما كان من سيادته من ذلك ، ما لقيته من جهد وعناء ؛ فى سبيل الحصول على الـكتابين الآخرين اللذين حاولا الرد على ، وما وجدته فيهما من زور ، ومن تجاهل لمعظم أسانيدى ، وأسجل هنا ، وأمانة ، أن سيادته لم ينسب الى فى تعليقه ؛ ولا حتى كلمة واحـدة لم أقلها ، وما كان أيسر ذلك عليه لو أراد ؛ فرده نشر فى مجلة أجنبية لم أسمع بها ؛ وبلغة لم أعتد القراءة بها ، ولم يكن لى من سبيل الى تلك المجله الا من سيادته شخصيا .

وأذكر هنا أيضـــا ، بالشكر والتقدير والإحترام ؛ السيد الاستاذ الدكتور جرجس قسطنطين جرجس مدرس الرياضيات بكلية العلوم بجامعة القاهرة ، فقـد أرسل سيادته كتابين مؤرخين ١٩٧٠/٦/١٧ أحدهما باسمى والآخر باسم والدى على عنوان كل منـا ، ويقول فى كل منهما أن سيادته يدرس اللاهوت بالقسم الليلى بالكلية الا كليريكية اللاهوتية بالدمرداش ، وأنهم قد تعرضوا فى دراستهم لـكتابى « دعوة الحق » ، وقد بحث عن هذا الكتاب لدى الناشر فلم يجد لديه أى نسخة ، وأخبروه أنه ربما يجد عندى نسخة ؛ وعلى الأهمية الواضحة التى جعلها سيادته لطلبه هذه النسخة ، من ارساله أكثر من خطاب فى نفس الوقت ، فقـد أكـد

أيضا هذه الأهميه بطلبه فى كلا الخطابين أن يكون الرد حالا .

ومن فورى بادرت بارسال النسخة المطلوبة ، وانتهزت هذه الفرصه لأسأل سيادته عما اذا كان قد سمع بأن ثمة ردوداً أخرى ظهرت رداعلى كتابى ، ومن فوره أيضا ، تفضـل سيادته مشكورا بالرد على بكتاب مؤرخ ١٩٧٠/٦/٢٣ ، ويبلغنى بأنه لم تظهر ردود أخرى ، ويتفضل سيادته فيقول أنه يسعده القيام بأى خدمة أطلبهـا ، وبأننى اذا أردت المزيد فى المعلومات والردود التى وقعت بين المسيحية والاسلام فيوجد كتاب قوى للمرحوم الايغومانس « ابراهيم لوقا » ويسمى المسيحية فى الاسلام وقد نفذ من السوق ويتفضل سيادته فيعرض على إن لم يكن لدى هذا الكتاب فسيادته على استعداد للبحث عنه واحضاره لى .

بل وفوق هذا يتفضل سيادته فيقول بأنه اذا قابلنى أى اشكال فى الوضوع حول المسيحية والاسلام ؛ نعندهم الأنبا شنوده أسقف التعليم الدينى وهو عميد الكلية الاكليريكية اللاهوتية وهو بجانب روحانيته فهو يمتاز بعبقرية جبارة ويعطى الردود الحاسمة المقنعة،وأستطيع أن أجده فى الكلية الاكليريكية اللاهوتية بشارع رمسيس بالدمرداش بجوار كلية طب عين شمس ، وهو يرحب بأى سؤال ويرد عليه بصدر واسـع ؛ وإنه لمن سوء حظى حقا ؛ أنى لم يقابلنى أى اشكال فى الوضوع حـول المسيحية والاسلام ، ولهذا فلم أحظ بشرف هذا اللقاء .

وتفضل سيادته أيضا فقال لى فى كتابه هذا أنه قد أشير إلى كتابى فى محاضرات للأنبا شنوده أسقف الكلية الاكليريكية التى يعطيها لهم بالقسم الليلى ، وقد أشار إليه فى مادة «مقدمات الكتاب المقدس» وفى مادة «الدين القارن أو الاسلاميات» وقال سيادته أنه سيكتب بيانا عن هذه الاشارات لكتابى فى ورقة أخرى منفصلة ، وتفضـل مقررا أنه على استعداد تـام لأى خدمة أو طلب أو سؤال بعد الإنتهاء من امتحانات الكلية اللاهوتية التى تنتهى فى منتصف أكتوبر .

وتفضل سيادته فأرفق بكتابه هذا أربع صفحات جعل فى أولها عنوانا يقول.
(إشارات لكتابكم دعوة الحق من محاضرات سيدنا الأنبا شنوده فى مادة « مقدمات الكتاب القدس») ، ويقول سيادته تحت هذا العنوان :

(فى كتاب دعوة الحق من ص ٧٠ يتناول الأستاذ منصور حسين المزامير ويشرح من المزامير أن المسيح لم يصلب تنفيذا للآية القرآنية « وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم » (النساء ١٥٧)

(١) فى مزمور (٢) ... قلتم سيادتكم أن المقصود بهذا المزمور هو السيد المسيح وأن الله ضحك عليهم وأبدل شخص المسيح بشخص آخر . الرد : أن هذا الكلام لم يكن مقصودا به شخص المسيح بقدر ما كان مقصودا به المسيحية ذاتها — فمتى ارتجت الأمم وفكرت الشعوب بالباطل إلا لافناء المسيحيه ولكنها نسبت للمسيح . مثلما شاول كان يضطهد المسيحية فظهر له المسيح وقال « شاول لماذا تضطهدنى »

— وبغض النظر عما أضفته فى هذه الطبعة تعليقا على هذا المزمور من كتب الإخوة المسيحيين ، فانه يكفينى للرد على ذلك أن أذكر ما ورد فى سفر أعمال الرسل عن رفقاء بطرس ويوحنا من أنهم « ... رفعوا بنفس واحدة صوتا إلى الله وقالوا أيها السيد أنت هو الاله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه . لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب اسرائيل. ليفعلوا كل ماسبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون» . (ص ٤ : ٢٦ — ٢٨) ، والآية المشار اليها هنا على أنها قيلت من الله على فم فتاه داود ، والتى يقطع رفقاء بطرس ويوحنا بأنها قصد بها بالذات يسوع المسيح ، بل وزادوا تأكيدهم هذا بأن

أوضحوا التفاصيل التى تقطع بذلك ، ولم يظهر فى كلامهم أدنى احتمال لأن يكون القصد منها الاشارة إلى للسيحية أكثر من السيح ، أو الاشارة إلى للسيحية على الاطلاق ، هى تلك التى وردت فى المزمور الثانى والتى يقول الرد أنها لم يكن مقصودا بها شخص السيح بقدر ما كان مقصودا بها للسيحية ، والسؤال هنا ، أيهما أكثر قبول واعتبارا ، ما ورد فى ذلك الرد ؛ أم ما ورد فى سفر أعمال الرسل ، وللقارىء وحده أترك الاجابة . —

(٢) مزمور (٣) ... — قلتم أن هـــذا المزمور يشير إلى صراخ المسيح لتخليصه من الصليب وقد استجاب الله له — نرد عليكم بأن الخلاص ليس تخليص المسيح من الصليب ولكن الخلاص الذى نعنيه هو فداء الناس على الصليب وتخليصهم من عبودية إبليس؛ كما أن هذا المزمور يشير بوضوح إلى موت المسيح ودفنه وقيامه إذ يقول «أنا أضطجعت ونمت ثم استيقظت» وإذا كان السيد المسيح يريد التخلص من الصليب لما ذهب إلى بستان جثسيمانى وهو يعلم أنه أنه سيقبض عليه هناك ولما بقى هناك حينما جاء اليه الجنود ليقبضوا عليه ولما كان يوقظ التلاميذ قائلا «إن عدوى قد اقترب».

— وردا على ذلك أقول أنه ليس أدل على أن المسيح لم يكن يريد أن يصلب من كل هذه الصلاة الحارة العميقة فى ذلك البستان حتى كانت قطرات العرق تتساقط منه كقطرات الدم وهو يسأل الله أن يعبر عنه هذه الكأس ، أما لماذا ذهب إلى البستان رغم ذلك ، ولماذا أيضا لم يحاول الهرب عندما علم أن أعداءه قادمين للقبض عليه؟ فهذا ما نعرفه منه عليه السلام حينما اختتم كل هذه الصلاة وكل ذلك الدعاء بقوله لله لكن ليكن كما تريد أنت لا كما أريد أنا ، فهو وإن لم يكن يريد أن يصلب ، وهذا طبيعى ، فانه رغم ذلك سلم لله بمشيئته فى أن يصلب ، وهذا أعظم الايمان ، وأما أن هذا المزمور يرمز إلى موت المسيح ودفنه وقيامته ، فلست بمستطيع أن أرى فى الاضطجاع والنوم والاستيقاظ موتا ودفنا وقيامة، كما أن المزمور يحدثنا عن أنه

اضطجع ونام واستيقظ لأن الرب يعضده فلا يخاف من ربوات الشعـــوب المصطفين حوله، ومن يضطجع وينام ويستيقظ لأن الرب يعضده فلا يخاف من ربوات الشعوب المصطفين حوله ، نقول عنــه أنه رغم ذلك صلب ودفن وقام من الأمــوات ، ففيم تعضيد الرب له وفيم اذن عدم خوفه .

(٣) مزمور (٤) ٠ ٠ ٠ ٠ ـ الرد : لانستطيع أن نأخذ كل صراخ فى المزامير فى الضيقة على أنه صراخ من المسيح خوفا من الصليب فمزامير داود مملوءة بالصراخ فى الضيقة ـ ولا نأخذ كل المزامير على أنها نبوءات عن السيـــد المسيح ـ فان حياة داود كلها ضيقات ومملوءة بخــلاص الرب له ـ والآية فى مزمور ٤ « إعلمــوا أن الرب قد جعل صفيه عجبا » لاتشير الى خلاص المسيح من الصليب ولـكن تشير إلى مجد المسيح فى قهره للموت بالقيامة وعمل الفداء ـ ومجد المسيح هنا ليس مجدا عاليا بل مجد روحى كما يقول فى مزمور (٤) « حتى متى يكون مجدى عارا » .

ـ وأقول ردا على ذلك ، أنه لو صح هذا التفسير للمزمور، لوجب أن يكون هو نفس مانجده فى الـكتب المسيحية ، فاذا رجعنا إلى التعليق على المزمور الرابع نجـــد تفسيرا آخر فى كتاب دراسات فى سفر المزامير يرى أن أقوال هذا المزمور تصدق على مسيح الله الحقيقى لأن تصرف الـكتبة والفريسيين وعامة الشعب من ورائهم برهن على أنهم أحبوا الباطل وابتغوا الـكذب إذ ساروا وراء عناد قلوبهم فى مقاومة مسيح الله ملـكهم الحقيق ٠٠٠، ويكفى لترجيح تفسيرى الرجوع إلى ماقلته تعليقا على هذا المزمور ، ومن الغريب أن يقال فى التعليق على هذا المـزمور بالذات أننا لانستطيع أن نأخذ كل صراخ فى المزامير فى الضيقة على أنه صراخ من المسيح خوفا من الصليب، ورغم هذا يستند نفس القـائل إلى أن هذا المزمور يشير إلى المسيح نفسه ، وإن كان على النحو الذى رآه ، ففيم إذن كان هذا الذى قيل فى بداية التعليق على المزمور ، على أن تلك العبارة التى تقول أننا لانستطيع أن نأخذ كل صراخ فى المزامير ٠٠٠٠

أ كتفى بهذه الاشارة اليها هنا ولى اليها عودة ، لأنها تقريبا كانت نفس مأخذ السيد الأب كنيث نولن .

مزمور (١٢) : (طبعة رومية) أو مزمور ١٣ (طبعة بيروت) (ملحوظة الطبعة المفضلة للمزامير هى طبعة رومية) — وهذا كله فى الخطاب . .. لايمكن أن تنطبق على السيد المسيح وصلاته من أجل تخليصه من الصليب لأنه اذا كان خائفا من القبض عليه لما ذهب إلى بستان جثسيمانى وهو عالم أنه سيقبض عليه هناك ـ كما أننا نقول أن المسيح لايمكن أن يخاف من الموت .

ـ والرد على ذلك بسيط ، وهو أولا ، بل تقـولون ، وأحيـل فى ذلك إلى ماأورده السيد / يسى منصور فى كتابه بيان الحق فى جزئه الأول فى صفحتى ١٢٣ ، ٢٤ : عن الرأى الذى ذهب اليه كثيرون من أئمة المفسرين الذين يعلقون أهميـة خاصة على ناسوت المسيح فيقول أنهم قالوا : (إن المسيح لم يكن خائفا من الصليب لـكن جسده الطبيعى الطاهر الذى لم يعرف خطية اقشعر من الموت الذى هو قصاص الخطية ، كما يقشعر الجسد الطبيعى من الظلام الدامس ـ وأى ظلام أشد من ظلام الخطيئة . ولأن المسيح رأى هذا الموت مظهرا لغضب الله عليه . . . فـكان الصليب مرا ، ولذا وجب على الجسد الذى يتجرع كأسه أن يقشعر .

فلو لم تكن فى الصليب مرارة لما صار الصليب صليب الفداء . ولو لم يذق يسوع مرارة الصليب لما اعتبرت تضحيته تضحية حقة ... فالطبيعة الانسانيـة تقشعر من المرارة ، وتكره الألم ، وتنفر من الظلمة وتجفل من الحزن ، وتأبى المـوت فـلا لوم ولاتثريب على ناسوت المسيح أن يبدو طبيعيا ومنفعلا بكل الانفعالات الطبيعية) . وتأبى الموت هذه وردت فى الـكتاب الذى يحاول الرد على ، وأن تقشعر طبيعتـه الانسانية من المرارة وأن تكره الألم وأن يقشعر جسـده من الموت ، هـو ماورد فى ذلك الـكتاب أيضا ، فهو رافض ذلك لايريده ، كما تقدم وكما تقطع به صلاته كما

قدمنا ، ولكنه يذهب الى البستان تسليما بمشيئة الرحمن فى أن يصلب كما سبق أن أوضحنا تفصيلا ، فالخوف والرفض وعدم الارادة كلها موجودة بالنسبة للصلب ولكن التسليم بارادة الله فى ذلك أيضا موجودة ، ومن هنا انطباق المزمور .

مزمور ٢٠ (طبعة بيروت) أو مزمور ١٩ طبعة رومية .... — قلتم أن هذا المزمور ينطبق على السيد المسيح وتخليصه من الصليب والرد أن كلمة مسيح لاتنطبق فقط على السيد المسيح بل على كثيرين مثل داود النبي وشارل الملك فى العهد القديم وسليمان الحكيم ثم عبارة « هؤلاء بمركبات وهؤلاء بخيل » لا ترمز الى الذين قدموا وقبضوا على السيد المسيح فلم يقل أحد أنهم جاءوا بخيل أو مركبات ولم يقل أحد أنهم عثروا وسقطوا — ثم عبارة « نحن قمنا واستقمنا وانتصرنا » بصيغة الجمع أى أن هذا الكلام لايشير الى السيد المسيح .

— واذا كنت أنوى التعليق على ذلك بعد التعليق على المزمور ٢٢ الا أنه لايفوتنى هنا أن أشير الى أن القول بأنهم عثروا وسقطوا لم يقله أحد غير صحيح ، وليس أدل على ذلك من أن انجيل يوحنا قد قال عنهم أنهم فى لحظة الوصول الى المسيح للقبض عليه رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، ثم إن الأستدلال من عبارة « نحن قمنـــا ... » على انها لم يقصد بها المسيح لأنها وردت بصيغه الجمع ، فهذا كلام غريب فى حد ذاته ، وغريب من مسيحى بالذات ، فأى قارىء للمزمور لايمكن أن يعترض على إمكان أن يكون المقصود بهذه العبارة فرد واحد ، أو على أنها لايقصد بها إلا فرد واحـــد ، وأما أن يكون المعترض مسيحيا بالذات فهذا أعجب مافى الأمر ، ذلك أن معظم الكتب المسيحية حين تعرض لمثل هذه العبارات تستخرج منها ، بغير حق ، دليلا على تعدد الأقانيم فى الا له الواحد ، وإلا لمـــا استعمل الوحى صيغة الجمع فى حديثه عن الواحد ، وعموما فأنا أحمد للراد إعتراضه على هذا الاسلوب للمسيحيين المستفاد من ورده .

مز ٢٢ (طبعة بيروت) مزمور ٢١ (طبعة رومية) .

قلتم أن هذا المزمور يرمز الى يهوذا الذى صلب بدلا من المسيح لأنه لايصح أن يقال عن السيد المسيح . . . . أما أنــا فدودة لا انسان عار عند البشر ومحتقر الشعب . . الرد وكلمـة عار ليس أنه عــار فى ذاته بل انه احتمل العار وقد ذكر بولس الرسول كثيرا فى رسائله عن ذلك فقد جاء فى رسالته الى أهـل غلاطية « المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » (غل ٣ : ١٣) وقد حمـل السيد المسيح كل لعنات الناموس وخطايا البشــر واحتمل كل هذا من أجلنا كما أن أشعيا النبي قال عنه فى ساعة الصلب وتنبأ « لاصورة له ولا جمال ولا منظر فنشتهيه » مع أنه قيل « انه أبرع جمالا من جميع بنى البشر » .

— وقبل أن أمضى الى التعليق على ذلك فيما بعد أوضح أننى لا أستطيع أن أفهم من قول قائل عن نفسه « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر . . » أنه لايقصد أنه عار فى ذاته ، وأما ما يذكره بولس فإن هو الا محاولة لتبرير ماظن أنه المسيح قد صلب ، ولا أعتبرها محاولة موفقة ، ثم ماهذا القول بأنه قد احتمل كل لعنات الناموس وخطايا البشر ، أليست هى خطيئة آدم وحــدها ماتقولون بأن الله قد تجسد وتأنس وصلب ليفدى البشر منها ، والا ، هل معنى أن يــكون الانسان مسيحيا اذن أن يرتكب ما يعن له من الخطايا فقد افتداها المسيح كما تعتقدون بدمه مسبقا ، للحق لم أفهم بحال أنكم تقصدون هذا ،وأما القول بأنه مكتوب أنه ملعون كل من علق على خشبة ، فهــذه شهادة بأن هذا الذى علق فى الأناجيل لايمكن أن يكون المسيح ، لأنه أبدا ، وبأى حال ، لايمكن أن يكون ملعونا ، ويقطع بذلك أنه مــكتوب أيضا فى العهد القديم ، فى المزمور التاسع « معروف هو الرب . قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه . » (١٦) ، فهــل يمكن القول طبقا لذلك ،

وباعتبار أن المسيح قد علق على خشبة كما تعتقدون،أنه قد صار شريرا أيضا،بالطبع لا ، وتماما أيضا لا يمكن القول بأنه قد صار لعنة ، لأنه لو قيلت احداهما عليه ، لوجب قول الأخرى أيضا ، والغريب أنني أنا الذى لا أعتبر فى حكم المسيحيين من أتباع المسيح ، أقف بكل ماحواه هذا الكتاب مدافعا عن مجد المسيح وكرامته ، نافيا عنه العار الذى ألحق به ، نافيا عنه اللعنة الدعى بها ، فيعيب على من يرون فى أنفسهم أتباع المسيح ، يقى اللعنة والعار عنه ، أينامن أتباع المسيح حقا ، إن الشرف كله لى أن أكون من أتباع المسيح عليه السلام ، ومن أول من يدفعون عنه اللعنة والعار اللذين ألحقها به من يعتقدون أنهم أتباعه .

ويستطرد سيادته فيتفضل فى الصفحة الثالثة من صفحاته الأربع ويقول أن ماسبق كان ماتعرضوا له فى دراستهم فى مادة « مقدمات الكتاب المقدس » عن كتابى « دعوة الحق » وأنه أشير فى دراستهم فى مادة علم الدين المقارن (الاسلاميات) عن حادثة صلب المسيح إلى كتابى «دعوة الحق» وقال أن الاشارة هى إلى ما قلته فى صفحة ١٤٩ من أن الذى نستطيع أن نستخلصه مما ورد فى الأناجيل أن الذين حاولوا القبض على المسيح لم يكونوا يعرفونه ... وأن الرد أن المسيح وتلاميذه كانوا معروفين جدا وأخذ سيادته يعدد ثلاثة عشر سببا لذلك خلاصتها أن المسيح وتلاميذه كانوا معروفين فى معجزة إشباع الجوع وأن الخدم كانوا يعرفون أن بطرس هو أحد التلاميذ وأن جمعا عظيما قابل المسيح فى أحد السعف كما كان المسيح وتلاميذه يحضرون ولائم العشارين والخطاة وصنع معجزات كثيرة قبل صلبه وأنه لو كان غير المسيح من صلب لما حدثت زلزلة وقت الصلب ولما أظلمت الشمس عندئذ وكان المسيح يعظ فى مجامع اليهود وفى شفاء الفلوج يقال أن البيت مزدحما كما قال المصلوب كلمات لا يقدر يهوذا أن يقولها على الصليب ولم تكشف مالحا كمةعن أنه ليس المسيح كما أن نيقوديموس ويوسف الرامى أنزلا الجسدمن على الصليب وكفناه ، وقد أشار بولس الرسول كثيرا إلى مجد الصليب ، ولست أرانى بحاجة إلى

الرد على كل هـذا يغير ما أوردته فى البحث نفسه ، والذى يبدو واضحا جليا أن السيد الدكتور جرجس قسطنطين لم يـكن قد قرأه بعد عند كتابته هذا الخطاب إلى ، لضيق الوقت بين خطابيه الأولين وهـــذا الخطاب (١٩٧٠/٦/١٧ و ٧٠/٦/٢٣) مع ملاحظة الوقت الذى استغرقه وصول خطابيه الأولين إلى والوقت الذى وصله خلاله كتابى والخطاب المرفق به ، وهـذا فضلا عن أنه يعرض على البحث عن كتاب المسيحيه فى الاسلام ، والذى يقرأ كتابى يعرف من أوله أنه لدى.

والآن أعود إلى المزمورين ٢٠و٢٢ وإلى عبارة أننا لا نـستطيع أن نأخذ كل صراخ المزامير فى الضيقة على أنه صراخ من المسيح خوفا من الصليب فمزامير داود مملوءة بالصراخ فى الضيقة ولا تؤخذ كل المزامير على أنها نبوات عن السيد المسيح فان حياة داود كلها ضيقات ومملوءة بخلاص الرب له .

وفى هذا أقول ، لقد وجدت الـكتب المسيحيه تقول أن المسيح ساطع فى كل الـكتاب المقدس كالشمس وأن المسيحيين لايهتمون أين يفتحون التوراة وكتب الأنبياء ليجدوا الـكلام عن المسيح ، كما قرأت أيضا أنه فى سفر التـكوين كان فجر النبوة وفى الأسفار التالية كان تدرجها فى الارتفاع حتى تـكبدت السماء فى سفر المزامير وظهر المسيح فيه واضحا جليا فى كمال مجده كأنه الانجيل يتـكلم عن يسوع من كل مناحى حياته عن أعماله وأقواله وتعاليمه وظروفه وأحواله ، وأن هـــذا السفر كان كالهالة أحاط بـكوكب يسوع فتـكلم حتى عن احساساته العميقة وآلامه المبرحة أكثر من أى نبى آخر حتى ليمـكن القول أن سفر المزامير هو سفر مسيا الخـاص بدليل أن الاقتباسات التى اقتبسها كتبة العهد الجديد من ذلك السفر قد بلغت إلى نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله (كتاب هل تنبأت التوراة عن المسيح) ، كما قرأت أيضا أنه لم يوجد كتاب ملىء بالاشارات عن والرموز والنبوات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هـذا وعليه فأهميته فى

نظر اللاهوتيين تفوق الوصف (كتاب رب المجد) ، بل وحق السيد /يسى منصور في كتابه بيان الحق الذى أصدره ردا على كتابى لم يستطع الا الإقرار بذلك فقال في صفحة ٣٥ من الجزء الأول أنه (ومعلوم أن سفر المزامير يسمى عند اليهود والمسيحيين بسفر المسيا .) ، والمسيا هنا يقصد بها المسيح كما هو معروف .

هذا ما وجدته ، وقبلته ، ثم أخذت أبحث عما يقوله هذا السفر عن المسيح ، واقرارا للواقع ، فقد كان أول مزمور قرأته في هذا السفر باعتباره نبوءة عن صلب المسيح عند المسيحيين كما يقولون ، هو المزمور ٢٢ ، ووجدت فيه بحق نبوءة عن الصلب، وعن المصلوب ، لما وجدته من تطابق بين عباراته وبين ماحدث مع المصلوب في الأناجيل ، ولكننى اصطدمت منه بعبارة مهولة ، هى حديث المصلوب فيه وقوله عن نفسه « أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر ... » ، ويأبى قلبى وعقلى وايمانى أن أرى المسيح الكريم العظيم يقول هذا عن نفسه بأى حال .

وأتساءل ، أين هى النبوءة، وأين هو التطبيق ؟ إن صلب من صلب لم يكن واقعة مجردة ، إن المسيحين أنفسهم لا يقولون أن المسيح وهو الله فى اعتقادهم قد تجسد وتأنس ونزل وصلب فحسب ، بل هناك حياة كبيرة على الأرض قبل ذلك ، وهناك تفاصيل أخرى سبقت واقعة الصلب ولا انفصال لها عن تلك الواقعة ، وأجد هـذه التفاصيل تقول أن المسيح ذهب إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى مع تلاميذه ، وتركهم وأخذ يصلى بعيدا ، وكان يصلى أعمق وأحر صلاة سمع بها أحد حتى يومنا هذا ، وكل هذه الصلاة وهذا الدعاء يسأل الله أن يخلصه من الصلب ، أن يعبر عنه هذه الكأس إلا أنه ، ولعظيم إيمانه يستسلم لمشيئة الله ويقول له ليكن كما تريد أنت لا كما أريد أنا، وأقبل هذه التفاصيل أيضا فى الصورة الانسلامية حتى لحظة محا ولة القبض على المسيح على التفصيل الذى انتهت اليه فى بحثى، ولا أرى فى واقعة الصلب إذن

واقعة مجردة مستقلة عن غيرها ، وانما أرى المسيح يدعو الله أن يخلصه من الصلب ، فيستجيبه فى الصورة الاسلامية ويرفعه اليه ويقبض على يهوذا الاسخريوطى ويحاكم ويصلب بدلا منه وعلى أنه المسيح نفسه ، بينما نعرف من الصورة المسيحية أن هذا الدعاء لا يستجاب وإنما يقبض على المسيح ويحاكم ويصلب كما يعتقد المسيحيون .

وأبحث عن الصورة بكل تفاصيلها ، ولا أبحث عن صلب مجردا ، فأجد المزمور العشرين ، وهو مزمور لداود يبدأ بالدعاء على لسان داود قائلا « ليستجب لك الرب فى يوم الضيق . » ، فأفهم منه أن داود هنا يدعو لآخر ، وفى زمن مستقبل أن يستجيب له الرب فى يوم الضيق ، ولا أعرف يوم ضيق فى حياة المسيح أكثر من هذا اليوم الذى كان مقررا أن يقبض الأعداء فيه عليه ليقتلوه ، وأرى فى الأناجيل ما دعا الله عندئذ به وهو أن يعبر عنه هذه الكأس ، أى كأس الصلب ، ثم أرى داود النبى يمضى فيوضح كيف يتصور هذه الاستجابة فيقول « ليرفعك .. » ، وبعد أن يستمر فى دعائه لهذا الآخر بما مفهومه أن طلب الاستجابة هذا انما فيه معاملة لمن يدعو له حسب عمله ، يعود ، وفى فقرة جديدة ، يتحدث ، فنفهم من صريح عبارته أنه يتنبأ ، وأن الوحى أعلمه هذا الذى سيقوله فى تلك اللحظة ، فيقول بصريح العبارة وأوضحها « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه . » ، وبصريح العبارة يتحدث عن مسيح الرب ، وبصريح العبارة نفهم انه يتنبأ ، ويتنبأ بأن الرب مخلص مسيحه ، ثم يربط بين هذا التخليص وبين مادعاه فى أول المزمور بقـــوله « ليستجب لك الرب فى يوم الضيق . ليرفعك اسم اله يعقوب . . . » ، قاطعا بأن الدعاء الأول كان عن مسيح الرب ، وأن النبوءة عن تخليص الرب لمسيحه ، ثم يصف كيفية تخليصه فيقول « هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل ... » ، وأرى فى ذلك رمزا لمحاولة القبض على المسيح ، ويعترض المعترض كما قرأنا فى الخطاب بأن أحدا لم يقل أن من جاءوا للقبض على المسيح جاءوا بمركبات وخيل ، وفى الرد على

هذا الاعتراض أرد من وجهين ، فما لاخلاف فيه أن عدم ذكر واقعة فى الأناجيل لايعنى أنها لم تحدث ، وانما فقط لو نفت الأناجيل واقعة معينة يمكن التفكير فى القول بعدم حدوثها ، والأناجيل وإن لم تذكر أن من قدموا للقبض على المسيح أنهم قدموا بمركبات وخيول ، فانها أيضا لم تنف ذلك ، ويقول لنا السيد القمص باسيليوس اسحق فى صفحة ٧٣ من كتابه الذى سماه الحق والذى أصدره ردا على كتابى أن القوة التى نيط بها القبض على المسيح مكونة من كتيبة من الجنود الرومانيين والكتيبة فى العادة — كما يقول — كان عددها ٦٠٠ جنديا مسلحا بقيادة ضابط رومانى ، والخدام وهم الموظفون اليهود الملحقون بمحكمة السنهدريم وموظفو إدارة بوليس الهيكل ، فهل نستطيع أن نتصور كتيبة رومانية عددها ٦٠٠ جنديا دون أن تكون بمركبات وخيول ، أو هل كثير أن نتصورها كذلك ، وهو ما لم تنفه الأناجيل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن السيد / يسى منصور يقول فى الجزء الأول من كتابه بيان الحق الذى حاول به أيضا الرد على كتابى ، يقول — بحق — فى صفحه ٦٩ منه (فليس من الضرورى أن يكون المثال كالحقيقة فى كل شىء والا فلا يكون المثال مثالا .) — وان اختلفت معه فيما رتبه على ذلك — ولهذا ، فحتى لو فرضنا أن من قدموا للقبض على المسيح لم تكن معهم مركبات وخيول ، فان هذا لا يغير من صحة النبوءة واعتبارها عن لحظة محاولة القبض على المسيح ، لأن هذا الوصف الذى أتى به المزمور لا ينطبق فى حياة المسيح الا على تلك اللحظه وحدها .

ثم يأتى المزمور ٢١ بعد ذلك ، ليقطع فى غير مالبس أو أدنى غموض ، بأنه والمزمور السابق كانا عن المسيح ، اذ يذكر لنا هذا المزمور فرحة الملك بقوة الرب ، ويقول أن شهوة قلبه أعطاه الرب وملتمس شفتيه ، وهو الدعاء الذى دعاه له ، لم يمنعه ، ونعرف تماما أن ملتمس شفتيه هذا الذى لم يمنعه هو عدم صلبه

اذ يقول عنه أنه سأل الرب حياة ، ويؤكد المزمور بعد ذلك بما لايستطيع أن ينفيه أى مسيحى بأن المسيح هو المقصود منه بقوله « فأعطيته . طول الأيام الى الدهر والأبد . » ، فمن فى الدنيا كلها أعطى حياة هذا طولها غير المسيح ، وهل داود أعطى هذه الحياة ، لايستطيع حتى مسيحى أن ينكر ذلك عن المسيح أو أن يقوله عن داود ، ثم يؤكد المزمور ارتباطه بالمزمور السابق وبالمؤامرة على المسيح للقبض عليه وصلبه قاطعا بفشلها ، اذ يتحدث عن أعدائه وغضب الله عليهم ويوضح أن سبب هذا الغضب ، أنهم نصبوا عليه شرا ، تفكروا بمكيدة ، ويقطع بما لايقبل الجدل فيقول أنهم لم يستطيعوها ، ثم يأتى بعد ذلك المزمور ٢٢ والذى أتفق مع ما يقول به المسيحيون من أنه يتحدث عن واقعة الصلب نفسها ، فأجد فيه المصلوب محدثنا عن نفسه فيقول أنا دودة لا إنسان عار عند البشر .

فهل بعد كل هذا ، يطلب الى أن أعتبر المزمور ٢٠ ليس عن المسيح ، والمزمور ٢٢ عن المسيح ، أمزمور يحدثنا عن مسيح الرب ، ويحدثنا بصورة التنبؤ عن المستقبل ، ويدعو بأن يستجيب له الرب فى يوم الضيق ، ونعلم يقينا أنه فى يوم الضيق دعا المسيح ربه أن يخلصه من الصلب ، ثم يؤكد لنا المزمور بعد ذلك بنبوءة صريحة قاطعة أنه الآن قد عرف أن الرب مخلص مسيحه ، وأنه سيستجيبه من سماء قدسه ، ومع كل هذه الصراحة وذلك الوضوح ، أقول أن هذا المزمور لايتحدث عن يسوع المسيح عليه السلام ولا صلة له به ، ثم أجد مزمورا آخر ، يتحدث فيه شخص عن نفسه فيقول أنه دودة لا انسان عار عند البشر ، فأرى فيه المسيح ، بل وبين المزمورين نفسيهما مزمور ثالث ، يقطع بما لا يقبل خلافا بأن الأول عن المسيح وبالتالى فالأخير عن غيره ، ثم لا أرى فى مسيح الرب المسيح نفسه ، وأرى فى هذا الذى هو فى رأي نفسه دودة لا إنسان عار عند البشر ، المسيح نفسه ، ولا أرى فيه الخائن يهوذا الاسخريوطى .

على أن القول بأن المزمور ٢٠ والمزمور ٢١ إنمـا قصد بهما المسيح نفسه ، ليس بدعة من عندى ، فمن المسيحيين أنفسهم من يسلم بأن المسيح ، وبأجلى معنى ، هو المقصود بهما ، فهاهو ذا السيد / فخرى عطيه فى كتابه دراسات فى سفر المزامير يقول فى صفحة ٣٠٢ : (التطبيق النبوى : إن الروح القدس يستخدم أقـوال المزمورين ٢٠ و ٢١ لغرض نبوى ، ومن هنا فالتكميل والإتمام لا يوجدان إلاّ فى المسيح . ونرى البقية الأمينة توحد نفسها بمسيحها . ولاحظ كيف أن طلبة مـز ٢٠ : ٤ « ليعطك حسب قلبك ويتمم كل رأيك » تجد استجابتها فى مـز ٢١ : ٢ «شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه (اشارة الى القيامة) حياة سألك فأعطيته . طول الأيام إلى الدهر والأبد » (مـز ٢١ : ٤) . إن يوم « ضيق » مسيا هو اليوم الذى فيه قدم نفسه . والآن هو « مرفـع » . ...) .

وواضح أن الكاتب يرى هنا أن تخليص المسيح يقصـد منه قيامته من بين الأموات ، ولكن ، هل يمكن للمركبات والخيول أن تشير الى القبر ، أم الى محاولة القبض على المسيح ، وأى التفسيرين يقبله العقل .

ويعطينى السيد القمص باسيليوس اسحق درسا فى معنى كلمة مسيح حتى ينفى انطباق المزمور ٢٠ على المسيح — كما ذهب الأستاذ الدكتور جرجس قسطنطين جرجس فى كتابه الى — فيقول لى أن كلمة مسيح لقب أطلقه اليهود على كهنتهم وأنبيائهم وملوكهم لأنهم كانوا يمسحون بالدهن المقدس عند تكريسهم لوظائفهم السامية ولذلك يسمى الملك الممسوح بمسيح الرب ، ومسيح فى الآية « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » أى الممسوح بالدهن ولو كان قصد بها المسيح لقال المسيا (ص ٨٤ — ٨٦ من كتاب الحق) ، وعلى أن ما أوردته عن المزمور ٢١ يقطع بأن المسيح هو المسيح المقصود فى المزمور ٢٠ ، وعلى أن القمص باسيليوس اسحق رمانى لذلك بالجهل بكتب النصارى أو بأنى فعلت عن قصد ذلك لتضليل الجهلاء والله أعلم —

كما يقول — فان الرد القاطع لا آتى به من عندى ، بل من كتب النصارى ، من كتاب السيد/ فخرى عطية الذى أسلفت الإشارة اليه والذى قال فى صفحة ٢٠٨ منه تعليقا على نفس الآية : (فى هذا العدد تعبير يشير فى الكتب النبوية الى ربنا يسوع المسيح نفسه ، تعبير يستخدمه الشعب الأرضى عن المخلص المتيد « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » . والمسيح (الممسوح) هومسيا . ومسيا هو الذى كان ذلك الشعب ينتظرونه طوال القرون . . .) ، فماذا أقول دام فضلكم .

ألانى رأيت الحق جليا فى هذه المزامير الثلاثة فلابد وأن أكون على خطأ ، ويقال لى تبريرا لذلك ، وعلى صراحة الآيات أن مسيح الرب فى المزمور ٢٠ لم يقصد به المسيح عليه السلام ، وإذا كانت كلمة المسيح لقب أطلقه اليهود على كهنتهم . . . فهل ينفى ذلك إطلاقها على يسوع المسيح ، وإذا أطلقت دون تحديد فهل يقصد بها غيره ؟ وإذا لم أكن على حق ، فأى مسيح هذا الذى قصده المزمور ، ولكن يقينا إن من اعترض على لا يعترض أبدا على هذا الذى يقوله السيد / فخرى عطية من أن المسيح عليه السلام بالذات هو المقصود بالمزمورين ٢٠ و ٢١ ، لا لشىء ، ألا لأنه لا ينتهى إلى ما إنتهيت إليه بحق منهما ، فرأى فيهما نبوءة عن صلب المسيح ودفنه وقيامته من الأموات .

هذه هى المزامير ٢٠ و ٢١ و ٢٢ على التوالى ، وهذه هى النبوءات الصريحة الواضحة فيها ، رأينا فيها المسيح يدعو الله فى يوم الضيق ، ورأينا الله يستجيب لدعائه فيرفعه ، ويفرح بذلك فى المزمور ٢١ ونعرف من الأوصاف التى وردت عمن خلصه الله فيه أنها لا تنطبق ألا على يسوع المسيح وحده دون العالمين ، ويؤكد لنا نفس المزمور فشل المؤامرة عليه ، ثم نعرف من المصلوب فى المزمور ٢٢ أنه دودة لا إنسان عار عند البشر ، فنعرف يقينا أنه ليس المسيح عليه السلام وإنما يهوذا الاسخريوطى .

وليست كل صلاة أو صراخ فى المزامير أسندته إلى المسيح ، وإنما هى صورة

كاملة ، واحدة ، تتكرر فى المزامير ، وأبداً لا تتغير، هناك هذا البار يدعو الله فى يوم ضيقه ، فيرسل من العلا ويأخذه ، يرفعه فوق القائمين عليه ، يوصى به ملائكته فعلى الأيادى يحملونه لئلا تصدم بحجر رجله ، لا يحبسه فى يد العدو ، اليه لا يقرب. فهل داود أرسل الله من العلا فأخذه ، وهل داود أوصى الله ملائكته به على الأيادى يحملونه لئلا تصدم بحجر رجله ، هل غير المسيح هذا ، ودائما آخر ، الشرير ، هو الذى يرى فى نفسه دودة لا انسان وعار عند البشر، وكرا جبا حفره فسقط فى الهوة التى صنع ، الشرير يعلق بعمل يديه ، فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم، حفروا أمامه حفرة فسقطوا فى وسطها، على رأسه يرجع تعبه وعلى هامته يهبط ظلمه، الصورة الاسلاميه كاملة ، بكل تفاصيلها ، بكل جلالها ؛ بكل كمالها ، فأين هى فى المزامير تفاصيل هذه الصورة الأخرى التى يقولون بها ، أين دعاء المسيح البار الكامل، الذى لا يستجاب ، وأين المسيح الذى يحاكم ، ثم أين هو المسيح الذى يصلب ، أهذا الشرير ، الذى يقول عن نفسه أنه دودة لا انسان عار عند البشر ، أبدا، وألف أبدا .

وبعد ، فماذا أنا بقائل ، يكفينى هذا فى هذا الهامش ، فالكتاب نفسه يغنينى عن أى كلام ، وإذ أنا على يقين من هذا الذى فى هذا البحث كتبته ، فان يقينى أيضا ، أن أمانة الكلمة تحتم على أن أقول ؛ أن القارىء لا يجوز له أن يكتفى بوجه واحد من أوجه النظر، وأن اليقين الكامل بهذا البحث بل والقراءة الكاملة له ؛ إنما تحتم على القارىء أن يسعى بنفسه إلى ما أشرت إليه من كتب ظهرت من قبل أو قد تظهر من بعد رداً على، فيطالعها ، وليحكم بنفسه ولنفسه عليها .

وإذا كان هذا ما أكتبه أنا ، فإنه من باب أولى ما أتوقع أن يكتبه بعد ذلك من يحاول الرد على ؛ فلا يخفى مثلا كما فعل صاحب كتاب الحق ؛ إسم الكتاب أو الكاتب الذى عليه يرد ، بل وأن يطلب إلى قارئه أن يطالع كتابى ، بل وقبل

أن يقرأ رده ، وإلا فما معنى أن يكون كتابه ردا ، أرجو على أى حال أن يفعل ذلك من يتصدى للرد على ؛ وإلا دل بذلك ليس فقط على عجزه عن الرد ؛ بل وأيضا على عدم يقينه شخصيا بصحة ما يكتب .

وإذا كان لى رجاء لمن ينشر ردا على ، فهو فقط أن يحيطنى علما بصدوره حتى يتسنى لى الاطلاع عليه ، وعنوانى أسجله هنا حتى لا تكون لأحد حجة (٣٤ شارع سانت جينى ، برشدى ، بالاسكندرية — جمهورية مصر العربية) .

وكلمة أخرى ، لا أقدر أن أكتمها ، ففى صـــلاة قدم بها القمص باسيليوس إسحق الطبعة الثانية من كتابه الذى سماه الحق يقول مخاطبا الله : (. . . إننـا اليوم نذكر ما لنا من البركات ونلتمس منك أن توزعها على الآخرين أيضا . . .) فسيادته يسأل الله أن يوزع بركات سيادته على الآخرين ، كما يقول فى كلمة أضافها إلى نهاية كلمته التى قدم بها الكتاب فى طبعته الثانية : (. . . وستجدوننـا أيهـا الكتاب على أتم استعداد لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذى فينا) .

فهكذا رأى سيادته فى نفسه بعد صدور طبعته الأولى ، فأبى إلا أن يصدر بذلك طبعته الثانية ، فهو يذكر اليوم ما له من بركات ويلتمس من الله أن يوزعها على الآخرين أيضـا ، وهو على أتم استعداد لمجاوبة كل من يسـأله عن سر الرجاء الذى فيه .

أما أنا ، فمن نفسى أقول ، لا يظنن أحد بى بركات أوزعها أو أسأل الله أن يوزعها على غيرى ، ولا يظنن أحد فى رجاء ، لأن يقينى أن لا بركة لأحد لغير نفسه ، ولا رجاء فى أحد لغير نفسه ، لأنه بإيمانك وحدك ستدخل ملكوت الله وجناته وليس بغيرك .

وبعـــد

فشكرا وحبا وتحية ، لـكل من طالع هذا الـكتاب فقبله .

وشكرا وحبا وتحية ؛ لكل من قرأ هذا الـكتاب أيضا ولو رفضه .

وشكرا وحبا وتحية ، لكل من رد على هذا الـكتاب ، وان زور فى رده .

وشكرا وحبا وتحية ، واحتراما للأستاذ الدكتور جرجس قسطنطين جرجس ، ذاكرا لسيادته كريم فضله .

وشكرا وحبا وتحية ، مع عظيم احترامى وتقديرى وامتنانى ؛ للسيد الأب كنيث نولن ؛ فلئن اختلفنا معا ، فعلى أمانة الـكلمة ؛ وشرف الرسالة التقينا .

ثم من قبل ومن بعد ، شكرا لله الشكر كله ، وحمدا لله الحمد كله ؛ أن أعاننى على إعادة كتابة وطبع هذا الـكتاب .

منصور حسين

فهرس
موضوعات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



تنبيه

وقعت بعض الأخطاء المطبعية البسيطة التى لاتغيب عن فطنة القارئ ،
ونكتفى بهذا التنبيه إليها .
وانبه بصفة خاصة الى أن كلة سباق فى سطر ٨ من هامش صفحة ٩ صحتها
سياق وأما كلة الطريق فى السطر ٣ من هامش ص ٣٦٩ صحتها الطريف .
وأما كلة يقى فى السطر ٦ ص ٦١٢ صحتها نفى

رقم الايـــداع ١٩٧٢/٥١٤٨

مطابع عابدين ٦ ميدان عرابى اسكندرية
تليفون ٨٠٤٣١١ - ٨٠٤٧٤٠

هذا الكتاب

ظهرت الطبعة الأولى من هـــذا الكتاب سنة ١٩٦٣ ، وهو يقوم أساسا على البحث فى الحقيقة بين صلب المسيح عليـــه السلام أو عدم صلبه ، وبين ألوهيته أو عدم ألوهيته .

وظهر للرد عليـــه كتاب بعنوان " الحق " للقمص باسيليوس اسحق كاهن كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بنربال بالاسكندرية ، وكتاب آخر بعنوان " بيان الحق " ـ وهو من أربعة أجزاء ـ للسيد/ يسى منصور واعظ الأقباط ومدرس التربية الدينية .

وتتضمن هذه الطبعة التعليق على هـــذه الردود وغيرها من التعليقــات التى وصلت للمؤلف ؟

الناشر